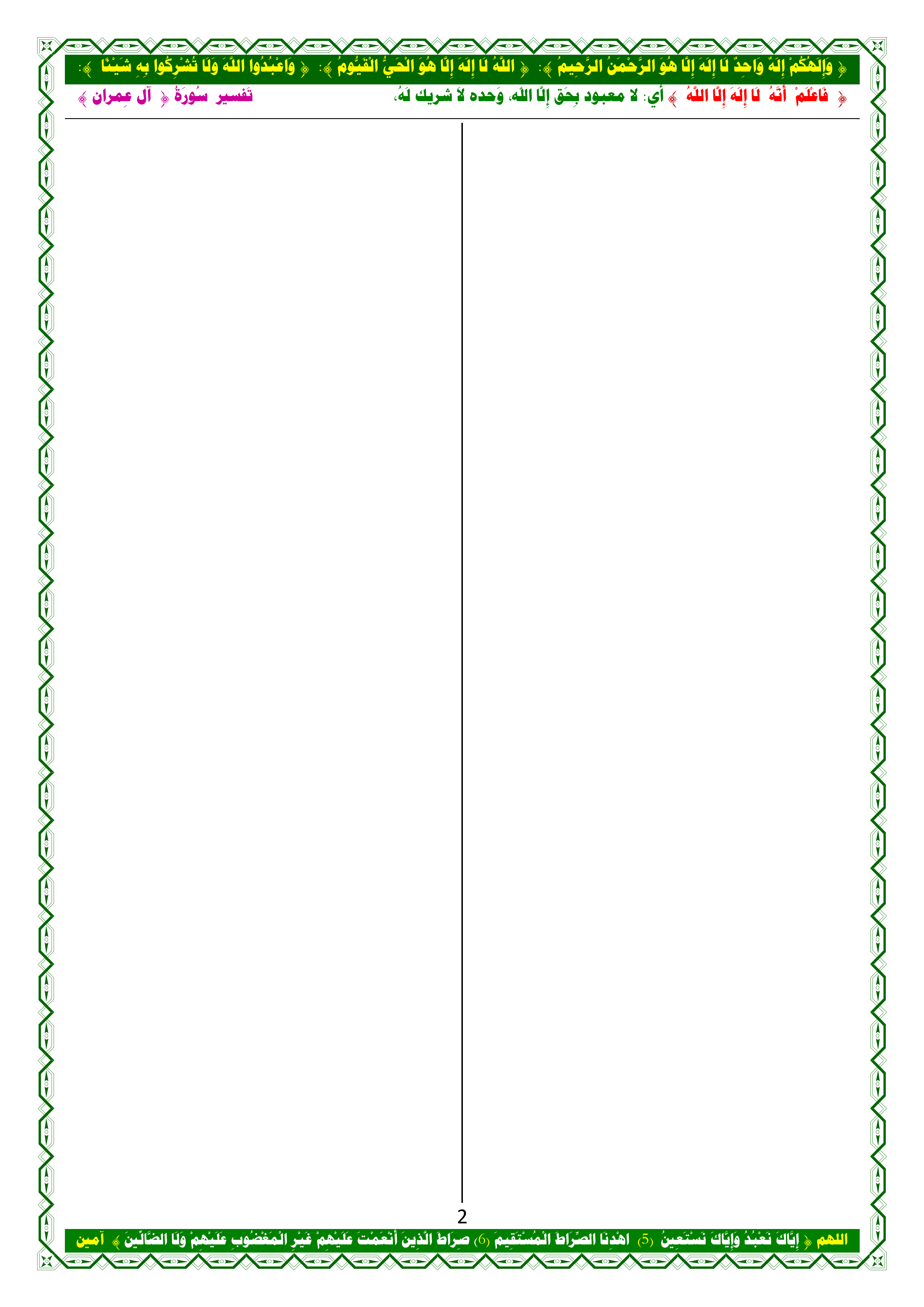
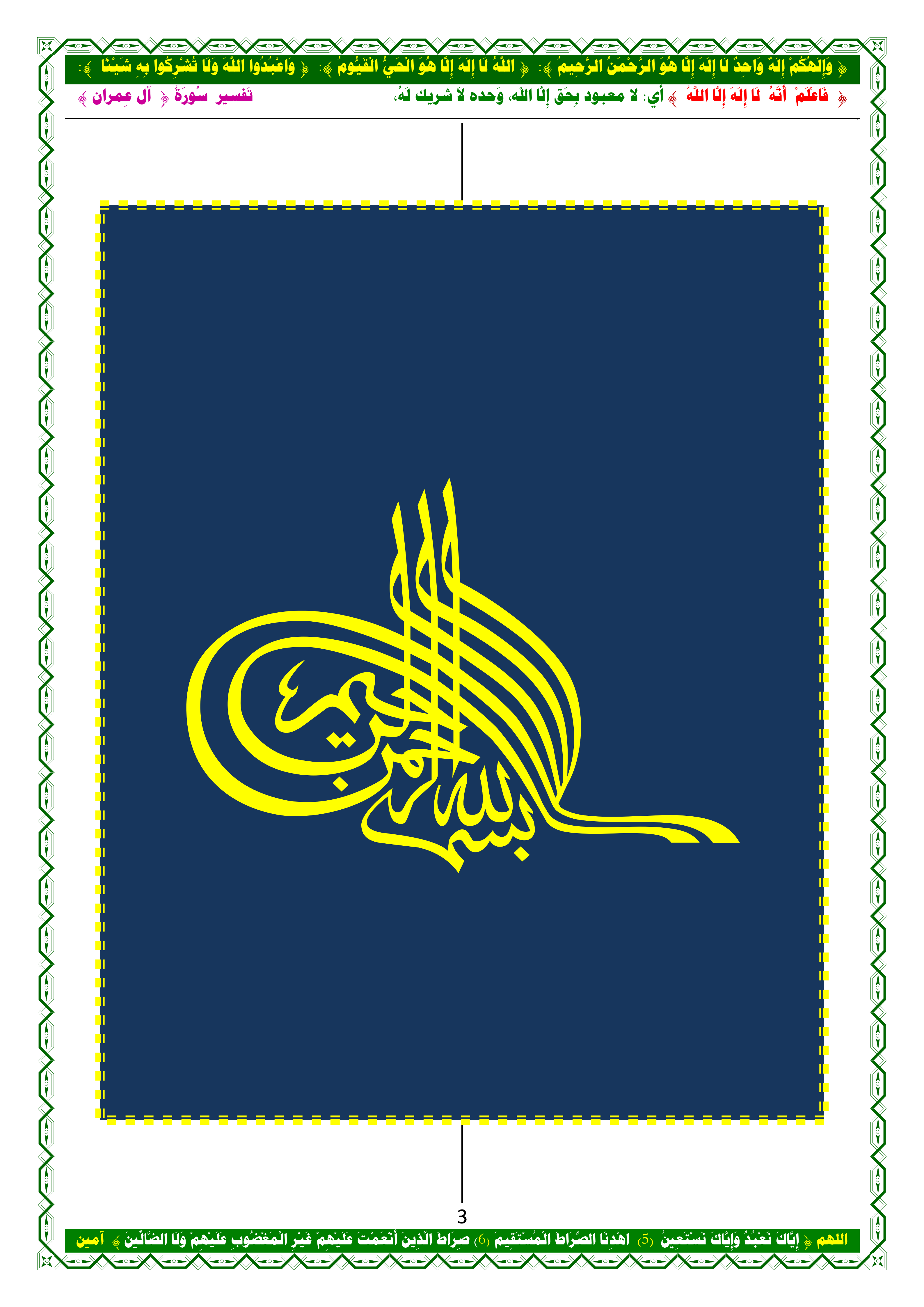
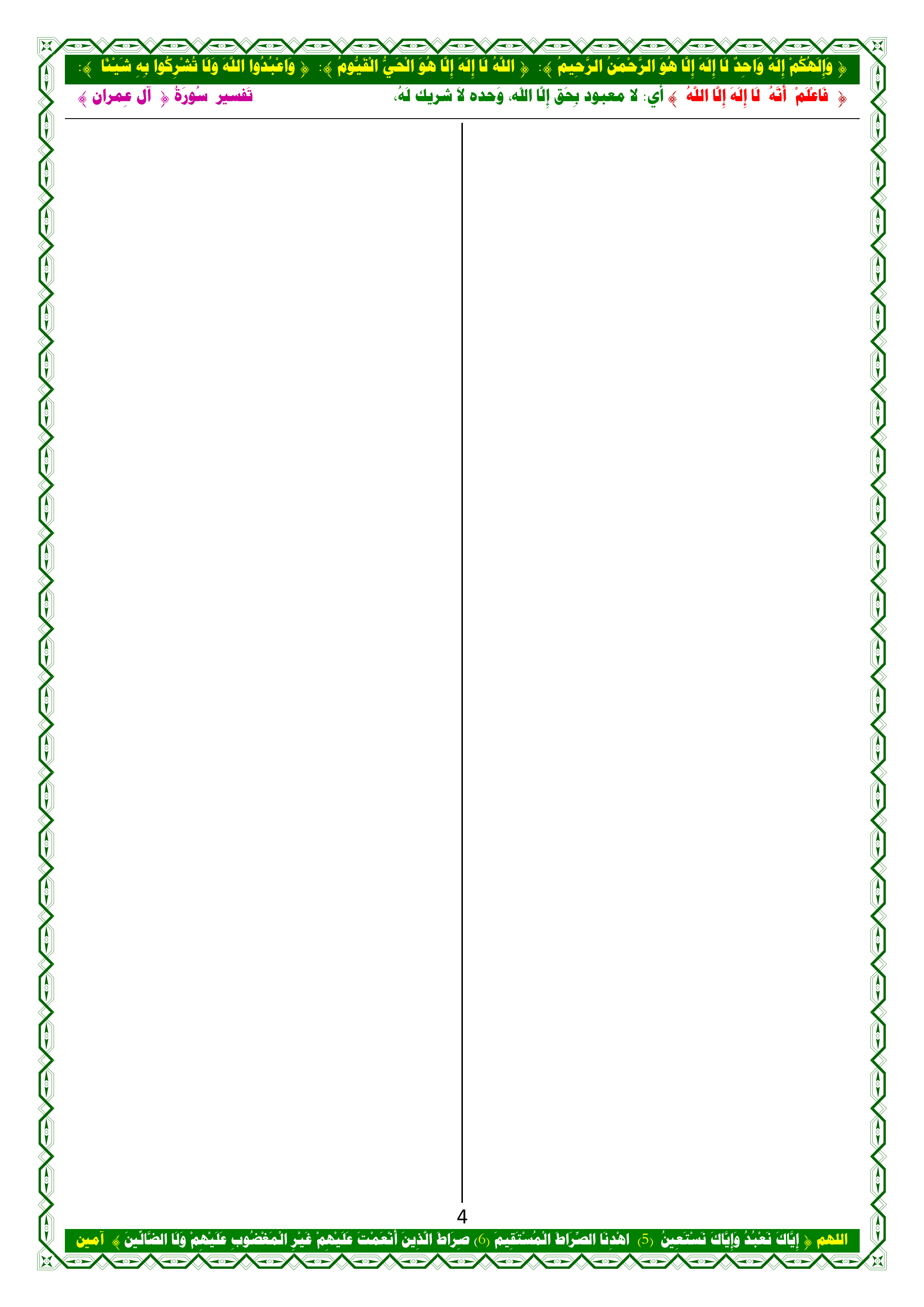


تَفسِير
سُورَةُ ﴿ آلِ عِمْرَانَ ﴾




بسم الله الرحمن الرحيم



سُورَةُ ﴿ آلِ عِمْرَانَ ﴾

ترتيبها (3)... **آياتها** (200) ...(**مدنية**)(1)

وهي مئتا آية في غير عدد أهل الشام(2) وحروفُهــا أربعــةَ عشــرَ ألفًــا، وخمــسُ مئــةٍ، وخمسةٌ وعشرون حرفًا، وكلماتهــا ثلاثــةُ آلافٍ وأربــعُ مئــةٍ وثمــانون كلمةً.(3)

وحكـــى النقــاشُ أنَّ اســمَ هــذهِ الســورةِ في التوراة: طَيِّبَةُ(4).

{عــن (أبــي إسـحق)، و(الرّبيــع) أنّ نيّفــا وثمــانين آيــة مــن أوّل هــذه السّــورة نزلــت في وفد نجران}(5).

هــي ســورة (مدنيــة)، سُــمِّيت ســورة﴿ آل عمــران﴾ لــذكر﴿آل عمــران﴾ فيهــا في الآيــة (33) مــن السورة.

---

(1) انظــر: (تفســير الطــبري) (3/ 219)، و(معــاني القــرآن الكــريم) بــرقم (1/ 338)، و(التبيان في تفسير القرآن) (2/ 388).

(2) انظــر: (تفســير الطــبري 3/ 219، و(معــاني القــرآن الكــريم) بــرقم (1/ 338)، و(مجمع البيان 2/ 232).

(3) انظــر: (فــتح الــرحمن في تفســير القــرآن) (1/ 414). للإمــام (مجــير الــدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(4) انظر: (الدر المنثور) للسيوطي (2/ 140).

(5) انظــر: (تفســير البغــوي) (1/ 276)، و(مجمــع البيــان) (2/ 334)، و(زاد المسير) (1/ 298).

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (9)

* * *

﴿ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ ﴾

والثبات على الإسلام بعد كماله وبيانه، وردّ شبهات أهل الكتاب وخاصة النصارى(6).

وإثبات التوحيد وإنزال الكتاب،

* * *

سُورَةُ ﴿ آلِ عِمْرَانَ ﴾ فضائلها

الدليل والبرهان:

---

(6) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (1/ 50). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وقال: الإمام (مُسلم) – في (صحيحه)، - والإمام (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده) - (رحمهما الله) - (بسندهما): عَنْ (أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم:- (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ)،

وفي رواية: (تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ)(1) فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ)،

وفي رواية: (تَعَلَّمُوا الزَّهْرَاوَيْنِ)(2) (الْبَقَرَةَ)، وَسُورَةَ (آلِ عِمْرَانَ)، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ، صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ (الْبَقَرَةِ)، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ)،

وفي رواية: (تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ، فَإِنَّ تَعْلِيمَهَا بَرَكَةٌ)(3) وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ))(4)(5)

* * *

وقال: الإمام (مُسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) - (بسنده):- عَنْ (أبي هريرة)، أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر. إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)).(6)

* * *

قال: الإمام (مُسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) - (بسنده):- عن (معاوية) (يعني: ابن سلام) عن زيد، أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني (أبو أمامة الباهلي)، قال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: (البقرة) وسورة (آل عمران)، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة. فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة))،

وقال (معاوية): بلغني أن البطلة السحرة.(7)

* * *

وقال: الإمام (البُخَاري ومُسلِم) – (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما): - عن (أسيد بن حضير) قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكتت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (22211).
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (حديث صحيح). قلت: وكلتا الروايتين بنفس المعنى، فمعنى القراءة في الحديث هو حفظ القرآن وليس مجرد القراءة، بدليل قوله - صلى الله عليه وسلم -: " يَؤمُّ القومَ أَقْرَؤُهم ".ع

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (22211).

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (22211).

(4) الْبَطَلَة: السَّحَرَة).

(5) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (252) - (804).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (22211). (22267).

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (780)- (كتاب: صلاة المسافرين)، / باب: (استحباب صلاة النافلة).

(7) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (804)- (كتاب: صلاة المسافرين)، / باب: (قراءة القرآن وسورة البقرة).

فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه فلما اجتَّره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدّث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريبا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال: وتدري ما ذاك؟ قال: لا، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك. ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم. (1) (2)

* * *

وقال: الإمَامُ (أحمد بن حنبل) - (رحمه الله) - في (المسند) – (بسنده):- ثنا سليمان بن داود، قال: أخبرنا حسين قال: ثنا إسماعيل بن جعفر، قال: أخبرني عمرو بن حبيب بن هند الأسلمي عن عروة، عن (عائشة) أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: ((من أخذ السبع الأول فهو حبر)). (3)

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (93/9)، (ح 5018)– (كتاب: فضائل القرآن)، / باب: (نزول السكينة والملائكة)،

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (796)– (كتاب: صلاة المسافرين)، / باب: (نزول السكينة لقراءة القرآن). واللفظ للبخاري).

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (73/6)، ذكره الإِمَامْ (الهيثمي) ثم قال: رواه الإِمَامْ (أحمد)، و الإِمَامْ (البزار)، ورجال الإِمَامْ (البزار)، (رجال الصحيح) غير حبيب بن هند الأسلمي وهو ثقة (مجمع الزوائد) برقم (162/7)،
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (564/1) - من طريق:- (إسماعيل بن جعفر به)، و(صححه)، ووافقه الإِمَامْ (الذهبي).
وقد خرّج هذا الحديث الشيخ (محمد رزق طرهوني) تخريجا وافيا وتوصل إلى تصحيحه أيضاً (موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (برقم (124/1، 125)).

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ الم ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

{الم} هذه من الحروف التي افتتحت بها بعض سور القرآن، وهي حروفٌ هجائية لا معنى لها في نفسها إذا جاءت مفردة هكذا (أ، ب، ت، إلخ)، ولها حكمةٌ ومَغْزًى" حيث لا يوجد في القرآن ما لا حكمة له، ومن أهم حِكَمِها الإشارة إلى التحدي بالقرآن الَّذي يتكوَّن من الحروف نفسها التي يعرفونها ويتكلمون بها" لذا يأتي غالبًا بعدها ذكرٌ للقرآن الكريم، كما في هذه السورة. (4)

* * *

({آلم} هذه الحروف وغيرها من الحروف المقطَّعة في أوائل السور فيها إشارة إلى إعجاز القرآن" فقد وقع به تحدي المشركين، فعجزوا عن معارضته، وهو مركَّب من هذه الحروف التي تتكون منها لغة العرب. فدَلَّ عجز العرب عن الإتيان بمثله -مع أنهم أفصح الناس- على أن القرآن وحي من الله). (5)

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (2/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (2/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

* * *

{آلم} (ألف لام ميم: هذه حروف ابتدأ الله سبحانه وتعالى بها ليشير بها إلى إعجاز القرآن الكريم المؤلف من حروف كالحروف التي يؤلِّف منها العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن، وهي مع ذلك تنطوي على التنبيه للاستماع لتميز جرسها).(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{آلم} ... هَذَا الْقُرْآنُ مُؤَلَّفٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ الإِتْيَانَ بِمِثْلِه.

{آلم} ... أصَحّ الأقوال فيها أنها حروف ليست لها معنى" لأن القرآن نَزَلَ بلغة العرب، وليس لهذه الحروف معنى في العربية، وهذا قول ‹ مجاهد ›، وأما الحكمة منها فهي الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن، وهذا اختيار ‹ شيخ الإسلام › وتلميذه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {آلم}.

قال: الإمام (الدارمي) - (رحمه الله) - في (سُننه)-(بسنده):- حدثنا أبو عامر قبيصة أنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبي الأحوص، عن (عبد الله) قال: تعلموا هذا القرآن، فإنكم تؤجرون بتلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول بـ {آلم}، ولكن بـ {ألف، ولام، وميم} بكل حرف عشر حسنات.(2)

* * *

ملاحظة:

وقد توقف في تفسير هذه الآية وغيرها من الحروف المقطعة (جمع من العلماء كالخلفاء الراشدين) -رضوان الله عليهم- وغيرهم من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولم يثبت عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه فسرها، فيستحسن أن نقول: الله أعلم بالمراد منها، ولكن ثبت عن بعض المفسرين من الصحابة والتابعين وأتباعهم أنهم بينوا تفسيرها واختلفوا فيها وأسوق هنا ما ثبت عنهم من الأوجه الآتية:

الوجه الأول: أنها قسم أقسم الله به وهو من أسمائه:

وقال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - من طريق (علي بن أبي طلحة)، عن (ابن عباس): قال: هو قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله.(3)

* * *

وقال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- من طريق (يعقوب بن إبراهيم) قال: حدثنا (ابن علية) قال: حدثنا

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (3/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (الدارمي) في (سننه) برقم (429/2)-(كتاب: فضائل القرآن)،/ باب: (فضل من قرأ القرآن)، وأخرجه (أبو القاسم ابن منده) في الرد على من يقول: (الم) حرف (ص 44) - من طريق-: (عبد الرزاق عن سفيان) به.
وقد (صححه) الإمام (الألباني) في عدة مواضع (انظر: السلسلة الصحيحة برقم (660)، و(صحيح الجامع) برقم (6345).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) برقم (207/1) في سورة (البقرة) الآية (1).

(خالد الحذاء)، عن (عكرمة): قال (الم) قسم. (1) (2)

* * *

الوجه الثاني: أنها فواتح يفتح الله بها القرآن.

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا (أحمد بن حازم الغفاري) قال: حدثنا (أبو نعيم) قال: حدثنا (سفيان) عن (مجاهد) قال: (الم) فواتح. (3) (4)

* * *

الوجه الثالث: أنها اسم من أسماء القرآن.

قال: (عبد الرزاق الصنعاني) - (رحمه الله):- أخبرنا (معمر) عن (قتادة): في قوله: (الم) قال: اسم من أسماء القرآن. (5) (6)

* * *

الوجه الرابع: أنها اسم من أسماء الله.

قال: الإمام (البيهقي) - (رحمه الله) - في (سُننه): وأخبرنا أبو الحسين بن بشران، ثنا دعلج بن أحمد، ثنا محمد بن سليمان، حدثنا عبيد الله بن موسى، ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن السدي قال: فواتح السور من أسماء الله عز وجل. (7)

* * *

[٢] ﴿ اللَّــهُ لاَ إِلَــهَ إِلاَ هُــوَ الْحَــيُّ الْقَيُّومُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الله الذي لا إله يعبد بحق إلا هو وحده دون سواه، الحي حياة كاملة لا موت فيها ولا نقص، القيُّوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قامت جميع المخلوقات فلا تستغني عنه في كل أحوالها. (8)

* * *

هو الله، لا معبود بحق إلا هو، المتصف بالحياة الكاملة كما يليق بجلاله، القائم على كل شيء. (9)

* * *

الله واحد لا إله غيره، وكل ما فى العالم من تنسيق وإبداع يشهد بذلك، وهو الحى الذى لا يموت، القائم بأمر العالم يدبره ويصرفه. (10)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) برقم (207/1) في سورة (البقرة) الآية (1).

(2) أخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) -من طريق-: (أبي سعيد الأشج)- عن (ابن علية) به، و(رجاله ثقات و(إسناده صحيح).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) برقم (206/1) في سورة (البقرة) الآية (1).

(4) (و رجاله ثقات إلا (أحمد بن حازم الغفاري) وهو (أبو عمرو الكوفي) صاحب المسند ذكره الإمام (ابن حبان) في الثقات وقال: كان متقنا. ت (276) هـ. (انظر: تذكرة الحفاظ) برقم (ص (594).

هذا وقد رواه الإمام (الطبري) - من طرق-: أخرى إلى الإمام (مجاهد)، و(أبو نعيم هو الفضل بن دكين). (فالإسناد صحيح).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) برقم (205/1) في سورة (البقرة) الآية (1).

(6) أخرجه الإمام (الطبري)، و الإمام (ابن أبي حاتم)، - من طريق: (الحسن بن يحيى) عن (عبد الرزاق) به. (ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).

(7) انظر: (الأسماء والصفات) للإمام (البيهقي) برقم (ص 120)، و(إسناده صحيح) إلى (السدي) - وهو الكبير- فرجاله ثقات إلى (السدي) إلا (محمد بن سليمان) وهو (ابن الحارث الباغندي) اختلف فيه. (انظر: (لسان الميزان) برقم (186/5)، وانظر: (سير أعلام النبلاء) برقم (386/13)، ولكن قد روي -من طرق-: أخرى إلى (السدي). (انظر: تفسير الإمام (الطبري) برقم (233-235).

(8) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (50/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(9) انظر: (التفسير الميسر) برقم (50/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(10) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (70/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{الله} ... اسم علم على ذات الرب تبارك وتعالى ومعناه: الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، ولذا فسرناه في التفسير بأنه المعبود الحق لكونه الإله الحق الذي لا يعبد بحق غيره.(1)

{الله} ... المعبود بحق،

عَلَمٌ عَلَى الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ، عَلَمٌ عَلَى الرَّبِّ وهو أَعْرَفُ المَعَارِفِ على الإطْلاَق، ومَعْنَاهُ: المَعْبُود حُبًّا وتَعْظِيما.

{لا إِلَهَ إلا هُوَ} ... لا معبود بحق سواه.

{الحَـيُّ} ... الَّذِي لاَ يَمُوت، ‹ أل › للاسْتِغْرَاق" أي: الكَامِلُ الحَيَاة. (أي: ذو الحياة المستلزمة للإرادة والعلم والسمع والبصر والقدرة.

{القَيُّومُ}...القَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيء. (أي: القيم على كل مخلوقاته بالتربية والرعاية والحفظ) (الْقَائِمُ الَّذِي لاَ بَدْءَ لَهُ).

{القَيُّومُ} ... على وَزْن فَيْعُول، وهو مأخوذ من القِيَام، ومعناه: القَائِمُ بِنَفْسِه، القَائِمُ عَلَى غَيْرِه، الْقَائِمُ بِنَفْسِه فَلاَ يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ، والقائم على غيره فكُلّ أحد محتاجٌ إليه.

وفي الجَمْعِ بَيْنَ الاسْمَيْنِ الكَرِيمَيْنِ {الحَيّ القَيّوم} استغراق لجميع ما يوصف الله به بِجَمِيعِ الكَمَالاَت، فَفِي ‹ الحَيّ › كَمَال الصِّفَات، وفي ‹ القيوم › كمال الأَفْعَال، وفهما جَمِيعًا كَمَالُ الذَّات، فهو كامل الصِّفَات والأَفْعَال والذَّات.

* * *

(1) انظر: (أيسر التفاسير) للشيخ (أبو بكر الجزائري) برقم (282/1).

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (إبن أبي زمنين) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {الْحَيِّ} الَّذِي لاَ يَمُوت، {القيوم} قَالَ (الحَسَن): يَعْنِي: الْقَائِم عَلَى كُلِّ نفس بكسبها حَتَّى يجزيها به.(2)

* * *

قوله تعالى: {الم (1) اللَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ}.

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُنَنِه) - (بسنده):- حدثنا علي بن خشرم. حدثنا عيسى بن يونس عن عبيد الله ابن أبي زياد القداح، كذا قال عن شهر بن حوشب عن (أسماء بنت يزيد) أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين))، {وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم})، و(فاتحة، آل عمران) {الم (1) اللَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ}.(3)

---

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي) برقم (273/1).

(3) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (517/5)، (ح 3478) – (كتاب : الدعوات)،/ باب: (65).

واخرجه الإِمَامْ (أبو داود) في (السنن) برقم (80/2)، (ح 1496) – (كتاب : الصلاة)،/ باب: (الدعاء عن مسدد)،

و اخرجه الإِمَامْ (ابن ماجه) في (السنن) برقم (1267/2)، (ح 3855) – (كتاب : الدعاء)،/ باب: (اسم الله الأعظم) - عن (أبي بكر بن أبي شيبة). كلاهما عن (عيسى بن يونس).

وأخرجه أحمد (المسند 461/6) عن محمد بن بكر.

و اخرجه الإِمَامْ (الدارمي) في (السن) برقم (450/2) – (كتاب : فضائل القرآن)، / باب: (فضل أول سورة البقرة..) عن (أبي عاصم النبيل.

واخرجه الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) في (التفسير) برقم (ح 4) – (آل عمران/1) - = من طريق-: (مكي بن إبراهيم، جميعهم عن عبيد الله بن أبي زياد به).

قال: الإمام (الترمذي) في (سننه): (حسن صحيح).

وقد ذكر الإِمَامْ (أحمد) أن شهراً روى عن (أسماء بنت يزيد) أحاديث حساناً (التهذيب) - (370/4) فلعل هذا الحديث منها.

وقال: الإِمَامْ (الألباني): (حسن). في (صحيح الترمذي) برقم (ح 2764).

وانظر: الكلام عن الحروف المقطعة في بداية سورة (البقرة).

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – و الإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الصحيح) – عن (مجاهد): في قول الله جل ثناؤه (الحي القيوم) قال: القائم على كل شيء. (1)(2)

* * *

[٣] ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

نزَّل عليك أيها النبي-ﷺ- القرآن بالصدق في الأخبار والعدل في الأحكام، موافقًا لما سبقه من الكتب الإلهية، فلا تعارض بينها، وأنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى - عليه السلام. (3)

* * *

نَزَّل عليك أيها الرسول- ﷺ- القرآن بالحق الذي لا ريب فيه، مصدِّقًا لما قبله من كتب ورسل، وأنزل التوراة على موسى -عليه السلام، والإنجيل على عيسى -عليه السلام. (4)

* * *

أي: نَزَّلَ عليك - يا محمد- ﷺ- القرآن مشتملا على الحق فى كل ما تضمنه من أصول الشرائع السماوية فى الكتب السابقة، ولقد أنزل الله من قبله التوراة على موسى والإنجيل على عيسى. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} ... يَعْنِي: نَزَّلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ يَا مُحَمَّدُ. (أي: جِبْرِيل بِالْكتاب).

{نَزَّلَ عَلَيْكَ} ... يا مُحَمَّد

{الْكِتَابَ} ... يعني: القرآن. (أي:الْقُرْآن مُلْتَبِسًا)

{بِالْحَقِّ} ... لتبيان الْحق وَالْبَاطِل. (أي:بِالصِّدْقِ فِي أَخْبَاره). (أَيْ: لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا رَيْب، بَلْ هُوَ مُنَزَّل مِنْ عِنْد اللَّه-(عَزَّ وَجلّ). (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَة يَشْهَدُونَ، وَكَفَى بِاللَّه شَهِيدًا).

{بِالحَقِّ} ... الباء يجوز أن تكون بمعنى أنه مُتَلَبِّس بالحَقّ" أي: مُشْتَمل على الحق، فهو نَازِلٌ بِحَقّ لا بِبَاطِل، ويحتمل أن تكون مُتَعَلِّقَةً بالتَّنْزِيل، يعني أنه نزول حق ليس بباطل.

{مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} ... أَيْ: مِنَ الْكُتُب الْمُنَزَّلَة قَبْلَهُ مِنَ السَّمَاء عَلَى عِبَاد اللَّه الْأَنْبِيَاء، فَهِيَ تُصَدِّقهُ بِمَا أَخْبَرَتْ بِهِ وَبَشَّرَتْ فِي قَدِيم الزَّمَان، وَهُوَ يُصَدِّقهَا" لِأَنَّهُ طَابَقَ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ وَبَشَّرَتْ، مِنَ الْوَعْد

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (2).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (2).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (50/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (50/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (70/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

مِنَ اللَّهِ بِإِرْسَالِ - مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-، وَإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَيْهِ.

{مُصدِّقًا} ... مُوَافِقا بِالتَّوْحِيد

{لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} ... لما قبله من الْكتب.

{مُصَدِّقًا} ... وتصديقه لما بَيْنَ يَدَيْهِ لَهُ وَجْهَان:

الوجه الأول: أنه صدقها" لأنها أخبرت به فَوقَع مُصَدِّقًا لها.

الوجه الثاني: مصدِّقًا لما بين يديه" أي: حاكمًا عليها بالصدق.

فهو مصدق لمَا سَبقَ من الكتب بالوجهَيْنِ المذْكُورَيْن" لأنَّ الكتب أخْبَرَتْ به فوَقَعَ، وإذا وقع صار من عند الله عز وجل، وهذا التَّصْديق لما بين يَدَيْه يَشْمَلُ الوَجْهَيْنِ جَميعًا، فالقرآن شاهدٌ بأنَّ التَّوْرَاة حَقٌّ، والإنْجيل حَق، والزَّبُورُ حق، وصحف إبراهيم حق، وأن الله أنزَل على رسوله كتابًا، كذلك مُصَدِّقًا للكتب التي أخبرت به، فإن الكتب السابقة أخبرت بهذا القرآن، أنه سينزل، ووصفت النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي سينزل عليه بأوصافه التي كانوا يعرفونه بها كما يعرفونَ أبناءهم.

{وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ} ... أَيْ: جملَةً (عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ) (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

{وَالإنْجِيلَ} ... أَيْ: عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

{وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإنجِيلَ}.. قال: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ}، {وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ} اختلاف التعبير يدل على اختلاف المعنى.

قال: (أهل العلم): إن التوراة والإنجيل نزلتا دفعة واحدة بدون تدريج بخلاف القرآن، فإنه نزل بالتدريج.

* * *

قال الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) يقول: (القرآن).(1)

* * *

و **قال الإمام** (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول: القرآن (مُصَدِّقًا لمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) من الكتب التي قد خلت من قبله.(2)

* * *

قال الإمَامُ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): (مصدقا لما بين يديه) قال: لما قبله من كتاب أو رسول.(3)

* * *

قوله تعالى: {وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ}.

قال الإمَامُ (أحمد بن حنبل) - (رحمه الله) - في (المسند) - (بسنده):- ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم: ثنا عمران أبو العوام، عن (قتادة)،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (3).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (3).

(3) كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمران) الآية (3).

عن أبي المليح، عن و(اثلة بن الأسقع) أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان)).(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): {وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ} هما كتابان أنزلهما الله، فهما بيان من الله، وعصمة لمن أخذ به وصدق به، وعمل بما فيه.(2)

* * *

و قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): (وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ) هو القرآن، أنزله على محمد، وفرق به بين الحق والباطل، فأحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه وشرع فيه شرائعه، وحد فيه حدوده، وفرض فيه فرائضه، وبين فيه بيانه وأمر بطاعته، ونهى عن معصيته.(3)

* * *

[٤] ﴿ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

من قبل نزول القرآن" لإرشاد المتقين إلى الإيمان، وصلاح دينهم ودنياهم، وأنزل ما يفرق بين الحق والباطل. والذين كفروا بآيات الله المنزلة، لهم عذاب عظيم. والله عزيز لا يُغَالَب، ذو انتقام بمن جحد حججه وأدلته، وتفردُّه بالألوهية.(4)

* * *

من قبل تنزيل القرآن عليك، وهذه الكتب الإلهية كلها هداية وإرشاد للناس إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأنزل الفرقان الذي يعرف به الحق من الباطل والهدى من الضلال. والذين كفروا بآيات الله التي أنزلها عليك لهم عذاب شديد. والله عزيز لا يُغالبه شيء ذو انتقام ممن كذَّب رسله وخالف أمره.(5)

* * *

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (107/4)،
وأخرجه الإمام (الطبراني) برقم (75/22)، (ح 185)،
وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) برقم (تفسيره) – (سورة آل عمران)، الآية (3-4)، (ح 335)، و (سورة المائدة) الآية (44، 46، 48)، (ح 68، 150، 164) - من طريق-: (عبد الله بن رجاء عن عمران) به.
و(حسنه) الإمام (السيوطي) في (فيض القدير)- مع (الجامع الصغير) برقم (57/3).
وقال: الإمام (الألباني): وهذا إسناده حسن ورجاله ثقات، وفي القطان - عمران أبي العوام- كلام يسير، وله شاهد من حديث ابن عباس مرفوعاً نحوه.
وأخرجه الإمام (ابن عساكر) برقم (1/167/2) و (1/352/5)- من طريق: (علي ابن طلحة) عنه ... (الصحيحة) برقم (ح 1575). وله شاهد آخر- من حديث- (جابر عند ابن مردويه).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (3).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (3).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (50/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (50/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

أنزلهما قبل القرآن لهداية الناس، فلمَّا انحرفوا أنزل القرآن فارقاً بين الحق والباطل، ومبيِّناً الرشد من الغي، فهو الكتاب الصادق الدائم، وكل من ترك ما أنزله الله فيه وكفر بآياته فله عذاب شديد، والله قادر لا يغلبه شئ، منتقم ممن يستحق الانتقام. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{مِنْ قَبْلُ} ... أَيْ: مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ. (أي: من قبل مُحمَّد وَالقُرْآن)

{هُدًى} ... حَال بِمَعْنَى: هَادِينَ مِنْ الضَّلَالَة

{هُدًى لِلنَّاسِ} ... (أي: هدى للناس المتقين، وهي في موضع نصب على الحال).

أَيْ: فِي زَمَانِهِمَا. (أي: لبني إسْرَائيل من الضَّلَالَة)

{وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ} ... (2) وَهُوَ الْفَارِقُ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، بِمَا يَذْكُرُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ، وَالدَّلَائِلِ الْوَاضِحَاتِ، وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَاتِ، وَيُبَيِّنُهُ وَيُوَضِّحُهُ وَيُفَسِّرُهُ وَيُقَرِّرُهُ، وَيُرْشِدُ إِلَيْهِ وَيُنَبِّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ) وَ(الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ): الْفُرْقَانُ هَاهُنَا الْقُرْآنُ. وَاخْتَارَ ابْنُ جرير أنه مصدر هاهنا. (3)

{وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ} ... ليس المراد بالفرقان هنا القرآن، بل المراد: أنزل ما يُبَيِّن به الفرق بين الحق والباطل، وإنما قلنا ذلك لأننا لو خصصناه بالقرآن لكان في ذلك تكرار مع قوله: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ}، مع أن التوراة والإنجيل فهما أيضًا فرقان" أي: فهما تفريق بين الحق والباطل، إذن أنزل الفرقان الذي تضمنته هذه الكتب الثلاث وهي القرآن والتوراة والإنجيل.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ الله} .... أَيْ: جَحَدُوا بِهَا وَأَنْكَرُوهَا، وَرَدُّوهَا بِالْبَاطِلِ. (أي: بِمُحمد وَالقُرْآن وهم (وفد بني نَجْرَان)

{بِآيَاتِ اللَّه} ... من كتبه المنزلة وغيرها.

{لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} ... فِي الدُّنْيَا وَالْآخرَة. (أو في يوم الْقِيَامَة).

{وَاللَّهُ عَزِيزٌ} ... أَيْ: مَنِيعُ الْجَنَابِ عَظِيمُ السُّلْطَانِ. (أي: منيع بالنقمة)

{عَزِيزٌ} ... غَالِبٌ، قَوِيٌّ لا يُغَالَبُ. (أي: غَالِب عَلَى أَمْرِه فَلَا يَمْنَعهُ شَيْء مِنْ إنْجَاز وَعْده وَوَعِيده).

{ذُو انْتِقَامٍ} ... له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم.

{ذُو انْتِقَامٍ} ... عُقُوبَةٌ شَدِيدَةٌ، أَيْ: مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ وَخَالَفَ رُسُلَهُ الْكِرَامَ، وَأَنْبِيَاءَهُ الْعِظَامَ. (أي: ذُو نقمة مِنْهُم).

* * *

[٥] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/83)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) {وَأَنْزَلَ الفُرقَان} ... على مُحمَّد مُتفرقًا بالحلال وَالحرام.

(3) انظر: تفسير الإمام (ابن كثير). برقم (2/5).

إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء, قد أحاط بالأشياء كلها ظاهرها وباطنها.(1)

* * *

إن الله محيط علمه بالخلائق، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قلّ أو كثر.(2)

* * *

إن الله عليم بكل شئ، فهو لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء، صغيراً كان أو كبيراً، ظاهراً أو باطناً.(3)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ} أي: إن الله تعالى يعلم كل شيء وقد فصل ذلك في سورة (الأنعام) وبين أن كل شيء في كتاب مبين، كما قال تعالى: {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين} {الأنعام: 59}.

* * *

[٦] ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هو الذي يخلقكم صوراً شتى في بطون أمهاتكم كيف يشاء، من ذكرٍ أو أنثى، وحسن أو قبيح، وأبيض أو أسود. لا معبود بحق غيره، العزيز الذي لا يُغَالَب، الحكيم في خلقه وتدبيره وشرعه.(4)

* * *

هو وحده الذي يخلقكم في أرحام أمهاتكم كما يشاء، من ذكر وأنثى، وحسن وقبيح، وشقي وسعيد، لا معبود بحق سواه، العزيز الذي لا يُغالَب، الحكيم في أمره وتدبيره.(5)

* * *

وهو الذى يصوركم وأنتم أجنة فى الأرحام بصور مختلفة حسبما يريد، لا إله إلا هو العزيز فى ملكه، الحكيم فى صنعه.(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الأَرْحَامِ} ... جمع رَحِم، وهو وعاء الجنين في بَطْنِ أمِّه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (50/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (50/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (70/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (50/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (50/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (71/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

قــال: الإمــام (الطــبري) – (رحمــه الله) – في (تفســيره):- (بســنده الصــحيح) – عــن(قتــادة): قولــه : {هُــوَ الَّــذِي يُصَــوِّرُكُمْ فِــي الْأَرْحَــامِ كَيْــفَ يَشَــاءُ} ، قــادر والله ربنــا أن يصــور عبــاده في الأرحــام كيــف يشــاء، ذكــر أو أنثــى، أو أســود أو أحمر، تام خلقه أو غير تام.(1)

* * *

قــال: الإمَــامُ (ابــن أبــي حــاتم) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- (بســنده الجيــد) – عــن (أبــي العاليــة): قولــه : (الْعَزِيــزُ) عزيــز في نقمتــه إذا انتقم. (الْحَكِيمُ) حكيم في أمره.(2)

* * *

[٧] ﴿ هُــوَ الَّــذِي أَنْــزَلَ عَلَيْــكَ الْكِتَــابَ مِنْــهُ آيَــاتٌ مُحْكَمَــاتٌ هُــنَّ أُمُّ الْكِتَــابِ وَأُخَــرُ مُتَشَــابِهَاتٌ فَأَمَّــا الَّــذِينَ فِــي قُلُــوبِهِمْ زَيْــغٌ فَيَتَّبِعُــونَ مَــا تَشَــابَهَ مِنْــهُ ابْتِغَــاءَ الْفِتْنَــةِ وَابْتِغَــاءَ تَأْوِيلِــهِ وَمَــا يَعْلَــمُ تَأْوِيلَــهُ إِلَّا اللَّــهُ وَالرَّاسِــخُونَ فِــي الْعِلْــمِ يَقُولُــونَ آمَنَّــا بِــهِ كُــلٌّ مِــنْ عِنْــدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هــو الــذي أنــزل عليــك أيهــا الــنبي - ﷺ - القــرآن، منــه آيــات واضــحة الدلالــة، لا لــبس فيهــا، هــي أصــل الكتــاب ومعظمــه، وهــي المرجــع عنــد الاخــتلاف، ومنــه آيــات أُخــر محتملــة لأكثــر من معنــى، يلتــبس معناهــا علــى أكثــر النــاس، فأمــا الــذين في قلــوبهم ميــل عــن الحــق فيتركــون المُحْكــم، ويأخــذون بالمتشــابه المُحْتمــل" يبتغــون بــذلك إثــارة الشــبهة وإضــلال النــاس، ويبتغــون بــذلك تأويلــها بــأهوائهم علــى مــا يوافــق مــذاهبهم الفاســدة، ولا يعلــم حقيقــة معــانى هــذه الآيــات وعاقبتهــا الــتي تــؤول إليهــا إلا الله. والراســخون في العلــم المتمكنــون منــه يقولــون: آمنــا بــالقرآن كلــه" لأنــه كلــه مــن عنــد ربنــا، ويفســرون المتشــابه بمــا أُحْكِــم منــه. ومــا يتــذكر ويــتعظ إلا أصــحاب العقــول السليمة.(3)

* * *

هــو وحــده الــذي أنــزل عليــك القــرآن: منــه آيــات واضــحات الدلالــة، هــن أصــل الكتــاب الــذي يُرجــع إليــه عنــد الاشــتباه، ويُــرَدُّ مــا خالفــه إليــه، ومنــه آيــات أخــر متشــابهات تحتمــل بعــض المعــاني، لا يتعــيَّن المــراد منهــا إلا بضــمها إلى المحكــم، فأصــحاب القلــوب المريضــة الزائغــة، لســوء قصــدهم يتبعــون هــذه الآيــات المتشــابهات وحــدها" ليــثيروا الشــبهات عنــد النــاس، كــي يضــلوهم، ولتأويلــهم لهــا علــى مــذاهبهم الباطلــة. ولا يعلــم حقيقــة معــاني هــذه الآيــات إلا الله. والمتمكنــون في العلــم يقولــون: آمنــا بهــذا القــرآن، كلــه قــد جاءنــا مــن عنــد ربنــا علــى لســان رســوله محمــد صلــى الله عليــه وســلم، ويــردُّون متشــابهه إلى محكمــه، وإنمــا

---

(1) انظــر: (جــامع البيــان في تــأويل القــرآن) للإمَــامْ (الطــبري) في ســورة (آل عمران) الآية (6).

(2) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) للإمــام (ابــن أبــي حــاتم) في ســورة (آل عمران) الآية (6).

(3) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (50/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها الصحيح أولو العقول السليمة. (1)

* * *

وهو الذى أنزل عليك القرآن، وكان من حكمته أن جعل منه آيات محكمات محددة المعنى بيِّنة المقاصد، هى الأصل وإليها المرجع، وأخر متشابهات يدق معناها على أذهان كثير من الناس، وتشتبه على غير الراسخين فى العلم، وقد نزلت هذه المتشابهات لتبعث العلماء على العلم والنظر ودقة الفكر فى الاجتهاد، وفى البحث فى الدين، وشأن الزائغين عن الحق أن يتتبعوا ما تشابه من القرآن رغبة فى إثارة الفتنة، ويؤوِّلوها حسب أهوائهم. وهذه الآيات لا يعلم تأويلها الحق إلا الله والذين تثبتوا فى العلم وتمكنوا منه، وأولئك المتمكنون منه يقولون: إنا نوقن بأن ذلك من عند الله، لا نفرق فى الإيمان بالقرآن بين محكمه ومتشابهه، وما يعقل ذلك إلا أصحاب العقول السليمة التى لا تخضع للهوى والشهوة. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مُحْكَمَاتٌ} ... وَاضِحَاتُ الدَّلَالَةِ. (أي: مُتْقَنَاتٌ في الدلالة والحكم والخَبَر، فأخْبَارُهَا وأحكامها مُتْقَنَةٌ معلومة ليس فيها إشكال).

{أُمُّ الْكِتَابِ} ... أَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي يُرْجَعُ إِلَيْهِ عِنْدَ الاشْتِبَاهِ.

{وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} ... يعني أن أحكامها غير معلومة، وأخْبَارُهَا غير معلومة، فصار المُحْكَم هو المُتْقَن في الدلالة سَوَاءٌ كَانَ خَبَرًا أو حُكْمًا، والمُتَشَابِهُ هو الذي دلالته غير وَاضِحَة سَوَاء كَانَ خبرًا أو حُكمًا.

ولهذا نجد أن بعض الآيات لا تَدُلّ دلالة صريحة على الحكم الذي اسْتُدِلَّ بها عليه، وبعض الآيات الخَبَرِيَّة أيضًا لا تدل دلالة صريحة على الخبر الذي استدل بها عليه.

{وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} ... أي: ومنه أُخَرُ متشابهات، والاشْتِبَاهُ قَدْ يَكُونُ اشْتِبَاهًا في المعنى، بحيث يكون المعنى غير واضح، أو اشتباهًا في التَّعَارُض، بِحَيْثُ يظن الظانّ أن القرآن يُعَارِضُ بعضُهُ بعضًا، وهذا لا يمكن أن يكُون.

{مُتَشَابِهَاتٌ} ... خَفِيَّاتٌ، لاَ يَتَعَيَّنُ المُرَادُ مِنْهَا إلاَ بردِّهَا إِلَى المُحْكَمَات.

{زَيْغٌ} ... مَرَضٌ، وانْحِرَافٌ. (أي: في قلوبهم مَيْلٌ عن الحَقِّ، فهم لا يُرِيدُونَ الحَقَّ، وإنما يَتَّبِعون المتشابه).

{ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ} .. أي: صَدّ الناس عن دين الله" لأن الفِتْنَةَ بمعنى الصَّدّ عن دين الله.

{ابْتِغَاءَ} ... طَلَبَ تَفْسِيرِه عَلَى مَذَاهِبِهِم المُنْحَرِفَة.

{تَاوِيله} ... تَفْسِيرِه أَوْ مَعْرِفَة حَقِيقَتِه.

{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ} ... أكثر السّلَف وقَفَ عَلَيْهَا، وابتدأ بالرَّاسِخِين فالواو للاستئناف، والمعنى أن هذا المُتَشَابِهَ لا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا الله، والرَّاسِخون يقولون آمنا به، وَوَصَلَ بعض السلف فَتَكُون الواو عاطفة، والمعنى أن تأويله -أي تفسير المتشابه-

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/50)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/71)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

يَعْلَمُه الله والراسخون، أما إذا جعلنا التأويل بمعنى العَاقِبَةُ والحَقِيقَةُ التي يؤول إليها الكلام فيجب الوقف" لأنَّ حقَائقَ الأشياء لا يعلمها إلا الله.

{الألْبَاب} ... العُقُول، (أي: العُقُول السَّلِيمَة). واللّب: العقل.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ} : قال مُجَاهِدٌ: الحَلَالُ وَالحَرَامُ،

{وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} : يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الفَاسِقِينَ}(1)

وَكَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ}(2)

وَكَقَوْلِهِ: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}(3)

{زَيْغٌ} : شَكٌّ،

{ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ} : المُشْتَبِهَاتِ،

{وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ} : يَعْلَمُونَ ، {يَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الألْبَابِ}.(4)

* * *

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} إلى قوله {أُولُو الْأَلْبَابِ}.

قال: الإِمَامُ (الطبري) - و الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: المحكمات: ناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده وفرائضه وما يؤمن له ويعمل به {وأخر متشابهات} والمتشابهات: منسوخه، ومقدمه ومؤخره، وأمثاله وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به.(5)(6)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البُخَاري و مُسلِم) - في (صحيحهما) - والإِمَامُ (ابن ماجة) - في (سُننه) - (رحمهم الله) - (بسندهم):- وَعَنْ (عَائِشَةَ) - رضي الله عنها - قَالَتْ: " تَلا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - هَذِهِ الْآيَةَ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ(7) فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ، وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ(8) وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ

---

(1) {البقرة: 26}.
(2) {يونس: 100}.
(3) {محمد: 17}.
(4) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (7). برقم (ج6 / ص33).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (7).
(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (7).
(7) الزَّيْغ: البعد عن الحق، والميل عن الاستقامة.
(8) قال: شيخ الإسلام (ابن تيمية): في (الفتوى الحموية الكبرى) برقم (1/ 287):

التأويل يراد به ثلاث معان:

فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح , لدليل يقترن بذلك , فلا يكون معنى اللفظ الموافق

كُـلٌّ مِـنْ عِنْـدِ رَبِّنَـا، وَمَـا يَـذَّكَّرُ إلاَ أُولُـو الأَلْبَـاب} قَالَـتْ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ - صـلى الله عليـه وسـلم:- فَـإِذَا رَأَيْـتُمْ الَّـذِينَ يَتَّبِعُـونَ مَـا تَشَابَهَ مِنْهُ) (1)

* * *

قـال: الإمـام (مسـلم) - (رحمـه الله) - في (صـحيحه):

حـدثنا عبـد الله بـن مسـلمة بـن قعنـب، حـدثنا يزيـد بـن إبـراهيم التسـتري، عـن عبـد الله بـن أبـي مليكـة، عـن القاسـم بـن محمـد، عـن (عائشـة) –رضـي الله عنهـا–قـالـت: تـلا رسـول الله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - " {هُـوَ الَّـذِي

لدلالـة ظـاهرهِ تأويلًـا علـى اصـطلاح هـؤلاء، وظنُّـوا أن مـراد الله بلفـظ التأويـل ذلـك، وأن للنصـوص تأويلًـا مخالِفـا لمـدلولها , لا يعلمـه إلا الله، أو يعلمـه المتأولون.

ثـم كـثير مـن هـؤلاء يقولـون: تُجـرى علـى ظاهرهـا، فظاهرهـا مُـراد , مـع قـولهم: إن لهـا تـأويلاً بهـذا المعنـى لا يعلمـه إلا الله، وهـذا تنـاقضٌ وقـع فيـه كـثير مـن هـؤلاء المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم.

والمعنـى الثـاني: أن التأويـل هـو تفسـير الكـلام، سـواء وافَـقَ ظـاهرَه أو لم يوافقـه وهـذا هـو التأويـل في اصـطلاح جمهـور المفسـرين وغيرهـم، وهـذا التأويـل يعلَمُـه الراسخون في العلم

وهـو موافـق لوقـف مـن وقـف مـن السـلف علـى قولـه تعـالى: {وَمَـا يَعْلَـمُ تَأوِيلَـهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِـخُونَ فِـي الْعِلْـمِ} كمـا نُقِـل ذلـك عـن (ابـن عبـاس، ومجاهـد، ومحمـد بـن جعفـر بـن الـزبير، ومحمـد بـن إسـحاق، وابـن قتيبـة) وغيرهـم , وكِـلا القـولين حـق باعتبـار، كمـا قـد بسـطناه في مواضـع أُخَـر، ولهـذا نُقِـل عـن ابـن عبـاس هـذا وهـذا , وكلاهما حق.

والمعنـى الثالـث: أن التأويـل هـو الحقيقـة الـتي يـؤول الكـلام إليهـا، وإن وافقـت ظـاهره، فتأويـل مـا أَخْبَـرَ بـه في الجنـة مـن الأكـل والشـرب واللبـاس والنكـاح وقيـام السـاعة وغـير ذلـك، هـو الحقـائق الموجـودة أنفسـها، لا مـا يُتصـوَّر مـن معانيهـا في الأذهـان، ويُعبَّـر عنـه باللسـان، وهـذا هـو التأويـل في لغـة القـرآن , كمـا قـال تعـالى عـن يوسـف - صـلى الله عليـه وسـلم - أنـه قـال: {يَـا أَبَـتِ هَـذَا تَأوِيـلُ رُؤْيَـايَ مِـن قَبْـلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} {يوسف:100}.

وقـال تعـالى: {هَـلْ يَنظُـرُونَ إِلاَّ تَأوِيلَـهُ , يَـوْمَ يَـأتِي تَأوِيلُـهُ يَقُـولُ الَّـذِينَ نَسُـوهُ مِـن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} {الأعراف:53}.

وقـال تعـالى: {فَـإِن تَنَـازَعْتُمْ فِـي شَـيْءٍ فَـرُدُّوهُ إِلَـى اللهِ وَالرَّسُـولِ إِن كُنـتُمْ تُؤْمِنُـونَ بِـاللهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ , ذَلِـكَ خَيْـرٌ وَأَحْسَـنُ تَـأوِيلاً} {النسـاء:59} , وهـذا التأويـل هو الذي لا يعلمه إلا الله.

انظـر: (الْجَـامِعُ الصَّـحِيحُ لِلسُّـنَنِ وَالْمَسَـانِيد) في (تفسـير القـرآن)- سـورة (آل عمران) الآية (7)، للشيخ (صهيب عبد الجبار)

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4273).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1) - (2665).

واخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4598).

أَنْـزَلَ عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ مِنْـهُ آيَـاتٌ مُحْكَمَـاتٌ هُـنَّ أُمُّ الْكِتَـابِ وَأُخَـرُ مُتَشَـابِهَاتٌ، فَأَمَّـا الَّـذِينَ فِـي قُلُـوبِهِمْ زَيْـغٌ فَيَتَّبِعُـونَ مَـا تَشَـابَهَ مِنْـهُ، ابْتِغَـاءَ الْفِتْنَـةِ , وَابْتِغَـاءَ تَأوِيلِـهِ، وَمَـا يَعْلَـمُ تَأوِيلَـهُ إلاَ اللهُ وَالرَّاسِـخُونَ فِـي الْعِلْـمِ يَقُولُـونَ آمَنَّـا بِـهِ كُـلٌّ مِـنْ عِنْـدِ رَبِّنَـا، وَمَـا يَـذَّكَّرُ إلاَ أُولُـو الأَلْبَـاب} ". قَالَـتْ: قَـالَ رسـول الله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ:- ((إذا رأيـتم الـذين يتبعـون مـا تشـابه منـه، فأولئـك الـذين سمّـى الله، فاحذروهم)). (2)(3)(4)

* * *

وقـال: الإمـام (أَحْمَـدُ بْـنُ حَنْبَـل) - (رحمـه الله) - في (مُسْـنَـده):- وَعَـنْ (أَبِـي هُرَيْـرَةَ) - رضـي الله عنـه - قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ - صـلى الله عليـه وسـلم:- " الْمِـرَاءُ , وفي روايـة: (الْجِـدَالُ) فِـي الْقُـرْآنِ كُفْـرٌ (5) فَمَـا عَـرَفْتُمْ مِنْـهُ (6)

---

(2) (صَحِيح): أخرجـه الإِمَـامْ (مُسْـلِمْ) في (صـحيحه) بـرقم (2053/4)، (ح 2665)- (كتـاب: العلـم)، / بـاب: (النهـي عـن اتبـاع متشـابه القـرآن) واللفظ له،

(3) (صَحِيح): أخرجـه الإِمَـامْ (البُخَـارِي) في (صـحيحه) بـرقم (209/8)، (ح 4547)- (كتاب: تفسير القرآن)- (سورة آل عمران).

(4) اخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (47).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (24256).

وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4273).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1) - (2665).

واخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2993).

(5) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (7499).

قال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط) (إسناده صحيح).

(6) قَـالَ: الإمـام (الْمُنَـاوِيُّ): أَيْ الشَّـكّ فِـي كَوْنـه كَلَـام الله، أَوْ أَرَادَ الْخَـوْض فِيـه بِأَنَّـهُ مُحْـدَث أَوْ قَـدِيم، أَوْ الْمُجَادَلَـة فِـي الْـآيِ الْمُتَشَـابِهَة وَذَلِـكَ يُـؤَدِّي إِلَـى الْجُحُـود , فَسَمَّاهُ كُفْرًا بِاسْمِ مَا يُخَاف عَاقِبَته.

وَقَـالَ الْإِمَـام (اِبْـن الْـأَثِير) فِـي (النِّهَايَـة): الْمِـرَاء: الْجِـدَال وَالتَّمَـارِي، وَالْمُمَـارَاة: الْمُجَادَلَة عَلَى مَذْهَب الشَّكّ وَالرِّيبَة , وَيُقَال لِلْمُنَاظَرَة (مُمَارَاة) لِـأَنَّ كُـلّ وَاحِـد مِنْهُمَـا يَسْـتَخْرِج مَـا عِنْـد صَـاحِبه وَيَمْتَرِيـه كَمَـا يَمْتَـرِي الْحَالِـب اللَّـبَن مِنْ الضَّرْع.

قَـالَ: أَبُـو عُبَيْـد: لَـيْسَ وَجْـه الْحَـدِيث عِنْـدنَا عَلَـى الِاخْتِلَـاف فِـي التَّأوِيـل , وَلَكِنَّـهُ عَلَـى الِاخْتِلَـاف فِـي اللَّفْـظ , وَهُـوَ أَنْ يَقُـول الرَّجُـل عَلَـى حَـرْف، فَيَقُـول الْـآخَر: لَـيْسَ هُـوَ هَكَـذَا وَلَكِنَّـهُ عَلَـى خِلَافـه , وَكِلَاهُمَـا مُنَـزَّل مَقْـرُوء بِـهِ، فَـإِذَا جَحَـدَ كُـلّ وَاحِـد مِنْهُمَـا

فَـاعْمَلُوا، وَمَـا جَهِلْـتُمْ مِنْـهُ فَـرُدُّوهُ إِلَـى عَالِمِـه " (1)

* * *

وقـال: الإمَـامْ (الطبرانـي) – (رحمـه الله) – في (مسـند الشـاميين) – (بسـنده):- وَعَـنْ (النَّـوَّاس بْـن سَمْعَانَ) – رضـي الله عنـه – قَـال: قَـالَ رَسُـولُ الله – صـلى الله عليـه وسـلم:- " لاَ تُجَـادِلُوا بِـالْقُرْآنِ، وَلاَ تُكَـذِّبُوا كِتَـابَ الله بَعْضَـهُ بِـبَعْضٍ، فَـوَالله إنَّ الْمُـؤْمِنَ لَيُجَـادِلُ بِـالْقُرْآنِ فَيُغْلَـبُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ لَيُجَادِلُ بِالْقُرْآنِ فَيَغْلِبُ" (2)

* * *

قـال: الإمـام (البخـاري) – (رحمـه الله) – في (صـحيحه):- حـدثنا أبـو معمـر قـال: حـدثنا عبـد الـوارث قـال. حـدثنا خالـد عـن (عكرمـة)، عـن (ابـن عبـاس) قـال: ضـمني رسـول الله – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ – وقـال: ((اللـهم علِّمـه الكتاب)). (3)

* * *

قـال: الإمـام (الطـبري) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- (بسـنده الصـحيح) – عـن (قتـادة): (المحكمـات):- الناسـخ الـذي يعمـل بـه، مـا أحـل الله فيـه حلالـه وحـرم فيـه حرامـه وأمـا (المتشـابهات):- فالمنسـوخ الـذي لا يعمـل بـه ويؤمن به. (4)

* * *

قـال: الإمـام (الطـبري) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- (بسـنده الصـحيح) – عـن (مجاهـد): في قولـه: (منـه آيـات محكمـات) مـا فيـه مـن الحـلال والحـرام، ومـا سـوى ذلـك فهـو (متشـابه)، يصـدق بعضـه بعضـاً وهـو مثـل قولـه: {ومـا يضـل بـه إلا الفاسـقين} سـورة {البقرة 26}،

ومثـل قولـه: {كـذلك يجعـل الله الـرجس علـى الذين لا يؤمنون} سورة {الأنعام 125}،

ومثـل قولـه تعـالى: {والـذين اهتـدوا زادهـم هـدى وآتـاهم تقـواهم} سـورة {محمـد: 17}. (5)

* * *

قولـه تعـالى: {فأمـا الـذين في قلـوبهم زيـغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء تأويله}.

قِـرَاءَة صَـاحِبه لَـمْ يُـؤْمَن أَنْ يَكُـون ذَلِـكَ يُخْرِجـهُ إِلَـى الْكُفْـر , لِأَنَّـهُ نَفَـى حَرْفًـا أَنْزَلَـهُ الله عَلَى نَبِيّه.

وَقِيـلَ: إِنَّمَـا جَـاءَ هَـذَا فِـي الْجِـدَال وَالْمِـرَاء فِـي الْآيَـات الَّتِـي فِيهَـا ذِكْـر الْقَـدَر وَنَحْـوه مِـنْ الْمَعَـانِي عَلَـى مَـذْهَب أَهْـل الْكَلَـام وَأَصْـحَاب الْـأَهْوَاء وَالْـآرَاء دُون مَـا تَضَـمَّنَتْهُ مِـنْ الْأَحْكَـام وَأَبْـوَاب الْحَلَـال وَالْحَـرَام , فَـإِنَّ ذَلِـكَ قَـدْ جَـرَى بَـيْن الصَّـحَابَة فَمَـنْ بَعْـدهمْ مِـنْ الْعُلَمَـاء وَذَلِـكَ فِيمَـا يَكُـون الْغَـرَض مِنْـهُ وَالْبَاعِـث عَلَيْـهِ ظُهُـور الْحَـق لِيُتَّبَـع دُون الْغَلَبَة وَالتَّعْجِيز.

وَقَـالَ: الإمـام (الطِّيبِـيُّ): هُـوَ أَنْ يَـرُوم تَكْـذِيب الْقُـرْآن بِـالْقُرْآنِ لِيَـدْفَع بَعْضـه بِـبَعْضٍ فَيَنْبَغِـي أَنْ يَجْتَهِـد فِـي التَّوْفِيـق بَـيْن الْمُتَخَـالِفِينَ عَلَـى وَجْـه يُوَافِـق عَقِيـدَة السَّلَف، فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّر لَهُ فَلْيَكِلْهُ إِلَى الله تَعَالَى.

وَقِيلَ: هُوَ الْمُجَادَلَة فِيهِ وَإِنْكَار بَعْضهَا. عون المعبود – (ج 10 / ص 123)

انظـر: (الْجَـامِعُ الصَّـحِيحُ لِلسُّـنَنِ وَالْمَسَـانِيد) في (تفسـير القـرآن)- سـورة (آل عمران) الآية (7)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (7976).

واخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4603).

وانظـر: (صـحيح الجـامع) رقـم (3106)، و(سلسـلة الأحاديـث الصَّـحِيحَة) للإِمَـامْ (الألباني) حديث: (1522).

قال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط) (إسناده صحيح).

(2) انظر: (مسند الشاميين) للإمام (الطبراني) رقم (942).

انظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) رقم (3447).

(3) (صَـحِيح): أخرجـه الإِمَـامْ (البُخَـارِي) في (صـحيحه) بـرقم (169/1)، (ح 75).

(4) انظـر: (جـامع البيـان في تأويـل القـرآن) لِلإِمَـامْ (الطـبري) في سـورة (آل عمرآن) الآية (7).

(5) انظـر: (جـامع البيـان في تأويـل القـرآن) لِلإِمَـامْ (الطـبري) في سـورة (آل عمرآن) الآية (7).

قال: الإِمامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) – في (المصنف):- أخبرنا معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: سمع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قوماً يتدارؤون، فقال: ((إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه إلى عالمه)).(1)

* * *

قال: الإِمامُ (الطبري) – و الإِمامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): (فأما الذين في قلوبهم زيغ) قال: من أهل الشك.(2)(3)

* * *

قال: الإِمامُ (الطبري) – و الإِمامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: فيحملون المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم، ويلبسون فلبس الله عليهم.(4)(5)

* * *

قال: الإمام (عبد بن حميد) – (رحمه الله): ثنا (يونس) عن (شيبان) عن (قتادة): {فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله} قال: طلب القوم التأويل فأخطأوا التأويل وأصابوا الفتنة واتبعوا ما تشابه منه فهلكوا بين ذلك.

ويونس هو الأيلي وشيبان و(قتادة) تقدم ذكرهما في المقدمة وكلهم ثقات و(إسناده صحيح).(6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (السدي): في قوله: (فيتبعون ما تشابه منه)، يتبعون المنسوخ والناسخ فيقولون: ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا مكان هذه الآية، فتركت الأولى وعمل بهذه الأخرى؟ هلا كان العمل بهذه الآية قبل أن تجيء الأولى التي نسخت؟ وما باله يعد العذاب من عمل عملا يعذبه في

---

(1) أخرجه الإِمامُ (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (11/216-217)، (ح 20367)،
وأخرجه الإِمامُ (أحمد) في (المسند) برقم (ح 6741) عن (عبد الرزاق) به، و(صححه) محققه.
وقال: الإِمامُ (الألباني): (صحيح) في (صحيح الجامع) برقم (ح 2370).
يتدارؤون: درأ يدرأ درءاً إذا وقع. (النهاية- للإِمامُ (ابن الأثير) (2/109).
ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمران) الآية (7)، برقم (ص1/ 399)،
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (7).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (7).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (7).
(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (7).
(6) أخرجه الإِمامُ (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (11/216-217)، (ح 20367)،
وأخرجه الإِمامُ (أحمد) في (المسند) برقم (ح 6741) عن (عبد الرزاق) به، و(صححه) محققه.
وقال: الإِمامُ (الألباني): (صحيح) في (صحيح الجامع) برقم (ح 2370).
يتدارؤون: درأ يدرأ درءاً إذا وقع. (النهاية- للإِمامُ (ابن الأثير) (2/109).
ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمران) الآية (7)،

النار، وفي مكان آخر: من عمله فإنه لم يوجب النار؟.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) عن (السدي): {ابتغاء الفتنة} قال: إرادة الشرك.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) عن -(مجاهد): {ابتغاء الفتنة} قال: الشبهات بها أهلكوا.(3)

* * *

قوله تعالى: {وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا}.

قال: الإمَامُ (الطبري) – و الإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: يعني تأويله يوم القيامة إلا الله.

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا خالد بن نزار عن نافع، عن ابن أبي ملكة، عن (عائشة) قوله: (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) قالت: كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه، ولم يعلموا تأويله.(4)

و(سنده حسن).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني ابن أبي الزناد قال: قال: (هشام بن عروة): كان أبي يقول في هذه الآية: {وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم} أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله، ولكنهم يقولون {آمنا به كل من عند ربنا}.(5)

و(سنده حسن).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): عن ابن عباس أنه قال: أنا ممن يعلم تأويله.(6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (قتادة): قوله: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) قالوا: (كل من عند ربنا) آمنوا بمتشابهه، وعملوا بمحكمه.(7)

* * *

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (7).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (7).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (7).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (7).
(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (7).
(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (7).
(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (7).

[٨] ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وهؤلاء الراسخون يقولون: ربنا لا تُمِل قلوبنا عن الحق بعد أن هديتنا إليه، وسلِّمنا مما أصاب المنحرفين المائلين عن الحق، وهب لنا رحمة واسعة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتعصمنا بها من الضلال، إنك - يا ربنا - الوهاب كثير العطاء.(1)

* * *

يَعْنِي:- ويقولون: يا ربنا لا تَصْرف قلوبنا عن الإيمان بك بعد أن مننت علينا بالهداية لدينك، وامنحنا من فضلك رحمة واسعة، إنك أنت الوهاب: كثير الفضل والعطاء، تعطي مَن تشاء بغير حساب.(2)

* * *

يَعْنِي:- وأولئك العلماء العاقلون يقولون: ربنا لا تجعل قلوبنا تنحرف عن الحق بعد إذ أرشدتنا إليه، وامنحنا اللهم رحمة من عندك بالتوفيق والتثبيت إنك أنت المانع المعطى.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا}... أي: لا تُزغها عن الهِدَايَة، وسلّط الفعل على القلب" لأن القَلْبَ عليه مَدارُ العَمَل، والعَقْلُ في القَلْبِ وليس في الدِّمَاغ.

{وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً}... أي: أعْطِنا توفيقًا وتَثْبِيتًا للذي نحن عليه من الإيمان والهُدَى.

{إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}... الهِبَة: العَطِيَّة الخَالِيَةُ من الأعْوَاض والأعْرَاض، والوَهَّاب في صفَة الله تعَالَى: يُعْطِي كل أحَدٍ علَى قَدْرِ اسْتِحْقَاقِه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}(4)

وقال: الإِمَامُ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- عَنْ (شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ) قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها:- يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: " كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ", فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " , قَالَ: " يَا أُمَّ سَلَمَةَ , إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ , فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ , وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ " ,

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (50/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (50/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (71/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) {آل عمران: 8}.

ثــم تــلا (مُعَــاذٌ)[1]:- {رَبَّنَـــا لاَ تُـــزِغْ قُلُوبَنَـــا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}[2].

* * *

[٩] ﴿ رَبَّنَـــا إِنَّــكَ جَــامِعُ النَّــاسِ لِيَــوْمٍ لاَ رَيْــبَ فِيــهِ إِنَّ اللَّــهَ لاَ يُخْلِــفُ الْمِيعَــادَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ربنـــا إنـــك ســـتجمع النـــاس جميعًـــا إليـــك لحســـابهم في يـــوم لا شـــك فيـــه، فهـــو آت لا محالـــة، إنـــك -يـــا ربنـــا - لا تخلـــف الميعـــاد.[3]

* * *

يَعْنِـي:- يـا ربنـا إنـا نُقِـرُّ ونشـهد بأنـك سـتجمع النـاس في يـوم لا شَـكَّ فيـه، وهـو يـوم القيامـة، إنَّك لا تخلف ما وعَدْتَ به عبادك.[4]

* * *

يَعْنِـي:- ربنـا إنـك سـتجمع النـاس جميعًـا إليـك لحسـابهم في يـوم لا شـك فيـه، فهـو آت لا محالـة، إنـك -يـا ربنـا - لا تخلـف الميعاد.[5]

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (13) زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ(15)

قولـه تعـالى: {ربنـا إنـك جـامع النـاس ليـوم لا ريب فيه}.

قـال الإمـام (البخـاري) - (رحمـه الله) - في (صـحيحه) -(بسـنده):- حـدثنا إسـحاق بـن إبـراهيم بـن نصـر حـدثنا أبـو أسـامة عـن أبـي حيان عـن أبـي زرعـة عـن (أبـي هريـرة) - رضـي الله عنـه - قـال: أتـي الـنبي - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - يومـاً بلحـم، فقـال: ((إن الله يجمـع يـوم القيامـة الأولـين والآخـرين في صـعيد واحـد، فيسـمعهم الـداعي وينفـذهم البصـر، تـدنوا الشـمس مـنهم -فـذكر حـديث الشـفاعة- فيـأتون إبـراهيم فيقولـون: أنـت نـبي الله وخليلـه مـن الأرض اشـفع لنـا إلى ربـك، فيقـول- فـذكر كذباتـه:-نفسـي نفسـي، اذهبـوا إلى موسى)).

---

(1) هو: (مُعَاذُ ابْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ التَّمِيمِيُّ الْبَصْرِيُّ) أحد رواة الحديث.

(2) اخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3522).
وانظر: (صَحِيح الْجَامِع): (4801)، و(سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) رقم (2091).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (50/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (50/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (71/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

تابعه (أنس) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• أقام الله الحجة وقطع العذر عن الخلق بإرسال الرسل وإنزال الكتب التي تهدي للحق و تحذر من الباطل.

• كمال علم الله تعالى وإحاطته بخلقه، فلا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، سواء كان ظاهرًا أو خفيًّا.

• من أصول أهل الإيمان الراسخين في العلم أن يفسروا ما تشابه من الآيات بما أحْكِم منها.

• مشروعية دعاء الله تعالى وسؤاله الثبات على الحق، والرشد في الأمر، ولا سيما عند الفتن والأهواء. (2)

* * *

[١٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذين كفروا بالله وبرسله لن تمنع عنهم أموالهم ولا أولادهم عذابَ الله، لا في الدنيا ولا في الآخرة، أولئك المتصفون بتلك الصفات هم حطب جهنم الذي توقد به يوم القيامة. (3)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين جحدوا الدين الحق وأنكروه، لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئًا إن وقع بهم في الدنيا، ولن تدفعه عنهم في الآخرة، وهؤلاء هم حطب النار يوم القيامة. (4)

* * *

يَعْنِي:- إن الكافرين لن تدفع عنهم فى ذلك اليوم أموالهم مهما عظمت، ولا أولادهم مهما كثرت، وسيكونون حطباً للنار تشتعل بهم. (5)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار}.

يخبر تعالى عن الكفار بأنهم وقود النار {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} {غافر: 52}.

وليس ما أوتوه في الدنيا من الأموال والأولاد بنافع لهم عند الله ولا بمنجيهم من عذابه وأليم عقابه.

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6/455)، (ح 3361)– (كتاب: الأنبياء)، / باب: (يزفون: النسلان في المشي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/50). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/51). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/51)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/71)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

كما قال تعالى: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} {التوبة: 55}.

قال تعالى: {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} {آل عمران: 196-197}. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبي ثنا ابن أبي مريم، أنبأ ابن لهيعة، أخبرني ابن الهاد، عن هند بنت الحارث، عن (أم الفضل أم عبد الله بن عباس) قالت: بينما نحن بمكة قام رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الليل فنادى: ((اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت)) ثلاثاً، فقام (عمر بن الخطاب) فقال: نعم، ثم أصبح، فقال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((ليظهرن لإسلام حتى يرد الكفر إلى موطنه، وليخوضن البحار بالإسلام، وليأتين على الناس زمان يتعلمون القرآن ثم يقولون: قد قرأنا القرآن، وعلمنا فمن هذا الذي هو خير منا، فهل في أولئك خير؟)) قالوا: يا رسول الله فمن أولئك؟ قال: أولئك منكم، فأولئك معهم (وأولئك هم وقود النار). (2)

* * *

وانظر: سورة - (البقرة) - آية (24) لبيان وقود النار. - كما قال تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}.

* * *

[١١] ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وشأن هؤلاء الكافرين كشأن آل فرعون ومَن قبلهم من الذين كفروا بالله وكذبوا بآياته، فعذبهم الله بسبب ذنوبهم، ولم تنفعهم أموالهم ولا أولادهم، والله شديد العقاب لمن كفر به، وكذب بآياته. (3)

* * *

يَعْنِي:- شأن الكافرين في تكذيبهم وما ينزل بهم، شأن آل فرعون والذين من قبلهم من الكافرين، أنكروا آيات الله الواضحة، فعاجلهم بالعقوبة بسبب تكذيبهم وعنادهم.

---

(1) انظر: سورة (آل عمرآن) الآية (10) في (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير). .

(2) اخرجه الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) - (سورة آل عمران- برقم (آية 10)، (ح 152) . وهذا إسناد رجاله ثقات، إلا (ابن لهيعة)، فإنه صدوق واختلط بعد احتراق كتبه، لكن تابعه على رواية هذا الحديث (عبد العزيز بن أبي حازم)، عن (يزيد بن الهاد) به،

وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (250/12)، (ح 13019)،

وقال: الإمام (المنذري) (إسناده حسن) في (الترغيب والترهيب)،

وحسنه الإمام (الألباني) في (صحيح الترغيب) برقم (58/1)، (ح 133) .

ولبعضه شاهد من حديث (أنس) عند الإمام (البخاري) في(صحيحه) برقم (103/6) برقم (ح 2894، 2895)،

قال: حدثني أم حرام ... أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((عجبت من قوم من أمتي يركبون البحر كالملوك على الأسرة ...)) فيكون هذا الحديث حسناً بهذه المتابعة، الشاهد).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (51/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

والله شديد العقاب لمن كفر به وكذَّب رسله.(1)

* * *

يَعْنِي:- وشأن هؤلاء قوم فرعون والكافرين من قبلهم، كذَّبوا بآيات الله مع وضوحها فنكَّل الله بهم بسبب ما ارتكبوه من الذنوب، والله شديد العقاب.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كَدَأْبِ} ... كَشَأْنِ وَعَادَةِ. (والدَّأب: يطلق على الشَّأْن مثل هذه الآية، أي: كَشَأْن، ويطلق على العادة، فإذا قلت: فلان هذا دَأبه" أي: هذه عادته).

{آلِ فِرْعَوْنَ} ... أي: أَتْبَاعه، وفرعون: اسْم عَلَم لكل من مَلَكَ مصر كافرًا، كَمَا أنَّ كُلَّ من ملك الروم يسمى قيصرًا، ومن ملك الفُرْس يسمى كِسْرَى.

{وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} ... وكان قبل آل فرعون أممٌ، مثل: قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، ثم بيَّنَ الله شأن آل فرعون والذين من قبلهم.

{كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} ... الشَّرعيَّة والكونية، وأكثر ما يَكُونُ أَنْ يُكَذِّبُوا بالآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ" لأن الآيَاتِ الْكَوْنِيَّةَ قلَّ مَنْ يُكَذِّبُ بِهَا.

فالآيات الكونية مَخْلُوقَات الله، وَقَلَّ مَن يُنْكِر أن يكون الخالق هو الله، ولكن الآيات الشرعية التي هي الوحي الذي جَاءَتْ به الرُّسُل هي التي يقع فيها التكذيب، فآل فرعون كذبوا بآيات الله.

{فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ} ... عَجَّلَ لهم في العقوبة الدُّنْيَوِيَّة مُتَّصِلَةً بالعقوبة الأخروية.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- {كَدَأْبِ}: مِثْلُ حَالِ.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (محمد الأمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ, كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا, فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ, وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

لم يبين هنا من هؤلاء الذين من قبلهم وما ذنوبهم التي أخذهم الله بها. وبين مواضع أخر أن منهم (قوم نوح)، و(قوم هود)، و(قوم صالح)، و(قوم لوط)، و(قوم شعيب)، وأن ذنوبهم التي أخذهم بها هي الكفر بالله وتكذيب الرسل وغير ذلك من المعاصي، كعقر ثمود للناقة وكلواط قوم لوط، كتطفيف قوم شعيب للمكيال والميزان، وغير ذلك كما جاء مفصلاً في آيات كثيرة كقوله في نوح وقومه: (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) الآية ونحوها من الآيات وكقوله في قوم هود: {فأرسلنا عليهم الريح

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (51/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (72/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (11). برقم (ج 4/ ص 131).

العقيم} الآية ونحوها من الآيات وكقوله في قوم صالح: {وأخذ الذين ظلموا الصيحة} الآية ونحوها من الآيات وكقوله في قوم لوط: {فجعلنا عاليها سافلها} الآية، ونحوها من الآيات وكقوله في قوم (شعيب): {فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم} ونحوها من الآيات. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) عن (السدي): (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ)، ذكر الذين كفروا وأفعال تكذيبهم كمثل تكذيب الذين من قبلهم في الجحود والتكذيب. (2)

* * *

[١٢] ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول- ﷺ - للذين كفروا على اختلاف دياناتهم: سيغلبكم المؤمنون، وتموتون على الكفر، ويجمعكم الله إلى نار جهنم، وبئس الفراش لكم. (3)

* * *

يَعْنِي:- قل: أيها الرسول- ﷺ -، للذين كفروا من اليهود وغيرهم والذين استهانوا بنصرك في ‹بَدْر›: إنكم ستُهْزَمون في الدنيا وستموتون على الكفر، وتحشرون إلى نار جهنم" لتكون فراشًا دائمًا لكم، وبئس الفراش. (4)

* * *

يَعْنِي:- قل: يا أيها النبي- ﷺ - لهؤلاء الذين كفروا إنكم في الدنيا ستهزمون وفي الآخرة ستعذبون، وتكون جهنم فِراشاً لكم وبئس الفِراش. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات

{الْمِهَادُ} ... الفِرَاشُ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد}.

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: (وبئس المهاد)، قال: بئسما مهدوا لأنفسهم. (6)

* * *

[١٣] ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (11).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (11).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (51/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (51/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (72/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (11).

وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قد كان لكم دلالة وعبرة في فرقتين التقتا للقتال يوم بدر، إحداهما فرقة مؤمنة وهي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، تقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، والأخرى فرقة كافرة وهم كفار مكة الذين خرجوا فخرًا ورياءً وعصبية، يراهم المؤمنون ضِعْفيهم حقيقةً رأي عين، فنصر الله أولياءه، والله يؤيد بنصره من يشاء، إن في ذلك لعبرة وعظة لأصحاب البصائر، ليعلموا أن النصر لأهل الإيمان وإن قَلَّ عددهم، وأن الهزيمة لأهل الباطل وإن كثر عددهم. (1)

* * *

قد كان لكم أيها اليهود المتكبرون المعاندون- دلالة عظيمة في جماعتين تقابلتا في معركة ‹ بَدْر › : جماعة تقاتل من أجل دين الله، وهم محمد- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وجماعة أخرى كافرة بالله، تقاتل من أجل الباطل، ترى المؤمنين في العدد مثليهم رأي العين، وقد جعل الله ذلك سببًا لنصر المسلمين عليهم. والله يؤيِّد بنصره من يشاء من عباده. إن في هذا الذي حدث لعظة عظيمة لأصحاب البصائر الذين يهتدون إلى حكم الله وأفعاله. (2)

* * *

يَعْنِي:- لقد كان لكم آية بيِّنة وعبرة ظاهرة فى طائفتين من المحاربين التقتا يوم بدر، إحداهما مؤمنة تحارب لإعلاء كلمة الله ونشر الحق، والأخرى كافرة تحارب فى سبيل الأهواء والشهوات، فكان من تأييد الله للمؤمنين أن جعل الكافرين يرونهم ضعف عددهم الحقيقى، وبذلك وقع الرعب فى قلوب الكفار فانهزموا، والله يمنح نصره لمن يشاء. وإن فى ذلك لعبرة لأصحاب البصائر الرشيدة التى لا تنحرف فى إدراكها عن الحق. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ} ... عِبْرَة ودلالة على صدْقِ مَا أقول: ‹ إِنَّكُم سَتُغْلَبُونَ ›

{فِئَتَيْنِ} ... فَرِيقَيْنِ الْتَقَيَا يَوْمَ بَدْرٍ.

{فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ} ... وهم الرسول- - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلًا" سبعة وسبعون رجلًا من المهاجرين، ومائتان وستة وثلاثون رجلًا من الأنصار.

{وَأُخْرَى كَافِرَةٌ} ... وهم مُشْرِكُو مكة، وكانوا تسعمائة وخمسين رجلًا.

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (51/1)، تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (51/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (72/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{يَـرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ} ... أي: يرى المسلمون المشركين مثليهم، أي أن الله تعالى قلَّل المشركين في أعين المسلمين حتى اجترؤوا عليهم فَصَبَرُوا على قتالهم.

{لِأُولِي الأَبْصَارِ} ... لذوي العقول والبصائر.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الصحيح) – عن (قتادة): (قد كان لكم آية)، عبرة وتفكر.(1)

* * *

قال: الإمَامْ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قوله: (قد كان لكم آية في فئتين). قال: محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وأصحابه، ومشركي قريش يوم بدر.(2)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الصحيح) – عن (قتادة): قوله: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا، فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ، يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ}، ذلكم يوم بدر ألف المشركون أو قاربوا، وكان أصحاب رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً.(3)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الصحيح) – عن (قتادة): (إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) يقول: لقد كان لهم في هؤلاء عبرة وتفكر، أيدهم الله ونصرهم على عدوهم.(4)

* * *

[١٤] ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يخبر الله تعالى أنه حَسَّن للناس -ابتلاءً لهم- حب الشهوات الدنيوية: مثل النساء، والبنين، والأموال الكثيرة المجتمعة من الذهب والفضة، والخيل المُعلَّمة الحسان، والأنعام من الإبل والبقر والغنم، وزراعة الأرض، ذلك متاع الحياة الدنيا يُتمتَّعُ به فترة ثم يزول، فلا ينبغي للمؤمن أن يتعلق به، والله عنده وحده حسن المرجع، وهو الجنة التي عرضها السماوات والأرض.(5)

* * *

يَعْني:- حُسِّن للناس حبُّ الشهوات من النساء والبنين، والأموال الكثيرة من الذهب

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (11).

(2) كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمران) الآية (13). برقم (ص403/1).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (11).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (11).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (51/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

والفضة، والخيل الحسان، والأنعام من الإبل والبقر والغنم، والأرض المتَّخَذة للغراس والزراعة. ذلك زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية. والله عنده حسن المرجع والثواب، وهو الجنَّة.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن البشر جبلوا على حب الشهوات التى تتمثل فى النساء والبنين والكثرة من الذهب والفضة، والخيل الحسان المعلَّمة، والأنعام التى منها الإبل والبقر والغنم، وتتمثل أيضاً فى الزرع الكثير. لكن ذلك كله متاع الحياة الدنيا الزائلة الفانية، وهو لا يُعد شيئاً إذا قيس بإحسان الله إلى عباده الذين يجاهدون فى سبيله عند أوبتهم إليه فى الآخرة.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{زُيِّنَ لِلنَّاسِ} .. الْمُزَيِّنُ هو الله تعالى" لأنه خَلَقَ جَمِيعَ مَا في الدنيا وأَبَاحَهَا لِعَبِيدِهِ، وإباحتها للعبيد تزين لها.

{حُبُّ الشَّهَوَاتِ} ... ولم يقل: حب النساء، أو حُبّ البنين، أو حُبّ القناطير المقنطرة، بل قال: حب الشهوات من هذه الأشياء، فسلّط الحب على الشهوات، لا على هذه الأشياء" لأن هذه الأشياء حُبُّهَا قد يكون محموداً.

{مِنَ النِّسَاءِ} ... ولم يقل حب النساء، يعني: أن يتزوج الإنسان المرأة لمجرَّد الشهوة، لا لأمر آخر" لأن تزيين حب النِّساء إذا كان لغير مجرد الشهوة قد يُحْمَدُ عليه الإنسان، لكن إذا كان لمجرَّدِ الشَّهْوَة فهذا من الفتنة.

{وَالْبَنِينَ} ... يُحبُّ البنين لا ليكونوا عوناً له على طاعة الله، ولكن لِيَفْتَخِرَ بهم، ولا شَكَّ أن كثيرًا من الناس زُيِّنَ لهم حُبُّ البنين شهوةً، ولكن شهوة الفخر والشرف.

{وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ} ... الأَمْوَالِ الكَثِيرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ.

{الْقَنَاطِيرِ} ... جمع قنطار، قيل: المراد به ألف مِثْقَالٍ ذهبًا، فإذا صارت قناطير تكون آلافًا.

{الْمُقَنطَرَةِ} ... أي: المعتنى بها، يَعْنِي:- إن القِنْطَار ما يَمْلأ مسك الثور -يعني: جلد الثور- من الذَّهَب، وهذا أكثر من ألف مثقال، وقد ذكر الله تعالى هذه المبالغ من الذَّهَب والفضَّة" لأنه كلما كثر المال في الغالب افْتَتَنَ به الإنسان، فإذا كانت قناطير مقنطرة من الذهب صارت الفتنة بها أَشَدّ.

{وَالْخَيْلِ} ... وسُمِّيَتْ خَيْلًا" لأن صاحبها غالبا يُبْتَلَى بالخيلاء" لأنَّها أفخر المراكب، فالرَّاكِبُ لها يكون في قلبه خُيلَاء، أو لأنها هي تختال في مشيتها، ولهذا ترى الخيل عند مشيتها ليست كغيرها، تَشْعُرُ بأنّ فيها ترفعًا واختيالًا، وأصحابها لا شك أنهم يرون أنفسهم فوق الناس" لأنها أَفْخَرُ المرَاكِب في ذلك الوقت وإلى الآن.

{الْمُسَوَّمَةِ} ... (الحِسَان. قيل: معنى المُسَوَّمَة هي التي تسوم، أي: تُطْلَق لترعى، يَعْنِي:- المسومة: المُعَلَّمَةُ التي جُعِلَ عليها أعلام

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (51/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (72/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

للزينة والفخر، مثل أن يجعل عليها ريش النعام أو أشياء أخرى تحسنها).

{وَالْحَرْثِ} ... الأَرْضِ المُتَّخَذَةِ للزِّرَاعَة.

{مَتَاعُ} ... أي: المتعة التي يَتَمَتَّع بها الناس في الحياة الدنيا، وغايتها الزوال، فإما أن تزول عنها، وإما أن تزول عنك.

{الدُّنْيَا} ... مؤنث أدْنَى، ووصفت بهذا الوصف لِدُنُوِّ مَرْتَبَتِهَا بالنسبة للآخرة، فليست بشيء بالنسبة للآخرة.

{الْمَآبِ} ... المَرْجِعِ، وَالثَّوَاب.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ...}.

قال: الإِمَامُ (البُخَارِي ومُسلِم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما): –عن (أبي هريرة) مرفوعاً: ((تنكح النساء لأربع: لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)).(1)(2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- (3) قَالَ (عُمَرُ): اللَّهُمَّ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ إلاَّ أَنْ نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَهُ لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ.

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- (4) قَالَ (مُجَاهِدٌ): {وَالخَيْلُ المُسَوَّمَةُ}: المُطَهَّمَةُ الحِسَانُ.

وقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى): (الرَّاعِيَةُ): المُسَوَّمَةُ.

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – و الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: القنطار اثنا عشر ألف درهم، وألف دينار. (5)(6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال، حدثنا حماد ابن زيد، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن (أبي هريرة) قال: القنطار ألف ومئتا أوقية. (7)

و(سنده حسن).

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (قتادة)

---

(1) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 5090) – (كتاب: النكاح)، / باب: (الأكفاء في الدين).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (ح 1466) – (كتاب: الرضاع)، / باب: (استحباب نكاح ذات الدين)..

(3) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (14). برقم (ج 8/ ص 93).

(4) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (14). برقم (ج 6/ ص 34).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (14).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (14).

(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (14).

- عن (الحسن): أن القنطار اثنا عشر ألفاً. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (قتادة): قال: كنا نحدث أن القنطار ألف رطل من ذهب، أو ثمانون ألفاً من الورق. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) عن (السدي): القنطار يكون مائة رطل، وهو ثمانية آلاف مثقال. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قول الله: {القناطير المقنطرة} قال: القنطار سبعون ألف دينار. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (قتادة): {القناطير المقنطرة من الذهب والفضة}، والمقنطرة المال الكثير بعضه على بعض. ولعل هذا الخلاف بسبب اختلاف البلدان، فلكل بلد له مكاييله وأوزانه كالحجاز والشام الكوفة والبصرة ومصر. (5)

* * *

قوله تعالى: {والخيل المسومة}.

قال: الإمَامُ (الطبري) – و الإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: و {الخيل المسومة} يعني: المعلمة. (6) (7)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- حدثنا ابن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، قال: عن حبيب عن (سعيد بن جبير): (الخيل المسومة) قال: الراعية، التي ترعى. (8)
ورجاله ثقات و(سنده صحيح).

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): وفي قوله: (والخيل المسومة) قال: المطهمة حسناً. (9)

المطهم: البارع الجمال (القاموس مادة: ط هـ م).

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (14).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (14).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (14).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (14).
(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (14).
(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (14).
(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (14).
(8) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (14).
(9) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (14).

* * *

قوله تعالى: {والأنعام والحرث}.

قال: الإمَام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لم يبين هنا كم يدخل تحت لفظ الأنعام من الأصناف، ولكنه قد بين في مواضع أخر أنها ثمانية أصناف هي: الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز،

كقوله تعالى: {ومن الأنعام حمولة وفرشاً} ثم بين (الأنعام) بقوله: {ثمانية أزواج من الضأن اثنين} يعني: الكبش والنعجة {ومن المعز اثنين} يعني: التيس والعنز إلى قوله: {من الأبل اثنين} يعني: الجمل والناقة {ومن البقر اثنين} يعني: الثور والبقرة، وهذه الثمانية هي المرادة بقوله: {وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج} وهي المشار إليها بقوله: {فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا} الآية. (1)

* * *

وانظر: سورة -(البقرة) - آية (205). -

كما قال تعالى: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}.

* * *

قوله تعالى: {والله عنده حسن المآب}

قال: الإمَام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) -عن (السدي):

{والله عنده حسن المآب}، يقول: حسن المنقلب، وهي الجنة. (2)

* * *

[١٥] ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول- ﷺ :-"أخبركم بخير من تلك الشهوات؟ للذين اتقوا الله بفعل طاعته وترك معصيته جناتٌ تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها لا يدركهم موت ولا فناء، ولهم فيها أزواج مطهرات من كل سوء في خَلْقهن وأخلاقهن، ولهم مع ذلك رضوان من الله يحل عليهم فلا يسخط عليهم أبدًا، والله بصير بأحوال عباده، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيهم عليها. (3)

* * *

يَعْني:- قل: أيها الرسول- ﷺ :-أأخبركم بخير مما زُيِّن للنَّاس في هذه الحياة الدنيا، لمن راقب الله وخاف عقابه جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها، ولهم فيها أزواج مطهرات من الحيض والنفاس وسوء الخلق، ولهم أعظم من ذلك:

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (14).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (14).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (51/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

رضوان من الله. والله مطَّلِع على سرائر خلقه، عالم بأحوالهم، وسيجازيهم على ذلك.(1)

* * *

يَعْنِي:- قل: يا أيها النبي ﷺ: أأخبركم بما هو خير من ذلك الذى زُيِّن للناس فى الدنيا؟، إن للذين اتقوا ثواباً مضموناً - عند ربهم، هو جنات تجرى من تحت ظلال أشجارها الأنهار، يتمتعون بالحياة الطيبة فيها لا يساورهم خوف من زوال نعيمها إذ كتب لهم الخلود فيها، وأزواج طاهرة نقية من كل ما يشين نساء الدنيا، ورضاء من الله يشعرون فى ظله بنعيم أكبر، والله مطلع على أحوال عباده لا يخفى عليه أمر أو سر من أمورهم وأسرارهم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَؤُنَبِّئُكُم} ... أخبركُمْ نَبَأً عظيمًا" لأن النبأ لا يكون إلا بالأمر العظيم.

{بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ} ... أي: المذكورين في الآية السابقة من النساء والبنين ... إلخ.

{أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ} ... زَوْجات هي الحور العين، نقيّاتٌ من دمِ الحيض والبول وكل أذًى وقذر.

{وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} ... عالمٌ بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا، فيُجَازِي كُلّا على عَمَلِه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد}.

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا معاذ بن أسد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا (مالك بن أنس)، عن زيد بن أسلم، عن (عطاء بن يسار)، عن (أبي سعيد الخدري) قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة يقولون لبيك وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خَلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضلَ من ذلك قالوا: يا رب، وأي شيء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا)).(3)(4)

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/51)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/72)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (11/423)، (ح 6549) - (كتاب: الرقاق)، / باب: (صفة الجنة والنار).

(4) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (4/2176)، (ح 2829) - (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، / باب: (إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً).=

* * *

وانظـــر: ســـورة - (البقـــرة) - آيـــة (25). -
كمـا قـال تعـالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

• أن غـرور الكفـار بـأموالهم وأولادهـم لـن يغنـيهم يـوم القيامـة مـن عـذاب الله تعـالى إذا نزل بهم.
• النصـر حقيقـة لا يتعلـق بمجـرد العـدد والعُدة، وإنما بتأييد الله تعالى وعونه.
• زَيَّـن الله تعـالى للنـاس أنواعًـا مـن شـهوات الـدنيا ليبتليـهم، ولـيعلم تعـالى مـن يقـف عنـد حدوده ممن يتعداها.
• كـل نعـيم الـدنيا ولـذاتها قليـل زائـل، لا يقـاس بمـا في الآخـرة مـن النعـيم العظـيم الـذي لا يزول. (1)

* * *

[١٦] ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أهـل الجنـة هـؤلاء هـم الـذين يقولـون في دعـائهم لـربهم: ربنـا إننـا آمنـا بـك، وبمـا أنزلـت علـى رسـلك، واتبعنـا شـريعتك" فَـاغْفِرْ

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (17) شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (22)

لنـا مـا ارتكبنـا مـن ذنـوب، وجنِّبنـا عـذاب النار. (2)

* * *

يَعْنِـي:- هـؤلاء العبـاد المتقـون يقولـون: إننـا آمنـا بـك، واتبعنـا رسـولك محمـداً صـلى الله عليـه وسـلم، فـامْحُ عنـا مـا اقترفنـاه مـن ذنـوب، ونجنا من عذاب النار. (3)

* * *

يَعْنِـي:- ينـال هـذا الجـزاء أولئـك الـذين مـلأ الإيمـان قلـوبهم وأعلنـوا ذلـك بألسـنتهم فقـالوا - ضـارعين إلى الله:- ربنـا إننـا آمنـا

(1) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (51/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (52/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (52/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

استجابة لدعوتك فاعف عن ذنوبنا، واحفظنا من عذاب النار.(1)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار} .

في هذه الآية والتي تليها بيان صفة العباد من أهل الجنة المذكورين في الآية السابقة.

* * *

[١٧] ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وهم الصابرون على فعل الطاعات وترك السيئات، وعلى ما يصيبهم من البلاء، وهم الصادقون في أقوالهم وأعمالهم، وهم المطيعون لله طاعة تامة، وهم المنفقون أموالهم في سبيل الله، وهم المستغفرون آخر الليل" لأن الدعاء فيه أقرب للإجابة، ويخلو فيه القلب من الشواغل. .(2)

* * *

يَعْنِي:- هم الذين اتصفوا بالصبر على الطاعات، وعن المعاصي، وعلى ما يصيبهم من أقدار الله المؤلمة، وبالصدق في الأقوال والأفعال وبالطاعة التامة، وبالإنفاق سرا وعلانية، وبالاستغفار في آخر الليل" لأنه مَظِنَّة القبول وإجابة الدعاء.(3)

* * *

يَعْنِي:- وهم الذين يتحملون المشقة فى سبيل الطاعة وتجنب المعصية واحتمال المكروه، ويصدقون فى أقوالهم وأفعالهم ونياتهم، المداومون على الطاعة فى خشوع وضراعة، الباذلون ما يستطيعون من مال وجاه وغيره فى وجوه التأمل والتفكير فى عظمة الخالق.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الصَّابِرِينَ} ... على أداء الواجبات، وعن المُحَرَّمَات والمَنْهِيَّات في البأساء والضراء وحين البأس.

{الصَّادِقِينَ} ... في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم.

{وَالْقَانِتِينَ} ... المطيعين لله.

{وَالْمُنفِقِينَ} ... أموالهم في طاعة الله، ويَدْخُل فيه نَفَقَةَ الرجل على نفسه وأهله، وصلة رحمه، والزكاة، والنفقة في جميع القربات.

{وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ} ... المصلِّين بالسحر، وهو الوقت بعد ظُلْمَةِ اللَّيْل إلى طلوع الفجر.

{وَالْقَانِتِينَ} ... المُطيعِينَ لله.

{بِالأَسْحَارِ} ... بِآخر اللَّيْل.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (73/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (52/1). تصنيف (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (52/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (73/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قولـه تعـالى: {الصـابرين والصـادقين والقانتين والمنفقين} .

قـال: الإمـام (الطـبري) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- (بسـنده الصـحيح) – عـن (قتـادة): قولـه: {الصـابرين والصـادقين والقـانتين والمـنفقين}، (الصـادقين):- قـوم صـدقت أفـواههم اسـتقامت قلـوبهم وألسـنتهم وصـدقوا في السر والعلانية.

(والصـابرين) قـوم صـبروا علـى طاعـة الله، وصـبروا عـن محارمـه. (القـانتين) هـم المطيعين لله. (1)

* * *

وانظـر: سـورة – (البقـرة) – آيـة (116). –

كمـا قـال تعـالى: {وَقَـالُوا اتَّخَـذَ اللَّـهُ وَلَـدًا سُـبْحَانَهُ بَـل لَـهُ مَـا فِـي السَّـمَاوَاتِ وَالْـأَرْضِ كُـلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} .

* * *

قوله تعالى: {والمستغفرين بالأسحار} .

قـال: الإمـام (البخـاري) – (رحمـه الله) – في (صـحيحه):-

حـدثنا عبـد الله بـن مسـلمة، عـن مالـك، عـن ابـن شـهاب، عـن أبـي سـلمة وأبـي عبـد الله الأغـرِّ، عـن (أبـي هريـرة) – رضـي الله عنـه – أن رسـول الله – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ – قـال: ((ينـزل ربنـا تبـارك وتعـالى كـل ليلـة إلى السـماء الـدنيا حـين يبقـى ثلـث الليـل الآخـر يقـول: مَـن يـدعوني فأسـتجيب لـه، مـن يسـألني فأعطيـه، مـن يسـتغفرني فـأغفر لـه)). (2)(3)

* * *

قـال: الإمـام (الطـبري) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- (بسـنده الصـحيح) – عـن (قتـادة): (والمسـتغفرين بالأسـحار) هـم أهـل الصـلاة. (4)

* * *

[١٨] ﴿ شَـهِدَ اللَّـهُ أَنَّـهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ وَالْمَلاَئِكَـةُ وَأُوْلُـو الْعِلْـمِ قَآئِمَـاً بِالْقِسْـطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

شـهد الله علـى أنـه هـو الإلـه المعبـود بحـق دون سـواه، وذلـك بمـا أقـام مـن الآيـات الشـرعية والكونيـة الدالـة علـى ألوهيتـه، وشـهد علـى ذلـك الملائكـة، وشـهد أهـل العلـم علـى ذلـك ببيـانهم للتوحيـد ودعـوتهم إليـه، فشـهدوا علـى أعظـم مشـهود بـه وهـو توحيـد الله وقيامـه تعـالى بالعـدل في خلقـه وشـرعه , لا إلـه إلا هـو العزيـز الـذي لا يغالبـه أحـد، الحكـيم في خلقه وتدبيره وتشريعه. . (5)

* * *

---

(1) انظـر: (جـامع البيـان في تـأويل القـرآن) (للإمَـامْ (الطـبري) في سـورة (آل عمرآن) الآية (17).

(2) (صَـحِيح): أخرجـه الإِمَـامْ (البُخَـارِي) في (صـحيحه) بـرقم (29/3)، ح (1145)- (كتاب: التهجد)، باب: (الدعاء والصلاة من آخر الليل).

(3) (صَـحِيح): أخرجـه الإِمَـامْ (مُسْـلِم) في (صـحيحه) بـرقم (521/1 ح 758) - (كتاب: صلاة المسافرين)،/، باب: (الترغيب في الدعاء والذكر).

(4) انظـر: (جـامع البيـان في تـأويل القـرآن) (للإمَـامْ (الطـبري) في سـورة (آل عمرآن) الآية (17).

(5) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (52/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِي:- شهد الله أنه المتفرد بالإلهية، وقرن شهادته بشهادة الملائكة وأهل العلم، على أجلِّ مشهود عليه، وهو توحيده تعالى وقيامه بالعدل، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء أراده، الحكيم في أقواله وأفعاله.(1)

* * *

يَعْنِي:- شهد الله أنه المتفرد بالألوهية وبيَّن ذلك - بما بث فى الكون من دلائل وآيات لا ينكرها ذو عقل - وأنه واحد لا شريك له، قائم على شئون خلقه بالعدل، وأقرَّت بذلك ملائكته الأطهار، وَعَلِمَهُ أهل العلم موقنين به، وأنه - جل شأنه - المتفرد بالألوهية الذى لا يغلبه أحد على أمره، وشملت حكمته كل شئ.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{شَهِدَ اللَّهُ} ... أي بيَّنَ وأعلَم، وأرْشَدَ عباده.

{وَأُولُو الْعِلْمِ} ... أصْحَاب العِلْمِ الصَّحِيح المُطَابِق للواقع وهم الأنبياء والعلماء.

{قَائِمًا بِالْقِسْطِ} ... مُقِيمًا لِلْعَدْلِ فِي كُلِّ أَمْر.

{بِالْقِسْطِ} ... بالعَدْلِ في الحكم والقَوْلِ والعَمَل.

{الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ... الغالب ذو العِزَّة، التي لا تُغْلَب، والحَكِيم في كل خَلْقِه وفعلِه وسَائر تَصرُّفَاته.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) -عن (السدي): {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم} قال: الله يشهد هو والملائكة والعلماء من الناس: أن الدين عند الله الإسلام.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) عن -(مجاهد): (بالقسط)، بالعدل.(4)

* * *

[١٩] ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الدين المقبول عند الله هو الإسلام، وهو الانقياد لله وحده بالطاعة والاستسلام له بالعبودية" والإيمان بالرسل جميعًا إلى خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم -، الذي ختم الله به الرسالات، فلا يَقْبَلُ غير شريعته. وما اختلف اليهود والنصارى في دينهم وافترقوا شيعًا وأحزابًا إلا من بعد ما قامت عليهم الحجة بما جاءهم من العلم،

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (52/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (73/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (17).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (17).

حسدًا وحرصًا على الدنيا. ومن يكفر بآيات الله المنزلة على رسوله فإن الله سريع الحساب لمن كفر به وكذّب رسله. (1)

* * *

يَعْنِي:- إن الدين الذي ارتضاه الله لخلقه وأرسل به رسله، ولا يَقْبَل غيره هو الإسلام، وهو الانقياد لله وحده بالطاعة والاستسلام له بالعبودية، واتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى خُتموا بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي لا يقبل الله من أحد بعد بعثته دينًا سوى الإسلام الذي أُرسل به. وما وقع الخلاف بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فتفرقوا شيعًا وأحزابًا إلا من بعد ما قامت الحجة عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب" بغيًا وحسدًا طلبًا للدنيا. ومن يجحد آيات الله المنزلة وآياته الدالة على ربوبيته وألوهيته، فإن الله سريع الحساب، وسيجزيهم بما كانوا يعملون. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن الدين الحق المرضى عند الله هو الإسلام، فهو التوحيد والخضوع لله في إخلاص، وقد اختلف كل من اليهود والنصارى في هذا الدين فحرَّفوا وبدَّلوا ولم يكن اختلافهم عن شبهة أو جهل إذ جاءهم العلم، بل كان للتحاسد والتطاول، ومن يجحد بآيات الله فلينتظر حساب الله السريع. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الدِّينَ} ... ما يُدَانُ لله تعالى به، أي يُطاع فيه ويُخْضَعُ له به من الشرائع والعبادات.

{الإِسْلَامُ} ... الانقياد لله بالطَّاعَة، والخلوص من الشِّرْك، والمراد هنا ملة الإسلام.

{بَغْيًا} ... حسدًا وظلمًا وَعُدْوَانًا.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {إن الدين عند الله الإسلام}.

قال الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): قوله: {إن الدين عند الله الإسلام} والإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، : بعث به رسله، ودل عليه أولياءه، لا يقبل غيره، ولا يجزي إلا به. (4)

* * *

[٢٠] ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فإن جادلوك أيها الرسول - ﷺ - في الحق الذي نزل عليك، فقل مجيبًا إياهم: أسلمت أنا ومن تبعني من المؤمنين لله تعالى، وقل

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (52/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (52/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (73/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (17).

أيهــا الرســول- ﷺ - لأهــل الكتــاب والمشــركين: أأســلمتم لله تعــالى مخلصين لــه متــبعين لمـا جِئـتُ بــه" فــإن أسـلموا لله واتبعـوا شــريعتك فقــد ســلكوا ســبيل الهــدى، وإن أعرضــوا عــن الإســلام فلــيس عليــك إلا أن تــبلغهم مــا أرســلت بــه، وأمــرهم إلى الله، فهــو تعــالى بصـير بعبــاده، وســيجازي كـل عامـل بمـا عمل. (1)

* * *

يَعْنِـي:- فــإن جادلــك أيهــا الرســول- ﷺ - أهــل الكتــاب في التوحيــد بعــد أن أقمــت الحجــة علــيهم فقــل لهــم: إنــني أخلصــت لله وحــده فــلا أشــرك بــه أحــداً، وكــذلك مــن اتــبعني مــن المــؤمنين، أخلصــوا لله وانقــادوا لــه. وقــل لهــم ولمشــركي العــرب وغيرهــم: إن أســلمتم فــأنتم علــى الطريــق المســتقيم والهــدى والحــق، وإن تــوليتم فحســابكم علــى الله، ولــيس علــيَّ إلا الــبلاغ، وقــد أبلغــتكم وأقمــت علــيكم الحجــة. والله بصــير بالعبــاد، لا يخفــى عليــه مــن أمــرهم شيء. (2)

* * *

يَعْنِـي:- فــإن جادلــك هــؤلاء فــى هــذا الــدين بعــد أن أقمــت لهــم الحُجــج، فــلا تجــارهم فــى الجــدل، وقــل: أخلصــت عبــادتى لله - وحــده - أنــا ومــن اتبعنــى مــن المــؤمنين، وقــل لليهــود والنصــارى ومشــركى العــرب: قــد بانــت لكــم الــدلائل فأســلموا، فــإن أســلموا فقــد عرفــوا طريــق الهــدى واتبعــوه، وإن أعرضــوا فــلا تبعــة عليــك فــى إعراضــهم، فلــيس عليــك إلا أن تــبلغهم رســالة الله، والله مطلــع علــى عبــاده لا يخفى عليه شئ من أحوالهم وأعمالهم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{حَــآجُّوكَ} ... جَــادَلُوكَ وخَاصَــمُوكَ بِحُجَــجٍ بَاطِلَة واهية.

{أَسْــلَمْتُ وَجْهِــيَ} ... أخلصْــتُ كــلَّ أعمــالي القلبية والبدنيه لله وحده لا شريك له.

{أُوتُوا الْكِتَابَ} ... اليهود والنَّصَارى.

{وَالأُمِّــيِّينَ} ... أي: العــرب المشــركين، سمُّــوا بالأميين لقلة من يقرأ ويكتب فيهم.

{تَوَلَّــوْاْ} ... أدْبَــرُوا عــن الحــقِّ بعــد رؤيتــه وأعرضوا عنه بعد مَعْرِفَته.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قولــه تعــالى: {وإن تولــوا فإنمــا عليــك الــبلاغ ...}.

قــال الإمَــامُ (البخــاري) – (رحمــه الله) - في (صــحيحه) - (بســنده): حــدثنا عبــد الله بــن محمــد حــدثنا أبــو عــامر حــدثنا قــرّة عــن محمــد بــن ســيرين قــال: أخبرنــي عبــد الــرحمن بــن أبــي بكــرة عــن أبــي بكــرة ورجــل أفضــل في نفســي مــن عبــد الــرحمن حُميــد بــن عبــد الــرحمن عــن (أبــي بكــرة) - رضــي الله عنــه - قــال: خطبنــا الــنبي - صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ - يــوم النحر،قــال: "أتــدرون أي يــوم هــذا؟ " قلنــا: الله ورســوله

(1) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (52/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظــر: (التفســير الميســر) بــرقم (52/1)، المؤلــف: (نخبــة مــن أســاتذة التفسير).
(3) انظــر: (المنتخــب في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (73/1)، المؤلــف: (لجنة من علماء الأزهر).

أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: "أليس يوم النحر؟". قلنا: بلى.

قال: "أي شهر هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

فقال: "أليس ذوالحجة؟". قلنا: بلى.

قال: "أي بلد هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

قال: "أليست بالبلدة الحرام؟" قلنا: بلى.

قال: "فإنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحُرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغتُ؟"

قالوا: نعم.

قال: ((اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرُبّ مبلّغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)).(1)

* * *

[٢١] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذين يكفرون بحجج الله التي أنزلها عليهم، ويقتلون أنبياءه بغير حق، وإنما ظلمًا وعدوانًا، ويقتلون الذين يأمرون بالعدل من الناس، وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، بشِّر هؤلاء الكفار القتلة بعذاب أليم. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين يجحدون بالدلائل الواضحة وما جاء به المرسلون، ويقتلون أنبياء الله ظلمًا بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالعدل واتباع طريق الأنبياء، فبشِّرهم بعذاب موجع. (3)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين يجحدون آيات الله الكونية والمنزَّلة، ويقتلون من بعثهم الله لهدايتهم من الأنبياء، ظلماً بغير حق، ويقتلون دعاة الناس إلى القسط والعدل يستحقون العذاب الأليم فبشرهم به. (4)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامُ (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- وَعَنْ (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله) - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم:- "سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (670/3)، (ح 1741) – (كتاب: الحج)، / باب: (الخطبة أيام منى).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (52/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (52/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (74/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ , وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ , فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ , فَقَتَلَهُ " (1)

* * *

قوله تعالى: {إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق}.

انظر: الآية (61) من سورة - (البقرة) -.

قوله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ}.

* * *

انظر: حديث - (ابن مسعود):

قال: الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) - (رحمه الله) - في (المسند) - (بسنده):- حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبان، حدثنا عاصم، عن أبي وائل، عن (عبد الله بن مسعود) أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ , أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا , وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ , وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ)). (2) (3)

* * *

(1) اخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (4884).

واخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (4079).

انظر: (صَحِيحِ الْجَامِعِ) رقم (3675), و(سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) رقم (374).

(2) أَيْ: مُصَوِّرٌ من المصورين.

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (3868)، و(صححه) الشيخ: (أحمد شاكر).

وذكره الإِمَامْ (الهيثمي) ونسبه إلى الإِمَامْ (أحمد)، و(البزار) ونسبه إلى الإِمَامْ (أحمد) و(البزار) ونص أن رجالهما ثقات (مجمع الزوائد) برقم (236/5).

ولكن (عاصما) هذا هو (ابن بهدلة) صدوق له أوهام فالإسناد حسن وحسنه أيضاً الشيخ (مقبل الوادعي).

انظر: حاشية تفسير الإِمَامْ (ابن كثير). برقم (186/1)).

انظر: (صَحِيحِ الْجَامِعِ) رقم (1000), و(سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) رقم (281).

[٢٢] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أولئك المتصفون بتلك الصفات قد بطلت أعمالهم فلا ينتفعون بها في الدنيا ولا في الآخرة، لعدم إيمانهم بالله، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب. (4)

* * *

يَعْنِي:- أولئك الذين بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة، فلا يُقبل لهم عمل، وما لهم من ناصرٍ ينصرهم من عذاب الله. (5)

* * *

يَعْنِي:- أولئك المتصفون بتلك الصفات بطلت أعمالهم فى الدنيا والآخرة فلا يقبل لهم عمل وما لهم من ناصر ينصرهم من عذاب الله. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{حَبِطَتْ} ... بَطَلَتْ.

{حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} ... بَطَلَتْ فَلَا تُقْبَلُ في الدُّنْيَا، ولا يجازى عليها في الآخرة.

{وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ} ... يَمْنَعُونَهُمْ مِنَ العَذَابِ.

* * *

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (52/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (52/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (74/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

﴿ مِنْ فَوائِدِ الآيَاتِ ﴾

• من أعظم ما يُكفِّر الذنوب ويقي عذاب النار الإيمان بالله تعالى واتباع ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

• أعظم شهادة وحقيقة هي ألوهية الله تعالى ولهذا شهد الله بها لنفسه، وشهد بها ملائكته، وشهد بها أولو العلم ممن خلق.

• البغي والحسد من أعظم أسباب النزاع والصرف عن الحق. (1)

* * *

[٢٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ألم تنظر أيها النبي -ﷺ- إلى حال اليهود الذين آتاهم الله حظًّا من العلم بالتوراة وما دلَّت عليه من نبوتك، يُدْعَون إلى الرجوع إلى كتاب الله التوراة ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، ثم ينصرف فريق من علمائهم ورؤسائهم وهم مُعْرِضون عن حكمه إذ لم يوافق أهواءهم، وكان الأولى بهم -وهم يزعمون اتباعهم له- أن يكونوا أسرع الناس إلى التحاكم إليه. (2)

* * *

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (25) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27) لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (28) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (29)

يَعْنِي:- أرأيت أيها الرسول- ﷺ - أعجب من حال هؤلاء اليهود الذين أتاهم الله حظا من الكتاب فعلموا أن ما جئت به هو الحق، يُدعون إلى ما جاء في كتاب الله -وهو القرآن- ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، فإن لم يوافق أهواءهم يَأْبَ كثير منهم حكم الله" لأن من عادتهم الإعراض عن الحق؟. (3)

* * *

يَعْنِي:- ألم تعلم حال الذين أُعطوا حظاً من الكتاب والعلم يدعون إلى كتاب الله وهو القرآن ليفصل الحق من الباطل فيما شجر بينهم من خلاف فلا يسارعون إلى إجابة

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (52/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (53/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (53/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

الداعي، بل يعرض عنه فريق منهم شأنه الإعراض عن دعوة الخير.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أُوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ}... أعطوا حظًّا وقسطًا من التوراة.

{يُدْعَوْنَ}... يُطْلَبُ إليهم أن يَتَحَاكَمُوا فيما اختلفوا فيه من الحق إلى كتابهم الذي يؤمنون به وهو التَّوْرَاة فيأبون ويعرضون.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمَامُ (الطبري) – و الإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (ابن إسحاق) – (بسنده) – عن (ابن عباس): قال: دخل رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بيت المدراس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو، والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ فقال: على ملة إبراهيم ودينه. فقالا: فإن إبراهيم كان يهوديا! قال: رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: فهلموا إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم! فأبيا عليه، فأنزل الله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (23) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)}.(2)(3)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ} أولئك أعداء الله اليهود، دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم وإلى نبيه ليحكم بينهم وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، ثم تولوا عنه وهم معرضون.(4)

* * *

[٢٤] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ذلك الانصراف عن الحق والإعراض عنه لأنهم كانوا يدَّعون أن النار لن تمسهم يوم القيامة إلا أيامًا قليلة، ثم يدخلون الجنة، فغرّهم هذا الظن الذي اختلقوه من الأكاذيب والأباطيل فتجرؤوا على الله ودينه.(5)

* * *

يَعْنِي:- ذلك الانصراف عن الحق سببه اعتقاد فاسد لدى أهل الكتاب" بأنهم لن يعذَّبوا إلا أيامًا قليلة، وهذا الاعتقاد أدى

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (74/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (23).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (23).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (23).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (53/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

إلى جرأتهم على الله واستهانتهم بدينه، واستمرارهم على دينهم الباطل الذي خدعوا به أنفسهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن أولئك المعرضين من اليهود زَيَّن لهم ذلك الإعراض أنهم يُمنُّون أنفسهم بالأمانى الباطلة، فيزعمون أن النار لن تسمهم إلا أياماً معدودات ودفعهم إلى ذلك الغرور وتلك الأمانى افتراءاتهم المستمرة فى دينهم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ} ... مقدار عبادتهم العجل.

{غَرَّهُمْ} ... خدعهم وأطمعهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ}، **قالوا:** لن تمسنا النار إلا تحلة القسم التي نصبنا فيها العجل، ثم ينقطع القسم والعذاب عنا، **قال الله عز وجل:** {وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}، أي **قالوا:** {نحن أبناء الله وأحباؤه}.(3)

* * *

انظر: من سورة -(البقرة) - الآية (80).-

كما قال تعالى: {وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- عن (أبي هريرة) -رضي الله عنه- **قال:** لما فتحت خيبر أهديت للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شاة فيها سم، **فقال:** النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود، فجمعوا له، **فقال:** إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟، **فقالوا:** نعم. **قال:** لهم النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- من أبوكم؟. **قالوا:** فلان. **فقال:** كذبتم، بل أبوكم فلان. **قالوا:** صدقت. **قال:** فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟ **فقالوا:** نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. **فقال لهم:** من أهل النار؟. **قالوا:** نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها. **فقال** النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا.

ثم **قال:** هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ **قالوا:** نعم يا أبا القاسم. **قال:** هل جعلتم في هذه الشاة سما؟ **قالوا:** نعم. **قال:** ما حملكم على ذلك؟. **قالوا:** إن

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (53/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (74/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (24).

كنت كاذبا نستريح، وإن كنت نبيا لم يضرك.(1)

* * *

[٢٥] ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فكيف يكون حالهم وندمهم؟! سيكون غاية في السوء إذا جمعناهم للحساب في يوم لا شك فيه وهو يوم القيامة، وأعطيت كل نفس جزاء ما عملت على قدر ما تستحق، من غير ظلم بنقص حسناتها، أو زيادة سيئاتها.(2)

* * *

يَعْنِي:- فكيف يكون حالهم إذا جمعهم الله ليحاسَبوا في يوم لا شك في وقوعه -وهو يوم القيامة-، وأخذ كل واحد جزاءَ ما اكتسب، وهم لا يظلمون شيئا؟.(3)

* * *

يَعْنِي:- فكيف يكون حالهم وقت أن يجمعهم الله في الآخرة التي لا شك في وجودها ولا حسابها فكل نفس تعطى جزاءها وافياً، وهم مستحقون لما نالهم من جزاء.(4)

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3169)– (كتاب: الجزية والموادعة)، / باب: (إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم؟).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (53/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (53/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (74/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَوُفِّيَتْ}... يعني: أعطيت، ومنه قولهم: وفَّاهُ حقَّهُ، أي: أعطاه حقه وافيًا.

* * *

[٢٦] ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول- ﷺ - مُثنيًا على ربك ومعظّمًا له: اللهُمَّ أنت مالك الملك كله في الدنيا والآخرة، تؤتي الملك من تشاء من خلقك، وتنزعه ممن تشاء، وتُعز من تشاء منهم، وتذل من تشاء، وكل ذلك بحكمتك وعدلك، وبيدك وحدك الخير كله، وأنت على كل شيء قدير.(5)

* * *

يَعْنِي:- قل: أيها النبي-ﷺ متوجها إلى ربك بالدعاء:-يا مَن لك الملك كلُّه، أنت الذي تمنح الملك والمال والتمكين في الأرض مَن تشاء من خلقك، وتسلب الملك ممن تشاء، وتهب العزة في الدنيا والآخرة مَن تشاء، وتجعل الذلَّة على من تشاء، بيدك الخير، إنك -وحدك- على كل شيء قدير. وفي الآية

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (53/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

إثبات لصفة اليد لله تعالى على ما يليق به سبحانه.(1)

* * *

يَعْنِي:- قل: يا أيها النبي- ﷺ - ضارعاً إلى الله مقراً بجبروته: اللهم أنت - وحدك - مالك التصرف فى الأمر كله، تمنح من تشاء من الحكم والسلطان، وتنزعه ممن تشاء، وتهب العزة من تريد من عبادك بتوفيقه إلى الأخذ بأسبابها، وتضرب الذل والهوان على من تشاء، فأنت - وحدك - تملك الخير، لا يعجزك شئ عن تنفيذ مرادك، وما تقتضيه حكمتك فى نظام خلقك.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{مَالِكَ الْمُلْكِ} ... أي مالك العِبَاد وما مَلَكوا، والسماوات والأرض وما فهما.

{تُعِزُّ} ... تجعله عزيزًا قويًّا غالبًا على غيره.

{تُذِلّ} ... تجعله يستسلم للقهر والغلبة.

* * *

[٢٧] ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن مظاهر قدرتك أنك تدخل الليل في النهار فيطول وقت النهار، وتدخل النهار في الليل فيطول وقت الليل، وتخرج الحي من الميت" كإخراج المؤمن من الكافر، والزرع من الحب، وتخرج الميت من الحي، كالكافر من المؤمن، والبيضة من الدجاجة، وترزق من تشاء رزقًا واسعًا من غير حساب وعدّ.(3)

* * *

يَعْنِي:- ومن دلائل قدرتك أنك تُدخل الليل في النهار، وتُدخل النهار في الليل، فيطول هذا ويقصر ذاك، وتُخرج الحي من الميت الذي لا حياة فيه، كإخراج الزرع من الحب، والمؤمن من الكافر، وتُخرج الميت من الحي كإخراج البيض من الدجاج، وترزق من تشاء مَن خلقك بغير حساب.(4)

* * *

يَعْنِي:- وأنت بما أنشأت ووضعت من الأسباب والسنن، تُدخِل من الليل فى النهار ما يزيد به النهار طولا، وتدخل من النهار فى الليل ما يزيد به الليل طولا، وتخرج المتصف بمظاهر الحياة من فاقدها، كما تخرج فاقد الحياة من الحى المتمكن من أسباب الحياة، وتهب عطاءك الواسع من تشاء كما تريد على نظام حكمتك، فلا رقيب يحاسبك، ومن كان هذا شأنه لا يعجزه أن

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (53/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (74/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (53/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (53/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يمنح رسوله وأصفياءه السيادة والسلطان والغنى واليسار كما وعدهم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تُولِجُ} ... تُدْخِل.

{تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} ... أي: يدخل هذا على هذا، ويحل هذا محل هذا، ويزيد في هذا وينقص في هذا، ليقيم بذلك مصالح خلقه.

{وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ} ... يخرج الحي من الميت، كما يخرج الزُّرُوع والأشجار المتنوعة من بذورها، والمؤمن من الكافر" والميت من الحي، كما يخرج الحَبَّ والنَّوَى، والزروع من الأشْجَار، والبيضة من الطائر فهو الذي يُخْرِج المتضادات بعضها من بعض، وقد انْقَادَتْ لَهُ جميع العناصر.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): قوله تعالى: {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} وقال: ما ينقص من أحدهما في الآخر، يعتقبان أو يتعاقبان.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قول الله عز وجل: (وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتَ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) قال: الناس الأحياء من النطف والنطف ميته، ويخرجها من الناس الأحياء، والأنعام.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) – عن (قتادة): عن (الحسن): في قوله: {وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي}، يعني: المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والمؤمن عبد حي الفؤاد، والكافر عبد ميت الفؤاد.(4)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):-(5) قَالَ (مُجَاهِدٌ): {يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ} مِنَ النُّطْفَةِ تَخْرُجُ مَيِّتَةً، وَيُخْرِجُ مِنْهَا الحَيَّ.

* * *

[٢٨] ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/75)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (27).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (27).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (27).

(5) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (27). برقم (ج 6/ ص 34).

لا تتخذوا أيها المؤمنون- الكافرين أولياء تحبونهم وتنصرونهم من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فلا حرج أن تتقوا أذاهم بإظهار اللين في الكلام واللطف في الفعال، مع إضمار العداوة لهم، ويحذركم الله نفسه فخافوه، ولا تتعرضوا لغضبه بارتكاب المعاصي، وإلى الله وحده رجوع العباد يوم القيامة لمجازاتهم على أعمالهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- ينهى الله المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء بالمحبة والنصرة من دون المؤمنين، ومَن يتولهم فقد برئ من الله، والله بريء منه، إلا أن تكونوا ضعافًا خائفين فقد رخَّص الله لكم في مهادنتهم اتقاء لشرهم، حتى تقوى شوكتكم، ويحذركم الله نفسه، فاتقوه وخافوه. وإلى الله وحده رجوع الخلائق للحساب والجزاء.(2)

* * *

يَعْنِي:- إذا كان الله - سبحانه وتعالى - هو - وحده - مالك الملك، ويعز ويذل، وبيده وحده الخير والخلق والرزق، فلا يصح للمؤمنين أن يجعلوا لغير المؤمنين ولاية عليهم، متجاوزين نصرة المؤمنين" لأن في هذا خذلاناً للدين وإيذاء لأهله، وإضعافاً للولاية الإسلامية، ومن يسلك هذا المسلك فليس له من ولاية الله مالك الملك شئ، ولا يرضى مؤمن بولايتهم إلا أن يكون مضطرا لذلك، فيتقى أذاهم بإظهار الولاء لهم. وعلى المؤمنين أن يكونوا فى الولاية الإسلامية دائماً وهى ولاية الله، وليحذروا أن يخرجوا إلى غير ولايته فيتولى عقابهم بنفسه بكتابة الذلة عليهم بعد العزة. وإليه - وحده - المصير فلا مفرَّ من سلطانه فى الدنيا ولا فى الآخرة.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ}... فليس من دين الله وولايته في شيء، فهو بريءٌ من الله والله بريءٌ منه كقوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}.

{إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}... أي: إلا أن تخافوا على أنْفُسكُمْ في إبْداء العَداوَة للكَافرِينَ، فَلَكُمْ في هذه الحال الرُّخْصَةُ في المُسَالَمَة والمُهَادَنَة، لا في التولِّي الذي هو محبَّة القلب، الذي تتبعه النصرة.

{وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ}... أي: فَخَافُوه واخشوه وقدِّموا خَشْيَتَهُ على خَشْيَةِ النَّاس، فإنه هو الذي يتولى شؤون العباد وقد أخذ بنواصيهم.

{تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}... تُهَادِنُوهُمُ اتِّقَاءَ شَرِّهِمْ إذَا كُنْتُمْ ضِعَافًا.

* *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (53/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (53/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (75/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {ثُقَاةً}: وَتَقِيَّةٌ, وَاحِدَةٌ.(1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- قَالَ: (الحَسَنُ): التَّقِيَّةُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – و الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللطف، ويخالفوهم في الدين، وذلك في قوله: (إلا أن تتقوا منهم تقاة).(3)(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (السدي): (ومن يفعل ذلك) قال: ومن يفعل هذا فهو مشرك. وبه عن (السدي): (فليس من الله في شيء) فقد برئ الله منه.(5)

* * *

[٢٩] ﴿ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها النبي - ﷺ - إن تخفوا ما في صدوركم مما نهاكم الله عنه كموالاة الكفار، أو تظهروا ذلك يعلمه الله، ولا يخفى عليه منه شيء، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.(6)

* * *

يَعْنِي:- قل: أيها النبي- ﷺ - للمؤمنين: إن تكتموا ما استقر في قلوبكم من موالاة الكافرين ونصرتهم أو تظهروا ذلك لا يَخْفَ على الله منه شيء، فإنَّ علمه محيط بكل ما في السماوات وما في الأرض، وله القدرة التامة على كل شيء.(7)

* * *

يَعْنِي:- قل: يا أيها النبى- ﷺ - إن تخفوا ما فى صدوركم أو تظهروه فى أعمالكم وأقوالكم فإن الله يعلمه، ويعلم جميع ما فى السموات وما فى الأرض ما ظهر منه وما استتر، وقدرته نافذة فى جميع خلقه.(8)

* * *

(1) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (28). برقم (ج 6/ ص 34).

(2) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (28). برقم (ج 9/ ص 19).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (28).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (28).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (28).

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (53/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(7) انظر: (التفسير الميسر) برقم (53/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(8) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (75/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي)

قال: أخبرهم أنه يعلم ما أسروا من ذلك وما أعلنوا، فقال: ﴿إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (أحمد بن حنبل) - (إمَامْ أهل السُّنَّة والجَمَاعَة) - (رحمه الله) - في (المسند): ثنا أبو العلاء الحسن بن سوار ثنا ليث عن معاوية عن أيوب ابن زياد حدثني (عبادة بن الوليد بن عبادة) حدثني (أبي) قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي فقال: أجلسوني. قال: يا بني إنك لا تطعم طعم الإيمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قال قلت: يا أبتاه فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره قال: تعلم ما أخطأك لم يكن يصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك يا بني إني سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول. إن أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم. ثم قال: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة. يا بني: إن متّ ولست على ذلك دخلت النار. (2)

* * *

﴿مِن فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (29).

(2) أخرجه الإمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (317/5)، وأخرجه الإمام (أبو داود) - من طريق - : (أبي حفصة عن عبادة) بنحوه. و(صححه) الإمام (الألباني) برقم (ح 3933) في (صحيح سنن أبي داود).

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (30) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى

- أن التوفيق والهداية من الله تعالى، والعلم -وإن كثر وبلغ صاحبه أعلى المراتب- إن لم يصاحبه توفيق الله لم ينتفع به المرء.
- أن الملك لله تعالى، فهو المعطي المانع، المعز المذل، بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، فلا يُسأل أحد سواه.
- خطورة تولي الكافرين، حيث توعَّد الله فاعله بالبراءة منه وبالحساب يوم القيامة. (3)

* * *

[٣٠] ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (53/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يوم القيامة تلقى كلُّ نفس عملها من الخير قد أُتي به لا نقص فيه، والذي عملت من السوء تتمنى أن بينها وبينه زمنًا بعيدًا، وأنى لها ما تمنت! ويحذركم الله نفسه، فلا تتعرضوا لغضبه بارتكاب الآثام، والله بالعباد، ولهذا يحذرهم ويخوفهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- وفي يوم القيامة يوم الجزاء تجد كل نفس ما عملت من خير ينتظرها موفراً لتجزَى به، وما عملت من عمل سيِّئ تجده في انتظارها أيضًا، فتتمنى لو أن بينها وبين هذا العمل زمنًا بعيدًا. فاستعدوا لهذا اليوم، وخافوا بطش الإله الجبار. ومع شدَّة عقابه فإنه سبحانه المتصف بكمال الرحمة بالعباد. (2)

* * *

يَعْنِي:- فليحذر الذين يخالفون أمره يوم تجد كل نفس عملها من الخير مهما قلَّ شاهداً حاضراً، وما اقترفته من سوء تتمنى أن يكون بعيداً عنها بُعْداً شاسعاً حتى لا تراه استقباحاً له وخوفاً من الوقوع فى مغبته، ويحذركم الله عقابه إذا خرجتم من ولايته التى هى رأفة ورحمة بالعباد. (3)

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (54/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (54/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (75/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مُّحْضَرًا} ... حاضر يوم القيامة.

{أَمَدًا بَعِيدًا} ... مدى وغاية بعيدة.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا) يقول: موفراً. (4)

* * *

[٣١] ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول- ﷺ:-إن كنتم تحبون الله حقًّا فاتبعوا ما جئت به ظاهراً وباطنًا، تنالوا محبة الله، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور تاب من عباده رحيم بهم. (5)

* * *

يَعْنِي:- قل: أيها الرسول- ﷺ:-إن كنتم تحبون الله حقا فاتبعوني وآمنوا بي ظاهراً وباطنًا، يحببكم الله، ويمحُ ذنوبكم، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم.

وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله -تعالى- وليس متبعًا لنبيه محمد- صلى الله عيه وسلم- حق الاتباع، مطيعًا له في أمره ونهيه، فإنه كاذب في

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (30).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (54/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

دعواه حتى يتابع الرسول -صلى الله عليه وسلم- حق الاتباع.(1)

* * *

يَعْنِي:- قل: إن كنتم صادقين في دعواكم أنكم تحبون الله وتريدون أن يحبكم الله فاتبعوني فيما آمركم به وأنهاكم عنه، لأنني مبلغ عن الله، فإن ذلك يحبكم الله به، ويثيبكم الله عليه بالإحسان إليكم والتجاوز عن خطاياكم، والله كثير الغفران والرحمة لعباده.(2)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}.

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبدان أخبرنا أبي عن شعبة عن عمرو بن مُرّة عن سالم بن أبي الجعد عن (أنس بن مالك): أن رجلاً سأل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ((ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: أنت مع من أحببت)).(3)

* * *

[٣٢] ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول- ﷺ :-أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فإن أعرضوا عن ذلك فإن الله لا يحب الكافرين المخالفين لأمره وأمر رسوله.(4)

* * *

يَعْنِي:- قل: أيها الرسول- ﷺ :- أطيعوا الله باتباع كتابه، وأطيعوا الرسول- باتباع سنته في حياته وبعد مماته، فإن هم أعرضوا عنك، وأصروا على ما هم عليه من كفر وضلال، فليسوا أهلا لمحبة الله" فإن الله لا يحب الكافرين.(5)

* * *

يَعْنِي:- قل: أطيعوا الله ورسوله، فإن أعرضوا عنك فهم كافرون بالله ورسوله، والله لا يحب الكافرين.(6)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}.

قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سُننِه) - (بسنده):- حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (54/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (75/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (557/10)، (ح 6171)- (كتاب: الأدب)، / باب: (علامة الحب في الله).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (54/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (54/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (76/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وعبد الله بن محمد النفيلي، قالا: ثنا سفيان، عن أبي النضر، عن (عبيد الله بن أبي رافع)، عن (أبيه)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)).(1)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): (فإن تولوا) يعني: الكفار تولوا عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.(2)

* * *

[٣٣] ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والمُيسر والمُنتَخَب لهذه الآية:

إن الله اختار آدم - عليه السلام - فأسجد له ملائكته، واختار نوحًا فجعله أول رسول إلى أهل الأرض، واختار آل إبراهيم فجعل النبوة باقية في ذريته، واختار آل عمران" اختار كل هؤلاء وفضلهم على أهل زمانهم.(3)

* * *

يَعْنِي:- إن الله اختار آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران، وجعلهم أفضل أهل زمانهم.(4)

* * *

يَعْنِي:- كما اصطفى الله محمداً - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لتبليغ رسالته، وجعل اتباعه وسيلة لحب الله ومغفرته ورحمته، كذلك اصطفى آدم وجعله من صفوة العالمين، واصطفى نوحاً بالرسالة، واصطفى إبراهيم وآله إسماعيل وإسحاق والأنبياء من أولادهما، ومنهم موسى - عليهم السلام -، واختار آل عمران واختار منهم عيسى وأمه، فعيسى جعله الله رسولا لبني إسرائيل، ومريم جعلها أماً لعيسى من غير أب.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{اصْطَفَى آدَمَ} ... اخْتَارَهُ وآدم هو أبو البشر عليه السلام.

{آلَ إِبْرَاهِيمَ} ... لا شك أنه يَدْخل فيهم إبراهيم بالأولى، لكنه نَصَّ على آله لكثرة الرسل فيهم ولا سيما أن فيهم أفضل الرسلِ

---

(1) اخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (200/4)، (ح 4605)- (كتاب : السنة)،/ باب: (في لزوم السنة)،

وأخرجه الإمام (الترمذي) برقم (37/5)، (ح 2663)- (كتاب : العلم)، /باب: (ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن قتيبة).

وأخرجه الإمام (بن ماجة) في (السنن) برقم(1/6-7)، (ح 13)- (المقدمة)، / باب: (تعظيم حديث رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ...) عن (نصر بن علي الجهضمي).

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (108/1) من طريق-: الإمام (الشافعي) و(الحميدي)، كلهم عن (سفيان بن عيينة) به.

وقال: الإمام (الترمذي) :)حسن صحيح).

وقال: الإمام (الحاكم): (صحيح على شرط الشيخين) ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي).

وقال: الإمام (البغوي): (حديث حسن) في (شرح السنة) برقم (200/1)،

وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) في (صحيح سنن ابن ماجة) برقم (ح 13).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (32).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (54/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (54/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (76/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

محمدًا – صلى الله عليه وسلم -" فإن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – من آل إبراهيم.

{آلَ عِمْرَانَ} ... اختلفوا في المراد بهم، فقيل: آل عمران أبي موسى" لأن موسى أفضل أنبياء بني إسرائيل،

وقيل: آل عمران أبى مريم.

{الْعَالَمِينَ} ... الناس المعاصرون لهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} .

قال: الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) – (رحمه الله) – في (المسند) – (بسنده):- ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني قال حدثني النضر بن شميل المازني قال حدثني أبو نعامة قال حدثني أبو هنيدة البراء بن نوفل عن والان العدوي عن (حذيفة) عن (أبي بكر الصديق) – رضي الله عنه – قال: أصبح رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ذات يوم فصلى الغداة ثم جلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبي بكر لا تسأل رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ما شأنه صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط قال: فسأله فقال: "نعم عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد ففظع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم -عليه السلام- والعرق يكاد يلجمهم فقالوا: يا آدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك قال: لقد لقيت مثل الذي لقيتم انطلقوا إلى أبيكم إلى نوح {إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين} قال: فينطلقون إلى نوح -عليه السلام-، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائه ... فذكر الحديث بطوله. (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – و الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) عن (ابن عباس): قال: هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران: آل ياسين وآل محمد يقول الله عز وجل: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه). . (2)(3)

* * *

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (4)

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): (آلُ

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (4/1) .

وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير) – (آل عمران) – (آية 33)- (ح 390) عن (أحمد بن منصور المروزي عن النضر بن شميل).

و قال: الشيخ : (أحمد شاكر) (إسناده صحيح) في تحقيق: (المسند) برقم (ح 15).

و أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه)- (الإحسان) برقم (8/134-136)، (ح 6442) – من طريق-: (النضر بن شميل) به.

وقال: الإمام (الهيثمي): رواه الإمام (أحمد، وأبو يعلى، والبزار) (ورجالهم ثقات) في (مجمع الزوائد) برقم (10/375).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (33).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (33).

(4) {آل عمران: 33، 34}.

عِمْرَانَ): الْمُؤْمِنُونَ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَآلِ يَاسِينَ، وَآلِ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ} وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ.(1)
وَيُقَالُ: آلُ يَعْقُوبَ: أَهْلُ يَعْقُوبَ , فَإِذَا صَغَّرُوا آلَ , ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى الأَصْلِ , قَالُوا: أُهَيْلٌ.(2)

* * *

وقال الإمَامُ (الترمذي) – (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- وَعَنْ (وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم:- ((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ , وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا , وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ , وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)).(3)

* * *

[٣٤] ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هؤلاء المذكورون من الأنبياء وذرياتهم المُتبِعون لطريقتهم هم ذرية بعضها متسلسل من بعض في توحيد الله وعمل الصالحات، يتوارثون من بعضهم المكارم والفضائل، والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم" ولهذا يختار من يشاء منهم، ويصطفي منهم من يشاء.(4)

* * *

يَعْنِي:- هؤلاء الأنبياء والرسل سلسلة طُهْر متواصلة في الإخلاص لله وتوحيده والعمل بوحيه. والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، وسيجازيهم على ذلك.(5)

* * *

يَعْنِي:- اختارهم ذرية طاهرة، فهم يتوارثون الطهر والفضيلة والخير. والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم وما تكنّه صدورهم.(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ذُرِّيَّةً} ... أي: اصْطَفَى ذُرِّيَّة وأصْلها في ذَرَأَ بمعنى خَلَقَ، وإنما سمِّي الآباء والأبناء ذرية" لأنَّ الله خلق بعضهم من بعض.

{بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ} ... أي بعضها ولد بعض.

{وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ... سميع لأقوال العباد وعليم بنيّاتهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ)

قال الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):– (بسنده) الحسن) – عن (قتادة): قوله:

---

(1) {آل عمران: 68}.
(2) انظر: صحيح الإمَامُ (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (33). برقم (ج 4 / ص 163).
(3) (صَحِيح): اخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3605).
وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1) - (2276).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17027).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (54/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (54/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (76/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{ذرية بعضها من بعض} يقول: في النية والعمل والإخلاص والتوحيد له. . (1)

* * *

[٣٥] ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

اذكر أيها الرسول - ﷺ - إذ قالت امرأة عمران والدة مريم - عليها السلام -: يا رب إني أوجبت على نفسي أن أجعل ما في بطني من حمل خالصًا لوجهك، محررًا من كل شيء ليخدمك ويخدم بيتك، فتقبل مني ذلك، إنك أنت السميع لدعائي، العليم بنيِّتي. (2)

* * *

يَعْنِي:- اذكر أيها الرسول - ﷺ - ما كان من أمر مريم وأمها وابنها عيسى -عليه السلام- لتردَّ بذلك على من ادعوا ألوهية عيسى أو بنوَّته لله سبحانه، إذ قالت امرأة عمران حين حملت: يا ربِّ إني جعلت لك ما في بطني خالصا لك، لخدمة ‹بيت المقدس›، فتقبَّل مني" إنك أنت وحدك السميع لدعائي، العليم بنيتي. (3)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها النبي - ﷺ - حال امرأة عمران إذ نذرت وقت حملها تقديم ما تحمله خالصاً لعبادة الله وخدمة بيته، قائلة: يا رب، إني نذرت ما في بطني خالصاً لخدمة بيتك فاقبل مني ذلك، إنك السميع لكل قول، العليم بكل حال. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{نَذَرْتُ لَكَ} ... جَعَلْتُ لَكَ.

{مُحَرَّرًا} ... خَالِصًا لِخِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

{نَذَرْتُ} ... بمعنى: الْتَزَمْتُ أن يكون ما في بطني محررًا من خدمتي ليكون خادمًا لِلْمَسْجِدِ الأَقْصَى، وكان من عادتهم أن يَفْعَلُوا ذلك" أي أن الإنسان منهم ينذر ولده ليكون قائمًا بخدمة المسجد الأقصى تعظيمًا له.

{مُحَرَّرًا} ... خالصًا لا شركة فيه لأحد غير الله بحيث لا تنتفع به أبدًا.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا} الآية كانت امرأة عمران حررت لله ما في بطنها، وكانوا إنما يحررون الذكور، وكان المحرر إذا حرر جعل الكنيسة لا يبرحها، يقوم عليها ويكنسها. . (5)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (34).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (54/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (54/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (76/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (35).

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): {نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا} لِلْمَسْجِدِ يَخْدُمُهَا. (1)

* * *

[٣٦] ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فلما تم حملُها وضعت ما في بطنها، وقالت معتذرة -وقد كانت ترجو أن يكون الحمل ذكرًا:- يا رب إني ولدتها أنثى، والله أعلم بما ولدت، وليس الذكر الذي كانت ترجوه كالأنثى التي وُهِبت لها في القوة والخِلقة. وإني سمَّيتها مريم، وإني حصَّنتها بك هي وذريتها من الشيطان المطرود من رحمتك. (2)

* * *

يَعْنِي:- فلما تمَّ حملها ووضعت مولودها قالت: ربِّ إني وضعتها أنثى لا تصلح للخدمة في (بيت المقدس) -والله أعلم بما وضَعَتْ، وسوف يجعل الله لها شأنًا- وقالت: وليس الذكر الذي أردت للخدمة كالأنثى في ذلك" لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوَم بها، وإني سمَّيتها مريم، وإني حصَّنتها بك هي وذريَّتها من الشيطان المطرود من رحمتك. (3)

* * *

يَعْنِي:- فلما وضعت حملها قالت - معتذرة تناجى ربها:- إنى وَلَدت أنثى والله عليم بما ولدت، وأن مولودها وهو أنثى خير من مطلوبها وهو الذكر. وقالت: إنى سميتها مريم وإنِّى أسألك أن تحصِّنها هى وذريتها من غواية الشيطان الرجيم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الرَّجِيم} ... المَرْجُوم المُبْعَد من رَّحمَةِ الله.

{أُعِيذُهَا} ... أُحْصِنُهَا.

{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا} ... وَلَدَتْ حَمْلَهَا.

{قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى} ... وهذا اعتذار منها إلى الله أنها وضعتها أنثى، والأنثى ليس من العادة أن تخدم المَسْجد، فكأنها تَعْتَذِرُ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ عن هذا النذر.

{وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ} ... يعني: العابدة بلغتهم، وأرادت بذلك أن يفضلها الله على نساء الدنيا.

{وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} ... أي: أُحَصِّنُها وأحفظها بجَنَابِكَ من الشَّيْطَانِ فلا يقربها ولا يقرب ذُرِّيَّتَها، فاسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى لها وحفظها وحفظ

---

(1) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (36). برقم (ج1/ ص 99).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (54/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (54/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (76/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وَلَدَها -عيسى -عليه السلام- فلم يقربه شيطان قط.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} .

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} المرأة لا تستطيع أن يصنع بها ذلك يعني أن تحرر للكنيسة، فتجعل فيها تقوم عليها وتكنسها فلا تبرحها مما يصيبها من الحيض والأذى، فعند ذلك قالت: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى}. (1)

* * *

قوله تعالى: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} .

قال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن (سعيد بن المسيب) عن (أبي هريرة) – رضي الله عنه – أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: ((ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يولد، فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها)). ثم يقول (أبو هريرة): واقرءوا إن شئتم (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) (2)(3).

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي و مُسلِم) – في (صحيحهما)، - والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم):- عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم:- ("مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ) (4) (مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَا) (5) (يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِه حِينَ يُولَدُ) (6) (أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الصَّبِيِّ حِينَ يَسْقُطُ كَيْفَ يَصْرُخُ؟ " , قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ , قَالَ: " فَذَاكَ حِينَ) (7) (يَلْكُزُهُ الشَّيْطَانُ فِي حِضْنَيْهِ) (8)(9) (فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ) (10) (إِلَا مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ , وَابْنَهَا عِيسَى -عَلَهما السَّلَامَ-) (11) (ذَهَبَ يَطْعُنُ , فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ) (12) ") (1)

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (36).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (60/8)، (ح 4548) – (كتاب: التفسير)، سورة آل عمران).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1838/4)، (ح 2366) – (كتاب: الفضائل)، / باب: (فضائل عيسى- عليه السلام).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4274).

(5) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3248).

(6) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3112).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (7866).

(7) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (8801).

وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).

(8) (حِضْنَيْهِ): تَثْنِيَة حِضْن، وَهُوَ الْجَنْب، وَقِيلَ: الْخَاصِرَة. الإمام النووي (9/ 12).

(9) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (8801).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2366).

(10) أَيْ: سَبَبُ صُرَاخ الصَّبِيّ أَوَّل مَا يُولَد , الْأَلَمُ مِنْ مَسّ الشَّيْطَان إِيَّاهُ، وَالِاسْتِهْلَال: الصِّيَاح.

انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (ج10ص231).

(11) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4274).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2366).

(12) الْمُرَاد بِالْحِجَابِ: الْجِلْدَةُ الَّتِي فِيهَا الْجَنِين , أَيْ: فِي الْمَشِيمَةِ الَّتِي فِيهَا الْوَلَدُ أَوْ الثَّوْبُ الْمَلْفُوفُ عَلَى الطِّفْل.

(ثُمَّ قَالَ: (أَبُو هُرَيْرَةَ): اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (2) (3).

* * *

[٣٧] ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فتقبَّل الله نذرها بقبول حسن، وأنشأها نشأةً حسنة، وعطف عليها قلوب الصالحين من عباده، وجعل كفالتها إلى زكريا. وكان زكريا كلما دخل عليها مكان العبادة وجد عندها رزقًا طيبًا ميسَّرًا، فقال: مخاطبًا إياها: يا مريم، من أين لك هذا الرزق؟ قالت مجيبة إياه: هذا الرزق من عند الله، إن الله يرزق من يشاء رزقًا واسعًا بغير حساب. (4)

* * *

يَعْنِي:- فاستجاب الله دعاءها وقبل منها نَذْرها أحسن قبول، وتولَّى ابنتها مريم بالرعاية فأنبتها نباتًا حسنًا، ويسَّر الله لها زكريا عليه السلام كافلا فأسكنها في مكان عبادته، وكان كلَّما دخل عليها هذا المكان وجد عندها رزقًا هنيئًا معدّاً قال: يا مريم من أين لكِ هذا الرزق الطيب؟ قالت: هو رزق من عند الله. إن الله -بفضله- يرزق مَن يشاء مِن خلقه بغير حساب. (5)

* * *

يَعْنِي:- فتقبل الله مريم نذراً لأمها، وأجاب دعاءها، فأنبتها نباتاً حسناً، وربَّاها فى خيره ورزقه وعنايته تربية حسنة مقومة لجسدها، وشأنه أن يرزق من يشاء من عباده رزقاً كثيراً، كلما دخل عليها زكريا فى معبدها وجد عندها رزقاً غير معهود فى وقته. قال - متعجباً:- يا مريم من أين لك هذا الرزق؟ قالت: هو من فضل الله، وجعل زكريا - عليه السلام - كافلا لها. وكان رزقها بغير عدد ولا إحصاء. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الْمِحْرَابَ} ... مَكَانَ العِبَادَةِ.

{فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ} ... أي: رَضِيَهَا منها وقبِلَهَا، كالشيء يهْدَى للكريم فيتقبله ويثيب عليه.

قَالَ: الإمام (الْقُرْطُبِيّ): هَذَا الطَّعْنُ مِنْ الشَّيْطَانِ هُوَ ابْتِدَاءُ التَّسْلِيط، فَحَفِظَ اللهُ مَرْيَمَ وَابْنَهَا مِنْهُ بِبَرَكَةِ دَعْوَةِ أُمِّهَا حَيْثُ قَالَتْ: {إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيم} وَلَمْ يَكُنْ لِمَرْيَم ذُرِّيَّةٌ غَيْرُ عِيسَى. فتح (10/ 231).

(1) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3112).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (10783).

(2) {آل عمران/36}.

(3) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4274).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2366).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (54/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (54/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (76/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا}... ربَّاها تربية عجيبة دينيَّةً، أخلاقية، أدبية، كملت بكل أحوالها وصلحت بها أقوالها وأفعالها.

{وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا}... أي: يَسَّرَ لَهَا زكريا كافلًا، وهذا من منة الله على العبد أن يجعل من يتولى تربيته من الكافلين المصلحين.

{الْمِحْرَابَ}... مقصورة ملاحقة للمَسْجِد،

وقيل: أي مَكَان للعبادة.

{وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا}... طعامًا، وقيل فَاكِهَة في غير وقتها.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (شيبان) - عن (قتادة): (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا) قال: حُدثنا أنهما كانا لا يصيبان الذنوب كما يصيبها بنو آدم. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) عن -(مجاهد): {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} قال: سهمهم بقلمه. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) يقول: ضمها إليه. (3)

* * *

قوله تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا}.

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: (وجد عندها رزقاً) قال: عنبا وجده زكريا عند مريم يا غير زمانه.

* * *

﴿من فوائد الآيات﴾

- عظم مقام الله وشدة عقوبته تجعل العاقل على حذر من مخالفة أمره تعالى.
- برهان المحبة الحقة لله ولرسوله باتباع الشرع أمرًا ونهيًا، وأما دعوى المحبة بلا اتباع فلا تنفع صاحبها.
- أن الله تعالى يختار من يشاء من عباده ويصطفيهم للنبوة والعبادة بحكمته ورحمته، وقد يخصهم بآيات خارقة للعادة. (4)

* * *

[٣٨] ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (37).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (37).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (37).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (54/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (40) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً}.

قال: الإمامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (السدي): {قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً} يقول: مباركة. (4)

* * *

[٣٩] ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

عند ذلك الذي رآه زكريا من رزق الله تعالى لمريم بنت عمران على غير المعتاد من سُنَنه تعالى في الرزق" رجا أن يرزقه الله ولدًا مع الحال التي هو عليها من تقدم سنِّه وعُقْم امرأته، فقال: يا رب، هب لي ولدًا طيبًا، إنك سميعٌ لدعاء من دعاك، مجيب له. (1)

* * *

يَعْنِي:- عندما رأى زكريا ما أكرم الله به مريم من رزقه وفضله توجه إلى ربه قائلا يا ربِّ أعطني من عندك ولدًا صالحًا مباركًا، إنك سميع الدعاء لمن دعاك. (2)

* * *

لما رأى زكريا - عليه السلام - ما رآه من نعمة الله على مريم، اتجه إلى الله ضارعاً أن يهبه من فضله وكرمه وبقدرته ولداً، فهو يسمع دعاء الضارعين، وهو القدير على الإجابة وإن وقفت الأسباب العادية من شيخوخة أو عقم دون تحقيقها. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَّدُنْكَ} ... عنْدَكَ.

{ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً} ... ولدًا مباركًا تقيًّا صالحًا والذُرِّيَّة تطلق على الواحد والجمع والذكر والأنثى.

{إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} ... سَامِعُهُ و مجيبه.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (55/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (55/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (77/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (38).

فنادته الملائكة مخاطبة له وهو في حال قيامه للصلاة في مكان عبادته بقولها: إن الله يُبشرك بولد يولد لك اسمه يحيى، من صفته أن يكون مصدقًا بكلمة من الله، وهو عيسى بن مريم -لأنه خُلق خلقًا خاصًّا بكلمة من الله- ويكون هذا الولد سيدًا على قومه في العلم والعبادة، مانعًا نفسه وحابسها عن الشهوات ومنها قُرْبان النساء، متفرغًا لعبادة ربه، ويكون -أيضًا- نبيًّا من الصالحين.(1)

* * *

فنادته الملائكة وهو واقف بين يدي الله في مكان صلاته يدعوه: أن الله يخبرك بخبر يسرُّك، وهو أنك سترزق بولد اسمه يحيى، يُصَدِّق بكلمة من الله -وهو عيسى بن مريم عليه السلام-، ويكون يحيى سيدًا في قومه، له المكانة والمنزلة العالية، وحصورًا لا يأتي الذنوب والشهوات الضارة، ويكون نبيّاً من الصالحين الذين بلغوا في الصَّلاح ذروته.(2)

* * *

فاستجاب الله دعاءه، فنادته الملائكة وهو قائم فى معبده متجهاً إلى ربه، بأن الله يبشرك بولد اسمه يحيى، يؤمن بعيسى - عليه السلام - الذى سيوجد بكلمة من الله فيكون على غير السُنَّة العامة فى التوالد، ويجعله (أى يحيى) يسود قومه بالعلم والصلاة، يعزف عن الشهوات والأهواء، ويجعله من الأنبياء والصالحين.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَحَصُورًا} ... لاَ يَقْرَبُ الذُّنوبَ وَالشَّهَوَاتِ تَعَفُّفًا.

{فَنَادَتْهُ الْمَلَآئِكَةُ} أي: جبريل عليه السلام، وإنما أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيمًا لشأنه.

{مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ} ... هي (عيسى) (عليه السلام) لأنه كان بكلمة الله تعالى (كن).

{وَسَيِّدًا} ... السيد هو الرئيس الذي يُتْبَع ويُنْتَهى إلى قوله، وكان يحيي عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم.

{وَحَصُورًا} ... هو الذي لا يُولَدُ له ولا شهوةَ له في النساء،

يَعْنِي:- هو الذي عُصِمَ وحُفِظَ من الذنوب والشهوات الضارة، وهذا أَلْيَقُ المَعْنَيَيْنِ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {فنادته الملائكة}.

قال الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) عن (السدي): {فنادته الملائكة} وهو جبريل.(4)

* * *

قوله تعالى: {أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ}.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/55). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/55)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/77)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (39).

قال: الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): {أن الله يبشرك بيحيى} قال: عبد أحياه الله بالإيمان. (1)

* * *

وقال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): {مصدقاً بكلمة من الله} يقول: مصدقاً بعيسى بن مريم، وعلى سنته ومنهاجه. (2)

* * *

قوله تعالى: (وسيداً وحصوراً)

قال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): في قوله: (وسيداً) إي والله، لسيد في العبادة والحلم والعلم والورع. (3)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- قَالَ: (ابْنُ جُبَيْرٍ): {حَصُورًا}: لاَ يَأْتِي النِّسَاءَ. (4)

* * *

وقال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قول الله عز وجل: {وسيداً} قال: السيد: الكريم على الله.

وبه عن (مجاهد) الحصور: الذي لا يقرب النساء. (5)

* * *

[٤٠] ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قال: زكريا -عليه السلام:- لَّما بشرته الملائكة بيحيى: يا رب، كيف يكون لي ولد بعد أن صرت شيخًا، وامرأتي عقيم لا يولد لها! قال الله جوابًا على قوله: مَثَلُ خَلْق يحيى على كبر سنِّك وعُقْم زوجك" كخلق الله ما يشاء مما يخالف المألوف عادة" لأن الله على كل شيءٍ قدير، يفعل ما يشاء بحكمته وعلمه. (6)

* * *

قال: زكريا فرحًا متعجبًا: ربِّ أنَّى يكون لي غلام مع أن الشيخوخة قد بلغت مني مبلغها، وامرأتي عقيم لا تلد؟ قال: كذلك يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة المخالفة للعادة. (7)

* * *

ولما سيقت إليه هذه البشرى، اتجه إلى ربه متشوقاً إلى معرفة الكيفية التي يكون بها هذا الغلام، مع عدم توافر الأسباب العادية

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (39).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلْإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (39).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلْإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (39).

(4) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (39). برقم (ج3 / ص 8).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلْإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (39).

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (55/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(7) انظر: (التفسير الميسر) برقم (55/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

لكبر سنه وعقم زوجه، ورد الله عليه بأنه متى شاء أمراً أوجد له سببه، أو خلقه بغير الأسباب المعروفة. فهو يفعل ما يشاء. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{عَاقِرٌ} ... عَقِيمٌ لاَ تَلِدُ.

{امْرَأَتِي عَاقِرٌ} ... عقيم لا تلد.

{كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} ... لا يُعْجِزه شيء، وهو قادر أن يَهَبَكَ الولد على الكبر منك ومن زوجك.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر}.

قال: الإِمَامُ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لم يبين هنا القدر الذي بلغ من الكبر، ولكنه بين في سورة مريم أنه بلغ من الكبر عتيا. وذلك في قوله تعالى عنه {وقد بلغت من الكبر عتيا} والعتي: اليبس والقحول في المفاصل والعظام من شدة الكبر. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي): {قال رب أنى يكون لي غلام} يقول: من أين. (3)

* * *

[٤١] ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمُنتخَب لهذه الآية:

قال: زكريا -عليه السلام-: يا رب، اجعل لي علامة على حمل امرأتي مني، قال الله: علامتك التي طلبتَ هي: ألا تستطيع كلام الناس ثلاثة أيام بلياليهن إلا بالإشارة ونحوها، من غير خلل يصيبك، فأكثِرْ من ذكر الله وتسبيحه في آخر النهار وأوله. (4)

(4)

* * *

قال: زكريَّا -عليه السلام-: رب اجعل لي علامةً أستدلُّ بها على وجود الولد مني "ليحصل لي السرور والاستبشار، قال: علامتك التي طلبتها: ألا تستطيع التحدث إلى الناس ثلاثة أيام إلا بإشارة إليهم، مع أنك سويٌّ صحيح، وفي هذه المدة أكثِرْ من ذكر ربك، وصلِّ له أواخر النهار وأوائله. (5)

* * *

فدعا زكريا ربه أن يجعل له علامة لتحقق هذه البشرى، فأجابه الله بأن علامتك أن تعجز عن كلام الناس ثلاثة أيام إلا بالإشارة

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (77/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (40).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (40).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (55/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (55/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

إليهم بما تريد، وثابر على ذكر ربك وتنزيهه فى المساء والصباح.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{آيَةً} ... علَامَةً أستَدلُّ بِهَا عَلَى وَجودِ الوَلَدِ مني.

{رَمْزًا} ... إشارَة.

{بِالْعَشِيِّ} ... آخر النَّهار.

{اجْعَل لِّي آيَةً} ... علامة أعْلَمُ بها وقْتَ حَمْل امْرأَتي فأزيد من العبادة والشكر لك.

{إِلاَّ رَمْزًا} ... إشارة بالعين أو اليد والإيماء بالرأس.

{سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ} ... عظِّمْ ربَّك ونَزِّهْهُ عن النقائص بالعَشِيِّ: ما بين زوال الشمس إلى غروبها، والإبْكار: ما بَيْنَ طلوع الفجر إلى الضحى.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا} .

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) عن -(مجاهد): {ثلاثة أيَّام إلا رمزًا} قال: إيماؤه بشفتيه.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (إلا رمزًا) إلا إيماء.(3)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- قَالَ: (الضَّحَّاكُ): {إِلاَ رَمْزًا}: إِلاَ إِشَارَةً.(4)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {العَشِيُّ}: مَيْلُ الشَّمْسِ - أُرَاهُ - إِلَى أَنْ تَغْرُبَ. {الإِبْكَارُ}: أَوَّلُ الفَجْرِ.(5)

* * *

وانظر: سورة -(مريم) - الآيات (2-11) - لبيان قصة (زكريا)، - كما قال تعالى: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (9) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/77)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (41).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (41).

(4) انظر: صحيح الإمَامْ (البُخاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (41). برقم (ج 7/ ص 52).

(5) انظر: صحيح الإمَامْ (البُخاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (41). برقم (ج 6/ ص 35).

الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿11﴾}.

* * *

وانظر: سورة - (الأنبياء) - الآية (89-90). - كما قال تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿89﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿90﴾}.

* * *

قوله تعالى: {وسبح بالعشي والإبكار}.

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) عن - (مجاهد): {وسبح بالعشي والإبكار} قال: الإبكار أول الفجر، والعشي ميل الشمس حتى تغيب.(1)

* * *

[٤٢] ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكر أيها الرسول - ﷺ - حين قالت الملائكة لمريم - عليها السلام:- إن الله اختارك لما تتصفين به من صفات حميدة، وطهَّرك من النقائص، واختارك على نساء العالمين في زمانك.(2)

* * *

واذكر أيها الرسول - ﷺ - حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله اختارك لطاعته وطهَّرك من الأخلاق الرذيلة، واختارك على نساء العالمين في زمانك.(3)

* * *

واذكر أيها النبى ﷺ - إذ قالت الملائكة: يا مريم إن الله اختارك لتكونى أم نبيه، وطهرك من كل دنس، وخصك بأمومتك لعيسى بفضل على كل نساء العالمين.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{اصْطَفَاكِ} ... اختارَكِ لِعِبادَتِهِ وَحُسْنِ طَاعَتِه.

{طَهَّرَكِ} ... من الذنوب وسائر النقائص المُخِلَّة بالولاية لله تعالى.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ}.(5)

قال: الإمام (ابن خُزيمة) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- عَنْ (أَنَس بْن مَالِك) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم:- ((خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (41).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (55/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (55/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (77/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) [آل عمران: 42].

وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ)) (1)

* * *

قال: الإمَامُ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قول الله: {إن الله اصطفاك وطهرك} قال: جعلك طيبة إيماناً. (2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- حدثني أحمد بن أبي رجاء حدثنا النضر عن هشام قال: أخبرني أبي قال: سمعت (عبد الله بن جعفر) قال: سمعت علياً - رضي الله عنه - يقول: سمعت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((خيرُ نسائها مريم ابنة عمران، وخيرُ نسائها خديجة)). (3)(4)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- حدثنا آدم، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة قال: سمعت مرّة الهمداني يُحدِّث عن (أبي موسى الأشعري) - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((فضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون)). (5)

* * *

قال: الإمَام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (المصنف) - (بسنده):- أخبرنا (معمر)، عن (قتادة)، -عن (أنس)، أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((حسبك من نساء العالمين: مريم ابنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون)). (6)

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (6951).
واخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3878).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (12414).
انظر: (صَحِيح الْجَامِع) رقم (3143، 3328).
و(صحيح موارد الظمآن) رقم (1870).
و(المشكاة) رقم (6181) للإِمَامْ (الألباني).

(2) كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمرآن) الآية (42). برقم (ص1/ 414)، ا

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (470/6)، (ح 3432) – (كتاب: أحاديث الأنبياء)، / باب: (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك ...)،

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1886/4)، (ح 2430) – (كتاب: فضائل الصحابة)،/ باب: (فضائل خديجة).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (471/6-472)، (ح 3433) – (كتاب: أحاديث الأنبياء)، / باب: قوله تعالى: (إذ قالت الملائكة يا مريم) إلى قوله: (فإنما يقول له كن فيكون)).

(6) أخرجه الإمام (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (430/11)، (ح 20919)،
وأخرجه أيضاً في التفسير) برقم (128/1)، (ح 403) بالإسناد نفسه. ومن طريق-: (عبد الرزاق).
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (جامعه) برقم (703/5)، (ح 3878)- (كتاب: المناقب)، / باب: (فضل خديجة - رضي الله عنها)،
وأخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (135/3)،
وأخرجه الإمام (أبو يعلى) كذلك في (مسنده) برقم (380/5)، (ح 3039)،
وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (71/9)، (ح 6964)
وأخرجه الإمام (الطبراني) في (جامع الكبير) (402/22 ح 1003)، وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (157/3).
وقال: الإمام (الترمذي) في (سننه): (حديث صحيح).
وقال: الإمام (الحاكم): صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الإمام (الذهبي).
و(صحح إسناده) الإمام (الحافظ ابن حجر) في (فتح الباري) برقم (471/6).
وأدخله الإمام (البغوي) في قسم الحسن من "مصابيحه". (انظر: المشكاة 1745/3 ح 6181).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) برقم (3143)، و(صحيح الترمذي) برقم (3053).
وقد روي عن (أنس) بلفظ: "خير نساء العالمين ... ".
أخرجه كذلك (ابن أبي عاصم) في (الآحاد والمثاني) برقم (364/5)، (ح 2961).

* * *

وقــال: الإمَــامْ (البُخَــارِي و مُسلِم) – (رحمهمــا الله) – في (صــحيحيهما) – (بســندهما):- وَعَــنْ (عَلِــيِّ بْــنِ أَبِــي طَالِــبٍ) – رضــي الله عنــه – قَــالَ: قَــالَ رَسُــولُ الله – صــلى الله عليــه وسلــم:- "خَيْــرُ نِسَــائِهَا مَــرْيَمُ ابْنَــةُ عِمْــرَانَ، وَخَيْــرُ نِسَــائِهَا خَدِيجَةُ "[1]

* * *

وقــال: الإمَــامْ (البُخَــارِي و مُسلِم) – (رحمهمــا الله) – في (صــحيحيهما) – (بســندهما):- وَعَــنْ (أَبِــي مُوسَــى الْأَشْــعَرِيِّ) – رضــي الله عنــه – قَــالَ: قَــالَ رَسُــولُ الله – صــلى الله عليــه وسلــم:- "كَمُــلَ مِــنَ الرِّجَــالِ كَــثِيرٌ , وَلَــمْ يَكْمُــلْ مِــنْ النِّسَــاءِ إِلاَ آسِــيَةُ امْــرَأَةُ فِرْعَــوْنَ وَمَــرْيَمُ بِنْــتُ عِمْــرَانَ , وَإِنَّ فَضْــلَ عَائِشَةَ عَلَــى النِّسَــاءِ , كَفَضْــلِ الثَّرِيــدِ[2] عَلَــى سَائِرِ الطَّعَامِ"[3][4]

* * *

وأخرجــــه الإمَــــامْ (البُخَــــارِي و مُسَــــلِم) – في (صـــحيحهما)،- والإمـــام (الترمـــذي) – في (ســـننه)، – والإمَـام (أَحْمَـدُ بْـنُ حَنْبَـلٍ) – في (مُسْـنَده) – (رحمهــم الله) – (بســندهم):- وَعَــنْ (عَائِشَــةَ) – رضــي الله عنهـــا – قَـــالَتْ: ("لَمَّـــا مَـــرِضَ رَسُـــولُ الله – صـــلى الله عليـــه وسلـــم – ")[5] (كُنَّـــا أَزْوَاجَ النَّبِـيِّ – صـلى الله عليـه وسلـم – عِنْـدَهُ جَمِيعًـا، لَـمْ تُغَـادِرْ مِنَّـا وَاحِـدَةٌ، فَأَقْبَلَـتْ فَاطِمَـةُ – رضـي الله عنهـا – تَمْشِـي)[6] (كَـأَنَّ مِشْـيَتَهَا مَشْـيُ النَّبِـيِّ – صـلى الله عليـه وسلـم –)[7] ("فَلَمَّـا رَآهَـا رَسُـولُ الله – صـلى الله عليـه وسلـم – رَحَّـبَ فَقَـالَ: مَرْحَبًـا بِـابْنَتِي، ثُـمَّ أَجْلَسَـهَا عَـنْ يَمِينِـه أَوْ عَـنْ شِـمَالِه)[8] (ثُـمَّ أَسَـرَّ إِلَيْهَـا حَـدِيثًا" فَبَكَـتْ)[9] (بُكَـاءً شَـدِيدًا)[10] (فَقُلْـتُ لَهَـا: لِــمَ تَــبْكِينَ؟)[11] ("فَلَمَّـــا رَأَى حُزْنَهَـــا , سَـــارَّهَا الثَّانِيَـــةَ")[12] (فَضَـــحِكَتْ، فَقُلْـــتُ: مَـــا رَأَيْـــتُ كَـــالْيَوْمِ فَرَحًـــا أَقْـــرَبَ مِـــنْ حُـــزْنٍ، فَسَـــأَلْتُهَا عَمَّـــا قَـــالَ , فَقَالَـــتْ: مَـــا كُنْـــتُ لِأُفْشِـــي

وأخرجــــه الإمــــام (الطبرانــــي) في (جــــامع الكــــبير) بــــرقم (402/22)، (ح 1004).

وأخرجــه الإمــام (ابــن مردويــه) في (تفســيره) -كمــا في (تفســير الإمــام (ابــن كــثير). بــرقم (362/1) - ثلاثــتهم مــن طريــق-: (أبــي جعفــر الــرازي، عــن ثابــت، عــن أنــس) بــه. ويشــهد لــه حــديث علــي – رضــي الله عنــه – مرفوعــاً: ((خــير نســائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة)).

وأخرجــه الإمــام (البخــاري) في (صــحيحه) بــرقم (470/6)، (ح 3432) (فــتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني)

وأخرجه الإمام (مسلم) برقم (1886/4)، (ح 2430).

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3249).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (69) - (2430).

واخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3877).

(2) الثريــد: الطعــام الــذي يُصــنع بخلــط اللحــم والخبــز المُفَتَّــت مــع المــرق , وأحيانــا يكون من غير اللحم.

(3) فيــه دليــل علــى فضــل الثريــد علــى غــيره مــن الأطعمــة. مختصــر الشــمائل: 148.

(4) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3230).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (70) - (2431).

واخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1834).

واخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3947).

(5) (صَــحِيح): وأخرجــه الإِمَــامْ (أحمــد بــن حنبــل) في (المســند) بــرقم (26074).

وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).

(6) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5928).

(7) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3426).

(8) خرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5928).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (98) - (2450).

(9) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3426).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (98 - (2450)

(10) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5928).

(11) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3426).

(12) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5928).

سِرَّ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -)[1] ([1] "فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - " قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْك بِمَا لِي عَلَيْك مِنَ الْحَقِّ لَمَا أَخْبَرْتِنِي فَقَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، " أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ[2] كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَهُ بِهِ بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ)[3] (فَقَالَ: وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي)[4] (فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ "، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، " فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ)[5] (فَقَالَ لِي: " إِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي)[6] (وَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ، أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ)[7] (أَهْلِ الْجَنَّةِ)[8] (إِلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ بِنْتَ عِمْرَانَ؟ ")[9] (فَسُرِرْتُ بِذَلِكَ وَأَعْجَبَنِي)[10] (فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ)[11].

* * *

انظر: (قصة مريم-عليها السلام-) سورة - (مريم) - الآيات (16-29). - كما قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26)

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3426).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (98) - (2450).
(2) أيْ: كَانَ يُدَارِسُه جميعَ ما نَزَلَ من القرآن، من المُعَارَضة، وهي المُقابلة. النهاية (ج 3 / ص 439)
(3) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5928).
(4) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3426)..
و أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (97) - (2450).
(5) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5928).
(6) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم(3426، 3427).
وأخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3872).
(7) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5928).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (99)- (2450).
(8) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3426).
واخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3893).
(9) اخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3893).
وانظر: (صَحِيح الْجَامِع) رقم (3181)، (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) رقم (796).
(10) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (947).
وانظر: (صَحِيح الْأَدَبِ الْمُفْرَد) رقم (729).
(11) أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (98)- (2450)،
وأخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم(5928).
واخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1621).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (26456).

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29)}.

* * *

[٤٣] ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا مريم، أطيلي القيام في الصلاة، واسجدي لربك، واركعي له مع الراكعين من عباده الصالحين.(1)

* * *

يَعْنِي:- يا مريم داومي على الطاعة لربك، وقومي في خشوع وتواضع، واسجدي واركعي مع "الراكعين" شكراً لله على ما أولاك من نعمه.(2)

* * *

يَعْنِي:- وهذا يا مريم يستوجب منك الشكر لربك، فالزمي طاعته، وصلي له، وشاركي الذين يعبدونه ويصلون له.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{اقْنُتِي} ... دَاومِي عَلَى الطَّاعَة.

{اقْنُتِي لِرَبِّكِ} ... أَطِيعِي رَبَّكِ وَاخْشَعِي.

{وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} ... كناية عن صلاة الجماعة في بيت المقدس.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {يا مريم اقنتي لربك}

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) عن -(مجاهد): (يا مريم اقنتي لربك) قال: أطيلي الركوع، يعني القنوت.(4)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): في قوله: (اقنتي لربك) أطيعي ربك.(5)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه):- يُقَالُ: {يَكْفُلُ} يَضُمُّ، (كَفَلَهَا): ضَمَّهَا، مُخَفَّفَةً، لَيْسَ مِنْ كَفَالَةِ الدُّيُونِ وَشِبْهِهَا.(6)

* * *

وانظر: سورة - (البقرة) - آية (116). -

كما قال تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ}.

* * *

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (55/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (55/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (77/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (43).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (43).

(6) انظر: صحيح الإمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (43). برقم (ج 4/ ص 164).

[٤٤] ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ذلك المذكور من خبر زكريا ومريم - عليهما السلام - من أخبار الغيب نوحيه إليك أيها الرسول - ﷺ - وما كنت عند أولئك العلماء والصالحين حين اختصموا فيمن هو أحق بتربية مريم، حتى لجؤوا للقرعة فألقوا أقلامهم، ففاز قلم زكريا - عليه السلام. (1)

* * *

يَعْنِي:- ذلك الذي قصصناه عليك أيها الرسول - ﷺ - من أخبار الغيب التي أوحاها الله إليك، إذ لم تكن معهم حين اختلفوا في كفالة مريم أيُّهم أحق بها وأولى، ووقع بينهم الخصام، فأجْرَوْا القرعة بإلقاء أقلامهم، فأصابت زكريا - عليه السلام، ففاز بكفالتها. (2)

* * *

يَعْنِي:- ذلك الذى قصه القرآن عليك يا محمد من الأخبار العظيمة عَمَّن اصطفاهم الله، هو من الغيب الذى أوحى الله به إليك. وما كنت حاضراً معهم وهم يقترعون بالسهام ليعلم بالقرعة من يقوم بشئون مريم، وما كنت معهم وهم يختصمون فى نيل هذا الشرف العظيم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ} ... يَطرَحُونَ سِهَامَهُمْ للاقْتِرَاعِ.

{أَنْبَاءِ الْغَيْبِ} ... أخبار الغَيْب وهو حديث (زَكَرِيَّا ويحيى ومريم وعيسى).

{نُوحِيهِ إِلَيكَ} ... نُلْقيه إِلَيْكَ" لأنَّكَ لا يمكن أن تعلم أخبار الأمم الماضية إلا بِوَحْيٍ منَ الله.

{إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ} ... اختلف العلماء في تفسيرها، فقيل: إنها على ظاهرها أنهم ألقوا أقلامهم التي يكتبون بها، يَعْنِي:- إن المراد بها سِهَامُهُم التي تكون في النصل يرمون بها، وسميت قلمًا" لأنها تُشْبِهُهُ في الاسْتِطَالَة، ودقة الرأس، وظاهر القرآن أن المراد بالأقلام الأقلام حقيقةً التي يكتب بها، ولا نعدل عن ظاهر القرآن إلا بدليل.

{أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} ... يربيها ويقوم بمصلحتها.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم}.

قال الإمَام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): في قوله:

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (55/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (55/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (78/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(وما كنت لديهم) يعني: محمداً – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): {يلقون أقلامهم} زكريا وأصحابه، استهموا بأقلامهم على مريم حين دخلت عليهم.(2)

* * *

[٤٥] ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

اذكر أيها الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إذ قالت الملائكة: يا مريم، إن الله يبشّرك بولد يكون خَلْقُه من غير أب، وإنما بكلمة من الله بأن يقول له: "كن"، فيكون ولدًا بإذن الله، واسم هذا الولد: المسيح عيسى بن مريم، له مكانة عظيمة في الدنيا وفي الآخرة، ومن المقربين إليه تعالى.(3)

* * *

يَعْنِي:- وما كنت -يا نبي الله- هناك حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله يُبَشِّرْك بولد يكون وجوده بكلمة من الله، أي يقول له: ‹ كن ›، فيكون، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، له الجاه العظيم في الدنيا والآخرة، ومن المقربين عند الله يوم القيامة.(4)

* * *

يَعْنِي:- اذكر أيها النبي ﷺ – إذ بشرت الملائكة مريم بمولود خلقه الله بكلمة منه على غير السُّنَّة العادية فى التوالد، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وقد خلقه الله ذا مكانة فى الدنيا بالنبوة والبراءة من العيوب، وفى الآخرة بعلو درجته مع الصفوة المقربين إلى الله من النبيين أولى العزم.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ} ... سَمَّاهُ كَلِمَةً" لأنه كان من الكلمة وهي (كن).

{اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} ... اختار الله تعالى له اسم المسيح" لأنه كان لا يَمْسَح ذا عَاهةٍ إلا بَرِئَ، أو لِكَثْرَةِ مَسْحِه الأرض وسَيْرِه فيها، أو من المَسْحة وهي الجَمَال، والمعنى الأول أشهر.

والمسيح فعيل بمعنى فاعل، إلا على قول من يقول: إن المراد بذلك المسح من الجمال، فهذا يكون بمعنى مفعول.

{وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ} ... شريفًا رفيعًا ذا جاه وقَدْرٍ في الدنيا بسبب النبوة، وفي الآخرة بِسَبِبِ عُلُوِّ مَرْتَبَتِه في الجَنَّة.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (44).

(2) انظر: في سورة (آل عمرآن) الآية (44). (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) للشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (56/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (56/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (78/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} ... الذين هم أقرب الخلائق إلى الله وأعلاهم درجةً، وهذه بشارة لا يشبهها شيء في البشارات.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمامُ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين} لم يبين هنا هذه الكلمة التي أطلقت على عيسى لأنها هي سبب في وجوده من إطلاق السبب وإرادة مسببه، ولكنه بين في موضع آخر أنها لفظة كن وذلك في قوله: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن). (1)

* * *

وقال: الإمامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- (2) {يُبَشِّرُكِ}، وَيَبْشُرُكِ: وَاحِدٌ،

وَقَالَ: (إِبْرَاهِيمُ): {الْمَسِيحُ}: الصِّدِّيقُ،

{وَجِيهًا}: شَرِيفًا.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): الكَهْلُ: الحَلِيمُ،

* * *

قال: الإمامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (بكلمة منه) قال: قوله كن. (3)

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52)

* * *

قال: الإمامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (ومن المقربين) يقول: من المقربين عند الله يوم القيامة. (4)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- عناية الله تعالى بأوليائه، فإنه سبحانه يجنبهم السوء، ويستجيب دعاءهم.
- فَضْل مريم - عليها السلام - حيث اختارها الله على نساء العالمين، وطهَّرها من النقائص، وجعلها مباركة.

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (45).

(2) انظر: صحيح الإمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (45). برقم (ج 4/ ص 165).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (45).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (45).

• كلما عظمت نعمة الله على العبد عَظُم ما يجب عليه من شكره عليها بالقنوت والركوع والسجود وسائر العبادات.

• مشروعية القُرْعة عند الاختلاف فيما لا بَيِّنة عليه ولا قرينة تشير إليه. (1)

* * *

[٤٦] ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويكلم الناس وهو طفل صغير قبل أوان الكلام، ويكلمهم وهو كبير قد كَملت قوَّته ورجولته، يخاطبهم بما فيه صلاح أمر دينهم ودنياهم، وهو من الصالحين في أقوالهم وأعمالهم. (2)

* * *

يَعْني:- ويكلم الناس وهو رضيع قبل أوان الكلام، ويدعوهم إلى الله وهو كبير قد اجتمعت قوته وكمل شبابه بما أوحاه الله إليه. وهذا تكليم النبوَّة والدعوة والإرشاد، وهو معدود من أهل الصلاح والفضل في قوله وعمله. (3)

* * *

يَعْني:- وميَّزه الله بخصائص، فكان يكلم الناس وهو طفل في مهده كلاماً مفهوماً حكيماً، كما يكلمهم وهو رجل سوى، من غير تفاوت بين حالتى الطفولة والكهولة. وكان ممن منحهم الله الصلاح. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ} ... صغيرًا في المهد يقول: (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًّا).

{كَهْلًا} ... الكَهَالَةُ في اللغة: هي اجتماع القوة واكتمال الشباب، والكَهْلُ عند العرب هو الذي جَاوَزَ الثَّلاثِين.

{وَمِنَ الصَّالِحِينَ} ... الذين أصْلَحَ الله قُلُوبَهُمْ بمعرفته وَحُبِّه، وألْسِنَتَهُمْ بالثَّنَاءِ عَلَيْه وَذِكره، وجوارحهم بطاعته وخدمته.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين}.

قال: الإمَامْ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لم يبين هنا ما كلمهم به في المهد. ولكنه بينه في سورة مريم بقوله (فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا). (5)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (55/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (56/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (56/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (78/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (46).

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):-

حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم، عن محمد بن سيرين، عن (أبي هريرة)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى. وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي، فجاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبُّوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام فقال: مَن أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمر رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه))، -قال (أبو هريرة): كأني أنظر إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يمص إصبعه- ((ثم مر بأمة فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، هذه الأمة يقولون: سرقت زنيت ولم تفعل)).(1)(2)

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (549/6)، (ح 3436)-(كتاب: أحاديث الأنبياء)، قول الله: (واذكر في الكتاب مريم ...)).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1976/4-1977) بعد برقم (2550)-(كتاب: البر والصلة)، / باب: تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة).

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين﴾ يقول: يكلمهم صغيراً وكبيراً.(3)

* * *

وأخرج الإِمَامْ (البُخَارِي و مُسلِم) - في (صحيحهما)، - والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم):- وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: (" لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلاَّ ثَلاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - عليه السلام - وَصَبِيٌّ كَانَ فِي زَمَانِ جُرَيْجٍ)(4) (وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا)(5) (مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)(6) (يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ)(7) (وَكَانَتْ لَهُ أُمٌّ)(8) (فَاشْتَاقَتْ إِلَيْهِ)(9) (يَوْمًا)(9) (فَأَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي)(10) (- قَالَ حُمَيْدٌ: فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أُمَّهُ حِينَ دَعَتْهُ , كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ - فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ , أَنَا أُمُّكَ ,(11)

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (46).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).

وأخرجه الإِمَامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (3253).

(5) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550)

(6) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).

(7) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550)

(8) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).

(9) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).

(10) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).

(11) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).

كَلِّمْنِي (1) فَقَالَ: يَا رَبِّ، الصَّلَاةُ خَيْرٌ أَمْ أُمِّي آتِيهَا؟ (2) فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَرَجَعَتْ فَرَجَعَتْ (3) فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ (4) أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِي (5) فَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ (6) فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ (7) فَاشْتَدَّ عَلَى أُمِّهِ (8) (9) فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَهُوَ ابْنِي، وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، اللَّهُمَّ فَلَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ (10) قَالَ: وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ، لَفُتِنَ (11) فَذَكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَوْمًا (12) جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ (13) فَقَالَتْ: امْرَأَةٌ (14) بَغِيٌّ مِنْهُمْ (15) يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا: لَئِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ (16) فَقَالُوا: قَدْ شِئْنَا، فَأَتَتْهُ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا (17) فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا (18) فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ (19) فَجَاءُوا بِفُؤُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ (20) فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي (21) فَنَادَوْهُ: (22) أَيْ جُرَيْجُ، أَيْ مُرَاءٍ، انْزِلْ (23) فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ (24) وَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ يُصَلِّي (25) فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ (26) فَجَعَلُوا فِي عُنُقِهِ وَعُنُقِهَا حَبْلًا، وَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِمَا فِي النَّاسِ (27) وَشَتَمُوهُ، وَضَرَبُوهُ، وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟، قَالُوا: إِنَّكَ زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ (28) فَوَلَدَتْ مِنْكَ

---

(1) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
(2) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
(3) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
(4) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
(5) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
(6) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
(7) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
(8) أي: غضبت.
(9) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
(10) أيْ: البغايا والزواني.
(11) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
وأخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2350).
(12) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
(13) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
(14) أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2350).
(15) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
(16) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
(17) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
وأخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2350).
(18) أيْ: زنى بها.
(19) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
وأخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2350).
(20) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
(21) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
(22) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (9600).
(23) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8982).
(24) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
(25) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8982).
(26) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
(27) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8982).
(28) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
وأخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2350).

(غُلَامًا)(1) (فَتَبَسَّمَ ثُمَّ)(2) (قَالَ:)(3) (قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ , قَالُوا: هَا هُوَ ذَا)(3) (فَجَاءُوا بِهِ , فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ)(4) أُصَلِّيَ)(5) (فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى)(6) (وَدَعَا , ثُمَّ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْغُلَامِ)(7) (فَمَسَحَ رَأْسَهُ)(8).

وفي رواية: (فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ)(9) (بِإِصْبَعِهِ , (بِإِصْبَعِهِ)(9) , وَقَالَ: بِاللهِ يَا غُلَامُ , مَنْ أَبُوكَ؟)(10) (قَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ , فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ)(11) (أَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ , وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ)(12) (بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ؟)(13) (قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ)(14) (أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ)(15) (فَفَعَلُوا)(16) (ثُمَّ عَلَاهَا)(17)

(قَالَ: وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا)(18) (فَارِسٌ مُتَكَبِّرٌ)(19) (رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ)(20) (وَعَلَيْهِ شَارَةٌ حَسَنَةٌ)(21) (فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا)(22) (الْفَارِسِ , عَلَى مِثْلِ هَذَا الْفَرَسِ , فَتَرَكَ الصَّبِيُّ)(23) (الثَّدْيَ , وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ)(24) (ثُمَّ عَادَ إِلَى ثَدْيِهَا يَمُصُّهُ - قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ)(25) (يَمُصُّ إِصْبَعَهُ)(26) (السَّبَّابَةَ فِي فَمِهِ , يَحْكِي ارْتِضَاعَ الصَّبِيِّ -)(27) (قَالَ: ثُمَّ مُرَّ)(28) (بِجَارِيَةٍ)(29) (حَبَشِيَّةٍ تُجَرُّ)(30)

---

(1) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
(2) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
(3) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
(4) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
(5) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
(6) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2350).
(7) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (325).
(8) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
(9) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
(10) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
(11) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3253).
(12) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
(13) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
(14) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
(15) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3250).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
(16) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
(17) أيْ: صعد إليها.
(18) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (7) - (2550).
(19) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3253).
(20) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (9124).
(21) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
(22) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (9124).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3253).
(23) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
(24) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (9124).
(25) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3253).
(26) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
(27) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3253).
(28) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
(29) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3253).
(30) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).

(وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا, وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ, سَرَقْتِ, وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا, فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ, فَقَالَتْ: حَلْقَى[2] مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ, فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ؟، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ, سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا؟) [1] (فَقَالَ: يَا أُمَّاهُ, إِنَّ الرَّاكِبَ ذُو الشَّارَةِ, جَبَّارٌ مِنْ الْجَبَابِرَةِ) [3] (إِنَّكَ دَعَوْتَ رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِثْلَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ) [4] (فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيْتِ, وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ, وَلَمْ تَسْرِقْ) [5] (يَسُبُّونَهَا وَيَضْرِبُونَهَا, وَيَظْلِمُونَهَا) [6] (وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ) [7] (فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا") [8] [9]

* * *

[٤٧] ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمُنتخَب لهذه الآية:

قالت: مريم مستغربةً أن يكون لها ولد من غير زوج: كيف يكون لي ولد لم يقربني بشر لا في حلالٍ ولا في حرام؟! قال لها المَلَك: مثلُ ما خلق الله لك ولدًا من غير أب، يخلق ما يشاء مما يخالف المألوف والعادة، فإذا أراد أمرًا قال له: "كن" فيكون، فلا يعجزه شيء.[10]

* * *

يَعْنِي:- قالت: مريم متعجبة من هذا الأمر: أنَّى يكون لي ولد وأنا لست بذات زوج ولا بَغِيّ؟ قال لها المَلَك: هذا الذي يحدث لك ليس بمستبعد على الإله القادر، الذي يوجد ما يشاء من العدم، فإذا أراد إيجاد شيء فإنما يقول له: ‹كُن› فيكون.[11]

* * *

---

(1) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (9124).
(2) أيْ: دعت على نفسها بأن يُحلَق شعرُها
(3) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3253).
(4) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3253).
(5) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (9124).
(6) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3253).
(7) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (9124).
(8) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3279).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8058).
(9) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (8) - (2550).
(10) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (56/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(11) انظر: (التفسير الميسر) برقم (56/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يَعْنِي:- قالت: مريم - متعجبة من وجود الولد على غير نظام التوالد:- من أين يكون لى ولد ولم يمسسنى رجل؟ فذكر الله تعالى لها أنه يخلق ما يشاء بقدرته غير مقيد بالأسباب العادية، فإنه إذا أراد شيئاً أوجده بتأثير قدرته فى مراده من غير افتقار إلى موجب آخر.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ} ... يصيبني رَجُلٌ، وقولها تعجبًا لا شكًّا في قدرة الله" إِذْ لَمْ تَكُنِ الْعَادَةُ جَرَتْ أَنْ يُولَدَ ولد من غير أب.

{كُنْ فَيَكُونُ} ... ليعلم العِبَادُ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر} الآية

قال: الإِمَامُ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- أشار في هذه الآية إلى قصة حملها بعيسى وبسطها مبينة في سورة (مريم) بقوله: {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فا تخذت من دونهم حجابا}. إلى آخر القصة وبين النفخ فيها في سورة التحريم والأنبياء، معبراً في التحريم بالنفخ في فرجها، وفي الأنبياء بالنفخ فيها.(2)

* * *

[٤٨] ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويُعلمه الكتابة والإصابة والتوفيق في القول والعمل، ويعلمه التوراة التي أنزلها على موسى - عليه السلام -، ويعلمه الإنجيل الذي سينزله عليه.(3)

* * *

يَعْنِي:- ويعلمه الكتابة، والسداد في القول والفعل، والتوراة التي أوحاها الله إلى موسى -عليه السلام-، والإنجيل الذي أنزل الله عليه.(4)

* * *

يَعْنِي:- والله يُعلِّم هذا الوليد الكتابة، والعلم الصحيح النافع، والتوراة (كتاب موسى) والإنجيل الذى أوحاه الله إليه.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ} ... جِنْس الكتب السابقة والحكم بَيْنَ النَاس ويعطيه النبوة.

{وَالْحِكْمَةَ} ... العِلْم وأحكام الشَّرائع.

{وَالتَّوْرَاةَ} ... التي نَزَلَتْ عَلَى موسى -عليه السلام.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {ويعلمه الكتاب والحكمة}.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (78/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمرآن) الآية (47).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (56/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (56/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (78/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

قــال: الإِمَــامُ (الطــبري) – (رحمــه الله) - في (تفسيــره):- (بســنده الحســن) – عــن (قتــادة): {ويعلمــه الكتاب والحكمة} قال: الحكمة: السنة.[1]

* * *

[٤٩] ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويجعله -كذلك- رسولًا إلى بني إسرائيل، حيث يقول لهم: إني رسول الله إليكم قد جئتكم بعلامة دالة على صدق نبوتي هي: أني أصوِّر لكم من مادة الطين مثل شكل الطير، فأنفخ فيه فيصير طيرًا حيًّا بإذن الله، وأشفي من وُلد أعمى فيبصر، ومن أصيب ببَرَص فيعود جلده سليمًا، وأُحْيي من كان ميتًا، كل ذلك بإذن الله، وأخبركم بما تأكلون وبما تخبئون في بيوتكم من طعام وتخفونه، إن فيما ذكرته لكم من هذه الأمور العظيمة التي لا يقدر عليها البشر" لعلامة ظاهرة على أني رسول من الله إليكم، إن كنتم تريدون الإيمان، وتصدقون بالبراهين.[2]

* * *

ويجعله رسولا إلى بني إسرائيل، ويقول لهم: إني قد جئتكم بعلامة من ربكم تدلُّ على أني مرسل من الله، وهي أني أصنع لكم من الطين مثل شكل الطير، فأنفخ فيه فيكون طيرًا حقيقيا بإذن الله، وأَشفي مَن وُلِد أعمى، ومَن به برص، وأُحيي من كان ميتًا بإذن الله، وأخبركم بما تأكلون وتدَّخرون في بيوتكم من طعامكم. إن في هذه الأمور العظيمة التي ليست في قدرة البشر لدليلا على أني نبي الله ورسوله، إن كنتم مصدِّقين حجج الله وآياته، مقرِّين بتوحيده.[3]

* * *

ويبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل، مستدلا على صدق رسالته بمعجزات من الله، هى أن يصور لكم من الطين صورة مثل صورة الطير، ينفخ فيها فتحل فيها الحياة وتتحرك طائراً بإرادة الله، ويشفى بتقدير الله من وُلِدَ أعمى فيبصر، ومن به برص فيزول برصه، ويعيد الحياة إلى من فقدها. كل ذلك بإذن الله وإرادته، ويخبرهم بما يدَّخرون فى بيوتهم من مأكول وغيره، ويقول لهم: إن هذه الآيات التى أظهرها الله على يدىَّ حجة على أن

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (48).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (56/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (56/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

رسالتي حق إن كنتم ممن يذعنون له ويصدقون به.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{الأَكْمَهَ} ... مَنْ وُلِدَ أَعْمَى.

{أَخْلُقُ لَكُمْ} ... أُصوِّر لكم، لا الخلق الَّذي هو الإنشاء والاختراع" إذ ذاك لله تعالى.

{كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ} ... كَصُورَةِ الطَّيْرِ.

{الأَكْمَهَ} ... الَّذِي وُلِدَ أَعْمَى.

{الأَبْرَصَ} ... ذو البرص وهو مَرَضٌ عياء عَجِزَ عنه الطبُّ القديمُ والحديث، وَالْبَرَص: بياضٌ يُصيبُ الْجِلْدَ الْبَشَرِيَّ.

{وَمَا تَدَّخِرُونَ} ... تَخْبِسُونَ وَتُخْفُونَ عن أطفالكم من الطعام وغيره.

{لآيَةً لَّكُمْ} ... لَدَلَالَةً عَلَى صِدْقِي (أني رسولٌ من الله).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {وأبرئ الأكمه والأبرص}.

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): (وأبرئ الأكمه) قال: الأكمه: الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، فهو يتكمه.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قال: (الأكمه): الأعمى.(3)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {الأَكْمَهُ}: مَنْ يُبْصِرُ بِالنَّهَارِ، وَلاَ يُبْصِرُ بِاللَّيْلِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: مَنْ يُولَدُ أَعْمَى.(4)

* * *

قوله تعالى: {وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم}.

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قول الله: (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) قال: بما أكلتم البارحة، وما خبأتم منه عيسى ابن مريم يقوله.(5)

* * *

[٥٠] ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وجئتكم -كذلك- مصدقًا لما نزل قبلي من التوراة، وجئتكم لأحل لكم بعض ما حُرِّم عليكم من قبلُ، تيسيرًا وتخفيفًا عليكم، وجئتكم بحجة واضحة على صحة ما قلت لكم، فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه.(6)

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/78)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (49).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (49).
(4) انظر: صحيح الإمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (49). برقم (ج 4/ ص 165).
(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (49).
(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/56). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

وجئتكم مصدقًا بما في التوراة، ولأحلَّ لكم بوحي من الله بعض ما حرَّمه الله عليكم تخفيفًا من الله ورحمة، وجئتكم بحجة من ربكم على صدق ما أقول لكم، فاتقوا الله ولا تخالفوا أمره، وأطيعوني فيما أبلغكم به عن الله. (1)

* * *

وأُرسلت إليكم مصدقاً لشريعة التوراة التى نزلت على موسى، ولأبيح لكم بأمر الله بعض ما حُرِّم عليكم من قبل، وقد جئتكم بآية من الله على صدق رسالتى. فاتقوا الله وأطيعون. (2)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): (وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) كان الذي جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى، وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الإبل والشروب، وأشياء من الطير: الحيتان. (3)

* * *

قوله تعالى: {وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ}.

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) عن (مجاهد): ({وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) قال: ما بين لهم عيسى من الأشياء كلها، وما أعطاه ربه. (4)

* * *

[٥١] ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والمُيسر والمُنتخب لهذه الآية:

ذلك لأن الله ربي وربكم، فهو وحده المُستحقُّ أن يُطاع ويُتقى، فاعبدوه وحده، هذا الذي أمرتكم به من عبادة الله وتقواه هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه. (5)

* * *

يَعْنِي:- إن الله الذي أدعوكم إليه هو وحده ربي وربكم فاعبدوه، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له، وهذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه. (6)

* * *

يَعْنِي:- إن الله الذى أدعوكم إليه هو - وحده - ربى وربكم فاعبدوه وأخلصوا العبادة له، فإن هذا هو الطريق الذى لا عوج فيه. (7)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (56/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (79/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (50).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (50).
(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (56/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (56/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(7) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (79/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

انظر: سورة -(الفاتحة) – الآية الصراط المستقيم: الإسلام. - كما قال تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)}.

قوله تعالى. {اِهْدِنَا}. أي ارشدنا ووفقنا.

قال: (الأدفوي): (هدى) أرشد، كما قال جل ثناؤه: {وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ} (1).

و (هدى):- بيّن. كما قال جل ثناؤه: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} (2).

و (هدى):- بمعنى ألهم. كما قال تبارك اسمه {الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (3). أي ألهمه مصلحته وقيل إتيان الأنثى.

و (هدى):- بمعنى دعا. كما قال جل ثناؤه {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} (4). وأصل هذا كله: أرشد، ويكون (هدى): بمعنى وفق ومنه {وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (5). لا يوفقهم ولا يشرح للحق والإيمان صدورهم (6).

وقد علمنا الله تعالى كيفية الهداية إلى الصراط المستقيم بقوله تعالى: {وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (7).

* * *

قوله تعالى: {الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}.

وهو: دين الإسلام. وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (8).

فقد ذكر الله عز وجل أن الصراط المستقيم هو دين إبراهيم كما في الآية الأولى ثم بين أن هذا الدين هو الإسلام، كما في الآية الثانية، وقد ثبت هذا التفسير عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

* * *

قال: الشيخ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم قال تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} ... أي: دلنا وأرشدنا، ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط. فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علما وعملا. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا وجب على الإنسان أن

(1) سورة {ص: 22}.
(2) سورة {فصلت: 17}.
(3) سورة {طه: 50}.
(4) سورة {الرعد: 7}.
(5) سورة {البقرة: 258}.
(6) (تفسير الأدفوي) ص (587-598).
(7) سورة {آل عمران: 101}.
(8) سورة {الأنعام: 161-163}.

يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك.(1)

* * *

قال: الإمام (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (المُسْنَد) – (بِسنده):- ثنا الحسن بن سوار أبو العلاء، ثنا ليث يعني: ابن سعد، عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير حدثه عن أبيه عن (النواس ابن سمعان الأنصاري) عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فذكر حديثا طويلا والشاهد فيه: والصراط: الإسلام.(2)

وأخرجه الإمام أحمد.(3)

أيضاً والترمذي(4) و(حسنه)،

وأخرجه الإمام (النسائي)(5)، كلهم من طريق (خالد بن معدان) عن (جبير بن نفير) به مختصرا،

وأخرجه الإمام (الطبري).(6)

وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم).(7)

وأخرجه الإمام (الآجري).(8) من طريق (معاوية ابن صالح) عن (عبد الرحمن بن جبير) به باختصار فذكروا الشاهد نفسه.(9)

* * *

[٥٢] ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فلما علم عيسى - عليه السلام - منهم الإصرار على الكفر، قال مخاطبًا بني إسرائيل: من ينصرني في الدعوة إلى الله؟ قال الأصفياء من أتباعه: نحن أنصار دين الله، آمنا بالله واتبعناك، واشهد - يا عيسى - بأنا منقادون لله بتوحيده وطاعته.(10)

* * *

يَعْنِي:- فلما استشعر عيسى منهم التصميم على الكفر نادى في أصحابه الخُلَّص: مَن يكون معي في نصرة دين الله؟ قال أصفياء عيسى: نحن أنصار دين الله والداعون إليه، صدَّقنا بالله واتبعناك، واشهد أنت يا عيسى بأنا مستسلمون لله بالتوحيد والطاعة.(11)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) (39/1)، للشيخ: (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي).

(2) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (182/4).

(3) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (المسند) برقم (182/4).

(4) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3019). (أبواب الأمثال).

(5) أخرجه الإمام (النسائي) في (تفسيره) ص (89/1).

(6) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) برقم (187/1).

(7) أخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير) برقم (33).

(8) (الشريعة) ص (12).

(9) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (87/1) (سورة الفاتحة)، للمؤلف: أ. الدكتور. (حكمت بن بشير بن ياسين).

(10) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (56/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(11) انظر: (التفسير الميسر) برقم (56/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يَعْنِي:- ولما جاء عيسى - عليه السلام - دعا قومه إلى الصراط المستقيم، فأبى أكثرهم، فلما علمَ منهم ذلك اتجه إليهم مناديا: من يناصرنى فى هذا الحق الذى أدعو إليه؟ فأجابه خاصة المؤمنين بالله وبه: نحن نؤيدك وننصرك لأنك داع إلى الله، واشهد بأنا مخلصون لله منقادون لأمره.(1)
لأمره.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ} ... عَلِمَ فِيهِمُ الكفرَ به وبما جاء به وَهَمَّهُمْ بِأَذِيَّتِه.

{الْحَوَارِيُّونَ} ... أَصْفِيَاءُ عِيسَى - عليه السلام -.

{الْحَوَارِيُّونَ} ... الأنصارُ وهم أصفياءُ عِيسَى وَخَوَاصُّهُ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} الآية. لم يبين هنا الحكمة في ذكر قصة الحواريين مع عيسى ولكنه بين في سورة الصف أن حكمة ذكر قصتهم هي أن تتأسى بهم أمة محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في نصرة الله ودينه، ذلك في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله} الآية.(2)

* * *

قوله تعالى: {قال الحواريون نحن أنصار الله}.

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا عبد العزيز -هو ابن أبي سلمة- عن (محمد بن المنكدر عن جابر) - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((إن لكل نبي حواريا، وإن حواريَّ الزبير بن العوام)).(3)(4)

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (79/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (52).

(3) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (99/7)، (ح 3719) - (كتاب: فضائل الصحابة)، / باب: (مناقب الزبير بن العوام).

(4) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمُ) في (صحيحه) برقم (1879/4)، (ح 2415) - (كتاب: فضائل الصحابة)، / باب: (من فضائل طلحة والزبير)- من طريق - (ابن عيينة، عن ابن المنكدر به).

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- (معلّقًا): عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَ الْحَوَارِيُّونَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ، قَالَ: كَانُوا صَيَّادِينَ. (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- شرف الكتابة والخط وعلو منزلتهما، حيث بدأ الله تعالى بذكرهما قبل غيرهما.
- من سنن الله تعالى أن يؤيد رسله بالآيات الدالة على صدقهم، مما لا يقدر عليه البشر.
- جاء عيسى - عليه السلام - بالتخفيف على بني إسرائيل فيما شدِّد عليهم في بعض شرائع التوراة، وفي هذا دلالة على وقوع النسخ بين الشرائع. (2)

* * *

[٥٣] ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرسول - فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقال: الحواريون كذلك: ربنا آمنا بما أنزلت من الإنجيل، واتبعنا عيسى - عليه السلام -، فاجعلنا مع الشاهدين بالحق الذين آمنوا بك وبرسلك. (3)

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (56) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (58) إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61)

* * *

يَعْنِي:- ربنا صدَّقنا بما أنزلت من الإنجيل، واتبعنا رسولك عيسى عليه السلام، فاجعلنا ممن شهدوا لك بالوحدانية ولأنبيائك بالرسالة، وهم أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - الذين يشهدون للرسل بأنهم بلّغوا أممهم. (4)

* * *

يَعْنِي:- ونحن نقول: يا ربنا، صدَّقنا بكتابك الذى أنزلته على نبيك، وامتثلنا أمر رسولك عيسى - عليه السلام - فاكتبنا

---

(1) اخرجه الإِمَامُ (البخاري) (معلّقًا) برقم (ج5/ ص21).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (مختصر صحيح البخاري) حديث: (1579).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (56/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (57/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (57/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

من الشاهدين لرسولك بالتبليغ، وعلى بني إسرائيل بالكفر والجحود.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{مَعَ الشَّاهِدِينَ} ... الَّذِينَ شَهِدُوا لأنبيائك بالصِّدْقِ، واتَّبَعُوا أَمْرَك وَنَهْيَك.

* * *

[٥٤] ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ومَكَر الكافرون من بني إسرائيل حيث سعوا في قتل عيسى - عليه السلام -، فمكر الله بهم فتركهم في ضلالهم، وألقى شَبَهَ عيسى - عليه السلام - على رجل آخر، والله خير الماكرين" لأنه لا أشد من مكره تعالى بأعدائه.(2)

* * *

ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل بعيسى عليه السلام، بأن وكَّلوا به من يقتله غيلةً، فألقى الله شَبَه عيسى على رجل دلَّهم عليه فأمسكوا به، وقتلوه وصلبوه ظناً منهم أنه عيسى- عليه السلام، والله خير الماكرين. وفي هذا إثبات صفة المكر لله -تعالى- على ما يليق بجلاله وكماله" لأنه مكر بحق، وفي مقابلة مكر الماكرين.(3)

* * *

أما الجاحدون فقد دَبَّروا تدبيراً خفياً يحاربون به دعوة عيسى، فأبطل الله كيدهم فلم ينجحوا فيما أرادوا، والله أحكم المدبرين وأقواهم.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ} ... الضميرُ يعودُ عَلَى الَّذِينَ كفروا بعيسى، والمكرُ: هُوَ أن يُتَوصَّلَ إلى الانتقام مِن خَصْمه بأسباب غيرِ مُتَوقَّعَة، يعني بأسباب خَفِيَّة، ينتقمُ مِنْ خَصْمه والمضادُ له بأسبابٍ خَفِيَّةٍ، وَيُشْبِهُهُ الخداعُ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين} .

قال الإِمَامُ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لم يبين هنا مكر اليهود بعيسى ولا مكر الله باليهود، ولكنه بين في موضع آخر أن مكرهم به محاولتهم قتله، وذلك في قوله: {وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله} وبين أن مكره بهم إلقاؤه الشبه على غير عيسى وإنجاؤه عيسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام-،

وذلك قوله: {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم} .

وقوله: {وما قتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه} . الآية.(5)

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (79/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (57/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (57/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (79/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (54).

* * *

[٥٥] ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومكر الله بهم -أيضًا- حين قال: مخاطبًا عيسى - عليه السلام:- يا عيسى، إني قابضك من غير موت، ورافعٌ بدنك وروحك إلي، ومُنزِّهك من رِجْس الذين كفروا بك ومُبعِدك عنهم، وجاعل الذين اتبعوك على الدين الحق -ومنه الإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - فوق الذين كفروا بك إلى يوم القيامة بالبرهان والعزة، ثم إليَّ وحدي رجوعكم يوم القيامة، فأحكم بينكم بالحق فيما كنتم فيه تختلفون.(1)

* * *

يَعْنِي:- ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى: إني قابضك من الأرض من غير أن ينالك سوء، ورافعك إليَّ ببدنك وروحك، ومخلصك من الذين كفروا بك، وجاعل الذين اتبعوك -أي على دينك وما جئت به عن الله من الدين والبشارة بمحمد - صلى الله عليه وسلم- وآمنوا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- بعد بعثته، والتزموا شريعته- ظاهرين على الذين جحدوا نبوتك إلى يوم القيامة، ثم إليّ مصيركم جميعًا يوم الحساب، فأفصل بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من أمر عيسى - عليه السلام-.(2)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ قال الله: يا عيسى إني مستوفٍ أجلك، ولا أمكّن أحداً من قتلك، وإني رافعك إلى محل كرامتي، ومنجيك من أعدائك الذين قصدوا قتلك، وجاعل المتبعين لك، الذين لم ينحرفوا عن دينك ظاهرين بالقوة والسلطان على الذين لم يهتدوا بهديك إلى يوم القيامة، ثم إلىَّ مصيركم فى الآخرة فأقضى بينكم فى الذى تنازعتم فيه من أمر الدين.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مُتَوَفِّيكَ} ... قَابِضُكَ مِنَ الأَرْضِ.

{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} ... أي: إِنِّي قَابِضُكَ، مأخوذةٌ من قولهم: تُوفِّيَ الدائنُ دَيْنَهُ أي: قَبَضَهُ، وَعِيسَى قد قَبَضَهُ اللهُ إليه في السماءِ وَرَفَعَهُ حتى ينزلَ في آخرِ الزمانِ، هذا قولٌ.

والقول الثاني: مُتَوَفِّيكَ وَفَاةَ نَوْمٍ، يعني مُنِيمُكَ" لأن النائمَ مُتَوَفًّى،

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (57/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (57/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (79/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)

قــال الله تعــالى: {اللهُ يَتَــوَفَّى الــأَنفُسَ حِــينَ مَوْتِهَــا وَالَّتِــي لَــمْ تَمُــتْ فِــي مَنَامِهَــا} {الزمــر: 42}.

وقــال: {وَهُــوَ الَّــذِي يَتَوَفَّــاكُم بِاللَّيْــلِ وَيَعْلَــمُ مَــا جَــرَحْتُم بِالنَّهَــارِ ثُــمَّ يَبْعَــثُكُمْ فِيــهِ} {الأنعــام: 60}.

والقــول الثــالــث: أنهــا وفــاةٌ حقيقيــةٌ، تَوَفَّــاهُ اللهُ وفــاةً حقيقيــةً وَسَــيُحْيِيهِ في آخــرِ الزمــان وينــزل إلى الــدنيا، والصــحيح أنهــا وفــاةُ نَــوْمٍ؛ لأن الله عــز وجــل لَّمــا أراد أن يرفعــه إلى الســماء أَنَامَــهُ ليســهل عَلَيْــه الانتقــالُ مــن الأرض إلى الســماء؛ لأن الانتقــالَ مــن الأرض إلى الســماء لــيس بــالأمر الهَــيِّن لطــول المســافة وَبُعْــدهَا ورؤيــة الأهــوال فيمــا بَــيْنَ الســماء والأرض وفي الســماوات أيضــًا، فَأَنَامَــهُ الله ثــم رَفَعَــهُ نَائمــًا حتــى وَصَــلَ إلى الســماء، لَكِــنَّ هــذا القــول لا يُنَــافِي القــولَ الأولَ الَّــذي معنــاه: قَابِضُــكَ؛ لأن نهايتَهــا واحــدةٌ، أما القــول الثــالــث: أنهــا وفــاةُ مــوت، فقــولٌ ضــعيفٌ يُضَــعِّفُهُ قولُــه تعــالى: {وَإِن مِّــنْ أَهْــلِ الْكِتَــابِ إِلاَّ لَيُــؤْمِنَنَّ بِــهِ قَبْــلَ مَوْتِهِ} {النساء: 159}، قَبْــلَ مَوْتِــه أي: عيسَــى، وهــذا يَــدُلُّ عَلَــى أنــه لم يَمُــتْ، ولأن الله تعــالى لم يَبْعَــثْ أحــدًا بعــد المــوت فيبقــى كمــا في نــزول عيســى عَلَيْــهِ الســلام في آخــرِ الزمــان؛ ولأنــه -أعــني إطــلاقَ الوفــاة عَلَــى النــوم- كــثيرٌ مــن القــرآن، يعــني لــيس بمعنًــى غريــب حتــى نقــولَ: لا يَصِــحُّ حَمْلُهَــا عليه، بل هُوَ معنًى له كثرةٌ في القرآن.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

وقــال: الإمَــامُ (البخــاري) - (رحمــه الله) - في (صــحيحه) - (بســنده):- {وَإِذْ قَــالَ اللهُ}: يَقُــولُ: قَــالَ اللهُ، وَ {إِذْ} هَاهُنَا صِلَةٌ.

وَقَــالَ: (ابْــنُ عَبَّــاسٍ): {مُتَوَفِّيــكَ}: مُمِيتُــكَ. (1)

* * *

قولــه تعــالى: (إِذْ قَــالَ اللَّــهُ يَــا عِيسَــى إِنِّــي مُتَوَفِّيكَ)

قــال: الإمَــامُ (الطــبري) - و الإمَــامُ (ابــن أبــي حــاتم) - (رحمهمــا الله) - في (تفســيرهما):- (بســندهما) (الحســن) - عــن (ابــن أبــي طلحــة) - عــن (ابــن عبــاس): قولــه: {إنــي متوفيــك} يقــول: إنــي مميتك. (2)(3)

* * *

قولــه تعــالى: {وَجَاعِــلُ الَّــذِينَ اتَّبَعُــوكَ فَــوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}

قــال: الإمَــامُ (البُخَــارِي و مُسلِم) - (رحمهمــا الله) - في (صــحيحهما) - (بســندهما): حــدثنا الحميــدي: حــدثنا الوليــد بــن مسلم، حــدثنا ابــن جــابر: حــدثني عمــير بــن هــانئ أنــه سمــع (معاويــة) قــال: سمعــت الــنبي - صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ - يقــول: ((لا يــزال مــن أمــتي أمــة قائمــة بــأمر الله لا يضــرهم مــن كــذبهم ولا مــن خــذلهم حتــى يــأتي أمــر الله وهــم علــى ذلــك)) فقــال: مالــك بــن يُخَــامر: سمعــت معــاذاً يقــول: وهــم بالشــام،

(1) انظــر: صــحيح الإِمَــامُ (البُخَــارِي) في تفســير ســورة (آل عمــران) الآيــة (55). برقم (ج 6/ ص 54).

(2) انظــر: (جــامع البيــان في تأويــل القــرآن) لِلإِمَــامُ (الطــبري) في ســورة (آل عمران) الآية (55).

(3) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) للإِمَــامُ (ابــن أبــي حــاتم) في ســورة (آل عمران) الآية (55).

فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول وهم بالشام.(1)(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-
(بسنده الحسن) – عن (قتادة): في قوله: {وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة} هم أهل الإسلام الذين اتبعوه على فطرته وملته وسنته، فلا يزالون ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة.(3)

* * *

[٥٦] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فأما الذين كفروا بك وبالحق الذي جئتهم به فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا بالقتل والأسر والذل وغيرها، وفي الآخرة بعذاب النار، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب.(4)

* * *

يَعْنِي:- فأمَّا الذين كفروا بالمسيح من اليهود أو غَلَوا فيه من النصارى، فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا: بالقتل وسلْبِ الأموال وإزالة الملك، وفي الآخرة بالنار، وما لهم مِن ناصر ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله.(5)

* * *

يَعْنِي:- فأما الجاحدون، فأذيقهم عذاب الخزى والنكال بتسليط الأمم عليهم فى الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأخزى. وليس لهم من ينقذهم من عذاب الله.(6)

* * *

[٥٧] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأما الذين آمنوا بك وبالحق الذي جئتهم به، وعملوا الصالحات من صلاة وزكاة وصيام وصلة وغيرها" فإن الله يعطيهم ثواب أعمالهم تامة لا يُنقص منها شيئا، وهذا الحديث عن أتباع المسيح قبل بعثة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي بشَّر به المسيحُ نفسُه، والله لا يحب الظالمين، ومن أعظم الظلم الشرك بالله تعالى وتكذيب رسله.(7)

* * *

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (451/13)، (ح 7460) – (كتاب: التوحيد)، باب: قول الله تعالى (إنما قولنا لشئ إذا أردناه).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1524/3)، (ح 1037) – (كتاب: الإمارة) – باب: قول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ((لا تزال طائفة من أمتى ...)).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (55).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (57/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (57/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (79/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(7) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (57/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِي:- وأما الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الأعمال الصالحة، فيعطيهم الله ثواب أعمالهم كاملا غير منقوص. والله لا يحب الظالمين بالشرك والكفر. (1)

* * *

يَعْنِي:- وأما المهتدون بهدى الله، العاملون على سنن الخير، فيعطيهم الله جزاء أعمالهم وافياً. والله لا يمنح ثوابه المتجاوزين لحدود الله الطاغين على دعوته وإحسانه، ولا يرفع لهم قدراً. (2)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين}.

قال: الإِمَامْ (الطبري) – و الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (ابن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قوله: {وعملوا الصالحات} يقول: أدوا فرائضي. (3)(4)

* * *

[٥٨] ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ذلك الذي نقرؤه عليك من خبر عيسى - عليه السلام - من العلامات الواضحات الدالة على صحة ما أُنزل إليك، وهو ذِكْر للمتقين، محكم لا يأتيه الباطل. (5)

* * *

يَعْنِي:- ذلك الذي نقصُّه عليك في شأن عيسى، من الدلائل الواضحة على صحة رسالتك، وصحة القرآن الحكيم الذي يفصل بين الحق والباطل، فلا شك فيه ولا امتراء. (6)

* * *

يَعْنِي:- ذلك الذى قصصناه عليك من الحجج الدالة على صدق رسالتك، هو من القرآن الكريم المشتمل على العلم النافع. (7)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ} ... المُحْكَمُ المَمْنُوعُ من الباطل والمرادُ به القرآنُ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ}.

قال: الإِمَامْ (الطبري) – و الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (ابن أبي طلحة) – عن (ابن

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (57/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (80/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (57).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (57).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (57/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (57/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(7) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (80/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

عباس): قال: الذكر: القرآن. الحكيم: الذي قد كمل في حكمته. (1)(2)

* * *

[٥٩] ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن مثل خلق عيسى - عليه السلام - عند الله كمثل خلق آدم من تراب، من غير أب ولا أم، وإنما قال الله له: كن بشراً فكان كما أراد تعالى، فكيف يزعمون أنه إله بحجة أنه خُلِق من غير أب، وهم يقرون بأن آدم بشر، مع أنه خُلِق من غير أب ولا أم؟!. (3)

* * *

يَعْني:- إنَّ خَلْقَ الله لعيسى من غير أب مثلُه كمثل خلق الله لآدم من غير أب ولا أم، إذ خلقه من تراب الأرض، ثم قال له: ‹كن بشراً› فكان. فدعوى إلهية عيسى لكونه خلق من غير أب دعوى باطلة" فآدم عليه السلام خلق من غير أب ولا أم، واتفق الجميع على أنه عَبْد من عباد الله. (4)

* * *

يَعْني:- ضلَّ قوم في أمر عيسى، فزعموا أنه ابن الله لأنه ولد من غير أب، فقال الله لهم: إن شأن عيسى في خلقه من غير أب كشأن آدم في خلقه من تراب من غير أب ولا أم، فقد صوَّره وأراد أن يكون فكان بشراً سوياً. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ الله كَمَثَلِ آدَمَ}.... المماثلةُ الحاصلَةُ بَيْنَ آدَمَ وَعِيسَى عليهما السلامُ هي: إن كُلًّا منهما خُلِقَ من غير أب، وَخُلِقَ بكلمة التكوين وهي: ‹كُنْ›.

فَمَنْ أقرَّ بأن الله خَلَقَ آدمَ من تراب وهو أبلغُ في القدرة فَلِمَ لا يُقرُّ بأن الله خَلَقَ عيسى من مريم من غير أب، بل الشأن في خَلْقِ آدمَ أعجبُ وأغربُ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.

وقد بين الله تعالى قصة خلق (عيسى) - عليه السلام- في سورة (مريم) - آية (16-36). - كما قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (58).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (58).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (57/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (57/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (80/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36)}.

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- قوله تعالى:(1)

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} {آل عمران: 60} يخبر تعالى محتجا على النصارى الزاعمين بعيسى عليه السلام ما ليس له بحق، بغير برهان ولا شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكا لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة فضلا أن يكون حجة، لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق والتدبير وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبع لإرادته، فهو على نقيض قولهم أدل، وعلى أن أحدا لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فآدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب لآدم ما زعمه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صح إدعاء البنوة والإلهية في المسيح، فادعاؤها في آدم من باب أولى وأحرى،

* * *

[٦٠] ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الحق الذي لا شك فيه في شأن عيسى - عليه السلام - هو الذي نزل عليك من ربك، فلا تكن من الشاكين المُتردِّدين، بل عليك الثبات على ما أنت عليه من الحق.(2)

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (59)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (57/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

يَعْنِي:- الحق الذي لا شك فيه في أمر عيسى هو الذي جاءك أيها الرسول- ﷺ - من ربك، فدم على يقينك، وعلى ما أنت عليه من ترك الافتراء، ولا تكن من الشاكِّين، وفي هذا تثبيت وطمأنة لرسول الله. صلى الله عليه وسلم. (1)

* * *

يَعْنِي:- هذا البيان فى خلق عيسى هو الصدق الذى بيَّن الواقع بإخبار رب الوجود فدم على يقينك، ولا تكن من الشاكين. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الْمُمْتَرِينَ} ... أي: مِن الشَّاكِّينَ، وهذا خطاب للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، والمراد به أمته لأنه - صلى الله عليه وسلم - لم يَشُكَّ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {الحق من ربك فلا تكن من الممترين}.

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): {الحق من ربك فلا تكن من الممترين} يعني: فلا تكن في شك من عيسى أنه كمثل آدم، عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}. أي: هذا الذي أخبرناك به من شأن المسيح -عليه السلام- هو الحق الذي في أعلى رتب الصدق، لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الخاصة لك ولأمتك أن قص عليكم ما قص من أخبار الأنبياء -عليهم السلام-.

{فلا تكن من الممترين} أي: الشاكين في شيء مما أخبرك به ربك، وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة وهو أن ما قامت الأدلة على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل،

قال تعالى: {فماذا بعد الحق إلا الضلال} وبهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه. (4)

* * *

[٦١] ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (57/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (80/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (60).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (60)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فمن جادلك أيها الرسول- ﷺ - من نصارى نجران في أمر عيسى زاعمًا أنه ليس عبدًا لله من بعد ما جاءك من العلم الصحيح في شأنه" فقل لهم: تعالوا نُنَادِ للحضور أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ونجتمع كلنا، ثم نتضرع إلى الله بالدعاء أن ينزل لعنته على الكاذبين منا ومنكم.(1)

* * *

يَعْنِي:- فمَن جادلك أيها الرسول- ﷺ - في المسيح عيسى ابن مريم من بعد ما جاءك من العلم في أمر عيسى -عليه السلام-، فقل لهم: تعالوا نُحْضر أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نتجه إلى الله بالدعاء أن يُنزل عقوبته ولعنته على الكاذبين في قولهم، المصرِّين على عنادهم.(2)

* * *

يَعْنِي:- فمن جادلك يا أيها النبى -ﷺ- فى شأن عيسى من بعد ما جاءك من خبر الله الذى لا شبهة فيه، فقل لهم قولا يظهر علمك اليقينى وباطلهم الزائف: تعالوا يدع كل منَّا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه، ثم نضرع إلى الله أن يجعل غضبه ونقمته على من كذب فى أمر عيسى من كونه خلق من غير أب وأنه رسول الله وليس ابن الله.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{نَبْتَهِلْ} ... نَدْعُ بِاللَّعْنَةِ عَلَى الكَاذِبِ مِنَّا.

{نَبْتَهِلْ} ... أَصْلُ الابْتِهَالِ: الاجْتِهَادُ في الدعاء بِاللَّعْنِ وغيره برفع الْيَدَيْنِ مَدًّا.

{فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} ... أي: نقولُ في دعائنا جميعًا: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَعْنَتَكَ عَلَى الْكَاذِبِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}.

أي: {فمن} جادلك {وحاجك} في عيسى - عليه السلام - وزعم أنه فوق منزلة العبودية، بل رفعه فوق منزلته {من بعد ما جاءك من العلم} بأنه عبد الله ورسوله وبينت لمن جادلك ما عندك من الأدلة الدالة على أنه عبد أنعم الله عليه، دل على عناد من لم يتبعك في هذا العلم اليقيني، فلم يبق في مجادلته فائدة تستفيدها ولا يستفيدها هو، لأن الحق قد تبين، فجداله فيه جدال معاند مشاق لله ورسوله، قصده اتباع هواه،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (57/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (57/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (80/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

لا اتباع ما أنزل الله، فهذا ليس فيه حيلة، فأمر الله نبيه أن ينتقل إلى مباهلته وملاعنته، فيدعون الله ويبتهلون إليه أن يجعل لعنته وعقوبته على الكاذب من الفريقين، هو وأحب الناس إليه من الأولاد والأبناء والنساء، فدعاهم النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى ذلك فتولوا وأعرضوا ونكلوا، وعلموا أنهم إن لاعنوه رجعوا إلى أهليهم وأولادهم فلم يجدوا أهلا ولا مالا وعوجلوا بالعقوبة، فرضوا بدينهم مع جزمهم ببطلانه، وهذا غاية الفساد والعناد، فلهذا قال تعالى: {فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين} فيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.(1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عباس بن الحسين، حدثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن صِلة بن زُفر، عن (حذيفة) قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُريدان أن يُلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا ألا أميناً. فقال: "لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين". فاستشرف له أصحابُ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقال: "قم يا أبا عبيدة بن الجراح". فلما قام قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- "هذا أمينُ هذه الأمة".(2)(3)

* * *

قال: الإمَامُ (مُسْلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده): حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عباد (وتقاربا في اللفظ) قالا: حدثنا حاتم (وهو ابن إسماعيل) عن بكير بن مسمار، عن عامر بن (سعد بن أبي وقّاص)، عن أبيه، قال: أمر (معاوية بن أبي سفيان) سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟، فقال: أما ما ذكرتُ ثلاثاً قالهن له رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فلن أسُبّه. لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم. سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول له، خَلفه في بعض مغازيه، فقال له عليٌّ: يا رسول الله! خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال: له رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى. إلا أنه لا نبوة بعدي". وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويُحبه الله ورسوله" قال: فتطاولنا لها فقال: "ادعوا لي عليّا". فأتى به أرمد. فبصق في عينه ودفع الراية إليه. ففتح الله عليه. ولما نزلت

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (61)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامُ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (695/7)، (ح 4380) – (كتاب: المغازي)، / باب: (قصة أهل نجران).

(3) (صحيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (ح 2420) - (كتاب: فضائل الصحابة)، / باب: (فضل أبي عبيدة بن الجراح) – من حديث (حذيفة) –رضي الله عنه- .

هذه الآية: {فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم} دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: "اللهم! هؤلاء أهلي". (1)

* * *

قال: الإمَام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ}، أي: في عيسى: أنه عبد الله ورسوله، من كلمة الله وروحه {فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم} إلى قوله: {على الكاذبين}. (2)

* * *

قال: الإمَام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس) قال: لو خرج الذين يباهلون النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا. (3)

ورجاله ثقات إلا الحسن فصدوق و(الإسناد حسن).

* * *

قَوله تعالى: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ، فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ، وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ، وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ (4) فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}. (5)

وقال: الإمَام (البُخَاري و مُسلِم) – في (صحيحهما)، – والإمَام (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) – في (مُسنده) – (رحمهم الله) – (بسندهم):- عَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ) – رضي الله عنه – قَالَ: (جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ، قَالَ: وَأَرَادَا أَنْ يُلَاعِنَا رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تُلَاعِنْهُ، فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا، لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا أَبَدًا، فَأَتَيَاهُ فَقَالَا: لَا نُلَاعِنُكَ، وَلَكِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَ، فَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا) (6) (يُعَلِّمْنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ) (7) (وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –:- " لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ "، قَالَ: فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –:- " قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ "، فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –:- " هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ") (8)، (1)

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1871/4)، (ح 32) – (كتاب: فضائل الصحابه)، / باب: (من فضائل علي – رضي الله عنه –).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (61).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (61).

(4) المُبَاهلة: أن يدعو أحد المتنازعين على الآخر باللعنة والهلاك إن كان كاذبا، ويدعو الآخر عليه بذلك.

(5) {آل عمران/61}.

(6) (صَحِيح): أخرجه الإمَام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (3930).

وأخرجه الإمَام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4119).

(7) أخرجه الإمَام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (54) – (2419).

وأخرجه الإمَام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (14080).

(8) قال: الإمام (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) حديث (1964) (1964): في الحديث فائدة هامة، وهي أن خبر الآحاد حجة في العقائد، كما هو حجة في الأحكام، لأننا نعلم بالضرورة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم

* * *

قال: الإمامْ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - قَالَ: لَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - لَرَجَعُوا لاَ يَجِدُونَ مَالًا وَلاَ أَهْلًا. (2)

* * *

وأخرجه الإمامْ (البُخاري، و مُسلم) - في (صحيحهما)،- والإمام (الترمذي، و ابن ماجة) في (سُننهما)، - والإمامْ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم): وَعَنْ (عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) قَالَ: (قَدِمَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فِي بَعْضِ حَجَّاتِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدٌ - رضي الله عنه - فَذَكَرُوا عَلِيًّا، فَنَالَ مِنْهُ) (3) (فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا تُرَابٍ؟) (4) (فَغَضِبَ سَعْدٌ وَقَالَ:) (5) (أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلاَثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - لأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ فَلَنْ أَسُبَّهُ) (6) (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: " مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ) (7) (5) (وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا "، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ لَهُ: " أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي؟") (8) (قَالَ: بَلَى رَضِيتُ) (9) (وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: " لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ الْيَوْمَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ) (10) (يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ ") (11) (فَتَطَاوَلْنَا لَهَا) (12) (فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: "ادْعُوا لِي عَلِيًّا، فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ، وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ "، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {فَقُلْ

يبعث أبا عبيدة إلى أهل نجران ليعلمهم الأحكام فقط، بل والعقائد أيضا، فلو كان خبر الآحاد لا يفيد العلم الشرعي في العقيدة، ولا تقوم به الحجة فيها، لكان إرسال أبي عبيدة وحده إليهم ليعلمهم أشبه شيء بالعبث. وهذا مما يتنزه الشارع عنه، فثبت يقينا إفادته العلم، وهو المقصود، ولي في هذه المسألة الهامة رسالتان معروفتان، مطبوعتان مرارا، فليراجعهما من أراد التفصيل فيها. أ. هـ

(1) أخرجه الإمامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (4119).
وأخرجه الإمامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (55) - (2420).
وأخرجه الإمامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3796).
وأخرجه الإمامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (23425).

(2) أخرجه الإمامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (2225). وأخرجه الإمامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11061).
انظر: (سلسلة الأحاديث الصحيحة) حديث: (3296). للإمام (الألباني)
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (صحيح).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (121).
(4) أخرجه الإمامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3724).
وأخرجه الإمامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (32) - (2404).

(5) أخرجه الإمامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (121).

(6) أخرجه الإمامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (32) - (2404).
(7) أخرجه الإمامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (121).
(8) أخرجه الإمامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (4154).
وأخرجه الإمامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (30) - (2404).

(9) أخرجه الإمامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1509).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (صحيح).

(10) أخرجه الإمامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (32) - (2404).
(11) أخرجه الإمامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (2783).
وأخرجه الإمامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (22872).
وأخرجه الإمامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (8400).

(12) أخرجه الإمامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (32) - (2404).
وأخرجه الإمامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3724).

تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ , وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ الْآيَة} " دَعَا رَسُولُ اللَّه - صلى الله عليه وسلم - عَلِيًّا , وَفَاطِمَةَ , وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا , فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي ") (1)

* * *

قال: جماعة من علماء (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء) في (كتاب تفسير):

السؤال الرابع من الفتوى رقم (6238) :

س4: المباهلة التي حصلت بين الرسول - صلى الله عليه وسلم- والنصارى في عهده والتي وردت في قوله تعالى: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ} سورة آل عمران الآية 61} إلى آخر الآية الكريمة، هل هي خاصة بالنبي -صلى الله عليه وسلم-؟ وإن لم تكن كذلك، فهل هي خاصة مع النصارى ؟.

ج4: ليست المباهلة خاصة بالرسول- صلى الله عليه وسلم- مع النصارى، بل حكمها عام له ولأمته مع النصارى وغيرهم" لأن الأصل في التشريع العموم، وإن كان الذي وقع منها في زمنه -صلى الله عليه وسلم- في طلبه المباهلة من نصارى نجران (2) فهذه جزئية جزئية تطبيقية لمعنى الآية لا تدل على حصر الحكم فيها.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس / ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
نائب رئيس اللجنة / ... عبد الرزاق عفيفي .
عضو /... عبد الله بن غديان .
عضو /... عبد الله بن قعود . (3)

* * *

﴿ مِن فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• من كمال قدرته تعالى أنه يعاقب من يمكر بدينه وبأوليائه، فيمكر بهم كما يمكرون.
• بيان المعتقد الصحيح الواجب في شأن عيسى - عليه السلام -، وبيان موافقته للعقل فهو ليس بدعًا في الخلقة، فآدم المخلوق من غير أب ولا أم أشد غرابة والجميع يؤمن ببشريته.
• مشروعية المُباهلة بين المتنازعين على الصفة التي وردت بها الآية الكريمة. (4)

* * *

(1) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (32)–(2404).
واخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3724).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1608).
(2) قصة المباهلة مع نصارى نجران ذكرها الطبري في تفسيره برقم (7161).

واخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (الدلائل) برقم (5 / 385).
(3) انظر: (فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى) – (المجلد الرابع - التفسير) = تفسير سورة (آل عمران) آية (61). برقم (4/203-204).
المؤلف : (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).
جمع وترتيب : (أحمد بن عبد الرزاق الدويش).
عدد الأجزاء : (26 جزءا). (المكتبة الشاملة).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (57/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

[٦٢] ﴿ إِنَّ هَـذَا لَهُـوَ الْقَصَـصُ الْحَـقُّ وَمَـا مِـنْ إِلَـهٍ إِلا اللَّـهُ وَإِنَّ اللَّـهَ لَهُـوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن هذا الذي ذكرنا لك من شأن عيسى - عليه السلام - هو الخبر الحق الذي لا كذب فيه ولا شك، وما من معبود بحق إلا الله وحده، وإن الله لهو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره وأمره وخلقه.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن هذا الذي أنبأتك به أيها الرسول- ﷺ - من أمر عيسى لهو النبأ الحق الذي لا شك فيه، وما من معبود يستحق العبادة إلا الله وحده، وإن الله لهو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره وفعله.(2)

* * *

يَعْنِي:- وذلك هو الحق الذى لا مرية فيه، فليس فى الوجود إله إلا الله الذى خلق كل شئ وأنه لهو المنفرد بالعزة فى ملكه والحكمة فى خلقه.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّ هذا} ... الذي قص عليك من نبأ عيسى.

{لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ} ... هو، ضمير فصل بين اسم (ان وخبرها)، وقد يكون مبتدأ، والقصص الحق، خبره، والجملة خبر إنَّ.

{وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ} ... رد على النصارى فى تثليثهم.(4)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلا اللَّـهُ وَإِنَّ اللَّـهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ} {آل عمرآن: 62}.

وأخبر تعالى {إن هذا} الذي قصه الله على عباده هو {القصص الحق} وكل قصص يقص عليهم مما يخالفه ويناقضه فهو باطل {وما من إله إلا الله} فهو المألوه المعبود حقا الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحق غيره مثقال ذرة من العبادة {وإن الله لهو العزيز} الذي قهر كل شيء وخضع له كل شيء {الحكيم} الذي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة التامة في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، يقاتلونهم ويجادلونهم ويجاهدونهم بالقول والفعل.(5)(6)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (58/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (58/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (80/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (62)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(5) في تفسير هذه الآيات تقديم وتأخير يسير فقد أخر تفسير قوله: "وما من إله إلا الله" وقد أبقيتها على ما هي عليه.

(6) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (63)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

[٦٣] ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فإن أعرضوا عما جئت به، ولم يتبعوك فذلك من فسادهم، والله عليم بالمفسدين في الأرض، وسيجازيهم على ذلك. . (1)

* * *

يَعْنِي:- فإن أعرضوا عن تصديقك واتباعك فهم المفسدون، والله عليم بهم، وسيجازيهم على ذلك. (2)

* * *

يَعْنِي:- فإن أعرضوا عن الحق بعدما تبين لهم، ولم يرجعوا عن ضلالتهم فهم المفسدون، والله عليم بهم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تَوَلَّوْا} ... أعرضوا.

{عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ} ... وعيد لهم بالعذاب. (4)

* * *

[٦٤] ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول- ﷺ:- تعالوا يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، نجتمع على كلمة عدلٍ نستوي فيها جميعًا: أن نُفرد الله بالعبادة فلا نعبد معه أحدًا سواه مهما كانت منزلته، وعلت مكانته، ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا يُعبدون ويُطاعون من دون الله، فإن انصرفوا عن هذا الذي تدعوهم إليه من الحق والعدل فقولوا لهم أيها المؤمنون:- اشهدوا بأنا مستسلمون لله منقادون له تعالى بالطاعة.. (5)

* * *

يَعْنِي:- قل: أيها الرسول- ﷺ - لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: تعالَوْا إلى كلمة عدل وحق نلتزم بها جميعًا: وهي أن نُخُص الله وحده بالعبادة، ولا نتخذ أي شريك معه، من وثن أو صنم أو صليب أو طاغوت أو غير ذلك، ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة من دون الله. فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الطيبة فقولوا لهم أيها المؤمنون:- اشهدوا علينا بأنا مسلمون منقادون لربنا بالعبودية والإخلاص. والدعوة إلى كلمة سواء، كما تُوجَّه إلى اليهود والنصارى، توجَّه إلى من جرى مجراهم. (6)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (58/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (58/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (80/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (62)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (58/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (58/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

* * *

يَعْنِي:- قل: يا أيها النبي ﷺ: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة عادلة بيننا وبينكم نذكرها على السواء، وهي أن نخص الله بالعبادة ولا نجعل غيره شريكاً له فيها، ولا يطيع بعضنا بعضاً وينقاد له في تحليل شئ أو تحريمه، تاركاً حكم الله فيما أحل وحرَّم، فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الحقة فقولوا لهم: اشهدوا بأنا منقادون لأحكام الله، مخلصون له الدين لا ندعو سواه. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يا أَهْلَ الْكِتاب} ... هم أهل الكتابين.
يَعْنِي:- وفد نجران. يَعْنِي:- يهود المدينة.

{سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ} ... مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل.

{أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ}:.... تفسير قوله كَلِمَةٍ.

{فَإِنْ تَوَلَّوْا} ... فإن أعرضوا.

{فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} ... أي: لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم.

ويجوز أن يكون من باب التعريض، ومعناه: اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره. (2)

{كَلِمَةٍ سَواءٍ} ... كَلِمَةَ عَدْلٍ، وحقّ نَلْتزِمُ بِهَا.

{كَلِمَةٍ سَواءٍ} ... ادْعُ اليهودَ والنَّصارَى قائلًا: تَعَالَوْا نُقِرُّ بكلمة موجودة فيما أُنْزِلَ إلينا وفيما أُنْزِل إليكم منَ الْوَحْيِ.

{أَرْبَابًا} ... جمع رَبّ وهو المألوه المُطَاعُ بغيرِ طاعةِ الله تَعَالَى. (3)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني إبراهيم بن موسى عن هشام عن معمر ح. وحدثني عبد الله ابن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن (الزهري) قال: أخبرني عُبيد الله بن (عبد الله بن عتبة) قال: حدثني (ابن عباس) قال: حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال: انطلقت في المدّة التي كانت بيني وبين رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قال: فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى هرقل ... فإذا فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم. تسلَم، وأسلمْ يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين. (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله -إلى قوله- اشهدوا بأنا مسلمون)) فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللَّغط، وأمر بنا فأخرجنا. قال: فقلت

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (81/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (64)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(3) انظر: (تفسير غريب القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (64). المؤلف: (كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري).

لأصحابي حين خرجنا: لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملكُ بني الأصفر. فما زلت موقناً بأمر رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام.

قال (الزهري): فدعا (هرقل) عظماء الروم فجمعهم في دار له، فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد، وإن يثبتَ لكم ملككم؟ قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت. فقال: عليَّ لهم. فدعا بهم فقال: إني إنما اختبرتُ شدتَّكم على دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحببتُ، فسجدوا له ورضوا عنه".[1]

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} عدل بيننا وبينكم {أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ} الآية.[2]

* * *

قال: الإمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الجيد) – عن (أبي العالية): (كَلِمَةٍ سَوَاءٍ) لا إله إلا الله.[3]

* * *

وقال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- {سَوَاءٍ}: قَصْدٍ.[4]

* * *

قال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- عن (أبي هريرة) – رضي الله عنه – قال: كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا (آمنا بالله وما أنزل إلينا ...) الآية.[5]

* * *

قال: الإمَامْ (ابن حَجَر العَسقَلاني) – (رحمه الله) – في (فَتحُ البَاري) – (بسنده):- وقوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} {آل عمران: 64}.

وأخرج الإمام (الطبري) و(ابن أبي حاتم) – من طريق – (الربيع بن أنس) في قوله: {إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ} قال: أي: عدل.[6]

وأخرج الإمام (الطبري) عن (قتادة) مثله.[1]

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (8/62-63)، (ح 4553) – (كتاب: تفسير، القرآن) - (سورة آل عمران).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (64).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (64).

(4) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمرآن) الآية (64). برقم (ج 6/ ص 35).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4485) – (كتاب: تفسير القرآن) - (سورة البقرة)،/ باب: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)).

(6) انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (8/216).

وأخرجه الإمام (ابن جرير) رقم (7198)، - من طريق –(إسحاق)، والإمام (ابن أبي حاتم) رقم (696)، (آل عمران) - من طريق – (أحمد بن عبد الرحمن)، قالا: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، به.
قلت: وهذا (إسناد حسن).

وقد أورده الإمام (السيوطي) في (الدر المنثور) رقم (2/234)، ونسبه إلى الإمام (ابن جرير) و(ابن أبي حاتم).

وأخرج عن الإمام (أبي العالية) أن المراد بالكلمة "لا إله إلا الله ".(2)(3)

* * *

[٦٥] ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أهل الكتاب لِمَ تجادلون في ملّة إبراهيم -عليه السلام-" فاليهودي يزعم أن إبراهيم كان يهوديًّا، والنصراني يزعم أنه كان نصرانيًّا، وأنتم تعلمون أن اليهودية والنصرانية لم تظهر إلا بعد موته بوقت طويل، أفلا تدركون بعقولكم بطلان قولكم وخطأ زعمكم؟!..(4)

* * *

يَعْنِي:- يا أصحاب الكتب المنزلة من اليهود والنصارى، كيف يجادل كل منكم في أن إبراهيم -عليه السلام -كان على ملَّته، وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده؟ أفلا تفقهون خطأ قولكم: إن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً، وقد علمتم أن اليهودية والنصرانية حدثت بعد وفاته بحين؟.(5)

* * *

يَعْنِي:- يا أهل الكتاب لماذا تتنازعون وتجادلون فى دين إبراهيم، كل منكم يدعى أنه على دينه فى حين أن إبراهيم سابق فى الوجود على التوراة والإنجيل بشريعة خاصة، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده، فكيف يكون على شريعة واحدة منهما؟ . أليست لكم عقول تدركون بها بطلان هذا الكلام الذى يناقض الواقع؟.(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}...زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن ابراهيم كان منهم، وجادلوا رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم - والمؤمنين فيه، فقيل لهم: ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الانجيل، وبين ابراهيم وموسى ألف

---

(1) انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (216/8). وأخرجه الإمام (ابن جرير) رقم (7197) حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، به. و(إسناده صحيح). وأورده، وأخرجه الإمام (السيوطي) في(الدر المنثور) رقم (234/2) ونسبه للإمام (ابن جرير وابن المنذر).

(2) انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (216/8. وأخرجه (ابن جرير) رقم (7199)، و الإمام (ابن أبي حاتم) رقم693 كلاهما- من طريق – (عبد الله ابن أبي جعفر)، عن أبيه، عن (الربيع بن أنس)، عن (أبي العالية)، به. و(إسناده حسن).

وذكره الإمام (السيوطي) في (الدر المنثور) رقم (235/2) ونسبه إليهما.

وقد رجح الإمام (ابن حجر) هذا التفسير وأيده قائلا: وعلى ذلك يدل سياق الآية الذي تضمنه قوله {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً} فإن جميع ذلك داخل كلمة الحق وهي: "لاإله الا الله"، ثم قال: والكلمة على هذا بمعنى الكلام، وذلك سائغ في اللغة. انظر: (فتح الباري) رقم (216/8).

(3) انظر: انظر: الكتاب: (الروايات التفسيرية في - فتح الباري- للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) في سورة (آل عمرآن : 64) المؤلف: (عبد المجيد الشيخ عبد الباري). الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2006 م./ عدد الأجزاء: 3. (رسالة دكتوراة)..

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (58/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (58/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (81/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)

سنة، وبينه وبين عيسى ألفان، فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بأزمنة متطاولة.

{أَفَلا تَعْقِلُونَ}...حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال.(1)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمَامُ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ}. لم يبين هنا ما وجه محاجتهم في إبراهيم، ولكنه بين في موضع آخر أن محاجتهم في إبراهيم هي قول اليهود: إنه يهودي، والنصارى إنه نصراني وذلك في قوله: {أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله} وأشار إلى ذلك هنا بقوله: {والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا} الآية.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - و الإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (ابن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا! وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيا! فأنزل الله عز وجل فيهم (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون):- قالت النصارى: كان نصرانيا! وقالت: اليهود كان يهوديا فأخبرهم الله أن التوراة والإنجيل ما أنزل إلا من بعده، وبعده كانت اليهودية والنصرانية.(3)(4)

* * *

[٦٦] ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ها أنتم - يا أهل الكتاب - جادلتم النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما لكم به علم من أمر دينكم وما أُنزل عليكم، فَلِم تجادلون فيما ليس لكم به علم من أمر إبراهيم -عليه السلام- ودينه، مما ليس في كتبكم ولا جاءت به أنبياؤكم؟! والله يعلم حقائق الأمور وبواطنها وأنتم لا تعلمون.(5)

* * *

يَعْنِي:- ها أنتم يا هؤلاء جادلتم رسول الله محمدًا -صلى الله عليه وسلم- فيما لكم به علم مِن أمر دينكم، مما تعتقدون صحته في

---

(1) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (65) المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (65).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (65).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (65).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (58/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

كتبكم، فلِمَ تجادلون فيما ليس لكم به علم من أمر إبراهيم؟ والله يعلم الأمور على خفائها، وأنتم لا تعلمون.(1)

* * *

يَعْنِي:- ها أنتم يا هؤلاء جادلتم فى أمر عيسى وموسى الذى لكم بهما معرفة - كما تزعمون - فكيف تجادلون فى كون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً وليس لكم بذلك علم؟ . والله يعلم حقيقة ما تنازعتم فيه، وأنتم لا علم لكم بذلك.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{هـا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ}... ها، للتنبيه. وأنتم، مبتدأ. وهؤلاء: خبره.

يَعْنِي:- {هـا أَنْتُمْ}...، أي: أأنتم، على الاستفهام. فقلبت الهمزة. هاء، ومعنى الاستفهام: التعجب من حماقتهم.

يَعْنِي:- هؤلاء، بمعنى:الذين، وحاجَجْتُم صلته.

{حاجَجْتُمْ}... جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى. يعني: أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى، وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم:

{فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ}... مما نطق به التوراة والإنجيل.

{فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ}... ولا ذكر له فى كتابيكم من دين ابراهيم.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ}... علم ما حاججتم به.

{وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}... جاهلون به.(3)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمَام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) يقول: فيما شهدتم ورأيتم وعاينتم (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) فيما لم تشاهدوا ولم تروا ولم تعاينوا (والله يعلم وأنتم لا تعلمون).(4)

* * *

[٦٧] ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ما كان إبراهيم -عليه السلام- على الملة اليهودية، ولا على النصرانية، ولكن كان مائلًا عن الأديان الباطلة، مسلمًا لله موحدًا له تعالى، وما كان من المشركين به كما يزعم مشركو العرب أنهم على ملته..(5)

* * *

يَعْنِي:- ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، فلم تكن اليهودية ولا النصرانية إلا من

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (58/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (81/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (66) المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (66).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (58/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

بعده، ولكن كان متبعًا لأمر الله وطاعته، مستسلمًا لربه، وما كان من المشركين.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن إبراهيم - عليه السلام - ما كان على دين اليهود ولا على دين النصارى، ولكن كان منصرفاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، منقاداً لله، مخلصاً في طاعته، وما كان من الذين يشركون مع الله غيره في العبادة.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا}... يعلمهم أن ابراهيم بريء من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما.

{يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً}... لم يكن إبراهيم على ملة اليهود، ولا على ملة النصارى.

{كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً}... مائلاً عن الملل الباطلة إلى ملة الحق وهي الإسلام.(3)

{حَنِيفًا}... مَائِلًا عَنِ الشِّرْكِ قَصْدًا.

{كَانَ حَنِيفًا}... مائلًا عن الأديان كُلّهَا إلى التوحيد.

{مُسْلِمًا}... مُطِيعًا لله عَابِدًا له، وكان دِينُه الإسلامَ.(4)

{وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}... كما لم يكن منكم. أو أراد بالمشركين اليهود والنصارى لا شراكهم به عزيرا والمسيح.(5)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: (محمد بن إسحاق): حدثني محمد بن أبي محمد حدثني (سعيد بن جبير) أو (عكرمة) عن (ابن عباس) قال: قال: عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مالهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد. وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله عز وجل: (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً)(6)

* * *

[٦٨] ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن أحق الناس بالانتساب إلى إبراهيم، هم الذين اتبعوا ما جاء به في زمانه، وأحق الناس أيضا بذلك هذا النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -، والذين آمنوا به من هذه الأمة، والله ناصر المؤمنين به وحافظهم..(7)

* * *

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (58/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (81/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (آل عمران) الآية (67).

(4) انظر: (تفسير غريب القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (67). المؤلف: (كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري).

(5) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (67)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(6) انظر: (تفسير الإمام (ابن كثير) برقم (324/1)، و(إسناده حسن).

(7) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (58/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِـي: - إنَّ أحق الناس بإبراهيم وأخصهم به، الذين آمنوا به وصدقوا برسالته واتبعوه على دينه، وهذا النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- والذين آمنوا به. والله وليُّ المؤمنين به المتبعين شرعه. (1)

* * *

يَعْنِـي: - إن أحق الناس بالانتساب إلى إبراهيم ودينه هم الذين أجابوا دعوته واهتدوا بهديه فى زمنه، وكذا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومن آمن معه، فإنهم أهل التوحيد الخالص وهو دين إبراهيم، والله يحب المؤمنين وينصرهم لأنهم أولياؤه، ويجازيهم بالحسنى وزيادة. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ} ... أي: إن أخصهم به وأقربهم منه.

{أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ} ... أَحَقُّ بالنسبة إلى إبراهيم وَمُوالاتِهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ عَلَى التوحيد. (3)

{لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ} ... فى زمانه وبعده.

{وَهَذَا النَّبِيُّ}... خصوصا. وقرىء: وهذا النبي، بالنصب عطفا على الهاء فى اتَّبَعُوهُ أي: اتبعوه واتبعوا هذا النبي، كما قرىء بالجر، عطفا على إبراهيمُ.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا} ... من أمته. (4)

{وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} ... متولي أمرهم وناصرهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين} .

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو أحمد، حدثنا سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى عن (مسروق)، عن (عبد الله) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((إن لكل نبي وُلاة من النبيين وإن وليِّي أبي وخليل ربي)) ثم قرأ {إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين}. (5)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - و الإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (ابن أبي طلحة) - عن (ابن

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (58/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (81/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (آل عمران) الآية (68)، المؤلف: الشيخ (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (68)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(5) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (5/223- 224)، (ح 2995) – (كتاب: تفسير القرآن)، / باب: (من سورة آل عمران).

قال: الإمام (الترمذي): حدثنا محمود، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن أبيه عن أبي الضحى عن (عبد الله) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مثله، ولم يقل فيه عن (مسروق).

قال: الإمام (أبو عيسى): هذا أصح من حديث (أبي الضحى عن مسروق، وأبو الضحى اسمه مسلم بن صبيح. حدثنا أبو كريب. حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن عبد الله عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نحو حديث أبي نعيم وليس فيه عن مسروق) . .

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي).

وأخرجه الإِمَامْ (الطبريي) في (التفسير) برقم (6/498)،

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2/292-553) كلاهما من طريق -: (الثوري) به

و (صححه) الإِمَامْ (الحاكم) ووافقه، الإِمَامْ (الذهبي).

وقال: الشيخ (أحمد شاكر) في تعليقه على رواية الإِمَامْ (الطبري) (إسناد صحيح متصل) .

عباس): قال: يقول الله سبحانه {إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه} وهم المؤمنون.(1)(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه} يقول: الذين اتبعوه على ملته وسنته ومنهاجه وفطرته {وهذا النبي} وهو نبي الله محمد {والذين آمنوا} معه وهم المؤمنون الذين صدقوا نبي الله واتبعوه. كان محمداً رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والذين معه من المؤمنين، أولى الناس بإبراهيم.(3)

* * *

قوله تعالى: {إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين}.

قال: الإمَامُ (الترمذي) – (رحمه الله) – في (سُننه) – (بسنده):– حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو أحمد، حدثنا سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى عن (مسروق)، عَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ) – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم:– " إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلَاةً مِنَ النَّبِيِّينَ (4) وَإِنَّ وَلِيِّي أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي, ثُمَّ قَرَأَ: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} "(5)(6)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – و الإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):– (بسندهما الحسن) – عن (ابن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: يقول الله سبحانه (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) وهم المؤمنون.(7)(8)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه} يقول: الذين اتبعوه على ملته وسنته ومنهاجه وفطرته {وهذا النبي} وهو نبي الله محمد

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (68).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (68).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (68).

(4) (وُلَاةٌ): جَمْعُ وَلِيٍّ, أَيْ: أَحِبَّاءُ وَقُرَنَاءُ, هُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِهِمْ. انظر: (تحفة الأحوذي) – (ج7/ ص316).

(5) اخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (5/223– 224)، (ح 2995) – (كتاب: تفسير القرآن)، / باب: (من سورة آل عمران).

قال: الإمَام (الترمذي): حدثنا محمود، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن أبيه عن أبي الضحى عن (عبد الله) عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مثله، ولم يقل فيه عن (مسروق).

قال: الإمَام (أبو عيسى): هذا أصح من حديث (أبي الضحى عن مسروق، وأبو الضحى اسمه مسلم بن صبيح. حدثنا أبو كريب. حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن عبد الله عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نحو حديث أبي نعيم وليس فيه عن مسروق) . .

و (صححه) الإمَامُ (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي).

وأخرجه الإمَامُ (الطبري) في (التفسير) برقم (6/498)،

وأخرجه الإمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2/292–553) كلاهما من طريق – : (الثوري) به.

و (صححه) الإمَامُ (الحاكم) ووافقه، الإمَامُ (الذهبي).

وقال: الشيخ (أحمد شاكر) في تعليقه على رواية الإمَامُ (الطبري) (إسناد صحيح متصل).

(6) اخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2995).

وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (4088).

وانظر: (صَحِيح الْجَامِع) رقم (2158).

(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (68).

(8) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (68).

{والذين آمنوا} معه وهم المؤمنون الذين صدقوا نبي الله واتبعوه. كان محمداً رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والذين معه من المؤمنين، أولى الناس بإبراهيم.(1)

* * *

[٦٩] ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يتمنى أحبارٌ من أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يضلوكم أيها المؤمنون - عن الحق الذي هداكم الله له، وما يضلون إلا أنفسهم" لأن سعيهم في إضلال المؤمنين يزيد في ضلالهم هم، وما يعلمون عاقبة أفعالهم.(2) ..؟!

* * *

يَعْنِي:- تمنَّت جماعة من اليهود والنصارى لو يضلونكم أيها المسلمون- عن الإسلام، وما يضلون إلا أنفسهم وأتباعهم، وما يدرون ذلك ولا يعلمونه.(3)

* * *

يَعْنِي:- إن فريقاً من أهل الكتاب يتمنون إضلال المؤمنين وفتنهم عن دينهم، بإلقاء الشبه التى توهن الاعتقاد، وهم فى عملهم هذا لا يضلُّون إلا أنفسهم بإصرارهم على الضلال الذى يحيق بهم - وحدهم - ولا يعلمون إن عاقبة سعيهم هذا لاحقة بهم ولا تضر المؤمنين.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَدَّت طَّآئِفَةٌ} ... أَحَبَّتْ فرقة وهم الأحبار والرؤساءُ فيهم.(5)

{وَدَّت طَّآئِفَة} ... هم اليهود.

{وَما يُضِلُّونَ إِلاَ أَنْفُسَهُمْ} ... أي: وما يعود وبال الإضلال الا عليهم، لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم.(6)

{وَمَا يَشْعُرُونَ} ... أي: وما يدرون ولا يعلمون بأنهم بمحاولة إضلال المؤمنين إنما هم يضلون أنفسهم حيث يتوغلون في الشر فيضاعف لهم العذاب.(7)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} .

بيان هذه الطائفة ورد في الآية (72-73) من سورة (آل عمران). - كما قال تعالى: {وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلَا

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (68).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (58/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (58/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (81/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (آل عمران) الآية (69)، المؤلف: الشيخ (جابربن أبو بكر الجزائري).

(6) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (69)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(7) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (آل عمران) الآية (69)، المؤلف: الشيخ (جابربن أبو بكر الجزائري).

تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(73)﴾.

* * *

[٧٠] ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لِمَ تكفرون بآيات الله التي أنزلت عليكم وما فيها من: دلالة على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وأنتم تشهدون أنه الحق الذي دلت عليه كتبكم؟!..(1)

* * *

يَعْنِي:- يا أهل التوراة والإنجيل لم تجحدون آيات الله التي أنزلها على رسله في كتبهم، وفيها أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الرسول- المنتظر، وأن ما جاءكم به هو الحق، وأنتم تشهدون بذلك؟ ولكنكم تنكرونه.(2)

* * *

يَعْنِي:- يا أهل الكتاب لم تكذّبون بآيات الله المنزلة الدالة على صدق نبوة محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأنتم تعلمون أنها حق؟.(3)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (58/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (58/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (82/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74) وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{بِآيَاتِ اللَّهِ} ... بالتوراة والإنجيل، وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم- وغيرها، أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول- .

{وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} ... وأنتم تعترفون أنها آيات الله.(4)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} يقول: تشهدون أن نعت محمد نبي

---

(4) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (70)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في كتابكم، ثم تكفرون به وتنكرونه ولا تؤمنون به، وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته.(1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• أن الرسالات الإلهية كلها اتفقت على كلمة عدل واحدة، وهي: توحيد الله تعالى والنهي عن الشرك.

• أهمية العلم بالتاريخ؛ لأنه قد يكون من الحجج القوية التي تُرَدُّ بها دعوى المبطلين.

• أحق الناس بإبراهيم -عليه السلام- من كان على ملته وعقيدته، وأما مجرد دعوى الانتساب إليه مع مخالفته فلا تنفع.

• دَلَّت الآيات على حرص كفرة أهل الكتاب على إضلال المؤمنين من هذه الأمة حسداً من عند أنفسهم..(2)

* * *

[٧١] ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أهل الكتاب لم تخلطون الحق الذي أنزل في كتبكم بالباطل من عندكم، وتخفون ما فيها من الحق والهدى، ومنه صحة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وأنتم تعلمون الحق من الباطل والهدى من الضلال؟!.(3)

* * *

يَعْني:- يا أهل التوراة والإنجيل لِمَ تخلطون الحق في كتبكم بما حرفتموه وكتبتموه من الباطل بأيديكم، وتُخْفون ما فيهما من صفة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأن دينه هو الحق، وأنتم تعلمون ذلك؟.(4)

* * *

يَعْني:- يا أهل الكتاب لم تخلطون الحق الذى جاء به الأنبياء ونزلت به الكتب بما جئتم به من شبهات واهية، وتأويلات باطلة، ولا تذيعون الحق صريحاً واضحاً بعيداً عن التخليط، وأنتم تعرفون أن عقاب الله على مثل هذا الفعل عظيم؟.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تَلْبِسُونَ} ... تَخْلِطُونَ.

{تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} ... أي: تخلطون.

وقرىء: تلبسون، بفتح الباء، أي تلبسون الحق مع الباطل.(6)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (70).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (58/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (59/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (59/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (82/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(6) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (70)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} .

قال: الإمَامُ (الطبري) – و الإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما) (الحسن) – عن (ابن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: قال: عبد الله بن الصيف، وعدى بن زيد، والحارث بن عوف بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم، لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعوا عن دينهم! فأنزل الله عز وجل فيهم: {يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل} إلى قوله: {والله واسع عليم} . (1)(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): {يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل} يقول: لم تلبسون اليهودية والنصرانية بالإسلام، وقد علمتم أن دين الله الذي لا يقبل غيره، الإسلام، ولا يجزى إلا به. (3)

* * *

وقال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {وتكتمون الحق وأنتم تعلمون} كتموا شأن محمد، وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم المعروف وينهاهم عن المنكر. (4)

* * *

[٧٢] ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقالت جماعة من علماء اليهود: آمِنوا في الظاهر بالقرآن الذي أُنزِل على المؤمنين أول النهار، واكفروا به آخره، لعلهم يشُكُّون في دينهم بسبب كفركم به بعد إيمانكم فيرجعون عنه قائلين: هم أعلم منا بكتب الله وقد رجعوا عنه. (5)

* * *

يَعْنِي:- وقالت: جماعة من أهل الكتاب من اليهود: صدِّقوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا أول النهار واكفروا آخره" لعلهم يتشككون في دينهم، ويرجعون عنه. (6)

* * *

يَعْنِي:- وأن أهل الكتاب – فى سبيل إضلال المؤمنين – قالوا لإخوانهم: آمنوا بالقرآن الذى نزل على محمد -ﷺ- واتبعه فيه المؤمنون أول النهار، واكفروا فى آخره لعلكم

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (71).الناشر: (مؤسسة الرسالة). الطبعة: الأولى.

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (71).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (71).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (71).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (59/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (59/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

تستطيعون بهذا فتنتهم ببث الريب والشك فيهم، فيرجعون عن دينهم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ}... أَوَّلُهُ هُوَ الصباح، وآخِرُهُ هُوَ المساءُ حيث قال بعضُ اليهود لبعض: ادْخُلُوا دِينَ محمد أَوَّلَ النهار دُونَ اعتقادِ القلبِ ثم اكْفُرُوا آخِرَ النهارِ.(2)

{وَجْهَ النَّهَارِ}... أَوَّلَهُ.

والمعنى: أظهروا الايمان بما أنزل على المسلمين فى أول النهار.

{وَاكْفُرُوا آخِرَهُ}... أي: واكفروا به فى آخره، لعلهم يشكون فى دينهم ويقولون: ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم الا الأمر قد تبين لهم.

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}... فيرجعون برجوعكم.(3)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): في قوله: (الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ) فقال: بعضهم لبعض: أعطوهم الرضى بدينهم أول النهار، واكفروا آخره، فإنه أجدر أن يصدقوكم،

ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهم ما تكرهون، وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم.(4)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قول الله عز وجل: {آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار} يهود تقوله. صلت مع محمد صلاة الصبح وكفروا آخر النهار، مكرا منهم، ليُروا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة بعد أن كانوا اتبعوه.(5)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): {لعلهم يرجعون} يقول: لعلهم يدعون دينهم، ويرجعون إلى الذي أنتم عليه.(6)

* * *

[٧٣] ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقالوا أيضًا: ولا تؤمنوا وتتبعوا إلا لمن كان تابعًا لدينكم، قل أيها الرسول- ﷺ -:إن

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (82/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تفسير غريب القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (72). المؤلف: (كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري).

(3) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (72)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (72).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (72).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (72).

الهدى إلى الحق هو هدى الله تعالى لا ما أنتم عليه من تكذيب وعناد مخافة أن يؤتى أحد من الفضل مثل ما أوتيتم، أو مخافة أن يحاجوكم عند ربكم إن أقررتم بما أنزل عليهم، قل أيها الرسول - ﷺ :- إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده، لا يقتصر فضله على أمة دون أمة، والله واسع الفضل عليم بمن يستحقه.(1)

* * *

يَعْنِي:- ولا تصدِّقوا تصديقًا صحيحًا إلا لِمَن تبع دينكم فكان يهودياً، قل لهم أيها الرسول -:- إن الهدى والتوفيق هدى الله وتوفيقه للإيمان الصحيح. وقالوا: لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلمون منكم فيساووكم في العلم به، وتكون لهم الأفضلية عليكم، أو أن يتخذوه حجة عند ربكم يغلبونكم بها. قل لهم أيها الرسول - ﷺ :- إن الفضل والعطاء والأمور كلها بيد الله وتحت تصرفه، يؤتيها من يشاء ممن آمن به وبرسوله. والله واسع عليم، يَسَعُ بعلمه وعطائه جميع مخلوقاته، ممن يستحق فضله ونعمه.(2)

* * *

يَعْنِي:- وقالوا أيضاً: لا تذعنوا إلا لمن تبع دينكم، خشية أن يدعي أحد أنه أوتي مثل ما عندكم، أو يحتج عليكم بإذعانكم عند ربكم، قل لهم أيها النبي - ﷺ :- إن الهدى ينزل من عند الله، فهو الذى يفيض به ويختار له من يشاء، وقل: لهم أيها النبى - ﷺ -إن الفضل من عند الله يعطيه من يريد من عباده، وهو واسع الفضل، عليم بمن يستحقه ومن ينزله عليه.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ} ... هذا من قول اليهود بعضهم لبعض، أيْ: ولا تُصَدِّقُوا إلا لَمَنْ وَافَقَ مِلَّتَكُمْ التي أنتم عليها وهي اليهودية.(4)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): {وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ} هذا قول بعضهم لبعض.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: {أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ} حسدا من يهود أن تكون النبوة في غيرهم، وإرادة أن يُتبعوا على دينهم.(6)

* * *

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/59). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/59)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/ 82)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تفسير غريب القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (73). المؤلف: (كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (73).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (73).

قال: الإمَام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: {قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ} يقول: لما أنزل الله كتابا مثل كتابكم، وبعث نبيا مثل نبيكم، حسد تموهم على ذلك {قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ} الآية.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [آل عمران: 73].

{و} قال: بعضهم لبعض {لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم} أي: لا تثقوا ولا تطمئنوا ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم، واكتموا أمركم، فإنكم إذا أخبرتم غيركم وغير من هو على دينكم حصل لهم من العلم ما حصل لكم فصاروا مثلكم، أو حاجوكم عند ربكم وشهدوا عليكم أنها قامت عليكم الحجة وتبين لكم الهدى فلم تتبعوه، فالحاصل أنهم جعلوا عدم إخبار المؤمنين بما معهم من العلم قاطعا عنهم العلم، لأن العلم بزعمهم لا يكون إلا عندهم وموجبا للحجة عليهم، فرد الله عليهم بأن {الهدى هدى الله} فمادة الهدى من الله تعالى لكل من اهتدى، فإن الهدى إما علم الحق، أو إيثارة، ولا علم إلا ما جاءت به رسل الله، ولا موفق إلا من وفقه الله، وأهل الكتاب لم يؤتوا من العلم إلا قليلا وأما التوفيق فقد انقطع حظهم منه لخبث نياتهم وسوء مقاصدهم، وأما هذه الأمة فقد حصل لهم ولله الحمد من هداية الله من العلوم والمعارف مع العمل بذلك ما فاقوا به وبرزوا على كل أحد، فكانوا هم الهداة الذين يهدون بأمر الله، وهذا من فضل الله عليها وإحسانه العظيم، فلهذا قال تعالى: {قل إن الفضل بيد الله} أي: الله هو الذي يحسن على عباده بأنواع الإحسان {يؤتيه من يشاء} ممن أتى بأسبابه {والله واسع} الفضل كثير الإحسان {عليم} بمن يصلح للإحسان فيعطيه، ومن لا يستحقه فيحرمه إياه.(2)

* * *

[٧٤] ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يختص برحمته من يشاء من خلقه، فيتفضل عليه بالهداية والنبوة وأنواع العطاء، والله ذو الفضل العظيم الذي لا حدّ له.(3)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (73).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (73)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (59/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِي:- إن الله يختص من خلقه مَن يشاء بالنبوة والهداية إلى أكمل الشرائع، والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع.(1)

* * *

يَعْنِي:- فهو يمنح من يشاء النبوة والرسالة، ومن خصه بذلك فإنما هو محض فضله، والله صاحب الفضل العظيم، لا ينازعه فيه غيره، ولا يحجر عليه في عطائه.(2)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ}

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) عن -(مجاهد): {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} قال: النبوة، يخص بها من يشاء.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره): {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} أي: برحمته المطلقة التي تكون في الدنيا متصلة بالآخرة وهي نعمة الدين ومتمماته {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} الذي لا يصفه الواصفون ولا يخطر بقلب بشر، بل وصل فضله وإحسانه إلى ما وصل إليه علمه، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما.(4)

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (59/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (82/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (74).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (74)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

[٧٥] ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتَخب لهذه الآية:

ومن أهل الكتاب مَنْ إن تأمنه على مال كثير يؤدِّ إليك ما ائتمنته عليه، ومنهم من إن تَستأمنه على مال قليل لا يؤدِّ إليك ما ائتمنته عليه إلا إن ظللت تُلحُّ عليه بالمطالبة والتقاضي، ذلك من أجل قولهم وظنهم الفاسد: ليس علينا في العرب وأكل أموالهم إثم" لأن الله أباحها لنا، يقولون هذا الكذب وهم يعلمون افتراءهم على الله.(5)

* * *

يَعْنِي:- ومن أهل الكتاب من اليهود مَن إنْ تأمنه على كثير من المال يؤدِّه إليك من غير خيانة، ومنهم مَن إنْ تأمنه على دينار واحد لا يؤدِّه اليك، إلا إذا بذلت غاية الجهد في مطالبته. وسبب ذلك عقيدة فاسدة تجعلهم يستحلُّون أموال العرب بالباطل، ويقولون: ليس علينا في أكل أموالهم إثم ولا حرج" لأن

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (59/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

الله أحلّها لنا. وهذا كذب على الله، يقولونه بألسنتهم، وهم يعلمون أنهم كاذبون.(1)

* * *

يَعْنِي:- هذا سلوك أهل الكتاب فى الاعتقاد، أما سلوكهم فى المال فمنهم من إن استأمنته على قنطار من الذهب أو الفضة أدَّاه إليك لا ينقص منه شيئاً، ومنهم من إن استأمنته على دينار واحد لا يؤديه إليك إلا إذا لازمته وأحرجته، وذلك لأن هذا الفريق يزعم بأن غيرهم أميون، وأنهم لا ترعى لهم حقوق، ويدعون أن ذلك حكم الله، وهم يعلمون أن ذلك كذب عليه سبحانه وتعالى.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{بِقِنْطَارٍ} ... المَالِ الكَثِيرِ.

{الْأُمِّيِّينَ} ... العَرَبِ" لِأَنَّهُمْ أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ.

{تَأْمَنْهُ} ... ائْتَمَنَهُ عَلَى كذا: وَضَعَهُ عنده أمانةً وآمَنَهُ عَلَيْهِ فلم يَخَفْهُ.

{بِقِنطَارٍ} ... وَزْنٌ مَعْرُوفٌ، والمراد هنا أنه مِنْ ذَهَبٍ بدليل الدينار.

{إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا} ... أي: ملازمًا له تطالبه به ليلَ نهارَ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} {آل عمران: 75}.

يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب في الوفاء والخيانة في الأموال، لما ذكر خيانتهم في الدين ومكرهم وكتمهم الحق، فأخبر أن منهم الخائن والأمين، وأن منهم {من إن تأمنه بقنطار} وهو المال الكثير {يؤده} وهو على أداء ما دونه من باب أولى، ومنهم {من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك} وهو على عدم أداء ما فوقه من باب أولى وأحرى، والذي أوجب لهم الخيانة وعدم الوفاء إليكم بأنهم زعموا أنه {ليس} عليهم {في الأميين سبيل} أي: ليس عليهم إثم في عدم أداء أموالهم إليهم، لأنهم بزعمهم الفاسد ورأيهم الكاسد قد احتقروهم غاية الاحتقار، ورأوا أنفسهم في غاية العظمة، وهم الأذلاء الأحقرون، فلم يجعلوا للأميين حرمة، وأجازوا ذلك، فجمعوا بين أكل الحرام واعتقاد حله وكان هذا كذبا على الله، لأن العالم الذي يحلل الأشياء المحرمة قد كان عند الناس معلوم أنه يخبر عن حكم الله ليس يخبر عن نفسه، وذلك هو الكذب، فلهذا قال {ويقولون على الله الكذب وهم

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (59/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (83/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

يعلمون} وهذا أعظم إثما من القول على الله بلا علم، ثم رد عليهم زعمهم الفاسد.(1)

* * *

قوله تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً}.

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وقال الليث: حدثني جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز، عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلفه ألف دينار،

فقال: ائتني بالشهداء أُشهدهم،

فقال: كفى بالله شهيدا.

قال: فائتني بالكفيل،

قال: كفى بالله كفيلاً.

قال: صدقتَ، فدفعها إليه على أجل مسمّى. فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجّله فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجّج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر،

فقال: ((اللهمّ إنك تعلم أني كنتُ تسلّفتُ فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً،

فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك. وسألني شهيداً،

فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بذلك. وإني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكَهَا. فرمى بها في البحر حتى ولجتَ فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلمّا نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال: والله ما زلتُ جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدتُ مركباً قبل الذي أتيتُ فيه. قال: هل كنت بعثتَ إليّ بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثتَ في الخشبة، فانصرف بالألف الدينار راشداً)).(2)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده) - عن (قتادة): قوله: {إلا ما دمت عليه قائما} إلا ما طلبته واتبعته.(3)

* * *

قوله تعالى: {ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل}.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (75)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4/548-549)، (ح 2291) – (كتاب: الكفالة)، / باب: (الكفالة في القرض والديون ...). وكذا وقع عند البخاري هنا معلقاً، وقد جاء في موضع آخر موصولاً في رواية (أبي ذر)،
ولم يذكر لفظه وإنما ذكر طرفاً منه فقط (الصحيح) (4/350)،(ح 2063)-(كتاب: البيوع)، / باب: (التجارة في البحر) قال: حدثني (عبد الله بن صالح) حدثني الليث،.. به.
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (2/348-349) عن (يونس بن محمد عن الليث) به.

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (75).

قــال: الإمــامُ (الطــبري) – (رحمــه الله) – في (تفسيــره):- (بســـنده الحســـن) – عـــن (قتـــادة): {ذلـــك بـــأنهم قـــالوا لـــيس علينـــا في الأمـــيين ســـبيل} الآيـة قالـت اليهـود: لـيس علينـا فيمـا أصـبنا من أموال العرب سبيل. (1)

* * *

وتقــدم تفســير القنطــار في الآيــة (14) مــن هذه السورة.

وانظــر: الآيــة (14) مــن هــذه (آل عمــران) لبيــان القنطــار. - كمــا قــال تعــالى: {زُيِّــنَ لِلنَّــاسِ حُــبُّ الشَّــهَوَاتِ مِــنَ النِّسَــاءِ وَالْبَــنِينَ وَالْقَنَــاطِيرِ الْمُقَنْطَــرَةِ مِــنَ الــذَّهَبِ وَالْفِضَّــةِ وَالْخَيْــلِ الْمُسَــوَّمَةِ وَالْأَنْعَــامِ وَالْحَــرْثِ ذَلِــكَ مَتَــاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}.

* * *

قــال: الإمَــامُ (البُخَــاري ومُســلم) – (رحمهمــا الله) – في (صــحيحهما) – (بســندهما):- عـــن (أبـــي هريـــرة) مرفوعـــاً: ((تـــنكح النســـاء لأربـــع: لمالهـــا وجمالهـا وحسـبها ودينهـا فـاظفر بـذات الـدين تربت يداك)). (2)(3)

* * *

قــال: الإمَــامُ (الطــبري) – و الإمَــامُ (ابــن أبــي حــاتم) – (رحمهمــا الله) – في (تفســيرهما):- عــن (علــي بــن أبــي طلحــة) – عــن (ابــن عبــاس): قـــال: القنطــار اثنــا عشــر ألــف درهــم، وألــف دينــار. (4)(5)

* * *

قــال: الإمــام (الطــبري) – (رحمــه الله) – في (تفسيــره):- حــدثنا ابــن بشــار قــال، حــدثنا عبــد الــرحمن بــن مهــدي قــال، حــدثنا حمــاد ابــن زيــد، عــن عاصــم بــن بهدلــة، عــن أبــي صــالح، عــن (أبــي هريــرة) قــال: القنطــار ألــف ومئتــا أوقية. (6) و(سنده حسن).

* * *

قــال: الإمــام (الطــبري) – (رحمــه الله) – في (تفسيــره):- (بســنده الصــحيح) – عــن (قتــادة) – عــن (الحســن): أن القنطــار اثنــا عشــر ألفاً. (7)

* * *

قــال: الإمــام (الطــبري) – (رحمــه الله) – في (تفسيــره):- (بســنده الصــحيح) – عــن (قتــادة): قــال: كنــا نحــدث أن القنطــار ألــف رطــل مــن ذهب، أو ثمانون ألفاً من الورق. (8)

* * *

قــال: الإمــام (الطــبري) – (رحمــه الله) – في (تفسيــره):- (بســنده الحســن) عــن (الســدي):

---

(1) انظــر: (جــامع البيــان في تأويــل القــرآن) للإِمَــامْ (الطــبري) في ســورة (آل عمران) الآية (75).

(2) (صَــحِيح): أخرجــه الإمَــامْ (البُخَــاري) في (صــحيحه) بــرقم (ح 5090) - (كتاب: النكاح)، / باب: (الأكفاء في الدين).

(3) (صَــحِيح): أخرجــه الإمَــامْ (مُسْــلِم) في (صــحيحه) بــرقم (ح 1466) - (كتاب: الرضاع)، / باب: (استحباب نكاح ذات الدين)..

(4) انظــر: (جــامع البيــان في تأويــل القــرآن) للإِمَــامْ (الطــبري) في ســورة (آل عمران) الآية (14).

(5) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) للإمــام (ابــن أبــي حــاتم) في ســورة (آل عمران) الآية (14).

(6) انظــر: (جــامع البيــان في تأويــل القــرآن) للإِمَــامْ (الطــبري) في ســورة (آل عمران) الآية (14).

(7) انظــر: (جــامع البيــان في تأويــل القــرآن) للإِمَــامْ (الطــبري) في ســورة (آل عمران) الآية (14).

(8) انظــر: (جــامع البيــان في تأويــل القــرآن) للإِمَــامْ (الطــبري) في ســورة (آل عمران) الآية (14).

القنطار يكون مائة رطل، وهو ثمانية آلاف مثقال. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قول الله: {القناطير المقنطرة} قال: القنطار سبعون ألف دينار. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): {القناطير المقنطرة من الذهب والفضة}، والمقنطرة المال الكثير بعضه على بعض. ولعل هذا الخلاف بسبب اختلاف البلدان، فلكل بلد له مكاييله وأوزانه كالحجاز والشام الكوفة والبصرة ومصر. (3)

* * *

[٧٦] ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ليس الأمر كما زعموا، بل عليهم حرج، ولكن من أوفى بعهده مع الله من الإيمان به وبرسله ووفى بعهده مع الناس فأدى الأمانة، واتقى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه" فإن الله يحب المتقين وسيجازيهم على ذلك أكرم الجزاء. (4)

* * *

يَعْنِي:- ليس الأمر كما زعم هؤلاء الكاذبون، فإن المتقي حقاً هو من أوفى بما عاهد الله عليه من أداء الأمانة والإيمان به وبرسله والتزم هديه وشرعه، وخاف الله عز وجل فامتثل أمره وانتهى عما نهى عنه. والله يحب المتقين الذين يتقون الشرك والمعاصي. (5)

* * *

يَعْنِي:- حقاً لقد افتروا على الله الكذب، فإن من أدَّى حق غيره ووفَّاه في وقته كما عاهده عليه وخاف الله فلم ينقص ولم يماطل فإنه يفوز بمحبة الله لأنه اتقاه. (6)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين}.

قال: الإِمَامُ (الطبري) - و الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (ابن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: اتقى الشرك، {فإن الله

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (14).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (14).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (14).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (59/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (59/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (83/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

يحب المتقين} . المتقين: الذين يتقون الشرك.(1)(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- فقال: {بلى} أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه ليس عليكم في الأميين حرج، بل عليكم في ذلك أعظم الحرج وأشد الإثم.

{من أوفى بعهده واتقى} والعهد يشمل العهد الذي بين العبد وبين ربه، وهو جميع ما أوجبه الله على العبد من حقه، ويشمل العهد الذي بينه وبين العباد، والتقوى تكون في هذا الموضع، ترجع إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى، سواء كانوا من الأميين أو غيرهم، فمن قال ليس علينا في الأميين سبيل، فلم يوف بعهده ولم يتق الله، فلم يكن ممن يحبه الله، بل ممن يبغضه الله، وإذا كان الأميون قد عرفوا بوفاء العهود وبتقوى الله وعدم التجرئ على الأموال المحترمة، كانوا هم المحبوبين لله، المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وكانوا أفضل خلق الله وأجلهم، بخلاف الذين يقولون ليس علينا في الأميين سبيل،(3)

* * *

[٧٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذين يستبدلون بوصية الله إليهم باتباع ما أنزله في كتابه وأرسل به رسله، وبأيمانهم التي قطعوها بالوفاء بعهد الله، يستبدلون بها عوضًا قليلًا من متاع الدنيا، لا نصيب لهم من ثواب الآخرة، ولا يكلمهم الله بما يسرهم، ولا ينظر إليهم نظر رحمة يوم القيامة، ولهم عذاب أليم.(4)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين يستبدلون بعهد الله ووصيته التي أوصى بها في الكتب التي أنزلها على أنبيائهم، عوضًا وبدلا خسيسًا من عرض الدنيا وحطامها، أولئك لا نصيب لهم من الثواب في الآخرة، ولا يكلمهم الله بما يسرهم، ولا ينظر إليهم يوم القيامة

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (76).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (76).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (76)، رقم (ص136-135) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (59/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

بعين الرحمة، ولا يطهرهم من دنس الذنوب والكفر، ولهم عذاب موجع. (1)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين يتركون عهد الله الذى عاهدهم عليه من أداء الحقوق والقيام بالتكليفات، ويتركون أيمانهم التى أقسموا بها على الوفاء - لثمن قليل من أعراض الدنيا - مهما عظم فى نظرهم - هؤلاء لا نصيب لهم فى متاع الآخرة، ويُعرض عنهم ربهم، ولا ينظر إليهم يوم القيامة نظرة رحمة، ولا يغفر لهم آثامهم، ولهم عذاب مؤلم مستمر الإيلام. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يَشْتَرُونَ} ... يستبدلون.

{بِعَهْدِ اللَّهِ} ... بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول - المصدق لما معهم.

{وَأَيْمَانِهِمْ} ... وبما حلفوا به من قولهم: والله لنؤمنن به ولننصرنه.

{ثَمَناً قَلِيلًا} ... متاع الدنيا من الترؤس.

{خَلَاقَ} ... نَصيبَ.

{لا خَلَاقَ لَهُمْ} ... لا نصيب لهم.

أي: لا حظَّ ولا نصيبَ لهم في خيراتِ الآخرةِ ونعيم الجنَان.

{ولا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ} ... مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم.

{وَلا يُزَكِّيهِمْ} ... ولا يثنى عليهم. (3)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه):- {لا خَلاقَ لَهُمْ} : لا خَيْرَ.

{أَلِيمٌ} : " مُؤْلِمٌ ، مُوجِعٌ ، مِنَ الأَلَمِ، وَهْوَ فِي مَوْضِعِ مُفْعِلٍ " (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- فإنهم داخلون في قوله : {إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا} ويدخل في ذلك كل من أخذ شيئا من الدنيا في مقابلة ما تركه من حق الله أو حق عباده، وكذلك من حلف على يمين يقتطع بها مال معصوم فهو داخل في هذه الآية، فهؤلاء {لا خلاق لهم في الآخرة} أي: لا نصيب لهم من الخير {ولا يكلمهم الله} يوم القيامة غضبا عليهم وسخطا، لتقديمهم هوى أنفسهم على رضا ربهم {ولا يزكيهم} أي: يطهرهم من ذنوبهم، ولا يزيل عيوبهم {ولهم عذاب أليم} أي: موجع للقلوب والأبدان، وهو عذاب السخط والحجاب، وعذاب جهنم، نسأل الله العافية. (5)

* * *

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (59/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (83/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (77)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(4) انظر: صحيح الإمَام (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمرآن) الآية (77). برقم (ج 6/ ص 34).

(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (77)، رقم (ص 136) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

قــال: الإمــام (البخــاري) - (رحمــه الله) - في (صــحيحه) - (بســنده):- حــدثنا موســى بــن إسماعيــل حــدثنا عبــد الواحــد بــن زيــاد عــن (الأعمــش) قــال: سمعــت أبــا صــالح يقــول: سمعــت (أبــا هريــرة) - رضــي الله عنــه - يقــول: قــال: رســول الله - صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ:- ((ثلاثــة لا ينظــر الله إلــيهم يــوم القيامــة ولا يــزكيهم ولهــم عــذاب ألــيم: رجــل كــان لــه فضــل مــاء بــالطريق، فمنعــه مــن ابــن الســبيل، ورجــل بــايع إمامــه لا يبايعــه إلا لــدنيا، فــإن أعطــاه منهــا رضــي، وإن لم يعطــه منهــا ســخط. ورجــل أقــام سِلعته بعــد العصــر فقــال: والله الــذي لا إلــه غــيره لقــد أعطيتُ بها كذا وكذا، فصدّقه رجل)).

ثــم قــرأ هــذه الآيــة {إن الــذين يشــترون بعهــد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً} . (1)(2)

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزُول ﴾

قــال: الشــيخ: (مُقبــلُ بــنُ هَــادي الــوادعيُّ) - (رحمــه الله) - في (الصــحيح المســند مــن أســباب النــزول): (3)

قولــه: {إِنَّ الَّــذِينَ يَشْــتَرُونَ بِعَهْــدِ اللَّــهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} {الآية: 77}.

قــال: الإمــام (أبــو عبــد الله البخــاري) - (رحمــه الله) - {ج5 / ص430} حــدثنا عبــدان عــن أبــي حمــزة عــن الأعمــش عــن شــقيق عــن (عبــد الله) - رضــي الله عنــه) عــن الــنبي -صــلى الله عليــه وعلــى آلــه وســلم- قــال: ((مــن حلــف علــى يمــين يقتطــع بهــا مــال امــرئ هــو عليهــا فــاجر لقــي الله وهــو عليــه غضــبان)) فــأنزل الله تعــالى {إِنَّ الَّــذِينَ يَشْــتَرُونَ بِعَهْــدِ اللَّــهِ وَأَيْمَــانِهِمْ ثَمَنًــا قَلِيلًــا} الآيــة. فجــاء الأشــعث فقــال: مــا حــدثكم أبــو عبــد الــرحمن فيَّ أنزلــت هــذه الآيــة كانــت لــي بئــر في أرض ابــن عــم لــي فقــال لــي: شــهودك قلــت: مــا لــي شــهود، قــال: فيمينــك، قلــت يــا رســول الله إذا يحلــف فــذكر الــنبي -صــلى الله عليــه وعلــى آلــه وســلم- هــذا الحــديث فــأنزل الله ذلــك تصــديقا له. (4)

* * *

حديث آخر:

قــال: الإمــام (البخــاري) - (رحمــه الله) - في (صــحيحه) - (بســنده):- حــدثنا حجــاج بــن منهــال حــدثنا أبــو

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (34/5)، (ح 2358) – (كتاب: المساقاة)، / باب: (إثم من منع ابن السبيل من الماء).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (103/1)، (ح 108) – (كتاب: الإيمان)، / باب: (بيان غلظ تحريم إسبال الإزار) .

(3) انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (1/44-45)، في سورة (آل عمران) الآية (77)، للشيخ: (مُقْبلُ بنُ هَادِي الوادعِيّ). .

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في مواضع من (صحيحه منها) برقم (ج6 ص70)، و(ص280) وفيه: كانت بيني وبين رجل من اليهود أرض و(210) وفيه كانت بيني وبين رجل خصومة في شيء و(ص215)، و(ج9 ص280)، و(ج14/ ص352)، و(ص368)، و(ج16 /ص302). وأخرجه الإمام (مسلم) رقم (ج2 ص158) و الإِمَامْ (الترمذي) برقم (ج2 ص254)، و أعاد بسنده (ج4/ ص81).

و الإِمَامْ (أبو داود) رقم (ج3 ص214 و215) وعزاه الإِمَامْ (المباركفوري) في (تحفة الأحوذي) (ج2 ص254)-إلى الإِمَامْ (النسائي) و الإِمَامْ (ابن ماجه) مع من تقدم من أصحاب الأمهات ورواه الإمام (أحمد) في (المسند) رقم (ج1/ ص426)، و(ص442) و(ج5 ص211 و212) من - مسند (الأشعث بن قيس).

وأخرج حديث الباب الإِمَامْ (الطيالسي) رقم (ج1 ص246)، و(ج2 ص16) و الإِمَامْ (ابن جرير) برقم (ج3 /ص321).

وأخرج الإِمَامْ (البخاري)- من حديث – (عبد الله بن أبي أوفى) أن رجلا أقام سلعة في السوق فحلف فيها لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} - الآية (ج9/ ص280) ولا منافاة بينهما ويحمل على أن النزول كان بالسببين جميعا ولفظ الآية أعم من ذلك على أن حديث عبد الله بن مسعود أصح لأن حديث (عبد الله بن أبي أوفى) - من حديث - (إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي)، قال: الحافظ (الذهبي) في الميزان لينه شعبة والنسائي ولم يترك إلى آخر ما ذكره -رحمه الله.

وقوله في بعض الروايات في أرض وفي أخرى وفي بئر قال: (الحافظ) في (الفتح) برقم (ج14/ ص369): ويجمع بأن المراد أرض البئر لا جميع الأرض والبئر من جملتها. هذا وقد أطال الحافظ -رحمه الله- في (الفتح) في هذا الموضوع في توجيه بعض الألفاظ التي ظاهرها يخالف الأخرى فليراجع هنالك.

عوانة عن الأعمش عن أبي وائل عن (عبد الله بن مسعود) - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((من حلف يمين صبرٍ ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان، فأنزل الله تصديق ذلك {إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة} إلى آخر الآية. قال: فدخل (الأشعث بن قيس)، وقال: ما يحدثك (أبو عبد الرحمن)؟ قلنا كذا وكذا، قال: فيَّ أنزلت، كانت لي بئر في أرض ابن عمّ لي، قال: النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((بيِّنتك أو يمينه)). فقلت: إذا يحلف يا رسول الله، فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم وهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان)).(1)(2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في(صحيحه):-

حدثني إسحاق أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا العوّام، حدثني إبراهيم أبو إسماعيل السكسكي، سمع (عبد الله بن أبي أوفى) - رضي الله عنهما - يقول: أقام رجل سلعته فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يُعطها. فنزلت: (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً)،

قال: ابن أبي أوفى: ((الناجش آكل ربا خائن)).(3)

* * *

وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي و مُسلِم) - في (صحيحهما):- و (أبو داود) في (سننه):- والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم):- وَعَنْ (أَبِي وَائِل) قَالَ: قَالَ (عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُود) - رضي الله عنه:- قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم:- (" مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا) (4) (مَالًا وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ إِلاَّ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ) (5) (ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ (6) فِي الْآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ , وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ , وَلاَ يُزَكِّيهِمْ , وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (7)(8) (فَلَقِيَنِي الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ الْكِنْدِيُّ - رضي الله عنه - فَقَالَ: مَا حَدَّثَكُمْ عَبْدُ اللهِ الْيَوْمَ؟ , قُلْتُ: كَذَا وَكَذَا) (9) (فَقَالَ: صَدَقَ، لَفِيَّ وَاللهِ أُنْزِلَتْ)

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (8/60-61)، (ح4549، 4550)، - (كتاب: تفسير القرآن)، / باب: (سورة آل عمران)- (الآية).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1/122-123)، (ح 1338)- (كتاب: الإيمان)، / باب: (وعد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5/286)، (ح 2675) - (كتاب: الشهادات)، / باب: قوله تعالى: (إن الذين يشترون بعهد الله).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6299).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسلِمْ) في (صحيحه) برقم (220) - (138).

(5) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6761).

(6) أَيْ: لَا نَصِيب لهم.

(7) {آل عمران/77}.

(8) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (222)-(138).
وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2380 , 2531).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (3576).

(9) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2531).

(1) (خَاصَمْتُ ابْنَ عَمٍّ لِي إِلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي بِئْرٍ كَانَتْ لِي فِي يَدِهِ , فَجَحَدَنِي (2) فَقَالَ: لِي رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم:- " بَيِّنَتُكَ (3) أَنَّهَا بِئْرُكَ , وَإِلاَّ فَيَمِينُهُ) (4) (أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟ " , قُلْتُ: لاَ) (5) (قَالَ: " فَيَمِينُهُ ") (6) (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لِي بِيَمِينِهِ؟ , وَإِنْ تَجْعَلْهَا بِيَمِينِهِ تَذْهَبْ بِئْرِي , إِنَّ خَصْمِي امْرُؤٌ فَاجِرٌ) (7) (لاَ يُبَالِي مَا حَلَفَ عَلَيْهِ , وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ) (8) (قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم:- " لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلاَّ ذَلِكَ") (9) (فَتَهَيَّأَ الْكِنْدِيُّ لِلْيَمِينِ) (10) (11) (فَلَمَّا قَامَ لِيَحْلِفَ) (12) (قَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم:- " إِنْ هُوَ اقْتَطَعَهَا بِيَمِينِهِ ظُلْمًا , كَانَ مِمَّنْ لاَ يَنْظُرُ اللهُ - عز وجل - إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِ وَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (13) (مَنْ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ) (14).

وفي رواية: ((أَمَا لَئِنْ حَلَفَ عَلَى مَالٍ لِيَأْكُلَهُ ظَالِمًا , لَيَلْقَيَنَّ اللهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ)) (15).

وفي رواية: ((لَقِيَ اللهَ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَهُوَ أَجْذَمُ)) (16)

(فَأَنْزَلَ اللهُ: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ") (17) (فَوَرِعَ الْكِنْدِيُّ) (18) (فَقَالَ: مَاذَا لِمَنْ تَرَكَهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ ,

---

(1) أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2380).

(2) الجحود: الإنكار.

(3) البينة: الدليل والبرهان الواضح.

(4) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21886).
وأخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2380).
وأخرجه الإمَامُ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (221) - (138).

(5) أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2285).

(6) وفي رواية للإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم 2285).
وأخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (1269).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (3597):
قَالَ: (الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ): كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ "مِنَ الْيَهُودِ" أَرْضٌ فَجَحَدَنِي فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟ " , قُلْتُ: لَا , فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: "احْلِفْ", قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِذًا يَحْلِفَ وَيَذْهَبَ بِمَالِي.
قلت: في هذه الرواية دليل على جواز تحليف أهل الكتاب.

(7) أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2229).

(8) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند برقم (21886).
وأخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2380).

(9) أخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (3245).
وأخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2380).

(10) اخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (3623). (3245).

(11) اخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (3244).

(12) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (18883).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).

(13) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (19532).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).

(14) أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (7007), (4275).
واخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (3244).

(15) اخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (3245).
وأخرجه الإمَامُ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (223) - (139).

(16) اخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (3244).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21892).

(17) اخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (3621).
وأخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2229).
وأخرجه الإمَامُ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (220) - (138).

(18) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (19532), (21898).

قَالَ: " الْجَنَّةُ " , قَالَ: فَاشْهَدْ أَنِّي قَدْ تَرَكْتُهَا لَهُ كُلَّهَا)[1] .

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- وعَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى) – رضي الله عنه – (أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَةً فِي السُّوقِ)[2] فَحَلَفَ بِاللهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا مَا لَمْ يُعْطَ , لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ , فَنَزَلَتْ: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ , وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ , وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ , وَلاَ يُزَكِّيهِمْ , وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ})[3]

(وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي أَوْفَى): النَّاجِشُ آكِلُ رِبًا خَائِنٌ)[4] .

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي و مُسلِم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما):- وعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم:- (" ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ , وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ , وَلاَ يُزَكِّيهِمْ , وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[5] (رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ)[6] (بِالطَّرِيقِ)[7] (يَمْنَعُ (يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ)[8])[9] (فَيَقُولُ اللهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ)[10])[11] (وَرَجُلٌ سَاوَمَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ)[12] (فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ)[13] (وَهُوَ كَاذِبٌ)[14] (لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا)[15] .

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17752).
و(صححه) (الإمام) (الألباني) في (الإرواء) رقم (2638).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).

(2) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4276).
(3) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1982).
واخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (10578).

(4) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2530).
واخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (22033).
واخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (10578).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (108).
وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2230).

(6) أَيْ: زَائِدًا عَنْ حَاجَته. عون المعبود - (ج 7 / ص 468).
(7) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2230).
(8) لَا شَكَّ فِي غِلَظ تَحْرِيم مَا فَعَلَ، وَشِدَّة قُبْحه , فَإِذَا كَانَ مَنْ يَمْنَع الْمَاشِيَةَ فَضْل الْمَاءِ عَاصِيًا , فَكَيْف بِمَنْ يَمْنَعُهُ الْآدَمِيَّ الْمُحْتَرَم؟ , أَمَّا إِن كَانَ اِبْن السَّبِيل غَيْر مُحْتَرَم كَالْحَرْبِيِّ وَالْمُرْتَدِّ لَمْ يَجِب بَذْلُ الْمَاءِ لَهُمَا. النووي (ج 1 / ص 220).

(9) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2527).
(10) الْمُعَاقَبَة وَقَعَتْ عَلَى مَنْعه الْفَضْلَ , فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ أَحَقُّ بِالْأَصْل، وَيُؤْخَذُ أَيْضًا مِنْ قَوْله: " مَا لَمْ تَعْمَل يَدَاك " فَإِنَّ مَفْهُومَهُ أَنَّهُ لَوْ عَالَجَهُ لَكَانَ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْره.
وَحَكَى اِبْن التِّين عَنْ أَبِي عَبْد الْمَلِك أَنَّهُ قَالَ: هَذَا يَخْفَى مَعْنَاهُ، وَلَعَلَّهُ يُرِيد أَنَّ الْبِئْرَ لَيْسَتْ مِنْ حَفْرِه , وَإِنَّمَا هُوَ فِي مَنْعِه غَاصِبٌ ظَالِمٌ، وَهَذَا لَا يَرِدُ فِيمَا حَازَهُ وَعَمِلَهُ.
قَالَ: وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون هُوَ حَفَرَهَا , وَمَنَعَهَا مِنْ صَاحِب الشَّفَة , أَيْ: الْعَطْشَان، وَيَكُون مَعْنَى " مَا لَمْ تَعْمَل يَدَاك " أَيْ: لَمْ تُنْبِعْ الْمَاء , وَلَا أَخْرَجْتَهُ.
وانظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (ج7ص231).

(11) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (7008).
(12) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2527).
(13) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (108).
(14) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2240).
(15) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (108).

وفي روايــة: (أُعْطِيــتُ بِهَــا [1] كَــذَا وَكَــذَا) [2] (فَصَــدَّقَهُ الرَّجُــلُ) [3] (فَأَخَــذَهَا) [4] [4] [5] . وفي روايــة: (وَرَجُــلٌ حَلَــفَ عَلَــى يَمِــينٍ يَمِــينٍ كَاذِبَــةٍ بَعْــدَ الْعَصْــرِ [6] لِيَقْتَطِــعَ بِهَــا مَــالَ مَــالَ رَجُــلٍ مُسْــلِمٍ) [7] (ثُــمَّ قَــرَأَ هَــذِهِ الْآيَــةَ: {إِنَّ الَّــذِينَ يَشْــتَرُونَ بِعَهْــدِ اللهِ وَأَيْمَــانِهِمْ ثَمَنًــا قَلِيلًــا أُولَئِــكَ لَا خَــلَاقَ لَهُــمْ [8] فِــي الْــآخِرَةِ , وَلَا يُكَلِّمُهُــمُ اللهُ , وَلَا يَنْظُــرُ إِلَــيْهِمْ يَــوْمَ الْقِيَامَــةِ , وَلَا يُــزَكِّيهِمْ وَلَهُــمْ عَــذَابٌ أَلِــيمٌ} [9] وَرَجُــلٌ بَــايَعَ إِمَامًــا [10] لَا يُبَايِعُــهُ إِلَّا لِــدُنْيَا) [11] (فَــإِنْ أَعْطَــاهُ مِنْهَــا) [12] (مَــا يُرِيــدُ) [13] (وَفَــى لَــهُ) [14] (وَإِنْ لَــمْ يُعْطِــهِ مِنْهَــا , لَــمْ يَفِ لَهُ) [15] [16]

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْــوُونَ أَلْسِــنَتَهُمْ بِالْكِتَــابِ لِتَحْسَــبُوهُ مِــنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَــابِ وَيَقُولُــونَ هُــوَ مِــنْ عِنْــدِ اللَّــهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّــهِ وَيَقُولُــونَ عَلَــى اللَّــهِ الْكَــذِبَ وَهُــمْ يَعْلَمُــونَ (78) مَــا كَــانَ لِبَشَــرٍ أَنْ يُؤْتِيَــهُ اللَّــهُ الْكِتَــابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُــمَّ يَقُــولَ لِلنَّــاسِ كُونُــوا عِبَــادًا لِــي مِــنْ دُونِ اللَّــهِ وَلَكِــنْ كُونُــوا رَبَّــانِيِّينَ بِمَــا كُنْــتُمْ تُعَلِّمُــونَ الْكِتَــابَ وَبِمَــا كُنْــتُمْ تَدْرُسُــونَ (79) وَلَــا يَــأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَــةَ وَالنَّبِــيِّينَ أَرْبَابًــا أَيَــأْمُرُكُمْ بِــالْكُفْرِ بَعْــدَ إِذْ أَنْــتُمْ مُسْــلِمُونَ (80) وَإِذْ أَخَــذَ اللَّــهُ مِيثَــاقَ النَّبِــيِّينَ لَمَــا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَــابٍ وَحِكْمَــةٍ ثُــمَّ جَــاءَكُمْ رَسُــولٌ مُصَــدِّقٌ لِمَا مَعَكُــمْ لَتُــؤْمِنُنَّ بِــهِ وَلَتَنْصُــرُنَّهُ قَــالَ أَأَقْــرَرْتُمْ وَأَخَــذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَــا قَــالَ فَاشْــهَدُوا وَأَنَــا مَعَكُــمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَــنْ تَــوَلَّى بَعْــدَ ذَلِــكَ فَأُولَئِــكَ هُــمُ الْفَاسِقُونَ (82) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُــونَ وَلَــهُ أَسْــلَمَ مَــنْ فِــي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)

وفي روايــة: " فَــإِنْ أَعْطَــاهُ مِنْهَــا رَضِــيَ , وَإِنْ لَــمْ يُعْطِه مِنْهَا سَخِطَ " [17]

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

---

(1) أَيْ: بِالسِّلْعَةِ. عون المعبود - (ج 7 / ص 468).

(2) أَيْ: مِنْ الثَّمَن. عون المعبود - (ج 7 / ص 468).

(3) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2230).

(4) أَيْ: اِشْــتَرَى السِّــلْعَةَ بِــالثَّمَنِ الَّــذِي حَلَــفَ الْبَــائِعُ أَنَّــهُ أُعْطِيــه , اِعْتِمَــادًا عَلَــى حَلِفه. عون المعبود - (ج 7 / ص 468).

(5) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6786).

(6) خَــصَّ وَقْــتَ الْعَصْــرِ بِتَعْظِــيمِ الْــإِثْمِ فِيــهِ - وَإِنْ كَانَــتْ الْــيَمِينُ الْفَــاجِرَةُ مُحَرَّمَــةً فِــي كُــلِّ وَقْــت - لِــأَنَّ اللهَ عَظَّــمَ شَــأنَ هَــذَا الْوَقْــت , بِــأَنْ جَعَــلَ الْمَلَائِكَــةَ تَجْتَمِــعُ فِيــهِ , وَهُــوَ وَقْتُ خِتَامِ الْأَعْمَالِ، وَالْأُمُورُ بِخَوَاتِيمِهَا , وَكَانَ السَّلَفُ يَحْلِفُونَ بَعْد الْعَصْر.

وانظــر: (فــتح البــاري) للإمــام (الحــافظ ابــن حجــر العســقلاني) بــرقم (ج 20 / ص 253).

(7) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2240).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (108).

(8) أَيْ: لَا نَصِيب لهم.

(9) {آل عمران/77}.

(10) أَيْ: عَاهَدَ الْإِمَامَ الْأَعْظَم. عون المعبود - (ج 7 / ص 468).

(11) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2240).

(12) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (108).

وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2527).

(13) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2527).

(14) أَيْ: مَــا عَلَيْــهِ مِــنْ الطَّاعَــة , مَــعَ أَنَّ الْوَفَــاءَ وَاجِــبٌ عَلَيْــهِ مُطْلَقًــا. شــرح ســنن النسائي - (ج 6 / ص 143).

(15) فِــي الْحَــدِيث وَعِيــدٌ شَــدِيدٌ فِــي نَكْــثِ الْبَيْعَــةِ , وَالْخُــرُوج عَلَــى الْإِمَــام , لِمَــا فِــي ذَلِــكَ مِــنْ تَفَــرُّقِ الْكَلِمَــة، وَلِمَــا فِــي الْوَفَــاءِ مِــنْ تَحْصِــينِ الْفُــرُوجِ وَالْــأَمْوَال , وَحَقْــنِ الــدِّمَاء، وَالْأَصْــل فِــي مُبَايَعَــةِ الْإِمَــام أَنْ يُبَايِعَــهُ عَلَــى أَنْ يَعْمَــلَ بِــالْحَقِّ , وَيُقِــيمَ الْحُــدُودَ , وَيَــأمُرَ بِــالْمَعْرُوف , وَيَنْهَــى عَــنْ الْمُنْكَــرِ، فَمَــنْ جَعَــلَ مُبَايَعَتَــهُ لِمَــالٍ يُعْطَــاهُ دُونَ مُلَاحَظَــةِ الْمَقْصُــودِ فِــي الْأَصْــل, فَقَــدْ خَسِــرَ خُسْــرَانًا مُبِينًــا , وَدَخَــلَ فِــي الْوَعِيــد الْمَذْكُور , وَحَاقَ بِهِ إِنْ لَمْ يَتَجَاوَزْ الله عَنْهُ.

وَفِيــهِ أَنَّ كُــلَّ عَمَــلٍ لَــا يُقْصَــدُ بِــهِ وَجْــهُ اللهِ , وَأُرِيــدَ بِــهِ عَــرَضُ الــدُّنْيَا , فَهُــوَ فَاسِــدٌ وَصَاحِبُه آثِمٌ.

وانظــر: (فــتح البــاري) للإمــام (الحــافظ ابــن حجــر العســقلاني) بــرقم (ج 20 / ص 253).

(16) أخرجه الإِمَامْ (مُسلِم) في (صحيحه) برقم (108).

وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2527).

(17) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2240).

• مـن علماء أهل الكتاب مـن يخدع أتباع ملتهم، ولا يبين لهم الحق الذي دلت عليه كتبهم، وجاءت به رسلهم.

• من وسائل الكفار الدخول في الدين والتشكيك فيه من الداخل.

• الله تعالى هو الوهاب المتفضل، يعطي من يشاء بفضله، ويمنع من يشاء بعدله وحكمته، ولا ينال فضله إلا بطاعته.

• كل عوَض في الدنيا عن الإيمان بالله والوفاء بعهده -وإن كان عظيمًا- فهو قليل حقير أمام ثواب الآخرة ومنازلها.(1)

* * *

[٧٨] ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإن من اليهود لطائفة يَحْرِفون ألسنتهم بذكر ما ليس من التوراة المنزلة من عند الله، لتظنوا أنهم يقرؤون التوراة، وما هو من التوراة، بل هو من كذبهم وافترائهم على الله، ويقولون: ما نقرؤه منزل من عند الله، وليس هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون كذبهم على الله ورسله.(2)

* * *

يَعْنِي:- وإن من اليهود لَجماعةً يحرفون الكلام عن مواضعه، ويبدلون كلام الله ليوهموا غيرهم أن هذا من الكلام المنزل، وهو التوراة، وما هو منها في شيء، ويقولون: هذا من عند الله أوحاه الله إلى نبيه موسى، وما هو من عند الله، وهم لأجل دنياهم يقولون: على الله الكذب وهم يعلمون أنهم كاذبون.(3)

* * *

يَعْنِي:- وإن من هؤلاء فريقاً يميلون ألسنتهم فينطقون بما ليس من الكتاب، محاولين أن يكون شبيها له، ليحسبه السامع من الكتاب وما هو منه فى شئ، ويَدَّعون أن هذا من عند الله وما هو من الوحى فى شئ وهم بهذا يكذبون على الله، وهم فى أنفسهم يعلمون أنهم كاذبون.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَفَرِيقاً} ... نفرا، منهم كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وحيي ابن أخطب.

{يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ} ... يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (59/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (60/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (60/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (83/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{لِتَحْسَبُوهُ} ... الضمير يرجع الى ما دل عليه.

{يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ} ... وهو المحرف. ويجوز أن يراد: يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب.

{يَلْوُونَ} ... يُحَرِّفُونَ الكَلاَمَ عَنْ مَوَاضِعه.

{يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ} ... يحرفُونَ ألسنتهم بالكلام كأنهم يقرؤون الكتابَ.

{وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} ... تأكيد لقوله وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وزيادة تشنيع عليهم، وتسجيل بالكذب، ودلالة على أنهم لا يعرضون ولا يورون وا نما هم يصرحون أنه فى التوراة هكذا.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ} قال: يحرفونه.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ} حتى بلغ: {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وهم أعداء الله اليهود، حرفوا كتاب الله، وابتدعوا فيه وزعموا أنه من عند الله.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}. يخبر تعالى أن من أهل الكتاب فريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب، أي: يميلونه ويحرفونه عن المقصود به، وهذا يشمل اللي والتحريف لألفاظه ومعانيه، وذلك أن المقصود من الكتاب حفظ ألفاظه وعدم تغييرها، وفهم المراد منها وإفهامه، وهؤلاء عكسوا القضية وأفهموا غير المراد من الكتاب، إما تعريضا وإما تصريحا، فالتعريض في قوله: {لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ} أي: يلوون ألسنتهم ويوهمونكم أنه هو المراد من كتاب الله، وليس هو المراد، والتصريح في قولهم: {وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وهذا أعظم جرما ممن يقول على الله بلا علم، هؤلاء يقولون على الله الكذب فيجمعون بين نفي المعنى الحق، وإثبات المعنى الباطل، وتنزيل اللفظ الدال على الحق على المعنى الفاسد، مع علمهم بذلك.(3)

* * *

[٧٩] ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ

---

(1) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمران) الآية (78). برقم (ص429/1)، للشيخ: (أ. الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين، الطبعة: الأولى.

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (78).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (78)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ما كان ينبغي لبشر أن يؤتيه الله كتابًا منزلًا من عنده، ويرزقه العلم والفهم، ويختاره نبيًّا" ثم يقول للناس: كونوا عبادًا لي من دون الله، ولكن يقول لهم: كونوا علماء عاملين مربين للناس مصلحين لأمورهم بسبب تعليمكم الكتاب المنزل للناس، وبما كنتم تدرسونه منه حفظًا وفهمًا. (1)

* * *

يَعْنِي:- ما ينبغي لأحد من البشر أن يُنزِّل الله عليه كتابه ويجعله حكمًا بين خلقه ويختاره نبياً، ثم يقول للناس: اعبدوني من دون الله، ولكن يقول: كونوا حكماء فقهاء علماء بما كنتم تُعَلِّمونه غيركم من وحي الله تعالى، وبما تدرسونه منه حفظًا وعلماً وفقهًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- وما كان معقولا ولا سائغاً لبشر ينزل الله عليه الكتاب، ويؤتيه العلم النافع والتحدث عن الله أن يطلب من الناس أن يعبدوه من دون الله. ولكن المعقول والواقع أن يطلب منهم أن يكونوا خالصين لربهم الذى خلقهم بمقتضى ما علَّمهم من علم الكتاب وما يدرسونه منه. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مَا كَانَ لِبَشَرٍ} ... أي: ما ينبغي لبشر، وهو جميعُ بَني آدمَ لا واحدَ له من لَفْظِه كالقوم، وَيُوضعُ مَوْضعَ الواحد والْجَمْعِ.

{ما كَانَ لِبَشَرٍ} ... تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى.

{وَالْحُكْمَ} ... الحكمة، وهي السنة.

{وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} ... ولكن يقول: كونوا ربانيين. والرباني.

منسوب الى الرب، بزيادة الألف والنون، وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته.

{رَبَّانِيِّينَ} ... حُكَمَاءَ، فُقَهَاءَ، مُعَلِّمِينَ.

{رَبَّانِيِّينَ} ... قال: (سيبويه): الرَّبَّانِيُّ: المنسوبُ إلى الرب بمعنى كونه عالمًا به ومواظبًا عَلَى طاعته.

{بِما كُنْتُمْ} ... أي: بسبب كونكم.

{تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ} ... تعلمون، من التعليم.

وقرىء (تعلمون) من التعلم.

{وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ} ... وَبِسَبَبِ دِرَاسَتِكُمْ للكتاب.

{تَدْرُسُونَ} ... تقرءونه على الناس.

وقرىء: تدرسون، من التدريس.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (الطبري) – و الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (60/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (60/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (83/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الحسن) - عن (ابن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: (أبو رافع القرظي) حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك، كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال: رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أو ذاك تريد منا يا محمد، وإليه تدعونا! أو كما قال، فقال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني أو كما قال. فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}. (1)(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ} يقول: ما كان ينبغي لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة، يأمر عباده أن يتخذوه رباً من دون الله. (3)

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (79).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (79).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (79).

* * *

قوله تعالى: {كونوا ربانيين}.

قال: الإِمَامْ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: {كونوا ربانيين} قال: فقهاء. علماء. حكماء.

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده) - (مُعلقاً):- وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاس) - رضي الله عنهما - أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} {آل عمران/79}. قَالَ: حُلَمَاءَ، فُقَهَاءَ. (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ} الْآيَةَ، قَالَ مُقَاتِلٌ وَالضَّحَّاكُ: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ} يَعْنِي: عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَلِكَ أَنَّ نَصَارَى نَجْرَانَ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ عِيسَى أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوهُ رَبًّا فَقَالَ تَعَالَى: مَا كَانَ لِبَشَرٍ يَعْنِي: عِيسَى {أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ} أي الْإِنْجِيلَ، وقَالَ:

(4) قَالَ: الْأَصْمَعِيّ وَالْإِسْمَاعِيلِيّ: الرَّبَّانِيّ نِسْبَة إِلَى الرَّبّ, أَيْ: الَّذِي يَقْصِدُ مَا أَمَرَهُ الرَّبّ بِقَصْده مِنْ الْعِلْم وَالْعَمَل،
وَقَالَ: (ثَعْلَب): قِيلَ لِلْعُلَمَاءِ رَبَّانِيُّون لِأَنَّهُمْ يَرُبُّونَ الْعِلْم أَيْ: يَقُومُونَ بِهِ، وَزِيدَتْ الْأَلِف وَالنُّون لِلْمُبَالَغَة.
وَالْحَاصِل أَنَّهُ اُخْتُلِفَ فِي هَذِهِ النِّسْبَة هَلْ هِيَ نِسْبَة إِلَى الرَّبّ أَوْ إِلَى التَّرْبِيَة، وَالتَّرْبِيَة عَلَى هَذَا لِلْعِلْم.
وَالْمُرَاد بِصِغَارِ الْعِلْم: مَا وَضَحَ مِنْ مَسَائِله، وَبِكِبَاره: مَا دَقَّ مِنْهَا.
وَقِيلَ: يُعَلِّمهُمْ جُزْئِيَّاته قَبْل كُلِّيَّاته، أَوْ فُرُوعه قَبْل أُصُوله, أَوْ مُقَدِّمَاته قَبْل مَقَاصِده.
وَقَالَ: (اِبْن الْأَعْرَابِيّ): لَا يُقَال لِلْعَالِمِ رَبَّانِيّ حَتَّى يَكُون عَالِمًا, مُعَلِّمًا, عَامِلًا.
انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (ح68)

(ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٌ): {مَا كَانَ لِبَشَرٍ} يَعْنِي مُحَمَّدًا {أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ} أَيِ الْقُرْآنَ، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا رَافِعٍ الْقُرَظِيَّ مِنَ الْيَهُودِ، وَالرَّئِيسَ مِنْ نَصَارَى أَهْلِ نَجْرَانَ قَالَا: يَا مُحَمَّدُ تُرِيدُ أَنْ نَعْبُدَكَ وَنَتَّخِذَكَ رَبًّا فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أن آمر بعبادة غير الله، وما بذلك أمرني الله، وما بذلك بعثني، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ} أَيْ مَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا} {النور: 16} أَيْ مَا يَنْبَغِي لَنَا، وَالْبَشَرُ: جَمِيعُ بَنِي آدَمَ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، كَالْقَوْمِ وَالْجَيْشِ، وَيُوضَعُ مَوْضِعَ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، {أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ} الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ، يَعْنِي:- إِمْضَاءَ الْحُكْمِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، {وَالنُّبُوَّةَ} المنزلة الرفيعة بالإنباء، {ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا} أَيْ: وَلَكِنْ يَقُولُ كُونُوا، {رَبَّانِيِّينَ} اختلفوا فيه،

قَالَ: (عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ): كُونُوا فُقَهَاءَ عُلَمَاءَ،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): حُكَمَاءَ وَعُلَمَاءَ،

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): الْعَالِمُ الَّذِي يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ،

وَعَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): فُقَهَاءَ مُعَلِّمِينَ،

يَعْنِي:- الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قبل كباره،

وقال: (عطاء): حكماء وعلماء ونصحاء لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ،

قَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ): سَمِعْتُ رَجُلًا عَالِمًا يَقُولُ: الرَّبَّانِيُّ الْعَالِمُ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْأَمْرِ والنهي العارف بِأَنْبَاءِ الْأُمَّةِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ،

وقيل: الرَّبَّانِيُّونَ فَوْقَ الْأَحْبَارِ، والأحبار فوق الْعُلَمَاءِ، وَالرَّبَّانِيُّونَ الَّذِينَ جَمَعُوا مَعَ العلم البصائر بِسِيَاسَةِ النَّاسِ،

قَالَ: الْمُؤَرِّجُ: كُونُوا رَبَّانِيِّينَ تَدِينُونَ لِرَبِّكُمْ، مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، كَانَ فِي الْأَصْلِ رَبِّيٌّ فَأُدْخِلَتِ الْأَلِفُ لِلتَّفْخِيمِ، ثُمَّ أُدْخِلَتِ النُّونُ لِسُكُونِ الْأَلِفِ، كَمَا قِيلَ: صَنْعَانِيٌّ وَبَهْرَانِيٌّ،

وَقَالَ: (الْمُبَرِّدُ): هُمْ أَرْبَابُ الْعِلْمِ سُمُّوا بِهِ لِأَنَّهُمْ يُرَبُّونَ الْعِلْمَ، وَيَقُومُونَ بِهِ وَيُرَبُّونَ الْمُتَعَلِّمِينَ بِصِغَارِ الْعُلُومِ قَبْلَ كِبَارِهَا، وَكُلُّ مَنْ قام بإصلاح الشيء وَإِتْمَامِهِ فَقَدْ رَبَّهُ يَرُبُّهُ، وَاحِدُهَا: ربان كما قالوا: ربان وعطشان وشبعان، ثم ضمت إليه ياء النسبة، كما يقال: الحياني وَرَقَبَانِيٌّ، وَحُكِيَ عَنْ (عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - أَنَّهُ قَالَ: هُوَ الَّذِي يربي علمه بعمله،

قال: (محمد ابن الحنفية) يوم مَاتَ (ابْنُ عَبَّاسٍ): الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّانِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ،

{بِمَا كُنْتُمْ} أَيْ: بِمَا أَنْتُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا} {مريم: 29} أَيْ: مَنْ هُوَ فِي الْمَهْدِ {تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ} قرأ (ابن

عامر)، و(عاصم)، و(الْكِسَائِيُّ) تُعَلِّمُونَ بِالتَّشْدِيدِ مِنَ التَّعْلِيمِ،
وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: (تَعْلَمُونَ) بِالتَّخْفِيفِ مِنَ الْعِلْمِ، كَقَوْلِهِ: {وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} أي: تقرؤون.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- في قوله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} [آل عمران: 79].

وهذه الآية نزلت ردا لمن قال من أهل الكتاب للنبي -صلى الله عليه وسلم- لما أمرهم بالإيمان به ودعاهم إلى طاعته: أتريد يا محمد أن نعبدك مع الله، فقوله {ما كان لبشر} أي: يمتنع ويستحيل على بشر مَنَّ الله عليه بإنزال الكتاب وتعليمه ما لم يكن يعلم وإرساله للخلق {أن يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله} فهذا من أمحل المحال صدوره من أحد من الأنبياء - عليهم أفضل الصلاة والسلام-، لأن هذا أقبح الأوامر على الإطلاق، والأنبياء أكمل الخلق على الإطلاق، فأوامرهم تكون مناسبة لأحوالهم، فلا يأمرون إلا بمعالي الأمور وهم أعظم الناس نهيا عن الأمور القبيحة، فلهذا قال {ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} أي: ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل، والباء في قوله: {بما كنتم تعلمون} إلخ، باء السببية، أي: بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقى، تكونون ربانيين.(2)

* * *

قال: الإمام (محمد بن عبد الوهاب)- (رحمه الله) - في (تفسير آيات من القرآن الكريم): في قوله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ} الآيتين(3): إذا عرفت أن سبب نزولها قول أهل الكتاب: نحن مسلمون نعبد الله إلا إن كنت تريد أن نعبدك، عرفت أنها من أوضح ما في القرآن من تقرير الإخلاص، والبراءة من الشرك، ومن أعظم ما يبين لك طريق الأئمة المهديين من الأئمة المضلين" وذلك أن الله وصف أئمة الهدى بالنفي والإثبات، فنفى عنهم أن يأمروا أتباعهم بالشرك بهم، أو بالشرك بالملائكة والأنبياء وهم أصلح المخلوقات، وأثبت أنهم

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (79).

(2) {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80)} [آل عمران].

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (79).

يأمرون أتباعهم أن يصيروا ربانيين، فإذا كان من أنزله الله بهذه المنزلة لا يتصور أن يأمر أتباعه بالشرك به ولا بغيره من الأنبياء والملائكة، فغيرهم أظهر وأظهر.

وإذا كان الأمر الذي يأمرهم به كونهم ربانيين تبين طريقة الأنبياء وأتباعهم من طريقة أئمة الضلال وأتباعهم. ومعرفة الإخلاص والشرك،

ومعرفة أئمة الهدى وأئمة الضلال أفضل ما حصل المؤمن، لكن فيه من البيان قول اليهود إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى، وقول النصارى تريد ذلك أي إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت اليهود عزيرا! إن عبادة غير الله من أنكر المنكرات ببديهة العقل، ولكن الهوى يعمي ويصم.

وفيه معرفة الإنسان بعيب عدوه، ولا يعرف ما فيه من ذلك العيب بعينه ولو كان فيه أضعافا مضاعفة وفيه ما على من قرأ القرآن من الحق من تعلم معانيه. وفيه أن عليه أن يعمل به" وفيه أن يكون ربانيا، وفيه أن ذلك بسبب درس الكتاب وعلمه وتعليمه، وفيه أن المسلم إذا أشرك بالأنبياء والصالحين كفر بعد إسلامه. وفيه معرفة أعداء رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بما هو عليه من العدل والتواضع كيف يتفوهون له بهذا الكلام، وهم تحت يده محتاجون له. وفيه أن من أشرك بشيء فقد اتخذه ربا، وفيه أن قوله في القرآن: {من دون الله} ليس كما يقول الجاهلون لأن أهل الكتاب لا يتركون عبادة الله. (1)

* * *

[٨٠] ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا ينبغي له - كذلك - أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا تعبدونهم من دون الله، أيجوز منه أن يأمركم بالكفر بالله بعد انقيادكم إليه واستسلامكم له؟!. (2)

* * *

يَعْنِي:- وما كان لأحد منهم أن يأمركم باتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا تعبدونهم من دون الله. أَيُعْقَلُ أيها الناس- أن يأمركم بالكفر بالله بعد انقيادكم لأمره؟. (3)

* * *

يَعْنِي:- ولا يمكن أن يأمركم بأن تجعلوا الملائكة أو النبيين أرباباً من دون الله، وإن ذلك كفر ليس من المعقول أن يأمركم به بعد أن صرتم مُسلِّمين وجوهكم لله. (4)

* * *

---

(1) انظر: (تفسير آيات من القرآن الكريم) في سورة (آل عمران) الآية (79-80)، رقم (ص 45/1)، (مطبوع ضمن مؤلفاته (الجزء الخامس) للإمام (محمد بن عبد الوهاب)،

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (60/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير). إشراف: (مركز تفسير للدراسات القرآنية).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (60/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (83/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

شرح و بيان الكلمات:

{أَيَــأْمُرُكُمْ بِـــالْكُفْرِ} ... وقـــرىء: أيـــأمركم، بالنصب عطفا على ثمَّ يَقُول، وعليه: فإما أن تكون (لا) مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كانَ لِبَشَرٍ، والمعنى: ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له.

وإما أن تكون (لا) غير مزيدة، والمعنى: أن رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم- كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة، واليهود والنصارى عن عبادة (عزير والمسيح)، فلما قالوا له: أنتخذك ربا؟ قيل لهم: ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء.

والقراءة بالرفع على ابتداء (الكلام) أظهر.

{أَيَأْمُرُكُمْ} ... الهمزة للإنكار.

{بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} ... فيه دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين، وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله: {وَلَا يَـأْمُرَكُمْ} {آل عمران: 80} قرأ (ابْنُ عَامر وَحَمْزَة ويَعْقُوب) بِنَصْبِ الرَّاءِ عطفًا عَلَى قَوْلِهِ: (ثُمَّ يَقُولَ)، فَيَكُونُ مَرْدُودًا عَلَى الْبَشَرِ، أَيْ: وَلَا يَأْمُرُ ذَلِكَ الْبَشَرُ،

يَعْنِي:- عَلَى إِضْمَارِ (أَنْ) أَيْ: وَلَا أَنْ يَأْمُرَكُمْ ذَلِكَ الْبَشَرُ،

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِالرَّفْعِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، مَعْنَاهُ: وَلَا يَأْمُرُكُمُ اللَّهُ،

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ وَجَمَاعَةٌ): وَلَا يَأْمُرُكُمْ مُحَمَّدٌ،

{أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا} كَفِعْلِ قُرَيْشٍ وَالصَّابِئِينَ حَيْثُ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حَيْثُ قَالُوا فِي الْمَسِيحِ وَعُزَيْرٍ مَا قَالُوا، {أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} قَالُوا لَهُ عَلَى طَرِيقِ التَّعَجُّبِ وَالْإِنْكَارِ، يَعْنِي: لا يقوله هَذَا. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- في قوله تعالى: {ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا} وهذا تعميم بعد تخصيص، أي: لا يأمركم بعبادة نفسه ولا بعبادة أحد من الخلق من الملائكة والنبيين وغيرهم {أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون} هذا ما لا يكون ولا يتصور أن يصدر من أحد مَنَّ الله عليه بالنبوة، فمن قدح في أحد منهم بشيء من ذلك فقد ارتكب إثما عظيما وكفرا وخيما. (2)

* * *

[٨١] ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (80).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (80)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكر أيها الرسول- ﷺ - حين أخذ الله العهد المؤكد على النبيين قائلًا لهم: مهما أعطيتكم من كتاب أنزله عليكم، وحكمة أعلمكم إياه وبلغ أحدكم ما بلغ من المكانة والمنزلة، ثم جاءكم رسول من عندي - وهو محمد - صلى الله عليه وسلم - مصدق لما معكم من الكتاب والحكمة" لتؤمنن بما جاء به، ولتنصرنه متبعين له، فهل أقررتم أيها الأنبياء - بذلك، وأخذتم على ذلك عهدى الشديد؟ فأجابوا قائلين: أقررنا به، قال الله: اشهدوا على أنفسكم وعلى أممكم، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها الرسول- ﷺ - إذ أخذ الله سبحانه العهد المؤكد على جميع الأنبياء: لَـئِنْ آتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول من عندي، مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنَّه. فهل أقررتم واعترفتم بذلك وأخذتم على ذلك عهدي الموثق؟ قالوا: أقررنا بذلك، قال: فليشهدْ بعضكم على بعض، واشهدوا على أممكم بذلك، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم. وفي هذا أن الله أخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، وأخذ الميثاق على أمم الأنبياء بذلك. (2)

* * *

يَعْنِي:- واذكر لهم أيها النبي ﷺ: أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبي أنزل عليه الكتاب وآتاه العلم النافع، أنه إذا جاءه رسول توافق دعوته دعوتهم ليؤْمِنَنَّ به وينصرنَّه. وأخذ الإقرار من كل نبي بذلك العهد، وأقروا به وشهدوا على أنفسهم وشهد الله عليهم، وبلغوه لأممهم أن ذلك العهد يوجب عليهم الإيمان والنصرة إن أدركوه وإن لم يدركوه، فحق على أممهم أن يؤمنوا به وينصروه وفاء واتباعاً لما التزم به أنبياؤهم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مِيثَـاقَ النَّبِيِّيْنَ} ... أَصْلُ الميثاق في اللغة: عَقْدٌ يُؤَكَّدُ بيمين، ومعنى ميثاق النبيين ما وَثَّقُوا به عَلَى أنفسهم من طاعة اللهِ فيما أَمَرَهُمْ به وَنَهَاهُمْ عنه.

{لَتُؤْمِنُنَّ} ... لام جواب القسم.

{إِصْرِي} ... عَهْدِي. (الإِصْرُ: الْعَهْدُ الثَّقِيلُ).

إِصْرِي: عهدى، وسمى إصرا، لأنه مما يؤصر، أي يشد ويعقد.

{فَاشْهَدُوا} ... أي: فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار.

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (60/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (60/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (84/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ} ... من إقراركم وتشاهدكم.

{مِنَ الشَّاهِدِينَ} ... توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض.

وقيل: الخطاب للملائكة.(1)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): في قوله: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ} الآية: هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضا، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم -فيما بلغهم رسلهم- أن يؤمنوا بمحمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ويصدقوه وينصروه.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – و الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (ابن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: ثم ذكر ما أخذ عليهم -يعني أهل الكتاب- وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه -يعني بتصديق محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إذ جاءهم، وإقرارهم به على أنفسهم. فقال: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ} إلى آخر الآية.(3)(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ} {آل عمران: 81} قَرَأَ (حَمْزَةُ): لِمَا بِكَسْرِ اللَّامِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِفَتْحِهَا، فَمَنْ كَسَرَ اللَّامَ فَهِيَ لَامُ الْإِضَافَةِ دَخَلَتْ على ما الموصولة، ومعناه: إن الَّذِي يُرِيدُ لِلَّذِي آتَيْتُكُمْ، أَيْ: أَخَذَ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لِأَجْلِ الَّذِي آتاهم من الكتاب والحكمة وأنهم أَصْحَابُ الشَّرَائِعِ، وَمَنْ فَتَحَ اللَّامَ فَمَعْنَاهُ: لَلَّذِي آتَيْتُكُمْ، بِمَعْنَى الْخَبَرِ، يَعْنِي:- بِمَعْنَى الْجَزَاءِ، أَيْ لَئِنْ آتَيْتُكُمْ وَمَهْمَا آتَيْتُكُمْ، وَجوابُ الْجَزَاءِ، قوله: {لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ} قَوْلُهُ: {لَمَا آتَيْتُكُمْ} قَرَأَ (نَافِعٌ) وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ: {آتَيْنَاكُمْ} عَلَى التَّعْظِيمِ كَمَا قَالَ: {وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا} {النِّسَاء: 163} {وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} {مَرْيَم: 12} وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالتَّاءِ لِمُوَافَقَةِ الْخَطِّ، وَلِقَوْلِهِ، (وَأَنَا مَعَكُمْ) وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَعْنِيِّ بِهَذِهِ الْآيَةِ فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ خَاصَّةً أن يبلغوا كتاب الله ورسالته إِلَى عِبَادِهِ، وَأَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بعضا، وأخذ العهود عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أَنْ يُؤْمِنَ بِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وينصره إن أدركه، فَإِنْ لَمْ

---

(1) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (81)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (81).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (81).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (81).

يُدْرِكُهُ أَنْ يَأْمُرَ قَوْمَهُ بِنُصْرَتِهِ إِنْ (أَدْرَكُوهُ)، فَأَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْ مُوسَى أَنْ يُؤْمِنَ بِعِيسَى، وَمِنْ عِيسَى أَنْ يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَالَ الْآخَرُونَ: بِمَا أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْهُمْ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَعَلَى هَذَا اختلفوا فمنهم مَنْ قَالَ: إِنَّمَا أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ أَرْسَلَ مِنْهُمُ النَّبِيِّينَ، وَهَذَا قَوْلُ: (مُجَاهِدٍ وَالرَّبِيعِ)، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: {ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ} وإِنَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مَبْعُوثًا إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ دُونَ النَّبِيِّينَ يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ فِي قِرَاءَةِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ): {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} وإنما الْقِرَاءَةُ الْمَعْرُوفَةُ {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ} فَأَرَادَ: أَنَّ اللَّهَ أَخَذَ ميثاقَ النبيين أن يأخذوا الميثاق إلى أُمَمِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيُصَدِّقُوهُ وَيَنْصُرُوهُ، إِنْ أَدْرَكُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرَادَ أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ، وَأُمَمِهِمْ جَمِيعًا فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَاكْتَفَى بِذكر الأنبياء لأن العهد على الْمَتْبُوعِ عَهْدٌ عَلَى الْأَتْبَاعِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ): لَمْ يبعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه الميثاق والعهد فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ، وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَئِنْ بُعِثَ وَهُمْ أَحْيَاءٌ لَيَنْصُرُنَّهُ، قَوْلُهُ: (ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ)، يَعْنِي: مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ) قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْأَنْبِيَاءِ حِينَ اسْتَخْرَجَ الذُّرِّيَّةَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْأَنْبِيَاءُ فِيهِمْ كَالْمَصَابِيحِ وَالسُّرُجِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، {قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي} أَيْ: قَبِلْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ عَهْدِي، وَالْإِصْرُ: الْعَهْدُ الثَّقِيلُ، {قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ} الله تعالى: {فَاشْهَدُوا} أَيْ: فَاشْهَدُوا أَنْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَلَى أَتْبَاعِكُمْ، {وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} وعَلَيْهِمْ، وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): فَاشْهَدُوا، أَيْ فَاعْلَمُوا، وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ): قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ فَاشْهَدُوا عَلَيْهِمْ كِنَايَةً عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ.[1]

* * *

قال: الإمام (محمد بن عبد الوهاب)– (رحمه الله) – في (تفسير آيات من القرآن الكريم): وقوله عز وجل: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ} الآيتين[2] فيه ما هو من أبين الآيات للخاص والعام.

وكونه - صلى الله عليه وسلم- مذكورا مبشرا به في كتب الأنبياء، وفيه حجة على أن دعوته عامة في الظاهر والباطن، وفيه أن الإيمان به لا يكفي عن نصرته، بل لا بد من هذا وهذا. وفيه أخذه تعالى الميثاق على الأنبياء بذلك دليل على شدته إلا على من يسره الله عليه، وفيه أن من آتاه الله الكتاب

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (81).

(2) قوله تعالى: {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين. فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون} سورة {آل عمران: الآيتان 81-82}.

والحكمة أحق بالانقياد للحق إذا جاء به من بعده، بخلاف ما عرف من حال الأكثر من ظنهم أنه لو اتبعه غيرهم فهو نقص في حقهم. وفيه مزيد التأكيد بقوله: {أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي}(1) وفيه إشهادهم مع شهادته سبحانه" وفيه أن من تولى بعد ذلك فجرمه أكبر، وفيه أن الآخر مصدق لما معهم لا مخالف له.

فإذا كان هذا في أهل الملل فكيف بأهل الملة الواحدة إذا ضلوا ثم جاءهم من يرشدهم إلى دينهم الذي أنزل الله عليهم، وهو الذي ينتحلونه؟ فإن تولوا بعد معرفته فأولئك هم الفاسقون.

فإن جمعوا مع التولي تكذيبه، وإن جمعوا مع التكذيب الاستهزاء" فإن جمعوا مع ذلك عداوته الشديدة، فإن أضافوا إلى ذلك تكفير من صدق كتابهم ونبيهم واستحلال دمه وماله، فإن أضافوا إلى ذلك كله اتباع دين المشركين أعداء نبيهم، ونصروه بما قدروا عليه، وبذلوا النفوس والأموال في نصرته، وعداوة دين نبيهم وإزالته من الأرض، حتى لا يذكر فيها فالله، المستعان.

و {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ}(2)(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} {آل عمران 81 - 82}. يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق النبيين وعهدهم المؤكد بسبب ما أعطاهم من كتاب الله المنزل، والحكمة الفاصلة بين الحق والباطل والهدى والضلال، إنه إن بعث الله رسولا مصدقا لما معهم أن يؤمنوا به ويصدقوه ويأخذوا ذلك على أممهم، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضا لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان، فهم كالشيء الواحد، فعلى هذا قد علم أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتمهم، فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم، فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم صلى الله عليه وسلم لما قررهم تعالى {قالوا أقررنا} أي: قبلنا ما أمرتنا به على الرأس والعين {قال} الله لهم: {فاشهدوا} على أنفسكم وعلى أممكم بذلك،

---

(1) سورة {آل عمران : 81}.

(2) سورة {الأعراف : 43}.

(3) انظر: (تفسير آيات من القرآن الكريم) في سورة (آل عمران) الآية (79-80)، رقم (ص 1/46-57)، (مطبوع ضمن مؤلفاته (الجزء الخامس) للإمام (محمد بن عبد الوهاب)،

قال: {وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ} العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من الله ومن رسله {فأولئك هم الفاسقون} فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارى ومن تبعهم، فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمد -صلى الله عليه وسلم. [1]

* * *

[٨٢] ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فمن أعرض بعد هذا العهد المؤكد بالشهادة من الله ورسله" فأولئك هم الخارجون عن دين الله وطاعته. [2]

* * *

يَعْنِي:- فمن أعرض عن دعوة الإسلام بعد هذا البيان وهذا العهد الذي أخذه الله على أنبيائه، فأولئك هم الخارجون عن دين الله وطاعة ربهم. [3]

* * *

يَعْنِي:- فمن أعرض عن الإيمان بالنبى بعد هذا الميثاق المؤكد، فهو الفاسق الخارج عن شرع الله، الكافر بالأنبياء أولهم وآخرهم. [4]

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ} ... ذلِكَ الميثاق والتوكيد.

{فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ} ... أي: المتمردون من الكفار.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: {فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ} الإقرار، {فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} العاصون الخارجون عن الإيمان. [5]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {فمن تولى بعد ذلك} العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من الله ومن رسله.

{فأولئك هم الفاسقون} فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارى ومن تبعهم، فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (81-82)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (60/1). تصنيف (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (60/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (84/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (82).

للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم. (1)

* * *

[٨٣] ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أفغير دين الله الذي اختار لعباده - وهو الإسلام - يَطْلُبُ هؤلاء الخارجون عن دين الله وطاعته؟! وله - سبحانه - انقاد واستسلم كل من في السماوات والأرض من الخلائق، طوعًا له كحال المؤمنين، وكَرْهًا كحال الكافرين، ثم إليه تعالى يرجع الخلائق كلهم يوم القيامة للحساب والجزاء. (2)

* * *

يَعْنِي:- أيريد هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب غير دين الله -وهو الإسلام الذي بعث الله به محمدا - صلى الله عليه وسلم-، مع أن كل مَن في السموات والأرض استسلم وانقاد وخضع لله طواعية -كالمؤمنين- ورغمًا عنهم عند الشدائد، حين لا ينفعهم ذلك وهم الكفار، كما خضع له سائر الكائنات، وإليه يُرجَعون يوم المعاد، فيجازي كلا بعمله. وهذا تحذير من الله تعالى لخلقه أن يرجع إليه أحد منهم على غير ملة الإسلام. (3)

* * *

يَعْنِي:- أيطلبون ديناً غير دين محمد- ﷺ- وهو دين الأنبياء وهو - وحده - دين الله - الذى خضع له كل من فى السموات والأرض طوعاً بالإرادة والاختيار، أو كرهاً بالخلق والتكوين، وإليه - وحده - يرجع الخلق كله؟. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{طَوْعًا وكَرْهًا} ... الطَّوْعُ: الانقيادُ والاتباع بسهولة، والْكَرْهُ: ما كان من ذلك بمشقة وإباء من النفس والمعنى: أنه لا سبيل لأحد من الخلق إلى الامتناع عَلَى الله مِنْ مُرَادِه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- في قوله تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} {آل عمران: 83}. أي: أيطلب الطالبون ويرغب الراغبون في غير دين الله؟ لا يحسن هذا ولا يليق، لأنه لا أحسن دينا من دين الله {وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها} أي: الخلق كلهم منقادون بتسخيره مستسلمون له طوعا واختيارا، وهم المؤمنون المسلمون المنقادون لعبادة ربهم، وكرها وهم سائر الخلق، حتى الكافرون مستسلمون لقضائه وقدره لا خروج

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (82)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/60). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/60)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/84)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

لهم عنه، ولا امتناع لهم منه، وإليه مرجع الخلائق كلها، فيحكم بينهم ويجازيهم بحكمه الدائر بين الفضل والعدل.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): في قوله: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ} الآية، فأما المؤمن فأسلم طائعا فنفعه ذلك وقبل منه، وأما الكافر فأسلم كرها حين لا ينفعه ذلك، ولا يقبل منه.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} قال: كل آدمي قد أقر على نفسه بأن الله ربي وأنا عبده، فهذا الإسلام لو استقام عليه فلما تكلم بهذا صارت حجة عليه، ثم أشرك في عبادته فهذا الذي أسلم كرها، ومنهم من شهد أن الله ربي وأنا عبده ثم أخلص له العبودية فهذا الذي أسلم طوعا.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن سفيان عن منصور عن (مجاهد):- {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} قال: هو كقوله: {ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله} سورة {الزمر: 38}.(4)

ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - و الإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: عبادتهم لي أجمعين طوعا وكرها وهو قوله: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا} {سورة الرعد: 15}..(5)(6)

* * *

قال: الإمَامُ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: {طَوْعًا وَكَرْهًا} قال: سجود المؤمن طائعا، وسجود الكافر وهو كاره.(7)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ} {آل عمران: 83} وَذَلِكَ ‹ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اخْتَلَفُوا فَادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ أَنَّهُ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَاخْتَصَمُوا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (83)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (83).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (83).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (83).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (83).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (83).

(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (83).

إلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، - فَقَالَ: النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كِلَا الْفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ "، فَغَضِبُوا وَقَالُوا: لَا نَرْضَى بِقَضَائِكَ وَلَا نَأْخُذُ بِدِينِكَ›، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ} خَضَعَ وَانْقَادَ، {مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا} فَالطَّوْعُ: الانْقِيَادُ وَالاتِّبَاعُ بِسُهُولَةٍ، وَالْكُرْهُ: مَا كَانَ بِمَشَقَّةٍ وَإِبَاءٍ مِنَ النَّفْسِ،

وَاخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ: (طَوْعًا وَكَرْهًا) قَالَ: (الْحَسَنُ): أَسْلَمَ أَهْلُ السموات طَوْعًا وَأَسْلَمَ مَنْ فِي الْأَرْضِ بَعْضُهُمْ طَوْعًا وَبَعْضُهُمْ كَرْهًا خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ وَالسَّبْيِ،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): طَوْعًا الْمُؤْمِنُ، وَكَرْهًا ذَلِكَ الْكَافِرُ،

وقيل: هَذَا يَوْمُ الْمِيثَاقِ حِينَ قَالَ: لَهُمْ {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} {الْأَعْرَافِ: 172}،

فَقَالَ: (بَعْضُهُمْ): طَوْعًا وَبَعْضُهُمْ: كَرْهًا،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): الْمُؤْمِنُ من أسلم طوعًا فنفعه الإيمان، وَالْكَافِرُ أَسْلَمَ كَرْهًا فِي وَقْتِ اليأس فلم ينفعه الإسلام،

وَقَالَ: (الشَّعْبِيُّ): هُوَ اسْتِعَاذَتُهُمْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَارِهِمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} {الْعَنْكَبُوتِ: 65}. (1)

* * *

قَالَ: الإمام (ابن كثير): (رحمه الله) – في (تفسيره):-

قوله تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} {آل عمران: 83} يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى مَنْ أَرَادَ دِينًا سِوَى دِينِ اللَّهِ، الَّذِي أَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ وَأَرْسَلَ بِهِ رسله، وَهُوَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الَّذِي {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} أَيِ: اسْتَسْلَمَ لَهُ مَنْ فيهما طَوْعًا وَكَرْهًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} {الرَّعْدِ:15}

وَقَالَ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ. وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} {النَّحْلِ: 48 - 50}. فَالْمُؤْمِنُ مُسْتَسْلِمٌ بِقَلْبِهِ وَقَالَبِهِ لِلَّهِ، وَالْكَافِرُ مُسْتَسْلِمٌ لِلَّهِ كَرْهًا، فَإِنَّهُ تَحْتَ التَّسْخِيرِ وَالْقَهْرِ وَالسُّلْطَانِ الْعَظِيمِ، الَّذِي لَا يُخَالَفُ وَلَا يُمَانَعُ. وَقَدْ وَرَدَ حَدِيثٌ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ، عَلَى مَعْنًى آخَرَ فِيهِ غَرَابَةٌ،

فَقَالَ: الْحَافِظُ (أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ النَّضْرِ الْعَسْكَرِيُّ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ حَفْصٍ النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِحْصَنٍ الْعُكَّاشِيُّ، حَدَّثَنَا (الْأَوْزَاعِيُّ)، عَنْ (عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا} أَمَّا مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ فَالْمَلَائِكَةُ، وَأَمَّا مَنْ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ وُلِدَ عَلَى

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (83).

الإسْلام، وأمَّا كَرهًا فَمَنْ أُتي بِه مِنْ سَبَايا الأمَم فِي السَّلاسِل والأغْلال، يُقَادُونَ إلَى الْجَنَّةِ وهُمْ كَارِهُونَ"(1).

وقَدْ ورَدَ فِي الصَّحِيح: ((عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قَوْم يُقَادُونَ إلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلاسِل))(2).
وَسَيَأْتِي لَهُ شَاهِدٌ مِنْ وَجْه آخَر وَلَكِنَّ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ للْآيَة أَقْوَى.
وَقَدْ قَالَ: (وكيع) فِي تَفْسِيره: حَدَّثَنَا (سُفْيَانُ)، عَنْ (مَنْصُور)، عَنْ (مُجَاهِد): {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَات وَالأرْض طَوْعًا وَكَرْهًا} قَالَ: هُوَ كَقَوْله: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأرْض لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} {لُقْمَان:25}.

وَقَالَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا (سُفْيَانُ)، عَنِ (الْأَعْمَش)، عَنْ (مُجَاهِد)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاس): {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَات وَالأرْض طَوْعًا وَكَرْهًا} قَالَ: حِينَ أخذ الميثاق.
{وَإِلَيْه يُرْجَعُونَ} أَيْ: يَوْمَ الْمَعَاد، فَيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِه(3).

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (88) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (89) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (91)

- ضلال علماء اليهود ومكرهم في تحريفهم كلام الله، وكذبهم على الناس بنسبة تحريفهم إليه تعالى.
- كل من يدعي أنه على دين نبي من أنبياء الله إذا لم يؤمن بمحمد- عليه الصلاة والسلام- فهو ناقض لعهده مع الله تعالى.
- أعظم الناس منزلةً العلماءُ الربانيون الذين يجمعون بين العلم والعمل، ويربون الناس على ذلك.
- أعظم الضلال الإعراض عن دين الله تعالى الذي استسلم له سبحانه الخلائق كلهم بَرهُم وفاجرهم(4).

* * *

(1) انظر: (المعجم الكبير) للإمام (الطبراني) رقم (194/11) وهنا سقط اسم ابن عباس، فالإسناد عنده: عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- به.
قال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) (326/6): "فيه محمد بن محصن العكاشي وهو متروك".

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3010).

(3) انظر: سورة (آل عمرآن) الآية (83) في (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير)..

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (60/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

[٨٤] ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول -ﷺ-: آمنا بالله إلهًا، وأطعناه فيما أمرنا به، وآمنا بالوحي الذي أنزله علينا، وبما أنزله على إبراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب، وبما أنزله على الأنبياء من ولد يعقوب، وبما أوتي موسى وعيسى والنبيون جميعًا من الكتب والآيات من ربهم لا نفرق بينهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، و نحن منقادون لله وحده مستسلمون له تعالى.(1)

* * *

يَعْنِي:- قل: لهم أيها الرسول -ﷺ-: صدَّقنا بالله وأطعنا، فلا رب لنا غيره، ولا معبود لنا سواه، وآمنَّا بالوحي الذي أنزله الله علينا، والذي أنزله على إبراهيم خليل الله، وابنيه إسماعيل وإسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق، والذي أنزله على الأسباط -وهم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة من ولد يعقوب- وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والإنجيل، وما أنزله الله على أنبيائه، نؤمن بذلك كله، ولا نفرق بين أحد منهم، ونحن لله وحده منقادون بالطاعة، مُقِرُّون له بالربوبية والألوهية والعبادة.(2)

* * *

يَعْنِي:- أكد الله وحدة الألوهية والرسالة، فأمر نبيه ومن معه بأن يقولوا صدَّقنا بالله المعبود وحده، ومرسل رسله، وآمنا بما أنزل الله علينا من القرآن والشريعة، وما نزَّله من كتب وشرائع على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولاده الأسباط الإثنى عشر، وما أنزل الله على موسى من التوراة وعيسى من الإنجيل، وما أنزل على سائر النبيين لا فرق فى الإيمان بين أحد منهم. ونحن بذلك قد أسلمنا وجهنا لله.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{آمَنَّا} ... صدقنا.

{بِاللَّهِ} ... المعبود وحده.

{وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا} .... عدى بحرف الاستعلاء، وعدى قيل بحرف الانتهاء، لوجود المعنيين جميعا، لأن الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل، فجاء تارة بأحد المعنيين، وأخرى بالآخر.

{وَالْأَسْبَاطِ} ... الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ كَانُوا فِي قَبَائِل بَنِي إِسْرَائِيلَ الاثْنَتَيْ عَشْرَةَ.

{وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} .... موحدون مخلصون، أنفسنا له، لا تجعل له شريكا فى عبادتها.

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (61/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (61/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (84/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- عن (أبي هريرة) – رضي الله عنه – قال: كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) الآية. (1)

* * *

ومن فضل هذه الآية

قال: الإِمَامُ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده): – عن (ابن عباس) – رضي الله عنهما) – أن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كان يقرأ في ركعتي الفجر: في الأولى منهما: {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا} البقرة. الآية 136. الآية التي في البقرة. وفي الآخرة منهما: {آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون}. (2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده) عن (قتادة) قال: أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلهم ولايفرقوا بين أحد منهم. (3)

* * *

قوله تعالى (وَالْأَسْبَاطِ).

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الجيد) – عن (أبي العالية) قال: (الْأَسْبَاطِ) هم: يوسف وإخوته بنو يعقوب اثنا عشر رجلا ولد كل رجل منهم أمة فسموا الأسباط. (4)

* * *

و أخرج الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- – (بسنده الحسن) – عن (قتادة): بنحوه. (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا} يَعْنِي: الْقُرْآنَ {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} أَيْ: مِنَ الصُّحُفِ وَالْوَحْيِ: {وَالأسْبَاطِ} وَهُمْ بُطُونُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُتَشَعِّبَةُ مِنْ أَوْلَادِ إِسْرَائِيلَ -هُوَ يَعْقُوبُ- الِاثْنَيْ عَشَرَ. {وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى} يَعْنِي: بِذَلِكَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4485) – (كتاب: تفسير القرآن) – (سورة البقرة)، / باب: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (727) – (كتاب: صلاة المسافرين)، / باب: (استحباب ركعتي سنة الفجر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (136).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (136).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (136).

{وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ} وَهَذَا يَعُم جميع الْأَنْبِيَاءِ جُمْلَةً {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ} يَعْنِي: بَلْ نُؤْمِنُ بِجَمِيعِهِمْ {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} فَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُؤْمِنُونَ بِكُلِّ نَبِيٍّ أُرْسِلَ، وَبِكُلِّ كِتَابٍ أُنْزِلَ، لَا يَكْفُرُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بَلْ هُمْ مُصَدِّقُونَ بِمَا أُنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبِكُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ. (1)

* * *

[٨٥] ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن يطلب دينًا غير الدين الذي ارتضاه الله وهو دين الإسلام" فلن يقبل الله ذلك منه، وهو في الآخرة من الخاسرين لأنفسهم بدخولهم النار. (2)

* * *

يَعْنِي:- ومن يطلب دينًا غير دين الإسلام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والعبودية، ولرسوله النبي الخاتم محمد -صلى الله عليه وسلم- بالإيمان به وبمتابعته ومحبته ظاهراً وباطنًا، فلن يُقبل منه ذلك، وهو في الآخرة من الخاسرين الذين بخسوا أنفسهم حظوظها. (3)

* * *

يَعْنِي:- فمن يطلب بعد مبعث محمد - (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) - ديناً وشريعة غير دين الإسلام وشريعته فلن يرضى الله منه ذلك، وهو عند الله في دار جزائه من الذين خسروا أنفسهم فاستوجبوا العذاب الأليم. (4)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} {آل عمران: 85} أي: من يدين لله بغير دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، فعمله مردود غير مقبول، لأن دين الإسلام هو المتضمن للاستسلام لله، إخلاصا وانقيادا لرسله فما لم يأت به العبد لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، وكل دين سواه فباطل، (5)

* * *

قوله تعالى: {ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}.

قال: الإِمَامْ (الطبري) - و الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (84)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (61/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (61/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (84/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (85)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الحسن) - عن (ابن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: قوله: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من ءامن بالله واليوم الآخر} إلى قوله: {ولا هم يحزنون} فأنزل الله عز وجل بعد هذا {ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه}. (1)(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} أَيْ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا سِوَى مَا شَرَعَهُ اللَّهُ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ {وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)). (3)

* * *

[٨٦] ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرسول - حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

كيف يوفق الله للإيمان به وبرسوله قومًا كفروا بعد إيمانهم بالله وشهادتهم أن ما جاء به الرسول - محمد - صلى الله عليه وسلم - حق، وجاءتهم البراهين الواضحة على صحة ذلك؟! والله لا يوفق للإيمان به القوم الظالمين الذين اختاروا الضلال بدلًا عن الهدى. (4)

* * *

يَعْني:- كيف يوفق الله للإيمان به وبرسوله قومًا جحدوا نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم- بعد إيمانهم به، وشهدوا أن محمدًا صلى الله عليه وسلم حق وما جاء به هو الحق، وجاءهم الحجج من عند الله والدلائل بصحة ذلك؟ والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظلمة، وهم الذين عدلوا عن الحق إلى الباطل، فاختاروا الكفر على الإيمان. (5)

* * *

يَعْني:- إن الله لا يوافق قوماً شهدوا بأن الرسول- حق، وجاءتهم الأدلة على ذلك، ثم بعد ذلك كفروا به، وبمعجزاته، فكان ذلك ظلماً منهم، والله لا يوفق الظالمين. (6)
الظالمين. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْماً} ... الاستفهام هنا للاستبعاد1، والهداية: الخروج من الضلال.

{كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً} ... كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم من تصميمهم

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (85).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (85).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (85)، للإِمَامُ (ابن كثير).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (61/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (61/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (84/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

على كفرهم ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم، وبعد ما شهدوا بأن الرسول- حق، وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة، وهم اليهود، كفروا بالنبي -صلّى الله عليه وآله وسلم -بعد أن كانوا مؤمنين به، وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة إيمانهم من البينات.

وقيل: نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، منهم: طعمة بن أبيرق، ووحوح بن الأسلت، والحارث بن سويد ابن الصاحب.

{وَشَهِدُوا} ... عطف على ما في إيمانِهِمْ من معنى الفعل، لأن معناه: بعد أن آمنوا. ويجوز أن تكون (الواو) للحال بإضمار (قد) بمعنى: كفروا وقد شهدوا أن الرسول- حق.

{الْبَيِّنَاتُ} ... الحجج من معجزات الرسل وآيات القرآن المبينة للحق في المعتقد والعمل.

{الظَّالِمِينَ} ... المتجاوزين الحد في الظلم المسرفين فيه حتى أصبح الظلم وصفاً لازماً لهم.

{وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ... أي: لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم أن اللطف لا ينفعهم.(1)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة -(البقرة) - آية رقم (159- 161). - كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ (159) إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161)}.

* * *

قال: الإمام (النسائي) - (رحمه الله) - في (سُننِهِ) - (بسنده):- أخبرنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: حدثنا يزيد -وهو ابن زريع- قال: أنبأنا داود عن (عكرمة) عن (ابن عباس) قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم تندم فأرسل إلى قومه سلوا لي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هل لي من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقالوا: إن فلانا قد ندم وإنه أمرنا أن نسألك هل له من توبة، فنزلت {كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم} إلى قوله: {غفور رحيم} فأرسل إليه فأسلم.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا (عبد الرزاق) قال: أخبرنا (معمر)، عن (الحسن)

---

(1) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (86)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(2) أخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (107/7)-(كتاب: تحريم الدم)،/ باب: (توبة المرتد)،
وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه)-(الإحسان) برقم (329/10)، (ح 4477) من طريق: (بشر بن معاذ العقدي عن يزيد به). قال محققه: (إسناده صحيح).
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (142/2) -من طريق-: (حفص بن غياث عن داود بن أبي هند) به،
وقال: (حديث صحيح الإسناد) ولم يخرجاه ووافقه الإمام (الذهبي)،
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن النسائي).

في قوله: {كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم} قال: هم أهل الكتاب كانوا يجدون محمداً - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كتابهم، ويستفتحون به فكفروا بعد إيمانهم.(1)

و(سنده حسن).

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزول ﴾

قال: الشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِيُّ) - (رحمه الله) - في (الصحيح المسند من أسباب النزول):

(2) قوله تعالى: {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} إلى قوله {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} الآيات {86، 87 إلى 89}.

قال: الإمام (أبو جعفر بن جرير) - (رحمه الله) - (ج3/ ص340) حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع البصري قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا (داود بن أبي هند) عن (عكرمة) عن (ابن عباس) قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فأرسل إلى قومه: أرسلوا إلى رسول الله هل من توبة قال: "فنزلت" {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} إلى قوله - {وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ... {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.(3)

* * *

وقال: الإِمَامُ (النسائي) - في (سُننه)، - والإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده):- (رحمهما الله) - (بسندهما):- وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاس) - رضي الله عنهما - قَالَ: (كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ تَنَدَّمَ، فَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمِهِ: سَلُوا لِي رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟، فَجَاءَ قَوْمُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالُوا: إِنَّ فُلَانًا قَدْ نَدِمَ، وَإِنَّهُ أَمَرَنَا أَنْ نَسْأَلَكَ هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟، "فَنَزَلَتْ: {كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرسول- حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ") (4) (فَبَعَثَ بِهَا قَوْمُهُ، فَرَجَعَ تَائِبًا، " فَقَبِلَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - ذَلِكَ مِنْهُ، وَخَلَّى عَنْهُ") (5)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (86).

(2) انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (1/45-46)، في سورة (آل عمران) الآية (86)، للشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِيُّ).

(3) الحديث رجاله رجال (الصحيح) وقد أعاده مرسلا وموصولا وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) كما في (موارد الظمآن) رقم (ص427)، و الإمام (الطحاوي) في (مشكل الآثار) رقم (ج4 / ص64)، والإمام (الحاكم) رقم (ج2 / ص142)، و(ج4 / ص366) وفي كلا الموضعين قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الإمام (الذهبي).

(4) أخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4068).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (2218).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (صحيح).

(5) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (2218).

* * *

[٨٧] ﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن جزاء أولئك الظالمين الذين اختاروا الباطل أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فهم مُبعَدُون عن رحمة الله مطرودون.(1)

* * *

يَعْنِي:- أولئك الظالمون جزاؤهم أنَّ عليهم لعنة الله والملائكة والناسِ أجمعين، فهم مطرودون من رحمة الله.(2)

* * *

يَعْنِي:- أولئك عقوبتهم عند الله استحقاق غضبه عليهم، ولعنته، ولعنة صفوة الخلق جميعاً من ملائكة وبشر.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{جَزاؤُهُمْ} ... عقوبتهم عند الله.

{أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ} ... استحقاق غضب الله عليهم ولعنته.

{لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} ... طَرْدُ الله لهم مِنْ كُلِّ خيرٍ، ولعنةُ الملائكة والناس: دُعَاؤُهُمْ عليهم بذلك.

{وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} ... ولعنة صفوة الخلق جميعا من ملائكة وبشر.

* * *

[٨٨] ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

خالدين في النار لا يخرجون منها، ولا يُخَفَّف عنهم عذابها، ولا هم يُؤخَّرون ليتوبوا ويعتذروا.(4)

* * *

يَعْنِي:- ماكثين في النار، لا يُرفع عنهم العذاب قليلا ليستريحوا، ولا يُؤخر عنهم لمعذرة يعتذرون بها.(5)

* * *

يَعْنِي:- لا تفارقهم اللعنة، ولا يخفف عنهم العذاب، ولا هم يمهلون.(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{خالدينَ فيها} ... لا تفارقهم اللعنة.

{لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ} ... أي: لا يُؤَخَّرُونَ عَنْ وقتِ العذاب، ولا يُؤَخَّرُ عنهم من وقتٍ إلى وقت.

وأخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4068).

وأخرجه الإِمَامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4477).

انظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) لِلإِمَامِ (الألباني) رقم (3066).

وانظر: (الجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (آل عمران) الآية (86)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (61/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (61/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (85/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (61/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (61/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (85/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} ... ولا هم يُمهَلون.

* * *

[٨٩] ﴿ إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

إلا الذين رجعوا إلى الله بعد كفرهم وظلمهم، وأصلحوا عملهم" فإن الله غفور لمن تاب من عباده رحيم بهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- إلا الذين رجعوا إلى ربهم بالتوبة النصوح من بعد كفرهم وظلمهم، وأصلحوا ما أفسدوه بتوبتهم فإن الله يقبلها، فهو غفور لذنوب عباده، رحيم بهم. (2)

* * *

لكن الذين أقلعوا عن ذنوبهم، ودخلوا في أهل الصلاح وأزالوا ما أفسدوا، فإن الله تعالى يغفر لهم برحمته ذنوبهم، لأن المغفرة والرحمة صفتان من صفات ذاته العلية. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مِنْ بَعْدِ ذلِكَ} ... الكفر والارتداد.

{وَأَصْلَحُوا} ... ما أفسدوا، أو دخلوا في الإصلاح.

* * *

[٩٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

إن الذين كفروا بعد إيمانهم، واستمروا على كفرهم حتى ماتوا" لن تقبل منهم التوبة عند حضور الموت لذهاب وقتها، وأولئك هم الضالون عن الصراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى. (4)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين كفروا بعد إيمانهم واستمروا على الكفر إلى الممات لن تقبل لهم توبة عند حضور الموت، وأولئك هم الذين ضلُّوا السبيل، فأخطَؤُوا منهجه. (5)

* * *

وإن قبول التوبة والرحمة بالغفران شرطهما الاستمرار على الإيمان، فالذين يجحدون الحق بعد الإذعان والتصديق، ويزدادون بهذه الردة جحوداً وفساداً وإيذاء للمؤمنين، لن يقبل الله سبحانه وتعالى - توبتهم لأنها لا يمكن أن تكون صادقة خالصة، وقد صاروا بعملهم بعيدين عن الحق منصرفين عنه. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (61/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (61/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (85/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (61/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (61/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (85/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} ... هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة.

{ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً} ... بكفرهم بمحمد والقرآن، أو كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه، ثم ازدادوا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فى كل وقت، وعداوتهم له، ونقضهم ميثاقه، وفتنتهم للمؤمنين، وصدهم عن الايمان، وسخريتهم بكل آية تنزل.

{لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ} ... عبارة عن الموت على الكفر، لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم}.

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: {إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا} أولئك أعداء الله اليهود، كفروا بالإنجيل وبعيسى، ثم ازدادوا كفرا بمحمد والفرقان.(1)

* * *

قال: الإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): في قوله: {لن تقبل توبتهم} قال: تابوا من بعض، ولم يتوبوا من الأصل.(2)

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزُول ﴾

قال: الشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِيُّ) - (رحمه الله) - في (الصحيح المسند من أسباب النزول):

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ} [آل عمران: 90].

قال: (الحافظ ابن كثير) في (تفسيره) رقم (ج1 ص380): قال: (الحافظ أبو بكر البزار) حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبي هند عن (عكرمة) عن (ابن عباس) أن قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فنزلت هذه الآية {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ} هكذا رواه و(إسناده جيد).(3)

* * *

[٩١] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (90).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (90).

(3) انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (46/1)، في سورة (آل عمران) الآية (90)، للشيخ: (مُقبلُ بنُ هَادِي الوادعِيُّ)، .

لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذين كفروا وماتوا على كفرهم "فلن يُقبل من أحدهم وزن الأرض ذهبًا ولو قدّمه مقابل انفكاكه من النار، أولئك الذين لهم عذاب أليم، وما لهم من ناصرين يوم القيامة يدفعون عنهم العذاب. (1)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين جحدوا نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وماتوا على الكفر بالله ورسوله، فلن يُقبل من أحدهم يوم القيامة ملء الأرض ذهبًا" ليفتدي به نفسه من عذاب الله، ولو افتدى به نفسه فعْلا. أولئك لهم عذاب موجع، وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإن الذين جحدوا الحق ولم يذعنوا له واستمروا عليه حتى وهم جاحدون، لن يستطيع أحدهم أن يفتدى نفسه من عذاب الله - سبحانه وتعالى - شيئاً، ولو كان الذى يقدمه فدية له ما يملأ الأرض من الذهب إن استطاع، وعذابهم مؤلم شديد الإيلام. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مِّلْءُ الأَرْضِ} ... مَا يَمْلَأُهَا مِنَ الذَّهَبِ.

{وَلَوِ افْتَدَى بِهِ} ... ولو قدّمه فداءً لنفسه من النار ما قُبلَ منه.

{لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} ... ذَهَباً نصب على التمييز. وقرىء: ذهب، بالرفع، ردا على ملْءُ.

{وَلَوِ افْتَدَى بِهِ} ... محمول على المعنى، كأنه قيل: فلن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به}.

قال الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني (أبي) عن (قتادة)، عن (أنس) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. ح. وحدثني محمد بن معمر، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا سعيد، عن (قتادة)، حدثنا (أنس بن مالك) - رضي الله عنه - أن نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يقول: ((يُجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقال له: قد كنتَ سُئلت ما هو أيسر من ذلك)). (4)(5)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (61/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (61/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (85/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (408/11)، ح (6538) - (كتاب: الرقاق)، /باب: (من نوقش الحساب عذب).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2160/4)، ح (2805) - (كتاب: صفات المنافقين)، / باب: (طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً).

وقال: الإمام (البُخَاري و مُسلم) - في (صحيحهما)، - والإمام (أحمدُ بنُ حنبَل) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم):- عَنْ (أَنَس بْنِ مَالك) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم :- (" يُؤْتَى (1) بِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (2) فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ , فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ شَرُّ مَنْزِلٍ) (3) فَيَقُولُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا , أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟) (4) فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ , فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، قَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ فَلَمْ تَفْعَلْ) (5) (قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا) (6) (وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ) (7) (فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي) (8) (قَالَ: قَالَ: فَيُرَدُّ إِلَى النَّارِ) (9) فَذَلِكَ قَوْلُهُ:

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ , أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} ") (10)

* * *

قال: الشيخ (صالح بن فوزان الفوزان) - (رحمه الله) - في (مجموع فتاوى = كتاب : تفسير):

سؤال: يقول الله تعالى في سورة (آل عمران): {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ} [آل عمران: 90]، ويقول تعالى في آية أخرى: {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر: 53]، فما معنى هاتين الآيتين، وكيف نوفق بينهما؟ وهل معنى الأولى أن هناك ذنوبًا لا تقبل التوبة من فاعلها مهما حاول؟ أم أن إحداهما ناسخة للأخرى أم كيف ذلك؟

الجواب: لا تعارض بين الآيتين الكريمتين" لأن الآية الأولى محمولة على المرتد الذي لم يتب، ومات على ردته {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا}، يعني: لم يتوبوا وإنما استمروا على كفرهم إلى أن ماتوا، فهؤلاء لن تقبل توبتهم ولو تابوا عند الموت لقوله تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ} [النساء: 18]،

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإمَام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (13535).
(2) أخرجه الإمَامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (6189).
(3) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (13535).
وأخرجه الإمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (7350).
(4) أخرجه الإمَامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (6173).
(5) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (13535).
وأخرجه الإمَامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (3156).
وأخرجه الإمَامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (53) - (2805).
(6) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (12311).
وأخرجه الإمَامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (3156).
(7) أخرجه الإمَامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (51) - (2805).
(8) أخرجه الإمَامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (6189).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (12311).
(9) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (13535).
وأخرجه الإمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (7350).
(10) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (13312).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط) : (إسناده صحيح).

ولقوله تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} {البقرة: 217}،

فالحاصل: إن الآية الأولى فيمن ارتد عن الدين واستمر على ردته ولم يتب إلا عند الموت، وعند الغرغرة،

كما في الحديث: ((إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر))، يعني: ما لم تبلغ روحه الغرغرة، حينئذ لا تقبل منه توبة.

وأما الآية الأخرى: {يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}، فهذه في الذي يتوب قبل حضور الموت، فإن الله جل وعلا يتوب عليه، وبهذا يتضح أن لا تعارض بين الآيتين الكريمتين.

سؤال: هل هناك ذنب لا تقبل التوبة من فعله؟.

الجواب: الصحيح أنه ليس هناك ذنب لا تقبل التوبة من فاعله، فإن الله جل وعلا يقبل توبة الكافر إذا تاب، قال تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} {الأنفال: 38}.

والمشرك إذا تاب مع أن الشرك هو أعظم الذنوب، إذا تاب منه تاب الله عليه.

فليس هناك على الصحيح من قولي العلماء ذنب لا تقبل منه التوبة. (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92) كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (94) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100)

- يجب الإيمان بجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى، وجميع ما أنزل عليهم من الكتب، دون تفريق بينهم.
- لا يقبل الله تعالى من أحد دينًا أيًا كان بعد بعثة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا الإسلام الذي جاء به.
- مَنْ أصرَّ على الضلال، واستمر عليه، فقد يعاقبه الله بعدم توفيقه إلى التوبة والهداية.
- باب التوبة مفتوح للعبد ما لم يحضره الموت، أو تشرق الشمس من مغربها، فعندئذ لا تُقبل منه التوبة.

(1) انظر: (مجموع فتاوى) لفضيلة الشيخ (صالح بن فوزان الفوزان) - (كتاب: التفسير) - (تفسير سورة (آل عمرآن) آية (90).

• لا ينجي المرء يوم القيامة من عذاب النار إلا عمله الصالح، وأما المال فلو كان ملء الأرض لم ينفعه شيئًا.(1)

* * *

[٩٢] ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لن تدركوا أيها المؤمنون- ثواب أهل البر ومنزلتهم حتى تنفقوا في سبيل الله من أموالكم التي تحبونها، وما تنفقوا من شيء قليلًا كان أو كثيرًا فإن الله عليم بنياتكم وأعمالكم، وسيجازي كلًّا بعمله.(2)

* * *

يَعْنِي:- لن تدركوا الجنة حتى تتصدقوا مما تحبون، وأي شيء تتصدقوا به مهما كان قليلا أو كثيرًا فإن الله به عليم، وسيجازي كل منفق بحسب عمله.(3)

* * *

يَعْنِي:- لن تنالوا أيها المؤمنون - الخير الكامل الذى تطلبونه ويرضاه الله تعالى، إلا إذا بذلتم مما تحبون وأنفقتموه فى سُبُل الله المتنوعة، وإن كان الذى تنفقونه قليلا أو كثيراً، نفيساً أو غيره، فإن الله يعلمه لأنه العليم الذى لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ} ... أي: لن تبلغوا حقيقة البر، ولن تكونوا أبرارا.

يَعْنِي:- لن تنالوا بر الله، وهو ثوابه.

{حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} ... من جَيِّدِ أموالكم وأَنْفَسِهَا عندكم.

أي: حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها.

{فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} ... أي: بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}.

وقال الإمَامُ (البُخَارِي و مُسلِم) - في (صحيحهما)، - والإمَامُ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده) - الإمام (ابن خزيمة) - في (صحيحه) (رحمهم الله) - (بسندهم):- عَنْ (أَنَس بْنِ مَالِكٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: كَانَ (أَبُو طَلْحَةَ) - رضي الله عنه - أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، " وَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ"،

قَالَ: (أَنَس): فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (61/1)، تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (62/1)، تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (62/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (85/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى يَقُولُ: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لله، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله (1) (وَلَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أُسِرَّهَا لَمْ أُعْلِنْهَا) (2) (فَضَعْهَا يَا رَسُولَ الله حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم: - " بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا) (3) (فِي فُقَرَاءِ أَهْلِكَ، أَدْنَى أَهْلِ بَيْتِكَ ") (4) (فَقَالَ: (أَبُو طَلْحَةَ): أَفْعَلُ يَا رَسُولَ الله) (5) (فَجَعَلَهَا فِي (حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ) - رضي الله عنهما - (6)(7).

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1392).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسلِم) في (صحيحه) برقم (42) - (998).

(2) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (12165).
وأخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2997).
وقال: الشيخ شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح).

(3) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1392).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسلِم) في (صحيحه) برقم (42) - (998).

(4) أخرجه الإِمَامُ (ابن خزيمة) في (صحيحه) برقم (2458).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (12165).
وقال: الإمام الألباني: (إسناده صحيح).

(5) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1392).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسلِم) في (صحيحه) برقم (42) - (998).

(6) قَالَ الإِمامُ (أَبُو دَاوُد): بَلَغَنِي عَنِ الْأَنْصَارِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: أَبُو طَلْحَةَ، زَيْدُ بْنُ سَهْلِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ حَرَامِ بْنِ عَمْرِو بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ حَرَامٍ يَجْتَمِعَانِ إِلَى حَرَامٍ، وَهُوَ الْأَبُ الثَّالِثُ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَتِيكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، فَعَمْرٌو يَجْمَعُ حَسَّانَ، وَأَبَا طَلْحَةَ، وَأُبَيًّا، قَالَ الْأَنْصَارِيُّ: بَيْنَ أُبَيٍّ وَأَبِي طَلْحَةَ، سِتَّةُ آبَاءٍ.
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (1689).

(7) أخرجه الإِمَامُ (مُسلِم) في (صحيحه) برقم (43) - (998).
وأخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3602).
وأخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1392).

* * *

كما في الحديث: الإمام (البخاري):

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة أنه سمع (أنس بن مالك) - رضي الله عنه - يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يدخلها ويشرب من ماء فيها طيِّب. فلما أنزلت {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وقام أبو طلحة فقال: يا رسول الله، إن الله يقول: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وأن أحب أموالي إليَّ بيرحاء. وأنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((بَخٍ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح. وقد سمعت ما قلتَ وإني أرى، أن تجعلها في الأقربين)).

قال: (أبو طلحة): أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه.

قال: عبد الله بن يوسف وروح بن عُبادة ((ذلك مال رابح)).

حدثني يحيى بن يحيى قال: قرأتُ على مالك: ((مال رابح)). (8)(9)

* * *

(8) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (71/8)، (ح 4554) - (كتاب: تفسير القرآن)، (سورة آل عمران)،

(9) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (293/3)، (ح 1461) - (كتاب: الزكاة)، / باب: (الزكاة على الأقارب).

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): **قوله**: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} **يقول**: لن تنالوا بر ربكم حتى تنفقوا مما يعجبكم، ومما تهوون من أموالكم. (1)

* * *

[٩٣] ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

جميع الأطعمة الطيبة كانت حلالًا لبني إسرائيل، ولم يُحَرَّم عليهم منها إلا ما حرَّمه يعقوب على نفسه قبل نزول التوراة، لا كما تزعم اليهود أن ذلك التحريم كان في التوراة، قل لهم أيها النبي-ﷺ-: فأحضروا التوراة واقرؤوها إن كنتم صادقين في هذا الذي تدَّعونه، فبهتوا، ولم يأتوا بها. وهو مثال يدل على افتراء اليهود على التوراة و تحريف مضمونها. (2)

* * *

يَعْنِي:- كل الأطعمة الطيِّبة كانت حلالا لأبناء يعقوب عليه السلام إلا ما حرَّم يعقوب على نفسه لمرض نزل به، وذلك من قبل أن تُنَزَّل التوراة. فلما نُزِّلت التوراة حرَّم الله على بني إسرائيل بعض الأطعمة التي كانت حلالا لهم" وذلك لظلمهم وبغيهم. قل لهم أيها الرسول- ﷺ -:- هاتوا التوراة، واقرؤوا ما فيها إن كنتم محقين في دعواكم أن الله أنزل فيها تحريم ما حرَّمه يعقوب على نفسه، حتى تعلموا صدق ما جاء في القرآن من أن الله لم يحرم على بني إسرائيل شيئًا من قبل نزول التوراة، إلا ما حرَّمه يعقوب على نفسه. (3)

* * *

يَعْنِي:- اعترض اليهود على استباحة المسلمين بعض الأطعمة كلحوم الإبل وألبانها، وادعوا أن ذلك حرمته شريعة إبراهيم. فرد الله سبحانه دعواهم ببيان أن تناول كل المطعومات كان مباحاً لبنى يعقوب من قبل نزول التوراة، إلا ما حرمه يعقوب على نفسه لسبب يختص به فحرموه على أنفسهم. وأمر الله نبيه أن يطلب منهم أن يأتوا من التوراة بدليل يثبت أن شريعة إبراهيم تحرم ذلك إن كانوا صادقين، فعجزوا وأفحموا. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كُلّ الطَّعَام} ... سَائِرُ أنواعِ المطعوماتِ. أي: كل أنواع الطعام.

{كَانَ حِلًّا} ... الحل، مصدر، يقال: حل الشيء حلا، ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (92).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (62/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (62/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (85/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِسْرَائِيلَ} ... هُوَ نَبِيُّ اللهِ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ عليهما السَّلام.

{إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ إسرائيل} ...، هو (يعقوب) - عليه السلام-، وكان حرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها.

{مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاة} ...ُ يعني أن المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة، لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير

{حِلًّا} ... حَلَالاً لهم، وَسُمِّيَ حَلَالًا لا نحلال عُقْدَةِ الْحَظْرِ عنه.

{لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ} ... أَوْلَادُ يعقوبَ الملقَّب بإسرائيل، الْمُنْحَدِرُونَ من أبنائه الاثْنَيْ عَشَرَ إلى يومنا هذا.

المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه.

{قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاة} ... فَاتْلُوهَا أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم مما هو ناطق به من أن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث، لا تحريم قديم كما يدعونه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُننِه) -(بسنده):- حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو نعيم، عن عبد الله ابن الوليد - وكان يكون في بني عجل- عن بكير بن شهاب، عن (سعيد بن جبير)، عن (ابن عباس) قال: أقبلت يهود إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: "ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله"، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر، قالوا: صدقت. فأخبرنا عما حرّم إسرائيل على نفسه؟ قال: اشتكى عرق النسا فلم يجد شيئاً يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرّمها، قالوا: صدقت. (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في(صحيحه):-

حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا أبو ضمرة حدثنا موسى بن عقبة عن نافع عن (عبد الله بن عمر) -رضي الله عنهما -أن اليهود جاءوا إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - برُجل منهم وامرأة قد زنيا، فقال لهم: ((كيف تفعلون بمن زنى منكم؟ ". قالوا: نحمِّمهما ونضربهما. فقال: "لا تجدون في التوراة الرجم؟ " فقالوا: لا نجدُ فيها شيئاً. فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضَعَ مِدراسها الذي يُدرِّسها منهم كفّه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم

---

(1) أخرجه الإمام (الترمذي) في (سننه) برقم (294/5)، (ح 3117) – (كتاب: تفسير القرآن/، باب: (ومن سورة الرعد)،
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (ح 2483) من طريق-: (عبد الله بن الوليد) به.
وقال: الإمام (الترمذي) في (سننه): حديث (حسن غريب).
وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) في (صحيح الترمذي) ح (2492).
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (ح 2471)،
وأخرجه الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم (ح 1605، 7420)،
وأخرجه الإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (246/12)،(ح 13012) من طرق-: عن (عبد الحميد بن بهرام) عن (شهر بن حوشب) عن (ابن عباس) به.
وقال: الإمام (الهيثمي) - بعد أن عزاه الإمام (أحمد) و الإمام (الطبراني): رجالهما ثقات (مجمع الزوائد) (242/8).
و(صححه) الشيخ: (أحمد شاكر) في تعليقه على (المسند).

فقال؟ ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما فرجما قريباً من حيث موضع الجنائز عند المسجد، قال: فرأيت صاحبها يجنأُ عليها، يقيها الحجارة.(1)(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ} وإسرائيل، هو يعقوب.

{قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين} يقول: كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه، فلما أنزل الله التوراة حرم عليهم فيها ما شاء وأحل لهم ما شاء.(3)

* * *

{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ}(4)

وقال: الإمام (الترمذي) - في (سُننه)، - والإمام (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده) - (رحمهما الله) - (بسندهما):- وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - قَالَ: (أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ)(5) (إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ)(6) (لا يَعْلَمُهُنَّ إِلاَ نَبِيٌّ)(7) (فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ)(8) (قَالَ: " سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ , وَلَكِنْ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللهِ وَمَا أَخَذَ يَعْقُوبُ - عليه السلام - عَلَى بَنِيهِ لَئِنْ حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا فَعَرَفْتُمُوهُ لَتُتَابِعُنِّي عَلَى الْإِسْلَامِ ")(9) (فَأَعْطَوْهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ , وقَالُوا: ذلك لَكَ , قَالَ: " فَسَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ ")(10) (قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عَلاَمَةِ النَّبِيِّ؟ , قَالَ: " تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ " قَالُوا: أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤَنِّثُ الْمَرْأَةُ , وَكَيْفَ تُذْكِرُ؟ , قَالَ: " يَلْتَقِي الْمَاءَانِ , فَإِذَا عَلاَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ , أَذْكَرَتْ , وَإِذَا عَلاَ مَاءُ الْمَرْأَةِ آنَثَتْ " , قَالُوا: صَدَقْتَ)(11) (فَأَخْبِرْنَا أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ؟ , قَالَ: " فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى - صلى الله عليه وسلم - هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا , وَطَالَ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (72/8)، (ح 4556) – (كتاب: تفسير القرآن)- (سورة آل عمران)،

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1326/3)، (ح 1699) – (كتاب: الحدود)، / باب: (رجم العهود وأهل الذمة في الزنى).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (93).

(4) {آل عمران/93}.

(5) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2483).
واخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3117).

(6) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2483).
وقال: الشيخ (شعيب الأرناءوط): (إسناده حسن).

(7) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2514).
(سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) رقم (1872).
و(صححه) (أحمد شاكر) من الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2514). .

(8) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2483).

(9) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2514).

(10) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (251).

(11) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2483).

سَقَمُهُ , فَنَذَرَ لله نَذْرًا لَئِنْ شَفَاهُ اللهُ مِنْ سَقَمه , لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ , وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ , وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانُ الْإِبِلِ , وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا؟) (1) وفي رواية: رواية: (كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا (2) فَلَمْ يَجِدْ يَجِدْ شَيْئًا (3) يُلَائِمُهُ إِلَّا لُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا وَأَلْبَانَهَا , فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا" (4)) (5) فَقَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ , قَالَ: " اللَّهُمَّ اشْهَدْ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ ") (6)

* * *

[٩٤] ﴿ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فمن افترى الكذب على الله بعد ظهور الحجة" بأن ما حَرَّمه يعقوب - عليه السلام - حَرَّمه على نفسه من غير تحريم من الله" فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بترك الحق بعد ظهور حجته. (7)

* * *

يَعْنِي:- فمن كذب على الله من بعد قراءة التوراة ووضوح الحقيقة، فأولئك هم الظالمون القائلون على الله بالباطل. (8)

* * *

يَعْنِي:- اعترض اليهود على استباحة المسلمين بعض الأطعمة كلحوم الإبل وألبانها، وادعوا أن ذلك حرمته شريعة إبراهيم. فرد الله سبحانه دعواهم ببيان أن تناول كل المطعومات كان مباحاً لبني يعقوب من قبل نزول التوراة، إلا ما حرمه يعقوب على نفسه لسبب يختص به فحرموه على أنفسهم. وأمر الله نبيه أن يطلب منهم أن يأتوا من التوراة بدليل يثبت أن شريعة إبراهيم تحرم ذلك إن كانوا صادقين، فعجزوا وأفحموا. (9)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} ... بزعمه أن ذلك كان محرما على بني إسرائيل قبل إنزال التوراة من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة.

{فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}...المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم، ولا يلتفتون الى البينات. (10)

* * *

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (2514).

(2) (عِرقَ النَّسَا): وَجَعٌ يَبْتَدِئُ مِنْ مَفْصِلِ الْوَرِك , وَيَنْزِلُ مِنْ جَانِبِ الْوَحْشِيِّ عَلَى الْفَخِذ، وَرُبَّمَا امْتَدَّ إِلَى الرُّكْبَةِ وَإِلَى الْكَعْب، وَالنَّسَا: وَرِيدٌ يَمْتَدُّ عَلَى الْفَخِذ مِنْ الْوَحْشِيِّ إِلَى الْكَعْب. تحفة الأحوذي - (ج 7 / ص 444).

(3) أَيْ: مِنَ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَات. تحفة الأحوذي - (ج 7 / ص 444).

(4) أَيْ: لُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا. تحفة الأحوذي - (ج 7 / ص 444)

(5) أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3117).

وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (2483).

(6) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (2514).

(7) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (62/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(8) انظر: (التفسير الميسر) برقم (62/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(9) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(10) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (94)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

[٩٥] ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

قل: أيها النبي -ﷺ-: صدق الله فيما أخبر به عن يعقوب - عليه السلام -، وفي كل ما أنزل وشرع، فاتبعوا دين إبراهيم -عليه السلام-، فقد كان مائلًا عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ولم يشرك مع الله غيره أبدًا. (1)

* * *

يَعْنِي:- قل: لهم أيها الرسول- ﷺ - صَدَقَ الله فيما أخبر به وفيما شرعه. فإن كنتم صادقين في محبتكم وانتسابكم لخليل الله إبراهيم -عليه السلام- فاتبعوا ملّته التي شرعها الله على لسان محمد -صلى الله عليه وسلم، فإنها الحق الذي لا شك فيه. وما كان إبراهيم- عليه السلام- من المشركين بالله في توحيده وعبادته أحدًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- وبعد تعجيزهم، أمر الله النبى أن يبيّن لهم أنه بعد إفحامهم ثبت صدق الله فيما أخبر، فاتَّبعوا شريعة إبراهيم التى يدعوكم إليها وتكذبون عليها، فإنها الحق الذى لا شك فيه، وما كان إبراهيم من أهل الشرك بالله. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قُلْ صَدَقَ اللَّهُ} ... تعريض بكذبهم، أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون.

{فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً} ... وهى ملة الإسلام التي عليها محمد- صلّى الله عليه وآله وسلم- ومن آمن معه.

{مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} ... دِينَه، وهي عبادة الله تعالى بما شَرَعَ به وَنَبْذُ الشِّرْك والبِدَع.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين}.

وانظر: سورة -(البقرة) - آية (135). -

كما قال تعالى: {وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-- حدثنا أسيد بن عاصم، ثنا الحسين يعني: ابن حفص، ثنا سفيان عن ابن أبي ليلى، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن (عبد الله بن عمرو) قال: عن أبي جبريل بإبراهيم -صلى الله علهما-، فصلى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم غدا من منى إلى عرفة، فصلى

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (62/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (62/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

به الصلاتين: الظهر والعصر ثم وقف له حتى غابت الشمس ثم دفع حتى أتى المزدلفة، فنزل بها، فبات وصلى، ثم صلى كأعجل ما يصلي أحد من المسلمين، ثم وقف به كأبطأ ما يصلي أحد من المسلمين، ثم دفع منه إلى منى، فرمى وذبح، ثم أوحى الله تعالى إلى محمد أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. (1)

* * *

[٩٦] ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن أول بيت بني في الأرض للناس جميعًا من أجل عبادة الله هو بيت الله الحرام الذي بمكة، وهو بيت مبارك، كثير المنافع الدينية والدنيوية، وفيه هداية للعالمين جميعًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن أول بيت بُني لعبادة الله في الأرض لهو بيت الله الحرام الذي في ‹ مكة ›، وهذا البيت مبارك تضاعف فيه الحسنات، وتتنزل فيه الرحمات، وفي استقباله في الصلاة، وقصده لأداء الحج والعمرة، صلاح وهداية للناس أجمعين. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإن من اتباع ملة إبراهيم الاتجاه فى الصلاة إلى البيت الذى بناه والحج إليه، وقد بين الله تعالى ذلك فذكر: إن أول بيت فى القدم والشرف جعله الله متعبداً للناس لهو الذى فى مكة، وهو كثير الخيرات والثمرات، وأودع الله - سبحانه وتعالى - البركة فيه، وهو مكان هداية الناس بالحج والاتجاه فى الصلاة إليه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وُضِعَ لِلنَّاسِ} ... صفة لبيت، والواضع هو الله عز وجل.

{لَلَّذِي بِبَكَّةَ} .. بكة، هى مكة، علم للبلد الحرام.

مُبارَكاً كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده.

وانتصابه على الحال من المستكن فى الظرف، لأن التقدير: للذى ببكة هو، والعامل فيه المقدر فى الظرف من فعل الاستقرار.

{بِبَكَّةَ} ... بِمَكَّةَ.

{مُبَارَكًا} ... أَصْلُ البركةِ النموُّ والزيادةُ؛ لأن الطاعاتِ وسائرَ العباداتِ تَتَضَاعَفُ وَيَزْدَادُ ثَوَابُهَا عِنْدَهُ.

---

(1) اخرجه الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) (آل عمران/آية 95) برقم (ح 961).
وعزاه الإِمَامُ (الهيثمي للطبراني) في (جامع الكبير - بأسانيد).
وقال: رجال بعضها رجال الصحيح (مجمع الزوائد) برقم (251/3).
ورجاله ثقات إلا (الحسين بن حفص) محله الصدق، (فالإسناد حسن).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (62/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (62/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَهُدىً لِلْعالَمِينَ} ... لأنه قبلتهم ومتعبدهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ} (1)

وقال: الإِمَامُ (البُخَارِي و مُسلِم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما):- عَنْ (أَبِي ذَرّ) – رضي الله عنه – قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ ، قَالَ: "الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ" ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ ، قَالَ: "الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى" ، فَقُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ ، قَالَ: "أَرْبَعُونَ سَنَةً") (2) ثُمَّ الْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ، فَحَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ") (3)

* * *

كما في لفظ الحديث: الإمام (البخاري):

قال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا إبراهيم التيمى، عن أبيه عن (أبي ذر) – رضي الله عنه – قال قلتُ: يا رسول الله أي مسجد وُضعَ أول؟ قال: "المسجد الحرام". قلت: ثم أيٌّ؟ قال: "ثم المسجد الأقصى" قلتُ كم كان بينهما؟ قال: "أربعون"، ثم قال: "حيثما أدركتكَ الصلاةَ فصل والأرض لك مسجد". (4)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) – (رحمه الله) – في (سُننه) – (بسنده):- حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن عمرو بن سليم الزرقي، عن عاصم بن عمر، عن (علي بن أبي طالب) قال: خرجنا مع رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حتى إذا كنا بحرة السقيا التي كانت لسعد ابن أبي وقاص، فقال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((ائتوني بوضوء، فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة، ثم قال: اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك ودعا لأهل مكة بالبركة، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مُدِّهم وصاعهم مثلي ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين)). (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ

---

(1) {آل عمران: 96، 97}.

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3186).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2) - (520).

(3) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2) - (520).

وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3243).

واخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (690).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21371).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6/458)، (ح 3425) – (كتاب: أحاديث الأنبياء)، قوله تعالى: (ووهبنا لداود سليمان).

(5) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (5/718)، (ح 3914) – (كتاب: المناقب)، / باب: (في فضل المدينة) برقم (ح 3914)، وقال: (حديث حسن صحيح).

وأخرجه الإمام (ابن خزيمة) في (صحيحه) برقم (1/105-106)، (ح 2090) – (كتاب: الوضوء)، / باب: (استحباب الوضوء للدعاء ...). - من حديث - (شعيب بن الليث عن سعيد بن أبي سعيد) به، قال محققه: (إسناده صحيح).

وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) - (9/61)، (ح 3746) -من طريق-: الإمام (ابن خزيمة) به.

قال محققه: (إسناده صحيح ورجاله ثقات).

وأخرجه الإمام (الضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (2/164-166)، (ح 543 و544) - من طرق-: عن (الليث)،

قال: محققه في الموضعين: (إسناده صحيح).

الْيَهُودَ قَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ: بَيْتُ الْمَقْدِسِ قِبْلَتُنَا وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْكَعْبَةِ وَأَقْدَمُ وَهُوَ مُهَاجَرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَالَ: المسلمون الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هذه الآية. (1)

* * *

قال: الإمام (الضياء المقدسي) - (رحمه الله) - في (المختارة): قُرئ على أبي أحمد عبد الباقي بن عبد الجبار الهروي -ونحن نسمع- أخبركم أبو شجاع عمر بن محمد بن عبد الله البسطامي -قراءةً عليه وأنت تسمع- أنا أحمد بن محمد بن الخليلي، أنا علي بن أحمد الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب الشاشي، ثنا إسماعيل القاضي، ثنا حجاج بن منهال، ثنا حماد بن سلمة، عن سماك بن حرب، عن (خالد بن عرعرة)، قال: لما قتل عثمان، ذعرني ذعراً شديداً، وكان سَلُّ السيف فينا عظيماً، فجلستُ في بيتي، وكانت لي حاجة في السوق لثياب اشتريتها، فخرجت فإذا أنا بنفر في ظل جلوس، نحو من أربعين رجلاً، وإذا سلسلة معلّقة معروضة على الباب، فقلت: لأدخلن فلأنظرن. قال: فذهبتُ لأدخل، فمنعني البواب، فقالوا: دع الرجل. فدخلتُ، فإذا أشراف الناس، وإذا وسادة معروضة، فجلست، فجاء رجلٌ جميل عليه حُلّة ليس عليه قميص ولا عمامة، فإذا هو علي - رضي الله عنه - ثم جلس، فلم ينكر من القوم غيري. فقال: سَلوني، ولا تسألوني إلا عما ينفع ويضر. فقال رجل: ما قلتَ حتى أحببتَ أن تقول، أنا أسألك.

فقال: سلْ، ولا تسأل إلا عما ينفع أو يضر. فقال: ما {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (2) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (3) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (4)} قال: الملائكة. {الذاريات 1-4}.

ثم قال: أخبرني عن ما أسألك. فقال: سل، ولا تسأل إلا عما ينفع أو يضر.

فقال: ما {السقف المرفوع} قال: السماء.

قال: فما {العاصفات عصفاً} قال: الرياح.

قال: فما {الجوار الكُنس}؟ قال: الكواكب.

قال: فما (البيت المعمور}؟ قال: قال: علي لأصحابه ما تقولون؟ قالوا: نقول: هو البيت الحرام. قال: بل هو بيت في السماء يقال له: الصراح، حِيال هذا البيت، حرمته في السماء كحرمة هذا في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه، ثم تلا هذه الآية: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ...}. ثم قال: أما إنه ليس بأول بيت كان، قد كان نوح قبله وكان في البيوت، وكان إبراهيم قبله وفي البيوت، ولكنه أول بيت وضع للناس فيه البركة،

{فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا} ثم حدث أن إبراهيم -عليه السلام- لما أمر ببناء البيت ضاق به ذرعاً فلم يَدْرِ كيف يبنيه، فأرسل الله السكينة، وهي ريح خجوج لها رأس، فتطوقت له بالحج، فكان يبني عليها كل يوماً سافاً، ومكة شديدة الحر، فلما بلغ الحَجَرَ، قال

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (96).

لإسماعيل: اذهب فالتمس لي حجراً أضعه. فذهب يطوف في الجبال، فجاء جبريل بالحجر فوضعه، فجاء إسماعيل فقال: من أين هذا؟ قال: جاء به من لم يتكل على بنائي وبنائك، فوضعه، فلبث ما شاء الله أن يلبث، ثم انهدم، فبنتْه العمالقة، ثم انهدم فبنته جُرهُم، ثم انهدم فبنته قريش، فلما أرادوا أن يضعوا الحَجَر تنازعوا في وضعه. قالوا: أول من يخرج من هذا الباب يضعه، فخرج النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من باب بني شيبة، فأمر بثوب فبسط، ووضع الحجر في وسط الثوب، وأمر من كل فخذ رجلاً أن يأخذ ناحية الثوب، فأخذوه فرفعوه، فأخذه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فوضعه. فقام رجل آخر فقال: أخبرني عن هذه الآية: {وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جُناح علهما} حتى ختم الآية؟ قال: عن مثل هذا فَسَلوا، هذا العلم، هو الرجل تكون له امرأتان، إحداهما قد عجزت وهي دميمة، فيصالحها أن يأتيها كل يوم، أو ثلاثة، أو أربع. فقام إليه رجل آخر فسأله عن هذه الآية: {ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن} (النساء (128).

فأقيمت الصلاة فقام. روى قتيبة عن أبي عوانة، عن سماك، عن (خالد بن عرعرة) قال: سمعت علياً وسأله رجل عن: {الذاريات ذروا} ،و {الحاملات وقراً} ، و {المقسمات}. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): {بكة} بك الناس بعضهم بعضا، الرجال والنساء، يصلى بعضهم بين يدي بعض، لا يصح ذلك إلا بمكة. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تَفسيره):- {96} {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ}. يخبر تعالى عن شرف هذا البيت الحرام، وأنه أول بيت وضعه الله للناس، يتعبدون فيه لربهم فتغفر أوزارهم، وتقال عثارهم، ويحصل لهم به من الطاعات والقربات ما ينالون به رضى ربهم والفوز بثوابه والنجاة من عقابه، ولهذا قال: {مباركا} أي: فيه البركة الكثيرة في المنافع الدينية والدنيوية كما قال تعالى: {ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام}.

{وهدى للعالمين} والهدى نوعان: هدى في المعرفة، وهدى في العمل، فالهدى في العمل ظاهر، وهو ما جعل الله فيه من أنواع التعبدات المختصة به، وأما هدى العلم فبما

---

(1) اخرجه الإمَامْ (الضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (2/60 ح 438). و(حسنه) المحقق وهو كما قال،

وأخرجه الإمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2/292-293). - من طريق-: (خالد بن عرعرة) به منحصراً على الآية المذكورة و(صححه) ووافقه الإمَامْ (الذهبي)

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (96).

يحصل لهم بسببه من العلم بالحق بسبب الآيات البينات التي ذكر الله تعالى: (1)

* * *

[٩٧] ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

في هذا البيت علامات ظاهرات على شرفه وفضله" كالمناسك والمشاعر، ومن هذه العلامات الحَجَر الذي قام عليه ابراهيم لما أراد رفع جدار الكعبة، ومنها أن من دخله يزول الخوف عنه ولا يناله أذى. ويجب لله على الناس قَصْد هذا البيت لأداء مناسك الحج، لمن كان منهم قادرًا على الوصول إليه، ومن كفر بفريضة الحج فإن الله غني عن هذا الكافر وعن العالمين أجمعين. (2)

* * *

يَعْنِي:- في هذا البيت دلالات ظاهرات أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظَّمه وشرَّفه، منها: مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الحَجَر الذي كان يقف عليه حين كان يرفع القواعد من البيت هو وابنه إسماعيل، ومن دخل هذا البيت أَمِنَ على نفسه فلا يناله أحد بسوء. وقد أوجب الله على المستطيع من الناس في أي مكان قَصْدَ هذا البيت لأداء مناسك الحج. ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه وعن حجِّه وعمله، وعن سائر خَلْقه. (3)

* * *

يَعْنِي:- وفيه دلائل واضحات على حرمته ومزيد فضله، منها مكان قيام إبراهيم للصلاة فيه، ومن دخله يكون آمناً لا يتعرض له بسوء، وحج هذا البيت واجب على المستطيع من الناس، ومن أبى وتمرد على أمر الله وجحد دينه فالخسران عائد عليه، وأن الله غنى عن الناس كلهم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ} ... الحَجَرُ الَّذي كَانَ يَقِفُ عَلَيْه حِينَ كَانَ يَرْفَعُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْت.

الحِجْرُ الَّذي كان يقومُ عَلَيْه عندَ بناءِ البيت.

{مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ} ... عطف بيان لقوله آياتٌ بَيِّناتٌ.

{وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً} ... دل على أمن داخله، فكأنه قيل: فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله.

{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} ... يعني: أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته.

و{مَنْ كَفَرَ} ... مكان: ومن لم يحج، تغليظا على تارك الحج.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (96)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (62/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (62/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {فيه آيات بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً}.

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة) و(مجاهد): {فيه آيات بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ} قال: مقام إبراهيم، من الآيات البينات.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) عن -(مجاهد): (فيه آيات بينات) قال: قدماه في المقام آية بينة. يقول: {ومن دخله كان آمنا} قال: هذا شيء آخر.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: (ومن دخله كان آمنا) وهذا كان في الجاهلية، كان الرجل لو جر كل جريرة على نفسه، ثم لجأ إلى حرم الله، لم يتناول ولم يطلب. فأما في الإسلام فإنه لا يمنع من حدود الله، من سرق فيه قطع، ومن زنى فيه أقيم عليه الحد، ومن قتل فيه قتل.

وعن (قتادة): أن (الحسن) كان يقول: إن الحرم لا يمنع من حدود الله. لو أصاب حداً في غير الحرم، فلجأ إلى الحرم، لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد.(3)

* * *

قوله تعالى: {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا}.

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن ابن شهاب، عن سليمان بن يسار، عن (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما- قال: كان الفضل رديف رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركتْ أبي شيخاً كبيراً لا يثبُت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: "نعم" وذلك في حجة الوداع.(4)

* * *

قوله: {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا}(5)

و أخرج الإِمَامْ (البُخَارِي) و (مُسلِم) – في (صحيحهما)، - و الإِمَامْ (الترمذي) في (سُننه)، والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم):- عَنْ (أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ) – رضي الله عنه – قَالَ: قُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (97).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (97).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (97).

(4) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (378/3)، (ح 1513)، - (كتاب: الحج)، / باب: (وجوب الحج وفضله).

(5) {آل عمران: 97}.

سَعِيدٍ (1) وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ (2): ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ (3) أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ (4) سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ (5) ("أَذِنَ لَنَا رَسُولُ اللهِ يَوْمَ الْفَتْحِ فِي قِتَالِ بَنِي بَكْرٍ حَتَّى أَصَبْنَا مِنْهُمْ ثَأرَنَا، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بِرَفْعِ السَّيْفِ"، فَلَقِيَ رَهْطٌ مِنَّا فِي الْغَدِ رَجُلًا مِنْ هُذَيْلٍ فِي الْحَرَمِ يَؤُمُّ (6) رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - لِيُسْلِمَ، وَكَانَ قَدْ وَتَرَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (7)، وَكَانُوا يَطْلُبُونَهُ، فَبَادَرُوا (8) أَنْ يَخْلُصَ (9) إِلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَيَأمَنَ، فَقَتَلُوهُ، "فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَاللهِ مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ غَضَبًا أَشَدَّ مِنْهُ"، فَسَعَيْنَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيٍّ - رضي الله عنهم - نَسْتَشْفِعُهُمْ وَخَشِينَا أَنْ نَكُونَ قَدْ هَلَكْنَا، "فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - قَامَ (10) فَحَمِدَ اللهَ - عز وجل - وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ (11) فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ

---

(1) هُوَ ابْنُ الْعَاصِي بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي بْنِ أُمَيَّةَ الْقُرَشِيّ الْأُمَوِيّ، يُعْرَفُ بِالْأَشْدَقِ، لَيْسَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، وَلَا كَانَ مِنَ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ.

انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (ح104).

(2) أَيْ: يُرْسِلُ الْجُيُوشَ إِلَى مَكَّةَ لِقِتَالِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، لِكَوْنِهِ امْتَنَعَ مِنْ مُبَايَعَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَاعْتَصَمَ بِالْحَرَمِ، وَكَانَ عَمْرٌو وَالِيَ يَزِيدَ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ، وَمُلَخَّصُهَا: أَنَّ مُعَاوِيَةَ عَهِدَ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَهُ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ، إِلَّا الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَابْنَ الزُّبَيْرِ، فَأَمَّا ابْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَمَاتَ قَبْلَ مَوْتِ مُعَاوِيَةَ، وَأَمَّا ابْنُ عُمَرَ، فَبَايَعَ لِيَزِيدَ عَقِبَ مَوْتِ أَبِيهِ، وَأَمَّا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، فَسَارَ إِلَى الْكُوفَةِ لِاسْتِدْعَائِهِمْ إِيَّاهُ لِيُبَايِعُوهُ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبُ قَتْلِهِ.

وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَاعْتَصَمَ، وَيُسَمَّى عَائِذَ الْبَيْتِ، وَغَلَبَ عَلَى أَمْرِ مَكَّةَ، فَكَانَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ يَأمُرُ أُمَرَاءَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ أَنْ يُجَهِّزُوا إِلَيْهِ الْجُيُوشَ، فَكَانَ آخِرُ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ اجْتَمَعُوا عَلَى خَلْعِ يَزِيدَ مِنَ الْخِلَافَةِ.

انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (ح104).

(3) قَوْلُهُ: (ائْذَنْ لِي) فِيهِ حُسْنُ التَّلَطُّفِ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى أُمَرَاءِ الْجَوْرِ، لِيَكُونَ أَدْعَى لِقَبُولِهِمْ النَّصِيحَةَ، وَأَنَّ السُّلْطَانَ لَا يُخَاطَبُ إِلَّا بَعْدَ اسْتِئْذَانِهِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ فِي أَمْرٍ يُعْتَرَضُ بِهِ عَلَيْهِ، فَتَرْكُ ذَلِكَ، وَالْغِلْظَةُ لَهُ، قَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِإِثَارَةِ نَفْسِهِ وَمُعَانَدَةِ مَنْ يُخَاطِبُهُ.

انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (ج 1 / ص 170).

(4) أَيْ: أَنَّهُ خَطَبَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ. فتح الباري (ج 1 / ص 170).

(5) أخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (104).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1354).

(6) أَيْ: يقصُد.

(7) أي: قَتَل منهم.

(8) بادر الشيءَ: عجل إليه، واستبق وسارع.

(9) أَيْ: يتوصل.

(10) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (16423). وقال: الشيخ (شعيب الأرناءوط): صحيح.

(11) أَيْ: حَكَمَ بِتَحْرِيمِهَا وَقَضَاهُ، وَظَاهِرُهُ أَنَّ حُكْمَ اللهِ تَعَالَى فِي مَكَّةَ أَنْ لَا يُقَاتَلَ أَهْلُهَا، وَيُؤَمَّنُ مَنْ اسْتَجَارَ بِهَا، وَلَا يُتَعَرَّضُ لَهُ، وَهُوَ أَحَدُ أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)، وَقَوْلِهِ: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا)، وَلَا مُعَارَضَةَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ الْآتِي فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ"، لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، لَا بِاجْتِهَادِهِ.

أَوْ أَنَّ اللهَ قَضَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَيُحَرِّمُ مَكَّةَ.

أَوْ الْمَعْنَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ تَحْرِيمَهَا بَيْنَ النَّاسِ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ حَرَامًا.

أَوْ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَهُ بَعْدَ الطُّوفَانِ.

وَقَالَ: الإمام (الْقُرْطُبِيّ): مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَّةَ ابْتِدَاءً، مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يُنْسَبُ لِأَحَدٍ، وَلَا لِأَحَدٍ فِيهِ مَدْخَلٌ، قَالَ: وَلِأَجْلِ هَذَا أَكَّدَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ "وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ" وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ "وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ" أَنَّ تَحْرِيمَهَا ثَابِتٌ بِالشَّرْعِ، لَا مَدْخَلَ لِلْعَقْلِ فِيهِ، أَوْ الْمُرَادُ أَنَّهَا مِنْ مُحَرَّمَاتِ اللهِ، فَيَجِبُ امْتِثَالُ ذَلِكَ، وَلَيْسَ مِنْ مُحَرَّمَاتِ النَّاسِ، يَعْنِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كَمَا حَرَّمُوا أَشْيَاءَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، فَلَا يَسُوغُ الِاجْتِهَادُ فِي تَرْكِهِ.

انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (ج 6 / ص 51).

يُؤمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخرِ(1) أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا(2) وَلاَ يَعْضِدَ(3) بِهَا شَجَرَةً) (4)(5) (فَإِنْ تَرَخَّصَ مُتَرَخِّصٌ) (6) (لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فِيهَا) (7) (فَقَالَ: أُحِلَّتْ لِرَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –) (8) (فَقُولُوا لَهُ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكَ, وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ(9) ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ) (10) (كَمَا حَرَّمَهَا اللهُ – عز وجل – أَوَّلَ مَرَّةٍ) (11) (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (12) (وَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ) (13)(14) (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ قَتَلْتُمْ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ هُذَيْلٍ, وَإِنِّي عَاقِلُهُ(15) فَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ) (16) (بَعْدَ مَقَالَتِي هَذِهِ) (17) (فَأَهْلُهُ بَيْنَ خِيرَتَيْنِ(1): إِمَّا أَنْ

---

(1) فِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى الِامْتِثَالِ, لِأَنَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ لَزِمَتْهُ طَاعَتُه، وَمَنْ آمَنَ بِالْيَوْمِ الْآخرِ لَزِمَهُ امْتِثَالُ مَا أُمِرَ بِهِ وَاجْتِنَابُ مَا نُهِيَ عَنْهُ خَوْفَ الْحِسَابِ عَلَيْهِ، وَقَدْ تَعَلَّقَ بِهِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْكُفَّارَ غَيْرُ مُخَاطَبِينَ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَةِ، وَالصَّحِيحُ عِنْدَ الْأَكْثَرِ خِلَافُهُ، وَجَوَابُهُمْ بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ هُوَ الَّذِي يَنْقَادُ لِلْأَحْكَامِ وَيَنْزَجِرُ عَنْ الْمُحَرَّمَاتِ, فَجَعَلَ الْكَلَامَ مَعَهُ, وَلَيْسَ فِيهِ نَفْيُ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِ,
وَقَالَ: (ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ): الَّذِي أَرَاهُ أَنَّهُ مِنْ خِطَابِ التَّهْيِيجِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فَالْمَعْنَى أَنَّ اسْتِحْلَالَ هَذَا الْمَنْهِيِّ عَنْهُ لَا يَلِيقُ بِمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخرِ, بَلْ يُنَافِيهِ، فَهَذَا هُوَ الْمُقْتَضِي لِذِكْرِ هَذَا الْوَصْفِ، وَلَوْ قَالَ: لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ مُطْلَقًا, لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ هَذَا الْغَرَضُ, وَإِنْ أَفَادَ التَّحْرِيمَ.
انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (ج 6 / ص 51).
(2) أَيْ: بِالْجَرْحِ وَالْقَتْلِ, قَالَ الْقَارِي: وَهَذَا إِذَا كَانَ دَمًا مُهْدَرًا وَفْقَ قَوَاعِدِنَا، وَإِلَّا فَالدَّمُ الْمَعْصُومُ يَسْتَوِي فِيهِ الْحُرُمُ وَغَيْرُهُ فِي حُرْمَةِ سَفْكِهِ. تحفة الأحوذي - (ج 4 / ص 39).
(3) أَيْ: لَا يَقْطَع.
(4) قَالَ: الإمام (الْقُرْطُبِيّ): خَصَّ الْفُقَهَاءُ الشَّجَرَ الْمَنْهِيَّ عَنْ قَطْعِهِ بِمَا يُنْبِتُهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ صُنْعِ آدَمِيّ، فَأَمَّا مَا يَنْبُتُ بِمُعَالَجَةِ آدَمِيّ, فَاخْتُلِفَ فِيهِ, وَالْجُمْهُورُ عَلَى الْجَوَازِ.
وَقَالَ: الإمام (الشَّافِعِيّ): فِي الْجَمِيعِ الْجَزَاءُ، وَرَجَّحَهُ ابْنُ قُدَامَةَ.
وَاخْتَلَفُوا فِي جَزَاءِ مَا قُطِعَ مِنْ النَّوْعِ الْأَوَّلِ:
فَقَالَ: الإمام (مَالِك: لَا جَزَاءَ فِيهِ بَلْ يَأْثَم.
وَقَالَ: (عَطَاء): يَسْتَغْفِر.
وَقَالَ: الإمام (أَبُو حَنِيفَةَ): يُؤْخَذُ بِقِيمَتِهِ هَدْيٌ.
وَقَالَ: الإمام (الشَّافِعِيّ): فِي الْعَظِيمَةِ بَقَرَةٌ, وَفِيمَا دُونَهَا شَاةٌ.
وَاحْتَجَّ الإمام (الطَّبَرِيُّ) بِالْقِيَاسِ عَلَى جَزَاءِ الصَّيْدِ.
وَتَعَقَّبَهُ ابْنُ الْقَصَّارِ بِأَنَّهُ كَانَ يَلْزَمُهُ أَنْ يَجْعَلَ الْجَزَاءَ عَلَى الْمُحْرِمِ إِذَا قَطَعَ شَيْئًا مِنْ شَجَرِ الْحِلِّ, وَلَا قَائِلَ بِهِ.
وَقَالَ: (ابْنُ الْعَرَبِيّ): اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ قَطْعِ شَجَرِ الْحَرَمِ، إِلَّا أَنَّ الشَّافِعِيّ أَجَازَ قَطْعَ السِّوَاكِ مِنْ فُرُوعِ الشَّجَرَةِ، كَذَا نَقَلَهُ أَبُو ثَوْرٍ عَنْهُ.
وَأَجَازَ أَيْضًا أَخْذَ الْوَرَقِ وَالثَّمَرِ إِذَا كَانَ لَا يَضُرُّهَا وَلَا يُهْلِكُهَا.
وَبِهَذَا قَالَ: (عَطَاء, وَمُجَاهِد), وَغَيْرُهُمَا.
وَأَجَازُوا قَطْعَ الشَّوْكِ لِكَوْنِهِ يُؤْذِي بِطَبْعِهِ, فَأَشْبَهَ الْفَوَاسِقَ.
وَمَنَعَهُ الْجُمْهُورُ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِلَفْظِ: " وَلَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ ", وَصَحَّحَهُ الْمُتَوَلِّي مِنْ الشَّافِعِيَّةِ، وَأَجَابُوا بِأَنَّ الْقِيَاسَ الْمَذْكُورَ فِي مُقَابَلَةِ النَّصِّ فَلَا يُعْتَبَرُ بِهِ، حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَرِدْ النَّصُّ عَلَى تَحْرِيمِ الشَّوْكِ, لَكَانَ فِي تَحْرِيمِ قَطْعِ الشَّجَرِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ قَطْعِ الشَّوْكِ, لِأَنَّ غَالِبَ شَجَرِ الْحَرَمِ كَذَلِكَ، وَلِقِيَامِ الْفَارِقِ أَيْضًا, فَإِنَّ الْفَوَاسِقَ الْمَذْكُورَةَ تَقْصِدُ بِالْأَذَى بِخِلَافِ الشَّجَرِ.
وَقَالَ: (ابْنُ قُدَامَةَ): وَلَا بَأْسَ بِالِانْتِفَاعِ بِمَا انْكَسَرَ مِنْ الْأَغْصَانِ, وَانْقَطَعَ مِنْ الشَّجَرِ بِغَيْرِ صُنْعِ آدَمِيّ, وَلَا بِمَا يَسْقُطُ مِنْ الْوَرَقِ, نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ, وَلَا نَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا.
انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (ج 6 / ص 51).
(5) أخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (104).
(6) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1406).
(7) أخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (104).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1354).
(8) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1406).
(9) الْمُرَادُ بِهِ يَوْمُ الْفَتْحِ. فتح الباري - (ج 1 / ص 170).
(10) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (809).,
وأخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (104).
(11) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (16423).
وأخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (104).
(12) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1406).
(13) قَوْلُهُ: (فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ قَبُولِ خَبَرِ الْوَاحِدِ، لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مَنْ شَهِدَ الْخُطْبَةَ قَدْ لَزِمَهُ الْإِبْلَاغُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِإِبْلَاغِ الْغَائِبِ عَنْهُمْ إِلَّا وَهُوَ لَازِمٌ لَهُ فَرْضُ الْعَمَلِ بِمَا أَبْلَغَهُ, كَالَّذِي لَزِمَ السَّامِعَ سَوَاءٌ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِلْأَمْرِ بِالتَّبْلِيغِ فَائِدَةٌ.
انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (ج 6 / ص 51).
(14) أخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4044).
(15) أَيْ: أَيْ: مُؤَدٍّ دِيَتَهُ مِنْ الْعَقْلِ -وَهُوَ الدِّيَةُ لِأَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ. تحفة الأحوذي - (ج 4 / ص 39).
(16) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1406).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (27204).
(17) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (27204).

أَنْ يَقْتُلُوا [2] أَوْ يَأْخُذُوا الْعَقْلَ" [3])

[4] (فَقَالَ لِي عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ: انْصَرِفْ أَيُّهَا الشَّيْخُ , فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِحُرْمَتِهَا مِنْكَ) [5] (إِنَّ الْحَرَمَ لَا يُعِيذُ) [6][7] (سَافِكَ دَمٍ) [8] وَلَا خَالِعَ طَاعَةٍ , وَلَا مَانِعَ جِزْيَةٍ , فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ كُنْتُ شَاهِدًا وَكُنْتَ غَائِبًا , وَقَدْ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنْ يُبَلِّغَ شَاهِدُنَا غَائِبَنَا , وَقَدْ بَلَّغْتُكَ , فَأَنْتَ وَشَأْنُكَ) [9][10]

* * *

{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [11]

وقال: الإِمَامُ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- عَنْ (ابْنِ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ , مَنِ الْحَاجُّ؟ , قَالَ: " الشَّعِثُ [12] التَّفِلُ [13] " فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ , قَالَ: " الْعَجُّ وَالثَّجُّ [14] " فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا السَّبِيلُ؟ , قَالَ: " الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ " [15]

وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).

(1) أَيْ: اِخْتِيَارَيْنِ , وَالْمَعْنَى: مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ. تحفة الأحوذي (ج 4 / ص 39)

(2) أَيْ: قَاتَلَهُ. تحفة الأحوذي - (ج 4 / ص 39).

(3) أَيْ: يَأْخُذُوا الدِّيَةَ مِنْ عَاقِلَةِ الْقَاتِلِ. تحفة الأحوذي - (ج 4 / ص 39).

(4) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1406).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (27204).

(5) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (16424 , وقال: الشيخ (شعيب الأرناءوط): (إسناده حسن).

(6) (35) أَيْ: مَكَّة لَا تَعْصِم الْعَاصِيَ عَنْ إِقَامَة الْحَدّ عَلَيْهِ.

انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (ج1ص 170)

(7) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1735).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1354).

(8) أَيْ: هَارِبًا عَلَيْهِ دَم يَعْتَصِم بِمَكَّة كَيْلَا يُقْتَصّ مِنْهُ. فتح الباري (ج1ص 170)

(9) قَالَ: الإمام (ابْن بَطَّال): لَيْسَ قَوْل عَمْرو جَوَابًا لِأَبِي شُرَيْح، لِأَنَّهُ لَمْ يَخْتَلِف مَعَهُ فِي أَنَّ مَنْ أَصَابَ حَدًّا فِي غَيْر الْحَرَم ثُمَّ لَجَأَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجُوز إِقَامَة الْحَدّ عَلَيْهِ فِي الْحَرَم فَإِنَّ أَبَا شُرَيْح أَنْكَرَ بَعْث عَمْرو الْجَيْش إِلَى مَكَّة , وَنَصْب الْحَرْب عَلَيْهَا , فَأَحْسَنَ فِي اِسْتِدْلَاله بِالْحَدِيثِ، وَحَادَ عَمْرٌو عَنْ جَوَابه , وَأَجَابَهُ عَنْ غَيْر سُؤَاله.

وَتَعَقَّبَهُ الطِّيبِيُّ بِأَنَّهُ لَمْ يَحِدْ فِي جَوَابه، وَإِنَّمَا أَجَابَ بِمَا يَقْتَضِي الْقَوْلَ بِالْمُوجِبِ , كَأَنَّهُ قَالَ لَهُ: صَحَّ سَمَاعك وَحِفْظك، لَكِنَّ الْمَعْنَى الْمُرَاد مِنْ الْحَدِيث الَّذِي ذَكَرْتَه خِلَافُ مَا فَهِمْتَه مِنْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ التَّرَخُّص كَانَ بِسَبَبِ الْفَتْح , وَلَيْسَ بِسَبَبِ قَتْل مَنْ اِسْتَحَقَّ الْقَتْل خَارِج الْحَرَم , ثُمَّ اِسْتَجَارَ بِالْحَرَمِ، وَالَّذِي أَنَا فِيهِ مِنْ الْقَبِيل الثَّانِي.

قُلْت: لَكِنَّهَا دَعْوَى مِنْ عَمْرو بِغَيْرِ دَلِيل، لِأَنَّ ابْن الزُّبَيْر لَمْ يَجِب عَلَيْهِ حَدٌّ فَعَاذَ بِالْحَرَمِ فِرَارًا مِنْهُ حَتَّى يَصِحّ جَوَاب عَمْرو، نَعَمْ كَانَ عَمْرٌو يَرَى وُجُوب طَاعَة يَزِيد الَّذِي اِسْتَنَابَهُ، وَكَانَ يَزِيدُ أَمَرَ اِبْنَ الزُّبَيْرِ أَنْ يُبَايِع لَهُ بِالْخِلَافَةِ , وَيَحْضُر إِلَيْهِ فِي جَامِعَة - يَعْنِي مَغْلُولًا - فَامْتَنَعَ اِبْنُ الزُّبَيْر وَعَاذَ بِالْحَرَمِ , فَكَانَ يُقَال لَهُ بِذَلِكَ: عَائِذُ الله، وَكَانَ عَمْرٌو يَعْتَقِد أَنَّهُ عَاصٍ بِامْتِنَاعِهِ مِنْ اِمْتِثَال أَمْر يَزِيد , وَلِهَذَا صَدَّرَ كَلَامه بِقَوْلِهِ " إِنَّ الْحَرَم لَا يُعِيذ عَاصِيًا " ثُمَّ ذَكَرَ بَقِيَّة مَا ذَكَرَ اِسْتِطْرَادًا، فَهَذِهِ شُبْهَة عَمْرو , وَهِيَ وَاهِيَة , وَهَذِهِ الْمَسْأَلَة الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الِاخْتِلَاف بَيْن أَبِي شُرَيْح وَعَمْرو , فِيهَا اِخْتِلَاف بَيْن الْعُلَمَاء , وَفِي حَدِيث أَبِي شُرَيْح مِنْ الْفَوَائِد: إِنْكَار الْعَالِم عَلَى الْحَاكِم مَا يُغَيِّرهُ مِنْ أَمْر الدِّين , وَالْمَوْعِظَة بِلُطْفٍ وَتَدْرِيج، وَالِاقْتِصَار فِي الْإِنْكَار عَلَى اللِّسَان إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ بِالْيَدِ. انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (ج 6 / ص 51).

(10) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (16424)، (27208) . و(حسنه) الإمام (الألباني) في (الإرواء) حديث: (2220).

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (آل عمران) الآية (97)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(11) {آل عمران: 96، 97}.

(12) (الشَّعِثُ): الْمُغْبَرُّ الرَّأْسِ مِنْ عَدَمِ الْغَسْلِ , مُفَرَّقُ الشَّعْرِ مِنْ عَدَمِ الْمَشْطِ , وَحَاصِلُهُ تَارِكُ الزِّينَةِ. تحفة الأحوذي

(13) (التَّفِلُ) أَيْ: تَارِكُ الطِّيبِ , فَيُوجَدُ مِنْهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ , مِنْ (تَفَلَ الشَّيْءَ مِنْ فِيهِ) إِذَا رَمَى بِهِ مُتَكَرِّهًا لَهُ. تحفة الأحوذي

(14) قَالَ: (وَكِيعٌ): يَعْنِي بِالْعَجِّ: الْعَجِيجَ بِالتَّلْبِيَةِ , وَالثَّجُّ: نَحْرُ الْبُدْنِ.

(15) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2998).

واخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2896).

وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (15703).

واخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (8420).

انظر: (المشكاة) رقم (2527). و(صحيح الترغيب والترهيب) (1131).

و(صَحِيح الْجَامِع) (3167). للإِمَامْ (الألباني).

* * *

قال: الإِمَامْ (البُخَارِي ومُسلِم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما):-عن (عمرو بن سعيد) مرفوعاً ((إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولايعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فيها فقولوا إن الله قد أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب ...)).(1)(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- عن (رافع بن خديج) قال: قال: رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها" -يريد المدينة-.(3)

* * *

قال: الإمام (أبو داود) – (رحمه الله) – في (سُننه) – (بسنده):- حدثنا زهير بن حرب وعثمان بن أبي شيبة المعنى، قالا: ثنا يزيد ابن هارون، عن سفيان بن حسين، عن الزهري، عن أبي سنان، عن (ابن عباس) أن الأقرع بن حابس سأل النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقال: يا رسول الله الحج في كل سنة أو مرة واحدة؟ قال: ((بل مرة واحدة، فمن زاد فهو تطوع)).

قال: الإمام (أبو داود): هو أبو سنان الدؤلي، كذا قال: عبد الجليل بن حميد وسليمان ابن كثير جميعاً عن الزهري، وقال عقيل: عن سنان.(4)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – و الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (ابن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: السبيل أن يصح بدن العبد، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به.(5)(6)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} {آل عمران:

وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (آل عمران) الآية (97)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (104)- (كتاب: العلم)، / باب: (ليبلغ الشاهد الغائب)،

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1354) – (كتاب: الحج)، / باب: (تحريم مكة وصيدها).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1361) – (كتاب: الحج)، / باب: (فضل المدينة)

(4) أخرجه الإِمَامْ (أبو داود) في (السنن) برقم (139/2)، (ح 1721) – (كتاب: المناسك)، / باب: (فرض الحج)،
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن) برقم (111/5) - (كتاب: المناسك)،/ باب: (وجوب الحج)،
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجه) برقم (2886) (كتاب: المناسك)، / باب: (فرض الحج)،
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (441/1 و470)- (كتاب: المناسك) - من طرق-: عن (الزهري) به.
قال: الإمام (الحاكم): (إسناده صحيح)، و(أبو سنان) هذا هو (الدؤلي) ولم يخرجاه ووافقه الإمام (الذهبي). وعند بعضهم بدون اسم السائل.
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن أبي داود) برقم (ح 1514).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (97).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (97).

{97}. وَلَيس شَيءٌ مِنْ هَذِهِ الْفَضَائِلِ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ،

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَوْلِهُ تَعَالَى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ} {آل عمران: 96}

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ عِنْدَ خلق السماء والأرض، خلقه قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بيضاء على الماء،

وَقَالَ: بَعْضُهُمْ: هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ بني في الأرض،

وَيُرْوَى عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) أَنَّهُ قَالَ: أراد بِهِ أَنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ بَنَاهُ آدَمُ فِي الْأَرْضِ،

وقيل: هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ مُبَارَكٍ وضع هدى للناس يعبد الله فيه ويحج إليه،

وقيل: هو أَوَّلُ بَيْتٍ جُعل قِبْلَةً لِلنَّاسِ،

وقيل: أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ يعبد الله فيه،

قَوْلُه تَعَالَى: {لَلَّذِي بِبَكَّةَ}

قَالَ: جَمَاعَةٌ: هِيَ مَكَّةُ نَفْسُهَا،

وَقَالَ: الْآخَرُونَ: بَكَّةُ مَوْضِعُ الْبَيْتِ فِي مكة، وَمَكَّةُ اسْمُ الْبَلَدِ كُلِّه.

وقيل: بَكَّةُ مَوْضِعُ الْبَيْتِ وَالْمَطَافِ، سُمِّيَتْ بَكَّةَ: لِأَنَّ النَّاسَ يَتَبَاكُّونَ فِيهَا، أَيْ يَزْدَحِمُونَ يَبُكُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَمُرُّ بَعْضُهُمْ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضٍ،

{مُبَارَكًا} نُصِبَ عَلَى الْحَالِ أَيْ: ذَا بَرَكَةٍ وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، لِأَنَّهُ قِبْلَةٌ للمؤمنين فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ،

قَرأَ (ابْنُ عباس) (آية بينة) على الواحد، وَأَراد مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَحْدَهُ،

وَقَرأَ الْآخَرُونَ: آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، بِالْجَمْعِ، فَذَكَرَ مِنْهَا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ الْحَجَرُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ، وَكَانَ أثر قدميه فيه، ومن تلك الآيات في البيت الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ وَالْحَطِيمُ وَزَمْزَمُ وَالْمَشَاعِرُ كُلُّهَا،

يَعْنِي:- مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعُ الحرم،

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} من أن يهاج فيه، وَذَلِكَ بِدُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا} {إبراهيم: 35}.

يَعْنِي:- هُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ تقديره: ومن دخله فأمنوه، يَعْنِي:- مَعْنَاهُ وَمَنْ دَخَلَهُ مُعَظِّمًا لَهُ مُتَقَرِّبًا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ. قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} {آل عمران: 97}

أَيْ: وَلِلَّهِ فَرْضٌ وَاجِبٌ عَلَى الناس حج البيت، والحج أحد أركان الْإِسْلَامِ، وَالِاسْتِطَاعَةُ نَوْعَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ يكون قادرا مُسْتَطِيعًا بِنَفْسِهِ، وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ مُسْتَطِيعًا بِغَيْرِهِ، أَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ بِنَفْسِهِ، فأن يَكُونَ قَادِرًا بِنَفْسِهِ عَلَى الذَّهَابِ ووجد الزاد والراحلة، أما الاستطاعة بالغير فهي أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ عَاجِزًا بِنَفْسِهِ، بِأَنْ كَانَ زَمِنًا أَوْ بِهِ مَرَضٌ غَيْرُ مَرْجُوِّ الزَّوَالِ، لَكِنْ لَهُ مَالٌ يُمكِنُهُ أَنْ يَسْتَأْجِرَ بِهِ مَنْ يَحُجُّ عَنْهُ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَأْجِرَ، أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مال بل بَذَلَ لَهُ وَلَدُهُ أَوْ أَجْنَبِيٌّ الطَّاعَةَ فِي أَنْ يَحُجَّ عَنْهُ، يَلْزَمُهُ أَنْ يَأْمُرَهُ إِذَا كَانَ يَعْتَمِدُ صِدْقَهُ، لِأَنَّ وُجُوبَ الْحَجِّ يتعلق بالاستطاعة،

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَعَطَاءٌ): جَحَدَ فَرْضَ الْحَجِّ،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ): نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ حَيْثُ قَالُوا: الْحَجُّ إِلَى مَكَّةَ غَيْرُ وَاجِبٍ،

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): هُوَ مَنْ وَجَدَ مَا يَحُجُّ بِهِ ثُمَّ لَمْ يَحُجَّ حَتَّى مَاتَ فَهُوَ كُفْرٌ بِهِ. (1)

* * *

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}، صَرَّحَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ، وَأَنَّ كُفْرَ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ لَا يَضُرُّهُ شَيْئًا، وَبَيَّنَ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ،

كَقَوْلِهِ عَنْ نَبِيِّهِ مُوسَى: {وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} {14 \ 8}،

وَقَوْلِهِ: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} {39 \ 7}،

وَقَوْلِهِ: {فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} {64 \ 6}،

وَقَوْلِهِ: {قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ} {10 \ 68}، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَأْمُرُ الْخَلْقَ وَيَنْهَاهُمْ لَا لِأَنَّهُ تَضُرُّهُ مَعْصِيَتُهُمْ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَتُهُمْ، بَلْ نَفْعُ طَاعَتِهِمْ لَهُمْ وَضَرَرُ مَعْصِيَتِهِمْ عَلَيْهِمْ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} {17 \ 7}،

وَقَالَ: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} {41 \ 46}،

وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} {35 \ 15}.

وَثَبَتَ فِي ((صَحِيحِ مُسْلِمٍ)) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ أَنَّهُ قَالَ: ((يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا)) الْحَدِيثَ.

تَنْبِيهٌ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}، بَعْدَ قَوْلِهِ: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} {3 \ 97}، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَحُجَّ كَافِرٌ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُ.

وَفِي الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ: وَمَنْ كَفَرَ أَوْجُهٌ لِلْعُلَمَاءِ.

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: وَمَنْ كَفَرَ أَيْ: وَمَنْ جَحَدَ فَرِيضَةَ الْحَجِّ، فَقَدْ كَفَرَ وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُ،

وَبِهِ قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ)، وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالَهُ (ابْنُ كَثِيرٍ). وَيَدُلُّ لِهَذَا الْوَجْهِ مَا رُوِيَ عَنْ (عِكْرِمَةَ وَمُجَاهِدٍ) مِنْ أَنَّهُمَا قَالَا لَمَّا نَزَلَتْ: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (97).

يُقْبَلَ مِنْهُ} {3\85}، قَالَتِ الْيَهُودُ: فَنَحْنُ مُسْلِمُونَ.

فَقَالَ: النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-((إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَقَالُوا: لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْنَا، وَأَبَوْا أَنْ يَحُجُّوا)). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} {3\97}.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: {وَمَنْ كَفَرَ} {3\97}، أَيْ: وَمَنْ لَمْ يَحُجَّ عَلَى سَبِيلِ التَّغْلِيظِ الْبَالِغِ فِي الزَّجْرِ عَنْ تَرْكِ الْحَجِّ مَعَ الِاسْتِطَاعَةِ كَقَوْلِهِ لِلْمِقْدَادِ الثَّابِتِ فِي ‹ الصَّحِيحَيْنِ › حِينَ سَأَلَهُ عَنْ قَتْلِ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْكُفَّارِ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ يَدَهُ فِي الْحَرْبِ: ((لَا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ الْكَلِمَةَ الَّتِي قَالَ)).

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: حَمْلُ الْآيَةِ عَلَى ظَاهِرِهَا وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَحُجَّ مَعَ الِاسْتِطَاعَةِ فَقَدْ كَفَرَ. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطَبري) – و الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (ابن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: من كفر بالحج فلم ير حجه برا، ولا تركه مأثما. (2)(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):–
حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن المهدي قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن (مجاهد) في قوله: {ومن كفر} قال: من كفر بالله واليوم الآخر. (4)

ورجاله ثقات وإسناده (صحيح).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {97} {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} وأما هدى العلم فبما يحصل لهم بسببه من العلم بالحق بسبب الآيات البينات التي ذكر الله تعالى في قوله: {فيه آيات بينات} أي: أدلة واضحات، وبراهين قاطعات على أنواع من العلوم الإلهية والمطالب العالية، كالأدلة على توحيده ورحمته وحكمته وعظمته وجلاله وكمال علمه وسعة جوده، وما مَنَّ به على أوليائه وأنبيائه، فمن الآيات {مقام إبراهيم} يحتمل أن المراد به المقام المعروف وهو الحجر الذي كان يقوم عليه الخليل لبنيان الكعبة لما ارتفع البنيان، وكان ملصقا في جدار الكعبة، فلما كان عمر رضي الله عنه وضعه في مكانه الموجود فيه الآن، والآية فيه قيل أثر قدمي إبراهيم، قد أثرت في الصخرة وبقي ذلك الأثر إلى أوائل هذه الأمة، وهذا من خوارق العادات، وقيل

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (97).
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (97).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (97).
(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (97).

إن الآية فيه ما أودعه الله في القلوب من تعظيمه وتكريمه وتشريفه واحترامه، ويحتمل أن المراد بمقام إبراهيم أنه مفرد مضاف يراد به مقاماته في مواضع المناسك كلها، فيكون على هذا جميع أجزاء الحج ومفرداته آيات بينات، كالطواف والسعي ومواضعها، والوقوف بعرفة ومزدلفة، والرمي، وسائر الشعائر، والآية في ذلك ما جعله الله في القلوب من تعظيمها واحترامها وبذل نفائس النفوس والأموال في الوصول إليها وتحمل كل مشقة لأجلها، وما في ضمنها من الأسرار البديعة والمعاني الرفيعة، وما في أفعالها من الحكم والمصالح التي يعجز الخلق عن إحصاء بعضها، ومن الآيات البينات فيها أن من دخله كان آمنا شرعا وقدرا، فالشرع قد أمر الله رسوله إبراهيم ثم رسوله محمد باحترامه وتأمين من دخله، وأن لا يهاج، حتى إن التحريم في ذلك شمل صيودها وأشجارها ونباتها، وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء أن من جنى جناية خارج الحرم ثم لجأ إليه أنه يأمن ولا يقام عليه الحد حتى يخرج منه، وأما تأمينها قدرا فلأن الله تعالى بقضائه وقدره وضع في النفوس حتى نفوس المشركين به الكافرين بربهم احترامه، حتى إن الواحد منهم مع شدة حميتهم ونعرتهم وعدم احتمالهم للضيم يجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم فلا يهيجه، ومن جعله حرما أن كل من أراده بسوء فلا بد أن يعاقبه عقوبة عاجلة، كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم، وقد رأيت لابن القيم هاهنا كلاما حسنا أحببت إيراده

لشدة الحاجة إليه قال فائدة: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ "حج البيت" مبتدأ وخبره في أحد المجرورين قبله، والذي يقتضيه المعنى أن يكون في قوله: "على الناس" لأنه وجوب، والوجوب يقتضي "على" ويجوز أن يكون في قوله: "ولله" لأنه متضمن الوجوب والاستحقاق، ويرجح هذا التقدير أن الخبر محط الفائدة وموضعها، وتقديمه في هذا الباب في نية التأخير، فكان الأحسن أن يكون "ولله على الناس". ويرجح الوجه الأول بأن يقال قوله: "حج البيت على الناس" أكثر استعمالا في باب الوجوب من أن يقال: "حج البيت لله" أي: حق واجب لله، فتأمله. وعلى هذا ففي تقديم المجرور الأول وليس بخبر فائدتان: إحداهما: أنه اسم للموجب للحج، فكان أحق بالتقديم من ذكر الوجوب، فتضمنت الآية ثلاثة أمور مرتبة بحسب الوقائع:

أحدها: الموجب لهذا الفرض فبدأ بذكره، والثاني: مؤدي الواجب وهو المفترض عليه وهم الناس،

والثالث: النسبة، والحق المتعلق به إيجابا وبهم وجوبا وأداء، وهو الحج.

والفائدة الثانية: أن الاسم المجرور من حيث كان اسما لله سبحانه، وجب الاهتمام بتقديمه تعظيما لحرمة هذا الواجب الذي أوجبه، وتخويفا من تضييعه، إذ ليس ما أوجبه الله سبحانه بمثابة ما يوجبه غيره.

وأما قوله: "مَنْ" فهي بدل، وقد استهوى طائفة من الناس القول بأنها فاعل

بالمصدر، كأنه قال: أن يحج البيت من استطاع إليه سبيلا وهذا القول يضعف من وجوه، منها: أن الحج فرض عين، ولو كان معنى الآية ما ذكره لأفهم فرض الكفاية، لأنه إذا حج المستطيعون برئت ذمم غيرهم، لأن المعنى يؤول إلى: ولله على الناس حج البيت مستطيعهم، فإذا أدى المستطيعون الواجب لم يبق واجبا على غير المستطيعين، وليس الأمر كذلك، بل الحج فرض عين على كل أحد، حج المستطيعون أو قعدوا، ولكن الله سبحانه عذر غير المستطيع بعجزه عن أداء الواجب، فلا يؤاخذه به ولا يطالبه بأدائه، فإذا حج سقط الفرض عن نفسه، وليس حج المستطيعين بمسقط الفرض عن العاجزين، وإذا أردت زيادة إيضاح، فإذا قلت: واجب على أهل هذه الناحية أن يجاهد منهم الطائفة المستطيعون للجهاد، فإذا جاهدت تلك الطائفة انقطع تعلق الوجوب في غيرهم، وإذا قلت واجب على الناس كلهم أن يجاهد منهم المستطيع، كان الوجوب متعلقا بالجميع وعذر العاجز بعجزه، ففي نظم الآية على هذا الوجه دون أن يقال: ولله حج البيت على المستطيعين، هذه النكتة البديعة فتأملها.

الوجه الثاني: أن إضافة المصدر إلى الفاعل إذا وجد أولى من إضافته إلى المفعول ولا يعدل عن هذا الأصل إلا بدليل منقول، فلو كان من هو الفاعل لأضيف المصدر إليه فكان يقال: {ولله على الناس حج مَنْ استطاع} وحمله على باب "يعجبني ضرب زيد عمرا" وفيما يفصل فيه بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول والظرف حمل على المكتوب المرجوح، وهي قراءة (ابن عامر) {قتل أولادهم شركائهم}، فلا يصار إليه.

وإذا ثبت أن "من" بدل بعض من كل وجب أن يكون في الكلام ضمير يعود إلى "الناس" كأنه قيل: من استطاع منهم، وحذف هذا الضمير في أكثر الكلام لا يحسن، وحسنه هاهنا أمور منها: أن "من" واقعة على من لا يعقل، كالاسم المبدل منه فارتبطت به، ومنها: أنها موصولة بما هو أخص من الاسم الأول، ولو كانت الصلة أعم لقبح حذف الضمير العائد، ومثال ذلك إذا قلت: رأيت إخوتك من ذهب إلى السوق منهم، كان قبيحا، لأن الذاهب إلى السوق أعم من الإخوة، وكذلك لو قلت: البس الثياب ما حسن وجمل، يريد منها، ولم يذكر الضمير كان أبعد في الجواز، لأن لفظ ما حسن أعم من الثياب.

وباب البعض من الكل أن يكون أخص من المبدل منه، فإذا كان أعم وأضفته إلى ضمير أو قيدته بضمير يعود إلى الأول ارتفع العموم وبقي الخصوص، ومما حسن حذف المضاف في هذه أيضا مع ما تقدم طول الكلام بالصلة والموصول.

وأما المجرور من قوله "لله" فيحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون في موضع من سبيل، كأنه نعت نكرة قدم عليها، لأنه لو تأخر لكان في موضع النعت لسبيل، والثاني: أن يكون متعلقا بسبيل، فإن قلت: كيف يتعلق به وليس فيه معنى الفعل؟ قيل: السبيل لما كان عبارة هاهنا عن الموصل إلى البيت من قوت وزاد ونحوهما، كان فيه رائحة الفعل، ولم

يقصد به السبيل الذي هو الطريق، فصلح تعلق المجرور به، واقتضى حسن النظم وإعجاز اللفظ تقديم المجرور وإن كان موضعه التأخير، لأنه ضمير يعود على البيت، والبيت هو المقصود به الاعتناء، وهم يقدمون في كلامهم ما هم به أهم وببيانه أعني هذا تقرير السهيلي، وهذا بعيد جدا بل الصواب في متعلق الجار والمجرور وجه آخر أحسن من هذين، ولا يليق بالآية سواه، وهو الوجوب المفهوم من قوله "على الناس" أي: يجب لله على الناس الحج، فهو حق واجب لله، وأما تعليقه بالسبيل وجعله حالا منها، ففي غاية البعد فتأمله، ولا يكاد يخطر بالبال من الآية، وهذا كما تقول: لله عليك الصلاة والزكاة والصيام.

ومن فوائد الآية وأسرارها أنه سبحانه إذا ذكر ما يوجبه ويحرمه يذكره بلفظ الأمر والنهي، وهو الأكثر، وبلفظ الإيجاب والكتابة والتحريم نحو {كتب عليكم الصيام} {حرمت عليكم الميتة} {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم} وفي الحج أتى بهذا اللفظ الدال على تأكد الوجوب من عشرة أوجه، أحدها أنه قدم اسمه تعالى وأدخل عليه لام الاستحقاق والاختصاص ثم ذكر من أوجبه عليهم بصيغة العموم الداخلة عليها حرف على أبدل منه أهل الاستطاعة، ثم نكر السبيل في سياق الشرط إيذانا بأنه يجب الحج على أي: سبيل تيسرت، من قوت أو مال، فعلق الوجوب بحصول ما يسمى سبيلا ثم أتبع ذلك بأعظم التهديد بالكفر فقال: {ومن كفر} أي: لعدم التزامه هذا الواجب وتركه ثم عظم الشأن وأكد الوعيد بإخباره ما يستغنى به عنه، والله تعالى هو الغني الحميد، ولا حاجة به إلى حج أحد، وإنما في ذكر استغنائه عنه هنا من الإعلام بمقته له وسخطه عليه وإعراضه بوجهه عنه ما هو أعظم التهديد وأبلغه، ثم أكد ذلك بذكر اسم "العالمين" عموما، ولم يقل: فإن الله غني عنه، لأنه إذا كان غنيا عن العالمين كلهم فله الغنى الكامل التام من كل وجه بكل اعتبار، فكان أدل لعظم مقته لتارك حقه الذي أوجبه عليه، ثم أكد هذا المعنى بأداة "إن" الدالة على التأكيد، فهذه عشرة أوجه تقتضي تأكد هذا الفرض العظيم.

وتأمل سر البدل في الآية المقتضي لذكر الإسناد مرتين، مرة بإسناده إلى عموم الناس، ومرة بإسناده إلى خصوص المستطيعين، وهذا من فوائد البدل تقوية المعنى وتأكيده بتكرر الإسناد ولهذا كان في نية تكرار العامل وإعادته.

ثم تأمل ما في الآية من الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال، وكيف تضمن ذلك إيراد الكلام في صورتين وخلتين، اعتناء به وتأكيد لشأنه، ثم تأمل كيف افتتح هذا الإيجاب بذكر محاسن البيت وعظم شأنه بما تدعوا النفوس إلى قصده وحجه وان لم يطلب ذلك منها، فقال: {إن أول بيت} إلخ،

فوصفه بخمس صفات:

أحدها: كونه أسبق بيوت العالم وضع في الأرض،

الثاني: أنه مبارك، والبركة كثرة الخير ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيرا ولا أدوم ولا أنفع للخلائق،

الثالث: أنه هدى، ووصفه بالمصدر نفسه مبالغة، حتى كأنه نفس الهدى،

الرابع: ما تضمن من الآيات البينات التي تزيد على أربعين آية،

الخامس: الأمن الحاصل لداخله، وفي وصفه بهذه الصفات دون إيجاب قصده ما يبعث النفوس على حجه وإن شطت بالزائرين الديار وتناءت بهم الأقطار، ثم أتبع ذلك بصريح الوجوب المؤكد بتلك التأكيدات، وهذا يدل على الاعتناء منه سبحانه لهذا البيت العظيم، والتنويه بذكره، والتعظيم لشأنه، والرفعة من قدره، ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله {وطهر بيتي} لكفى بهذه الإضافة فضلا وشرفا، وهذه الإضافة هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حباله وشوقا إلى رؤيته، فهذه المثابة للمحبين يثوبون إليه ولا يقضون منه وطرا أبدا، كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له حبا وإليه اشتياقا، فلا الوصال يشفيهم ولا البعاد يسليهم. (1)

* * *

[٩٨] ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها النبي-ﷺ:-يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لِمَ تجحدون البراهين على صدق النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومنها براهين جاءت بها التوراة والإنجيل؟! والله مطلع على عملكم هذا شاهد عليه، وسيجازيكم به. (2)

* * *

يَعْنِي:- قل: أيها الرسول- ﷺ - لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: لِمَ تجحدون حجج الله التي دلَّتْ على أن دين الله هو الإسلام، وتنكرون ما في كتبهم من دلائل وبراهين على ذلك، وأنتم تعلمون؟ والله شهيد على صنيعكم. وفي ذلك تهديد ووعيد لهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- أمر الله - سبحانه وتعالى - رسوله بتوبيخ أهل الكتاب على استمرارهم على الكفر والضلال والتضليل فقال: قل لهم: يا أهل الكتاب لا وجه لكفركم، فلأى سبب تكفرون بدلائل الله الدالة على نبوة محمد وصدقه، والله مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الكفر} ... الجحود.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (97)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (62/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (62/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{آيــات الله} ... مــا أنــزل تعــالى مــن الحجــج والبينــات في القــرآن المقــررة لنبــوة محمــد- صَــلَّى اللهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- ومــا أنزلــه تعــالى في التــوراة والإنجيــل مــن صــفات الــنبي -صَــلَّى اللهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- ونعوتــه الموجبــة للإيمــان بــه واتباعــه علــى ديــن الحــق الــذي جــاء بــه وهــو الإسلام.

{شَــهِيدٌ عَلَــى مَــا تَعْمَلُــونَ} ... علــيم بــه مطلــع عليه، وما يعملونه هو الكفر والشر والفساد.

{وَاللَّــهُ شَــهِيدٌ} ... الــواو للحــال والمعنــى: لم تكفــرون بآيــات الله الــتي دلــتكم علــى صــدق محمــد -صــلّى الله عليــه وآلــه وســلم-، والحــال أن الله شهيد على أعمالكم فمجازيكم عليها.

* * *

[٩٩] ﴿ قُــلْ يَــا أَهْــلَ الْكِتَــابِ لِــمَ تَصُــدُّونَ عَــنْ سَــبِيلِ اللَّــهِ مَــنْ آَمَــنَ تَبْغُونَهَــا عِوَجًــا وَأَنْــتُمْ شُــهَدَاءُ وَمَــا اللَّــهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قــل: أيهــا الــنبي-ﷺ-: يــا أهــل الكتــاب مــن اليهــود والنصــارى لــمَ تمنعــون عــن ديــن الله مَــنْ آمــن بــه مــن النــاس تطلبــون لــدين الله ميلًــا عــن الحــق إلى الباطــل، ولأهلــه ضــلالًا عــن الهــدى، وأنــتم شــهداء علــى أن هــذا الــدين هــو الحــق مصــدق لمــا في كتــبكم؟! ولــيس الله بغافــل عمــا تعملــون مــن الكفــر بــه، والصــد عــن ســبيله، وسيجازيكم به. (1)

* * *

يَعْنِــي:- قــل: أيهــا الرســول- ﷺ - لليهــود والنصــارى: لِــمَ تمنعــون مــن الإســلام مــن يريــد الــدخول فيــه تطلبــون لــه زيغًــا وميــلا عــن القصــد والاســتقامة، وأنــتم تعلمــون أن مــا جئــتُ بــه هــو الحــق؟ ومــا الله بغافــل عمــا تعملــون، وسوف يجازيكم على ذلك. (2)

* * *

يَعْنِــي:- يــا أهــل الكتــاب كيــف تحــاولون صــرف مَــن آمــن بــالله ورســوله وأذعــن للحــق عــن ســبيل الله الحــق المســتقيمة، وتحــاولون أن تصــوروها معوجــة، وأنــتم عــالمون أنهــا حــق، ولــيس الله غافلا عن أعمالكم وسيجازيكم عليها. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تَصُــدُّونَ عَــنْ سَــبِيلِ اللهِ} ... تصــرفون النــاس ممــن آمــن مــنكم ومــن العــرب عــن الإســلام الــذي هــو ســبيل الله تعــالى المفضــي بأهلــه إلى ســعادة الدارين.

{تَبْغُونَهَــا عِوَجــاً} ... تطلبــون لهــا العــوج حتــى تخرجــوا بهــا عــن الحــق والهــدى فيضــل سالكها وذلك بالتحريف والتضليل.

أي: تُرِيــدُونَهَا مَائِلــةً مُعْوَجَّــةً" اتِّبَاعًــا لِأَهْوَائِكُمْ.

{تَبْغُونَهَــا عِوَجًــا} ... العــوجُ بالكســر: الزَّيْــغُ وَالْمَيْــلُ عــن الاســتواءِ في الــدينِ والقــولِ والعمــلِ، والمعنــى: لِــمَ تَطْلُبُــونَ الزيــغَ والميــلَ في ســبيل الله بإلقاءِ الشُّبَه في قلوبِ الضعفاءِ.

---

(1) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (62/1)، تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظــر: (التفســير الميســر) بــرقم (62/1)، المؤلــف: (نخبــة مــن أســاتذة التفسير).

(3) انظــر: (المنتخــب في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (86/1)، المؤلــف: (لجنة من علماء الأزهر).

{تَبْغُونَهَا عِوَجًا} ... تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة.

{وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ} ... أنها سبيل الله لا يصد عنها الا ضال مضل.

{وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ} ... بعلمكم بأن الإسلام حق، وأن ما تبغونه له من الإضلال لأهله والتضليل هو كفر وباطل.

{تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ... تَصْرِفُونَ عَنْ دِينِ الله وهو الإسلامُ مَنْ آمَنَ وذلك بإلقاء الشُّبَه والشكوك وبإنْكَارِهِمْ صِفةَ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - التي في كُتُبِهِمْ.

{عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ... عن دين حق علم أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها، وهو الإسلام.

{وَمَا اللَّهُ} ... بِغافِلٍ وعيد.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله}.

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله} يقول: لم تصدون عن الإسلام وعن نبي الله، من آمن بالله، وأنتم شهداء فيما تقرأون من كتاب الله: أن محمدا رسول الله، وأن الإسلام دين الله الذي لا يقبل غيره ولا يجزى إلا به، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [آل عمران: 99] أَيْ: لِمَ تَصْرِفُونَ عَنْ دِينِ اللهِ، {مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا} تطلبونها، {عِوَجًا} زَيْغًا وَمَيْلًا، يَعْنِي: لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بَاغِينَ لَهَا عِوَجًا؟ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْعِوَجُ - بِالْكَسْرِ- فِي الدِّينِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالْعَوَجُ - بِالْفَتْحِ - فِي الْجِدَارِ، وَكُلِّ شَخْصٍ قَائِمٍ، {وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} أَنَّ فِي التَّوْرَاةِ مَكْتُوبًا نَعْتُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دِينَ اللَّهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ غيره هو الإسلام. (2)

* * *

[١٠٠] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والمُيسر والمُنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إن تطيعوا طائفة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما يقولونه، وتقبلون رأيهم فيما يزعمونه" يُرْجِعُوكم إلى الكفر بعد الإيمان بسبب ما فيهم من الحسد والضلال عن الهدى. (3)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (99).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (99).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (62/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

يَعْنِـي: يـا أيهـا الـذين صـدَّقوا الله ورسـوله وعملـوا بشـرعه، إن تطيعـوا جماعـة مـن اليهـود والنصـارى ممـن آتـاهم الله التـوراة والإنجيـل، يضـلوكم، ويلقـوا إلـيكم الشُّـبَه في ديـنكم" لترجعـوا جاحـدين للحـق بعـد أن كنـتم مـؤمنين بـه، فـلا تـأمنوهم علـى ديـنكم، ولا تقبلـوا لهـم رأيًا أو مشورة.(1)

* * *

يَعْنِـي:- وقـد حـذَّر المـؤمنين ممـا يـثيره بعـض أهـل الكتـاب مـن شُـبَه قـائلا: إن تطيعـوا بعـض أهـل الكتـاب فيمـا يبثونـه مـن الشُّـبَه فـى ديـنكم تعـودوا إلى الضـلال بعـد الهدايـة، ويـردوكم جاحدين بعد الإيمان.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا} ... يعنـي: الأوس والخزرج.

{إِنْ تُطِيعُـوا فَرِيقـاً} ... يعنـي: شـأس بـن قـيس اليهـودي، وكـان قـد دس علـى الأوس والخـزرج مـن يـذكرهم بمـا كـان بيـنهم مـن الحـروب، ولقـد همـوا أن يثيروهـا حربـا ويرتدوا فى جاهليتهم كفارا.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قـال: الإمـام (الطـبري) - (رحمـه الله) - في (تفسيره):- (بسـنده) (الحسـن) - عـن (قتـادة): قولـه: {يـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِنْ تُطِيعُـوا فَرِيقًـا مِـنَ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ يَـرُدُّوكُمْ بَعْـدَ إِيمَـانِكُمْ كَـافِرِينَ (100)} قـد تقـدم الله إلـيكم فـيهم كمـا تسـمعون، وحـذركم وأنبـأكم بضـلالتهم، فـلا تـأمنوهم علـى ديـنكم ولا تنتصـحوهم علـى أنفسـكم، فـإنهم الأعـداء الحسـدة الضـلال. كيـف تـأمنون قومـا كفـروا بكتـابهم، وقتلـوا رسـلهم، وتحـيروا في ديـنهم، وعجـزوا عـن أنفسـهم؟ أولئـك والله هـم أهـل التهمة والعداوة.(3)

* * *

قـال: الإمـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- قولـه تعـالى: {يـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِنْ تُطِيعُـوا فَرِيقًـا مِـنَ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ} {آل عمـران: 100} يعنـي: مرشاسًـا وأصحابه،

{يَـرُدُّوكُمْ بَعْـدَ إِيمَـانِكُمْ كَـافِرِينَ} {آل عمـران: 100} قـال: (جـابر): فَمَـا رَأَيْـتُ قَـطُّ يومًـا أقـبح، أو لا أحسـن مِـنْ ذَلِـكَ الْيَـوْمِ، ثُـمَّ قَـالَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ:(4)

* * *

قـال: الإمَـامُ (إبـن كـثير) - (رحمـه الله) - في (تَفْسـيرُ القُـرآن العَظِـيمِ):- قولـه تعـالى: {يـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِنْ تُطِيعُـوا فَرِيقًـا مِـنَ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ يَـرُدُّوكُمْ بَعْـدَ إِيمَـانِكُمْ كَـافِرِينَ (100)} يُحَـذِّرُ تَعَـالَى عِبَـادَهُ الْمُـؤْمِنِينَ عَـنْ أَنْ يُطِيعُـوا طَائِفَـةً مِـنَ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ، الَّـذِينَ يَحْسُـدُونَ الْمُـؤْمِنِينَ عَلَـى مَـا آتَـاهُمُ اللَّـهُ

---

(1) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (62/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).
(2) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (87/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).
(3) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإمـام (ابـن أبـي حـاتم) في سـورة (آل عمران) الآية (100).
(4) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) لِلإِمَـامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (100).

مِنْ فَضْله، وَمَا مَنَحهم بِه مِنْ إِرْسَال رَسُوله كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ} {الْبَقَرَة:109} وَهَكَذَا قَالَ هَاهُنَا: {إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} ثُمَّ قَالَ {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} يَعْنِي: أَنَّ الْكُفْر بَعِيدٌ مِنْكُمْ وَحَاشَاكُمْ مِنْهُ" فَإِنَّ آيَاتِ اللَّه تَنْزِلُ عَلَى رَسُوله لَيْلًا وَنَهَارًا، وَهُوَ يَتْلُوهَا عَلَيْكُمْ وَيُبَلِّغهَا إِلَيْكُمْ،
وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} {الْحَدِيد:8} (1)

* * *

قال: الإمام (محمد بن عبد الوهاب)– (رحمه الله) – في (تفسير آيات من القرآن الكريم): ومن قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} – إلى قوله – {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ} (2)

فيه مسائل:

الأولى: معرفة سبب النزول يدل على شدة الحاجة لها فإذا احتاجوا فكيف بغيرهم؟

الثانية: الخوف على مثلهم الردة بذلك، فكيف بمن دونهم؟

الثالثة: أن فيمن أوتي الكتاب من يدعو إلى الردة مثل ما أن فيهم من يدعو إلى الله.

الرابعة: التصريح بأن ذلك بعد الأيمان.

الخامسة: لطف الله تعالى بعباده بدعوتهم بهذا الوصف.

السادسة: استبعاد الكفر ممن تتلى عليهم آيات الله وفيهم رسوله، فإذا مضت الثانية فالأولى باقية.

السابعة: أن آيات الله لا نظير لها في دفع الشر في سائر الكلام، كما أن رسوله لا نظير له في الأشخاص في دفع ذلك.

الثامنة: الرد على أعداء الله الذين زعموا أن القرآن لا يفهم معناه.

التاسعة: أن الاعتصام بالله جامع.

العاشرة: أن الطرق فيها المعوج وفيها المستقيم.

الحادية عشرة: ذكر حق تقاته.

الثانية عشرة: لطافة الخطاب.

الثالثة عشرة: لزوم الإسلام إلى الممات.

الرابعة عشرة: فيه التنبيه على قوله: "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض") (3) لأن ذلك سبب النزول.

---

(1) انظر: سورة (آل عمران) الآية (100) في (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير). .

(2) قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (108)}.
سورة {آل عمران: 100-108}.

(3) الحديث رواه الإمام (البخاري) في (صحيحه) – (كتاب: العلم), و(كتاب: الحج), و(كتاب: المغازي), و(كتاب: الأدب), و(كتاب: الحدود), و(كتاب: الفن),
كما رواه الإمام (مسلم) في (صحيحه) – (كتاب: الإيمان),

الخامسة عشرة: كون الإسلام طاعة الرسول - ومعصية أولئك.

السادسة عشرة: خوفك من الردة وإن كنت من الصالحين.

السابعة عشرة: ذكر الاعتصام بحبل الله وهو القرآن، ففيه دليل على أنه عصمة.

الثامنة عشرة: الأمر بالاجتماع على ذلك.

التاسعة عشرة: تأكيده ما تقدم بالنهي عن الافتراق، وفيه تذكيرهم بالنعمة التي هم فيها بعد تلك البلية.

العشرون: تذكيرهم بالنعمة العظمى، وهي إنقاذهم من النار بعد أن كانوا على شفا حفرة منها.

الحادية والعشرون: ذكره هذا البيان الواضح في آياته.

الثانية والعشرون: أن الفائدة في تعليم العلم تذكر المتعلم واهتداؤه.

الثالثة والعشرون: ذكر الأمر بطائفة متجردة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الرابعة والعشرون: تخصيصها بالفلاح.

الخامسة والعشرون: نهيهم عن مشابهة الذين تفرقوا واختلفوا من بعد مجيء الآيات.

السادسة والعشرون: فيه دليل على أن الله ذكر لنا من البينات في دواء هذا الداء ما فيه الشفاء.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (108)

السابعة والعشرون: وعيد من ارتكب هذا المنهي عنه بالعذاب الأليم.

الثامنة والعشرون: بياض الوجوه وسوادها.

التاسعة والعشرون: أن الذين اسودت وجوههم الذين كفروا بعد إيمانهم، ففيه أن الواقعة كفر بعد الإيمان أو تجر إليه.

الثلاثون: الوعد الجزيل لمن سلم من ذلك.

الحادية والثلاثون: التذكر أن هذه النصائح والمواعظ هي آيات الله.

الثانية والثلاثون: أنه سبحانه يتلوها على رسوله، لأجلنا.

الثالثة والثلاثون: تذكرنا بأن تلك التلاوة بالحق.

الرابعة والثلاثون: الاعتذار بأنه لا يريد ظلم أحد من العالمين.

وأخرجه الإمام (أبو داود) في (سنة).
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (فتن).
وأخرجه الإمام (النسائي) في (تحريم).
وأخرجه الإمام (ابن ماجه) في (فتن).
وأخرجه الإمام (الدارمي) في (مناسك) .
وأخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (1- 230)..

الخامسة والثلاثون: تذكيرنا بأن له ما في السموات وما في الأرض.

السادسة والثلاثون: تذكيرنا بالرجوع إليه.(1)

* * *

﴿ من فَوائِدِ الآيَات ﴾

• كَذِبُ اليهود على الله تعالى وأنبيائه، ومن كذبهم زعمهم أن تحريم يعقوب - عليه السلام - لبعض الأطعمة نزلت به التوراة.

• أعظم أماكن العبادة وأشرفها البيت الحرام، فهو أول بيت وضع لعبادة الله، وفيه من الخصائص ما ليس في سواه.

• ذَكَرَ الله وجوب الحج بأوكد ألفاظ الوجوب تأكيداً لوجوبه.(2)

* * *

[١٠١] ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وكيف تكفرون بالله بعد إيمانكم به، وأنتم معكم السبب الأعظم للثبات على الإيمان؛ فآيات الله تُقرأ عليكم، ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم- يُبيِّنها لكم، ومن يَسْتَمْسِك بكتاب الله وسُنَّة رسوله" فقد وفّقه الله إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.(3)

* * *

يَعْنِي:- وكيف تكفرون بالله أيها المؤمنون-، وآيات القرآن تتلى عليكم، وفيكم رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم- يبلغها لكم؟ ومَن يتوكل على الله ويستمسك بالقرآن والسنة فقد وُفِّق لطريق واضح، ومنهاج مستقيم.(4)

* * *

يَعْنِي:- وتصوروا حالكم العجيبة وأنتم تضلون وتكفرون بعد الإيمان، والقرآن يتلى عليكم، ورسول الله بينكم، يبين لكم ويدفع الشبه عن دينكم، ومن يلجأ إلى ربه ويستمسك بدينه فنعم ما فعل، فقد هداه ربه إلى طريق الفوز والفلاح.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ} ... استفهام فيه معنى الإنكار والتعجيب، أي من أين يتطرق إليكم الكفر.

{وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ} ... أي: والحال أن آيات الله، وهو القرآن المعجز، تتلى عليكم على لسان الرسول-، وبين أظهركم رسول الله- صلّى الله عليه وآله وسلم-، ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم.

(1) انظر: (تفسير آيات من القرآن الكريم) في سورة (آل عمران) الآية (79-80)، رقم (ص 1/48-51).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/62). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/63). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/63)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/87)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ} ... أي: ومن يتمسك بدينه، وطاعته.

{فَقَدْ هُدِيَ} ... أي: فقد حصل له الهدى لا محالة.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): قوله: {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} قال: علمان بينان: نبي الله وكتاب الله، فأما نبي الله فمضى -عليه الصلاة والسلام-، وأما كتاب الله فأبقاه الله بين أظهركم رحمة من الله ونعمة فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته.[1]

* * *

قال: الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا الحسين بن السكن، ثنا أبو زيد النحوي، أنبأ قيسْ ابن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر، عن (ابن عباس) قال: كانت بين الأوس والخزرج حرب في الجاهلية، فبينما هم يوماً جلوس إذ ذكروا ما بينهم حتى غضبوا، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح فنزلت: (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ) الآية كلها.[2][3]

* * *

قوله تعالى: {ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم}.

قال: الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبي، ثنا عمرو بن رافع، ثنا سليمان يعني: ابن عامر عن (الربيع بن أنس) في قوله: {ومن يعتصم بالله} والاعتصام هو: الثقة بالله.[4]

و(سنده حسن).

* * *

قال: الإِمَامْ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تَفْسِيرُ الْقُرآنِ العَظِيمِ):- قوله تعالى: {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101)}.

يُحَذِّرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يُطِيعُوا طَائِفَةً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، الَّذِينَ يَحْسُدُونَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَمَا مَنَحهم بِهِ مِنْ إِرْسَالِ رَسُولِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ} {الْبَقَرَةِ:109}،

وَهَكَذَا قَالَ هَاهُنَا: {إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}

ثُمَّ قَالَ: {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} يَعْنِي: أَنَّ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (100).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (101).

(3) أخرجه الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم (63/7)، (ح 7535) (عنأبي كريب عن الحسن بن عطية عن قيس) به.
وأخرجه الإمام ((البخاري) في (التاريخ الكبير) برقم (76/9) - من طريق-: (إبراهيم ابن نصر عن الأشجعي عن سفيان الثوري عن الأغر) به. والحديث بهذه المتابعات حسن (انظر: تفسير الإمام (ابن أبي حاتم) - الوضع المذكور أعلاه).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (101).

الْكُفْرَ بَعِيدٌ مِنْكُمْ وَحَاشَاكُمْ مِنْهُ" فَإِنَّ آيَاتِ اللَّهِ تَنْزِلُ عَلَى رَسُولِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَهُوَ يَتْلُوهَا عَلَيْكُمْ وَيُبَلِّغُهَا إِلَيْكُمْ،

وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرسول- يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} {الْحَدِيدِ:8} وَالْآيَةَ بَعْدَهَا.

وَكَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –قَالَ: يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: "أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَعْجَبُ إِلَيْكُمْ إِيمَانًا؟ " قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ. قَالَ: "وَكَيْفَ لَا يُؤْمِنُونَ وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟! " وَذَكَرُوا الْأَنْبِيَاءَ قَالَ: "وَكَيْفَ لَا يُؤْمِنُونَ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ؟ " قَالُوا: فَنَحْنُ. قَالَ: "وَكَيْفَ لَا تُؤْمِنُونَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟! ". قَالُوا: فَأَيُّ النَّاسِ أَعْجَبُ إِيمَانًا؟ قَالَ: "قَوْمٌ يَجِيئُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يَجِدُونَ صُحُفًا يُؤْمِنُونَ بِمَا فِيهَا" (1). وَقَدْ ذَكَرْتُ سَنَدَ هَذَا الْحَدِيثِ وَالْكَلَامَ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} أَيْ: وَمَعَ هَذَا فَالِاعْتِصَامُ بِاللَّهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ هُوَ الْعُمْدَةُ فِي الْهِدَايَةِ، وَالْعُدَّةُ فِي مُبَاعَدَةِ الْغَوَايَةِ، وَالْوَسِيلَةُ إِلَى الرَّشَادِ، وَطَرِيقُ السَّدَادِ، وَحُصُولِ الْمُرَادِ. (2)

* * *

وانظر: حديث (النواس بن سمعان) من سورة -(الفاتحة) – الآية (الصراط المستقيم): الإسلام.- قوله تعالى: {الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}.

وهو: دين الإسلام. وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (3).

فقد ذكر الله عز وجل أن الصراط المستقيم هو دين إبراهيم كما في الآية الأولى ثم بين أن هذا الدين هو الإسلام، كما في الآية الثانية،

وقد ثبت هذا التفسير عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

* * *

قال: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسْنَد) – (بِسَنده):- ثنا الحسن بن سوار أبو العلاء، ثنا ليث يعني: ابن سعد، عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير حدثه عن أبيه عن (النواس ابن سمعان الأنصاري) عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فذكر حديثا طويلا والشاهد فيه: والصراط: الإسلام (4).

وأخرجه الإمام (أحمد). (5)

أيضاً و(الترمذي) (1) و(حسنه)،

---

(1) رَوَاهُ الإمام (الطَّبَرَانِيُّ) فِي (الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ) رقم (22/4، 23) - مِنْ حَدِيثِ - (أبي جمعة الأنصاري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) سورة (آل عمران) الآية (105) لِلإِمَامْ (ابن كثير). .

(3) سورة {الأنعام: 161-163}.

(4) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (182/4).

(5) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (182/4).

وأخرجه الإمام (النسائي) [2]، كلهم من طريق (خالد بن معدان) عن (جبير بن نفير) به مختصرا،

وأخرجه الإمام (الطبري) [3].

وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) [4].

وأخرجه الإمام (الآجري) [5]. من طريق (معاوية ابن صالح) عن (عبد الرحمن بن جبير) به باختصار فذكروا الشاهد نفسه. [6]

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {101} {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ} يَعْنِي: وَلِمَ تَكْفُرُونَ؟ {وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ} الْقُرْآنُ {وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ (قَتَادَةُ): فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَمَانِ بَيِّنَانِ: كِتَابُ اللَّهِ وَنَبِيُّ اللَّهِ، أَمَّا نَبِيُّ اللَّهِ فَقَدْ مضى، وأما كتاب الله فقد أبقاه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ ونعمة، {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ} أَيْ: يَمْتَنِعُ بِاللَّهِ وَيَسْتَمْسِكُ بِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ، {فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} طَرِيقٍ وَاضِحٍ،

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ) وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ أَيْ: يُؤْمِنْ بِاللَّهِ، وَأَصْلُ الْعِصْمَةِ: الْمَنْعُ، فَكُلُّ مَانِعٍ شَيْئًا فَهُوَ عَاصِمٌ لَهُ. [7]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {101} {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}. ثم ذكر تعالى السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيقانهم، وأن ذلك من أبعد الأشياء، فقال: {وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله} أي: الرسول- بين أظهركم يتلو عليكم آيات ربكم كل وقت، وهي الآيات البينات التي توجب القطع بموجبها والجزم بمقتضاها وعدم الشك فيما دلت عليه بوجه من الوجوه، خصوصا والمبين لها أفضل الخلق وأعلمهم وأفصحهم وأنصحهم وأرأفهم بالمؤمنين، الحريص على هداية الخلق وإرشادهم بكل طريق يقدر عليه، فصلوات الله وسلامه عليه، فلقد نصح وبلغ البلاغ المبين، فلم يبق في نفوس القائلين مقالا ولم يترك لجائل في طلب الخير مجالا ثم أخبر أن من اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على كل خير

---

(1) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3019). (أبواب الأمثال).

(2) أخرجه الإمام (النسائي) في (تفسيره) ص (1/89).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) برقم (1/187).

(4) أخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير) برقم (33).

(5) (الشريعة) ص (12).

(6) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (1/87) (سورة الفاتحة)، للمؤلف: أ. الدكتور. (حكمت بن بشير بن ياسين).

(7) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (101).

{فقد هدي إلى صراط مستقيم} موصل له إلى غاية المرغوب، لأنه جمع بين اتباع الرسول- في أقواله وأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله. (1)

* * *

[١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، خافوا ربكم حق المَخَافة، وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وشكره على نعمه، واستمسكوا بدينكم حتى يأتيكم الموت وأنتم على ذلك. . (2)

* * *

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه، خافوا الله حق خوفه: وذلك بأن يطاع فلا يُعصى، ويُشكَر فلا يكفر، ويُذكَر فلا ينسى، وداوموا على تمسككم بإسلامكم إلى آخر حياتكم" لتلقوا الله وأنتم عليه. (3)

* * *

وإن باب النار مفتوح إذا لم تتقوا الله، في أيها الذين آمنوا خاف وا الله الخوف الواجب بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات، ودوموا على الإسلام حتى تلقوا الله. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{حَقَّ تُقَاتِهِ}... حَقَّ تَقْوَاهُ بِأَن يُطَاعَ فَلا يُعْصَى، ويُشْكَرَ فلا يُكفَر، ويُذْكَر فلا يُنْسَى.

{حَقَّ تُقاتِه}.. أي: واجب تقواه وما يحق منها، وهو القيام بما أوجب واجتناب ما حرم.

{وَلا تَمُوتُنَّ}... أي: ولا تكونن على حال سوى الإسلام إذا أدركم الموت.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا يحيى بن زكرياء، عن الأعمش، عن أبي سفيان عن (جابر) قال: سمعت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قبل وفاته بثلاث يقول: ((لا يموتن أحدكم ألا وهو يحسن بالله الظن)). (5)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- حدثنا محمود بن غيلان. حدثنا أبو داود. أخبرنا شعبة عن الأعمش عن (مجاهد) عن (ابن عباس) أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قرأ هذه الآية (اتقوا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (101)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (63/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (63/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (87/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (4/ 2205)، (ح 2877) - (كتاب: الجنة وصفة نعيمها)، / (باب: الأمر بحسن الظن بالله...)

الله حــق تقاتــه ولا تمــوتن إلا وأنــتم مســلمون)

قــال: رســول الله – صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ:-

((لــو أن قطـــرة مـــن الزقـــوم قطـــرت في دار الـــدنيا لأفســدت علـــى أهــل الـــدنيا معايشـــهم فكيف بمن يكون طعامه)). (1)

* * *

قــال: الإِمَــامْ (ابــن أبــي حــاتم) – (رحمــه الله) – في (تفســيره):- حَــدَّثَنَا أَحْمَــدُ بْــنُ سِــنَانٍ، حَــدَّثَنَا عَبْــدُ الــرَّحْمَنِ، عَــنْ سُــفْيَانَ وَشُــعْبَةَ، عَــنْ زُبَيْــدٍ الْيَــامِيِّ، عَــنْ مُــرَّةَ، عَــنْ (عَبْــدِ اللَّــهِ) -هُــوَ- (ابْــنُ مَسْــعُودٍ) – {اتَّقُــوا اللَّــهَ حَــقَّ تُقَاتِــهِ} قَــالَ: أَنْ يُطَــاعَ فَــلاَ يُعْصَــى، وَأَنْ يُــذْكَرَ فَلاَ يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلاَ يُكْفَرَ .

وَهَــذَا (إِسْــنَادٌ صَــحِيحٌ مَوْقُــوفٌ)، وَقَــدْ تَــابَعَ مُــرَّةَ عَلَيْــهِ عَمْــرُو بْــنُ مَيْمُــونٍ عَــنِ (ابْــنِ مَسْــعُودٍ) . (2) (3)

* * *

قــال: الإِمَــامْ (الطــبري) – و الإِمَــامْ (ابــن أبــي حــاتم) – (رحمهمـــــا الله) – في (تفســـــيرهما):- (بســـــندهما الحســـن) – عـــن (علـــي بـــن أبـــي طلحـــة) – عـــن (ابـــن عبـــاس): قـــال: قولـــه: {اتقـــوا الله حـــق تقاتـــه} أن يجاهـــدوا في الله حـــق جهـــاده ولا يأخـــذهم في الله لومـــة لائـــم ويقومـــوا لله، بالقســـط ولـــو علـــى أنفســـهم وآبـــائهم وأبنـــائهم. (4)(5)

* * *

قــال: الإِمَــامْ (الطــبري) – و الإِمَــامْ (ابــن أبــي حــاتم) – (رحمهمـــــا الله) – في (تفســـــيرهما):- (بســـــندهما الحســـن) – عـــن (علـــي بـــن أبـــي طلحـــة) – عـــن (ابـــن عبـــاس): قـــال: إنهـــا لم تنســـخ، ولكـــن {حـــق تقاتـــه} أن يجاهـــدوا في الله حـــق جهـــاده، ثـــم ذكـــر تأويلـــه الـــذيَ ذكرنـــاه عنـــه آنفـــا. (6)(7)

* * *

قــال: الإِمَــامْ (الطــبري) – (رحمــه الله) – في (تفســيره):- (بســنده الحســن) – عــن (قتــادة): قولــه: {يــا أيهــا الــذين آمنــوا اتقــوا الله حــق تقاتــه ولا تمــوتن إلا أنــتم مســلمون} ثــم أنــزل التخفيــف واليســر، وعــاد بعائدتــه ورحمتــه علــى مــا يعلــم مــن ضــعف خلقــه، فقــال: {فــاتقوا الله مــا

---

(1) اخرجــه الإِمَــامْ (الترمــذي) في (الســنن) بــرقم (4/706-707) (ح 2585، (كتــاب: صــفة الجنــة)، / بــاب: (مــا جــاء في صــفة شــراب أهــل النــار).
وقال: (حديث حسن صحيح)،
واخرجــه الإِمَــامْ (ابــن ماجــة) في (الســنن) بــرقم (ح 4325) - (كتــاب: الزهد)، / باب: (صفة النار،
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (1/300-301)
وأخرجــه الإِمَــامْ (ابــن حبــان) في (صــحيحه) - (الإحســان) بــرقم (16/511)، (ح 7470) .
واخرجــه الإِمَــامْ (الحــاكم) في (المســتدرك) بــرقم (2/294) - مــن طــرق-: عــن (شعبة) به.
قــال: الإِمَــامْ (الحــاكم): (صــحيح علــى شــرط الشــيخين) ولم يخرجــاه، وأقــره الإِمَامْ (الذهبي).

ذكــره و نقلــه الشــيخ: (أ. الــدكتور: (حكمــت بــن بشــير بــن ياســين) في (موســوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (1/ 443)، الطبعة: الأولى،

(2) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) للإمــام (ابــن أبــي حــاتم) في ســورة (آل عمرآن) الآية (102).

(3) قال: الإمام (ابن كثير): وهذا (إسناد صحيح موقوف).
واخرجــه الإِمَــامْ (الحــاكم) و(صــححه) في (المســتدرك) بــرقم (2/294) - مــن طريق-: (مسعر عن زبيد به، ووافقه الإِمَامْ (الذهبي).

(4) انظــر: (جــامع البيــان في تأويــل القــرآن) للإِمَــامْ (الطــبري) في ســورة (آل عمرآن) الآية (102).

(5) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) للإمــام (ابــن أبــي حــاتم) في ســورة (آل عمرآن) الآية (102).

(6) انظــر: (جــامع البيــان في تأويــل القــرآن) للإِمَــامْ (الطــبري) في ســورة (آل عمرآن) الآية (102).

(7) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) للإمــام (ابــن أبــي حــاتم) في ســورة (آل عمرآن) الآية (102).

استطعتم} فجاءت هذه الآية، فيها تخفيف وعافية ويسر.[1]

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} {آل عِمْرَان: 102} قَالَ: (مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ): كَانَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ عَدَاوَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقِتَالٌ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَافْتَخَرَ بعده منهم رجلان فَغَضِبَا وَأَنْشَدَا الْأَشْعَارَ وَتَفَاخَرَا، فَجَاءَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ وَمَعَهُمُ السِّلَاحُ، فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ،

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ)، وَ(ابْنُ عبَّاسٍ): هُوَ أَنْ يُطَاعَ فلا يعصى،

وقال: (مُجَاهِدٌ): أَنْ تُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَأْخُذُكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَتَقُومُوا لِلَّهِ بِالْقِسْطِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وآبائكم وأبنائكم،

قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَقْوَى عَلَى هَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} {التَّغَابُنِ: 16} فَنَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةَ {وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} {آل عمران: 102} أَيْ مُؤْمِنُونَ،

يَعْنِي:- مُخْلِصُونَ مُفَوِّضُونَ أُمُورَكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

وَقَالَ: (الْفُضَيْلُ): مُحْسِنُونَ الظَّنَّ بِاللَّه.[2]

* * *

قَالَ: الإمَامْ (ابن كثير) – (رحمه الله) - في (تَفْسِيرُ الْقُرآنِ الْعَظِيمِ):- قَوْلُهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102)}.

وَقَدْ رَوَاهُ الإمام (ابْنُ مَرْدُويه) مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ (سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ)، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ مُرَّةَ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-" {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} أَنْ يُطَاعَ فَلا يُعْصَى، وَيُشْكَرَ فَلا يُكْفَرَ، وَيُذْكَرَ فَلا يُنْسَى".[3]

وَكَذَا رَوَاهُ الإمام (الْحَاكِمُ) فِي (مُسْتَدْرَكِهِ)، مِنْ حَدِيثِ مِسْعَرٍ، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ مُرَّةَ، عَنِ (ابْنِ مَسْعُودٍ)، مَرْفُوعًا فَذَكَرَهُ.

ثُمَّ قَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. كَذَا قَالَ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): وروي نحوهُ عَنْ (مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ، وَالرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، وعمرو بن ميمون، وإبراهيم النَّخَعِيِّ، وطاووس، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَأَبِي سِنَانٍ، والسُّدِّيِّ)، نحوَ ذَلِكَ.

{وَرُوِيَ عَنْ (أَنَسٍ) أَنَّهُ قَالَ: لَا يَتَّقِي الْعَبْدُ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ حَتَّى يُخْزَنَ مِنْ لِسَانِهِ}.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (102).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (102).

(3) (صحيح موقوفاً): اخرجه الإمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (294/2). موقوفاً، و(صححه)، ووافقه الإمام (الذهبي).

وَقَدْ ذَهَبَ (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(أَبُو الْعَالِيَةِ)، وَ(الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ)، وَ(زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ)، وَ(السُّدِّيِّ) وَغَيْرُهُمْ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التَّغَابُن:16].

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} قَالَ: لَمْ تُنْسَخْ، وَلَكِنْ {حَقَّ تُقَاتِهِ} أَنْ يُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذَهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَيَقُومُوا بِالْقِسْطِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَآبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: {وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} أَيْ: حَافِظُوا عَلَى الْإِسْلَامِ فِي حَالِ صِحَّتِكُمْ وَسَلَامَتِكُمْ لِتَمُوتُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ قَدْ أَجْرَى عَادَتَهُ بِكَرَمِهِ أَنَّهُ مَنْ عَاشَ عَلَى شَيْءٍ مَاتَ عَلَيْهِ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بُعِثَ عَلَيْهِ، فَعِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سمعتُ سُلَيْمَانَ، عَنْ (مُجَاهِدٍ)، أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ، وَ(ابْنُ عَبَّاسٍ) جَالِسٌ مَعَهُ مِحْجَنٌ، فَقَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (({يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} وَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ لَأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ عِيشَتَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ إِلاَ الزَّقُّومُ)).(2)

وَهَكَذَا رَوَاهُ الإِمَامِ (التِّرْمِذِيُّ)، وَ(النَّسَائِيُّ)، وَ(ابْنُ مَاجَهْ)، وَ(ابْنُ حِبَّانَ) فِي (صَحِيحِه)، وَالإِمَامِ (الحَاكِمُ) فِي (مُسْتَدْرَكِه)، مِن طُرُق - عَنْ (شُعْبَةَ)، بِهِ.

وَقَالَ: الإمام (التِّرْمِذِيُّ): (حَسَنٌ صَحِيحٌ).

وَقَالَ: الإِمَامِ (الحَاكِمُ): عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.(3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو) قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتُدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ، وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ)).(4)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (102)، للإمَامْ (ابن كثير).

(2) (صحيح): اخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2585) – (كتاب: صفة جهنم).
واخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4525) – (كتاب: الزهد).
واخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (300/1).
و(صححه) الإمَامْ (الألباني) في (صحيح الجامع) رقم (5250).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (102)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (301/1).
واخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11070).
واخرجه الإمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (294/2).

(4) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (192/2).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (1844) – (كتاب: الإمارات).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (102)، للإمَامْ (ابن كثير).

قَالَ: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - فِي (مُسْنَدِهِ):- حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ (جَابِرٍ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ: ((لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)). (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - فِي (مُسْنَدِهِ):- حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو يُونُسَ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ اللهَ قَالَ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَإِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ)). (2)

وَأَصْلُ هَذَا الْحَدِيثِ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي)). (3)(4)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - فِي (مُسْنَدِهِ):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعبة، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَك، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ قَالَ: بَايَعْتُ رسولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أَلَا أَخِرَّ إِلَا قَائِمًا. (5)

وَرَوَاهُ الإِمَامُ (النَّسَائِيُّ) فِي (سُنَنِهِ) عَنْ (إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَسْعُودٍ)، عَنْ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ شُعْبَةَ، بِهِ، وَتَرْجَمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: (بَابُ كَيْفَ يَخِرُّ لِلسُّجُودِ) ثُمَّ سَاقَهُ مِثْلَهُ فَقِيلَ: مَعْنَاهُ: عَلَى أَلَا أَمُوتَ إِلَا مُسْلِمًا، يَعْنِي:- مَعْنَاهُ: عَلَى أَلَا أُقتلَ إِلَا مُقبلا غَيْرَ مُدبر، وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى الْأَوَّلِ. (6)

* * *

[١٠٣] ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وتمسَّكوا أيها المؤمنون- بالكتاب والسُّنَّة، ولا ترتكبوا ما يوقعكم في التفرق، واذكروا إنعام الله عليكم حين كنتم أعداءً قبل الإسلام تتقاتلون على أقل الأسباب، فجمع بين قلوبكم بالإسلام، فصرتم بفضله إخوانًا في الدين، متراحمين متناصحين، وكنتم قبل

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2877)– (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها). مِنْ طَرِيقِ (الْأَعْمَش)، بِهِ.
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (102) للإِمَامِ (ابن كثير).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (391/2). و(صححه) الإِمَامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (1663).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (7505)–(كتاب: التوحيد)، - مِنْ طَرِيقِ – (أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2675)– (كتاب: الذكر والدعاء)، - مِنْ طَرِيقِ- الْأَعْمَش عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (102)، للإِمَامِ (ابن كثير).

(5) (صَحِيح): اخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (السنن) برقم (1084)– (كتاب: التطبيق).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (102)، للإِمَامِ (ابن كثير).

ذلك مُشْرِفين على دخول النار بكفركم، فأنجاكم الله منها بالإسلام وهداكم للإيمان. وكما بيَّن لكم الله هذا يبين لكم ما يصلح أحوالكم في الدنيا والآخرة، لتهتدوا إلى طريق الرشاد وتسلكوا سبيل الاستقامة.(1)

* * *

يَعْنِي:- وتمسَّكوا جميعًا بكتاب ربكم وهدي نبيكم، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقتكم. واذكروا نعمة جليلة أنعم الله بها عليكم: إذ كنتم أيها المؤمنون- قبل الإسلام أعداء، فجمع الله قلوبكم على محبته ومحبة رسوله، وألقى في قلوبكم محبة بعضكم لبعض، فأصبحتم بفضله إخوانا متحابين، وكنتم على حافة نار جهنم، فهداكم الله بالإسلام ونجَّاكم من النار. وكما بيَّن الله لكم معالم الإيمان الصحيح فكذلك يبيِّن لكم كل ما فيه صلاحكم" لتهتدوا إلى سبيل الرشاد، وتسلكوها، فلا تضلوا عنها.(2)

* * *

يَعْنِي:- وتمسكوا بدين الله مجتمعين عليه، ولا تفعلوا ما يؤدى إلى فرقتكم، وتذكروا نعمة الله عليكم حين كنتم فى الجاهلية متعادين، فَألَّف بين قلوبكم بالإسلام فصرتم متحابين، وكنتم - بسبب كفركم وتفرقكم - على طرف حفرة من النار فخلصكم منها بالإسلام، بمثل ذلك البيان البديع يبين الله لكم دائماً طرق الخير لتدوموا على الهدى.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَاعْتَصِمُوا} ... تَمَسَّكُوا.

{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ} ... يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهارهم به ووثوقهم بحمايته، بامتساك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه، وأن يكون الحبل استعارة لعهده، والاعتصام لوثوقه بالعهد.

أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه، والمعنى: واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه.

{بِحَبْلِ اللهِ} ... كتابُه القرآنُ ودينُه الإسلامُ" لأن الكتابَ والدِّينَ هما الصلةُ التي تربطُ المسلمَ بربِّه، وكلّ ما يربط ويشدُّ شيئًا بآخرَ هُوَ سببٌ وَحَبْلٌ.

{وَلَا تَفَرَّقُوا} ... أي: ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم، كما كنتم متفرقين فى الجاهلية.

{إِخْوَانًا} ... متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد.

{وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ} ... أي: وكنتم مشرفين على أن تقعوا فى نار جهنم.

{إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً} ... قَبْلَ الإِسْلَامِ.

{فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ} ... بالإسلامِ وَنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصلاةُ والسلامُ.

{شَفَا حُفْرَةٍ} ... حافَّتُهَا وَطَرَفُهَا، بحيث لو غَفَلَ الواقفُ عليها وَقَعَ فيها.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (63/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (63/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (87/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{شفَا} ... حَافَّة.

{فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا} ... بِهِدايتِكُمْ إلى الإسلام وبذلك أَنْجاكُم من النار.

{فَأَنْقَذَكُمْ منها} ... بالإسلام، والضمير للحفرة، أو للنار، أو للشفا، وانما أنث لاضافته الى الحفرة. وشفا الحفرة: حرفها.

{كَذَلِكَ} ... مثل ذلك البيان البليغ.

{يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ... ارادة أن تزدادوا هدى.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {شَفَا حُفْرَةٍ}: مِثْلُ شَفَا الرَّكِيَّةِ، وَهُوَ حَرْفُهَا. (1)

* * *

قوله تعالى: {... واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا}.

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه): حدثني زهير بن حرب. حدثنا جرير عن سهيل، عن أبيه، عن (أبي هريرة): قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثاً. فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً. وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)). (2)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُننَه) - (بسنده):- حدثنا علي بن المنذر كوفي. حدثنا محمد بن فضيل قال: حدثنا الأعمش عن عطية عن أبي سعيد والأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن (زيد بن أرقم) - رضي الله عنهما - قالا: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي. أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فهما)). (3)

* * *

قوله تعالى: {ولا تكونوا كالذين فرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات}.

قال: الإمام (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سُننَه) - (بسنده):- حدثنا هشام بن عمار. ثنا الوليد بن مسلم. ثنا أبو عمرو. ثنا (قتادة) عن (أنس بن مالك)، قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة. وإن أمتي

---

(1) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (103). برقم (ج 6/ ص 34).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1340/3)، (ح 1715)-(كتاب: الأقضية)،/ باب: (النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة).

(3) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (663/5)، (ح 3788).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (14/3، 17، 26، 59) من طرق عن (عطية) به.
وقال: الإمام (الترمذي) في (سننه): (حسن غريب).
وقال: الإِمَامْ (الألباني) (صحيح) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (ح 2980). والحديث له شاهد من رواية: - (زيد بن ثابت).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (182/5)،
وذكر الحديث الإِمَامْ (الهيثمي)، ونسبه إلى الإِمَامْ (أحمد) ثم قال: (إسناده جيد) في (مجمع الزوائد) برقم (162/9، 163)،
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) برقم (317/2).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (1/ 444)، الطبعة: الأولى،

ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة. كلها في النار إلا واحدة. وهي الجماعة)).(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن (عبد الله): {واعتصموا بحبل الله}، قال: حبل الله، القرآن.(2)

ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الجيد) – عن (أبي العالية): في قوله: {واعتصموا بحبل الله جميعاً}، يقول: اعتصموا بالإخلاص لله وحده.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): {ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم} إن الله عز وجل قد كره لكم الفرقة، وقدم إليكم فيها، حذركموها، ونهاكم عنها، ورضي لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله لكم إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) - (بسنده): حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، حدثنا أبي، حدثنا عاصم (وهو ابن محمد بن زيد) عن زيد بن محمد، عن نافع قال: جاء (عبد الله بن عمر) إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان، زمن يزيد بن معاوية. فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادةً. فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقوله، سمعت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة، لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية)).(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن

---

(1) اخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (ح 3993) – (كتاب: الفتن)،/ باب: (افتراق الأمم).
وقال: الإمام (البوصيري): (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات).
ورواه الإمام (أحمد) في (مسنده) – من حديث – (أنس) أيضاً.
ورواهرقم الإمام (أبو يعلى الموصلي) في (مصباح الزجاجة) باب: (296/2).
و(صححه) الإِمَامُ (الألباني) في (صحيح ابن ماجة) برقم (364/2)،
و(صححه) الإِمَامُ (أحمد شاكر) في تحقيق: (المسند) برقم (169/16) وأشار إلى تصحيح الإِمَامُ (السيوطي) له،
وأخرجه الإِمَامُ (الحاكم) ووافقه الإِمَامُ (الذهبي) في (المستدرك) برقم (128/1)
وذكره الإِمَامُ (ابن كثير). في (تفسيره) برقم (76/2).
ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (1/ 448)، الطبعة: الأولى.

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (103).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (103).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (103).

(5) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1478/3)، (ح 1851) – (كتاب: الإمارة)، / باب: (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن).

أبـي طلحـة) - عـن (ابـن عبـاس): قولـه :
{نعمت الله} . عافية الله.[1]

* * *

قـال: الإمَـامْ (الطـبري) – (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-
(بسـنده الحسـن) - عـن (قتـادة): قولـه :
{واذكـروا نعمـت الله علـيكم إذ كنـتم أعـداء فـألف بـين قلـوبكم} ، كنـتم تـذا بحون يأكـل شـديدكم ضـعيفكم، حتـى جـاء الله بالإسـلام فـآخى بـه بيـنكم، وألـف بـه بيـنكم. أما والله الـذي لا إلـه إلا هـو إن الألفـة لرحمـة، إن الفرقة لعذاب.[2]

* * *

قـال: الإمَـامْ (الطـبري) – (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-
(بسـنده الحسـن) عـن (السـدي): {وكنـتم علـى شـفا حفـرة مـن النـار فأنقـذكم منها} بمحمـد - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -. يقـول: كنـتم علـى طـرف النـار، مـن مـات مـنكم أوبـق في النـار، فبعـث الله محمـداً - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - فاستنقذكم به من تلك الحفرة.[3]

* * *

قـال: الإمَـامْ (ابـن أبـي حـاتم) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- (بسـنده الحسـن) - عـن (مقاتـل بـن حيـان): {وكنـتم علـى شـفا حفـرة مـن النـار لأنقـذكم منها} أنقـذكم الله مـن الشـرك إلى الإيمان.[4]

* * *

قـال: الإمَـامْ (محمـد الأمـين الشـنقيطي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- قولـه تعـالى: {وَاذْكُـرُوا نِعْمَـتَ اللَّـهِ عَلَـيْكُمْ إِذْ كُنْـتُمْ أَعْـدَاءً فَـأَلَّفَ بَـيْنَ قُلُـوبِكُمْ فَأَصْـبَحْتُمْ بِنِعْمَتِـهِ إِخْـوَانًا} لم يـبين هنا مـا بلغتـه معـاداتهم مـن الشـدة، ولكنـه بـين في موضـع آخـر أن معـاداتهم بلغـت مـن الشـدة أمـرا عظيمـاً حتـى لـو أنفـق مـا في الأرض كلـه لإزالتهـا وللتـأليف بـين قلـوبهم لم يفـد شـيئاً، وذلـك في قولـه: {وَإِنْ يُرِيـدُوا أَنْ يَخْـدَعُوكَ فَـإِنَّ حَسْـبَكَ اللَّـهُ هُـوَ الَّـذِي أَيَّـدَكَ بِنَصْـرِهِ وَبِـالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّـفَ بَـيْنَ قُلُـوبِهِمْ لَـوْ أَنْفَقْـتَ مَـا فِـي الْـأَرْضِ جَمِيعًـا مَـا أَلَّفْـتَ بَـيْنَ قُلُـوبِهِمْ وَلَكِـنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} .[5]

* * *

وانظـر: سـورة – (الأنفـال) – الآيـة (63) . -
كمـا قـال تعـالى: {وَأَلَّـفَ بَـيْنَ قُلُـوبِهِمْ لَـوْ أَنْفَقْـتَ مَـا فِـي الْـأَرْضِ جَمِيعًـا مَـا أَلَّفْـتَ بَـيْنَ قُلُـوبِهِمْ وَلَكِـنَّ اللَّـهَ أَلَّـفَ بَيْـنَهُمْ إِنَّـهُ عَزِيـزٌ حَكِيمٌ} .

* * *

كمـا قـال: الإمَـامْ (البخـاري) – (رحمـه الله) - في (صـحيحه) - (بسـنده):- حـدثنا موسـى بـن إسماعيـل، حـدثنا وهيـب عـن عمـرو بـن يحيـى عـن عبـاد بـن تمـيم عـن (عبـد الله بـن زيـد بـن عاصـم) قـال: لمـا أفـاء الله علـى رسـوله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - يـوم حـنين قسـم في النـاس في المؤلفـة قلـوبهم ولم يُعـط الأنصـار شـيئا،

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإمـام (ابـن أبـي حـاتم) في سـورة (آل عمرآن) الآية (103).
(2) انظـر: (جـامع البيـان في تـأويـل القـرآن) للإمَـامْ (الطـبري) في سـورة (آل عمرآن) الآية (103).
(3) انظـر: (جـامع البيـان في تـأويـل القـرآن) للإمَـامْ (الطـبري) في سـورة (آل عمرآن) الآية (103).
(4) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإمـام (ابـن أبـي حـاتم) في سـورة (آل عمرآن) الآية (103).
(5) انظـر: (أضـواء البيـان في إيضـاح القـرآن بـالقرآن) للشـيخ (محمـد الأمـين الشنقيطي). من سورة (آل عمرآن) الآية (103).

فكأنهم وجدوا إذ لم يُصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟ كلّما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمنُّ. قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ قال: كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمنُّ. قال: لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى رحالكم؟ لولا الهجرة، لكنت امرءاً من الأنصار. ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها. الأنصار شعار، والناس دثار. إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض". (1)(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي): (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ)، قال: هؤلاء الأنصار، ألف بين قلوبهم من بعد حرب، فيما كان بينهم. (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ} {آل عمران: 103} {جَمِيعًا} الْحَبْلُ: السَّبَبُ الَّذِي يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْبُغْيَةِ، وَسُمِّيَ الْإِيمَانُ حَبْلًا لِأَنَّهُ سَبَبٌ يُتَوصَّلُ بِهِ إِلَى زَوَالِ الْخَوْفِ، وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ ههنا،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): مَعْنَاهُ تَمَسَّكُوا بِدِينِ اللَّهِ،

وَقَالَ: (ابْنُ مَسْعُود): هُوَ الْجَمَاعَةُ،

وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّهَا حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَإِنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ وَالطَّاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ) وَ(عَطَاءٌ): بِعَهْدِ اللَّهِ،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ) وَ(السُّدِّيُّ): هو القرآن،

وَقَالَ: (مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ): بِحَبْلِ اللَّهِ أَيْ: بِأَمْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، {وَلاَ تَفَرَّقُوا} كما افترقت اليهود والنصارى،

{وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ} جمع اللَّهُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا بِالْإِسْلَامِ وَأَصْلَحَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

(وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم) يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَار

(إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً) قَبْلَ الْإِسْلَامِ

(فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ) بالإسلام،

{فَأَصْبَحْتُمْ} أي: فصرتم،

{بِنِعْمَتِهِ} برحمته وبدينه الإسلام،

{إِخْوَانًا} فِي الدِّينِ وَالْوِلَايَةِ بَيْنَكُمْ.

{وَكُنْتُمْ} يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ.

{عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ} أَيْ: عَلَى طَرَفِ حُفْرَةٍ مِثْلِ شَفَا الْبِئْرِ، مَعْنَاهُ: وَكُنْتُمْ عَلَى طَرَفِ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهَا إِلاَ أَنْ تَمُوتُوا عَلَى كُفْرِكُمْ،

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (7/ 644)، (ح 4330) – (كتاب: المغازي)، / باب: (غزوة الطائف)،

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) (كتاب: الزكاة)، / باب: (إعطاء المؤلفة قلوبهم).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (63).

{فَأَنْقَذَكُمْ} الله {مِنْهَا} بالإيمان، {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(1)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- وقوله: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} قيل {بِحَبْلِ اللَّهِ} أي: بعهد الله، كما قال في الآية بعدها: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ} {آل عمران:112} أي بعهد وذمة.

وقيل: {بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ} يعني: القرآن،

وروى الإمام (ابن مردويه) -من طريق- إبراهيم بن مسلم الهجري، عن أبي الأحوص، عن (عبد الله) رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: ((إن هذا القرآن هو حبل الله المتين، وهو النور المبين وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه)) (2).

وروي -من حديث -(حذيفة) و(زيد بن أرقم) نحو ذلك. وقال وكيع: حدثنا الأعمش عن أبي وائل قال: قال: عبد الله: إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين، يا عبد الله، بهذا الطريق هلم إلى الطريق، فاعتصموا بحبل الله فإن حبل الله القرآن.

وقوله: {وَلَا تَفَرَّقُوا} أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف،

كما في صحيح الإمام (مسلم) من حديث (سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن (أبي هريرة) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويسخط لكم ثلاثا، يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم" ويسخط لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)) (3).

وقد ضمنت لهم العصمة، عند اتفاقهم، من الخطأ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضا، وخيف عليهم الافتراق، والاختلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار، وهم الذين على ما كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم وأصحابه-.

وقوله: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا} إلى آخر الآية، وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج، فإنه كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (103).

(2) أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (1/555).

وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (10/482).

وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (المجروحين) برقم (1/99).

وأخرجه الإمام (ابن الجوزي) في (العلل المتناهية) برقم (1/101).

وقال: "هذا حديث لا يصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، ويشبه أن يكون من كلام ابن مسعود".

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (103)، للإمام (ابن كثير).

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (1715) - (كتاب: الأقضية).

وَضَغَائِنُ، وإِحَنٌ وذُحُول طَالَ بِسَبَبِهَا قِتَالُهُمْ وَالْوَقَائِعُ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَدَخَلَ فِيهِ مَنْ دَخَلَ مِنْهُمْ، صَارُوا إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ بِجَلَالِ اللَّهِ، مُتَوَاصِلِينَ فِي ذَاتِ اللَّهِ، مُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} {الْأَنْفَال:62}

وَكَانُوا عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، فَأَبْعَدَهُمُ اللَّهُ مِنْهَا: أَنْ هَدَاهُمْ لِلْإِيمَانِ. وَقَدِ امْتَنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ رسولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوم قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ، فَعَتَبَ مَنْ عَتَبَ مِنْهُمْ لَمَّا فَضَّلَ عَلَيْهِمْ فِي الْقِسْمَةِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: ((يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلالا فَهَدَاكُمْ اللهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللهُ بِي؟)). (1)
كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ.

وَقَدْ ذَكَرَ (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ) وَغَيْرُهُ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ مَرَّ بِمَلَأٍ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، فَسَاءَهُ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الِاتِّفَاقِ وَالْأُلْفَةِ، فَبَعَثَ رَجُلًا مَعَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِسَ بَيْنَهُمْ وَيُذَكِّرَهُمْ مَا كَانَ مِنْ حُرُوبِهِمْ يَوْمَ بُعَاثٍ وَتِلْكَ الْحُرُوبِ، فَفَعَلَ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دأبُه حَتَّى حَمِيَتْ نُفُوسُ الْقَوْمِ وَغَضِبَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَتَثَاوَرُوا، وَنَادَوْا بِشِعَارِهِمْ وَطَلَبُوا أَسْلِحَتَهُمْ، وَتَوَاعَدُوا إِلَى الْحَرَّةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَتَاهُمْ فَجَعَلَ يُسَكِّنُهم وَيَقُولُ: "أَبِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ وأنَا بَيْنَ أظْهُرِكُمْ؟ " (2) وَتَلَا عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ، فَنَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، وَاصْطَلَحُوا وَتَعَانَقُوا، وَأَلْقَوُا السِّلَاحَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (3)
وَذَكَرَ (عِكْرِمَةُ) أَنَّ ذَلِكَ نَزَلَ فِيهِمْ حِينَ تَثَاوَرُوا فِي قَضِيَّةِ الإفْكِ. (4) والله أعلم.

* * *

[١٠٤] ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولتكن منكم أيها المؤمنون- جماعة يدعون إلى كل خير يحبه الله، ويأمرون بالمعروف الذي دل عليه الشرع وحسَّنه العقل، وينهون عن المنكر الذي نهى عنه الشرع وقبَّحه العقل، والمتصفون بهذه الصفة هم أهل الفوز التام في الدنيا والآخرة. (5)

* * *

يَعْنِي:- ولتكن منكم أيها المؤمنون- جماعة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف، وهو ما

(1) (متفق عليه): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4330) - (كتاب: المغازي).
وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1061) - (كتاب: الزكاة).

(2) رواه الإمام (ابن جرير) في (تفسيره) برقم (56/6).
وانظر: (سيرة ابن هشام) برقم (204/2- 206).
(3) انظر: تفسير (الطبري) برقم (78/7، 79).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (103)، للإمَامْ (ابن كثير).
(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (63/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

عُرف حسنه شرعًا وعقلا وتنهى عن المنكر، وهو ما عُرف قبحه شرعًا وعقلا وأولئك هم الفائزون بجنات النعيم.[1]

* * *

يَعْنِي:- وإن السبيل للاجتماع الكامل على الحق في ظل كتاب الله ورسوله أن تكونوا أمة يدعون إلى كل ما فيه صلاح ديني أو دنيوي، ويأمرون بالطاعة، وينهون عن المعصية، وأولئك هم الفائزون فوزاً كاملاً.[2]

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلْتَكُن مِّنكُم أُمَّةٌ} ... الأُمَّةُ: أفرادٌ من البشر وغيرهم تربُطُهُمْ رابطةُ جنسٍ أو لغة أو دين ويكون أَمْرُهُمْ واحدًا، والمراد بالأُمَّةِ هنا: المجاهدُونَ وهيئاتُ الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر.

{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ} ... من، للتبعيض، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات.

{الْخَيْرِ} ... الإسلامُ وكلُّ ما ينفع الإنسانَ في حياته الأُولَى والآخرة من الإيمانِ والعمل الصالح.

{الْمَعْرُوفِ} ... كُلّ ما عَرَّفَهُ الشرعُ فأَمَرَ به لنفعه وصلاحه للفرد والجماعة.

{الْمُنْكَرِ} ... ضِدُّ المعروف وهو ما نهى عنه الشرعُ لضرره وإفساده للفرد أو الجماعة.

والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر فرضُ كفايةٍ، وهو بِحَقِّ العلماءِ وولاةِ الأمرِ أَخَصُّ وَأَلْزَمُ.

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ... هم الأخصاء بالفلاح دون غيرهم.

{الْمُفْلِحُونَ} ... الفائزون.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ الإِمَامُ (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تَفْسِيرُ القُرآنِ العَظِيمِ):- يَقُولُ تَعَالَى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} أَيْ: مُنْتَصِبَةٌ لِلْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ، فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْخَيْرِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} قَالَ: (الضَّحَّاكُ): هُمْ خَاصَّةُ الصَّحَابَةِ وَخَاصَّةُ الرُّوَاةِ، يَعْنِي: الْمُجَاهِدِينَ وَالْعُلَمَاءَ.

وَقَالَ: (أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ): قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ} ثُمَّ قَالَ: "الْخَيْرُ اتِّبَاعُ الْقُرْآنِ وَسُنَّتِي" رَوَاهُ (ابْنُ مَرْدَوَيْهِ).

وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ تَكُونَ فِرْقَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ مُتَصَدِّيَةٌ لِهَذَا الشَّأْنِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الْأُمَّةِ بِحَسْبِهِ، كَمَا ثَبَتَ فِي (صَحِيحِ مُسْلِمٍ) – عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ): قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)).

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (63/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (87/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وفي روايةٍ: ((وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ)) [1].

* * *

قال: الإمَامُ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الْهَاشِمِيُّ، أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَشْهَلِيِّ، عَنْ (حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ)، أَنَّ النَّبِيَّ - [2] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ)) [3].

وَرَوَاهُ الإِمَامُ (التِّرْمِذِيُّ)، وَ(ابْنُ مَاجَهْ)، مِنْ حَدِيثِ (عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو)، بِهِ.

وَقَالَ: الإِمَامُ (التِّرْمِذِيُّ): (حَسَنٌ)

وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ كَمَا سَيَأْتِي تَفْسِيرُهَا فِي أَمَاكِنِهَا [4].

* * *

قال: الإمَامُ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- حدثنا قتيبة، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن عمرو بن أبي عمرو عن (عبد الله الأنصاري)، عن (حذيفة بن اليمان)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)) [5].

* * *

قال: الإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): قال: كل آية يذكرها الله في القرآن، فذكر الأمر بالمعروف، فالأمر بالمعروف أنهم دعوا إلى الله وحده وعبادته لا شريك له دعاء من الشرك إلى الإسلام.

وبه عن (أبي العالية) قال: كل آية ذكرها الله في القرآن، فذكر النهي عن المنكر، النهي عن عبادة الأوثان والشيطان [6].

* * *

قال: الإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مقاتل بن حيان): قوله: {ولتكن منكم أمة} يقول:

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (49) - من حديث - (أبي موسى الأشعري)، قال: الشيخ (أحمد شاكر) - رحمه الله-: "وهم الحافظ (ابن كثير). وهما شديدا، فحديث: "من رأى منكم منكرا" هو حديث (أبي موسى".

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (104)، لِلإِمَامْ (ابن كثير)..

(2) في أ: "أن رسول الله".

(3) (حسن): اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2169) – (كتاب: الفتن).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (388/5)، و(حسنه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) برقم (7070).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (104)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(5) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (468/4)، (ح 2169) – (كتاب: الفتن)، / باب: (ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

وقال: الإِمَامْ (الألباني): وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (مسنده) (388/5) - من طريق-: (إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو به)، وانظر (صحيح سنن الترمذي) رقم (ح 1762) وله شاهد.

وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (180/10)، (ح 10267) - (بسنده) -عن (ابن مسعود)، وله شواهد ذكرها الإِمَامْ (الهيثمي) في (مجمع الزوائد) برقم (266/7).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (1/ 446)، الطبعة: الأولى،

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (104).

ليكن منكم قوم يعني: واحد أو اثنين أو ثلاثة نفر فما فوق ذلك.

(أمة) يقول: إماماً يقتدي به كما قال لإبراهيم كان أمة قانتا يقول: إماماً مطيعاً لربه يقتدي به. قوله: {يدعون إلى الخير} قال: إلى الإسلام.

قوله: {يأمرون بالمعروف} يأمرون بطاعة ربهم. قوله: {ينهون عن المنكر} وينهون عن معصيته يعني: معصية ربهم.(1)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه):

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن سفيان. وحدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، كلاهما عن قيس ابن مسلم، عن (طارق بن شهاب) -وهذا حديث (أبي بكر) - قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة. فقال: قد ترك ما هنا لك. فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)).(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (محمد بن إسحاق) - عن (ابن عباس): {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} أي: الذين أدركوا ما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} [آل عمران: 104] أي: ولتكونوا أُمَّةً، (مِنْ) صِلَةٌ لَيْسَتْ لِلتَّبْعِيضِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} [الْحَجِّ: 30] لَمْ يُرِدِ اجْتِنَابَ بَعْضِ الْأَوْثَانِ بَلْ أَرَادَ فَاجْتَنِبُوا الْأَوْثَانَ، وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ وَلْتَكُنْ لَامُ الْأَمْرِ، {يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ} إِلَى الْإِسْلَامِ، {وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تَفْسِيرِ الْقُرآنِ الْعَظِيمِ):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} يَنْهَى هَذِهِ الْأُمَّةَ أَنْ تَكُونَ كَالْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فِي تَفَرُّقِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ، وَتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَعَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا (أَبُو الْمُغِيرَةِ)، حَدَّثَنَا (صَفْوَانُ)، حَدَّثَنِي (أَزْهَرُ)(5) بْنُ عَبْدِ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (104).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمُ) في (صحيحه) برقم (69/1)، (ح 49) -(كتاب: الإيمان)، / باب: (بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (104). المحقق: (أسعد محمد الطيب).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (104).

(5) قال: الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في التعليق على الإمام (ابن كثير): مستور الحال، من ناحية الرواية، أما من حيث مذهبه ناصبي، وذلك منه رد على الحافظ (رحمه الله تعالى)، لأنه قال في التقريب: صدوق تكلموا فيه للنصب، والله أعلم.

عَبْدِ اللَّهِ الْهَوْزَنِيِّ) عَنْ (أَبِي عَامِرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لُحَيٍّ) قَالَ: حَجَجْنَا مَعَ (مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ)، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَامَ حِينَ صَلَّى صَلاةَ الظُّهْرِ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً -يَعْنِي- الْأَهْوَاءَ-كُلُّهَا فِي النَّارِ إلا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تُجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إلا دَخَلَهُ. وَاللَّهِ -يَا مَعْشَرَ العَرَبِ-لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَغَيْرُكُم مِنَ النَّاسِ أَحْرَى أَلاَ يَقُومَ بِهِ)).

وَهَكَذَا رَوَاهُ (أَبُو دَاوُدَ)، عَنْ (أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى)، كِلاَهُمَا عَنْ (أَبِي الْمُغِيرَةِ) -وَاسْمُهُ (عَبْدُ الْقُدُّوسِ بْنُ الْحَجَّاجِ الشَّامِيُّ) -بِهِ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ طُرُقٍ. (1)(2)

* * *

[١٠٥] ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تكونوا أيها المؤمنون- مثل أهل الكتاب الذين تفرقوا فصاروا أحزابًا وشيعًا، واختلفوا في دينهم من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة من الله تعالى، وأولئك المذكورون لهم عذاب عظيم من الله. (3)

* * *

يَعْنِي:- ولا تكونوا أيها المؤمنون- كأهل الكتاب الذين وقعت بينهم العداوة والبغضاء فتفرّقوا شيعًا وأحزابًا، واختلفوا في أصول دينهم من بعد أن اتضح لهم الحق، وأولئك مستحقون لعذابٍ عظيم موجع. (4)

* * *

يَعْنِي:- ولا تكونوا بإهمالكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين يجمعانكم على الخير والدين الحق، كأولئك الذين أهملوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتفرقوا شيعاً، واختلفوا فى دينهم من بعد ما جاءتهم الحُجج الواضحة المبينة للحق، وأولئك المتفرقون المختلفون لهم عذاب عظيم. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا}... هم اليهود والنصارى.

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (104)، للإمام (ابن كثير) (185/2).

(1) (صحيح): أخرجه الإمامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (102/4).
وأخرجه الإمامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (4597).
وأخرجه الإمامُ (الطبراني) برقم (377/19).
وأخرجه الإمامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (218/1).
وأخرجه الإمامُ (ابن أبي عاصم) في (السُّنَّة) برقم (2).
و(صححه) الإمامُ (الألباني) في (المشكاة) برقم (172).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (105)، للإمامُ (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (63/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (63/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (87/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{تفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا}... هُمْ أهلُ الكتابِ من اليهودِ والنصارى.
{مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}... الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} {آل عمران: 105}

قَالَ: (أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ): هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى،
وَقَالَ: (بَعْضُهُمْ): الْمُبْتَدِعَةُ مِنْ هَذِهِ الأمة. (1)

* * *

قَالَ: الإمام (ابن ماجة) – (رحمه الله) – في (سُننِه) – (بسنده):- حدثنا هشام بن عمار. ثنا الوليد بن مسلم. ثنا أبو عمرو. ثنا (قتادة) عن (أنس بن مالك)، قال: قال: رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة. وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة. كلها في النار إلا واحدة. وهي الجماعة)). (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (الطبري) – و الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: قوله (وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا) ونحوها هذا في القرآن أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله. (3)(4)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (مقاتل بن حيان): قوله: (ولا تكونوا) يعني للمؤمنين يقول: لا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد موسى فنهى الله تعالى المؤمنين أن يتفرقوا من بعد كفعل اليهود. (5)

* * *

وأخرج الإِمَامْ (الترمذي)، و(أبو داود)، و (ابن ماجة) في (سُنَنِهِم) – الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده):- (رحمهم الله) - (بِسَندِهِم):- وَعَنْ (عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ) - رضي الله عنه -

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (105).

(2) اخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (ح 3993) – (كتاب: الفتن)،/ باب: (افتراق الأمم)،
قال: الإمام (البوصيري): (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات).
رواه الإمام (أحمد) في (مسنده) – من حديث – (أنس) أيضاً،
ورواهرقم الإمام (أبو يعلى الموصلي) في (مصباح الزجاجة) باب: (296/2).
و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح ابن ماجة) برقم (364/2)،
و(صححه) الإِمَامْ (أحمد شاكر) في تحقيق: (المسند) برقم (169/16) وأشار إلى تصحيح الإِمَامْ (السيوطي) له،
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) ووافقه الإِمَامْ (الذهبي) في (المستدرك) برقم (128/1)
وذكره الإِمَامْ (ابن كثير). في (تفسيره) برقم (76/2).
ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (آل عمرآن) الآية (105). برقم (ص/1/ 448)، الطبعة: الأولى،

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (105).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (105).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (105).

قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ – صـلى الله عليه وسلم:- (" لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ) (1)(2)(3) (حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً , لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ) (4) (وَإِنَّ الْيَهُودَ افْتَرَقُوا { فِي دِينِهِمْ} (5) عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً , فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ, وَإِنَّ النَّصَارَى افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً , فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ, وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ , وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ {هَذِهِ الْأُمَّةُ} (6) عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً , وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ , وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ) (7) (وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ") (8) (9) فَقَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ , اللهِ؟ , قَالَ: " مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي ") (10) (1)

(1) حذوَ الشيء: في موازاته ومقابلته ومساواته.

والمراد أنهم يسيرون على نهج واحد , ولا يختلفان , ويتبع بعضهم بعضا.

(2) " الْقُذَذ " جَمْع قُذَّة وَهِيَ رِيش السَّهْم , يُقَال لِكُلِّ وَاحِدَة قُذَّة. انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (10/ 411).

(3) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (17175).

انظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) رقم (3312).

(4) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (2641).

(5) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (16979).

وقال: الشيخ (شعيب الأرناءوط): (إسناده حسن).

(6) اخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4597).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (16979).

(7) اخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (3992).

واخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2640).

واخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4596).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8377).

(8) (وَهِيَ) أَيْ: الْوَاحِدَة الَّتِي فِي الْجَنَّة. (الْجَمَاعَة) أَيْ: أَهْل الْقُرْآن وَالْحَدِيث وَالْفِقْه وَالْعِلْم الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى اتِّبَاع آثَارِهِ – صلى الله عليه وسلم – فِي جَمِيع الْأَحْوَال كُلّهَا وَلَمْ يَبْتَدِعُوا بِالتَّحْرِيفِ وَالتَّغْيِير وَلَمْ يُبَدِّلُوا بِالْآرَاءِ الْفَاسِدَة. عون المعبود – (ج 10 / ص 116).

(9) اخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4597).

واخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (399).

(10) قال: الإمـام (الألبـاني) في (الصَّحِيحَة) حديث: (204): قد تكلم الشيخ صالح المقبلي على هذا الحديث بكلام جيد من جهة ثبوته ومعناه، وأرى أن أنقل خلاصة كلامه المشار إليه لما فيه من الفوائد. قال: رحمه الله تعالى في " العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ " (ص 414): والإشكال في قوله: " كلها في النار إِلَّا ملة "، فمن المعلوم أنهم خير الأمم، وأن المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة، مع أنهم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود حسبما صرحت به الأحاديث , فكيف يتمشى هذا؟ , ومن المعلوم أنه ليس المراد من الفرقة الناجية أن لَا يقع منها أدنى اختلاف، فإن ذلك قد كان في فضلاء الصحابة , إنما الكلام في مخالفة تُصيِّر صاحبها فرقة مستقلة ابتدعها , ثم أجاب عن الإشكال بما خلاصته: إن الناس عامة وخاصة، فالعامة آخرهم كأولهم، كالنساء والعبيد والفلاحين والسوقة ونحوهم ممن ليس من أمر الخاصة في شيء، فلا شك في براءة آخرهم من الابتداع كأولهم , وأما الخاصة، فمنهم مبتدع اخترع البدعة وجعلها نصب عينيه، وبلغ في تقويتها كل مبلغ، وجعلها أصلا يرد إليها صرائح الكتاب والسنة، ثم تبعه أقوام من نمطه في الفقه والتعصب، وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها وحمَّلوه ما لم يتحمله ولكنه إمامهم المقدم , وهؤلاء هم المبتدعة حقا، وهو شيء كبير (تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا)، كَنَفْيِ حِكْمَة الله تعالى، ونفي إقداره المكلف، وككونه يكلف ما لَا يطاق، ويفعل سائر القبائح ولا تُقَبَّح منه، وأخواتهن! , ومنها ما هو دون ذلك , وحقائقها جميعها عند الله تعالى، ولا ندري بأيها يصير صاحبها من إحدى الثلاث وسبعين فرقة ومن الناس من تبع هؤلاء وناصرهم وقوى سوادهم بالتدريس والتصنيف، ولكنه عند نفسه راجع إلى الحق، وقد دسَّ في تلك الأبحاث نقوضها في مواضع , لكن على وجه خفي، ولعله تخيل مصلحة دنيئة، أو عظم عليه انحطاط نفسه وإيذاؤهم له في عرضه , وربما بلغت الأذية إلى نفسه , وعلى الجملة فالرجل قد عرف الحق من الباطل، وتخبط في تصرفاته، وحسابه على الله سبحانه، إما أن يحشره مع من أحب بظاهر حاله، أو يقبل عذره، وما تكاد تجد أحدا من هؤلاء النُّظَّار إِلَّا قد فعل ذلك، لكن شرهم والله كثير، فلربما لم يقع خبرهم بمكان، وذلك لأنه لَا يفطن لتلك اللمحة الخفية التي دسوها إِلَّا الأذكياء المحيطون بالبحث، وقد أغناهم الله بعلمهم عن تلك اللمحة وليس بكبير فائدة أن يعلموا أن الرجل كان يعلم الحق ويخفيه , والله المستعان , ومن الناس من ليس من أهل التحقيق، ولا مؤهل للهجوم على الحقائق، وقد تدرب في كلام الناس، وعرف أوائل الأبحاث، وحفظ كثيرا من غُثاء ما حصلوه , ولكن أرواح الأبحاث بينه وبينها حائل , وقد يكون ذلك لقصور الهمة والاكتفاء , والرضا عن السلف لوقعهم في النفوس , وهؤلاء هم الأكثرون عددا، والأرذلون قدرا، فإنهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة ولا أدركوا سلامة العامة , فالقسم الأول من الخاصة مبتدعة قطعا. والثاني ظاهره الابتداع، والثالث له حكم الابتداع. ومن الخاصة قسم رابع ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين، أقبلوا على الكتاب والسنة , وساروا بسيرها، وسكتوا عما سكتا عنه، وأقدموا وأحجموا بهما , وتركوا تكلف ما لا يعنيهم، وكانوا تُهِمُّهُم السلامة , وحياة السنة آثر عندهم من حياة نفوسهم، وقرة عين أحدهم تلاوة كتاب: الله تعالى وفهم معانيه على السليقة العربية والتفسيرات المروية، ومعرفة ثبوت حديث نبوي لفظا وحكما , فهؤلاء هم السنية حقا، وهم الفرقة الناجية، وإليهم العامة بأسرهم ومن شاء ربك من أقسام الخاصة الثلاثة المذكورين، بحسب علمه بقدْر بدعتهم ونياتهم , إذا حققتَ جميع ما ذكرنا لك لم يلزمك السؤال المحذور وهو الهلاك على معظم الأمة، لأن الأكثر عددا هم العامة قديما وحديثا، وكذلك الخاصة في الأعصار المتقدمة، ولعل القسمين الأوسطين، وكذا من خفيت بدعته من الأول تنقذهم رحمة ربك من النظام في سلك الابتداع بحسب المجازاة الأخروية، ورحمة ربك أوسع لكل مسلم،

* * *

[١٠٦] ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يقع عليهم هذا العذاب العظيم يوم القيامة، حين تَبْيَضُّ وجوه أهل الإيمان من الفرح والسعادة، وتَسْوَدُّ وجوه الكافرين من الحزن والكآبة، فأما الذين اسودَّت وجوههم في ذلك اليوم العظيم فيقال توبيخًا لهم: أكفرتم بتوحيد الله وعهده الذي أخذ عليكم بألا تشركوا به شيئًا، بعد تصديقكم وإقراركم؟! فذوقوا عذاب الله الذي أعده لكم بسبب كفركم. (2).

* * *

يَعْنِي:- يوم القيامة تَبْيَضُّ وجوه أهل السعادة الذين آمنوا بالله ورسوله، وامتثلوا أمره، وتَسْوَدُّ وجوه أهل الشقاوة ممن كذبوا رسوله، وعصوا أمره. فأما الذين اسودَّت وجوههم، فيقال لهم توبيخًا: أكفرتم بعد إيمانكم، فاخترتم الكفر على الإيمان؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم. (3)

* * *

يَعْنِي:- ذلك العذاب العظيم في اليوم الذى تبيض بالسرور فيه وجوه المؤمنين، وتسود بالكآبة والحزن وجوه الكافرين، ويقال لهم توبيخاً: أكفرتم بعد أن فطرتم على الإيمان والإذعان للحق وجاءتكم البينات عليه؟، فذوقوا العذاب بسبب كفركم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} ... تَبْيَضُّ وجوهُ المؤمنينَ وَتَسْوَدُّ وجوهُ الكافرينَ، البياضُ: كنايةٌ عن الفَرَحِ والسُّرُور، والسَّوَادُ: كنايةٌ عن الحزنِ والغَمِّ.

{يَوْمَ تَبْيَضُّ} ... وُجُوهٌ نصب بالظرف، وهو (لهم) أو بإضمار: اذكر.

والبياض من النور. والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده.

{أَكَفَرْتُمْ} ... فيقال لهم: أكفرتم؟ والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم. (5)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) – و الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما

لكنا تكلمنا على مقتضى الحديث ومصداقه، وأن أفراد الفرق المبتدعة وإن كثرت الفرق، فلعله لا يكون مجموع أفرادهم جزءا من ألف جزء من سائر المسلمين، فتأمل هذا تسلم من اعتقاد مناقضة الحديث لأحاديث فضائل الأمة المرحومة.

وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (آل عمران) الآية (105)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(1) اخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2641).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (63/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (63/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (88/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (106)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

الجيد) - عن (أبي العالية) - عن (أبي بن كعب) في قوله: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} قال: صاروا يوم القيامة فريقين، فقال لمن اسود وجهه، وعيّرهم: {أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} قال: هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمن آدم، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم وأقروا كلهم بالعبودية وفطرهم على الإسلام، فكانوا أمة واحدة مسلمين.

يقول: {أكفرتم بعد إيمانكم} يقول: بعد ذلك الذي كان في زمان آدم. وقال في الآخرين: الذين استقاموا على إيمانهم ذلك، فأخلصوا له الدين والعمل، فبيض الله وجوههم، وأدخلهم في رضوانه وجنته.(1)(2)

واللفظ للإمام (الطبري) وقد رجحه.

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} {آل عمران: 106} (يَوْمَ) نُصبَ عَلَى الظَّرْفِ، أَيْ: فِي يَوْمٍ، وَانْتِصَابُ الظَّرْفِ عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْمَفْعُولِ، يُرِيدُ: تَبْيَضُّ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ الْكَافِرِينَ،

يَعْنِي:- (تَبْيَضُّ وُجُوهُ) الْمُخْلِصِينَ، وَ(تَسْوَدُّ وُجُوهُ) المنافقين،

وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) – رَضِيَ اللَّهُ عنهما – أنه قَالَ: (تَبْيَضُّ وُجُوهُ) أَهْلِ السُّنَّةِ و(تَسْوَدُّ وُجُوهُ) أهل البدعة،

{فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} مَعْنَاهُ: يُقَالُ لَهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ،

{فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ قَالَ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ، وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا مؤمنين؟ قِيلَ: أَرَادَ بِهِ الْإِيمَانَ يَوْمَ الْمِيثَاقِ، حيز قال لهم ربهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ): هُمُ الْمُنَافِقُونَ تَكَلَّمُوا بالإيمان بألسنتهم، وأنكروا بقلوبهم،

وقال: (عكرمة): أَنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ آمَنُوا بِأَنْبِيَائِهِمْ وَبِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ، فَلَمَّا بُعِثَ كَفَرُوا به،

وَقَالَ: (قَوْمٌ): هُمْ مِنْ أَهْلِ قِبْلَتِنَا،

وَقَالَ: (أَبُو أُمَامَةَ): هُمُ الْخَوَارِجُ،

وَقَالَ: (قتادة): هم أهل البدع.(3)

* * *

وقال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- يُقَالُ: {ذُوقُوا}: بَاشِرُوا وَجَرِّبُوا، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ ذَوْقِ الفَمِ.(4)

* * *

قال: الإمَامْ (ابن كثير) – (رحمه الله) - في (تَفْسِيرُ القُرآن العَظِيم):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْفُرْقَةِ، قَالَهُ (ابْنُ عَبَّاسٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. {فَأَمَّا الَّذِينَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (106).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (106).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (106).

(4) انظر: صحيح الإمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (106). برقم (ج 4/ ص 120).

اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ: {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} وَهَذَا الْوَصْفُ يَعُمُّ كُلَّ كَافِرٍ[1].

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106)}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} بَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ اسْوِدَادِ الْوُجُوهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْكُفْرَ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} الْآيَةَ {3 \ 106}.

وَبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ ذَلِكَ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ} {39 \ 60}.

وَبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ ذَلِكَ اكْتِسَابَ السَّيِّئَاتِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا} {10 \ 27}،

وَبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ ذَلِكَ الْكُفْرَ وَالْفُجُورَ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ} {80 \ 40 \ 42}.

وَهَذِهِ الْأَسْبَابُ فِي الْحَقِيقَةِ شَيْءٌ وَاحِدٌ عَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهُوَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ تَعَالَى،

وَبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ شِدَّةَ تَشْوِيهِ وُجُوهِهِمْ بِزُرْقَةِ الْعُيُونِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} {20 \ 102}،

وَأَقْبَحُ صُورَةً أَنْ تَكُونَ الْوُجُوهُ سُودًا وَالْعُيُونُ زُرْقًا، أَلَا تَرَى الشَّاعِرَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَوِّرَ عِلَلَ الْبَخِيلِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ، وَأَشْوَهِهَا اقْتَرَحَ لَهَا زُرْقَةَ الْعُيُونِ، وَاسْوِدَادَ الْوُجُوهِ فِي قَوْلِهِ:

وَلِلْبَخِيلِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ زُرْقُ الْعُيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهٌ سُودُ.[2]

* * *

و أخرج الإِمَامُ (الترمذي)، و (ابن ماجة) - في (سُننهما) - الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده):- (رحمهم الله) - (بِسَنَدِهِم):- وَعَنْ (أَبِي غَالِبٍ)[3] قَالَ: (لَمَّا أُتِيَ بِرُءُوسِ (الْأَزَارِقَةِ)[4][5] (مِنْ قِبَلِ الْعِرَاقِ، نُصِبَتْ عِنْدَ بَابِ (مَسْجِدِ دِمَشْقَ)[6] (فَجَاءَ[1]

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (106)، لِلإِمَامُ (ابن كثير).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (106).

(3) هو: أبو غالب البصري، الطبقة: (5) من صغار التابعين، روى له: الإمام (البخاري) في (الأدب المفرد) – الإمام (أبو داود - الترمذي - ابن ماجه)، رتبته عند الإمام (ابن حجر): صدوق يخطىء، ورتبته عند الإمام (الذهبي): صالح الحديث.

(4) (الْأَزَارِقَةُ): مِنْ الْخَوَارِجِ، نُسِبُوا إِلَى نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ. تحفة الأحوذي (7/320).

(5) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (22237).
وقال: الشيخ (شعيب الأرناءوط): (إسناده حسن).

(6) اخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (22205).
وقال: الشيخ (شعيب الأرناءوط): (إسناده حسن).

(أَبُــو أُمَامَــةَ الْبَــاهِلِيّ) - رضـــي الله عنــه - (فَرَفَــعَ رَأسَــهُ فَنَظَــرَ إِلَــيهِمْ)[2] (فَلَمَّــا رَآهُــمْ دَمَعَــتْ عَيْنَــاهُ فَقَــالَ: " كِــلَابُ النَّــارِ)[3] كِــلَابُ النَّــارِ, كِــلَابُ النَّــارِ, هَــؤُلَاءِ شَــرُّ قَتْلَــى قُتِلُــوا تَحْــتَ أَدِيــمِ السَّــمَاءِ)[4][5] (وَخَيْــرُ قَتْلَــى تَحْــتَ أَدِيــمِ السَّــمَاءِ مَــنْ قَتَلُــوهُ)[6] (قَــدْ كَــانَ هَــؤُلَاءِ مُسْــلِمِينَ فَصَــارُوا كُفَّــارًا)[7] (ثُــمَّ قَــرَأَ: {يَــوْمَ تَبْــيَضُّ وُجُــوهٌ وَتَسْــوَدُّ وُجُــوهٌ, فَأَمَّــا الَّــذِينَ اسْــوَدَّتْ وُجُــوهُهُمْ أَكَفَــرْتُمْ بَعْــدَ إِيمَــانِكُمْ فَــذُوقُوا الْعَــذَابَ بِمَــا كُنْــتُمْ تَكْفُــرُونَ, وَأَمَّــا الَّــذِينَ ابْيَضَّــتْ وُجُــوهُهُمْ فَفِــي رَحْمَــةِ اللهِ هُــمْ فِيهَــا خَالِــدُونَ} ")[8] (ثُــمَّ انْصَــرَفَ عَــنْهُمْ, فَقُلْــتُ: يَــا أَبَــا أُمَامَــةَ, أَرَأَيْــتَ هَــذَا الْحَــدِيثَ حَيْــثُ قُلْــتَ: " كِــلَابُ النَّــارِ " , أَشَــيْءٌ سَــمِعْتَهُ مِــنْ رَسُــولِ اللهِ - صــلى الله عليــه وســلم -؟ , أَوْ شَــيْءٌ تَقُولُــهُ بِرَأيِــكَ؟ , قَــالَ: سُــبْحَانَ اللهِ, إِنِّــي إِذًا لَجَــرِيءٌ)[9] (لَــوْ لَــمْ أَسْــمَعْهُ إِلَا مَــرَّةً, أَوْ مَــرَّتَيْنِ, أَوْ ثَلَاثًــا, أَوْ أَرْبَعًــا - حَتَّــى عَــدَّ سَــبْعًا - مَــا حَــدَّثْتُكُمُوهُ)[10] (قُلْــتُ: فَلِــأَيِّ شَــيْءٍ بَكَيْــتَ؟ , قَــالَ: رَحْمَــةً لَهُــمْ)[11] (إِنَّهُــمْ كَــانُوا مِــنْ أَهْــلِ الْإِسْلَامِ).[12]

* * *

قــال: الإمــام (الترمــذي) - (رحمــه الله) - في (سُــننِه) - (بسنده):- حــدثنا أبــو كريــب. حــدثنا وكيــع عــن الربيــع بــن صــبيح وحمــاد بــن ســلمة عــن (أبــي غالــب) قــال: رأى (أبــو أمامــة) رؤوســاً منصــوبة علــى درج مســجد دمشــق فقــال: (أبــو أمامــة): كــلاب النــار شــر قتلــى تحــت أديــم الســماء، خيــر قتلــى مــن قتلــوه، ثــم قــرأ: (يَــوْمَ تَبْــيَضُّ وُجُــوهٌ وَتَسْــوَدُّ وُجُــوهٌ ,) إلى آخــر الآيــة قلــتُ لأبــي أمامــة: أنــت سمعتــه مــن رســول الله - صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ -؟ قــال: لــو لم أسمعــه إلا مــرة أو مــرتين أو ثلاثــاً أو أربعــاً -حتــى عــدّ ســبعاً- مــا حدثتكموه.[13]

* * *

[١٠٧] ﴿ وَأَمَّــا الَّــذِينَ ابْيَضَّــتْ وُجُــوهُهُمْ فَفِــي رَحْمَــةِ اللَّــهِ هُــمْ فِيهَــا خَالِدُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمُنتخَب لهذه الآية:

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3000).

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (22205).

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (22237).

واخرجــه الإِمَــامْ (الترمــذي) في (الســـنن) بـــرقم (3000)- (كتـــاب: تفســـير القرآن).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (ظلال الجنة) برقم (904)

(4) أَيْ: أَصْحَابُ هَذِهِ الرُّءُوسِ كِلَابُ النَّارِ. تحفة الأحوذي - (ج 7 / ص 320).

(5) أديم السماء: ما يظهر من السماء.

(6) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (22205).

(7) اخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم(17).

(8) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3000)..

(9) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (22205).

(10) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3000).

(11) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (22205).

(12) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (22237).

(13) اخرجــه الإِمَــامْ (الترمــذي) في (الســنن) بــرقم (226/5)، (ح 3000) – (كتاب: التفسير)./ باب: (سورة آل عمران)،

قــال: الإِمَــامْ (أبــو عيســى): هــذا (حــديث حســن) و(أبــو غالــب)، يقــال: اسمــه حزور و (أبو أمامة الباهلي) اسمه (صدي بن عجلان)، وهو (سيد باهلة).

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي)،

وعــزاه الإِمَــامْ (الهيثمــي للطبرانــي)، وقــال: رجالــه ثقــات (مجمــع الزوائــد) بــرقم (234/6)،

وأخرجــه الإِمَــامْ (الحــاكم) و(صــححه) ووافقــه الإِمَــامْ (الــذهبى) في (المســتدرك) برقم (2/149-150)،

وذكــره الإِمَــامْ (ابــن كــثير).، وقــال: وهــذا الحــديث أقــل أقســامه أن يكــون موقوفــاً من كلام الصحابي (التفسير 346/1).

ذكــره و نقلــه الشــيخ: (أ. الــدكتور: (حكمــت بــن بشــير بــن ياســين) في (موســوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (449/1)، الطبعة: الأولى،

وأما الذين ابيضت وجوههم فمقامهم في جنات النعيم، خالدين فيها أبداً، في نعيم لا يزول ولا يحول. (1)

* * *

يَعْنِي:- وأما الذين ابيضَّتْ وجوههم بنضرة النعيم، وما بُشِّروا به من الخير، فهم في جنة الله ونعيمها، وهم باقون فيها، لا يخرجون منها أبداً. (2)

* * *

يَعْنِي:- وأما الذين ابيضت وجوههم سروراً بما بشروا به من الخير، ففى الجنة التى رحمهم الله بها هم فيها خالدون. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ} ... ففى نعمته، وهو الثواب المخلد.

{هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ... فى موقع الاستئناف، كأنه، قيل: كيف يكونون فيها؟ فقيل: هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون. (4)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تَفْسِيرُ القُرآنِ العَظيمِ):- {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} يَعْنِي: الْجَنَّةَ، مَاكِثُونَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.

وَقَدْ قَالَ: (أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ) عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ رَبِيعٍ -وَهُوَ ابْنُ صَبِيحٍ -وحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي غَالِبٍ قَالَ: رَأَى أَبُو أُمَامَةَ رُءُوسًا مَنْصُوبَةً عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ،

فَقَالَ: (أَبُو أُمَامَةَ): كِلَابُ النَّارِ، شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ،

ثُمَّ قَرَأَ: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. قُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قَالَ: لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا -حَتَّى عَدّ سَبعًا- مَا حَدّثتكموه.

ثُمَّ قَالَ: هَذَا (حَدِيثٌ حَسَنٌ):

وَقَدْ رَوَاهُ الإمام (ابْنُ مَاجَهْ) مِنْ حَدِيثِ (سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي غَالِبٍ)،

وَأَخْرَجَهُ الإمام (أَحْمَدُ) فِي (مُسْنَدِهِ)، عَنْ (عَبْدِ الرَّزَّاقِ)، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَبِي غَالِبٍ، بِنَحْوِهِ. (5) وَقَدْ رَوَى (ابْنُ مَرْدُوَيْهِ) عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ، عَنْ (أَبِي ذَرٍّ)، حَدِيثًا مُطَوَّلًا غَرِيبًا عَجِيبًا جِدًّا. (6)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (63/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (63/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (88/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (107)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(5) اخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3000).
واخرجه الإمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (176).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (107)، للإمَامُ (ابن كثير).

[١٠٨] ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

تلك الآيات المتضمنة وعد الله ووعيده نقرؤها عليك أيها النبي -ﷺ- بالصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام، وما الله يريد ظلمًا لأي أحد من العالمين، بل لا يعذب أحدًا إلا بما كسبت يده. (1)

* * *

يَعْنِي:- هذه آيات الله وبراهينه الساطعة، نتلوها ونقصُّها عليك أيها الرسول -ﷺ- بالصدق واليقين. وما الله بظالم أحدًا من خلقه، ولا بمنقص شيئًا من أعمالهم" لأنه الحاكم العدل الذي لا يجور. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإن تلك الآيات الواردة بجزاء المحسن والمسئ نتلوها عليك مشتملة على الحق والعدل، وما الله يريد ظلماً لأحد من الناس والجن. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ} ... الواردة في الوعد والوعيد.

{نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} ... ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه.

{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً} ... فيأخذ أحدا بغير جرم، أو يزيد في عقاب مجرم، أو ثواب محسن. ونكر ظُلْماً وقال:

{لِلْعالَمِينَ} ... على معنى: ما يريد شيئا من الظلم لأحد من خلقه. (4)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قَالَ الإِمَامُ (إبن كثير) -(رحمه الله)- في (تَفْسِير القُرآن العَظيم):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ} أَيْ: هَذِهِ آيَاتُ اللَّهِ وحُجَجُه وَبَيِّنَاتُهُ {نَتْلُوهَا عَلَيْكَ} يَا مُحَمَّدُ {بِالْحَقِّ} أَيْ: نَكْشفُ مَا الْأَمْرُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخرة.

{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ} أَيْ: لَيْسَ بِظَالِمٍ لَهُمْ بَلْ هُوَ الحَكَمُ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ" لِأَنَّهُ القادر عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِه" (5)

* * *

﴿ من فوائد الآيات ﴾

- متابعة أهل الكتاب في أهوائهم تقود إلى الضلال والبعد عن دين الله تعالى.
- الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة والاستمساك بهدهما أعظم وسيلة للثبات على الحق، والعصمة من الضلال والافتراق.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (63/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (63/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (88/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (108)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (108)، للإِمَامُ (ابن كثير).

• الافتراق والاختلاف الواقع في هذه الأمة في قضايا الاعتقاد فيه مشابهة لمن سبق من أهل الكتاب.

• وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" لأن به فلاح الأمة وسبب تميزها. (1)

* * *

[١٠٩] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولله تعالى وحده مُلْكُ ما في السماوات وما في الأرض، خَلْقًا وأمْرًا، وإليه تعالى مصير أمر كل خلقه فيجازي كلًّا منهم على قدر استحقاقه. (2)

* * *

يَعْنِي:- ولله ما في السموات وما في الأرض، ملكًا له وحده خلقًا وتدبيرًا، ومصير جميع الخلائق إليه وحده، فيجازي كلا على قدر استحقاقه. (3)

* * *

يَعْنِي:- ولله - وحده - ما فى السموات وما فى الأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً، وإليه مصير أمورهم، فيجازى كلاً بما يستحقه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِلَى الله ترجع الْأُمُور} يَعْنِي: عواقبها فِي الْآخِرَة. (5)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال الإمامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- وَلِهَذَا قَالَ: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ} أَيِ: الْجَمِيعُ مِلْكٌ لَهُ وَعَبِيدٌ لَهُ.

{وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ} أَيْ: هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الْحَاكِمُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (6)

* * *

قال الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} : أي: هو المالك لما في السماوات وما في الأرض، الذي خلقهم ورزقهم ويتصرف فيهم بقدره وقضائه، وفي شرعه وأمره، وإليه يرجعون يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم حسنها وسيئها. (7)

* * *

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/63). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/64). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/64)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/88)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (109)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (109)، للإمام (ابن كثير).

(7) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (109)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

[١١٠] ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

كنتم - يا أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - خير الأمم التي أخرجها الله للناس في إيمانكم وعملكم، وأنفع الناس للناس، تأمرون بالمعروف الذي: دل عليه الشرع وحسَّنه العقل، وتنهون عن المنكر الذي نهى عنه الشرع وقبَّحه العقل، وتؤمنون بالله إيمانًا جازمًا يصدقه العمل. ولو آمن أهل الكتاب من اليهود والنصارى بمحمد - صلى الله عليه وسلم - لكان ذلك خيرًا لهم في دنياهم وآخرتهم. من أهل الكتاب قليل يؤمنون بما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم -، وأكثرهم هم الخارجون عن دين الله وشريعته.(1)

* * *

يَعْنِي:- أنتم - يا أمة محمد ﷺ - خير الأمم وأنفع الناس للناس، تأمرون بالمعروف، وهو ما عُرف حسنه شرعًا وعقلا وتنهون عن المنكر، وهو ما عُرف قبحه شرعًا وعقلا وتصدقون بالله تصديقًا جازمًا يؤيده العمل. ولو آمن أهل الكتاب من اليهود والنصارى بمحمد- صلى الله عليه وسلم- وما جاءهم به من عند الله كما آمنتم، لكان خيرا لهم في الدنيا والآخرة، منهم المؤمنون المصدقون برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم- العاملون بها، وهم قليل، وأكثرهم الخارجون عن دين الله وطاعته.(2)

* * *

يَعْنِي:- أنتم - يا أمة محمد ﷺ - أفضل أمة خلقها الله لنفع الناس، ما دمتم تأمرون بالطاعات وتنهون عن المعاصى، وتؤمنون بالله إيماناً صحيحاً صادقاً، ولو صدق أهل الكتاب فى إيمانهم مثلكم لكان خيراً لهم مما هم عليه، ولكن منهم المؤمنون وأكثرهم خارجون عن حدود الإيمان وواجباته.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ} ... وُجِدْتُمْ أَفْضَلَ وَأَبْرَكَ أُمَّةٍ وُجِدَتْ عَلَى الأرض.

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ} ... أي: وجدتم خير أمة.

وقيل كنتم فى علم الله خير أمة.

{أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} ... أُظْهِرَتْ وأُبْرِزَتْ لهداية الناس وَنَفْعِهِمْ.

{أُخْرِجَتْ} ... أظهرت.

{تَأْمُرُونَ} ... كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة.

{وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} ... جعل الايمان بكل ما يجب الايمان ايمانا بالله، لأن من آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (64/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (64/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (88/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

ذلك لم يعتد بإيمانه فكأنه غير مؤمن بالله.

{وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ}... مع ايمانهم بالله.

{لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ}..... أي: لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه، لأنهم انما آثروا دينهم على دين الإسلام، حبا للرياسة واستتباع العوام، ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا، ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله، مع الفوز بما وعدوه على الايمان من إيتاء الأجر مرتين.

{مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ}... كعبد الله بن سلام وأصحابه.

{وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}... المتمردون في الكفر.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تأمرون بِالْمَعْرُوفِ} يَعْنِي: بتوحيد الله. {وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكرِ} يَعْنِي: عَن الشّرك بِاللَّه.

قَالَ: (مُحَمَّد): قَوْله: {كُنْتُم} قيل: مَعْنَاهُ: أَنْتُم.

يحيى: عَن (أبي الْأَشْهَب)، عَن (الْحسن) قَالَ: رَسُول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((أَنْتُم توفون سبعين أمة، أَنْتُم خَيرهَا وَأَكْرمهَا عَلَى اللَّه)).

{وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكتاب لَكَانَ خيرا لَهُم} يَعْنِي: عامتهم، ثُمَّ قَالَ: {مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ} يَعْنِي: من آمن مِنْهُم {وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} يَعْنِي: فسق الشّرك.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {110} {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} قَالَ: (عِكْرِمَةُ وَمُقَاتِلٌ): نَزَلَتْ فِي (ابْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ مَالِكَ بْنَ الصَّيْفِ ووهب بن يهود الْيَهُودِيَّيْنِ قَالَا لَهُمْ: نَحْنُ أَفْضَلُ مِنْكُمْ وَدِينُنَا خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَرَوَى (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} هم الَّذِينَ هَاجَرُوا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْمَدِينَةِ،

وَقَالَ: (جُوَيْبِرٌ) عَنِ (الضَّحَّاكِ): هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَاصَّةً الرُّوَاةُ وَالدُّعَاةُ الَّذِينَ أمر الله المسلمين بطاعتهم،

وقال الْآخَرُونَ: جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ،

وَقَوْلُهُ: (كُنْتُمْ) أَيْ: أَنْتُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا} {الْأَعْرَافِ: 86}

وَقَالَ: فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ} {الْأَنْفَالِ: 26}.

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ عِنْدَ اللَّهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (110)، للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

وقـال: (قـوم): قولـه (للنـاس) صِـلَةُ قَوْلِـهِ: (خَيْرَ أُمَّةٍ) أَيْ: أنتم خير أمة للنَّاس.

قَـالَ: (أَبُـو هُرَيْـرَةَ) مَعْنَـاهُ: كنـتم خيـر النـاس للنــاس، تَجِيئُـونَ بِهِـمْ فِـي السَّلَاسِـلِ فَتُـدْخِلُونَهُمْ في الإسلام،

يَعْنِـي:- للنَّــاس صِـلَةُ قَوْلِـهِ (أُخْرِجَـتْ) مَعْنَـاهُ: مَـا أَخْـرَجَ اللَّـهُ للنَّــاس أُمَّـةً خَيْـرًا مِـنْ أُمَّـةِ مُحَمَّـدٍ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-. قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {تَــأْمُرُونَ بِـــالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـــوْنَ عَـــنِ الْمُنْكَـــرِ وَتُؤْمِنُـــونَ بِاللَّـــهِ وَلَـــوْ آمَـــنَ أَهْـــلُ الْكِتَـــابِ لَكَـــانَ خَيْـــرًا لَهُـــمْ مِـــنْهُمُ الْمُؤْمِنُـــونَ وَأَكْثَـــرُهُمُ الْفَاسِـــــقُونَ} [آل عمـــــران: 110] أي: الكافرون. (1)

* * *

قـال: الإمـام (الترمـذي) - (رحمـه الله) - في (سُـننه) - (بسـنده):- حـدثنا عبـد بـن حميـد، حـدثنا عبـد الـرزاق، عـن معمـر، عـن بهـز ابـن حكـيم، عـن أبيـه، عـن جـده أنـه سمـع الـنبي - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - يقـول في قولـه: {كُنْـتُمْ خَيْـرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَـتْ لِلنَّـاسِ} قـال: ((إنكـم تُتمُّـون سـبعين أمة أنتم خيرُها وأكرمها على الله)).

هـذا (حـديث حسـن). وقـد روى غـير واحـد هـذا الحـديث عـن (بهـز بـن حكـيم) نحـو هـذا ولم يـذكروا فيـه {كُنْـتُمْ خَيْـرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَـتْ لِلنَّاسِ}. (2)

* * *

قـال: الإمَـامْ (أحمـد بـن حنبـل) - (رحمـه الله) - في (المسـند) - (بسـنده):- حـدثنا حسـين وأبـو نعـيم قـالا: حـدثنا إسـرائيل عـن سمـاك عـن (سـعيد ابـن جـبير) عـن (ابـن عبـاس) في قولـه عـز وجـل: (كنـتم خـير أمـة أخرجـت للنـاس تـأمرون بـالمعروف وتنهـون عـن المنكـر) قـال: هـم الـذين هـاجروا مـع محمـد - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - إلى المدينـة، قـال: (أبـو نعـيم): مـع الـنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. (3)

* * *

قـال: الإمَـامْ (أحمـد بـن حنبـل) - (رحمـه الله) - في (المسـند) - (بسـنده):- حـدثنا عبـد الـرحمن حـدثنا زهـير عـن عبـد الله -يعـني ابـن محمـد بـن عقيـل- عـن محمـد بـن علـي أنـه سمـع (علـي بـن أبـي طالـب) يقـول: قـال: رسـول الله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ:- ((أعطيـت مـا لم يعـط أحـد مـن الأنبيـاء)) فقلنـا: يـا رسـول الله مـا هـو؟ قـال: ((نصـرت بالرعـب، وأعطيـت

---

(1) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) لِلإِمَـامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (110).

(2) اخرجـه الإِمَـامْ (الترمـذي) في (السـنن) بـرقم (266/5)، (ح 3001)، و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي)، وأخرجـه الإِمَـامْ (الحـاكم) (84/4) مـن طريـق -: (عبـد الـرزاق عـن معمـر بـه)، وقال: (صحيح الإسناد) ولم يخرجاه ووافقه الإِمَامْ (الذهبي). وقـال: الإِمَـامْ (ابـن حجـر العسـقلاني): وهـذا (حـديث حسـن صـحيح) في (الفـتح الباري) برقم (73/8).

وقـال: الإِمَـامْ (ابـن كـثير).. حـديث مشـهور (التفسـير 78/2 ط الشـعب)، ويشـهد له حديث الإِمَامْ (أحمد) -عن (علي بن أبي طالب) كما سيأتي عند هذه الآية.

وذكـره و نقلـه الشـيخ: (أ. الـدكتور: (حكمـت بـن بشـير بـن ياسـين) في (موسـوعة الصـحيح المسـبور مـن التفسـير بالمـأثور) (آل عمـرآن) الآيـة (110)، بـرقم (ص450/1)، الطبعة: الأولى،

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (2463).

وأخرجـه أيضـاً بـرقم (2989، 2928، 3321) - مـن طـرق-: عـن (إسـرائيل) به، و(صححه) الشيخ (أحمد شاكر).

واخرجـه الإِمَـامْ (الحـاكم) في (المسـتدرك) بـرقم (294/2)، وقـال: (صـحيح على شرط مسلم) ولم يخرجاه، ووافقه الإِمَامْ (الذهبي).

وجَـوّدا الإِمَـامْ (لحـافظ ابـن حجـر) (إسـناد روايـتي الإِمَـامْ (أحمـد والحـاكم) في (فتح الباري) برقم (225/8).

وعـزاه الإِمَـامْ (الهيثمـي لأحمـد والطبرانـي)، وقـال: ورجـال الإِمَـامْ (أحمـد) (رجال الصحيح) في (مجمع الزوائد) برقم (327/6).

نقلـه الشـيخ: (أ. الـدكتور: (حكمـت بـن بشـير بـن ياسـين) في (موسـوعة الصـحيح المسـبور مـن التفسـير بالمـأثور) (آل عمـرآن) الآيـة (110)، بـرقم (ص1/ 450)، الطبعة: الأولى،

مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لي طهوراً، جعلت أمتي خير الأمم)).(1)

* * *

وقال: الإمَامْ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُنَنِه) - (بسنده):- عَنْ (مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} قَالَ: " إِنَّكُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً , أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى "(2),(3)

* * *

قال: الإمَامْ (أحمد بن حنبل) - (رحمه الله) - في (المسند) - (بسنده):- وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} , قَالَ: هُمْ الَّذِينَ هَاجَرُوا مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ.(4)

* * *

وقال: الإمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} , قَالَ: خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ, تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ.(5)

* * *

قال: الإمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- (أخبار أصبهان) , وَعَنْ (أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: (" اسْتَضْحَكَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَوْمًا " , فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَضْحَكَكَ؟)(6) قَالَ: " عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ)(7) (يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ مُقَرَّنِينَ فِي السَّلَاسِلِ)(7) (مَا أَكْرَهَهَا إِلَيْهِمْ " , فَقُلْنَا:)(8) فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ , قَالَ: " قَوْمٌ

---

(1) أخرجه الإمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (763)، و(صححه) المحقق.
وقال: الإمام (ابن كثير): في (تفسيره): (إسناده حسن) في (التفسير) برقم (78/2).
و(حسّنه) الإمام (الهيثمي) أيضاً (مجمع الزوائد) برقم (260/1).
و(حسنه) الإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) في (الفتح الباري) برقم (225/8).
وكذا الإمام (السيوطي) في (الدر المنثور) برقم (294/2).
ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (آل عمران) الآية (110)، برقم (1/ 450-451)، الطبعة: الأولى.
(2) قال: الحافظ الإمام (ابْنُ كَثِيرٍ): يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِأَنَّهُمْ خَيْرُ الْأُمَمِ , وَأَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ، وإنَّمَا حَازَتْ هَذِه الْأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - فَإِنَّهُ أَشْرَفُ خَلْقِ اللهِ , وَأَكْرَمُ الرُّسُلِ عَلَى اللهِ, وَبَعَثَهُ اللهُ بِشَرْعٍ كَامِلٍ عَظِيمٍ , لَمْ يُعْطَهُ نَبِيٌّ قَبْلَهُ , وَلَا رَسُولٌ مِنَ الرُّسُلِ , فَالْعَمَلُ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَسَبِيلِهِ , يَقُومُ الْقَلِيلُ مِنْهُ مَا لَا يَقُومُ الْعَمَلُ الْكَثِيرُ مِنْ أَعْمَالِ غَيْرِهِ مَقَامَهُ. تحفة الأحوذي - (ج 7 / ص 321).
(3) أخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3001).
واخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4288).
و(حسنه) الإمام (الألباني) في (هداية الرواة) رقم (6249).
(4) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (3321).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده حسن).
(5) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4281).
واخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11071).
(6) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (22257).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (صحيح لغيره).
(7) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (22202).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (صحيح لغيره).
(8) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (22257).
واخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2848).
واخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2677).
واخرجه الإمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (134).

مِنَ الْعَجَمِ ، يَسْبِيهِمُ الْمُهَاجِرُونَ ، فَيُدْخِلُونَهُمُ الْإِسْلَامَ")(1)

* * *

قال: الإمام (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا محمد بن مصعب، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن (عطاء بن يسار) عن (رفاعة الجهني)" قال: صدرنا مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقال: ((والذي نفس محمد بيده! ما من عبد يؤمن ثم يُسَدد إلا سُلك به في الجنة. وأرجو ألاّ يدخلوها حتى تبوَّؤا أنتم ومَن صَلَحَ من ذراريكم، مَسَاكنَ في الجنة. ولقد وعدني ربي، عز وجل، أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب)).(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - و الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: تأمرونهم بالمعروف: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلونهم عليه، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف وتنهونهم عن المنكر والمنكر هو التكذيب، وهو أنكر المنكر.(3)(4)

* * *

قال: الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): قوله: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} قال: لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة، فمن ثم قال: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): {مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} ذم الله أكثر الناس.(6)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِأَنَّهُمْ خَيْرُ الْأُمَمِ فَقَالَ: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}.

---

(1) رواه (أبو نعيم) في " أخبار أصبهان " (2/ 298).
انظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) رقم (2874).

(2) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4/1432-1433)، (ح 4285) – (كتاب: الزهد)، / باب: (صفة أمة محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)،
وأخرجه الإمام (النسائي) في (عمل اليوم والليلة) برقم (475)،
وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (1/444)، (ح 212) - من طرق -: عن (الأوزاعي) به.
وعزاه الإمام (الهيثمي إلى الطبراني والبزار) وقال: ورجال بعضها عند الإمام (الطبراني والبزار) (رجال الصحيح) في (مجمع الزوائد) برقم (10/408)،
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن ابن ماجة) برقم (3458).
وقال: الشيخ (الأرناؤوط) في تعليقه على الإحسان: (إسناده صحيح على شرط البخاري).
وأخرجه الإمام (أحمد) من حديث (ثوبان) بنحوه،
و(صححه) الإمام (ابن كثير). في (التفسير 2/79).
وله شاهد في (صحيح) الإمام (مسلم) من حديث (ابن عباس) في (الصحيح) برقم (1/199)، (ح 220).
ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (1/ 451)، الطبعة: الأولى،

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (110).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (110).

(5) كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمران) الآية (110). برقم (ص/1 451)،

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (110).

قَالَ: الإِمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَيْسَرَة، عَنْ أَبِي حَازِم، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ): {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} قَالَ: خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ، تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ (1).

وَهَكَذَا قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، و(مُجَاهِد)، و(عِكْرِمَة)، و(عَطَاء)، وَ(الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ)، وَ(عَطِيَّةُ الْعَوْفِيّ): {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} يَعْنِي: خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ" وَلِهَذَا قَالَ: {تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْأُمَّةِ، كُلُّ قَرْنٍ بِحَسْبِهِ، وَخَيْرُ قُرُونِهِمُ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ (2) رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} أَيْ: خِيَارًا {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرسول- عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} الْآيَةَ.

وَفِي (مُسْنَدِ) الْإِمَامِ (أَحْمَدَ)، و(جَامِعِ) الإمام (التِّرْمِذِيِّ)، و(سُنَنِ) الإمام (ابْنِ مَاجَهْ)، و(مُسْتَدْرَكِ) الإمام (الْحَاكِمِ)، مِنْ رِوَايَةِ (حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ)، عَنْ (أَبِيهِ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا، وأَنْتُم أَكْرَمُ عَلَى الله عزَّ وجَلَّ)) (3).

وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ، وَقَدْ (حَسَّنه) الإمام (التِّرْمِذِيُّ). وَيُرْوَى مِنْ حَدِيث (مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ)، و(أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ) نَحْوَهُ.

وَإِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِنَّهُ أَشْرفُ خَلْقِ اللَّهِ أَكْرَمُ الرُّسُلِ عَلَى اللَّهِ، وَبَعَثَهُ اللَّهُ بِشَرْعٍ كَامِلٍ عَظِيمٍ لَمْ يُعْطِهِ نَبِيًّا قَبْلَهُ وَلَا رَسُولًا مِنَ الرُّسُلِ. فَالْعَمَلُ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَسَبِيلِهِ، يَقُومُ القليلُ مِنْهُ مَا لَا يَقُومُ العملُ الكثيرُ مِنْ أَعْمَالِ غَيْرِهِمْ مَقَامَهُ،

كَمَا قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا ابْنُ زُهَيرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ -يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَهُوَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ، أَنَّهُ سَمِعَ (عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:"أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الأنبياء". فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هُوَ؟ قَالَ: " نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُورًا، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الأمَمِ" (4).

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4557) – (كتاب: تفسير القرآن).

(2) في أ: "الذي بعث فيه".

(3) (حسن): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (447/4).

وأخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3001) - (كتاب: تفسير القرآن).

وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4287).

وأخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (84/4).

وقال: الإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) في (فتح الباري) برقم (225/8): وهو حديث (حسن صحيح).

والحديث (حسنه) الإمام (الألباني) في (صحيح الترمذي).

(4) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (98/1).

تَفَرَّدَ بِهِ الإمام (أَحْمَدُ) مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَ(إِسْنَادُهُ حَسَنٌ).(1)

* * *

[١١١] ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَ أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومهما كان منهم من عداوة فلن يضروكم أيها المؤمنون - في دينكم ولا في أنفسكم إلا أذى بألسنتهم، من الطعن في الدين، والاستهزاء بكم ونحو ذلك، وإن قاتلوكم يَفِرُّوا منهزمين أمامكم، ولا يُنْصَرون عليكم أبداً.(2)

* * *

يَعْنِي:- لن يضركم هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب إلا ما يؤذي أسماعكم من ألفاظ الشرك والكفر وغير ذلك، وإن يقاتلوكم يُهْزَموا، ويهربوا مولِّين الأدبار، ثم لا ينصرون عليكم بأي حال.(3)

* * *

يَعْنِي:- لن يضركم هؤلاء الفاسقون بضرر ينالونكم به، ويكون له أثر فيكم، إلا أذى لا يبقى له أثر مثل ما يؤذى أسماعكم من ألفاظ الشرك والكفر وغير ذلك، وإن يُقاتلوكم ينهزموا فارين من لقائكم، ثم لا تكون لهم نصرة عليكم ما دمتم متمسكين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَ أَذىً} ... إلا ضرارا مقتصرا على أذى بقول من طعن فى الدين أو تهديد أو نحو ذلك.

{أَذَىً} ... الأَذَى: الضَّرَرُ الْيَسِيرُ.

{يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ} ... يَنْهَزِمُونَ وَيَفِرُّونَ من المعركة.

{وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ} ... منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر.

{ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ} ... ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَ أَذًى} [آل عمران: 11]. قَالَ: (مُقَاتِلٌ): إِنَّ رُؤُوس الْيَهُود عَمَدُوا إِلَى مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ وَأَصْحَابِهِ، فآذوهم فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء الجهود إلا أذى باللسان وعيداً وطغياناً،

وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) رقم (260/1): فيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهو سيئ الحفظ. وقال: الإمام (الترمذي): صدوق وقد تكلم فيه بعض العلماء من قبل حفظه، وسمعت محمد البخاري يقول: كان الإمام (أحمد بن حنبل) و(إسحاق) و(الحميدي) يحتجون بحديث ابن عقيل. قلت: فالحديث (حسن).

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (3939).

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (110)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (64/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (64/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (88/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

يَعْنِي:- كَلِمَةُ كُفْرٍ تَتَأَذَّوْنَ بِهَا {وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ} منهزمين، {ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ} بل يكون لكم النصر.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {لَن يضروكم إِلَّا أذى} بالألسنة. {وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ}.(2)

* * *

قوله تعالى: {لن يضروكم إلا أذى}.

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (لن يضروكم إلا أذى) يقول: لن يضروكم، إلا أذى تسمعونه منهم.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تَفْسِير القُرآن العَظيم):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: مُخْبِرًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ومُبشِّرًا لَهُمْ أَنَّ النَّصْرَ والظَّفَرَ لَهُمْ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ الْكَفَرَةِ الْمُلْحِدِينَ، فَقَالَ: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} وَهَكَذَا وَقَعَ، فَإِنَّهُمْ يَوْمَ خَيْبَرَ أَذَلَّهُمُ اللَّهُ وأرْغَمَ آنَافَهُمْ وَكَذَلِكَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ بَنِي قَيْنُقَاعَ وَبَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي قُرَيْظَةَ كُلُّهُمْ أَذَلَّهُمُ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ النَّصَارَى بِالشَّامِ كَسَرهم الصَّحَابَةُ فِي غَيْرِ مَا مَوْطِنٍ، وسَلبوهم مُلْكَ الشَّامِ أَبَدَ الْآبِدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ، وَلَا تَزَالُ عِصَابَةُ الإسلام قَائِمَةً بِالشَّامِ حَتَّى يَنزل (عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) -عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُمْ كَذَلِكَ، وَيَحْكُمُ، عَلَيْهِ السَّلامُ بِشَرْعِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الجزْيةَ، وَلَا يَقْبَلُ إِلا الْإِسْلَامَ.(4)

* * *

[١١٢] ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

جُعِل الهوان والصَّغار محيطًا باليهود مشتملًا عليهم أينما وُجِدوا، فلا يَأمَنون إلا بعهد أو أمن من الله تعالى أو من الناس، ورجعوا بغضب من الله، وجُعِلت عليهم الحاجة والفاقة محيطة بهم، ذلك الذي جُعل عليهم بسبب كفرهم بآيات الله، وقتْلهم لأنبيائه ظلمًا، وذلك - أيضًا - بسبب عصيانهم وتجاوزهم لحدود الله. ولَمَّا بيَّن الله حال غالب أهل الكتاب، بيَّن حال طائفة منهم مستقيمة على الحق قائمة به.(5)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (111).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (111)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (111).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (110)، للإمَام (ابن كثير).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (64/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

يَعْنِـي:- جعل الله الهوان والصغار أمرًا لازمًا لا يفارق اليهود، فهم أذلاء محتقرون أينما وُجِدوا، إلا بعهد من الله وعهد من الناس يأمنون به على أنفسهم وأموالهم، وذلك هو عقد الذمة لهم وإلزامهم أحكام الإسلام، ورجعوا بغضب من الله مستحقين له، وضُربت عليهم الذلَّة والمسكنة، فلا ترى اليهوديَّ إلا وعليه الخوف والرعب من أهل الإيمان" ذلك الذي جعله الله عليهم بسبب كفرهم بالله، وتجاوزهم حدوده، وقَتْلهم الأنبياء ظلمًا واعتداء، وما جرَّأهم على هذا إلا ارتكابهم للمعاصي، وتجاوزهم حدود الله. (1)

* * *

يَعْنِـي:- وأخبر - سبحانه - بأنه ألزمهم المهانة في أي مكان وجدوا فيه، إلا بعقد الذمة الذى هو عهد الله وعهد المسلمين، وأنهم استوجبوا غضب الله وألزمهم الاستكانة والخضوع لغيرهم، وذلك بسبب كفرهم بآيات الله الدالة على نبوة محمد، وقتلهم الأنبياء الذى لا يمكن أن يكون بحق، بل هو عصيان منهم واعتداء. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{ضُـرِبَتْ عَلَـيْهِمُ الذِّلَّـةُ} ... أَحَاطَـتْ بِهِمِ المذلة وَلَصِقَتْ بهم حتى لا تُفَارِقَهُمْ.

والمراد بالذلة: قتلُهم، وغنيمةُ أموالهم وَضَرْبُ الجزية عليهم.

{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ} ... يعنى اليهود.

{أَيْنَ ما ثُقِفُوا} ... أين ما وجدوا.

{أَيْنَ مَا ثُقِفُوا} ... حَيْثُمَا وُجِدُوا.

{ثُقِفُوا} ... وُجِدُوا.

{إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللهِ} ... إلا بعهدٍ من الله وهو أن يُسَلِّمُوا فتزولَ عنهم الذلةُ

{بِحَبْلٍ} ... بِعَهْدٍ.

{إِلاَ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ} ... في محل النصب على الحال، والتقدير: الا معتصمين متمسكين أو متلبسين بحبل من الله، وهو استثناء من أعم عام الحال. والمعنى: ضربت عليهم الذلة فى عامة الأحوال الا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس، يعنى ذمة الله وذمة المسلمين، أي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة. وهى التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية.

{وَبَاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} ... أي: استوجبوه.

{وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ} ... كما يضرب البيت على أهله، فهم ساكنون فى المسكنة غير ظاعنين عنها.

ذلك اشارة الى ما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله، أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء.

{ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا} ... أي: ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم أن الكفر وحده ليس بسبب فى استحقاق سخط الله، وأن سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (64/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (88/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ} ... أي: وَعَهْدٌ من المؤمنين يُزِيلُ الجزيةَ.

{وَبَآؤُوا} ... رجعوا.

{الْمَسْكَنَةُ} ... فَقْرُ النَّفْس، وَشُحُّهَا.

{الْمَسْكَنَةُ} ... كما يُضْرَبُ البيتُ عَلَى أهله فَهُمْ سَاكِنُونَ في المسكنة غيرَ خارجين منها، والمسكنةُ: قيل: هي الجزية، يَعْنِي:- التَّظَاهُرُ بالفقرِ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: (إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ) قال: بعهد (وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ) قال: بعهدهم. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: {ضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ} يقول: إلا بعهد من الله وعهد من الناس. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): قوله: {وَضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الْمَسْكَنَةُ} قال: المسكنة: الفاقة. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): {ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} اجتنبوا المعصية والعدوان فإن بهما هلك من هلك من قبلكم من الناس. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {ضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا} [آل عمران: 112] حَيْثُ مَا وُجِدُوا {إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ} يَعْنِي: أَيْنَمَا وُجِدُوا اسْتُضْعِفُوا وَقُتِلُوا أو سبوا فلا يأمنون إلا بحبل: عَهْدٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنْ يسلموا، {وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ} من الْمُؤْمِنِينَ بِبَذْلِ جِزْيَةٍ أَوْ أَمَانٍ، يعني: إلا أن يعصموا بحبل الله فَيَأْمَنُوا، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} رَجَعُوا بِهِ {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [آل عمران: 112]. (5)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {ضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ} أَيْ: أَلْزَمَهُمُ اللَّهُ الذِّلَّةَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (112).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (112).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (112).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (112).

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (112).

والصَّغَار أَيْنَمَا كَانُوا فَلَا يَأْمَنُونَ {إلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ} أَيْ: بِذِمَّةٍ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ عَقْدُ الذِّمَّةِ لَهُمْ وضَرْبُ الْجِزْيَةِ عَلَيهِمْ، وَإِلْزَامُهُمْ أَحْكَامَ الْمِلَّةِ {وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ} أَيْ: أَمَانٌ مِنْهُمْ وَلَهُمْ، كَمَا فِي الْمُهَادَنِ والمعاهَدِ وَالْأَسِيرِ إِذَا أَمَّنَه وَاحِدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَوِ امْرَأَةً، وكَذَا عَبْد، عَلَى أحد قَوْلَي الْعُلَمَاءِ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس): {إلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ} أَيْ: بِعَهْدٍ مِنَ اللَّهِ وَعَهْدٍ مِنَ النَّاسِ،

وَ هَكَذَا قَالَ: (مُجاهِد، وعِكْرِمَة، وعطَاء، والضَّحَّاك، وَالْحَسَنْ، وقَتَادَة، والسُّدِّي، والرَّبِيع بْنُ أَنَس).

وَقَوْلُهُ: {وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} أَيْ: أُلزموا فَالتَزَمُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَهُمْ يَسْتَحِقُّونَهُ {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ} أَيْ: أُلزِموها قَدرًا وشَرعًا.

ولِهَذَا قَالَ: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} أَيْ: وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْكِبْرُ وَالْبَغْيُ وَالْحَسَدُ، فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ الذِّلَّةَ والصَّغَارَ وَالْمَسْكَنَةَ أَبدًا، مُتَّصِلًا بِذِلَّةِ الْآخِرَةِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} أَيْ: إِنَّمَا حَمَلَهُم عَلَى الْكُفْرِ بِآيَاتِ اللَّهِ وقَتْل رُسل اللَّه وقُيِّضوا لِذَلك أَنَّهُمْ كَانُوا يُكْثِرُونَ الْعِصْيَانَ لِأَوَامِرِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَالْغَشَيَانَ لِمَعَاصِي اللَّهِ، وَالِاعْتِدَاءَ فِي شَرْعِ اللَّه، فَعِيَاذًا بِاللَّه مِنْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

قَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِم): حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ الْأَزْدِيِّ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَقْتُلُ فِي الْيَوْمِ ثَلَاثَمِائَةِ نَبِيٍّ، ثُمَّ يَقُومُ سُوق بَقْلهم في آخر النهار. (1)

* * *

[١١٣] ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

ليس أهل الكتاب متساوين في حالهم، بل منهم طائفة مستقيمة على دين الله، قائمة بأمر الله ونهيه، يقرؤون آيات الله في ساعات الليل وهم يُصَلُّون لله، كانت هذه الفئة قبل بعثة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -، ومن أدرك منهم هذه البعثة أسلم. (2)

* * *

يَعْنِي:- ليس أهل الكتاب متساوين: فمنهم جماعة مستقيمة على أمر الله مؤمنة برسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-، يقومون الليل مرتلين آيات القرآن الكريم، مقبلين على مناجاة الله في صلواتهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإن أهل الكتاب ليسوا متساوين، فإن منهم جماعة مستقيمة عادلة يقرءون كتاب الله فى ساعات الليل وهم يصلون. (4)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (112)، للإمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (64/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (64/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1)، المؤلف: (لجنة ن علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَيْسُوا سَوَاءً} ... غَيْرُ مُتَسَاوِينَ.

{لَيْسُوا} ... الضمير لأهل الكتاب. أي ليس أهل الكتاب مستوين.

{مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} ...كلام مستأنف لبيان قوله لَيْسُوا سَوَاءً.

{أُمَّةٌ قَائِمَةٌ} ... جماعة قائمة ثابتة عَلَى الإيمانِ والعمل الصالح.

{أُمَّةٌ قَائِمَةٌ} ... مستقيمة عادلة، وهم الذين أسلموا منهم.

{يَتْلُونَ} ... في محل رفع صفة لقوله أُمَّةٌ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قَال: الإمَامُ (الطبري) – و الإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما) الحسن) – عن (محمد بن إسحاق) – (بسنده) – عن (ابن عباس): قال: لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من اليهود معهم، فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ورسخوا فيه، قالت أحبار اليهود وأهل الكفار منهم: ما آمن بمحمد ولاتبعه إلا أشرارنا! ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم {ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله} إلى قوله: {وأولئك من الصالحين} ,
(1)(2)
واللفظ للإمام (الطبري).

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (113).

* * *

قَال: الإمَامُ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): (أمة قائمة) قال: عادلة. (3)

* * *

قَال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): في قوله: (أمة قائمة) يقول: قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه. (4)

* * *

قَال: الإمَامُ (النسائي) - (رحمه الله) - في (سُننِه) - (بسنده):- أنا محمد بن رافع، نا أبو النضر، نا أبو معاوية، عن عاصم، عن زرّ، عن (ابن مسعود) قال: أخّر رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ليلة صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: ((أما إنه ليس من هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم)).

قال: وأنزلت هذه الآية {ليسوا سواء من أهل الكتاب} حتى بلغ {والله عليم بالمتقين}. (5)

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (113).

(3) كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمرآن) الآية (113)، الطبعة: الأولى.

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (113).

(5) اخرجه الإمَامُ (النسائي) في (التفسير) برقم (1/320-321)، (ح 93) عند تفسير هذه الآية من (آل عمران).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد) في (المسند) برقم (1/396)،
وأخرجه الإمَامُ (الطبري) في (التفسير) برقم (7662)،
واخرجه الإمَامُ (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) - (آل عمران) برقم (ح 1226)،
واخرجه الإمَامُ (البزار) في (كشف الأستار) برقم (ح 375)،

* * *

قال: الإمامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): (يتلون آيات الله آناء الليل) أي: ساعات الليل.(1)

* * *

قال: الإمامُ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (المُسند): وعَنْ (ابْنِ مَسْعُود) - رضي الله عنه - قَالَ: " أَخَّرَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - صَلَاةَ الْعِشَاءِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ " , فَإِذَا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ , فَقَالَ: " أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ أَحَدٌ يَذْكُرُ اللهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ " , فَأَنْزَلَ اللهُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ: {لَيْسُوا سَوَاءً , مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ(2) وَهُمْ يَسْجُدُونَ} , حَتَّى بَلَغَ: {وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ , وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {113} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ}

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَ(مُقَاتِلٌ): لَمَّا آمَنَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ) وَأَصْحَابُهُ، قَالَتْ أَحْبَارُ الْيَهُودِ: مَا آمَنَ بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا شِرَارُنَا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا تَرَكُوا دِينَ آبَائِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ،

وَاخْتَلَفُوا فِي وَجْهِهَا فَقَالَ قَوْمٌ: فِيهِ اخْتِصَارٌ تَقْدِيرُهُ: لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ وَأُخْرَى غَيْرُ قَائِمَةٍ، فَتَرَكَ الْأُخْرَى اكْتِفَاءً بِذِكْرِ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ،

وَقَالَ: (الْآخَرُونَ): تَمَامُ الْكَلَامِ عِنْدَ قَوْلِهِ (لَيْسُوا سَوَاءً) وَهُوَ وَقْفٌ لِأَنَّهُ قَدْ جَرَى ذِكْرُ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} ثُمَّ قَالَ: (لَيْسُوا سَوَاءً) يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ وَالْفَاسِقِينَ، ثُمَّ وَصَفَ الْفَاسِقِينَ،

فَقَالَ: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى} وَوَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ (أُمَّةٌ قَائِمَةٌ).

يَعْنِي:- قَوْلُهُ (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) ابْتِدَاءُ كَلَامٍ آخَرَ، لِأَنَّ ذِكْرَ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ جَرَى، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ هَذَانِ الْفَرِيقَانِ سَوَاءً، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ،

قَالَ: (ابْنُ مسعود) - رضي الله عنه: لَا يَسْتَوِي الْيَهُودُ وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْقَائِمَةُ بِأَمْرِ اللَّهِ الثَّابِتَةُ عَلَى الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمَةُ،

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (أُمَّةٌ قَائِمَةٌ)

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): أَيْ مُهْتَدِيَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّعُوهُ وَلَمْ يَتْرُكُوهُ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): عَادِلَةٌ.

واخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (4/397-398)، (ح 1530). - من طرق- : عن (عاصم عن زر به).

وقال: الإِمَامْ (الهيثمي): رجال الإِمَامْ (أحمد) ثقات ليس فيهم غير عاصم بن أبي النجود، وهو مختلف في الاحتجاج به (مجمع الزوائد 1/312).

وقال: الإِمَامْ (السيوطي) (إسناده حسَّن) في (الدر المنثور) برقم (2/65) وكذا فعل محقق الإحسان، وتفسير الإِمَامْ (النسائي).

و(صححه) محقق: (المسند)، ولعله إلى الحسن أقرب لأجل عاصم هذا.

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (1/453-454)، الطبعة: الأولى،

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (113).

(2) الآناء: الساعات.

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (3760).

(حسنه) الإمام (الألباني) في (الثمر المستطاب): (ج1/ ص73).

وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط) (إسناد حسن).

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): مُطِيعَةٌ قَائِمَةٌ على كِتَاب الله وحده.

يَعْنِي:- قَائِمَةً فِي الصَّلَاةِ.

وقيل: الْأُمَّةُ الطَّرِيقَةُ. وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَيْ ذوو أمة، أي: ذوو طَرِيقَة مُسْتَقِيمَة.

{يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ} يقرؤون كِتَابَ اللَّه،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): يَتَّبِعُونَ،

{آنَاءَ اللَّيْلِ} ساعاته،

{وَهُمْ يَسْجُدُونَ} أَيْ: يُصَلُّونَ. لِأَنَّ التِّلَاوَةَ لَا تَكُونُ فِي السُّجُود، ! وَاخْتَلَفُوا فِي معناها، فقال بعضهم: هي قِيَام اللَّيْل،

وَقَالَ: (ابْنُ مَسْعُود) صَلَاةُ الْعَتَمَةِ يُصَلُّونَهَا وَلَا يُصَلِّيهَا مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَاب. (1)

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزُول ﴾

قال: الشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادي الوادعِيُّ) - (رحمه الله) - في (الصحيح المسند من أسباب النزول):

قوله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} {آل عمران: 113}.

قال: الإمام (أحمد) (رحمه الله) (ج1/ ص396) حدثنا أبو النضر وحسن بن موسى قالا: حدثنا شيبان عن عاصم عن زر عن (ابن مسعود) قال: أخر رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة قال: "أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم". قال: وأنزل الله هؤلاء الآيات {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} حتى بلغ {وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}. (2) (3)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَالَ: (ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ): زَعَمَ الْحَسَنُ بْنُ يَزِيدَ العِجْلِيّ، عَنِ (ابْنِ مَسْعُود) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ} قَالَ: لَا يَسْتَوِي أَهْلُ الْكِتَاب وأمَّة مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

وَهَكَذَا قَالَ: (السُّدِّي)، وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْقَوْلَ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ (أحمد بْنُ حَنْبَلٍ) فِي (مُسْنَده). حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْر وحَسَنُ بْنُ مُوسَى قَالَا حَدَّثَنَا شَيْبان، عَنْ عَاصِم، عَنْ زِرّ، عَنِ (ابْنِ مَسْعُود) قَالَ: أَخَّرَ رسولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَاةَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (113).

(2) الحديث حسن كما قال: الإمام (الشوكاني) رقم (ج1/ ص385) نقلا عن السيوطي لأن عاصما في حفظه شيء.

وقال: الإمام (الهيثمي) في (مجمع الزوائد) (ج1/ ص312)، رجال الإمام (أحمد) ثقات ليس فيهم غير (عاصم بن أبي النجود) وهو مختلف في الاحتجاج.

وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) كما في م(وارد الظمآن) (ص91)، والإمام (ابن جرير) رقم (ج4 /ص55). و(أبو نعيم) في (الحلية) (ج4 ص187). وأ الإمام (بو يعلى) كما في (المقصد العلي) (ج1 / ص276).

هذا وقد ورد للآية سبب آخر ففي (مجمع الزوائد) رقم (ج6 /ص732) عن (ابن عباس) رضي الله عنهما، قال: لما أسلم (عبد الله بن سلام) و(ثعلبة بن سعية) و(أسد بن عبيد) ومن أسلم من يهود فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام قالت أحبار يهود أهل الكفر: ما آمن بمحمد وتبعه إلا شرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله: {لَيْسُوا سَوَاءً} إلى قوله تعالى: {مِنَ الصَّالِحِينَ} رواه الإمام (الطبراني) ورجاله ثقات.

واختار الإمام (أبو جعفر بن جرير) (ج7 / ص29) الأول حيث قال بعد ذكره جملة من الأقوال غير أن الأولى بتأويل الآية قول من قال عني بذلك - تلاوة القرآن في صلاة العشاء لأنها صلاة لا يصليها أحد من أهل الكتاب فوصف الله أمة محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب: الذين كفروا بالله ورسوله.

وأقول لا مانع من نزول الآية في الجميع أو أنه تعدد سبب نزولها والله أعلم.

(3) انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (47=56/1)، في سورة (آل عمران) الآية (113)، للشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِيّ).

خَرجَ إلَى الْمَسْجِد، فَإِذا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ: فَقَالَ: "أَمَا إنَّه لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذه الأَدْيَانِ أَحَدٌ يَذْكُرُ اللهَ هَذه السَّاعَةَ غَيْرُكُم".

قَالَ: وأُنزلَت هَذه الْآيَاتُ: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ} إلَى قَوْلِه: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} [1]. وَالْمَشْهُورُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ -كَمَا ذَكَرَهُ (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ) وَغَيْرُهُ،

وروَاهُ (العَوفِيّ عَن ابْنِ عبَّاسٍ) -أنَّ هَذه الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ آمَنَ مِنْ أَحْبَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ، (كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ وثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْيَةَ وأُسَيْدِ بْنِ سَعْيَةَ) وَغَيْرِهِمْ.

أَيْ: لا يَسْتَوِي مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ بِالذَّمِّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا،

ولِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {لَيْسُوا سَوَاءً} أَيْ: لَيْسُوا كلُّهم عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، بَلْ مِنْهُمُ الْمُؤمِنُ ومِنْهُمُ المُجْرِم،

ولِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ} أَيْ: قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، مُطِيعَةٌ لِشَرْعِه مُتَّبِعَةٌ نَبِيَّ اللَّهِ، فَهِيَ {قَائِمَةٌ} يَعْنِي مُسْتَقِيمَةً {يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} أَيْ: يَقُومُونَ اللَّيْلَ، وَيُكْثِرُونَ التَّهَجُّدَ، وَيَتْلُونَ الْقُرْآنَ فِي صَلَوَاتِهِم. [2]

* * *

قَالَ: الإمام (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ}، ذَكَرَ هُنَا مِنْ صِفَاتِ هَذِه الطَّائِفَةِ الْمُؤْمِنَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهَا قَائِمَةٌ، أَيْ: مُسْتَقِيمَةٌ عَلَى الْحَقِّ وَأَنَّهَا تَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وتُصَلِّي، وَتُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهَا تَتْلُو الْكِتَابَ حَقَّ تِلَاوَتِه وتُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} {2 \ 121}.

وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ، وَأَنَّهُمْ خَاشِعُونَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} {3 \ 199}.

وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُمْ يَفْرَحُونَ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} {13 \ 36}.

وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ إِنْزَالَ الْقُرْآنِ مِنَ اللَّهِ حَقٌّ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} الْآيَةَ {6 \ 114}.

وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُمْ إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ خَرُّوا لِأَذْقَانِهِمْ سُجَّدًا، وَسَبَّحُوا رَبَّهُمْ، وَبَكَوْا، وَهُوَ قَوْلُهُ: {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا

---

(1) أخرجه الإمامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (396/1).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (113)، للإمامْ (ابن كثير).

لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} {17 \ 107 \ 109}.

وَقَالَ: فِي بُكَائِهِمْ عِنْدَ سَمَاعِهِ أَيْضًا: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرسول- تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ} {5 \ 83}.

وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، تُؤْتَى أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} {28 \ 51 \ 54}.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة) الآية.

يقول: ليس كل القوم هلك، قد كان لله فيهم بقية.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثم قال تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} لما بين تعالى الفرقة الفاسقة من أهل الكتاب وبين أفعالهم وعقوباتهم، بين هاهنا الأمة المستقيمة، وبين أفعالها وثوابها، فأخبر أنهم لا يستوون عنده، بل بينهم من الفرق ما لا يمكن وصفه، فأما تلك الطائفة الفاسقة فقد مضى وصفهم، وأما هؤلاء المؤمنون، فقال تعالى منهم: {أمة قائمة} أي: مستقيمة على دين الله، قائمة بما ألزمها الله به من المأمورات، ومن ذلك قيامها بالصلاة {يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون} وهذا بيان لصلاتهم في أوقات الليل وطول تهجدهم وتلاوتهم لكتاب ربهم وإيثارهم الخضوع والركوع والسجود له.(3)

* * *

[١١٤] ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يؤمنون بالله واليوم الآخر إيمانًا جازمًا، ويأمرون بالمعروف والخير، وينهون عن المنكر والشر، ويبادرون إلى أفعال الخيرات، ويغتنمون مواسم الطاعات، أولئك المتصفون بهذه الصفات من عباد الله الذين صلحت نياتهم وأعمالهم.(4)

* * *

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (113).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (113).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (113)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (64/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِي:- يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالخير كله، وينهون عن الشر كلّه، ويبادرون إلى فعل الخيرات، وأولئك مِن عباد الله الصالحين.(1)

* * *

يَعْنِي:- لا يعبدون إلا الله ويصدقون بوجوده ووحدانيته وبالرسل ومجئ يوم القيامة، ويأمرون بالطاعات وينهون عن المعاصي، ويبادرون إلى فعل الخيرات، وهؤلاء عند الله من عداد الصالحين.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يُؤْمِنُونَ} ... فى محل رفع صفة لقوله أُمَّةٌ.

{وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} ... يَبْتَدِرُونَهَا خشيةَ الفوات.

{وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ} ... المسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه، لأن من رغب فى الأمر سارع فى توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي.

{وَأُولَئِكَ} ... الموصوفون بما وصفوا به.

{مِنَ الصَّالِحِينَ} ... الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تَفْسِيرُ القرآن العظيم):- {114} {يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ} وَهَؤُلاَءِ هُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي آخِرِ السُّورَة: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} {الْآيَةَ 199}.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {يؤمنون بالله واليوم الآخر} أي: كإيمان المؤمنين إيمانا يوجب لهم الإيمان بكل نبي أرسله، وكل كتاب أنزله الله، وخص الإيمان باليوم الآخر لأن الإيمان الحقيقي باليوم الآخر يحث المؤمن به على ما يقربه إلى الله، ويثاب عليه في ذلك اليوم، وترك كل ما يعاقب عليه في ذلك اليوم {ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} فحصل منهم تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، ثم وصفهم بالهمم العالية {و} أنهم {يسارعون في الخيرات} أي: يبادرون إليها فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (64/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (114)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

إمكانها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير ومعرفتهم بفوائده وحسن عوائده، فهؤلاء الذين وصفهم الله بهذه الصفات الجميلة والأفعال الجليلة {من الصالحين} الذين يدخلهم الله في رحمته ويتغمدهم بغفرانه وينيلهم من فضله وإحسانه. (1)

* * *

[١١٥] ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما يفعله هؤلاء من خير قليلًا كان أو كثيرًا فلن يضيع عليهم ثوابه، ولن ينقص أجره، والله عليم بالمتقين الذين يمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجازيهم عليها. (2)

* * *

يَعْنِي:- وأيُّ عمل قلَّ أو كَثُر من أعمال الخير تعمله هذه الطائفة المؤمنة فلن يضيع عند الله، بل يُشكر لهم، ويجازون عليه. والله عليم بالمتقين الذين فعلوا الخيرات وابتعدوا عن المحرمات" ابتغاء رضوان الله، وطلبًا لثوابه. (3)

* * *

يَعْنِي:- وما يفعلوا من خير فلن يحرموا ثوابه، والله محيط بأحوالهم ومجازيهم عليها. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَلَنْ يُكفَرُوْهُ} ... فَلَنْ يَضيع عنْدَ الله.

{فَلَنْ يُكْفَرُوْهُ} ... فلن يُجْحَدُوه بل يُعْتَرَفُ لهم به وَيُجْزَوْنَ به وَافيًا.

وقيل: أي: فلن يحرموا جزاءه. وقرىء: فلن تكفروه، بالتاء المثناة الفوقية.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} ... بشارة للمتقين بجزيل الثواب.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):–

(بسنده الحسن) حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن (قتادة): {وما تفعلوا من خير فلن تكفروه} يقول: لن يضلّ عنكم. (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):–

وأما قوله: {والله عليم بالمتقين}، فإنه يقول تعالى ذكره: والله ذو علم بمن اتقاه، لطاعته واجتناب معاصيه، وحافظَ أعمالهم الصالحة حتى يثيبهم عليها ويجازيهم بها، تبشيراً منه لهم جل ذكره في عاجل الدنيا،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (114)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (64/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (64/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (115). برقم (ص 132/7) :–

وحضًا لهم على التمسك بالذي هم عليه من صالح الأخلاق التي ارتضاها لهم. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – و الإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما) (الحسن) – عن (محمد بن إسحاق) – (بسنده) – عن (ابن عباس): قال: (المتقين) أي الذين يحذرون من الله عز وجل عقوبتَه في ترْك ما يعرفون من الهُدى، ويرجون رحمَته بالتَّصديق بما جاء به. (2)(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {115} {وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ} قَرَأَ (حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ) بِالْيَاءِ فِيهِمَا إِخْبَارٌ عَنِ الْأُمَّةِ الْقَائِمَةِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ فِيهِمَا، لِقَوْلِهِ {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ} وَ(أَبُو عَمْرٍو) يَرَى الْقِرَاءَتَيْنِ جَمِيعًا، ومعنى هذه الْآيَةِ: وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُعْدَمُوا ثَوَابَهُ بَلْ يُشْكَرُ لَكُمْ وَتُجَازَوْنَ عَلَيْهِ، {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} بالمؤمنين. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تَفْسِيرُ القُرآنِ العَظيم):- {وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ} أَيْ: لَا يَضِيعُ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ يَجْزِيكُمْ بِهِ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ. {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} أَيْ: لَا يَخْفَى عَلَيْهِ عَمَلُ عَامِلٍ، وَلَا يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تَفسيره):- {وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} وأنهم مهما فعلوا {من خير} قليلا كان أو كثيرا {فلن يكفروه} أي: لن يحرموه ويفوتوا أجره، بل يثيبهم الله على ذلك أكمل ثواب، ولكن الأعمال ثوابها تبع لما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والتقوى، فلهذا قال: {والله عليم بالمتقين}.

كما قال تعالى: {إنما يتقبل الله من المتقين}. (6)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• أعظم ما يميز هذه الأمة وبه كانت خيريتها -بعد الإيمان بالله- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (115). برقم (ص 132/7):-.

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (2). برقم (ص233/1) المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (البقرة) الآية (2).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (115).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (115)، للإمَامْ (ابن كثير).

(6) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (115)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

• قضى الله تعالى بالذل على أهل الكتاب لفسقهم وإعراضهم عن دين الله، وعدم وفائهم بما أخذ عليهم من العهد.

• أهل الكتاب ليسوا على حال واحدة" فمنهم القائم بأمر الله، المتبع لدينه، الواقف عند حدوده، وهؤلاء لهم أعظم الأجر والثواب. وهذا قبل بعثة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -. (1)

* * *

[١١٦] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذين كفروا بالله ورسله لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئًا، لن ترد عنهم عذابه، ولن تجلب لهم رحمته، بل ستزيدهم عذابًا وحسرة، وأولئك هم أصحاب النار الملازمون لها. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين كفروا بآيات الله، وكذبوا رسله، لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئًا من عذاب الله في الدنيا ولا في الآخرة، وأولئك أصحاب النار الملازمون لها، لا يخرجون منها. (3)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (116) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120) وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين كفروا لن تدفع عنهم أموالهم لو افتدوا بها أنفسهم، ولا أولادهم لو استعانوا بهم شيئاً ولو يسيراً من عذاب الله في الآخرة. وهؤلاء هم الملازمون للنار، الباقون فيها. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ} ... لن تَدْفَعَ عنهم عذابَ الله الَّذي استَحَقُّوهُ يومَ القيامة.

{لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} ... أي: لن تغني عنهم كثرة أموالهم ولا كثرة أولادهم من عذاب الله شيئا. وخص الأولاد لأنهم أقرب أنسابهم إليهم.

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (64/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (65/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (65/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وأولئكَ أَصْحابُ النَّارِ} ... ابتداء وخبر.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظــر: ســورة - (آل عمــران) - آيــة (10). - كمـا قـال تعـالى: {إِنَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا لَـنْ تُغْنِـيَ عَـنْهُمْ أَمْـوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُـمْ مِـنَ اللَّـهِ شَـيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10)}.

* * *

.قـال: الإِمَـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُّنَّة) -(رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {116} {إِنَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا لَـنْ تُغْنِـيَ عَـنْهُمْ أَمْـوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُـمْ مِـنَ اللَّـهِ شَـيْئًا} أَيْ: لاَ تَـدْفَعُ أَمْـوَالُهُمْ بِالْفِدْيَـةِ وأولادهـم بالنصـرة مِـنَ اللَّـهِ شَـيْئًا، أَيْ: مِـنْ. عَـذَابِ اللَّـهِ، وَخَصَّـهُمَا بِالـذِّكْرِ لِـأَنَّ الْإِنْسَـانَ يَـدْفَعُ عَـنْ نَفْسِـهِ تَـارَةً بِفِـدَاءِ الْمَـالِ وَتَـارَةً بِالِاسْـتِعَانَةِ بِالْـأَوْلَادِ، {وَأُولَئِـكَ أَصْـحَابُ النَّـارِ هُـمْ فِيهَـا خَالِـدُونَ} وَإِنَّمَـا جَعَلَهُـمْ مِـنْ أَصْـحَابِهَا لِـأَنَّهُمْ أَهْلُهَـا لاَ يَخْرُجُـونَ مِنْهَـا وَلاَ يُفَارِقُونَهَا، كَصَاحِبِ الرَّجُلِ لاَ يُفَارِقُهُ. (1)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (إبـن كـثير) - (رحمـه الله) - في (تَفْسِـيرِ الْقُـرآنِ الْعَظِـيمِ):- ثُـمَّ قَـالَ تَعَـالَى: مُخْبِـرًا عَـنِ الْكَفَـرَةِ الْمُشْـرِكِينَ بِأَنَّـهُ {لَـنْ تُغْنِـيَ عَـنْهُمْ أَمْـوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُـمْ مِـنَ اللَّـهِ شَـيْئًا} أَيْ: لاَ يُـرَدُّ عَـنْهُمْ بَـأْسُ اللَّـهِ وَلاَ عَذَابُـهُ إِذَا أَرَادَهُ بِهِـمْ {وَأُولَئِـكَ أَصْـحَابُ النَّـارِ هُـمْ فِيهَـا خَالِدُونَ}. (2)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {116} - {117} {إِنَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا لَـنْ تُغْنِـيَ عَـنْهُمْ أَمْـوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُـمْ مِـنَ اللَّـهِ شَـيْئًا وَأُولَئِـكَ أَصْـحَابُ النَّـارِ هُـمْ فِيهَـا خَالِـدُونَ}. يخـبر تعـالى أن الـذين كفـروا لـن تغـني عـنهم أمـوالهم ولا أولادهـم مـن الله شـيئا، أي: لا تـدفع عـنهم شـيئا مـن عـذاب الله، ولا تجـدي علـيهم شـيئا مـن ثـواب الله، كمـا قـال تعـالى: {ومـا أمـوالكم ولا أولادكـم بـالتي تقـربكم عنـدنا زلفـى إلا مـن آمـن وعمـل صـالحا} بـل تكـون أمـوالهم وأولادهـم زادا لهـم إلى النـار، وحجـة علـيهم في زيـادة نعـم الله علـيهم، تقتضـي مـنهم شـكرها، ويعـاقبون علـى عـدم القيـام بهـا وعلـى كفرهـا، ولهـذا قـال: {أولئـك أصـحاب النـار هـم فيهـا خالدون}. (3)

* * *

[١١٧] ﴿ مَثَـلُ مَـا يُنْفِقُـونَ فِـي هَـذِهِ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا كَمَثَـلِ رِيـحٍ فِيهَـا صِـرٌّ أَصَـابَتْ حَـرْثَ قَـوْمٍ ظَلَمُـوا أَنْفُسَـهُمْ فَأَهْلَكَتْـهُ وَمَـا ظَلَمَهُـمُ اللَّـهُ وَلَكِـنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

مثـل مـا ينفقـه هـؤلاء الكـافرون في وجـوه الـبر، ومـا ينتظرونـه مـن ثوابهـا" كمثـل ريـح فيهـا بـرد

---

(1) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) لِلإِمَـامِ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (116).

(2) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (آل عمـرآن) الآيـة (116)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (آل عمرآن) الآية (116)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

شديد أصابت زرْعَ قوم ظلموا أنفسهم بالمعاصي وغيرها، فأتلفت زرعهم، وقد رجوا منه خيرًا كثيرًا، فكما أتلفت هذه الريح الزرع فلم يُنتفع به، كذلك الكفر يبطل ثواب أعمالهم التي يرجونها، والله لم يظلمهم -تعالى عن ذلك- وإنما ظلموا أنفسهم بسبب كفرهم به وتكذيبهم رسله. (1)

* * *

يَعْنِي:- مَثَلُ ما ينفق الكافرون في وجوه الخير في هذه الحياة الدنيا وما يؤملونه من ثواب، كمثل ريح فيها برد شديد هَبَّتْ على زرع قوم كانوا يرجون خيره، وبسبب ذنوبهم لم تُبْقِ الريح منه شيئًا. وهؤلاء الكافرون لا يجدون في الآخرة ثوابًا، وما ظلمهم الله بذلك، ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وعصيانهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن حال ما ينفقه الكفار فى الدنيا وما يرجون عليه من ثواب فى الآخرة، كحال زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى، أصابته ريح فيها برد شديد فأهلكته عقوبة لهم. وما ظلمهم الله بضياع أجور أعمالهم، ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما أوجب ضياعها، وهو جحود دلالات الإيمان والكفر بالله. (3)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (65/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (65/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

شرح و بيان الكلمات:

{مَثَل رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ} ... الصر من الرياح: الباردة، فوصف بها القرة، بمعنى: فيها قرة صر، كما تقول: برد بارد على المبالغة. وقد يكون الصر مصدرا، فجيء به على أصله فشبه ما كانوا ينفقون من أموالهم فى المكارم والمفاخر وكسب حسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما.

{رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ} ... بردٌ شديدٌ، وهي الريح التي تَقْتُلُ الزرعَ وتُفْسِدُهُ.

{صِرٌّ} ... بَرْدٌ شَدِيد.

{حَرْثَ قَوْمٍ} ... ما تحْرُثُ له الأرضُ وهو الزرعُ.

{هْلَكَتْهُ} ... عقوبة لهم على معاصيهم.

{ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ} ... الضمير للمنفقين على معنى: وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول.

أو يكون الضمير لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم، وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم، ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قول الله عز وجل: {مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا} قال: نفقة الكافر في الدنيا. (4)

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (117).

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – و الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قوله: {ريح فيها صر} برد. (1)(2)

* * *

وانظر: سورة – (البقرة) – آية (205). –
كما قال تعالى: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}.

* * *

وانظر: سورة – (البقرة) – آية (264). –
كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}.

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- {صِرٌّ}: " بَرْدٌ ". (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {117} {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} قيل: أرادَ نَفَقَات أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ بِبَدْرٍ وَأُحُدٍ عَلَى عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-،

وقال: (مقاتل): أراد نَفَقَةُ الْيَهُودِ عَلَى عُلَمَائِهِمْ،

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): يَعْنِي جَمِيعَ نَفَقَاتِ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا وَصَدَقَاتِهِمْ،

وقيل: أرادَ إِنْفَاقَ الْمُرَائِي الَّذِي لَا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى،

{كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ} حُكِيَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:- أَنَّهَا السَّمُومُ الْحَارَّةُ الَّتِي تَقْتُلُ،

وَقِيلَ: فِيهَا صِرٌّ أَيْ: صَوْتٌ، وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ قَالُوا: فِيهَا بَرْدٌ شَدِيدٌ،

{أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ} زرع قوم،

{ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} بِالْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ وَمَنْعِ حَقِّ اللَّه تعالى،

{فَأَهْلَكَتْهُ} فَمَعْنَى الْآيَةِ: مَثَلُ نَفَقَاتِ الْكُفَّارِ وذهابها وَقْتَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا كَمَثَلِ زَرْعٍ أَصَابَتْهُ رِيحٌ بَارِدَةٌ فَأَهْلَكَتْهُ أَوْ نَارٌ فَأَحْرَقَتْهُ فَلَمْ يَنْتَفِعْ أَصْحَابُهُ مِنْهُ بِشَيْءٍ،

{وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ} بذلك،

{وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} {آل عمران: 117} بالكفر والمعصية. (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلًا لِمَا يُنْفِقُهُ الْكُفَّارُ فِي هَذِهِ الدَّارِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ، وَالسُّدِّيُّ، فَقَالَ تَعَالَى: {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (117).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (117).
(3) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (117). برقم (ج 4/ ص 109).
(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (117).

هَـذِهِ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا كَمَثَـلِ رِيـحٍ فِيهَـا صِـرٌّ} أَيْ: بَـرْدٌ شَـدِيدٌ، قَالَـهُ: (ابْـنُ عَبَّـاسٍ، وعِكْرِمَـةُ، وَسَـعِيدُ بْـنُ جُـبَيرٍ وَقَتَـادَةُ وَالْحَسَـنُ، وَالضَّـحَّاكُ، والرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ)، وَغَيْرُهُمْ.

وَقَـالَ: (عَطَـاءٌ): بَـرْدٌ وجَلِيـدٌ. وَعَـنْ (ابْـنِ عَبَّـاسٍ) أَيْضًـا وَ(مُجَاهِـدٍ) {فِيهَـا صِـرٌّ} أَيْ: نَـارٌ. وَهُـوَ يَرْجِـعُ إِلَـى الْـأَوَّلِ، فَـإِنَّ الْبَـرْدَ الشَّـدِيدَ -سِـيَّمَا الْجَلِيـدُ- يُحْـرِقُ الـزُّرُوعَ وَالثِّمَـارَ، كَمَـا يُحْـرَقُ الشَّـيْءُ بِالنَّـارِ {أَصَـابَتْ حَـرْثَ قَـوْمٍ ظَلَمُـوا أَنْفُسَـهُمْ فَأَهْلَكَتْـهُ} أَيْ: أَحْرَقَتْـهُ، يَعْنِـي بِـذَلِكَ السَّـفْعَةَ إِذَا نَزَلَـتْ عَلَـى حَـرْثٍ قَـدْ آنَ جِـدَادُهُ أَوْ حَصَـادُهُ فَدَمَّرَتْـهُ وأَعْـدَمَتْ مَـا فِيـهِ مِـنْ ثَمَـرٍ أَوْ زَرْعٍ، فَـذَهَبَتْ بِـهِ وَأَفْسَـدَتْهُ، فعدمـه صَـاحِبُهُ أَحْـوَجَ مَـا كَـانَ إِلَيْـهِ. فَكَـذَلِكَ الْكُفَّـارُ يَمْحَـقُ اللَّـهُ ثَـوابَ أَعْمَـالِهِمْ فِـي هَـذِهِ الـدُّنْيَا وَثَمَرَتَهَـا كَمَـا أَذْهَـبَ ثَمَـرَةَ هَـذَا الْحَـرْثِ بِـذُنُوبِ صَـاحِبِهِ. وَكَـذَلِكَ هَـؤُلَاءِ بَنَوْهَـا عَلَـى غَيْـرِ أَصْـلٍ وَعَلَـى غَيْـرِ أَسَـاسٍ {وَمَـا ظَلَمَهُـمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}. (1)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - رحمـه الله - في (تفسـيره):-

{116} - {117} {مَثَـلُ مَـا يُنْفِقُـونَ فِـي هَـذِهِ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا كَمَثَـلِ رِيـحٍ فِيهَـا صِـرٌّ أَصَـابَتْ حَـرْثَ قَـوْمٍ ظَلَمُـوا أَنْفُسَـهُمْ فَأَهْلَكَتْـهُ وَمَـا ظَلَمَهُـمُ اللَّـهُ وَلَكِـنْ أَنْفُسَـهُمْ يَظْلِمُـونَ}. ثـم ضـرب مـثلا لمـا ينفقـه الكفـار مـن أمـوالهم الـتي يصـدون بهـا عـن سـبيل الله ويسـتعينون بهـا علـى إطفـاء نـور الله، بأنهـا تبطـل وتضـمحل، كمـن زرع زرعـا يرجـو نتيجتـه ويؤمـل إدراك ريعـه، فبينمـا هـو كـذلك إذ أصـابته ريـح فيهـا صـر، أي: بـرد شـديد محـرق، فأهلكـت زرعـه، ولم يحصـل لـه إلا التعـب والعنـاء وزيـادة الأسـف، فكـذلك هـؤلاء الكفـار الـذين قـال الله فـيهم: {إن الـذين كفـروا ينفقـون أمـوالهم ليصـدوا عـن سـبيل الله فسـينفقونها ثـم تكـون علـيهم حسـرة ثـم يغلبـون} {ومـا ظلمهـم الله} بإبطـال أعمـالهم {ولكـن} كـانوا {أنفسـهم يظلمـون} حيـث كفـروا بآيـات الله وكـذبوا رسـوله وحرصـوا علـى إطفـاء نـور الله، هـذه الأمـور هـي الـتي أحبطـت أعمـالهم وذهبـت بأموالهم، (2)

* * *

[١١٨] ﴿ يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا بِطَانَـةً مِـنْ دُونِكُـمْ لَا يَـأْلُونَكُمْ خَبَالًـا وَدُّوا مَـا عَنِـتُّمْ قَـدْ بَـدَتِ الْبَغْضَـاءُ مِـنْ أَفْـوَاهِهِمْ وَمَـا تُخْفِـي صُـدُورُهُمْ أَكْبَـرُ قَـدْ بَيَّنَّـا لَكُـمُ الْآيَـاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (آل عمـرآن) الآيـة (117)، للإمَامْ (ابن كثير).

(2) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (آل عمرآن) الآية (117)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يـا أيهـا الـذين آمنـوا بـالله واتبعـوا رسـوله، لا تتخـذوا أخلّاء وأصـفياء مـن غـير المؤمنين، تُطلِعونهم علـى أسـراركم وخَـواصّ أحـوالكم، فهـم لا يُقصِّـرون في طلـب مضـرتكم وفسـاد حـالكم، يتمنـون حصـول مـا يضـركم ويشـق علـيكم، قـد ظهـرت الكراهيـة والعـداوة علـى ألسـنتهم، بـالطعن في ديـنكم، والوقيعـة بيـنكم، وإفشـاء أسـراركم، ومـا تكتمـه صـدورهم مـن الكراهيـة أعظـم، قـد بينـا لكـم أيهـا المؤمنـون- الـبراهين الواضـحة علـى مـا فيـه مصـالحكم في الـدنيا والآخـرة، إن كنـتم تعقلون عن ربكم ما أنزل عليكم. (1)

* * *

يَعْنِـي: يـا أيهـا الـذين صـدَّقوا الله ورسـوله وعملـوا بشـرعه، لا تتخـذوا الكـافرين أوليـاء مـن دون المـؤمنين، تُطْلعـونهم علـى أسـراركم، فهـؤلاء لا يَفْتُـرون عـن إفسـاد حـالكم، وهـم يفرحـون بمـا يصـيبكم مـن ضـرر ومكـروه، وقـد ظهـرت شـدة الـبغض في كلامهـم، ومـا تخفـي صـدورهم مـن العـداوة لكـم أكـبر وأعظـم. قـد بيَّنَّـا لكـم الـبراهين والحجـج، لتتعظـوا وتحـذروا، إن كنـتم تعقلـون عـن الله مواعظـه وأمره ونهيه. (2)

* * *

يَعْنِـي: يـا أيهـا الـذين آمنـوا: لا تتخـذوا أصـفياء تسـتعينون بهـم مـن غـير أهـل ديـنكم، تطلعـونهم علـى أسـراركم، لأنهـم لا يقصـرون فـى إفسـاد أمـوركم. إذ هـم يـودون أن يرهقـوكم ويضـروكم أشـد الضـرر. وقـد ظهـرت أمـارات البغضـاء لكـم مـن فلتـات ألسـنتهم، ومـا تضـمره قلـوبهم أعظـم ممـا بـدا، قـد أظهرنـا لكـم العلامـات التـى يتميـز بهـا الـولى مـن العـدو إن كنتم من أهل العقل والإدراك الصحيح. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ} ... أَصْلُ الْبِطَانَةِ: بطانـةُ الثـوب، شُـبِّهَ بهـا بطانـةُ الرجـل وخاصـته وهـم مَـنْ يُطْلِعُهُـمْ عَلَـى أَسْـرَارِهِ ثقـةً فيهم.

{بِطَانَةً} ... بطانـة الرجـل: خصيصـه وصـفيه الـذي يفضـي إليـه بشـقوره ثقـة بـه، شـبه ببطانة الثوب.

{مِنْ دُونِكُمْ} ... أي: مـن دون أبنـاء جنسـكم وهم المسلمون.

{لا يَأْلُونَكُمْ خَبالًا} ... ألا فـى الأمـر يـألو، إذا قصـر فيـه، ثـم اسـتعمل فعـدى الى مفعـولين فـى قـولهم: لا آلـوك نصـحا، علـى التضـمين، والمعنى:

لا أمنعـك نصـحا ولا أنقصـكه. والخبـال: الفساد.

{لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا} ... لاَ يُقَصِّرُونَ فِي إِفْسَادِ حَالِكُمْ.

{لَا يَأْلُونَكُمْ} ... لا يُقصِّرُونَ في إفسادِ الأمورِ عليكم.

{خَبالًا} ... فَسَاداً مِنْ أمور دينكُمْ ودُنْيَاكُمْ.

{وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ} ... أَحَبُّوا مَشَقَّتَكُمُ الشَّدِيدَةَ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (65/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (65/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ}... ودوا عنكم، على أن (ما) مصدرية. والعنت: شدة الضرر والمشقة.

{قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ}... لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين.

{قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ}... الدالة على وجوب الإخلاص في الدين، وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه.

{إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ}... ما بينا لكم فعملتم به.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- حدثنا أصبغ، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن (أبي سلمة)، عن (أبي سعيد الخدري) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالسُّوءِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ)). (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - و الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسنده) الحسن) - عن (محمد بن إسحاق) - (بسنده) - عن (ابن عباس): قال: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود، لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله عز وجل فيهم ينهاهم عن مباطنتهم، تخوفوا الفتنة عليهم منهم: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم} إلى قوله: {وتؤمنون بالكتاب كله}. (2)(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني أبي، حدثني أيوب بن محمد الوزان، ثنا عيسى بن يونس، عن أبي حيان التيمي، عن أبي الزنباع، عن أبي دهقانة، قال: قيل: لـ (عمر ابن الخطاب) إن هاهنا غلاما من أهل الحيرة حافظاً كاتباً، فلو اتخذته كاتباً، قال: قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين. (4)

و(رجاله ثقات) تقدم ذكرهم في تفسير (ابن أبي حاتم) و(إسناده صحيح).

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مقاتل بن حيان): قوله: {لا يألونكم خبالا} يقول: يضلونكم كما ضلوا فنهاهم أن يستدخلوا المنافقين دون المؤمنين أو يتخذوهم أولياء. (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قول

---

(1) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (201/13)، (ح 7198)-(كتاب: الأحكام)، / باب: (بطانة الإمام ...).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (118).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (118).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (118).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (118).

الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا} في المنافقين من أهل المدينة. نهى الله عز وجل المؤمنين أن يتولوهم.(1)

* * *

قوله تعالى: {قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر}.

قال: الإمامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {قد بدت البغضاء من أفواههم} يقول: قد بدت البغضاء من أفواه المنافقين إلى إخوانهم من الكفار، من غشهم للإسلام وأهله، وبغضهم إياهم.

وبه عن (قتادة): قوله: {ما تخفي صدورهم أكبر} يقول: وما تخفي صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العزيز):- {يا أيها الذين آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً من دونكم} يَعْنِي: من غير الْمُسلمين {لاَ يَأْلُونَكُمْ خبالا} أَي: شرا {وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ} أَي: مَا ضَاقَ بكم {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء من أَفْوَاههم} أَي: ظَهرت {وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أكبر} فِي البغض والعداوة وَلم يظهروا الْعَدَاوَة، وأسروها فِيمَا بَينهم" فَأخْبر الله بذلك عَنْهُم رَسُوله.(3)

* * *

وقال: الإمامُ (الترمذي) – في (سُننِه)، - والإمامُ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده) – (رحمهما الله) – (بسندهما):- عَنْ (زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ) – رضي الله عنه – قَالَ: (" أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ) (4) (السُّرْيَانِيَّةَ) (5) (وَقَالَ: إِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي " قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهَا لَهُ , قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهَا "كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ " , كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ , وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ , قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ) (6).

* * *

وقال: الإمامُ (البيهقي) – (رحمه الله) – في (السنن الكبرى) - (بسنده):- وَعَنْ (أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ) – رضي الله عنه – قَالَ: أَمَرَنِي عُمَرُ – رضي الله عنه – أَنْ أَرْفَعَ إِلَيْهِ مَا أَخَذْتُ وَمَا أَعْطَيْتُ فِي أَدِيمٍ وَاحِدٍ – وَكَانَ لِي كَاتِبٌ نَصْرَانِيٌّ يَرْفَعُ إِلَيَّ ذَلِكَ – فَأَعْجَبَ عُمَرَ – رضي الله عنه – وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَحَافِظٌ، وَقَالَ: إِنَّ لَنَا كِتَابًا فِي الْمَسْجِدِ جَاءَ مِنَ الشَّامِ , فَادْعُهُ فَلْيَقْرَأْ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ لَا

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (118).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (118).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (118)، للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(4) اخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2715).

(5) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21627).

وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).

(6) اخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2715).

واخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (3645).

وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21658).

انظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإمَامُ (الألباني) رقم (187).

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ , فَقَالَ عُمَرُ - رضي الله عنه :- أَجُنُبٌ هُوَ؟، قُلْتُ: لَا بَلْ نَصْرَانِيٌّ, فَانْتَهَرَنِي وَضَرَبَ فَخِذِي وَقَالَ: أَخْرِجْهُ، وَقَرَأَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ , إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (1) فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا تَوَلَّيْتُهُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْتُبُ، قَالَ: أَمَا وَجَدْتَ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ مَنْ يَكْتُبُ لَكَ؟، لَا تُكْرِمُوهُمْ إِذْ أَهَانَهُمُ اللهُ , وَلَا تُدْنُوهُمْ إِذْ أَقْصَاهُمُ اللهُ , وَلَا تَأْتَمِنُوهُمْ إِذْ خَوَّنَهُمُ اللهُ - عز وجل -. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {118} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ} الْآيَةَ، قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :-كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُوَاصِلُونَ الْيَهُودَ لِمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالصَّدَاقَةِ وَالْحِلْفِ وَالْجِوَارِ وَالرَّضَاعِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ يَنْهَاهُمْ عَنْ مُبَاطَنَتِهِمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ عَلَيْهِمْ،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يُصَافُونَ الْمُنَافِقِينَ فَنَهَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ} أي: أولياء أصفياء مِنْ غَيْرِ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ، وَبِطَانَةُ الرَّجُلِ: خَاصَّتُهُ، تَشْبِيهًا بِبِطَانَةِ الثَّوْبِ الَّتِي تَلِي بَطْنَهُ، لِأَنَّهُمْ يَسْتَبْطِنُونَ أَمْرَهُ وَيَطَّلِعُونَ مِنْهُ عَلَى مَا لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُمْ، ثُمَّ بَيَّنَ الْعِلَّةَ فِي النَّهْيِ عَنْ مُبَاطَنَتِهِمْ فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا} أَيْ: لَا يُقَصِّرُونَ وَلَا يَتْرُكُونَ جُهْدَهُمْ فِيمَا يُورِثُكُمُ الشَّرَّ وَالْفَسَادَ، وَالْخَبَالُ: الشَّرُّ وَالْفَسَادُ، وَنُصِبَ (خَبَالًا) عَلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي، لِأَنَّ (يَأْلُو) يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ،

يَعْنِي:- بِنَزْعِ الْخَافِضِ، أَيْ بِالْخَبَالِ،

كَمَا يُقَالُ أَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا {وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ} أَيْ يَوَدُّونَ مَا يَشُقُّ عَلَيْكُمْ مِنَ الضُّرِّ وَالشَّرِّ وَالْهَلَاكِ، وَالْعَنَتُ الْمَشَقَّةُ، {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ} أَيِ: الْبُغْضُ، مَعْنَاهُ ظَهَرَتْ أَمَارَةُ الْعَدَاوَةِ، {مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} بِالشَّتِيمَةِ وَالْوَقِيعَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ،

يَعْنِي:- بإطلاع المشركين على أسرار المسلمين، {وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ} مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْغَيْظِ، {أَكْبَرُ} أَعْظَمُ، {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} {آل عمران: 118}. (3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تَفْسِيرُ الْقُرآنِ العَظِيمِ):- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118)}.

يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَاهِيًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِ الْمُنَافِقِينَ بِطَانَةً، أَيْ: يُطْلِعُونَهُم

---

(1) {المائدة: 51}.

(2) اخرجه الإِمَامُ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (20196).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (الإرواء الغليل) حديث: (2630).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (118).

عَلَى سَرَائِرِهِمْ وَمَا يُضْمِرُونَهُ لِأَعْدَائِهِمْ، وَالْمُنَافِقُونَ بِجُهْدِهِمْ وَطَاقَتِهِمْ لَا يَأْلُونَ الْمُؤْمِنِينَ خَبَالًا أَيْ: يَسْعَوْنَ فِي مُخَالَفَتِهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَبِمَا يَسْتَطِيعُونَهُ مِنَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ، وَيَوَدُّونَ مَا يُعْنِتُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ.

وَقَوْلُهُ: {لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ} أَيْ: مِنْ غَيْرِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، وَبِطَانَةُ الرَّجُلِ: هُمْ خَاصَّةُ أَهْلِهِ الَّذِينَ يَطَّلِعُونَ عَلَى دَاخِلِ أَمْرِهِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} أَيْ: قَدْ لَاحَ عَلَى صَفَحَاتِ وُجُوهِهِمْ، وَفَلَتَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ، مَعَ مَا هُمْ مُشْتَمِلُونَ عَلَيْهِ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الْبَغْضَاءِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، مَا لَا يَخْفَى مِثْلُهُ عَلَى لَبِيبٍ عَاقِلٍ" وَلِهَذَا قَالَ: {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ}. (1)

* * *

[١١٩] ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ها أنتم - يا هؤلاء المؤمنون - تحبون أولئك القوم، وترجون لهم الخير، وهم لا يحبونكم، ولا يرجون لكم الخير، بل يبغضونكم، وأنتم تؤمنون بالكُتُب كُلها، ومنها كتبهم، وهم لا يؤمنون بالكتاب الذي أنزله الله على نبيكم، وإذا التقوكم قالوا بألسنتهم: صَدَّقْنا، وإذا انفرد بعضهم ببعض عضُّوا أطراف أصابعهم غمًا وغيظًا لما أنتم عليه من الوحدة، واجتماع الكلمة، وعزة الإسلام، ولما هم عليه من الذلة. قل أيها النبي ﷺ - لأولئك القوم: ابقوا على ما أنتم عليه حتى تموتوا غمًّا وغيظًا، إن الله عليم بما في الصدور من الإيمان والكفر، والخير والشر. (2)

* * *

يَعْنِي:- ها هو ذا الدليل على خطئكم في محبتهم، فأنتم تحبونهم وتحسنون إليهم، وهم لا يحبونكم ويحملون لكم العداوة والبغضاء، وأنتم تؤمنون بالكتب المنزلة كلها ومنها كتابهم، وهم لا يؤمنون بكتابكم، فكيف تحبونهم؟ وإذا لقوكم قالوا - نفاقًا:-آمنَّا وصدَّقْنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض بدا عليهم الغم والحزن، فعَضُّوا أطراف أصابعهم من شدة الغضب، لما يرون من ألفة المسلمين واجتماع كلمتهم، وإعزاز الإسلام، وإذلالهم به. قل لهم أيها الرسول-:- موتوا بشدة غضبكم. إن الله مطَّلِع على ما تخفي

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (118)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (65/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

الصدور، وسيجازي كلا على ما قدَّم من خير أو شر.(1)

* * *

يَعْنِي:- ها أنتم أولاء أيها المؤمنون - تحبون هؤلاء الكفار المنافقين لقرابة أو صداقة أو مودة، ولا يحبونكم لتعصبهم لدينهم، وأنتم تؤمنون بجميع كتب الله المنزلة، وإذا لقوكم أظهروا الإيمان خداعاً لكم، وإذا فارقوكم عضوا لأجلكم أطراف الأصابع غيظاً وأسفاً. قل أيها النبى:- دوموا على غيظكم إلى الموت، وإن الله عليم بما تخفيه الصدور، ويجازيكم عليه.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{ها} ... للتنبيه.

{أنتم} ... مبتدأ.

{أُولاءِ} ... خبره، أي أنتم أولاء الخاطئون فى موالاة منافقى أهل الكتاب.

{أُوْلَاءِ} ... هَؤُلَاءِ.

{عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} ... من شدة الغيظ عليكم" لأن المغتاظ إذا اشْتَدَّ بِهِ الغيظُ يَعَضُّ عَلَى أُصْبِعِهِ عَلَى عَادَةِ الْبَشَرِ، والغيظ: هُوَ شدةُ الغضب.

{تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ} ... بيان لخطئهم فى موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء.

وقيل: أولاء، موصول، وتُحِبُونَهُمْ صلته.

{وَتُؤْمِنُونَ} ... الواو للحال.

{قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ} ... دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به.

{مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ} ... هذا دعاءٌ عليهم أن يَزْدَادُوا غيظًا حتى يَهْلَكُوا كلما يرون من قوة الإسلام وعزة أهله، والمعنى: ابْقَوْا إلى الممات بغيظكم.

{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ} ... فهو يعلم ما فى صدور المنافقين من الحنق والبغضاء، وما يكون منهم فى حال خلو بعضهم ببعض.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله}.

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):–

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله} فوالله إن المؤمن ليحب المنافق يأوي له ويرحمه. ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه، لأباد خضراءه.(3)

* * *

قوله تعالى: {وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ}.

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):–

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {إذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ}، إذا لقوا المؤمنين قالوا: (آمنا) ليس بهم إلا مخافة على دمائهم

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (65/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (90/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (119). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

وأموالهم، فصانعوهم فذلك {وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ}، يقول: مما يجدون في قلوبهم من الغيظ والكراهة لما هم عليه لو يجدون ريحا لكانوا على المؤمنين، فهم كما نعت الله عز وجل.(1)

* * *

قال: الإمامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: (الأنامل)، أطراف الأصابع.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {ها أنتم أولاء تحبونهم} يَقُول للْمُؤمنين: أَنْتم تحبون الْمُنَافقين" لأَنهم أظهرُوا الْإِيمَان، فأحبوهم على مَا أظهرُوا، وَلم يعلمُوا مَا فِي قُلُوبهم.

{وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ} أَي: وهم لَا يُؤمنُونَ" فِيهَا إضمار {وَإِذا لَقُوكُم قَالُوا آمَنَّا} مَخَافَة على دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالهمْ {وَإِذا خلوا عضُّوا عَلَيْكُمُ الأنامل من الغيظ} ممَّا يجدونَ فِي قُلُوبهم.

قَالَ الله لنَبيه: {قُل موتوا بِغَيْظِكُم} الْآيَة.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- {119} {هَا أَنْتُم} تَنْبِيهٌ وَأَنْتُمْ كِنَايَةٌ لِلْمُخَاطَبِينَ مِنَ الذُّكور، {أُولَاءِ} اسم للمشار إليه، يُرِيدُ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ،

{تُحِبُّونَهُمْ} أَيْ: تُحِبُّونَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ عَنْ مُبَاطَنَتِهِمْ لِلْأَسْبَابِ الَّتِي بَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالرَّضَاعِ وَالْمُصَاهَرَةِ،

{وَلَا يُحِبُّونَكُمْ} لِمَا بَيْنَكُمْ مِنْ مُخَالَفَةِ الدِّينِ،

وقال: (مُقَاتِلٌ): هُمُ الْمُنَافِقُونَ يُحِبُّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ لِمَا أَظْهَرُوا مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَا يَعْلَمُونَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ،

{وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ} يَعْنِي بِالْكُتُبِ كُلِّهَا وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِكِتَابِكُمْ،

{وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا} وَكَانَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ،

{عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} يَعْنِي: أَطْرَافَ الْأَصَابِعِ وَاحِدَتُهَا أُنْمُلَةٌ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا، مِنَ الْغَيْظِ، لِمَا يَرَوْنَ مِنَ ائْتِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ، وَعَضُّ الْأَنَامِلِ عِبَارَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ وَهَذَا مِنْ مَجَازِ الْأَمْثَالِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ عَضٌّ،

{قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ} أَيِ: ابْقَوْا إِلَى الْمَمَاتِ بِغَيْظِكُمْ،

{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أَيْ: بِمَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ خير وشر.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تَفْسِيرُ الْقُرآنِ العَظِيمِ):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلْإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (119).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلْإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (119).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمرآن) الآية (119)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلْإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (119).

بِالْكِتَابِ كُلِّهِ} أَيْ: أَنْتُمْ أيها الْمُؤْمِنُونَ- تُحِبُّونَ الْمُنَافِقِينَ مِمَّا يُظْهِرُونَ لَكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، فَتُحِبُّونَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ لَا يُحِبُّونَكُمْ، لَا بَاطِنًا وَلَا ظَاهِرًا.

{وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ} أَيْ: لَيْسَ عِنْدَكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ شَكٌّ وَلَا رَيْبٌ، وَهُمْ عِنْدَهُمُ الشَّكُّ والرِّيَب والحيرة.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ): حَدَّثَنِي (مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ)، عَنْ (عِكْرِمَةَ) أَوْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ} أَيْ: بِكِتَابِكُمْ وَكِتَابِهِمْ، وَبِمَا مَضَى مِنَ الْكُتُبِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِكِتَابِكُمْ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِالْبَغْضَاءِ لَهُمْ، مِنْهُمْ لَكُمْ. رواه الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ).

{وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} وَالْأَنَامِلُ: أَطْرَافُ الْأَصَابِعِ، قَالَهُ (قَتَادَةُ).

وَقَالَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ)، و(السُّدِّيِّ)، و(الرَّبِيعِ بْنُ أَنَسٍ): {الْأَنَامِلَ} الْأَصَابِعُ.

وَهَذَا شَأْنُ الْمُنَافِقِينَ يُظْهِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ الإِيمَانَ وَالْمَوَدَّةَ، وَهُمْ فِي الْبَاطِنِ بِخِلَافِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} وَذَلِكَ أَشَدُّ الْغَيْظِ وَالْحَنَقِ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أَيْ: مَهْمَا كُنْتُمْ تَحْسُدُونَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَغِيظُكُمْ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مُتِمٌّ نِعْمَتَهُ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُكَمِّلٌ دِينَهُ، وَمُعْلٍ كَلِمَتَهُ وَمُظْهِرٌ دِينَهُ، فَمُوتُوا أَنْتُمْ بِغَيْظِكُمْ.

{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أَيْ: هُوَ عَلِيمٌ بِمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ ضَمَائِرُكُمْ، وَتُكِنُّهُ سَرَائِرُكُمْ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالْحَسَدِ وَالْغِلِّ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا بِأَنْ يُرِيَكُمْ خِلَافَ مَا تُؤَمِّلُونَ،

وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ فِي النَّارِ الَّتِي أَنْتُمْ خَالِدُونَ فِيهَا، فَلَا خُرُوجَ لَكُمْ مِنْهَا. (1)

* * *

[١٢٠] ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن تصبكم أيها المؤمنون- نعمة من نصر على عدو، أو زيادة في مال وولد" يصيبهم الهم والحزن، وإن تصبكم مصيبة من نصر عدو أو نقص في مال وولد، يفرحوا بذلك، ويشمتوا بكم، وإن تصبروا على أوامره وأقداره، وتتقوا غضبه عليكم" لا يضركم مكرهم وأذاهم، إن الله بما يعملون من الكيد محيط، وسيردهم خائبين. (2)

* * *

يَعْنِي:- ومن عداوة هؤلاء أنكم أيها المؤمنون- إن نزل بكم أمرٌ حسن من نصر وغنيمة ظهرت عليهم الكآبة والحزن، وإن

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (119)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (65/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وقع بكم مكروه من هزيمة أو نقص في الأموال والأنفس والثمرات فرحوا بذلك، وإن تصبروا على ما أصابكم، وتتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، لا يضركم أذى مكرهم. والله بجميع ما يعمل هؤلاء الكفار من الفساد محيط، وسيجازيهم على ذلك.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن جاءتكم نعمة كنصر وغنيمة تحزنهم، وإن تصبكم مساءة كجدب وهزيمة يُسَرُّوا بإصابتكم، وإن تصبروا على أذاهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم لا يضركم مكرهم وعداوتهم أى ضرر، لأنه تعالى عالم بما يعملونه من الكيد، فلا يعجزه رده عنكم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ} ... يأتيكم الخيرُ كالنصرِ والتأييدِ والقوة والخيرِ.

أي: الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع.

{سَيِّئَةٌ السيئة} ... ما كان ضد ذلك.

هذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير، ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة. والمس مستعار لمعنى الاصابة فهما بمعنى.

{وَإِنْ تَصْبِرُوا} ... على عداوتهم.

{وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ} ... ما يسوؤكم كالهزيمة أو الموت أو المجاعة.

{كَيْدُهُمْ} ... مكرُهم بكم وَتَبْيِيتُ الشرِّ لكم.

{وَتَتَّقُوا} ... ما نهيتم عنه من موالاتهم.

{بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} ... علمًا به وقدرةً عَلَيْه" إِذْ هُمْ واقعونَ تحتَ قهرِه وعظيمِ سُلْطَانه.

{بما يَعْمَلُونَ} ... في عداوتهم.

{مُحِيطٌ} ... فمعاقبهم عليه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها}.

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها}، وإذا رأوا من أهل الإسلام ألفة وجماعة وظهورا على عدوهم، غاظهم ذلك وساءهم، وإذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافا، أو أصيب طرف من أطراف المسلمين، سرهم ذلك وأعجبوا: ابتهجوا به فهم كلما خرج منهم قرن أكذب الله أحدوثته، وأوطأ محلته، وأبطل حجته، وأظهر عورته، فذاك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقي إلى يوم القيامة.(3)

* * *

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (65/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (90/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (120).

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إن تمسسكم حسنة تسؤهم} يعني بالحسنة: النصر.

{وإنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَة} نكبة من الْمُشْركين.

{يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا} أي: أنهم لا شوكة لهم إلا أذى بالألسنة.

{إنَّ اللَّه بما يعملُون مُحيط} أي: يجازيهم بِمَا يعملون.(1)

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {120} وقوله تعالى:

{إنْ تَمْسَسْكُمْ} أي: تصبكم أيها المؤمنون {حَسَنَة} بظهوركم على عدوِّكم وغنيمة تنالونها منهم، وتتابع النَّاس في الدُّخول في دينكم، وخصب في معايشكم {تَسُؤْهُمْ} تحزنهم، {وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَة} مَسَاءة بإخفاق سرية لكم أو إصابة عدو منكم، واختلاف يكون بينكم أو جدب أو نكبة، {يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا} على أذاهم {وَتَتَّقُوا} تخافوا ربكم {لا يَضُرُّكُمْ} أَيْ: لَا يَنْقُصُكُمْ، {كَيْدُهُمْ شَيْئًا}

قَرَأَ (ابْنُ عَامِرٍ) وَ(ابْنُ كَثِيرٍ) وَ(نَافِعٌ) وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ (لَا يَضُرْكُمْ) بِكَسْرِ الضَّادِ خَفِيفَةً، يُقَالُ: ضَارَ يَضِيرُ ضَيْرًا، وَهُوَ جَزْمٌ عَلَى جَوَابِ الْجَزَاءِ،

وَقَرَأَ (الْبَاقُونَ) بِضَمِّ الضَّادِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ مِنْ ضَرَّ يَضُرُّ ضَرًّا مِثْلَ رَدَّ يَرُدُّ رَدًّا وَفِي رَفْعِهِ وَجْهَانِ.

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ أَرَادَ الْجَزْمَ، وَأَصْلُهُ يَضْرُرْكُمْ فَأُدْغِمَتِ الرَّاءُ فِي الرَّاءِ، وَنُقِلَتْ ضَمَّةُ الرَّاءِ الْأُولَى إِلَى الضَّادِ وَضُمَّتِ الثَّانِيَةُ اتِّبَاعًا،

وَالثَّانِي: أَنْ تَكُونَ لَا بِمَعْنَى لَيْسَ وَيُضْمَرُ فِيهِ الْفَاءُ، تَقْدِيرُهُ: وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَلَيْسَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا، {إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} {آل عمران: 120} أي: عَالِمٌ.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- ثُمَّ قَالَ: {إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا} وَهَذِهِ الْحَالُ دَالَّةٌ عَلَى شِدَّةِ الْعَدَاوَةِ مِنْهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا أَصَابَ الْمُؤْمِنِينَ خِصْبٌ، وَنَصْرٌ وَتَأْيِيدٌ، وَكَثُرُوا وَعَزَّ أَنْصَارُهُمْ، سَاءَ ذَلِكَ الْمُنَافِقِينَ، وَإِنْ أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ سَنَةٌ -أَيْ: جَدْبٌ-أَوْ أُدِيلَ عَلَيْهِمُ الْأَعْدَاءُ، لِمَا لِلَّهِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ، كَمَا جَرَى يَوْمَ أُحُدٍ، فَرِحَ الْمُنَافِقُونَ بِذَلِكَ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مُخَاطِبًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} يُرْشِدُهُمْ تَعَالَى إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ شَرِّ الْأَشْرَارِ وَكَيْدِ الْفُجَّارِ، بِاسْتِعْمَالِ الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ مُحِيطٌ بِأَعْدَائِهِمْ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لَهُمْ إِلَّا بِهِ، وَهُوَ الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. وَلَا يَقَعُ فِي الْوُجُودِ شَيْءٌ إِلَّا بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ.

ثُمَّ شَرَعَ تَعَالَى فِي ذِكْرِ قِصَّةِ أُحُدٍ، وَمَا كَانَ فِيهَا مِنَ الِاخْتِبَارِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالتَّمْيِيزِ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (120)، للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (120).

بَــيْنَ الْمُــؤْمنِينَ وَالْمُنَــافِقِينَ، وَبَيَــانِ صَــبْرِ الصَّابِرِينَ، (1)

* * *

[١٢١] ﴿ وَإِذْ غَــدَوْتَ مِــنْ أَهْلِــكَ تُبَــوِّئُ الْمُــؤْمِنِينَ مَقَاعِــدَ لِلْقِتَــالِ وَاللَّــهُ سَــمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكــر أيهــا الــنبي- ﷺ - حــين خرجــت أول النهــار مــن المدينــة لقتــال المشــركين في أُحــد، حيــث أَخَــذْتَ تُنْــزِلُ المــؤمنين مــواقعهم مــن القتــال، فبيّنــت لكــل واحــد منزلــه، والله سميــع لأقوالكم، عليم بأفعالكم. (2)

* * *

يَعْنِــي:- واذكــر أيهــا الرســول- ﷺ - حــين خَرَجْــتَ مــن بيتــك لابسًــا عُــدَّة الحــرب، تــنظم صــفوف أصــحابك، وتُنْــزِل كــل واحــد في منزلــه للقــاء المشــركين في غــزوة ‹ أُحُــد › . والله سميــع لأقوالكم، عليم بأفعالكم. (3)

* * *

يَعْنِــي:- واذكــر أيهــا النبــى ﷺ - حــين خرجــت مبكــراً مــن عنــد أهلــك إلى أُحُــد قاصــداً إنــزال المــؤمنين فــى مراكــز القتــال. والله سميــع لأقوالكم، عليم بنياتكم. (4)

(1) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) في ســورة (آل عمــران) الآيــة (120)، للإِمَامْ (ابن كثير).
(2) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (65/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظــر: (التفســير الميســر) بــرقم (65/1)، المؤلــف: (نخبــة مــن أســاتذة التفسير).
(4) انظــر: (المنتخــب في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (90/1)، المؤلــف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِذْ غَدَوْتَ} ... الغُدُوُّ: الذَّهابُ أَوّلَ النَّهار.

{غَــدَوْتَ} ... مِــنْ أَهْلِــكَ بالمدينــة. وهــو غــدوه الى أحد من حجرة عائشة - رضى الله عنها.

{غَدَوْتَ} ... خَرَجْتَ مِنْ أَوّلِ النَّهَارِ.

{مِــنْ أَهْلِــكَ} ... أَهْــلُ الرَّجُــلِ: زوجُــه وأولادُه، ومِــنْ لابتِــداءِ الغايــةِ" إذ خــرج - صــلى الله عليــه وســلم - صــباحَ الســبتِ مــن بيتــه إلى أُحُــدٍ حيث نَزَلَ المشركون به يومَ الأربعاء.

{تُبَــوِّئُ الْمُــؤْمِنِينَ مَقَاعِــدَ لِلْقِتَــالِ} ... تُنْــزِلُ المجاهــدين الأمــاكنَ الــتي رأيتهــا صــالحةً للنزول فيها في ساحة المعركة.

{تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ} ... تنزلهم.

{تُبَوِّئُ} ... تُنَزِّلُ.

{مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ} ... مواطن ومواقف.

{وَاللَّــهُ سَــمِيعٌ عَلِيــمٌ} ... أي: سميــع لأقــوالكم عليم بنياتكم وضمائركم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

وقــال: الإِمَــامْ (البخــاري) - (رحمــه الله) - في (صحيحه):- {تُبَوِّئُ}: تَتَّخِذُ مُعَسْكَرًا. (5)

* * *

قــال: الإِمَــامْ (البغــوي) - (مُحيــي السُــنَّة) -:(رحمــه الله) - في (تفســيره):- قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {وَإِذْ غَــدَوْتَ مِــنْ أَهْلِــكَ تُبَــوِّئُ الْمُــؤْمِنِينَ مَقَاعِــدَ لِلْقِتَــالِ} {آل عمــران: 121} قَــال: (الْحَسَنُ): هُوَ يَوْمُ بَدْرٍ،

(5) انظــر: صــحيح الإِمَــامْ (البُخَــارِي) في تفســير ســورة (آل عمــران) الآيــة (121). برقم (ج 6/ ص 34).

وقَالَ: (مُقَاتِلٌ): يَوْمُ الْأَحْزَاب،

وقَالَ: (سَائِرُ الْمُفَسِّرِينَ): هُوَ يَوْمُ أُحُد،

وقال: (مُجَاهِدٌ): ((غَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَنْزِلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها يمشي عَلَى رِجْلَيْهِ إِلَى أُحُد فَجَعَلَ يَصُفُّ أَصْحَابَهُ لِلْقِتَالِ كَمَا يُقَوَّمُ القدح)). فَكَانَ مِنْ حَرْبِ أُحُد مَا كَانَ،

فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ} تُنْزِلُ الْمُؤْمِنِينَ.

{مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ} أَيْ: مَوَاطِنَ، وَمَوَاضِعَ لِلْقِتَالِ، يُقَالُ: بَوَّأْتُ الْقَوْمَ إِذَا وَطَّنْتُهُمْ، وَتَبَوَّءُوا هُمْ إذا توطؤوا،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ)،

وَقَالَ: (أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا).

يَعْنِي:- تَتَّخِذُ مُعَسْكَرًا، {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} {آل عمران: 121}.[1]

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تَفْسِيرُ الْقُرآنِ الْعَظِيمِ):- {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121)} الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْوَقْعَةِ يَوْمُ أُحُدٍ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، قَالَهُ: (ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ)، وَغَيْرُ وَاحِدٍ. وَعَنِ (الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ): الْمُرَادُ بِذَلِكَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ.

رَوَاهُ الإِمَامُ (ابْنُ جَرِيرٍ)، وَهُوَ غَرِيبٌ لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ.

وَكَانَتْ وقعةُ أُحُدٍ يومَ السَّبْتِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.[2]

قَالَ: (قَتَادَةُ): لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَوَّال.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ): يَوْمَ السَّبْتِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّال، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ حِينَ قُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَوْمَ بَدْر، وَسَلِمَتِ العيرُ بِمَا فِيهَا مِنَ التِّجَارَةِ الَّتِي كَانَتْ مَعَ أَبِي سُفْيان، فَلَمَّا رَجَعَ قفلُهُم إِلَى مَكَّةَ قَالَ: أَبْنَاءُ مَنْ قُتِلَ، وَرُؤَسَاءُ مَنْ بَقِيَ لِأَبِي سُفْيَانَ: ارْصُدْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ لِقِتَالِ مُحَمَّدٍ، فَأَنْفَقُوهَا فِي ذَلِكَ، وَجَمَعُوا الْجُمُوعَ وَالْأَحَابِيشَ وَأَقْبَلُوا فِي قَرِيبٍ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ، حَتَّى نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْ أُحُدٍ تِلْقَاءَ الْمَدِينَةِ، فَصَلَّى رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يومَ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا صَلى عَلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو، وَاسْتَشَارَ النَّاسَ: أَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ أَمْ يَمْكُثُ بِالْمَدِينَةِ؟ فَأَشَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بِالْمُقَامِ بِالْمَدِينَةِ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَحْبِسٍ وَإِنْ دَخَلُوهَا قَاتَلَهُمُ الرِّجَالُ فِي وُجُوهِهِمْ، وَرَمَاهُمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ. وَأَشَارَ آخَرُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَدِمَ بَعْضُهُمْ وَقَالُوا: لَعَلَّنَا

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (121).

(2) قال: الشيخ (أحمد شاكر) في (عمدة التفسير) (31/3): نقل الحافظ قولين: أنها كانت في (11) شوال، والآخر: في النصف من شوال: والثابت في كتاب: التوفيقات الإلهامية أن أول شوال سنة (3)- كان يوم أُحد. فيكون يوم السبت هو يوم (14) منه. وانظر: تفصيل الأخبار عن غزوة أُحد، في (البداية والنهاية) الإمام (ابن كثير). برقم (4/ 9-61).

استكرهْنَا رسولَ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، إنْ شئْتَ أَنْ نَمْكُثَ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ:-((مَا يَنْبَغِي لنَبِيّ إِذَا لَبِسَ لأمَتَه أَنْ يَرْجِعَ حتى يَحْكُمَ اللهُ لَه)).(1) فَسَار، عَلَيْه السَّلامُ في أَلْف منْ أَصْحَابه، فَلَمَّا كَانَ بالشَّوط رجَعَ (عَبْدُ اللَّه بْنُ أُبَيّ) في ثُلُث الْجَيْش مُغْضَبا" لكَوْنه لَمْ يَرْجِعْ إلَى قَوْله، وَقَالَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ: لَوْ نَعْلَمُ الْيَوْمَ قتَالًا لاتَّبَعْنَاكُمْ، ولَكنَّا لا نَراكُمْ تُقَاتلُونَ الْيَوْمَ.

وَاسْتَمَرَّ رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- سَائرًا حَتَّى نَزَلَ الشّعْب منْ أُحُد في عَدْوَة الْوَادي. وجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَى أُحُد وقَالَ: ((لا يُقَاتلَنَّ أَحَدٌ حَتَّى نَأْمُرَهُ بالْقتَال)).

وَتَهَيَّأَ رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - للْقتَال وَهُوَ في سَبْعمائَة منْ أَصْحَابه، وأَمَّرَ عَلَى الرُّمَاة (عَبْدَ اللَّه بْنَ جُبَيْر) أَخَا بَني (عَمْرو بْن عَوْف)، وَالرُّمَاةُ يَوْمئذ خَمْسُونَ رَجُلًا فَقَالَ لَهُمْ: ((انْضَحُوا الخَيْلَ عَنَّا، وَلا نُؤْتَيَنَّ منْ قبَلكُمْ. وَالْزَمُوا مَكَانَكُمْ إنْ كَانَت النَّوْبَةُ لَنَا أوْعَلَيْنَا، وإنْ رَأَيْتُمُونَا تَخَطَّفُنَا الطَّيْرُ فَلا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ)).(2)

وَظَاهَرَ رسولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - بَيْنَ درْعَيْن، وَأَعْطَى اللِّوَاءَ مُصْعَب بْنَ عُمَير أَخَا بَني عَبْد الدَّار. وَأَجَازَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بَعْضَ الغلْمَان يَوْمَئذ وَأَرْجَأَ آخَرينَ، حَتَّى أَمْضَاهُمْ يَوْمَ الْخَنْدَق بَعْدَ هَذَا الْيَوْم بقَرِيب منْ سَنَتَيْن.

وتعبَّأت قُرَيْشٌ وهُمْ ثَلاثَةُ آلاف، ومَعَهُمْ مائَتَا فَرَس قَدْ جَنَبُوهَا فَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَة الْخَيْل خَالدَ بْنَ الْوَليد: وَعَلَى الْمَيْسَرَة عكْرمَةَ بْنَ أَبي جَهْل، وَدَفَعُوا إِلَى بَني عَبْد الدَّار اللِّوَاءَ. ثُمَّ كَانَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْن مَا سَيَأْتي تَفْصيلُهُ في مَوَاضعه عنْدَ هَذه الْآيَات، إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ولهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ غَدَوْتَ منْ أَهْلكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمنينَ مَقَاعدَ للْقتَال} أي: بَيّن لهم منازلهم و نجعلهم مَيْمَنَةً وميْسَرة وحَيْثُ أَمَرْتَهُمْ {وَاللَّهُ سَميعٌ عَليمٌ} أَيْ: سَميعٌ لمَا تَقُولُونَ، عَليمٌ بضَمَائرِكُمْ.

وَقَدْ أَوْرَدَ الإمام (ابْنُ جَرير) هَاهُنَا سُؤَالًا حَاصلُهُ: كَيْفَ يَقُولُونَ: إنَّ النَّبيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - سَارَ إِلَى أُحُد يَوْمَ الْجُمُعَة بَعْدَ الصَّلَاة،

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذْ غَدَوْتَ منْ أَهْلكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمنينَ مَقَاعدَ للْقتَال}؟ ثُمَّ كَانَ جَوَابُهُ عَنْهُ: أَنَّ غُدُوَّهُ ليُبَوِّئَهُمْ مَقَاعدَ، إنَّمَا كَانَ يَوْمَ السَّبْت أَوَّلَ النَّهَار.(3)

* * *

[١٢٢] ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) (صَحيح): أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (351/3).
وقال: الإمام (الهيثمي) رقم (107/6). رجاله رجال (الصحيح).
وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (389/3).
و(صححه) (الإمَامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) رقم (1100).

(2) (صَحيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3039) – (كتاب: الجهاد والسير) بنحوه.

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (121)، للإمَامُ (ابن كثير).

اذكر أيها النبي -ﷺ- ما وقع لفرقتين من المؤمنين من بني سَلِمَة، وبني حارثة، حين ضعفوا، وهَمُّوا بالرجوع حين رجع المنافقون، والله ناصر هؤلاء بتثبيتهم على القتال وصرفهم عما هَمُّوا به، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في كل أحوالهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- اذكر أيها الرسول -ﷺ- ما كان من أمر بني سَلِمة وبني حارثة حين حدثتهم أنفسهم بالرجوع مع زعيمهم المنافق عبد الله بن أُبيّ" خوفًا من لقاء العدو، ولكن الله عصمهم وحفظهم، فساروا معك متوكلين على الله. وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون. (2)

* * *

يَعْنِي:- حين خطر لطائفتين من المؤمنين - وهما بنو مسلمة وبنو حارثة - أن تفشلا وترجعا، فعصمهم الله، فثبتوا ومضوا للقتال لأنه متولى أمرهما بالعصمة والتوفيق، فليأخذ المؤمنون من هذا عبرة، وليتوكلوا عليه لينصرهم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِذْ هَمَّتْ} ... بدل من إِذْ غَدَوْتَ، أو عمل فيه معنى سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

{طائِفَتانِ} ... حيان من الأنصار، بنو مسلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس،

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (124) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (127) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (128) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (129) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (131) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ

وهما الجناحان، خرج رسول الله- صلّى الله عليه وآله وسلم- في ألف، والمشركون في ثلاثة آلاف، ووعدهم الفتح ان صبروا، فانخزل عبد الله ابن أبيّ بثلث الناس، وقال: يا قوم، علام نقتل أنفسنا وأولادنا، وهم الحيان باتباع عبد الله، فعصمهم الله، فمضوا مع رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم.

{هَمَّتْ} ... حَدَّثَتْ نفسُها بالرجوع إلى المدينة، وَتَوَجَّهَتْ إرادتُها إلى ذلك.

{أَن تَفْشَلا} ... تَجْبُنَا، وَتَضْعُفَا.

(أي: تَضْعفَا وَتَعُودَا إلى ديارهما تَارِكِينَ الرسول- - صلى الله عليه وسلم - وَمَنْ مَعَهُ يخوضون المعركةَ وحدَهم).

{أَنْ تَفْشَلا} ... أن تجبنا وتخورا.

{وَاللَّهُ وَلِيهما} ... ناصرهما ومتولى أمرهما.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (66/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (66/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (90/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما}

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال: قال عمرو: سمعت (جابر بن عبد الله) -رضي الله عنهما- يقول: "فينا نزلت {إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما} قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة، وبنو سلمة. وما نحب -وقال: سفيان مرة: وما يسرّني- أنها لم تنزل، لقول الله: (والله وليهما). (1)(2)

* * *

قوله تعالى: (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

انظر: سورة - (آل عمران) - الآية (15). -

كما قال تعالى: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15)}.

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزُول ﴾

وقال: الإمَامْ (البُخَاري و مُسلم) - (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما):- وَعَنْ (جَابِر بْنِ عَبْدِ اللهِ) - رضي الله عنهما - قَالَ: (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا} (3) بَنِي سَلِمَةَ، وَبَنِي حَارِثَةَ (4) وَمَا أُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ) (5)(6) لِقَوْلِ اللهِ: {وَاللهُ وَلِيُّهُمَا} (7)(8) (9).

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {122} {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا} أَيْ: تَجْبُنَا وَتَضْعُفَا وَتَتَخَلَّفَا، وَالطَّائِفَتَانِ بَنُو سَلِمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ وَبَنُو حارثة من الأوس، وكانتا جَنَاحَيِ الْعَسْكَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَرَجَ إِلَى أُحُدٍ فِي أَلْفِ رَجُلٍ،

يَعْنِي:- فِي تِسْعمائة وَخَمْسِينَ رجلًا، فلما بلغوا الشوط اتخذ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ) بِثُلُثِ النَّاسِ ورَجَعَ فِي ثَلَاثمائة/ وَقَالَ: عَلَامَ نَقْتُلُ

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (73/8)، (ح 4558) - (كتاب: تفسير القرآن) - (سورة آل عمران)،

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (1949/4) - (كتاب: فضائل الصحابة)، / باب: (من فضائل الأنصار رضي الله عنهم).

(3) الفَشَلُ: الجُبْن. (فتح الباري) - (ج 11 / ص 383)

(4) بَنُو سَلَمَةَ مِنَ الخَزْرَج وَأَقَارِبهمْ بَنُو حَارِثَة مِنَ الأَوْس. (فتح الباري) (ج11/ ص384).

(5) أَيْ: وَإِنْ الآيَة وَإِنْ كَانَ فِي ظَاهِرهَا غَضّ مِنْهُمْ, لَكِنْ فِي آخِرهَا غَايَة الشَّرَف لَهُمْ.

انظر: (فتح الباري) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) برقم (ج 11 / ص 384).

(6) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3825).

وأخرجه الإمَامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (171) - (2505).

(7) الوَلِيُّ: النَّاصِر. أَيْ: وَاللهُ الدَّافِع عَنْهُمَا مَا هَمُّوا بِهِ مِنَ الفَشَل، لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ وَسْوَسَة الشَّيْطَان, مِنْ غَيْر وَهْن مِنْهُمْ. (فتح الباري) (ج 11 / ص 383).

(8) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3825).

وأخرجه الإمَامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (171) - (2505).

(9) أعاده الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (ج9 / ص393) -عن شيخه (علي بن المديني عن سفيان) به.

وأخرجه الإمَامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (ج16/ ص66)،

و الإمام (ابن جرير) رقم (ج4 / ص73).

انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (1/47-48)، في سورة (آل عمران) الآية (122)، للشيخ: (مُقبل بن هَادي الوادعي). .

أَنْفُسَنَا وَأَوْلَادَنَا؟ فَتَبِعَهُمْ أَبُو جَابِرٍ السُّلَمِيُّ فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ فِي نَبِيِّكُمْ وَفِي أَنْفُسِكُمْ، فَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ): لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ، وَهَمَّتْ بَنُو سَلَمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ بِالانْصِرَافِ مَعَ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ)، فَعَصَمَهُمُ اللَّهُ فَلَمْ يَنْصَرِفُوا فَذَكَّرَهُمُ اللَّهُ عَظِيمَ نِعْمَتِهِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا} نَاصِرُهُمَا وَحَافِظُهُمَا، {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} {آل عمران: 122} (1)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- وَقَوْلُهُ: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ: قَالَ عَمْرو: سَمِعْتُ (جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ) يَقُولُ: فِينَا نَزَلَتْ: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} قَالَ: نَحْنُ الطَّائِفَتَانِ بَنُو حَارِثَةَ وَبَنُو سَلَمَةَ. (2)، وَمَا نحب -وَقَالَ: سُفْيَانُ مَرَّةً: وَمَا يسرني- أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا}. (3)

وَكَذَا رَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ) مِنْ حَدِيثِ (سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ) بِهِ.

وَكَذَا قَالَ: غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: إِنَّهُمْ بَنُو حَارِثَةَ وَبَنُو سلمة. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}. ومن لطفه بهم وإحسانه إليهم أنه، لما {همت طائفتان} من المؤمنين بالفشل وهم بنو سلمة وبنو حارثة كما تقدم ثبتهما الله تعالى نعمة عليهما وعلى سائر المؤمنين، فلهذا قال: {والله وليهما} أي: بولايته الخاصة، التي هي لطفه بأوليائه، وتوفيقهم لما فيه صلاحهم وعصمتهم عما فيه مضرتهم، فمن توليه لهما أنهما لما هما بهذه المعصية العظيمة وهي الفشل والفرار عن رسول الله عصمهما، لما معهما من الإيمان،

كما قال تعالى: {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور}.

ثم قال: {وعلى الله فليتوكل المؤمنون} ففيها الأمر بالتوكل الذي هو اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة بالله، وأنه بحسب إيمان

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (122).

(2) قال: الشيخ (أحمد شاكر) في (عمدة التفسير) (32/3): ((بنو سَلَمَة): بفتح السين وكسر اللام. وليس في العرب غيرهم بكسر اللام. وسائر الأسماء بفتح اللام.

(3) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4051 - 4558) - (كتاب: المغازي).

وأخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2505) - (كتاب فضائل الصحابة).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (122)، للإمام (ابن كثير).

العبد يكون توكله، وأن المؤمنين أولى بالتوكل على الله من غيرهم، وخصوصا في مواطن الشدة والقتال، فإنهم مضطرون إلى التوكل والاستعانة بربهم والاستنصار له، والتبري من حولهم وقوتهم، والاعتماد على حول الله وقوته، فبذلك ينصرهم ويدفع عنهم البلايا والمحن، (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• نَهْي المؤمنين عن موالاة الكافرين وجَعْلهم أَخِلّاء وأصفياء يُفْضَى إليهم بأحوال المؤمنين وأسرارهم.

• من صور عداوة الكافرين للمؤمنين فرحهم بما يصيب المؤمنين من بلاء ونقص، وغيظهم إن أصابهم خير.

• الوقاية من كيد الكفار ومكرهم تكون بالصبر وعدم إظهار الخوف، ثم تقوى الله والأخذ بأسباب القوة والنصر. (2)

* * *

[١٢٣] ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولقد نصركم الله على المشركين في معركة بدر وأنتم مستضعفون وذلك لقلة عددكم وعتادكم، فاتقوا الله لعلكم تشكرون نعمه عليكم. (3)

* * *

يَعْنِي:- ولقد نصركم الله أيها المؤمنون - بـ ‹ بدر› على أعدائكم المشركين مع قلة عَدَدكم وعُددكم، فخافوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه" لعلكم تشكرون له نعمه. (4)

* * *

يَعْنِي:- ذكّر الله المؤمنين بنعمة النصر في غزوة بدر حين صبروا، فأكد لهم أنه نصرهم فيها وهم قليلو العدد والعدة، وطلب منهم طاعته لشكر هذه النعمة. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ} ... في عددكم وعُدَّتكم فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر في قلّة ظَهْر ورَثاثة سلاَح، وأعداؤهم يناهزون الأَلْفَ في كمال العُدَّة وَالسِّلَاح.

{بِبَدْرٍ} ... اسم ماء بين مكة والمدينة.

{أَذِلَّةٌ} ... جمع قلة، وجاء به ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا، وذلتهم: ما كانوا فيه من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب.

وقلتهم: أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، وكان عددهم زهاء ألف مقاتل.

{فَاتَّقُوا اللَّهَ} ... فى الثبات مع رسوله.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (122)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (65/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (66/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (66/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (90/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ... بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} يذكرهم نعمته عليهم. قال: (قَتَادَة): نصرهم الله يوم بدر بألف من الْمَلَائِكَة مردفين (1)

* * *

قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ}.

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (رحمه الله) - في (المسند) - (بسنده):- حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك، قال: سمعت عياضا الأشعري، قال: شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان، وابن حسنة، وخالد بن الوليد، وعياض، وليس عياض هذا بالذي حدث سماكا، قال: وقال (عمر): إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة، قال: فكتبنا إليه، إنه قد جاش إلينا الموت واستمددناه، فكتب إلينا أنه قد جاءني كتابكم تستمدوني، وإني أدلكم على من هو أعز نصرا وأحضر جندا الله عز وجل فاستنصروه، فإن محمداً - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني، قال: فقاتلناهم فهزمناهم وقتلناهم أربع فراسخ، قال: وأصبنا أموالا، فتشاوروا، فأشار علينا عياض أن نعطي عن كل رأس عشرة، قال: وقال: (أبو عبيدة): من يراهنني. فقال شاب: أنا إن لم تغضب، قال: فسبقه، فرأيت عقيصتي أبي عبيدة تنقزان وهو خلفه على فرس عربي. (2)

* * *

قال: الإمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده): حدثنا عمرو بن خالد. حدثنا زهير. حدثنا أبو إسحاق. قال: سمعت (البراء) - رضي الله عنه - يقول: حدثني أصحاب محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر: بضعة عشر وثلاثمائة. قال: (البراء): (لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن). (3)

* * *

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (123)، للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (344).
و(صححه) الشيخ (أحمد شاكر) ومحققو (المسند) (بإشراف أ. د. عبد الله التركي) برقم (422/1)، الإمام (ابن كثير). في (تفسيره). وعزاه (للإمام ابن حبان والضياء)، وقال: و(هذا إسناد صحيح) في (التفسير) برقم (93/2).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) -في طريق- : (محمد بن جعفر) به، و(حسنه) الشيخ (شعيب الأرناؤوط) برقم (11/83-84)، (ح 4766).
وقال: الإمام (الهيثمي): رواه الإمام (أحمد) ورجاله رجال الصحيح في (مجمع الزوائد) برقم (213/6).
العقيصة: الشعر المعقوص وهو نحو في المضفور، وأصل العقص: اللي وإدخال أطراف الشعر في أصوله.
انظر: (النهاية) للإمام (ابن الأثير) برقم (275/3).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (49/1).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (131/7) (الإحسان).
وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) رقم (213/6): (رجاله رجال الصحيح).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (كتاب: المغازي)، / باب: (عدة أصحاب بدر) برقم (290/7 ح 3957).

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: (من فورهم هذا)، يقول: من وجههم هذا.[1]

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ} {آل عمران: 123} وَبَدْرٌ مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَهُوَ اسْمٌ لِمَوْضِعٍ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ،

يعْني:- اسْمٌ لبئْرٍ هُنَاك،

يعْني:- كَانَتْ بَدْرٌ بِئْرًا لرجُلٍ يُقَالُ لَه بدر،

{وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} جَمْعُ: ذليل، وَأَرَادَ بِه قلَّة العَدَدِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ مَعَ قلة عددهم وعددهم، {فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} {آل عمران: 123}.[2]

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تَفْسِير القُرآنِ العَظِيم):- وَقَوْلُهُ: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أَيْ: يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ فِي جُمُعَةٍ وَافَقَ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْفُرْقَانِ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، ودمغ فِيهِ الشِّرْكَ وخرَّب محله، هَذَا مَعَ قِلَّةِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فِيهِمْ فرسان وسبعون بعيرا، وَالْبَاقُونَ مُشَاةٌ، لَيْسَ مَعَهُمْ مِنَ الْعَدَدِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ الْعَدُوُّ يَوْمَئِذٍ مَا بَيْنَ التِّسْعِمِائَةِ إِلَى الْأَلْفِ فِي سَوَابِغِ الْحَدِيدِ والبَيض، وَالْعُدَّةِ الْكَامِلَةِ وَالْخُيُولِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْحُلِيِّ الزَّائِدِ، فَأَعَزَّ اللَّهُ رَسُولَه، وَأَظْهَرَ وَحْيَهُ وَتَنْزِيلَهُ، وبيَّض وجْه النَّبِيِّ وَقَبِيلَه، وأخزى الشَّيْطَانَ وَجِيلَهُ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: -مُمْتَنًا عَلَى عِبَادِه الْمُؤْمِنِينَ وحزبه الْمُتَّقِينَ: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} أَيْ: قَلِيلٌ عَدَدُكُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ النَّصْرَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَا بِكَثْرَةِ العَدَدِ والعُدَد" وَلِهَذَا قَالَ: فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنزلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِه وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {التَّوْبَة: 25 - 27}.[3]

* * *

[١٢٤] ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

اذكر أيها النبي -ﷺ- حين قلت للمؤمنين مثبتًا لهم في معركة بدر بعدما سمعوا بمدد يأتي للمشركين: ألن يكفيكم أن يعينكم الله

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (123).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (123).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (123)، للإمَامْ (ابن كثير).

بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين منه سبحانه لتقويتكم في قتالكم؟!.(1)

* * *

يَعْنِي:- اذكر أيها النبي -ﷺ- ما كان من أمر أصحابك في ‹ بدر › حين شقَّ عليهم أن يأتي مَدَد للمشركين، فأوحينا إليك أن تقول لهم: ألن تكفيكم معونة ربكم بأن يمدكم بثلاثة آلاف من الملائكة مُنْزَلين من السماء إلى أرض المعركة، يثبتونكم، ويقاتلون معكم؟.(2)

* * *

يَعْنِي:- بلى يكفيكم ذلك الإمداد، وإن تصبروا على القتال، وتلتزموا التقوى، ويأتكم أعداؤكم على الفور يزد ربكم الملائكة إلى خمسة آلاف مرسلين من عند الله لتقويتكم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إذْ} ... ظرف لنصركم، أو بدل ثان من إذْ غَدَوْتَ.

{أَلَنْ يَكْفِيكُمْ} ... انكار ألا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة، وجيء بلفظة أَلَنْ الذي هو لتأكيد النفي، للاشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عددهم وشوكتهم كالآيسين من النصر.

{مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ} ... وَعدَهُمُ اللهُ بنزول الملائكة لتقوِّي قلوبهم وَيَثِقُوا بنصرِ الله ويعزموا عَلَى الثبات،

واختلف الناسُ: هل كان هذا الإمدادُ فيه من الملائكة مباشرةً للقتال كما قاله بعضهم، أو أن ذلك تثبيتٌ من الله لعباده المؤمنين، وإلقاء الرعب في قلوب المشركين كما قاله كثيرٌ من المفسرين.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ} رَجَعَ إِلَى قصَّة أحد {أَلَنْ يكفيكم أَن يمدكم} أَي: يقويكم ربكُم {بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ منزلين} ينزلهم الله عَلَيْكُم من السَّمَاء.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ} {آل عمران: 124} اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: (قَتَادَةُ): كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أَمَدَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كَمَا قَالَ: {فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ} {الْأَنْفَالِ: 9} ثُمَّ صَارُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ثُمَّ صَارُوا خَمْسَةَ آلَافٍ كَمَا ذُكِرَ هَاهُنَا، {بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ} {آل عمران: 124}.(5)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (66/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (66/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (90/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (124)، للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).
(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلْإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (124).

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذَا الْوَعْدِ: هَلْ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أَوْ يَوْمَ أُحُدٍ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ قَوْلَهُ: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ} مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ} وروي هَذَا عَنِ الإمام (الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَعَامِرٍ الشَّعْبِيِّ، والرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ)، وَغَيْرِهِمْ.
واخْتَارَهُ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ).

قَالَ: (عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ)، عَنِ (الْحَسَنِ) فِي قَوْلِهِ: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ} قَالَ: هَذَا يَوْمُ بَدْرٍ.

رَوَاهُ الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وُهَيب عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عَامِرٍ -يَعْنِي الشَّعْبِيَّ- أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَلَغَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ أَنَّ كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ يُمِدُّ الْمُشْرِكِينَ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنزلِينَ} إِلَى قَوْلِهِ: {مُسَوِّمِينَ} قَالَ: فَبَلَغَتْ كُرْزًا الْهَزِيمَةُ، فَلَمْ يُمِدَّ الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ يُمِدَّ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِالْخَمْسَةِ.

وَقَالَ: (الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ): أَمَدَّ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِأَلْفٍ، ثُمَّ صَارُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ، ثُمَّ صَارُوا خَمْسَةَ آلَافٍ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ -عَلَى هَذَا الْقَوْلِ- وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ بَدْرٍ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الْأَنْفَالِ: 9، 10] فَالْجَوَابُ: أَنَّ التَّنْصِيصَ عَلَى الْأَلْفِ هَاهُنَا لَا يُنَافِي الثَّلَاثَةَ الْآلَافَ فَمَا فَوْقَهَا، لِقَوْلِهِ: {مُرْدِفِينَ} بِمَعْنَى يَرْدَفُهُمْ غَيْرُهُمْ وَيَتْبَعُهُم أُلُوفٌ أُخَرُ مِثْلُهُمْ. وَهَذَا السِّيَاقُ شَبِيهٌ بِهَذَا السِّيَاقِ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ. فَالظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ أَنَّ قِتَالَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّمَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ،

قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ)، عَنْ (قَتَادَةَ): أَمَدَّ الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف.

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ هَذَا الْوَعْدَ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ} وَذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ. وَهُوَ قَوْلُ: (مُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَالضَّحَّاكِ، وَالزُّهْرِيِّ، وَمُوسَى بْنِ عُقْبَةَ) وَغَيْرِهِمْ. لَكِنْ قَالُوا: لَمْ يَحْصُلِ الْإِمْدَادُ بِالْخَمْسَةِ الْآلَافِ" لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ فَرُّوا يَوْمَئِذٍ -زَادَ (عِكْرِمَةُ): وَلَا بِالثَّلَاثَةِ الْآلَافِ" لِقَوْلِهِ: {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا} فَلَمْ يَصْبِرُوا، بَلْ فَرُّوا، فَلَمْ يُمَدُّوا بِمَلَكٍ وَاحِدٍ. (1)

* * *

[١٢٥] ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (124)، للإمَام (ابن كثير).

بلى، إن ذلك يكفيكم. ولكم بشارة بعون آخر من الله: إن صبرتم على القتال، واتقيتم الله، وجاء المدد إلى أعدائكم من ساعتهم مسرعين إليكم، إن حصل ذلك فإن ربكم سيعينكم بخمسة آلاف من الملائكة معلمين أنفسهم وخيولهم بعلامة ظاهرة.(1)

* * *

يَعْنِي:- بلى يكفيكم هذا المَدَد. وبشارة أخرى لكم: إن تصبروا على لقاء العدو وتتقوا الله بفعل ما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه، ويأت كفار ‹ مكة › على الفور مسرعين لقتالكم، يظنون أنهم يستأصلونكم، فإن الله يمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين أي: قد أعلموا أنفسهم وخيولهم بعلامات واضحات.(2)

* * *

يَعْنِي:- بلى يكفيكم ذلك الإمداد، وإن تصبروا على القتال، وتلتزموا التقوى، ويأتكم أعداؤكم على الفور يزد ربكم الملائكة إلى خمسة آلاف مرسلين من عند الله لتقويتكم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{بَلَى} ... إيجاب لما بعد (لن)، والمعنى: بل يكفيكم الامداد بهم، فأوجب الكفاية.

{إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا} ... يمددكم بأكثر من ذلك العدد.

{وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ} ... أي: يأتيكم المشركونَ من وقْتِهمْ وَسَاعَتِهمْ.

{وَيأْتُوكُمْ} ... يعني المشركين.

{مِنْ فَوْرِهِم} ... هذا أي من ساعتهم هذه.

{فَوْرِهِمْ هَذَا} ... سَاعَتِهِمْ هَذِهِ.

{يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ} ... بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم.

{مُسَوِّمِينَ} ... مُعَلِّمِينَ أَنْفُسَهُمْ، وَخُيُولَهُمْ بِعَلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ. (أي: مُعَلَّمِينَ بعلامات تَعْرِفُونَهُمْ بِهَا).

أي: معلمين بعلامات، على بناء اسم المفعول. وقرئ: مسومين، بكسر الواو المشددة، أي معلمين أنفسهم وخيلهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {ويأتوكم من فورهم هذا}.

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قوله: {ويأتوكم من فورهم هذا} قال: غضب لهم، يعني الكفار، فلم يقاتلوهم عند تلك الساعة، وذلك يوم أحد.(4)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- قَالَ: (عِكْرِمَةُ): {مِنْ فَوْرِهِمْ}: مِنْ غَضَبِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/66). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/66)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/91)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (125).

الْمُسَوَّمُ: الَّذِي لَهُ سِيماءٌ بِعلَامَةٍ، أَوْ بِصُوفَةٍ، أَوْ بِمَا كَانَ. (1)

* * *

قوله تعالى: ({يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين} .

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) – (مجاهد): في قوله: {بخمسة آلاف من الملائكة مسومين}، يقول: معلمين، مجزوزة أذناب خيلهم، ونواصيها – فيها الصوف أو العهن. وذلك التسويم. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا} من (وجههم) هَذَا {يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} قَالَ: (قَتَادَة): يَعْنِي: عَلَيْهِم سِيما الْقِتَال.

قَالَ: (مُحَمَّد): السُّومة: الْعَلَامَة الَّتِي يُعلم بهَا الْفَارِس نَفسه.

قَالَ: (الشّعبيّ): وعده خَمْسَة آلاف إِن جَاءُوا من ذَلِك الْفَوْر، فَلم يجيئوا من ذَلِك الْفَوْر، وَلم يمده بِخَمْسَة آلَاف، وَإِنَّمَا أمده بِأَلْف مُردفِينَ، وبثلاثة آلاف منزلين" فهم أَرْبَعَة آلاف، وهم الْيَوْم فِي جنود الْمُسلمين. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {125} {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة كَمَا وَعدَ،

قَالَ: (الْحَسَنُ): وَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ آلَافٍ رِدْءُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) وَ(مُجَاهِدٌ): لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ في المعركة إلا يوم بدر فيما سِوَى ذَلِكَ يَشْهَدُونَ الْقِتَالَ وَلَا يقاتلون، وإنما يكونون عددا ومددا، وَقَالَ: (الْآخَرُونَ): إِنَّمَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ إِنْ صَبَرُوا عَلَى طَاعَتِهِ وَاتَّقَوْا مَحَارِمَهُ أَنْ يَمُدَّهُمْ أَيْضًا فِي حُرُوبِهِمْ كلها، فلم يصبروا إلا يوم الأحزاب، فأمدهم حين حاصروا قريظة والنضير،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ)، وَ(عِكْرِمَةُ): كَانَ هَذَا يَوْمَ أُحُدٍ وَعَدَهُمُ اللَّهُ الْمَدَدَ إِنْ صَبَرُوا فَلَمْ يَصْبِرُوا فَلَمْ يمدوا. قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ} الإمداد: إعانة الجيش،

وَقِيلَ: مَا كَانَ عَلَى جِهَةِ الْقُوَّةِ وَالْإِعَانَةِ، يُقَالُ فِيهِ: أَمَدَّهُ إِمْدَادًا، وَمَا كَانَ عَلَى جِهَةِ الزيادة،

ويقال فيه: مده مددا، منه قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ} {لُقْمَان: 27}.

وَقِيلَ: الْمَدُّ فِي الشَّرِّ، وَالْإِمْدَادُ فِي الْخَيْرِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تعالى: {وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ} {البقرة: 15}.

وقال: في الخير {وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ} {الْإِسْرَاء: 6}.

---

(1) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (125). برقم (ج 6/ ص 34).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (125).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (125)، للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ} قرأ (ابن عامر) تشديد الزَّاي عَلَى التَّكْثِيرِ لقَوْلِه تعالَى: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ} {الْأَنْعَام: 111}. وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ دَلِيلُهُ،

قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ} {الْفُرْقَان: 21}.

وَقَوْلُهُ: {وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} {التَّوْبَة: 26} ثُمَّ قَالَ: {بَلَى} نمدكم،

{إِنْ تَصْبِرُوا} لعدوكم،

{وَتَتَّقُوا} مخالفة نبيكم،

{وَيَأْتُوكُمْ} يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ.

{مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وَ(قَتَادَةُ) وَ(الْحَسَنُ) وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(الضَّحَّاكُ): مِنْ غَضَبِهِمْ هَذَا لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا رَجَعُوا لِلْحَرْبِ يَوْمَ أُحُدٍ مِنْ غَضَبِهِمْ لِيَوْمِ بَدْرٍ، {يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ} لَمْ يُرِدْ خَمْسَةَ آلَافٍ سِوَى مَا ذَكَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ، بَلْ أَرَادَ مَعَهُمْ،

وَقَوْلُهُ {مُسَوِّمِينَ} أي: معلمين، وَاخْتَلَفُوا فِي تِلْكَ الْعَلَامَةِ، فَقَالَ: (عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ): كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى خَيْلٍ بُلْقٍ عَلَيْهِمْ عَمَائِمُ صُفْرٌ،

وَقَالَ: (عَلِيٌّ)، وَ(ابْنُ عَبَّاس) - رضي الله عنهم:-عَمَائِمُ بِيضٌ قَدْ أَرْسَلُوهَا بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ،

وَقَالَ: (هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ): عليهم عَمَائِمُ صُفْرٌ مُرْخَاةٌ عَلَى أَكْتَافِهِمْ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ)، وَ(قَتَادَةُ): كَانُوا قَدْ أَعْلَمُوا بِالْعِهْنِ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ وأذنابها. (1)

* * *

قَالَ: الْإِمَامُ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تَفْسِيرِ القُرآنِ العَظِيمِ):- وَقَوْلُهُ: {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا} يَعْنِي: تَصْبِرُوا عَلَى مُصَابَرَةِ عَدُوِّكُمْ وَتَتَّقُونِي وَتُطِيعُوا أَمْرِي.

وَقَوْلُهُ: {وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا} قَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(الرَّبِيعُ)، وَ(السُّدِّيُّ): أَيْ مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(أَبُو صَالِحٍ): أَيْ مِنْ غَضَبِهِمْ هَذَا.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): مِنْ غَضَبِهِمْ وَوَجْهِهِمْ.

وَقَالَ: (الْعَوْفِيُّ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): مِنْ سَفَرِهِمْ هَذَا. وَيُقَالُ: مِنْ غَضَبِهِمْ هَذَا.

وَقَوْلُهُ: {يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} أَيْ: مُعَلَّمِينَ بِالسِّيمَا.

وَقَالَ: (أَبُو إِسْحَاقَ السَّبِيعِيُّ)، عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ، عَنْ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ سِيمَا الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ الصُّوفَ الْأَبْيَضَ، وَكَانَ سِيمَاهُمْ أَيْضًا فِي نَوَاصِي خَيْلِهِمْ .

رَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ، عَنْ (أَبِي سَلَمَةَ)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {مُسَوِّمِينَ} قَالَ: بِالْعِهْنِ الْأَحْمَرِ.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (125).

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): {مُسَوِّمِينَ} أَيْ: مُحَذَّقَةً أَعْرَافُهَا، مُعَلَّمَةً نَوَاصِيهَا بِالصُّوفِ الْأَبْيَض فِي أَذْنَابِ الْخَيْل.

وَقَالَ: (الْعَوْفِيّ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاس)، قَالَ: أَتَتِ الْمَلَائِكَةُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُسَوِّمِينَ بِالصُّوف، فَسَوَّمَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَنْفُسَهُمْ وَخَيْلَهُمْ عَلَى سِيمَاهُمْ بِالصُّوف.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ) وَ(قَتَادَةُ) {مُسَوِّمِينَ} أَيْ: بِسِيمَا الْقِتَال،

وَقَالَ: (مَكْحُولٌ): {مُسَوِّمِينَ} بِالْعَمَائِم.

وروى الإمام (ابْنُ مَرْدُوَيْهِ)، مِنْ حَدِيث (عَبْدِ الْقُدُّوسِ بْنِ حَبِيب)، عَنْ (عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاح)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاس) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي قَوْلِهِ: {مُسَوِّمِينَ} قَالَ: ((مُعَلَّمِينَ. وَكَانَ (3) سِيمَا الملائكة يوم بدر عمائم سود، ويوم حنين عمائم حُمْر)).

ورَوَى مِنْ حَدِيث (حُصَيْنِ بْنِ مُخَارِق)، عَنْ (سَعِيد)، عَنِ (الْحَكَم)، عَنْ (مِقْسَم)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاس) قَالَ: لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا يَوْمَ بَدْر.

وَقَالَ: (ابْنُ إِسْحَاق): حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ، عَنْ مِقْسَم، عَنِ (ابْنِ عَبَّاس) قَالَ: كَانَ سِيمَا الملائكة يوم بدر عَمَائِمَ بِيض قَدْ أَرْسَلُوهَا فِي ظُهُورِهِمْ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ عَمَائِمَ حُمْرًا. وَلَمْ تَضْرِبِ الْمَلَائِكَةُ فِي يَوْمٍ سِوَى يَوْمِ بَدْر، وَكَانُوا يَكُونُونَ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْأَيَّامِ عَدَدًا وَمَدَدًا لَا يَضْرِبُون.

ثُمَّ رَوَاهُ عَنِ (الْحَسَنِ بْنِ عُمَارَةَ)، عَنِ (الْحَكَم)، عَنْ (مِقْسَم) عَنِ (ابْنِ عَبَّاس)، فذكر نحوه.

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِم): حَدَّثَنَا الْأَحْمَسِي حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَة، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّاد: أَنَّ (الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّام) -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، كَانَ عَلَيْهِ يَوْمَ بَدْرٍ عِمَامَةٌ صَفْرَاءُ مُعْتَجِرًا بِهَا، فَنَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمْ عَمَائِمُ صُفْر.

رَوَاهُ (ابْنُ مَرْدُوَيْهِ) -مِنْ طَرِيقِ (هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْر)، فَذَكَرَهُ. (1)

* * *

[١٢٦] ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما جعل الله هذا العون وهذا الإمداد بالملائكة إلا خبرًا سارًا لكم، تطمئن قلوبكم به، وإلا فإن النصر حقيقة لا يكون بمجرد هذه الأسباب الظاهرة، وإنما النصر حقًّا من عند الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في تقديره وتشريعه. (2)

* * *

يَعْنِي:- وما جعل الله هذا الإمداد بالملائكة إلا بشرى لكم يبشركم بها ولتطمئن قلوبكم، وتطييب بوعد الله لكم. وما النصر إلا من

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (125)، للإمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (66/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

عنـد الله العزيـز الـذي لا يغالـب، الحكـيم في تدبيره وفعله.(1)

* * *

يَعْنِـي:- وما جعل اللّه الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر، ولتسكن به قلوبكم، لـيس النصر إلا من عند الله الذى يضع الأشياء فى مواضعها، ويدير الأمور لعبادة المؤمنين.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وما جعَلَـهُ} ... الهاء ل- (أن يمد)، أي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بأنكم تنصرون.

{ولِتَطْمَئِنَّ قُلُوبكُم} ... اطْمِئْنَانُ الْقُلُوبِ: سُكُونُهَا وَذَهَابُ الْخَوْفِ عَنْهَا.

{ولِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ} ... كما كانت السكينة لبنى إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم.

{وَمَا النَّصْرُ إلاَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} ... لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا، ولا من عند الملائكة والسكينة، ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة والطمع فى الرحمة ويربط به قلوب المجاهدين.

{الْعَزِيزِ} ... الذي لا يغالب فى حكمه.

{الْحَكِيمِ} ... الذي يعطى النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {وما جعله الله إلا بشرى لكم}.

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) عن -(مجاهد): (وما جعله الله إلا بشرى لكم) يقول: إنما جعلهم ليستبشروا بهم وليطمئنوا إليهم، ولم يقاتلوا معهم يومئذ يعني يوم أحد،

قال: (مجاهد): ولم يقاتلوا معهم يومئذ ولا قبله ولا بعده إلا يوم بدر.(3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَمَا جعله الله} يَعْنِي: المدد {إلا بُشْرَى لَكُمْ} تستبشرون بها وتفرحون {ولتطمئن قُلُوبكُمْ بِهِ} أَي: لتسكن بِهِ (قُلُوبكُم).(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {126} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ} يَعْنِي هَذَا الْوَعْدَ وَالْمَدَدَ، {إِلا بُشْرَى لَكُمْ} أَيْ: بِشَارَةً لِتَسْتَبْشِرُوا بِهِ {وَلِتَطْمَئِنَّ} تَجْزَعُوا مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّكُمْ وَقِلَّةِ عَدَدِكُمْ، {وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} يَعْنِي: لَا تُحِيلُوا بِالنَّصْرِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْجُنْدِ، فَإِنَّ النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (66/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (126).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمرآن) الآية (126)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

فَاسْتَعِينُوا بِهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْعِزَّ وَالْحُكْمَ لَهُ. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- وَقَوْلُهُ: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ} أَيْ: وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ وَأَعْلَمَكُمْ بِإِنْزَالِهَا إِلا بِشَارَةً لَكُمْ وَتَطْيِيبًا لِقُلُوبِكُمْ وَتَطْمِينًا، وَإِلا فَإِنَّمَا النَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، الَّذِي لَوْ شَاءَ لَانْتَصَرَ مِنْ أَعْدَائِهِ بِدُونِكُمْ، وَمِنْ غَيْرِ احْتِيَاجٍ إِلَى قِتَالِكُمْ لَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ أَمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقِتَالِ: {ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ. سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ. وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ} {مُحَمَّد:4-6}.

وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} أَيْ: هُوَ ذُو الْعِزَّةِ الَّتِي لَا تُرَامُ، وَالْحِكْمَةِ فِي قَدَرِهِ وَالْإِحْكَامِ. (2)

* * *

[١٢٧] ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هذا النصر الذي تحقق لكم في غزوة بدر أراد به أن يهلك طائفة من الذين كفروا بالقتل، ويخزي طائفة أخرى، ويغيظهم بهزيمتهم، فيرجعوا بفشل وذل. (3)

* * *

يَعْنِي:- وكان نصر الله لكم بـ ‹بدْر› ليهلك فريقًا من الكفار بالقتل، ومن نجا منهم من القتل رجع حزينًا قد ضاقت عليه نفسه، يَظْهر عليه الخزي والعار. (4)

* * *

يَعْنِي:- وقد نصركم ليهلك طائفة من الذين كفروا بالقتل، أو يذلهم ويغيظهم بالهزيمة والعار والخزى، فيرجعوا خائبين. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} ... الطَرَفُ: الطَّائِفَةُ، يريد: لِيُهْلِكَ مِنْ جيشِ العدوِّ طائفةً.

أي: ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر، وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم.

{أَوْ يَكْبِتَهُمْ} ... أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة.

{يَكْبِتَهُمْ} ... يُخْزِيَهُمْ. (أي: يُخْزِيهِمْ وَيُذِلَّهُمْ، وأصلُ الكبتِ في اللغة: صرعُ الشيء

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامِ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (126).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (126)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (66/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (66/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

عَلَى وجهه، والمعنى: أنه يَصْرَعُهُمْ عَلَى وجوههم، والمراد منه: القتلُ والهزيمةُ).

{فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ}... غير ظافرين بمبتغاهم.

{فَيَنقَلِبُوا خَآئِبِينَ}... يَرْجِعُوا خَاسِرِينَ لم ينالوا شيئًا من الّذِي أَمَّلُوه من الظَّفَر بكم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين}.

قال: الإمامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: (أو يكبتهم)، يقول: يخزيهم (فينقلبوا خائبين) (1).

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {فينقلبوا خائبين} قَالَ: (مُحَمَّد): قَوْله {طرفا} يَعْني: قِطْعَة،

وقوله: {أَوْ يَكْبِتَهُمْ} قيل: الأَصْل فيه: يكبدهم" أي: يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيظ، التَّاء مبدلة فيه من دَال" لقرب مخرجهما (2).

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {127} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} يقول لقد نصركم الله لِيَقْطَعَ طَرَفًا أَيْ: لِكَيْ يُهْلِكَ طَائِفَةً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا،

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): مَعْنَاهُ لِيَهْدِمَ رُكْنًا مِنْ أركان الشرك بالقتل والأسر،

{أَوْ يَكْبِتَهُمْ} قَالَ: (السُّدِّيُّ): يَلْعَنُهُمْ،

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يُهْلِكُهُمْ،

يَعْنِي:- يحزنهم، والمكبوت: الحزين،

يَعْنِي:- يكبدهم أي: يصيب الْحُزْنُ وَالْغَيْظُ أَكْبَادَهُمْ، وَالتَّاءُ وَالدَّالُ يَتَعَاقَبَانِ كَمَا يُقَالُ سَبَتَ رَأْسَهُ وَسَبَدَهُ إِذَا حَلَقَهُ،

يَعْنِي:- يَكْبِتُهُمْ بالخيبة،

{فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ} لم يَنَالُوا شَيْئًا مِمَّا كَانُوا يَرْجُونَ مِنَ الظَّفَرِ بِكُمْ. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تَفْسِيرُ القُرآنِ العَظِيم):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} أَيْ: أَمَرَكُمْ بِالْجِهَادِ وَالْجِلَادِ، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي كُلِّ تَقْدِيرٍ، وَلِهَذَا ذَكَرَ جَمِيعَ الْأَقْسَامِ الْمُمْكِنَةِ فِي الْكُفَّارِ الْمُجَاهِدِينَ. فَقَالَ: {لِيَقْطَعَ طَرَفًا} أَيْ: لِيُهْلِكَ أُمَّةً {مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ} أَيْ: يُخْزِيَهُمْ وَيَرُدَّهُمْ بِغَيْظِهِمْ لَمَّا لَمْ يَنَالُوا مِنْكُمْ مَا أَرَادُوا،

وَلِهَذَا قَالَ: {أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا} أَيْ: يَرْجِعُوا {خَائِبِينَ} أَيْ: لَمْ يَحْصُلُوا عَلَى مَا أَمَّلُوا. (4)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (126).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (127)، للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (127).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (127)، للإِمَامْ (ابن كثير).

[١٢٨] ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لما دعا الرسول- على رؤساء المشركين بالهلاك بعد ما وقع منهم في أُحد" قال الله له: ليس لك من أمرهم شيء، بل الأمر لله، فاصبر إلى أن يقضي الله بينكم، أو يوفقهم للتوبة فيسلموا، أو يستمروا على كفرهم فيعذبهم، فإنهم ظالمون مستحقون للعذاب. (1)

* * *

يَعْنِي:- ليس لك أيها الرسول- ﷺ - من أمر العباد شيء، بل الأمر كله لله تعالى وحده لا شريك له، ولعل بعض هؤلاء الذين قاتلوك تنشرح صدورهم للإسلام فيسلموا، فيتوب الله عليهم. ومن بقي على كفره يعذبه الله في الدنيا والآخرة بسبب ظلمه وبغيه. (2)

* * *

يَعْنِي:- ليس لك من التصرف فى أمر عبادى شئ، بل الأمر لله، فإما أن يتوب عليهم بالإيمان، أو يعذبهم بالقتال والخزى والعذاب يوم القيامة لأنهم ظالمون. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ}... الأمر: هُوَ الشأنُ، والمرادُ هنا توبةُ الله عَلَى الكافرين أو تعذيبُهم.

والمعنى: ليس لك من أمر مصالح عبادي شيءٌ إلا ما أُوحِيَ إليك، فإن الله تعالى هُوَ مالكُ أَمْرِهِمْ، فَإِمَّا أن يتوبَ عليهم ويهديَهم فَيُسْلِمُوا أو يُهْلِكَهُمْ وَيُعَذِّبَهُمْ إن أَصَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ.

{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}... اعتراض.

والمعنى: أن الله مالك أمرهم، فاما يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم ان أسلموا، أو يعذبهم ان أصروا على الكفر، وليس لك من أمرهم شيء، انما أنت مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم.

{أَوْ يَتُوبَ}... منصوب بإضمار (أن). و (أن يتوب) في حكم اسم معطوف بأو على الْأَمْرِ، أو على شَيْءٌ، أو المثوبة عليهم، أو تعذيبهم.

وقيل: (أو) بمعنى: الا أن، على معنى: ليس لك من أمرهم شيء الا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم، أو يعذبهم فتتشفى منهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {128} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} أَيْ: لَيْسَ إِلَيْكَ، فَاللَّامُ بِمَعْنَى (إِلَى) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ} أَيْ: إِلَى الْإِيمَانِ،

وقوله تعالى: {أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ حَتَّى يَتُوبَ عليهم: أو إلا أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، يَعْنِي:- هُوَ نَسَقٌ عَلَى قَوْلِهِ:

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (66/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (66/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{لِيَقْطَعَ طَرَفًا} ، وقَوْلُهُ: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) اعتراض بين الكلامين، ونَظْم الْآيَة: لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ {أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، بَلِ الْأَمْرُ أَمْرِي فِي ذَلِكَ كُلِّه.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- فقال: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} أَيْ: بَلِ الْأَمْرُ كُلُّهُ إِلَيَّ،

كَمَا قَالَ: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} {الرَّعْد:40} .

وَقَالَ: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} {الْبَقَرَة:272} .

وَقَالَ: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} {الْقَصَص:56} .

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاق) فِي قَوْلِهِ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} أَيْ: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْحُكْمِ شَيْءٌ فِي عِبَادِي إِلا مَا أَمَرْتُكَ بِهِ فِيهِمْ. ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى بَقِيَّةَ الْأَقْسَامِ فَقَالَ: {أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} أَيْ: مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَيَهْدِيهُمْ بَعْدَ الضَّلَالَةِ {أَوْ يُعَذِّبَهُمْ} أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ" وَلِهَذَا قَالَ: {فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} أَيْ: يَسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ.(2)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حَدَّثَنَا حِبَّانُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، حَدَّثَنِي سَالِمٌ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ، إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الفَجْرِ اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا" بَعْدَ مَا يَقُولُ: ((سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ)) فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} .

وَهَكَذَا رَوَاهُ الإِمَامِ (النَّسَائِيُّ)، مِنْ حَدِيث (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ)، وَ(عَبْدِ الرَّزَّاقِ)، كِلَاهُمَا، عَنْ (مَعْمَر)، بِهِ.(3)

* * *

قال: الإمام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَقِيلٍ –قَالَ: الإمام (أَحْمَدُ):: وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَقِيلٍ، صَالِحُ الْحَدِيث ثِقَةٌ–قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَمْزَةَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا، اللَّهُمَّ الْعَنِ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ الْعَنْ سُهَيلَ بْنَ عَمْرٍو، اللَّهُمَّ الْعَنْ صَفْوانَ بْنَ أُمَيَّةَ)). فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} فَتِيبَ عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ(4).

* * *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (128).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (128)، للإمام (ابن كثير).

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (4069، 4559، 7346)

وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11075).

(4) أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (93/2).

قال: الإمام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ الْغَلَابِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ، عَنْ (نَافِعٍ)، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ) " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَدْعُو عَلَى أَرْبَعَةٍ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} قَالَ: وَهَدَاهُمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ[1].

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ)، عَنْ (نَافِعٍ)، عَنِ (ابْنِ عُمَرَ) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَدْعُو عَلَى رِجَالٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُسَمِّيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} الْآيَةَ.

* * *

وقال: الإمَامُ (البُخَارِي) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى أَحَدٍ -أَوْ يَدْعُوَ لِأَحَدٍ-قَنَتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ، وَرُبَّمَا قَالَ -إِذَا قَالَ: ((سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ)): ((اللَّهُمَّ انْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِيِّ يُوسُفَ)). يَجْهَرُ بِذَلِكَ، وَكَانَ يَقُولُ - فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ:-((اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا)) لِأَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} الْآيَةَ.[2][3]

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزول ﴾

قال: الشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادِعِيُّ) - (رحمه الله) - في (الصحيح المسند من أسباب النزول):

{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} {آل عمران 128}.[4]

وقال: الإمَامُ (البخاري) – (رحمه الله):- {فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ}: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ -أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، حَدَّثَنِي (سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ)، عَنْ (أَبِيهِ) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ -إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فِي الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ:- ((اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا)) بَعْدَ مَا يَقُولُ: ((سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ)). فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} إِلَى قَوْلِهِ: {فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}.[5]

وَعَنْ (حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ) قَالَ: سَمِعْتُ (سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -

---

(1) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (104/2).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (74/8)، (ح/4560) – (كتاب: تفسير القرآن)- (سورة (آل عمران)،

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (466/1) – (كتاب: المساجد ومواضع الصلاة)، / باب: (استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة نحوه).

(4) انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (1/48-50)، في سورة (آل عمران) الآية (128)، للشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادِعِيٌّ)، .

(5) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (365/7) "فتح الباري"، وسيأتي حديث (حميد) موصولا عن الإمام (أحمد). أما حديث (ثابت) فقد وصله الإمام (مسلم) برقم (1791).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَدْعُو عَلَى (صفوان بْنِ أُمَيَّةَ)، و(سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو)، وَ(الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ)، فَنَزَلَتْ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} (1).

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- قَالَ: حُمَيْدٌ وثابتٌ، عَنْ (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ): شُجَّ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟ ". فَنَزَلَتْ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} وَقَدْ أَسْنَدَ هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي عَلَّقَهُ الإمام (الْبُخَارِيُّ): – رَحِمَهُ اللَّهُ (2).

* * *

وقال: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده)،- والإِمَامُ (مُسلم) – في (صحيحه)، - (رحمهما الله) – (بسندهما): حَدَّثَنَا هُشَيمٌ، حَدَّثَنَا حُمَيدٌ، عَنْ (أَنَسٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وشُجَّ فِي جَبْهَتِهِ حَتَّى سَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: ((كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ، عَزَّ وَجَلَّ)). فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} (3)

انْفَرَدَ بِهِ الإمام (مُسْلِمٌ)، فَرَوَاهُ عَنِ الْقَعْنَبِيِّ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ (أَنَسٍ)، فَذَكَرَهُ (4).

وَقَالَ: الإمام ((ابْنُ جَرِيرٍ)): حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، حَدَّثَنَا

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4069)، أو (ج8 / ص368).

الحديث أخرجه أيضا الإِمَامْ (البخاري) في (التفسير) (ج9 ص293) عن شيخه (حبان بن موسى) عن (عبد الله وهو ابن المبارك) به. و(ج17 / ص77) عن شيخه(أحمد بن محمد) عن (عبد الله) به. وفيه إذا رفع رأسه من الركوع قال: اللهم ربنا ولك الحمد، في الأخيرة.

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) وقال: (حديث حسن غريب).

وأخرجه الإِمَامْ (والنسائي) برقم (ج2 ص.160).

وأخرجه الإمام (أحمد) برقم (ج2 ص93 وص104) وفيه متابعة نافع لسالم و(ص118/ وص147) -من طريقين - إلى (عبد الله) في أحدهما: دعا على أناس من المنافقين.

وأخرجه الإِمَامْ ((عبد الرزاق) في (المصنف) رقم (ج2 / ص446). كما عند الإمام (أحمد) في بعض الطرق لأن الإمام (أحمد) رواه من طريق الإِمَامْ (عبد الرزاق) أعني فيه دعا على أناس من المنافقين ورواه الإِمَامْ (ابن جرير) برقم (ج4/ ص88).

وأخرجه الإمام (مسلم) - من حديث – (أنس) ولفظه أن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله" فأنزل الله عز وجل {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}.

وأخرج الإمام (أحمد) في (مسنده)- من حديث- (أنس) (ج3/ ص99) و(ص179) و(ص201) و(ص206) و(ص253) و(ص288).

وأخرجه الإمام (الترمذي) رقم (ج4 ص83). وقال: هذا حديث (حسن صحيح).

وأخرجه (ابن سعد) (مجلد 2 ص31)، و الإمام (ابن جرير) برقم (ج4 ص86 وص87).

هذا وقد أخرج الإمام (البخاري) رقم (ج9 ص294)،

و الإمام (مسلم) رقم (ج5 ص177)،

و الإمام (أحمد) رقم (ج2 ص255)، و الإمام (ابن جرير (ج4 / ص89) - من حديث- (أبي هريرة) أن الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: "اللهم العن فلانا وفلانا" لأحياء من العرب حتى أنزل الله {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} قال الحافظ في (الفتح) برقم (ج9/ ص295): وقع تسميتهم في رواية (يونس) عن(الزهري) عند الإمام (مسلم) بلفظ "اللهم العن رعلا وذكوان وعصية".

ثم قال: تقدم استشكاله في غزوة أحد وأن قصة رعل وذكوان كانت بعد أحد ونزول {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} كان في قصة أحد ثم ظهر لي علة الخبر يعني خبر - نزول {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} في قصة رعل وذكوان - وإن فيه إدراجا وأن قوله حتى أنزل الله منقطع من رواية (الزهري) عمن بلغه بين ذلك (1 ج5 / ص177) الإمام (مسلم) في رواية يونس المذكورة فقال: هنا قال: يعني (الزهري).

ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت، وهذا البلاغ لا يصح لما ذكر ثم قال: رحمه الله طريق الجمع بين حديث (ابن عمر وأنس) المتقدمين فقال: وطريق الجمع بينه وبين حديث ابن عمر أنه -صلى عليه وعلى آله وسلم- دعا إلى المذكورين بعد ذلك في صلاته فنزلت الآية في الأمرين معا فيما وقع له من الأمر المذكور وفيما نشأ عنه من الدعاء وذلك كله في أحد بخلاف قصة رعل وذكوان فإنها أجنبية. ويحتمل أن يقال إن قصتهم كانت عقب ذلك وتأخر نزول الآية عن سببها قليلا ثم نزلت في جميع ذلك والله أعلم.

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (365/7) "فتح الباري"، وسيأتي حديث (حميد) موصولا عن الإمام (أحمد). أما حديث (ثابت) فقد وصله الإمام (مسلم) برقم (1791) .

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (99/3).

(4) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1417/13)، (ح 1791) – (كتاب : الجهاد والسير)، / باب: (غزوة أحد).

الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِد، عَنْ مَطَر، عَنْ (قَتَادَةَ) قَالَ: أُصِيبَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ أُحُد وكُسرت رَبَاعيته، وَفُرِقَ حَاجِبُهُ، فَوَقَعَ وَعَلَيْهِ درعَانِ وَالدَّمُ يَسِيلُ، فَمَرَّ بِهِ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، فَأَجْلَسَهُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، فَأَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ: ((كَيْفَ بِقَوْمٍ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟))، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}.

وَكَذَا رَوَاهُ (عَبْدُ الرَّزَّاقِ)، عَنْ (مَعْمَر)، عَنْ (قَتَادَةَ)، بِنَحْوِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: فَأَفَاقَ. (1)(2)

* * *

[١٢٩] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولله ما في السماوات وما في الأرض خَلْقًا وتدبيرًا، يغفر الذنوب لمن يشاء من عباده برحمته، ويعذب من يشاء بعدله. والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- ولله وحده ما في السموات وما في الأرض، يغفر لمن يشاء من عباده برحمته، ويعذب من يشاء بعدله. والله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم. (4)

* * *

يَعْنِي:- إن للَّه - وحده - ما فى السموات وما فى الأرض خلقاً وملكاً، وهو القادر على كل شئ، وفى يده كل شئ، يغفر لمن يريد له المغفرة، ويعذب من يريد تعذيبه، ومغفرته أقرب، ورحمته أرجى لأنه كثير المغفرة والرحمة. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} ... أي: مالكاً وخلقاً وعبيداً يتصرف كيف يشاء ويحكم كما يريد.

{يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ} ... بالتوبة، ولا يشاء أن يغفر الا للتائبين.

{وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} ... ولا يشاء أن يعذب الا المستوجبين للعذاب.

{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ... يَسْتُرُ ذنوبَ عبَاده وَيَغْفِرُهَا لهم وَيَرحَمُهُمْ بِرفْعِ العقوبةِ عَنهُمْ عَاجِلًا.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: تفسير آخر سورة -(البقرة)- آية (284). - كما قال تعالى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ

---

(1) اخرجه الإِمَامُ (الطبري) في (تفسيره) برقم (7/197، 198).
واخرجه الإِمَامُ (عبد الرزاق) في (تفسيره) برقم (2/135).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (128)، للإِمَامُ (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/66). تصنيف (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/66)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/91)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – و الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس) قال: فإنها لم تنسخ، ولكن الله إذا جمع الخلاق يوم القيامة، يقول الله عز وجل إني أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم تطلع عليه ملائكتي. فأما المؤمنين فيغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم، وهو قوله (يحاسبكم به الله) يقول: يخبركم، وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوه في أنفسهم من التكذيب وهو قوله {فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء} وهو قوله {ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم} {البقرة: 225}. أي من الشك والنفاق.(1)(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ} أَيْ: الْجَمِيعُ مِلْكٌ لَهُ، وَأَهْلُهُمَا عَبِيدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ {يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} أَيْ: هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يسألون، والله غفور رحيم.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- عن (أبي هريرة)، قال: لما نزلت على رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {البقرة: 284} قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فأتوا رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –. ثم بركوا على الركب. فقالوا أي رسول الله! كلفنا من الأعمال ما نطيق. الصلاة والصيام والجهاد والصدقة. وقد أنزلت عليك هذه الآية. ولا نطيقها. قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)) قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم. فأنزل الله في إثرها: (آمَنَ الرسول- بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُله لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى. فأنزل الله عز وجل: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (284).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (البقرة) الآية (284).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (129)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

أَخْطَأْنَا) (قال: نعم) (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا)، (قال: نعم) (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ)، (قال: نعم) (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (قال: نعم) . (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده): – عن (مروان الأصفر) عن رجل من أصحاب رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: أحسبه (ابن عمر): (إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) قال: نسختها الآية التي بعدها. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (البُخَاري ومُسلم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما) – عن (أبي هريرة) يرفعه قال: ((إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست -أو حدَّثت- به أنفسها، ما لم تعمل به أو تكلم)). (3) (4)

* * *

[١٣٠] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، تجنَّبوا أخذ الربا زيادة مضاعفة على رؤوس أموالكم التي أقرضتموها، كما يفعل أهل الجاهلية، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، لعلكم تنالون ما تطلبون من خير الدنيا والآخرة. (5)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه احذروا الربا بجميع أنواعه، ولا تأخذوا في القرض زيادة على رؤوس أموالكم وإن قلَّت، فكيف إذا كانت هذه الزيادة تتضاعف كلما حان موعد سداد الدين؟ واتقوا الله بالتزام شرعه" لتفوزوا في الدنيا والآخرة. (6)

* * *

يَعْنِي: يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا في الدَّيْن إلا رءوس أموالكم، فلا تزيدوا عليها زيادة تجئ سنة بعد أخرى فتتضاعف وخافوا اللّه، فلا تأكلوا أموال الناس بالباطل، فإنكم تفلحون وتفوزون باجتنابكم الربا قليله وكثيره. (7)

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (115/1-116) – (كتاب : الإيمان)، / باب: (بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق) .

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 4546) – (كتاب : تفسير القرآن) - / باب: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه)، وباب: (وإن تبدوا ما في أنفسكم) برقم (ح 45) .

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (549/11)، (ح 6664) – (كتاب : الأيمان والنذور)، / باب: (إذا حنث ناسياً في الأيمان)،

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (201) .(كتاب : الأيمان)، / باب: (تجاوز الله عن حديث النفس).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (66/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (66/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(7) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{لا تَـأْكُلُوا الرِّبَـا أَضْـعَافًا مُضَاعَفَةً}... نَهَاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عن أكلِ الربا أضعافًا مضاعفةً، وذلك هُوَ ما اعتاده أهلُ الجاهلية وَمَنْ لا يبالي بالأوامرِ الشرعية مِنْ أنه إذا حلَّ الدَّيْنُ عَلَى المُعْسِرِ ولم يحصل منه شيء قالوا له: إما أن تَقْضِيَ ما عليك مِنَ الدَّيْنِ، وإما نزيد في المدة، ونزيد ما في ذمَّتك وسينفع غريمه، ويلتزمُ ذلك اغتناماً لراحته الحاضرة فيزيد بذلك ما في ذمته أضعافًا مضاعفةً من غير نفع ولا انتفاع.

{لا تَـأْكُلُوا الرِّبَـوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً}... نهى عن الربا، مع توبيخ فيما كانوا عليه من تضعيفه، فلقد كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون.

{لا تَـأْكُلُوا الرِّبا}... لا مفهوم للأكل بل كل تصرف بالربا حرام سواء كان أكلاً أو شرباً أو لباساً.

{الرِّبا}... لغة: الزيادة، وفي الشرع نوعان: ربا فضل وربا نسيئة، ربا الفضل: يكون في الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح فإذا بيع الجنس بمثله يحرم الفضل أي الزيادة ويحرم التأخير،

وربا النسيئة: هو أن يكون على المرء دين إلى أجل فيحل الأجل ولم يجد سداداً لدينه فيقول له أخرني وزد في الدين.

{أَضْعافاً مُضاعَفَةً}... لا مفهوم لهذا" لأنه خرج مخرج الغالب، إذ الدرهم الواحد حرام كالألف، وإنما كانوا في الجاهلية يؤخرون الدين ويزيدون مقابل التأخير حتى يتضاعف الدين فيصبح أضعافاً كثيرة.

{وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}... أي: كي تفلحوا بالنجاة من العذاب والحصول على الثواب وهو الجنة.

{تُفْلِحُونَ}... تنجون من العذاب وتظفرون بالنعيم المقيم في الجنة.(1)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة}.

قال: الإِمَامُ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قول الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة}. قال: ربا الجاهلية.(2)

* * *

وانظر: سورة – (البقرة) –آية (275-279). – كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (آل عمران) الآية (130).

(2) كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمران) الآية (130).

الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279)}.

* * *

قوله تعالى: {واتقوا النار التي أعدت للكافرين}.

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عمر بن حفص, حدثنا أبي قال: حدثني الأعمش، قال: حدثني خيثمة، عن (عدي بن حاتم) قال: قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة)).(1)(2)

* * *

وانظر: سورة -(البقرة) - آية (24) . -

كما قال تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}.

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أضعافا مضاعفة} كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّة إِذا حل دين أحدهم على صَاحبه فتقاضاه، قَالَ: أخر عني وَأَزِيدك.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {130} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً} أَرَادَ بِهِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ عند طول أَجَلِ الدَّيْنِ مِنْ زِيَادَةِ الْمَالِ وتأخير الطلب، {وَاتَّقُوا اللَّهَ} فِي أَمْرِ الرِّبَا فَلَا تَأْكُلُوهُ، {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ} أَيِ: الْجَمِيعُ مِلْكٌ لَهُ، وَأَهْلُهُمَا عَبِيدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ.

{يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} أَيْ: هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يسألون، والله غفور رحيم .(5)

* * *

[١٣١] ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (408/11)، (ح 6539)-(كتاب: الرقاق)، / باب: (من نوقش الحساب عذب).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمُ) في (صحيحه) برقم (703/2-704)-(كتاب: الزكاة)، / باب: (الحث على الصدقة).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (130)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (130).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (130)، للإِمَامُ (ابن كثير) .

واجعلوا بينكم وبين النار التي أعدها الله للكافرين به وقاية" وذلك بعمل الصالحات وترك المحرمات.(1)

* * *

واجعلوا لأنفسكم وقاية بينكم وبين النار التي هُيِّئَت للكافرين.(2)

* * *

واحذروا النار التى هيئت للكافرين باجتناب ما يوجبها من استحلال الربا.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}... قيل: هى أخوف آية فى القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه فى اجتناب محارمه.

{أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}... هيئت وأحضرت للمكذبين لله ورسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ خَوَّفَهُمْ فَقَالَ: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [آل عمران: 131].(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تَفْسِير القُرآنِ العَظِيم):- وَأَمَرَ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالتَّقْوَى لَعَلَّهُمْ يُفْلِحُونَ فِي الْأُولَى وَالْأُخْرَى ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ بِالنَّارِ وَحَذَّرَهُمْ مِنْهَا، فَقَالَ: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرسول- لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.(5)

* * *

[١٣٢] ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرسول- لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

وأطيعوا الله ورسوله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، لعلكم تنالون الرحمة في الدنيا والآخرة.(6)

* * *

وأطيعوا الله أيها المؤمنون- فيما أمركم به من الطاعات وفيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الأشياء، وأطيعوا الرسول- " لترحموا، فلا تعذبوا.(7)

* * *

يَعْنِي:- وأطيعوا اللَّه والرسول- فى كل أمر ونهى لترحموا فى الدنيا والآخرة.(8)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (66/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (66/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (131).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (131-132) لِلإِمَام (ابن كثير).

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (66/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(7) انظر: (التفسير الميسر) برقم (66/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(8) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ} ... أي: أطيعوا الله في الفرائض.

{وَالرسول-} ... في السنن.

{لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ... أي كي يرحمكم الله، لترحموا فلا تعذبوا بما صدر منكم من ذنب المعصية.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة -(آل عمران) - آية (32) . - كما قال تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرسول- فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } .

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرسول- لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} {آل عمران: 132} لكي ترحموا.(1)

* * *

﴿ من فوائد الآيات ﴾

• مشروعية التذكير بالنعم والنقم التي تنزل بالناس حتى يعتبر بها المرء.

• من أعظم أسباب تَنَزُّل نصر الله على عباده ورحمته ولطفه بهم: التزامُ التقوى، والصبر على شدائد القتال.

• الأمر كله لله تعالى، فيحكم بما يشاء، ويقضي بما أراد، والمؤمن الحق يُسَلِّم لله تعالى أمره، وينقاد لحكمه.

• الذنوب -ومنها الربا- من أعظم أسباب خِذلان العبد، ولا سيما في مواطن الشدائد والصعاب.

• مجيء النهي عن الربا بين آيات غزوة أُحد ليشعر بشمول الإسلام في شرائعه وترابطها بحيث يشير إلى بعضها في وسط الحديث عن بعض.(2)

* * *

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140)

[١٣٣] ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وبادروا وسابقوا إلى فعل الخيرات، والتقرب إلى الله بأنواع الطاعات" لتنالوا مغفرة من الله عظيمة، وتدخلوا جنة عرضها السماوات

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (132).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (66/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

والأرض، هَيَّأها الله للمتقين من عباده. (1)

* * *

وبادروا بطاعتكم لله ورسوله لاغتنام مغفرة عظيمة من ربكم وجنة واسعة، عرضها السموات والأرض، أعدها الله للمتقين. (2)

* * *

وبادروا بالأعمال الصالحة، لتنالوا مغفرة عظيمة لذنوبكم من اللَّه مالك أمركم، وجنة واسعة عرضها كعرض السموات والأرض هيئت لمن يتقون اللَّه وعذابه. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} ... أي: سارعوا وبادروا الى ما يوجب المغفرة، وهى الطاعة.

{عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} ... المراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه. وخص العرض، لأنه فى العادة أدنى من الطول، للمبالغة.

{وَسَارِعُوا} ... المسارعةُ إلى الشيء: المبادرة إليه بدون توانٍ ولا تراخ.

والمسارعة الى المغفرة والجنة الإقبال على ما يستحقان به.

{إِلَى مَغْفِرَةٍ} ... المغفرة: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها. والمراد هنا: المسارعة إلى التوبة بترك الذنوب، وكثرة الاستغفار وفي الحديث: "ما من رجل يذنب ذنباً ثم يتوضأ ثم يصلي ويستغفر الله إلا غفر له".

{وَجَنَّةٍ} ... الجنة دار النعيم فوق السموات، والمسارعة إليها تكون بالإكثار من الصالحات.

{أُعِدَّتْ} ... هيئت وأحضرت فهي موجودة الآن مهيأة.

{لِلْمُتَّقِينَ} ... المتقون هم الذين اتقوا الله تعالى فلم يعصوه بترك واجب ولا بفعل محرم، وإن حدث منهم ذنب تابوا منه فوراً.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه اللّه) - في (تفسيره):- {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}. ثم أمرهم تعالى بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها، ثم وصف المتقين وأعمالهم، (4)

* * *

قال: الإمَامْ (مُسْلِم) - (رحمه اللّه) - في (صحيحه) - (بسنده): حدثني زهير بن حرب، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن (أبي هريرة)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال:

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (67/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (67/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (133)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

((من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه)).(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، ثنا وكيع عن سعدان الجهني، عن سعد أبي (مجاهد) الطائي، عن أبي مدله، عن (أبي هريرة) قال: قلنا: يا رسول الله أخبرنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: ((لبنة من فضة ولبنة من ذهب، ملاطها المسك الأذفر، حصباؤها الياقوت واللؤلؤ، ومزاجها الورس والزعفران من يدخلها يخلد فلا يموت وينعم، لا يبؤس لا يبلى شبابهم ولا تحرق ثيابهم)).(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وجنة عرضها السَّمَاوَات وَالْأَرْض﴾ قَال: (كريب) مولى (ابْن عَبَّاس): سبع سموات وَسبع أرضين يلفقن جَمِيعًا كَمَا تلفق الثِّيَاب بَعْضهَا إِلَى بعض، وَلاَ يصف أحد طولهَا.(3)

* * *

قَالَ: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {133} ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بَادِرُوا وَسَابِقُوا إِلَى الْأَعْمَالِ الَّتِي تُوجِبُ الْمَغْفِرَةَ،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:- إِلَى الْإِسْلَامِ، وَرُوِيَ عَنْهُ: إِلَى التَّوْبَةِ، وَبِهِ،

قَالَ: (عِكْرِمَةُ)، وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):- إِلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ،

وَقَالَ: (أَبُو الْعَالِيَةِ): إِلَى الْهِجْرَةِ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): إِلَى الْجِهَادِ،

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): إِلَى الأعمال الصالحة.

وروي عَنْ (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) أَنَّهَا التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى،

﴿وَجَنَّةٍ﴾ أَيْ: وَإِلَى جَنَّةٍ.

﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أَيْ: عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،

كَمَا قَالَ: فِي سُورَةِ (الْحَدِيدِ): ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الْحَدِيدِ: 21] أَيْ: سَعَتُهَا، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْعَرْضَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ لِأَنَّ طُولَ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْأَكْثَرِ وَالْأَغْلَبِ أَكْثَرُ مِنْ عَرْضِهِ، يَقُولُ هَذِهِ صِفَةُ عَرْضِهَا فَكَيْفَ طُولُهَا؟.

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (4/2181-2182)، (ح 2836) – (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها)،/ (باب: في دوام نعيم أهل الجنة ...).

(2) اخرجه الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) - (آل عمران)- آية (133)، برقم (ح 1423).

واخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (2/304- 305)،

واخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه)- (الإحسان) - (16/396)، (ح 7387) كلاهما - من طريق-: (زهير بن معاوية عن سعد الطائي) بنحوه مطولاً، وفيه الشاهد.

قال: الإمام (أحمد شاكر): (إسناده صحيح) في (المسند) برقم (ح 8030).

وأخرجه بنحو حديث الإمام (ابن أبي حاتم)،

واخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (2/362)،

واخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (الأوسط) (-كما في المجمع- و الإمام (البزار) في (مسنده)،

وأخرجه الشيخ (أبو نعيم) في (صفة الجنة) برقم (ح 137) - من طرق-: عن (عمران القطان، عن قتادة، عن العلاء بن زياد عن أبي هريرة) به.

قال: الإمام (الهيثمي): (رجاله رجال الصحيح) في (مجمع الزوائد) رقم (10/396). وللحديث شاهد عن أبي سعيد موقوفاً عليه،

ذكره الإمام (الهيثمي) في (مجمع الزوائد) برقم (10/397)، وعزاه للإمام (البزار والطبراني) في (الأوسط)، وقال: رجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف.

و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمرآن) الآية (133)، برقم (ص1/460)،

---

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمرآن) الآية (133)، للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

قَالَ: (الزُّهْرِيُّ): إِنَّمَا وَصَفَ عَرْضَهَا فَأَمَّا طُولُهَا فَلاَ يَعْلَمُهُ إِلاَ اللَّهُ، وَهَذَا عَلَى التَّمْثِيل لاَ أَنَّهَا كَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض لاَ غَيْر، مَعْنَاهُ كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ عند ظنكم، {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 133]. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- ثُمَّ نَدبهم إِلَى الْمُبَادَرَة إِلَى فِعْل الْخَيْرَات وَالْمُسَارِعَة إِلَى نَيْل الْقُرُبَات، فَقَالَ: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} أَيْ: كَمَا أُعدَّت النَّارُ لِلْكَافِرِينَ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: {عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} تَنْبِيهًا عَلَى اتِّسَاع طُولِهَا، كَمَا قَالَ: فِي صِفَةِ فَرْشِ الْجَنَّةِ: {بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} [الرَّحْمَن: 54] أَيْ: فَمَا ظَنُّكَ بِالظَّهَائِرِ؟.

يَعْنِي:- بَلْ عَرْضُهَا كَطُولِهَا" لِأَنَّهَا قُبَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَالشَّيْءُ الْمُقَبَّب وَالْمُسْتَدِيرُ عَرْضُه كَطُوله.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: ((إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ)) (2).

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَة (الْحَدِيد): {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الْآيَة: 21].

وَقَدْ رَوَاهُ الإمام (ابن جرير) فَقَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي خُثَيْمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ قَالَ: لَقِيتُ التَّنُوخِيَّ رَسُولَ (هِرَقْلَ) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِحِمْصَ، شَيْخًا كَبِيرًا فَسَدَ، قَالَ: قَدِمتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- بِكِتَابِ هِرَقْلَ، فَنَاوَلَ الصَّحِيفَةَ رَجُلًا عَنْ يَسَارِهِ. قَالَ: قُلْتُ: مَنْ صَاحِبُكُمُ الَّذِي يَقْرَأُ؟ قَالُوا: مُعَاوِيَةُ. فَإِذَا كِتَابُ صَاحِبِي: ((إِنَّكَ كَتَبْتَ تَدْعُونِي إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، فَأَيْنَ النَّارُ؟ قَالَ: فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-((سُبْحَانَ اللَّهِ! فَأَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ؟)) (3).

وَقَالَ: (الْأَعْمَشُ)، وَ(سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ)، وَ(شُعْبَةُ)، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْيَهُودِ سَأَلُوا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنْ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ: عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَرَأَيْتُمْ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ أَيْنَ النَّهَارُ؟ وَإِذَا جَاءَ النَّهَارُ أَيْنَ اللَّيْلُ؟ فَقَالُوا: لَقَدْ نَزَعْتَ مِثْلَهَا مِنَ التَّوْرَاةِ.

رَوَاهُ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ) مِنَ الثَّلَاثَةِ الطُّرُقِ (4) ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ، حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ، أَنْبَأَنَا

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (133).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2790) و(7423) - (كتاب: التوحيد)- من حديث - (أبي هريرة) - رضي الله عنه.

(3) رواه الإمام (ابن جرير الطبري) في (تفسيره) برقم (7/ 209، 211، 212).

(4) رواه الإمام (ابن جرير الطبري) في (تفسيره) برقم (7/ 211، 212).

يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَالَ: يَقُولُونَ: {جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ} فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): أَيْنَ يَكُونُ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ، وَأَيْنَ يَكُونُ النَّهَارُ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ؟).

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مَرْفُوعًا، فَقَالَ: (الْبَزَّارُ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ سَلَمَةَ أَبُو هِشَامٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنْ عَمِّهِ يَزِيدَ بْنِ الأصم، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: {جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ} فَأَيْنَ النَّارُ؟ قَالَ: ((أَرَأَيْتَ اللَّيْلَ إِذَا جَاءَ لَبِسَ كُلَّ شَيْءٍ، فَأَيْنَ النَّهَارُ؟)) قَالَ: حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: ((وَكَذَلِكَ النَّارُ تَكُونُ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)) (1).

وَهَذَا يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ: أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ مُشَاهَدَتِنَا اللَّيْلَ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ أَلَّا يَكُونَ فِي مَكَانٍ، وَإِنْ كُنَّا لَا نَعْلَمُهُ، وَكَذَلِكَ النَّارُ تَكُونُ حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا أَظْهَرُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، عَنِ (الْبَزَّارِ).

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّ النَّهَارَ إِذَا تَغَشَّى وَجْهَ الْعَالَمِ مِنْ هَذَا الْجَانِبِ، فَإِنَّ اللَّيْلَ يَكُونُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَكَذَلِكَ الْجَنَّةُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَعَرْضُهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: {كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} {الْحَدِيدِ: 21} وَالنَّارُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ. فَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ كَوْنِهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَبَيْنَ وُجُودِ النار، والله أعلم. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ} يعني عرضها كعرض السموات والأرض كما بينه قوله تعالى: في سورة (الحديد) {سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض}. وآية آل عمران هذه تبين أن المراد بالسماء في آية الحديد جنسها الصادق بجميع السموات كما هو ظاهر. (3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (ابن حبان) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- أخبرنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، قال: أخبرنا المخزومي، قال حدثنا عبد الواحد بن زياد، قال: حدثنا عبيد الله بن عبد الله الأصم، قال: حدثنا يزيد الأصم. عن (أبي هريرة)، قال: جاء رجل إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقال: يا محمد أرأيت جنة

---

(1) و رواه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (36/1) - من طريق (محمد بن معمر عن المغيرة) به. وقال: "على شرطهما ولم يخرجاه ولا أعلم له علة" ووافقه الإمام (الذهبي).
و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (2892).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (133)، للإِمَامْ (ابن كثير)..

(3) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمرآن) الآية (133).

عرضها السماوات والأرض فأين النار؟ فقال: النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((أرأيت هذا الليل قد كان ثم ليس شيء أين جعل؟)) قال: ((فإن الله يفعل ما يشاء)).(1)

* * *

[١٣٤] ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

المتقون هم الذين يبذلون أموالهم في سبيل الله، في حال اليسر والعسر، والمانعون غضبهم مع القدرة على الانتقام، والمتجاوزون عمن ظلمهم، والله يحب المحسنين المتصفين بمثل هذه الأخلاق.(2)

* * *

يَعْنِي:- الذين ينفقون أموالهم في اليسر والعسر، والذين يمسكون ما في أنفسهم من الغيظ بالصبر، وإذا قَدَروا عَفَوا عمَّن ظلمهم. وهذا هو الإحسان الذي يحب الله أصحابه.(3)

* * *

يَعْنِي:- الذين ينفقون أموالهم إرضاء للَّه فى أحوال اليسر والعسر، والقدرة والضعف، ويحبسون أنفسهم عن أن يؤدى غيظهم إلى إنزال عقوبة بمن أساء إليهم خاصة، ويتجاوزون عن المسئ، إنهم بهذا يعدون محسنين، واللَّه تعالى يثيب المحسنين ويرضى عنهم.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ}... اليُسْرِ، وَالعُسْرِ.

السراء: الحال المسرة وهي اليسر والغنى، والضراء: الحال المضرة وهي الفقر.

{فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ}... فى حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بأن ينفقوا فى كلتا الحالتين ما قدروا عليه من قليل أو كثير.

{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ}... الذين يمسكون على ما فى نفوسهم منه بالصبر فلا يظهر له أثر.

أي: كَظْمُ الغَيْظِ: حَبْسُهُ، والغيظُ: أَلَمٌ نفسيٌّ يَحْدُثُ إذا أُوذِيَ المرءُ في بَدَنِه أو عِرضِه أو مَالِه، وَحَبْسُ الغيظِ: عدمُ إظْهَارِه عَلَى الجوارحِ بسبٍّ أو ضربٍ ونحوهما للتَّشَفِّي وَالانْتِقَامِ.

{وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}... إذا جنى أحد لم يؤاخذوه.

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (ح 103)
وأخرجه الإمام (الحاكم)- من طريق-: (الأصم عن (أبي هريرة)، وقال: حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولا أعلم له علة ووافقه الإمام (الذهبي) (المستدرك) برقم (36/1).
وذكره الإمام (الهيثمي) وقال: رواه الإمام (البزار) (ورجاله رجال الصحيح) في (مجمع الزوائد) برقم (327/6).
وله شاهد رواه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (441/3)،
وأخرجه الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم 8731 - من حديث - (سعيد بن أبي راشد) وفيه تسمية الرجل السائل وهو: هرقل.
وذكره الإمام (ابن كثير). وقال: (إسناده لا بأس) به. (البداية والنهاية) برقم(5/15، 16).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (67/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (67/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (92/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

أي: العَفْوُ: عَدَمُ المؤاخذةِ للمسيءِ مع القدرة عَلَى ذلك.

{وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} ... المُحْسِنُونَ: هُمُ الَّذِينَ يَبَرُّونَ وَلاَ يُسِيئُونَ في قولٍ أو عملٍ.

اللام في (المحسنين) للجنس، فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون. وقد تكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قَال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله:

{الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين}، قوم أنفقوا في العسر واليسر، والجهد والرخاء، فمن استطاع أن يغلب الشر بالخير فليفعل، ولا قوة إلا بالله. فنعمت والله يا بن آدم، الجرعة تجترعها من صبر وأنت مغيظ، وأنت مظلوم.(1)

* * *

قَال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تَفسيره):- فقال: {الذين ينفقون في السراء والضراء} أي: في حال عسرهم ويسرهم، إن أيسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئا ولو قل.

{والكاظمين الغيظ} أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم -وهو امتلاء قلوبهم من الحنق، الموجب للانتقام بالقول والفعل-، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم.

{والعافين عن الناس} يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحسانا إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير،

كما قال تعالى: {فمن عفا وأصلح فأجره على الله}.

ثم ذكر حالة أعم من غيرها، وأحسن وأعلى وأجل، وهي الإحسان،

فقال تعالى: {والله يحب المحسنين} والإحسان نوعان: الإحسان في عبادة الخالق. والإحسان إلى المخلوق، فالإحسان في عبادة الخالق.

فسرها النبي- صلى الله عليه وسلم- بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" وأما الإحسان إلى المخلوق، فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في ذلك بذل

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (134).

الندى وكف الأذى، واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور، فقد قام بحق الله وحق عبيده.(1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن (أبي هريرة) أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)).(2)(3)

* * *

قال: الإمَام (البُخَارِي ومُسلِم) - (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما):- عن (سليمان بن صُرَد) - رضي الله عنه - قال: ((استب رجلان عند النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فغضب أحدهما فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه وتغير، فقال: النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد، فانطلق إليه الرجل فأخبره بقول: النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: تعوذ بالله من الشيطان. فقال أترى بي بأس، أمجنون أنا؟ اذهب)) .(4)(5)

واللفظ للبخاري.

* * *

وانظر: سورة - (البقرة) - آية (177). - كما قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} .

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن يوسف أخبرنا أبو بكر -هو ابن عياش- عن أبي حصين عن أبي صالح عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - أن رجلاً قال للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- أوصني. قال: "لا تغضب". فردد مراراً، قال: "لا تغضب".(6)

* * *

قال: الإمام (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سننه): حدثنا حرملة بن يحيى، ثنا عبد الله بن

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (134)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6114) - (كتاب: الأدب)، / باب: (الحذر من الغضب)، (535/10)، ح

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (294/4)، (ح 2609)

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) انظر: (فتح الباري) برقم (6048) - (كتاب: الأدب، / باب: (ما ينهى عن السباب واللعن).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2610) - (كتاب: البر والصلة والآداب)، / باب: (فضل من يملك نفسه عند الغضب) .

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6116) - (كتاب: الأدب)، / باب: (الحذر من الغضب)، (ح 535/10) .

وهب، حدثني سعيد ابن أبي أيوب عن أبي مرحوم، عن سهل بن (معاذ بن أنس)، عن أبيه، أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((من كظم غيظاً، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخيّره في أي الحور شاء)). (1)

* * *

قال: الإمام (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- حدثنا زيد بن أخزم ثنا بشر بن عمر، ثنا حماد بن سلمة، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن (ابن عمر)، قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((ما من جرعة أعظم أجراً عند الله، من جُرعة غيظ، كظمها عبد ابتغاء وجه الله)). (2)

* * *

قَال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {134} {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ} أَيْ: فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ، فَأَوَّلُ مَا ذَكَرَ مِنْ أَخْلَاقِهِمُ الْمُوجِبَةِ للجنة ذكر السخاوة،

{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ} أَيِ: الْجَارِعِينَ الْغَيْظَ عِنْدَ امْتِلَاءِ نُفُوسِهِمْ مِنْهُ، وَالْكَظْمُ: حَبْسُ الشَّيْءِ عِنْدَ امْتِلَائِهِ، وَكَظْمُ الْغَيْظِ أَنْ يَمْتَلِئَ غَيْظًا فَيَرُدُّهُ فِي جَوْفِهِ وَلَا يُظْهِرُهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ} {غافر: 18}،

{وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} {آل عمران: 134}.

وَقَالَ: (زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ)، وَ(مُقَاتِلٌ): عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَأَسَاءَ إِلَيْهِمْ.

{وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} عن (الثوري): الإحسان أن تحسن إلى المسيء، فإن الإحسان إلى المحسن تجارة. (3)

* * *

قَال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى صِفَةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ} أَيْ: فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَالصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ،

كَمَا قَالَ: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} {الْبَقَرَةِ: 274}.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ لَا يَشْغَلُهُمْ أَمْرٌ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ

---

(1) اخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (ح 4186) (الزهد)، / باب: (الحلم).

أخرجه الإِمَامْ (أبو داود)، و الإِمَامْ (الترمذي) - من طريق: (سعيد بن أبي أيوب) به نحوه،

قال: الإمام (الترمذي): حديث حسن غريب (السنن- الأدب، 448/4)، (السنن، باب كظم الغيظ)،

وقال: الإِمَامْ (الألباني): (حسن) في (صحيح ابن ماجة) برقم (407/2).

وذكره الإمام (ابن كثير). في (تفسيره) برقم (102/2).

و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمرآن) الآية (134)، برقم (ص1/ 462).

(2) اخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (14,1/2) ح (4189) – (كتاب: الزهد)، / باب: (الحِلْم)،

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (ح 6116) -من طريق-: (سالم عن ابن عمر) به. و(صححه) الشيخ: (أحمد شاكر).

قال: الإِمَامْ (البوصيري): (إسناده صحيح رجاله ثقات) (مصباح الزجاجة) برقم (291/3)،

وقال: الحافظ (العراقي): رواه الإِمَامْ (ابن ماجه) (بإسناد جيد) في (تخريج الإحياء) برقم (1810/4)،

و(حسنه) الإمام (السيوطي) في (الدر المنثور) برقم (317/2)،

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح ابن ماجة) برقم (ح 3377) وذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمرآن) الآية (134)، برقم (ص1/ 462).

---

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (134).

تعالى والْإِنْفَاق في مَرَاضيه، والْإِحْسَان إلى خَلْقه منْ قَرَابَاتهمْ وغَيْرهمْ بِأَنْوَاع الْبِرِّ.

وقَوْلُهُ: {والْكَاظمينَ الغَيْظَ والعَافينَ عَن النَّاس} أَيْ: إذَا ثَارَ بِهِمُ الْغَيْظُ كَظَمُوهُ، بمَعْنَى: كَتَمُوهُ فَلَمْ يعْمَلُوهُ، وعَفَوْا مَعَ ذَلكَ عَمَّنْ أَسَاءَ إلَيْهِمْ وقَدْ وَرَدَ فِي بَعْض الْآثَار: ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ابنَ آدَمَ، اذْكُرْني إذَا غَضبْتَ، أذْكُرْكَ إذَا غَضبْتُ، فَلا أُهْلكُكَ فِيمَنْ أهْلكَ)) [(1)] رَوَاهُ الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتم).

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (مُسْنده):- حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَن، حَدَّثَنا مَالكٌ، عَنِ (الزُّهْريِّ)، عَنْ (سَعِيد بْن المسيَّب)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرعة، وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ الَّذِي يَمْلكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَب)) [(2)].

وَقَدْ رَوَاهُ (الشَّيْخَان) [(3)] منْ حديث (مَالك).

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (مُسْنده):- حَدَّثَنا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنِ الْحَارث بْن سُوَيد، عَنْ (عَبْد اللَّه)، هُوَ (ابْن مَسْعُود)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: ((أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثه أحبُّ إلَيْه منْ ماله؟)).

قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا منَّا أَحَدٌ إلا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْه منْ مَال وَارِثه. قَالَ: ((اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ منْكُمْ أَحَدٌ إلا مَالُ وَارِثه أحَبُّ إِلَيْه منْ مَاله مَالَكَ منْ مَالكَ إلا مَا قَدَّمْتَ، ومَالُ وَارثكَ مَا أخَّرْتَ)). قَالَ: وقَالَ رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ:-"مَا تَعُدُّونَ فِيكُمُ الصُّرعَةَ؟" قُلْنَا: الَّذي لاَ تَصْرعه الرِّجَالُ، قَالَ: قَالَ "لاَ وَلَكنَ الَّذي يَمْلكُ نَفْسَهُ عنْدَ الْغَضَب". قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- : "مَا تَعُدُّونَ فِيكُمُ الرَّقُوبَ؟" قَالَ: قُلْنَا: الَّذي لاَ وَلَدَ لَهُ. قَالَ: "لاَ وَلَكنَّ الرَّقُوبَ الَّذي لَمْ يُقَدِّمْ منْ ولَده شيْئًا". [(4)]

أَخْرَجَ الإمام (الْبُخَاريُّ) الْفَصْلَ الْأَوَّلَ منْهُ، وَأَخْرَجَ الإِمَامُ (مُسْلمٌ) أَصْلَ هَذَا الْحَديث منْ رِوَايَة الْأَعْمَش، به [(5)].

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (مُسْنده):- حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَر، حَدَّثَنا شُعْبَة، سَمعْتُ (عُرْوَة بْنَ عَبْد اللَّه الجعْفيِّ) يُحَدِّثُ عَنْ (أَبِي حَصْبَةَ)، أَو (ابْن حَصْبَةَ)، عَنْ رَجُل شَهدَ النَّبيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يَخْطُبُ فَقَالَ: "تَدْرُونَ مَا الرَّقُوبُ؟" قَالُوا

---

(1) رواه الإمام (ابن أبي حاتم) عند تفسير الآية رقم (45) من (النساء).

(2) (صَحيح): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (236/2).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6114)-(كتاب: الأدب).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلمٌ) في (صحيحه) برقم (2609)-(كتاب: البر والصلة والآداب).

(4) (صَحيح): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (382/1).

(5) روى الفقرة الأولى منه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6442)-(كتاب: الرقائق).
الفقرة الثانية رواها الإِمَامُ (مُسْلمٌ) في (صحيحه) برقم (2608)-(كتاب: البر والصلة والآداب)، و الحديث بتمامه عند الإمام (أحمد) برقم (382/1).

الَّذي لا وَلَدَ لَهُ. قَالَ: "الرَّقُوبُ كُلُّ الرَّقُوبِ الَّذي لَهُ وَلَدٌ فَمَاتَ، وَلَمْ يُقَدِّمْ مِنْهُمْ شَيْئًا".
قَالَ: "تَدْرُونَ مَا الصُّعْلُوكُ؟" قَالُوا: الَّذي لَيسَ لَهُ مَالٌ. قَالَ: النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الصُّعْلُوكُ كُلُّ الصُّعْلُوكِ الَّذي لَهُ مَالٌ، فَمَاتَ وَلَمْ يُقَدِّمْ مِنْهُ شَيْئًا".
قَالَ: ثُمَّ قَالَ: النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا الصُّرَعَةُ؟ ((قَالُوا: الصَّرِيعُ.
قَالَ: فَقَالَ (3) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّرَعَةُ كُلُّ الصُّرَعَةِ الَّذي يَغْضَبُ فَيَشْتَدُّ غَضَبُهُ، وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ، وَيَقْشَعِرُّ شَعْرُهُ، فَيَصْرَعُ غَضَبَهُ)) (1) .

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ - هُوَ ابْنُ عُرْوَةَ- عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَمٍّ لَهُ يُقَالُ لَهُ: (جَارِيَةُ بْنُ قُدَامَةَ السَّعْدِيُّ)" أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي قَوْلًا يَنْفَعُنِي وأقْلِلْ عَلَيَّ، لَعَلِّي أَعِيهِ.
فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- "لا تَغْضَبْ". فَأَعَادَ عَلَيْهِ حَتَّى أَعَادَ عَلَيْهِ مِرارًا، كُلُّ ذلك يَقُولُ: "لا تَغْضَبْ".
وَكَذَا رواه عَنْ (أَبِي مُعَاوِيَةَ)، عَنْ (هِشَامٍ)، به.

ورواه أيْضًا عَنْ (يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ)، عَنْ (هِشَامٍ)، بِهِ" أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي قَوْلًا وأقْلِلْ عَلَيَّ لَعَلِّي أعقِلُه.
قَالَ: "لا تَغْضَبْ".
الْحَدِيثُ انْفَرَدَ بِهِ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): (2) .

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- حَدَّثَنَا (عَبْدُ الرَّزَّاقِ)، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، عَنْ (حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: "لا تَغْضَبْ". قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ: -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ.
انْفَرَدَ بِهِ الإمام (أَحْمَدُ) (3) .

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الإِمَامُ (ابن مردويه) - (رحمه الله):- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ (ابْنِ عُمَرَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(1) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) رقم (367/5).
وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (69/8) : "فيه أبو حصبة أو ابن عصبة ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات".
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (134) للإِمَامْ (ابن كثير) .

(2) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) رقم (34/5).
وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (69/8) : "رجاله رجال الصحيح".
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح). (رجاله رجال الشيخين) غير صحابية (جارية بن قدامة).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (134) للإِمَامْ (ابن كثير) .

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) رقم (373/5) .
وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (69/8) : "رجاله رجال الصحيح".
و(صححه) الإمَامُ (الألباني) في (صحيح الترغيب) برقم (2756).

وَسَلَّم:- ((مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ مِنْ جُرْعَةٍ أَفْضَلَ أَجْرًا مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ)).(1)

وكَذا رواهُ الإمام (ابْنُ ماجَه) عَنْ (بِشْرِ بْنِ عُمَر، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيد)، بِه .

* * *

فَقَوْلُهُ: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ} أَيْ: لَا يَعْمَلُونَ غَضَبَهُمْ فِي النَّاسِ، بَلْ يَكُفُّونَ عَنْهُمْ شَرَّهُمْ، وَيَحْتَسِبُونَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} أَيْ: مَعَ كَفِّ الشَّرِّ يَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَلَا يَبْقَى فِي أَنْفُسِهِمْ مَوجِدَةٌ عَلَى أَحَدٍ، وَهَذَا أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ،

وَلِهَذَا قَالَ: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} فَهَذَا مِنْ مَقَامَاتِ الْإِحْسَانِ.(2)

* * *

وَفِي الْحَدِيثِ: ((ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًا، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ)) (3)(4) .

* * *

(1) (إِسناده صحيح): اخرجه الإِمامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4189) - (كتاب: الزهد).

وأخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) رقم (128/2) - من طريق - (علي بن عاصم عن يونس بن عبيد)، به.

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح ابن ماجة).

و(صححه) الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في (الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين) برقم (494/1).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (134)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2588)- (كتاب: البر والصلة والآداب).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (134)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

[١٣٥] ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وهم الذين إذا فعلوا كبيرة من الذنوب، أو نقصوا حظ أنفسهم بارتكاب ما دون الكبائر، ذكروا الله تعالى، وتذكروا وعيده للعاصين، ووَعْده للمتقين، فطلبوا من ربهم نادمين ستر ذنوبهم وعدم مؤاخذتهم بها" لأنه لا يغفر الذنوب إلا الله وحده، ولم يصروا على ذنوبهم، وهم يعلمون أنهم مذنبون، وأن الله يغفر الذنوب جميعًا.(5)

* * *

يَعْنِي:- والذين إذا ارتكبوا ذنبًا كبيرًا أو ظلموا أنفسهم بارتكاب ما دونه، ذكروا وعد الله ووعيده فلجأوا إلى ربهم تائبين، يطلبون منه أن يغفر لهم ذنوبهم، وهم موقنون أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، فهم لذلك لا يقيمون على معصية، وهم يعلمون أنهم إن تابوا تاب الله عليهم.(6)

* * *

يَعْنِي:- والذين إذا ارتكبوا كبيرة، أو تحملوا ذنباً صغيراً، تذكروا اللَّه وجلاله، وعقابه وثوابه، ورحمته ونقمته، فندموا، وطلبوا

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (67/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (67/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

مغفرتــه، حيــث إنــه لا يغفــر الــذنوب إلا اللّــه، ولم يقيمــوا علــى قبــيح فعلــهم وهــم يعلمــون قبحه. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَالَّــذِينَ إِذَا فَعَلُــوا فَاحِشَــةً أَوْ ظَلَمُــوا أَنْفُسَــهُمْ} ... الفاحشــةُ: الفعْلَــةُ القبيحــةُ الشديدةُ القبحِ كالزنى وكبائرِ الذنوب،

وقيــل: هــي الفعْلَــةُ الكــبيرةُ، أَوْ مَــا دُونَ ذلــك كَتَــرْكِ وَاجِــبٍ، أو فِعْــلِ مُحَــرَّمٍ فَدَنَّسُــوهَا بــذلك فكان هذا ظُلْمًا لها.

{وَالَّــذِينَ} ... عطــف علــى (المــتقين)، أي أعدت للمتقين وللتائبين.

{فَاحِشَةً} ... فعلة متزايدة القبح.

أي: الفاحشــة: الفعلــة القبيحــة الشــديدة القبح" كالزنى وكبائر الذنوب.

{أَوْ ظَلَمُــوا أَنْفُسَــهُمْ} ... بــترك واجــب أو فعــل محرم فدنسوها بذلك فكان هذا ظلماً لها.

أي: أو أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذون به.

وقيــل: الفاحشــة: الكــبيرة. وظلــم الــنفس: الصغيرة.

{ذَكَــرُوا اللَّــهَ} ... تــذكروا عقابــه، أو وعيــده، أو نهيه.

{ذَكَــرُوا اللهَ} ... ذَكَــرُوا وَعِيــدَهُ وَعِقَابَــهُ وأنَّ اللهَ يســألهم عــن ذلــك يــومَ الفَــزَعِ الأكــبرِ، فسألوه المغفرةَ لذنوبهم، والسَّتْرَ لعيوبهم.

{فَاسْــتَغْفَرُوا لِــذُنُوبِهِمْ} ... فتــابوا عنهــا لقبحها نادمين عازمين على عدم العودة.

{وَمَــنْ يَغْفِــرُ الــذُّنُوبَ إِلاَ اللَّــهُ} ... وصــف لذاتــه بســعة الرحمــة وقــرب المغفــرة، وأنــه لا مفــزع للمــذنبين الا فضــله وكرمــه، وأنــه وحــده معــه مصــححات المغفــرة. وهــى جملــة معترضــة بــين المعطوف والمعطوف عليه.

{وَلَــمْ يُصِــرُّوا} ... الإصــرار: هُــوَ الشــدةُ عَلَــى الشَّــيءِ والــربطُ عَلَيْــه، والمقصــودُ أنهــم يُسَارِعُونَ إلى التَّوْبَة.

أي: يســـارعون إلى التوبـــة، لأن الإصـــرار هـــو الشــد علــى الشــيء والــربط عليــه مــأخوذ مــن الصر، والصرة معروفة.

{وَلَــمْ يُصِــرُّوا} ... ولم يقيمــوا علــى قبــيح فعلهم غير مستغفرين.

{وَهُــمْ يَعْلَمُــونَ} ... أنهــم مُخَــالِفُونَ للشــرعِ بتركهم مَا أَوْجَبَ، وبِفِعْلِهِمْ ما حَرَّمَ.

{وَهُــمْ يَعْلَمُــونَ} ... حــال مــن فعــل (الإصــرار) وحــرف النفــي منصــب علــيهما معــا. والمعنــى: وليســوا ممــن يصــرون علــى الــذنوب وهــم عــالمون بقبحها وبالنهى عنها وبالوعيد عليها.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قــال: الإمــام (عبــد الــرحمن بــن ناصــر الســعدي) – (رحمــه الله) – في (تفســيره):- ثــم ذكــر اعتــذارهم لــربهم مــن جناياــاتهم وذنــوبهم، فقــال: {وَالَّــذِينَ إِذَا فَعَلُــوا فَاحِشَــةً أَوْ ظَلَمُــوا أَنْفُسَــهُمْ} أي: صــدر مــنهم أعمــال ســيئة كــبيرة، أو مــا دون ذلــك، بــادروا إلى التوبــة والاســتغفار، وذكــروا ربهــم، ومــا توعــد بــه العاصــين ووعــد بــه المــتقين، فســألوه المغفــرة لــذنوبهم، والســتر لعيــوبهم، مــع إقلاعهــم عنهــا

---

(1) انظــر: (المنتخــب في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (92/1)، المؤلــف: (لجنة من علماء الأزهر).

وندمهم عليها، فلهذا قال: {ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون}.[1]

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وقوله: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ} وصف لهم بملازمة ذكر الله وعدم الغفلة، ولذا إذا فعلوا فاحشة ذنباً كبيراً أو ظلموا أنفسهم بذنب4 دون الفاحش ذكروا وعيد الله تعالى ونهيه علما فعلوا، فبادروا إلى التوبة وهي الإقلاع عن الذنب والندم عن الفعل والعزم على عدم العودة إليه، واستغفار الله تعالى منه.

وقوله تعالى: {وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[2] وصف لهم بعدم الإصرار، أي: المواظبة على الذنب وعدم تركه وهم يعلمون أنه ذنب ناتج عن تركهم لواجب أو فعلهم محرم،[3]

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظلَمُوا أنفسهم ذَكَرُوا اللهَ} فخافوه وتابوا إِلَيْه {ولم يصروا} أَي: لم يقيموا {عَلَى مَا فعلوا} من الْمعْصِيَة.

يَحْيَى: عَنْ أَبَانَ الْعَطَّارِ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: لاَ قَلِيلَ مَعَ إِصْرَارٍ، وَلا كَثِيرَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ.[4]

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {135} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً} {آل عمران: 135} يَعْنِي: قَبِيحَةً خَارِجَةً عَمَّا أَذِنَ اللهُ تعالى فِيهِ، وَأَصْلُ الْفُحْشِ الْقُبْحُ وَالْخُرُوجُ عَنِ الْحَدِّ،

قَالَ: (جَابِرٌ): الْفَاحِشَةُ الزنا {أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} مَا دُونَ الزِّنَا مِنَ الْقُبْلَةِ وَالْمُعَانَقَةِ وَالنَّظَرِ وَاللَّمْسِ،

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ):- الْفَاحِشَةُ مَا دُونَ الزِّنَا مِنْ قُبْلَةٍ أَوْ لَمْسَةٍ أَوْ نَظْرَةٍ فِيمَا لاَ يَحِلُّ، أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْمَعْصِيَةِ،

يَعْنِي:- فَعَلُوا فَاحِشَةَ الْكَبَائِرِ، أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالصَّغَائِرِ.

يَعْنِي:- فَعَلُوا فَاحِشَةً فِعْلًا أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ قَوْلًا {ذَكَرُوا اللَّهَ} أي: ذكروا وعيد الله، والله سَائِلُهُمْ،

وَقَالَ: (مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ): ذَكَرُوا اللَّهَ بِاللِّسَانِ عِنْدَ الذُّنُوبِ،

{فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَ اللَّهُ} أَيْ: وَهَلْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَ اللَّهُ،

{وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا} أَيْ: لَمْ يُقِيمُوا وَلَمْ يَثْبُتُوا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ تَابُوا وَأَنَابُوا وَاسْتَغْفَرُوا، وَأَصْلُ الْإِصْرَارِ: الثَّبَاتُ عَلَى الشَّيْءِ،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (135)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) أي: أن من تاب تاب الله عليه. هكذا روي عن مجاهد ولا يتنافى مع ما فسرنا به الآية، وورد "ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة".

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (آل عمرآن)) الآية (135)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمرآن) الآية (135)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

قال: (الْحَسَن): إتْيَان العَبْد ذنْبًا عمْدًا إصْرارٌ حتَّى يَتوب.

وقَالَ: (السُّدِّيُّ): الإصرار: السكوت وترك الاستغفار.

{وَهُمْ يَعْلَمُونَ} قال: (ابْنُ عَبَّاس) و(الْحَسَن) و(مُقَاتِل) وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ،

يَعْني:- وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْإِصْرَارَ ضَارٌّ،

وقَالَ: (الضَّحَّاكُ): وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ مَغْفِرَةَ الذُّنُوب،

وقال: (الحسن بن الفضل): أَنَّ لَهُمْ رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنُوب،

يَعْني:- وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ لا يَتَعَاظَمُهُ الْعَفْوُ عَنِ الذُّنُوبِ وَإِنْ كَثُرَتْ.

يَعْني:- وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ إِنِ اسْتَغْفَرُوا غُفِرَ لَهُمْ.(1)

* * *

قال: الإمَامْ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ} أَيْ: إِذَا صَدَرَ مِنْهُمْ ذَنْبٌ أَتْبَعُوهُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ.(2)

* * *

قال: الإمَامْ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ (إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنْ (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((إِنَّ رَجُلًا أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدِي عَمِلَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ عَمِلَ ذنبا آخر فقال: رب، إني عملت ذنبا فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ عَمِلَ ذَنْبًا آخَرَ فَقَالَ: رَبِّ، إِنِّي عَمِلْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي. فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ عَمِلَ ذَنْبًا آخَرَ فَقَالَ: رَبِّ، إِنِّي عَمِلْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدِي عَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ)).(3)

أَخْرَجَهُ فِي (الصَّحِيحَيْنِ)(4) - مِنْ حَدِيثِ- (إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ)، بِنَحْوِهِ.

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قال: الإمَامْ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ وَأَبُو عَامِرٍ قَالَا

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (135).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (135)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (296/2).

(4) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (5707) - (كتاب: التوحيد).

وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2758) - (كتاب: التوبة) - من طريق- (إسحاق بن عبد الله)، به.

وقال: الشيخ (أحمد شاكر) في (عمدة التفسير) برقم (3/ 41): والثابت هنا عمل الذنب أربع مرآت، وهو ثابت في المخطوطة الأزهرية (115/2)، وكذلك ثبت بهذه الزيادة في جامع المسانيد نقلاً عن هذا الموضع من المسند. ولكن هذه الزيادة ليست في أصول المسند الثلاثة، ولا في الصحيحين، ونقل الحافظ الإمام (ابن كثير). في موضعتين في كتابين يرجح أن هذه الزيادة ثابتة في أصول صحيحة من المسند.

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (135)، للإمَامْ (ابن كثير). (دار الآثار - الطبعة الأولى: 2009م).

حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا سَعْدٌ الطَّائِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْمُدِلَّةِ -مَوْلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ- سَمِعَ (أَبَا هُرَيْرَةَ)، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا رَأَيْنَاكَ رقَّت قلوبُنا، وكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْآخرة، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبَتْنَا الدُّنْيَا وشَممْنا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ. فَقَالَ: لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِي، لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ بِأَكُفِّهِمْ، وَلَزَارَتْكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يُغْفَرَ لَهُمْ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنَا عَنْ الْجَنَّةِ مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: ((لَبِنَةُ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ، ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ)).

ورَوَاه الإمام (الترمذي)، و(ابن ماجة)، من وجه آخر من (سَعْد)، به (1).

وَيَتَأَكَّدُ الْوُضُوءُ وَصَلَاةُ رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ التَّوْبَةِ.

* * *

وقال: الإمام (مُسْلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ)، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ -أَوْ: فَيُسْبِغُ- الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ)) (2).

* * *

وَفِي (الصَّحِيحَيْنِ) عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ تَوَضَّأَ لَهُمْ وُضُوءَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يقول: ((مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) (3).

فَقَدْ ثَبَتَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ رِوَايَةِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، عَنْ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْمُبِينُ مِنْ أَنَّ الِاسْتِغْفَارَ مِنَ الذَّنْبِ يَنْفَعُ الْعَاصِينَ (4).

* * *

(1) (صحيح): أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (2/304، 305).
واخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3598).
واخرجه الإمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1752).
و(صححه) الإمَامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (969).
والشيخ (أحمد شاكر) في تحقيقه على (المسند) رقم (8030).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (135)، للإمَامُ (ابن كثير).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (234) – (كتاب: الطهارة).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (159، 164، 1934) – (كتاب: الوضوء).
وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (226، 232) – (كتاب: الوضوء).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (135)، للإمَامُ (ابن كثير).

وَقَدْ قَالَ: (عَبْدُ الرَّزَّاق): أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ (أَنَس بْن مَالِك) قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ إِبْلِيسَ حِينَ نَزَلَتْ: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ} الْآيَةَ، بَكَى (1).

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) -(إِمَامْ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة)- (رحمه الله) - فِي (مُسْنَده):- مِنْ طَرِيق - عَمْرو بْن أَبِي عَمْرو وَأَبِي الْهَيْثَم الْعُتْوَارِيِّ، عَنْ (أَبِي سَعِيد)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((قَالَ إِبْلِيسُ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا أَزَالُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. فَقَالَ اللهُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَلا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي)) (2).

* * *

وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ} أَيْ: لَا يَغْفِرُهَا أَحَدٌ سِوَاهُ، (3)

وَقَوْلُهُ: {وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أَيْ: تَابُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَرَجَعُوا إِلَى اللَّهِ عَنْ قَرِيبٍ، وَلَمْ يَسْتَمِرُّوا عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَيُصِرُّوا عَلَيْهَا غَيْرَ مُقْلِعِينَ عَنْهَا، وَلَوْ تَكَرَّرَ مِنْهُمُ الذَّنْبُ تَابُوا عَنْهُ،

قَوْلُهُ: {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} قَالَ: (مُجَاهِدٌ) وَ(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ): {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أَنَّ مَنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} {التَّوْبَة:104}.

وَكَقَوْلِهِ: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} {النِّسَاء:110}. (4)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - فِي (مُسْنَده):- حَدَّثَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، حَدَّثَنَا حِبَّانُ -هُوَ ابْنُ زَيْدٍ الشَّرْعَبِيِّ- عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو)، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ -وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ:- ((ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ، وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)). (5)

تَفَرَّدَ بِهِ الإِمَام (أَحْمَدُ)، (رَحِمَهُ اللَّهُ). (1)(6)

---

(1) انظر: تفسير (عبد الرزاق) رقم (137/1).
و(تفسير الطبري) برقم (220/7) وليس فيها (أنس بن مالك).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (135)، للإمام (ابن كثير).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (76/3).
و(صحح) الإمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (104).

(3) انظر: تفسير (عبد الرزاق) رقم (137/1). و(تفسير الطبري) برقم (220/7) وليس فيها (أنس بن مالك).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (135)، للإمام (ابن كثير).

(5) أخرجه الإمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (ح 6541)، و(صححه الشيخ (أحمد شاكر).
وقال: الإمَامْ (المنذري): رواه الإمَامْ (أحمد) (بإسناد جيد) برقم (الترغيب برقم (155/3)، وكذا الحافظ (العراقي)،
و(صححه) الإمَامْ (السيوطي) في (الجامع الصغير) برقم (475/1)،
وعزاه الإمَامْ (الهيثمي) للإمَامْ (أحمد والطبراني). وقال: (ورجاله رجال الصحيح) غير (حبان بن يزيد الشرعبي). ووثقه الإمَامْ (ابن حبان) في (مجمع الزوائد) برقم (191/10).
و(صححه) الإمَامْ (الألباني) في (صحيح الجامع) برقم (308/1).
ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمران) الآية (135)، برقم (ص 464/1)،

(6) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (165/2).
وأخرجه الإمَامْ (البخاري) في (الأدب المفرد) برقم (380).
وأخرجه الإمَامْ (البيهقي) في (شعب الإيمان) برقم (449/5). و(عبد ابن حمد) برقم (ص 320/).

* * *

و أخرج الإمامُ (الترمذي)، و(أبو داود)، و(ابن ماجة) - في (سُنَنِهِم) - الإمامُ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده):- (رحمهم الله) - (بِسَنَدِهِم):- عَنْ (أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم:- (" مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا) [2] (ثُمَّ يَقُومُ) [3] (فَيَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ , ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ) [4] (ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ تَعَالَى لِذَلِكَ الذَّنْبِ إلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ, وَقَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرْ اللهَ يَجِدْ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [5] {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ , وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ , وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ") [6]

* * *

وقال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُننِه) - (بسنده):- حدثنا قتيبة حدثنا أبو عوانة عن عثمان بن المغيرة عن علي بن ربيعة عن (أسماء بن الحكم الفزاري) قال: سمعت (عليا) يقول: إني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني به، وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدّقته، وإن حدثني أبوبكر، وصدق أبو بكر، قال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: "ما من رجل يُذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلي، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له.

ثم قرأ هذه الآية: {والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يُصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون}. [7]

وأخرجه الإمَامْ (الطبراني) في (الشامين) برقم (133/2).

وقال الإمام (الهيثمي) برقم (191/10): رواه الإمام (أحمد)، ورجاله رجال الصحيح، غير (حبان بن يزيد الشرعي)، ووثقه الإمام (ابن حبان)، ورواه الإمام (الطبراني) كذلك،

وقال: (المناوي) رقم (475/1): قال: (الزين العراقي) كالمناوي: (إسناده جيد).

و(صححه) الإمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (482).

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (135)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) اخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1521).

واخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (406) , (3006).

(3) اخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (406),(3006).

(4) أخرجه الإمام (ابن ماجة) في (سننه) برقم (1395).

واخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (406).

واخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1521).

(5) {النساء/110}.

(6) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (47).

واخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1521).

واخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (406).

وأخرجه الإمام (ابن ماجة) في (سننه) برقم (1395).

انظر: (صَحِيح الْجَامِع) برقم (5738)، (صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب) برقم (1621) للإمام (الألباني).

(7) اخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2/257-258)، (ح 406) – (كتاب : الصلاة)، / باب: (ما جاء في الصلاة عند التوبة) وقال: (حديث حسن).

وأخرجه الإمَامْ (أبو داود) في (السنن) برقم (86/2)، (ح 1521) – (كتاب : الصلاة)، / باب: (في الاستغفار) - من طريق -: (مسدد عن أبي عوانة) به،

وأخرجه الإمام (ابن ماجة) في (سننه) برقم (446/1)، (ح 1395)- (كتاب : أقامة الصلاة)، / باب: (ما جاء أن الصلاة كفارة) - من طريق: (مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة) به.

وأخرجه الإمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه)- (الإحسان) برقم (389/2)، (ح 623) - من طريق-: (الفضل بن الحباب عن مسدد) به. قال محققه: (إسناده حسن).

وأخرجه الإمَامْ (الضياء المقدسي) برقم (المختارة) برقم (1/83-87)، (ح 9-11) - من طرق-: عن (عثمان بن المغيرة) به،

و(صحح) محققه إسناده في المواضع كلها) .

وقال: الإمام (ابن كثير): في (تفسيره): حديث (حسن) (التفسير 407/1).

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني عبد الأعلى بن حماد، حدثنا حماد بن سلمة، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن (أبي هريرة)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: ((أذنب عبد ذنبا. فقال: اللهم! اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا، فعلمَ أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب. فقال: أي ربِّ! اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا. فعَلِمَ أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي ربّ! اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً. فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب. اعمل ما شئت فقد غفرت لك)).

قال: عبد الأعلى: لا أدري أقال في الثالثة أو الرابعة "اعمل ما شئت". (1)

* * *

[١٣٦] ﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة، والخصال المجيدة، ثوابهم أن يستر الله ذنوبهم، ويتجاوز عنها، ولهم في الآخرة جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، مقيمين فيها أبداً، ونِعْم ذلك الجزاء للعاملين بطاعة الله. (2)

* * *

يَعْنِي:- أولئك الموصوفون بتلك الصفات العظيمة جزاؤهم أن يستر الله ذنوبهم، ولهم جنات تجري من تحت أشجارها وقصورها المياه العذبة، خالدين فيها لا يخرجون منها أبدًا. ونِعْمَ أجر العاملين المغفرة والجنة. (3)

* * *

يَعْنِي:- أولئك المتصفون بهذه الصفات أجرهم مغفرة عظيمة من ربهم مالك أمرهم، وجنات تجرى الأنهار بين أشجارها لا يبرحونها. ونعم ذلك ثوابا للعاملين بأمر الله. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أُولئكَ} ... اشارة الى الفريقين.

{وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} ... نِعْمَ ثَوَابُ الْمُطِيعِينَ الْجَنَّةُ.

وقال: الإِمَامُ (ابن حجر): (جيد الإسناد) في (تهذيب التهذيب) برقم (268/1)،

و(صححه) (الشيخ (أحمد شاكر) في تحقيقه (لسنن) الإِمَامُ (الترمذي).

و(صححه) (الإِمَامُ (الألباني) في (صحيح الجامع) برقم (5738).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمران) الآية (135)، برقم (ص463-462/1).

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2112/4)، (ح 2758)-(كتاب: التوبة)، /باب: (قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت ...).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (67/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (67/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (92/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

قال: أَجْرُ الْعامِلِينَ بعد قوله جَزاؤُهُمْ لأنهما فى معنى واحد، وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أن ذلك جزاء واجب على عمل، وأجر مستحق عليه. والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: ونعم أجر العالمين ذلك، يعنى المغفرة والجنات.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة -(البقرة) - آية (25). - كما قال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)}.

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ} يَعْنِي: مَا عذب الله بِهِ الْأُمَم السالفة حِين كذبُوا رسلهم {فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} أَي: كَانَ عاقبتهم أَن دمر الله عَلَيْهِم، ثمَّ صيرهم إِلَى النَّار" يُحَذرهُمْ بذلك. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تَفْسِيرُ القُرآنِ العَظِيمِ):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى -بَعْدَ وَصْفِهِمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ:- {أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ} أَيْ: جَزَاؤُهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَجَنَّاتٌ {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ} أَيْ: مِنْ أَنْوَاعِ الْمَشْرُوبَاتِ {خَالِدِينَ فِيهَا} أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا {وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} يَمْدَحُ تَعَالَى الْجَنَّةَ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تَفسيره):-

{أولئك} الموصوفون بتلك الصفات {جزاؤهم مغفرة من ربهم} تزيل عنهم كل محذور {وجنات تجري من تحتها الأنهار} فيها من النعيم المقيم، والبهجة والسرور والبهاء، والخير والسرور، والقصور والمنازل الأنيقة العاليات، والأشجار المثمرة البهية، والأنهار الجاريات في تلك المساكن الطيبات،

{خالدين فيها} لا يحولون عنها، ولا يبغون بها بدلا ولا يغير ما هم فيه من النعيم،

{ونعم أجر العاملين} عملوا لله قليلا فأجروا كثيرا فـ "عند الصباح يحمد القوم السرى" وعند الجزاء يجد العامل أجره كاملا موفرا.

وهذه الآيات الكريمات من أدلة أهل السنة والجماعة، على أن الأعمال تدخل في الإيمان، خلافا للمرجئة، ووجه الدلالة إنما يتم بذكر الآية، التي في سورة الحديد، نظير هذه الآيات، وهي قوله تعالى: {سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله} فلم يذكر فيها إلا لفظ الإيمان به وبرسله، وهنا قال: {أعدت للمتقين} ثم وصف المتقين بهذه الأعمال المالية والبدنية، فدل على أن هؤلاء المتقين

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمرآن) الآية (137)، للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (137)، لِلإِمَامُ (ابن كثير).

الموصوفين بهذه الصفات هم أولئك المؤمنون.(1)

* * *

[١٣٧] ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولما ابتلي المؤمنون بما نزل بهم يوم أحد قال الله معزيًا لهم: قد مضت من قبلكم سُنن إلهية في إهلاك الكافرين، وجعل العاقبة للمؤمنين بعد ابتلائهم، فسيروا في الأرض فانظروا معتبرين كيف كان مصير المكذبين لله ورسله، خلت ديارهم، وزال ملكهم.(2)

* * *

يَعْني:- يخاطب الله المؤمنين لَمَّا أُصيبوا يوم ‹ أُحد › تعزية لهم بأنه قد مضت من قبلكم أمم، ابتُلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين فكانت العاقبة لهم، فسيروا في الأرض معتبرين بما آل إليه أمر أولئك المكذبين بالله ورسله.(3)

* * *

يَعْني:- قد مضت من قبلكم أيها المؤمنون - سنن اللّه فى الأمم المكذبة، بإمهالهم، ثم أخذهم بذنوبهم، فتأملوا كيف كان عاقبة أمر المكذبين.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ} ... خَلَتْ: أي مَضَتْ، وَسُنَنٌ: جَمْعُ سُنَّةٍ وهي السيرةُ والطريقةُ التي يكون عليها الفردُ أو الجماعةُ، وَسُنَنُ الله تعالى في خَلْقِهِ قانونُه الماضي في الخلق.

{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ} ... يريد ما سنه الله فى الأمم المكذبين من وقائعه.

{قَدْ خَلَتْ} ... خلت: مضت.

{سُنَنٌ} ... جمع سنة، وهي السيرة والطريقة التي يكون عليها الفرد أو الجماعة، وسنن الله تعالى في خلقه قانونه الماضي في الخلق.

{فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} ... الأمر للإرشاد، للوقوف على ديار الهالكين الغابرين لتعتبروا.

{كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} ... العاقبة آخر الأمر.

يقول: فأنا أمهلهم وأستدرجهم وأملى لهم حتى يبلغ الكتاب أجله.

{عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} ... عاقبة أمرهم، وهو ما حل بهم من الدمار والخسار كعاد وثمود.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال الإمام (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (136)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (67/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (67/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (92/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

سُنَنٌ} يقول: في الكفار والمؤمنين، والخير والشر.(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-
(بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}، يقول: متعهم في الدنيا قليلا، ثم صيرهم إلى النار.(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {137} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ}
قَالَ: (عَطَاءٌ): شَرَائِعُ.
وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ بِالْهَلَاكِ فِيمَنْ كَذَّبَ قَبْلَكُمْ،
يَعْنِي:- سُنَنٌ أَيْ: أُمَمٌ، والسنة: الأمة،
وَقِيلَ مَعْنَاهُ: أَهْلُ السُّنَنِ، وَالسُّنَّةُ: الطَّرِيقَةُ الْمُتَّبَعَةُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، يُقَالُ: سَنَّ فُلَانٌ سُنَّةً حَسَنَةً، وَسُنَّةً سَيِّئَةً إذا عمل عملًا اقتدى بِهِ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: قَدْ مَضَتْ وَسَلَفَتْ مِنِّي سُنَنٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الْكَافِرَةِ، بِإِمْهَالِي وَاسْتِدْرَاجِي إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ فِيهِمْ أَجَلِي الَّذِي أَجَّلْتُهُ لِإِهْلَاكِهِمْ، وَإِدَالَةِ أَنْبِيَائِي عَلَيْهِمْ {فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} أي: آخرنا مِنَ الْمُكَذِّبِينَ،

وَهَذَا فِي حَرْبِ أُحُد، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَأَنَا أُمْهِلُهُمْ وَأَسْتَدْرِجُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ أَجَلِي الذي أجلته فِي نُصْرَةِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَوْلِيَائه وَإِهْلَاكِ أَعْدَائه.(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تَفْسِيرُ القُرآنِ العَظِيمِ):- يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطِبًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أُصِيبوا يومَ أُحُد، وقُتل مِنْهُمْ سَبْعُونَ: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ} أَيْ: قَدْ جَرَى نَحْوُ هَذَا عَلَى الْأُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا مَنْ قَبْلِكُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ كَانَتِ الْعَاقِبَةُ لَهُمْ وَالدَّائِرَةُ عَلَى الْكَافِرِينَ" وَلِهَذَا قَالَ: {فَسِيرُوا فِي الأرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تَفسيره):- ثم قال تعالى: {137} {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}. وهذه الآيات الكريمات، وما بعدها في قصة "أحد" يعزي تعالى عباده المؤمنين ويسليهم، ويخبرهم أنه مضى قبلهم أجيال وأمم كثيرة، امتحنوا، وابتلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين، فلم يزالوا في مداولة ومجاولة، حتى جعل الله العاقبة للمتقين، والنصر لعباده المؤمنين، وآخر الأمر حصلت الدولة على المكذبين، وخذلهم الله بنصر رسله وأتباعهم.

---

(1) كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمرآن) الآية (137). الطبعة: الأولى،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (137).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (137).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (137)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

{فسيروا في الأرض} بأبدانكم وقلوبكم {فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين} فإنكم لا تجدونهم إلا معذبين بأنواع العقوبات الدنيوية، قد خوت ديارهم، وتبين لكل أحد خسارهم، وذهب عزهم وملكهم، وزال بذخهم وفخرهم، أفليس في هذا أعظم دليل، وأكبر شاهد على صدق ما جاءت به الرسل؟". (1)

* * *

[١٣٨] ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هذا القرآن الكريم بيان للحق وتحذير من الباطل للناس أجمعين، وهو دلالة إلى الهدى، وزاجر للمتقين؛ لأنهم هم المنتفعون بما فيه من الهدى والرشاد. (2)

* * *

يَعْنِي:- هذا القرآن بيان وإرشاد إلى طريق الحق، وتذكير تخشع له قلوب المتقين، وهم الذين يخشون الله، وخُصُّوا بذلك؛ لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- وهذا المذكور من صفات المؤمنين وسنن الله فى الماضين فيه بيان للناس وإرشاد لهم إلى طريق الخير، وزجر عن طريق الشر. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{بَيَانٌ لِّلنَّاسِ} ... أي: ما ذُكِرَ مِنَ الآياتِ بيانٌ للناس يَتَبَيَّنُونَ الهُدَى مِنَ الضلالِ ولازمَها مِنَ الفَلاحِ وَالخُسْرَانِ.

أي: إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب.

{وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} ... يعني: أنه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين.

{وَمَوْعِظَةٌ} ... الموعظة: الحال التي يتعظ بها المؤمن فيسلك سبيل النجاة.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ)، وهو هذا القرآن، جعله الله بيانا للناس عامة، وهدى وموعظة للمتقين خصوصا. (5)

* * *

قال: الإمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- أَخْبَرَنِي الثَّوْرِيُّ , عَنْ بَيَانٍ , عَنْ (الشَّعْبِيِّ) , فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ , وَهُدًى , وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 138] قَالَ: ((بَيَانٌ مِنَ الْعَمَى ,

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (137)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (67/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (67/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (92/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (138).

وَهُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ , وَمَوْعِظَةً مِنَ الْجَهْلِ)).[1]

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ قَالَ: (قَتَادَة): يَعْنِي: هَذَا الْقُرْآنَ بَيَانٌ لِلنَّاسِ عَامَّةً ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ خصوا بِهِ.[2]

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {138} ﴿ هَذَا ﴾ أَيْ: هَذَا الْقُرْآنُ، ﴿ بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ عامة، ﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلالة، ﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ خاصة.[3]

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تَفْسِيرُ القُرآنَ العَظِيم):- ثُمَّ قَالَ: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ فِيهِ بَيَانٌ لِلْأُمُورِ عَلَى جَلِيَّتِهَا، وَكَيْفَ كَانَ الْأُمَمُ الْأَقْدَمُونَ مَعَ أَعْدَائِهِمْ ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ فِيهِ خَبَرُ مَا قَبْلَكُمْ وَ ﴿ هُدًى ﴾ لِقُلُوبِكُمْ وَ ﴿ مَوْعِظَةٌ ﴾ أَيْ: زَاجِرٌ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْمَآثِمِ.[4]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثم قال تعالى:

{138} ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾. وحكمة الله التي يمتحن بها عباده، ليبلوهم ويتبين صادقهم من كاذبهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ هذا بيان للناس ﴾ أي: دلالة ظاهرة، تبين للناس الحق من الباطل، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، وهو الإشارة إلى ما أوقع الله بالمكذبين.

﴿ وهدى وموعظة للمتقين ﴾ لأنهم هم المنتفعون بالآيات فتهديهم إلى سبيل الرشاد، وتعظهم وتزجرهم عن طريق الغي، وأما باقي الناس فهي بيان لهم، تقوم به عليهم الحجة من الله، ليهلك من هلك عن بينة.

ويحتمل أن الإشارة في قوله: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ للقرآن العظيم، والذكر الحكيم، وأنه بيان للناس عموما، وهدى وموعظة للمتقين خصوصا، وكلا المعنيين حق.[5]

* * *

[١٣٩] ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تضعفوا أيها المؤمنون- ولا تحزنوا على ما أصابكم يوم أُحد -ولا ينبغي ذلك لكم، فأنتم الأعلون بإيمانكم، والأعلون بعون الله ورجائكم نصره، إن كنتم مؤمنين بالله ووعده لعباده المتقين.[6]

* * *

(1) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (138)، للإمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (138)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (138).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (138)، للإمَامْ (ابن كثير).

(5) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (138)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (67/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِي:- ولا تضْعُفوا أيها المؤمنون- عن قتال عدوكم، ولا تحزنوا لما أصابكم في ‹ أُحد ›، وأنتم الغالبون والعاقبة لكم، إن كنتم مصدقين بالله ورسوله متَّبعين شرعه. (1)

* * *

يَعْنِي:- ولا تضعفوا عن الجهاد فى سبيل الله بسبب ما ينالكم فيه، ولا تحزنوا على من يقتل منكم، وأنتم - بتأييد الله وإيمانكم، وقوة الحق الذى تدافعون عنه - الأعلون، ولكم الغلبة إن صدق إيمانكم ودمتم عليه. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَا تَهِنُوا} ... لاَ تَضْعُفُوا.

(أي: لا تَضْعُفُوا فَتَقْعُدُوا عن الجهاد والعمل).

{وَلَا تَحْزَنُوا} ... عَلَى ما فَاتَكُمْ مِنْ رِجَالِكُمْ.

{وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا} ... تسلية من الله سبحانه لرسوله -صلّى الله عليه وآله وسلم- وللمؤمنين

عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم. يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم، أي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح.

{وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ} ... وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب، أي وأنتم الأعلون منهم فى العاقبة.

أي: الغالبونَ لأعدائكم، المنتصرون عليهم، وذلك فيما مَضَى وفيما هُوَ آتٍ مستقبلًا بشرط إيمانكم وَتَقْوَاكُمْ

{إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} ... متعلق بالنهى، بمعنى: ولا تهنوا ان صح ايمانكم على أن صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه.

أو متعلق بقوله الْأَعْلَوْنَ أي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): **قوله:** {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}، يعزي أصحاب محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما تسمعون، ويحثهم على قتال عدوهم، وينهاهم عن العجز والوهن في طلب عدوهم في سبيل الله. (3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قول الله عز وجل: {ولا تهنوا} ولا تضعفوا. (4)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلَا تهنوا وَلَا تحزنوا} أَي: لَا تضعفوا عَن قتال الْمُشْركين .

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (67/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (139).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (139).

{وَأَنْـتُم الأعلـون} يَعْنـي: الظـاهرين المنصـورين {إِنْ كُنْتُم} يَعْنِي: إِذا كُنْتُم {مُؤْمِنين}. (1)

* * *

قـال: الإمَـام (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) -(رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {139} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَلاَ تَهِنُـوا وَلاَ تَحْزَنُـوا} هَـذَا حَـثٌّ لِأَصْحَاب النَّبِـيِّ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -عَلَـى الْجِهَاد والصبر عَلَـى مَـا أَصَابَهُمْ مِـنَ الْقَتْلِ وَالْجَرْحِ يَـوْمَ أُحُـد، يَقُـولُ اللَّـهُ تَعَـالَى: {وَلاَ تَهِنُـوا} أَيْ: لاَ تَضْـعُفُوا وَلاَ تَجْبُنُـوا عَـنْ جِهَـاد أَعْـدَائِكُمْ بِمَـا نَـالَكُمْ مِـنَ الْقَتْـلِ وَالْجَـرْحِ، وَكَـانَ قَـدْ قُتِـلَ يَوْمَئِـذ مِـنَ الْمُهَـاجِرِينَ خَمْسَـةُ مِـنْهُمْ: حَمْـزَةُ بْـنُ عَبْـد الْمُطَّلِـب وَمُصْـعَبُ بْـنُ عُمَيْـرٍ، وَقُتِـلَ مِـنَ الْأَنْصَار سَبْعُونَ رجلا،

{وَلاَ تَحْزَنُوا} أي: على ما فاتكم،

{وَأَنْـتُم الْـأَعْلَوْنَ} بـأن يكـون لكـم العاقبـة بالنصر والظفر على أعدائكم،

{إِنْ كُنْـتُم مُـؤْمِنِينَ} يعـني إذا كنـتم، أَيْ: لِـأَنَّكُمْ مُؤْمِنُـونَ، قَـالَ: (ابْـنُ عبـاس) -رضـي الله عنهمـا:-((انْهَـزَمَ أَصْـحَابُ رَسُـولِ اللَّـهِ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - فـي الشِّـعْبِ فَأَقْبَـلَ خَالِـدُ بْـنُ الْوَلِيـد بِخَيْـلِ الْمُشْـرِكِينَ يُرِيـدُ أَنْ يَعْلُـوَ عَلَـيْهِمِ الْجَبَـلَ، فَقَـالَ: النَّبِـيُّ - صَـلَّى اللَّـهُ عليـه وسلم:-اللـهم لا يعلوه عَلَيْنَـا، اللَّهُـمَّ لاَ قُـوَّةَ لَنَـا إِلاَّ بِـكَ، وَثَـابَ نَفَـرٌ مِـنَ الْمُسْلِمِينَ رُمَـاةٌ فَصَـعِدُوا الْجَبَـل ورَمَـوْا خيـل المشـركين حتـى هزموها)). (2)

* * *

قـال: الإمَـامُ (إبـن كـثير) – (رحمـه الله) – في (تَفْسِـيرُ الْقُـرآنِ الْعَظِـيمِ):- ثُـمَّ قَـالَ مُسَـلِّيًا لِلْمُـؤْمِنِينَ: {وَلا تَهِنُـوا} أَيْ: لاَ تَضْـعفوا بِسَـبَبِ مَـا جَـرَى {وَلا تَحْزَنُـوا وَأَنْـتُمُ الأعْلَـوْنَ إِنْ كُنْـتُمْ مُـؤْمِنِينَ} أَيِ: الْعَاقِبَـةُ وَالنُّصْـرَةُ لَكُـمْ أَيُّهَـا الْمُؤْمِنُونَ. (3)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- يقـول تعـالى: مشـجعا لعبـاده المـؤمنين، ومقويـا لعـزائمهم ومنهضـا لهممهـم: {ولا تهنـوا ولا تحزنـوا} أي: ولا تهنـوا وتضـعفوا في أبـدانكم، ولا تحزنـوا في قلـوبكم، عنـدما أصـابتكم المصـيبة، وابتليـتم بهـذه البلـوى، فـإن الحـزن في القلـوب، والـوهن علـى الأبـدان، زيـادة مصـيبة علـيكم، وعـون لعـدوكم علـيكم، بـل شـجعوا قلـوبكم وصـبروها، وادفعـوا عنهـا الحـزن وتصـلبوا علـى قتـال عـدوكم، وذكـر تعـالى أنـه لا ينبغـي ولا يليـق بهـم الـوهن والحـزن، وهـم الأعلـون في الإيمـان، ورجـاء نصـر الله وثوابـه، فـالمؤمن المتـيقن مـا وعـده الله مـن الثـواب الـدنيوي والأخـروي لا ينبغـي منه ذلك،

ولهـذا قـال تعـالى: {وأنـتم الأعلـون إن كنـتم مـؤمنين}. ثـم سـلاهم بمـا حصـل لهـم مـن الهزيمـة، وبـين الحكـم العظيمـة المترتبـة علـى ذلك، (4)

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العزيـز) في سـورة (آل عمـران) الآيـة (139)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(2) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسمى بمعـالم التنزيـل) للإمَـام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (139).

(3) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (آل عمـران) الآيـة (139)، للإمَامُ (ابن كثير).

(4) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (آل عمران) الآية (139)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

[١٤٠] ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن أصابكم أيها المؤمنون- جِراح وقَتْل يوم أحد، فقد أصاب الكفار جراح وقَتْل مثل ما أصابكم، والأيام يصرفها الله بين الناس مؤمنهم وكافرهم بما شاء من نصر وهزيمة "لحكم بالغة" منها: ليَظْهَر المؤمنون حقيقة من المنافقين، ومنها: ليُكْرِم من يشاء بالشهادة في سبيله، والله لا يحب الظالمين لأنفسهم بترك الجهاد في سبيله. (1)

* * *

يَعْنِي:- إن أصابتكم أيها المؤمنون- جراح أو قتل في غزوة ‹أُحد› فحزنتم لذلك، فقد أصاب المشركين جراح وقتل مثل ذلك في غزوة ‹بدر› . وتلك الأيام يُصَرِّفها الله بين الناس، نصر مرة وهزيمة أخرى، لما في ذلك من الحكمة، حتى يظهر ما علمه الله في الأزل ليميز الله المؤمن الصادق من غيره، ويُكْرِمَ أقوامًا منكم بالشهادة. والله لا يحب الذين ظلموا أنفسهم، وقعدوا عن القتال في سبيله. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن يكن قد مسّكم بأُحُدْ قتل أو جراح عميقة في أجسامكم، وأثَّرت في نفوسكم فلا تهنوا ولا تحزنوا، لأنه قد أصاب خصومكم مثله يوم بدر. وإن أوقات النصر يصرفها الله بين الناس، فيكون النصر لهؤلاء أحياناً ولأولئك أخرى، اختباراً للمؤمنين، وليميز الله الثابتين على الإيمان، وليكرم قوماً بالاستشهاد في سبيله، والله لا يحب المشركين الظالمين ولو ظفروا بنصر من غيرهم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ}... إِنْ يُصِبْكُمْ جِرَاحٌ مِنْ أَحَد.

{قَرْحٌ}... جَرْحٌ.

{إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ}... قرح: جراح. أي ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر.

أي: القرح: أثر السلاح في الجسم" كالجرح، وتضم القاف فيكون بمعنى الألم.

{فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ}... يَعْنِي: يَوْمَ بَدْر.

{وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}... الْمُدَاوَلَةُ: نَقْلُ الشَّيْءِ من واحد لآخر والمعنى: أن أيام الدنيا هي دُوَلٌ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَوْمٌ لهؤلاء وَيَوْمٌ لهؤلاء، فكانت الدَّوْلَةُ للمسلمين عَلَى المشركين في بَدْر حتى قَتَلُوا منهم سبعين رجلًا وَأَسَرُوا سبعين، وَأُدِيلَ المشركون من

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (67/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (67/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (93/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

المسلمين يومَ أُحُدٍ حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسًا وسبعين.

{وَتِلْكَ الْأَيَّامُ} ... تلك، مبتدأ، والأيام صفته. والمراد بالأيام: أوقات الظفر والغلبة.

{الأَيَّامُ} ... جمع يوم والليالي معها، والمراد بها ما يجريه الله من تصاريف الحياة من خير وغيره، وإعزاز وإذلال.

{نُدَاوِلُهَا} ... نُصرِّفُهَا.

{نُدَاوِلُهَا} ... خبر المبتدأ، أي نصرفها بين الناس، تارة لهؤلاء، وتارة لهؤلاء.

{وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} ... المعلل محذوف، أي وليتميز الثابتون على الايمان منكم من الذين على حرف، وهو من باب التمثيل، أي فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت، وإلا فالله عز وجل لم يزل عالما بالأشياء قبل كونها.

وقد تكون العلة محذوفة، وهذا عطف عليه، ويكون المعنى: وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت، وليعلم الله. وا نما حذف للايذان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة، ليسليهم عما جرى عليهم، وليبصرهم أن العبد يسوءه ما يجرى عليه من المصائب، ولا يشعر أن لله فى ذلك من المصالح ما هو غافل عنه.

{وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} ... وليكرم ناسا منكم بالشهادة. يريد المستشهدين يوم أحد. أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يبتلى به صبركم من الشدائد.

{شُهَدَاءَ} ... جمع شهيد وهو المقتول في سبيل الله، وشاهد: وهو من يشهد على غيره.

{وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} ... اعتراض بين بعض التعليل وبعض.

والمعنى: والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان، المجاهدين فى سبيل الله.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ}،.

قال: الإمَامْ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ}، الْمُرَادُ بِالْقَرْحِ الَّذِي مَسَّ الْمُسْلِمِينَ هُوَ مَا أَصَابَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجَرْحِ، كَمَا أَشَارَ لَهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ كَقَوْلِهِ: {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} {3\143}،

وَقَوْلُهُ: {وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} الْآيَةَ {3\140}،

وَقَوْلُهُ: {حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ} {3\152}،

وَقَوْلُهُ: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ- يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ} {3\153}، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَأَمَّا الْمُرَادُ بِالْقَرْحِ الَّذِي مَسَّ الْقَوْمَ الْمُشْرِكِينَ فَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ هُوَ مَا أَصَابَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَعَلَيْهِ فَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي

مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} {8 \ 12 \ 13}.

وَيُحْتَمَلُ أَيْضًا أَنَّهُ هَزِيمَةُ الْمُشْرِكِينَ أَوَّلًا يَوْمَ أُحُدٍ، كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى الْقَرْحَيْنِ مَعًا بِقَوْلِهِ: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا} {3 \ 165}، فَالْمُرَادُ بِمُصِيبَةِ الْمُسْلِمِينَ الْقَرْحُ الَّذِي مَسَّهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، وَالْمُرَادُ بِمُصِيبَةِ الْكُفَّارِ بِمِثْلَيْهَا قَبْلَ الْقَرْحِ الَّذِي مَسَّهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ " لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ، وَالْكُفَّارُ يَوْمَ بَدْرٍ قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ، وَأُسِرَ سَبْعُونَ.

وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمُصِيبَةَ الَّتِي أَصَابَتِ الْمُشْرِكِينَ هِيَ مَا أَصَابَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ مِنْ قَتْلٍ وَهَزِيمَةٍ، حَيْثُ قُتِلَ حَمَلَةُ اللِّوَاءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً، وَبَقِيَ لِوَاؤُهُمْ سَاقِطًا حَتَّى رَفَعَتْهُ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الْحَارِثِيَّةُ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَسَّانُ: {الطَّوِيل}

فَلَوْلَا لِوَاءُ الْحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا ... يُبَاعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ بَيْعَ الْجَلَائِبِ

وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ: فَالْقَرْحُ الَّذِي أَصَابَ الْقَوْمَ الْمُشْرِكِينَ يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ} الْآيَةَ {3 \ 152}.

وَمَعْنَى تَحُسُّونَهُمْ: تَقْتُلُونَهُمْ، وَتَسْتَأْصِلُونَهُمْ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحِسِّ الَّذِي هُوَ الْإِدْرَاكُ بِالْحَاسَّةِ، فَمَعْنَى حَسَّهُ أَذْهَبَ حِسَّهُ بِالْقَتْلِ،(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قوله: {إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله} قال: جراح وقتل.(2)

* * *

قوله تعالى: {وتلك الأيام نداولها بين الناس}.

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {وتلك الأيام نداولها بين الناس} إنه الله لولا الدول ما أوذي المؤمنون، ولكن يدال للكافر من المؤمن، ويبتلى المؤمن بالكافر، ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه، ويعلم الصادق من الكاذب.(3)

* * *

قوله تعالى: {وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء}.

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: {وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (140).

(2) كما ذكره ونقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمران) الآية (140). برقم (ص465/1).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (140).

شهداء}، فكرم الله أولياءه بالشهادة بأيدي عدوهم، ثم تصير حواصل الأمور وعواقبها لأهل طاعة الله.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ} قَالَ (قَتَادَة): الْقرح: الْجراح، وَذَلِكَ يَوْم أحد" فَشَا فِي أَصْحَاب رَسُول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمئِذٍ الْقَتْل والجراحة" فَأخْبرهُم الله أَن الْقَوْم قد أَصَابَهُم من ذَلِك مثل مَا أَصَابَكُم، وَأَن الَّذِي أَصَابَكُم عُقُوبَة" وَتَفْسِير تِلْكَ الْعقُوبَة بعد هَذَا الْموضع.

قَالَ: (مُحَمَّد): يُقَال: قَرْح وقُرْح، وَقد قرئَ بهما، والقُرح بِالضَّمِّ: ألم الْجراح، والقرح بِالْفَتْح: الْجراح. {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} قَالَ: (قَتَادَة): لَوْلَا أَن الله جعلهَا دُوَلًا مَا أوذي الْمُؤْمِنُونَ، وَلَكِن قد يدال الْكَافِر من الْمُؤمن، ويدال الْمُؤمن من الْكَافِر" ليعلم الله من يطيعه مِمَّن يعصيه" وَهَذَا علم الفعال.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {140} {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ} قَرَأَ (حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ)، وَ(أَبُو بَكْرٍ): (قُرْحٌ) بِضَمِّ الْقَافِ حَيْثُ جَاءَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالْفَتْحِ وَهُمَا لُغَتَانِ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ كَالْجُهْدِ وَالْجَهْدِ،

وَقَالَ: (الفراء): بالفتح اسم للجراحة، وبالضم اسم لألم الْجِرَاحَةِ، هَذَا خِطَابٌ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حَيْثُ انْصَرَفُوا مِنْ أُحُدٍ مَعَ الْكَآبَةِ وَالْحُزْنِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ} يَوْمَ أُحُدٍ،

{فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ} يَوْمَ بَدْرٍ.

{وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} فَيَوْمٌ لَهُمْ وَيَوْمٌ عَلَيْهِمْ، أُدِيلَ المسلمون مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَتَلُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، وَأُدِيلَ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى جَرَحُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وَقَتَلُوا خمسا وسبعين.

{وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} يَعْنِي. إِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْمُدَاوَلَةُ لِيعلم" أَيْ: لِيَرَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا فَيُمَيِّزُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِقِ،

{وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} يُكْرِمُ أَقْوَامًا بِالشَّهَادَةِ {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} {آل عمران: 140}.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تَفْسِيرُ القُرآنِ العَظِيمِ):- {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ} أَيْ: إِنْ كُنْتُمْ قَدْ أَصَابَتْكُمْ جِرَاحٌ، وقُتل مِنْكُمْ طائفةٌ، فَقَدْ أَصَابَ أَعْدَاءَكُمْ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مِنْ قَتْلٍ وَجِرَاحٍ {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} أَيْ: نُدِيلُ عَلَيْكُمُ الْأَعْدَاءَ تَارَةً، وَإِنْ كَانَتِ الْعَاقِبَةُ لَكُمْ لِمَا لَنَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكَمِ " وَلِهَذَا قَالَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (140).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (140)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (140).

تَعَالَى: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي مِثْلِ هَذَا لِنَرَى، أَيْ: مَنْ يَصبر عَلَى مُنَاجزَةِ الْأَعْدَاءِ.

{وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} يَعْنِي: يُقْتَلُون فِي سَبِيلِه، وَيَبْذُلُون مُهَجهم فِي مَرْضَاتِه. {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- فقال: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ} فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون كما قال تعالى: {إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون}.

ومن الحكم في ذلك أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى" لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا.

{وليعلم الله الذين آمنوا} هذا أيضا من الحكم أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء، ليتبين المؤمن من المنافق" لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، ممن ليس كذلك.

{ويتخذ منكم شهداء} وهذا أيضا من بعض الحكم، لأن الشهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيَّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية والنعيم المقيم، {والله لا يحب الظالمين} الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضا بذم المنافقين، وأنهم مبغضون لله، ولهذا ثبطهم عن القتال في سبيله.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (140)، للإمَامْ (ابن كثير).

{ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين}(1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- الترغيب في المسارعة إلى عمل الصالحات اغتنامًا للأوقات، ومبادرة للطاعات قبل فواتها.
- من صفات المتقين التي يستحقون بها دخول الجنة: الإنفاق في كل حال، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان إلى الخلق.
- النظر في أحوال الأمم السابقة من أعظم ما يورث العبرة والعظة لمن كان له قلب يعقل به.(2)

* * *

[١٤١] ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن هذه الحكم تطْهيرُ المؤمنين من ذنوبهم، وتخليص صَفِّهم من المنافقين، وليُهْلِك الكافرين ويمحوهم.(3)

* * *

يَعْنِي:- وهذه الهزيمة التي وقعت في ‹ أحد › كانت اختبارًا وتصفية للمؤمنين،

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (143) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (148)

وتخليصًا لهم من المنافقين وهلاكًا للكافرين.(4)

* * *

يَعْنِي:- وينقى الله بهذه الهزيمة الوقتية جماعة المؤمنين، ويطهرهم من مرض القلوب وضعفاء الإيمان، ودعاة الهزيمة والتردد، ويستأصل بذلك الكفر وأهله.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا} ... أي: وَلِيُطَهِّرَهُمْ من ذنوبهم وَيُزِيلَهَا عنهم، وَأَصْلُ المَحْص في اللغة: التَّنْقِيَةُ وَالإِزَالَةُ.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (140)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (67/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (68/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (68/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (93/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(أي: التمحيص: التطهير).

{وَلِيُمَحِّصَ} ... ليخلص المؤمنين من أدران المخالفات وأوضار الذنوب.

{وَيَمْحَقَ} ... يمحو ويذهب آثار الكفر والكافرين.

{وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} ... يهلكهم.

أي: ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص.

وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {وليمحص الله الذين آمنوا}.

قال الإمَامُ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قوله: {وليمحص الله الذين آمنوا} قال: ليبتلي. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وليمحص الله الَّذين آمنوا} أي: يختبرهم"

في تَفْسِير (مُجَاهِد) {ويمحق الْكَافرين} أَي: يمحق أعمَالهم يوْم الْقِيَامَة.

قَالَ: (مُحَمَّد): يَعْنِي:- معنى {وَلِيُمَحِّص الله} أَي: يمحص ذنوبهم" والتمحيص أَصله: التنقية، والتخليص. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {141} {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} أي: يطهركم من الذنوب، {وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} يُفْنِيهِمْ وَيُهْلِكُهُمْ، مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ إِنْ قَتَلُوكُمْ فَهُوَ تَطْهِيرٌ لَكُمْ، وَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَهُوَ مَحْقُهُمْ وَاسْتِئْصَالُهُمْ. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تَفْسِيرُ القُرآن العَظِيم):- {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} أَيْ: يُكَفِّرَ عَنْهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، إِنْ كَانَ لَهُمْ ذُنُوبٌ وَإِلَّا رُفِعَ لَهُمْ فِي دَرَجَاتِهِمْ بِحَسَبِ مَا أُصِيبُوا بِهِ،

وَقَوْلُهُ: {وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} أَيْ: فَإِنَّهُمْ إِذَا ظَفَرُوا بَغَوا وبَطروا فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ دَمَارِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ وَمَحْقِهِمْ وَفَنَائِهِمْ. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} وهذا أيضا من الحكم أن الله يمحص بذلك المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم، يدل ذلك على أن الشهادة والقتال في سبيل الله يكفر الذنوب، ويزيل العيوب، وليمحص الله أيضا المؤمنين من غيرهم من المنافقين، فيتخلصون منهم، ويعرفون المؤمن من المنافق، ومن الحكم أيضا أنه يقدر ذلك، ليمحق الكافرين، أي: ليكون سببا لمحقهم واستئصالهم بالعقوبة، فإنهم إذا انتصروا، بغوا، وازدادوا طغيانا إلى طغيانهم،

---

(1) كما ذكره ونقله الشيخ: (أ. الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمران) الآية (141). برقم (ص/1، 466).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (141)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (141).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (141)، للإمَامْ (ابن كثير).

يستحقون به المعاجلة بالعقوبة، رحمة بعباده المؤمنين.(1)

* * *

[١٤٢] ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أظننتم أيها المؤمنون- أنكم تدخلون الجنة دون ابتلاء وصبر يظهر به المجاهدون في سبيل الله حقيقةً، والصابرون على البلاء الذي يصيبهم فيه؟!.(2)

* * *

يَعْنِي:- يا أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- أظننتم أن تدخلوا الجنة، ولم تُبْتَلوا بالقتال والشدائد؟ لا يحصل لكم دخولها حتى تُبْتَلوا، ويعلم الله علما ظاهرا للخلق المجاهدين منكم في سبيله، والصابرين على مقاومة الأعداء.(3)

* * *

يَعْنِي:- لا تظنوا أيها المؤمنون - أنكم تدخلون الجنة دون أن يتبين منكم المجاهدون الصابرون الذين تطهرهم المحن والشدائد.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَمْ حَسِبْتُمْ} ... بَلْ ظَنَنْتُمْ فلا يَنْبَغِي أن تَظُنُّوا هذا الظنَّ، فالاستفهامُ إنكاريٌّ.

{أَمْ حَسِبْتُمْ} : بل أظننتم فلا ينبغي أن تظنوا هذا الظن فالاستفهام إنكاري.

{أَمْ} ... منقطعة، ومعنى الهمزة فيها للانكار.

{وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ} ... أي: ولما تجاهدوا، لأن العلم متعلق بالمعلوم، فنزل نفى العلم منزلة نفى متعلقة لأنه منتف بانتفائه.

{وَلَمَّا يَعْلَمِ} ... ولم يبتلكم بالجهاد حتى يعلم علم ظهور1 من يجاهد منكم ممن لا يجاهد كما هو عالم به في باطن الأمر وخفيه.

{وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} ... نصب بإضمار (أن) والواو بمعنى الجمع.

وقرىء بالجزم على العطف.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلما يعلم الله} أي: وَلم يعلم الله {الَّذين جاهدوا مِنْكُم ويعلم الصابرين}. قَالَ: (مُحَمَّد): الْقِرَاءَة {وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} بِالْفَتْح على الصّرْف من الْجَزْم.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {142} {أَمْ حَسِبْتُمْ} أي: أَحَسِبْتُمْ؟ {أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (141)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (68/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (68/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (93/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (142)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

اللَّـهُ} أيْ: ولَـمْ يَعْلَـمِ اللَّـهُ، {الَّـذِينَ جاهَـدُوا مِـنْكُمْ وَيَعْلَـمَ الصَّـابِرِينَ} {آل عمـران: 142} (1)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تَفْسِير القُرآنِ العَظِيم):- ثُمَّ قَالَ: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} أَيْ: أَحَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمْ تُبْتَلَوْا بِالْقِتَالِ وَالشَّدَائِد،

كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الْبَقَرَةِ): {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرسول- وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (2)} {الْبَقَرَة:214}

وَقَالَ تَعَالَى: {الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} {الْعَنْكَبُوت:1-3}"

وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} أَيْ: لَا يَحْصُلُ لَكُمْ دُخُولُ الْجَنَّةِ حَتَّى تُبْتَلَوْا وَيَرَى اللَّهُ مِنْكُمْ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مُقَارَنَةِ الْأَعْدَاءِ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثم قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} هذا استفهام إنكاري، أي: لا تظنوا، ولا يخطر ببالكم أن تدخلوا الجنة من دون مشقة واحتمال المكاره في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فإن الجنة أعلى المطالب، وأفضل ما به يتنافس المتنافسون، وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته، والعمل الموصل إليه، فلا يوصل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد في سبيل الله عند توطين النفس لها، وتمرينها عليها ومعرفة ما تئول إليه، تنقلب عند أرباب البصائر منحا يسرون بها، ولا يبالون بها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. (3)

* * *

قال: الإمَامْ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}، أَنْكَرَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ دُونَ أَنْ يُبْتَلَى بِشَدَائِدِ التَّكَالِيفِ الَّتِي يَحْصُلُ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (142).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (142)، للإمَام (ابن كثير).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (142)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

بِهَا الْفَرْقُ بَيْنَ الصَّابِرِ الْمُخْلِصِ فِي دِينِهِ، وَبَيْنَ غَيْرِهِ وَأَوْضَحَ هَذَا الْمَعْنَى فِي آيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ،

كَقَوْلِهِ: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرسول- وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} {2\214}،

وَقَوْلُهُ: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} {9\16}.

وَقَوْلُهُ: {الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} {العنكبوت: 1-3}.(1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- كما يظهر الصابرين الثابتين والجزعين المرتدين فقال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} ثم عابهم تعالى على قلة صبرهم وانهزامهم في المعركة مذكراً إياهم بتمنيات الذين لم يحضروا وقعة بدر، وفاتهم فيها ما حازه من حضرها من الأجر والغنيمة بأنهم إذا قُدر لهم قتال في يوم ما من الأيام يبلون فيه البلاء الحسن فلما قدر تعالى ذلك لهم في وقعة أحد جزعوا وما صبروا وفروا منهزمين.(2)

* * *

[١٤٣] ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولقد كنتم أيها المؤمنون- تتمنون لقاء الكفار لتنالوا الشهادة في سبيل الله، كما نالها إخوانكم في يوم بدر من قبل أن تلاقوا أسباب الموت وشدته، فها قد رأيتم في يوم أُحد ما تمنيتم، وأنتم تنظرون له عياناً.(3)

* * *

يَعْنِي:- ولقد كنتم أيها المؤمنون- قبل غزوة ‹أُحد› تتمنون لقاء العدو" لتنالوا شرف الجهاد والاستشهاد في سبيل الله الذي حَظِي به إخوانكم في غزوة ‹بدر›، فها هو ذا قد حصل لكم الذي تمنيتموه وطلبتموه، فدونكم فقاتلوا وصابروا.(4)

* * *

يَعْنِي:- لقد كنتم تطلبون الموت فى سبيل الله من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا هوله، فقد

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (142).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (آل عمران) الآية (142)، للإمام: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (68/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (68/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

رأيتم الموت حين قتل إخوانكم بين أيديكم وأنتم تنظرون.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ}...قيل: إن قومًا من المسلمين تمنَّوا يومًا كيوم بَدْرٍ ليقاتلوا فيه ويُسْتَشْهَدُوا فأراهم الله يومَ أُحُدٍ ومعنى تَمَنَّوْنَ الموتَ: تطلبون أسبابَ الموت وهو القتالُ والجهادُ من قَبْلِ أن تَلْقَوْا يومَ أُحُد.

{وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ}...خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم- ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر.

{فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ}... أي: رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا.

وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت، وعلى ما تسببوا له من خروج مع رسول الله- صلّى الله عليه وآله وسلم - بإلحاحهم عليه، ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَالَ: أنا مَعْمَرٌ , عَنْ (قَتَادَةَ) , فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ} [آل عمران: 143].

قَالَ: ((كَانُوا يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَلْقَوا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُقَاتِلُوهُمْ , فَلَمَّا لَقُوهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ وَلَّوْا)).(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنين المالكي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُم تنظْرُون} إِلَى السيوف بأيدي الرِّجَال.

قَالَ: (قَتَادَة): أنَاس من الْمُسلمين لم يشْهدُوا يَوْم بدر، فَكَانُوا يتمنون أَن يروا قتالا" فيقاتلوا، فسيق إِلَيْهِم الْقِتَال يَوْم أحد.

قَالَ: غير (قَتَادَة): فَلم يثبت مِنْهُم إِلاَ من شَاءَ الله.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {143} {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ} وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَمَنَّوْا يَوْمًا كَيَوْمِ بَدْرٍ لِيُقَاتِلُوا وَيُسْتَشْهَدُوا فَأَرَاهُمُ اللَّهُ يَوْمَ أُحُد،

وَقَوْلُهُ: (تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ) أَيْ: سَبَبَ الْمَوْتِ وَهُوَ الْجِهَادُ مِنْ قَبْلِ أن تلقوه،

{فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ} يعني: أسبابه،

{وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} فَإِنْ قِيلَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)، بَعْدَ قَوْلِهِ: (فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ) ؟ قِيلَ: ذَكَرَهُ تَأْكِيدًا،

وقيل: الرُّؤْيَةُ قَدْ تَكُونُ بِمَعْنَى الْعِلْمِ، فَقَالَ: (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) لِيَعْلَمَ، أَنَّ المراد بالرؤية النظر،

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (93/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (143)، للإِمَامُ: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (143)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

يَعْنِي:- معناه وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَى مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- وَقَوْلُهُ: {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} أَيْ: قَدْ كُنْتُمْ أيها الْمُؤْمِنُونَ-قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ تَتَمَنَّوْنَ لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَتَتَحَرَّقُونَ عَلَيْهِمْ، وَتَوَدُّونَ مُنَاجَزَتَهُمْ وَمُصَابَرَتَهُمْ، فَهَا قَدْ حَصَلَ لَكُمُ الَّذِي تَمَنَّيْتُمُوهُ وَطَلَبْتُمُوهُ، فدونكم فَقَاتِلُوا وَصَابِرُوا.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ)).(2)

وَلِهَذَا قَالَ: {فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ} يَعْنِي: الْمَوْتَ شَاهَدْتُمُوهُ فِي لَمَعَانِ السُّيُوفِ وَحَدِّ الْأَسِنَّةِ وَاشْتِبَاكِ الرِّمَاحِ، وَصُفُوفِ الرِّجَالِ لِلْقِتَالِ.

وَالْمُتَكَلِّمُونَ يُعَبِّرُونَ عَنْ هَذَا بِالتَّخْيِيلِ، وَهُوَ مُشَاهَدَةُ مَا لَيْسَ بِمَحْسُوسٍ كَالْمَحْسُوسِ كَمَا تَتَخَيَّلُ الشَّاةُ صداقة الكبش وعداوة الذئب.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم وبخهم تعالى على عدم صبرهم بأمر كانوا يتمنونه ويودون حصوله، فقال: {ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه} وذلك أن كثيرا من الصحابة رضي الله عنهم ممن فاته بدر يتمنون أن يحضرهم الله مشهدا يبذلون فيه جهدهم، قال الله تعالى لهم: {فقد رأيتموه} أي: رأيتم ما تمنيتم بأعينكم {وأنتم تنظرون} فما بالكم وترك الصبر؟ هذه حالة لا تليق ولا تحسن، خصوصا لمن تمنى ذلك، وحصل له ما تمنى، فإن الواجب عليه بذل الجهد، واستفراغ الوسع في ذلك.

وفي هذه الآية دليل على أنه لا يكره تمني الشهادة، ووجه الدلالة أن الله تعالى أقرهم على أمنيتهم، ولم ينكر عليهم، وإنما أنكر عليهم عدم العمل بمقتضاها، والله أعلم.(4)

* * *

[١٤٤] ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما محمد ﷺ إلا رسول من جنس من سبقه من رسل الله الذين ماتوا أو قتلوا، أفإن مات هو أو قتل ارتددتم عن دينكم، وتركتم

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (143).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (3021)، و(2818)-(كتاب: الجهاد والسير).
أخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (1741)، (1742)- (كتاب: الجهاد والسير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (143)، للإمام (ابن كثير).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (143)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الجهاد؟! ومن يرتد منكم عن دينه فلن يضر الله شيئًا" إذ هو القوي العزيز، وإنما يضر المرتد نفسه بتعريضها لخسارة الدنيا والآخرة، وسيجزي الله الشاكرين له أحسن الجزاء بثباتهم على دينه، وجهادهم في سبيله. (1)

* * *

يَعْنِي:- وما محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا رسول من جنس الرسل الذين قبله يبلغ رسالة ربه. أفإن مات بانقضاء أجله أو قُتِل كما أشاعه الأعداء رجعتم عن دينكم،، تركتم ما جاءكم به نبيكم؟ ومن يرجعُ منكم عن دينه فلن يضر الله شيئًا، إنما يضر نفسه ضررًا عظيمًا. أما مَن ثبت على الإيمان وشكر ربه على نعمة الإسلام، فإن الله يجزيه أحسن الجزاء. (2)

* * *

يَعْنِي:- لما أشيع قتل محمد فى غزوة أحد، همّ بعض المسلمين بالارتداد، فأنكر الله عليهم ذلك قائلا: ليس محمد إلا رسول قد مات من قبله المرسلون أمثاله، وسيموت كما ماتوا، وسيمضى كما مضوا، أفإن مات أو قتل رجعتم على أعقابكم إلى الكفر؟، ومن يرجع إلى الكفر بعد الإيمان فلن يضر الله شيئاً من الضرر، وإنما يضر نفسه بتعريضها للعذاب، وسيثيب الله الثابتين على الإسلام الشاكرين لنعمه. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{أَفَإِنْ مَاتَ} ... الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها، على معنى التسبيب، والهمزة لانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلّى الله عليه وآله وسلم، لا للانقلاب عنه.

{قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ} ... أي: قَضَتْ مِنْ قَبْلِه الرُّسُلُ بَلَّغُوا رسالتَهم وماتوا.

{فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا} ... فما ضر إلا نفسه، لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع.

{انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ} ... رَجَعْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ. (أي: رَجَعْتُمْ عن الإسلامِ إلى الكُفْرِ).

{وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} ... الذين لم ينقلبوا. وسماهم الشاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا.

وكان عبد الله بن قمئة رمى رسول الله، - صلّى الله عليه وآله وسلم - بحجر فكسر رباعيته، وشج وجهه ثم أقبل يريد قتله، فذب عنه -صلّى الله عليه وآله وسلم- مصعب بن عمير، وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد، فقتله ابن قمئة، وهو يرى أنه رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم، وقال: قد قتلت محمدا. وصرح صارخ: ألا إن محمدا قد قتل. ففشا فى الناس خبر قتله فانكفئوا،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (68/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (68/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (93/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

فجعل رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم- يدعو: إلى عباد الله، حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه. وفي هذا نزلت هذه الآية.

{أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ}... ينكر تعالى على من قال عندما أشيع أن النبي قتل: "هيا بنا نرجع إلى دين قومنا"، فالاستفهام منصب على قوله: {انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} لا على فإن مات أو قتل، وإن دخل عليها.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامْ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَالَ: أَخْبَرَنِي مَعْمَرٌ، عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، أَنَّ الشَّيْطَانَ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَوْمَ أُحُدٍ: إِنَّ مُحَمَّدًا قُتِلَ، قَالَ: (كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ): " فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، عَرَفْتُ عَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ الْمِغْفَرِ، فَنَادَيْتُ بِصَوْتِي الْأَعْلَى: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَشَارَ إِلَيَّ: أَنِ اسْكُتْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ} [آل عمران: 144] الْآيَةَ. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خلت من قبله الرُّسُل} الْآيَة تَفْسِير (قَتَادَة) قَالَ: ذَلِك يَوْم أحد حِين أَصَابَهُم الْقرح وَالْقَتْل "فَقَالَ أنَاس مِنْهُم: لَو كَانَ نَبيا مَا قتل، وَقَالَ نَاس من علية أَصْحَاب النَّبِي- عَلَيْهِ السَّلَام: قَاتلُوا على مَا قَاتل عَلَيْهِ نَبِيكُم" حَتَّى يفتح الله لكم، أَو تلحقوا بِهِ" فَقَالَ الله: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أعقابكم} يَقُول ارتددتم.

{على أعقابكم} كفَّارًا بعد إيمَانكُمْ.

{وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا} إِنَّمَا يضر نَفسه.

{وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} يَعْنِي: الْمُؤمنِينَ يجزيهم بِالْجنَّة.

قَالَ: (مُحَمَّد): يُقَال لمن كَانَ على شَيْء، ثمَّ رَجَع عَنهُ: انْقَلب على عَقِبَيْهِ. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {144} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} (محمد) – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُوَ الْمُسْتَغْرِقُ لِجَمِيعِ الْمَحَامِدِ، لِأَنَّ الْحَمْدَ لَا يَسْتَوْجِبُهُ إِلَّا الْكَامِلُ، وَالتَّحْمِيدُ فَوْقَ الْحَمْدِ، فَلَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا الْمُسْتَوْلِي عَلَى الْأَمْرِ فِي الْكَمَالِ، وَأَكْرَمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَصَفِيَّهُ بِاسْمَيْنِ مُشْتَقَّيْنِ مِنَ اسْمِهِ جَلَّ جلاله (محمد وأحمد) - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -،

قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} أي: رَجَعْتُمْ إِلَى دِينِكُمُ الْأَوَّلِ،

{وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ} ويرتد عَنْ دِينِه،

{فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا} بارتداده وإنما ضر نفسه، {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: 144]. (1)

---

(1) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (144)، للإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (144)، للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

* * *

قَال: الإِمَامُ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القُرآنِ العَظيم):- {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144)}. لَمَّا انْهَزَمَ مَنِ انْهَزَمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، نَادَى الشَّيْطَانُ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ. وَرَجَعَ ابْنُ قَمِيئَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لَهُمْ: قتلتُ مُحَمَّدًا. وَإِنَّمَا كَانَ قَدْ ضَرَبَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَاعْتَقَدُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قُتِلَ، وَجَوَّزُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، كَمَا قَدْ قَصَّ اللَّهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَحَصَلَ وَهَنٌ وَضَعْفٌ وتأخرٌ عَنِ الْقِتَالِ فَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} أَيْ: لَهُ أُسْوَةٌ بِهِمْ فِي الرِّسَالَةِ وَفِي جَوَازِ الْقَتْلِ عَلَيْهِ.

قَالَ: (ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (أَبِيهِ)، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا فُلَانُ أَشَعَرْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ قُتِلَ؟ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ قُتِلَ فَقَدْ بَلَّغَ، فَقَاتِلُوا عَنْ دِينِكُمْ، فَنَزَلَ: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}. رَوَاهُ الْحَافِظُ (أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ) فِي (دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ) (2).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: مُنْكِرًا عَلَى مَنْ حَصَلَ لَهُ ضَعْفٌ: {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} أَيْ: رَجَعْتُمُ الْقَهْقَرَى.

{وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} أَيْ: الَّذِينَ قَامُوا بِطَاعَتِهِ وَقَاتَلُوا عَنْ دِينِهِ، وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا.

وَكَذَلِكَ ثَبَتَ فِي (الصِّحَاحِ وَالْمَسَانِدِ وَالسُّنَنِ) وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ الْإِسْلَامِ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ تُفِيدُ الْقَطْعَ، وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي مُسْنَدَيِ الشَّيْخَيْنِ (أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا" أَنَّ الصِّدِّيقَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (3).

* * *

قَال: الإِمَام (البُخَاري) - (رحمه الله) - في (صَحِيحه) - (بسنده):- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ (عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ)، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ" أَنَّ (عَائِشَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَتَيَمَّمَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- وَهُوَ مُغَشًّى بِثَوْبِ حِبَرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ أَكَبَّ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (144).

(2) اخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (الدلائل) برقم (248/2)- من طريق - (آدم بن أبي إياس)- عن (ورقاء) عن (ابن أبي نجيح) به.

(3) انظر: (البداية والنهاية) برقم (213/5) لِلإِمَامْ (ابن كثير)..
(دلائل النبوة) للإمام (البيهقي) برقم (217-215/7).

عَلَيْهِ وقَبَّلَه وبَكَى، ثُمَّ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. وَاللَّهِ لاَ يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ" أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّها.

وَقَالَ: (الزُّهْرِيُّ): وَحَدَّثَنِي (أَبُو سَلمة) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ يُحَدِّثُ النَّاسَ فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ فَأَبَى عمرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ، مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} إِلَى قَوْلِهِ: {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا النَّاسُ مِنْهُ كُلُّهُمْ، فَمَا سَمِعَهَا بَشَرٌ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ تَلاَهَا .(1)

وَأَخْبَرَنِي (سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ) أَنَّ (عُمَر) قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاَهَا فَعَقِرْتُ حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلاَيَ وَحَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ.(2)(3)

* * *

قَال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- يقول تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} أي: ليس ببدع من الرسل، بل هو من جنس الرسل الذين قبله، وظيفتهم تبليغ رسالات ربهم وتنفيذ أوامره، ليسوا بمخلدين، وليس بقاؤهم شرطا في امتثال أوامر الله، بل الواجب على الأمم عبادة ربهم في كل وقت وبكل حال، ولهذا قال: {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} بترك ما جاءكم من إيمان أو جهاد، أو غير ذلك.

قال الله تعالى: {وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا} إنما يضر نفسه، وإلا فالله تعالى غني عنه، وسيقيم دينه، ويعز عباده المؤمنين، فلما وبخ تعالى من انقلب على عقبيه، مدح من ثبت مع رسوله، وامتثل أمر ربه، فقال: {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} والشكر لا يكون إلا بالقيام بعبودية الله تعالى في كل حال.

وفي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى لعباده أن يكونوا بحالة لا يزعزعهم عن إيمانهم أو عن بعض لوازمه، فقدُ رئيس ولو عظم، وما ذاك إلا بالاستعداد في كل أمر من أمور الدين بعدة أناس من أهل الكفاءة فيه، إذا فقد أحدهم قام به غيره، وأن يكون عموم المؤمنين قصدهم إقامة دين الله، والجهاد عنه، بحسب الإمكان، لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس، فبهذه الحال يستتب لهم أمرهم، وتستقيم أمورهم.

وفي هذه الآية أيضا أعظم دليل على فضيلة الصديق الأكبر أبي بكر، وأصحابه الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأنهم هم سادات الشاكرين.(4)

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3/136-137) - (كتاب: الجنائز)، / (باب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه) برقم (ح/1241، 1242).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4452، 4453، 4454) - (كتاب: المغازي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (144)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (144)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

[١٤٥] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما كانت نفس لتموت إلا بقضاء الله، بعد أن تستوفي المدة التي كتبها الله وجعلها أجلًا لها، لا تزيد عنها ولا تنقص. ومن يُرِد ثواب الدنيا بعمله نعطه بقدر ما قُدِّر له منها، ولا نصيب له في الآخرة، ومن يُرِد بعمله ثواب الله في الآخرة نعطه ثوابها، وسنجزي الشاكرين لربهم جزاءً عظيمًا.(1)

* * *

يَعْنِي:- لن يموت أحد إلا بإذن الله وقدره وحتى يستوفي المدة التي قدرها الله له كتابًا مؤجَّلا. ومن يطلب بعمله عَرَض الدنيا، نعطه ما قسمناه له من رزق، ولا حظَّ له في الآخرة، ومن يطلب بعمله الجزاء من الله في الآخرة نمنحه ما طلبه، ونؤته جزاءه وافرًا مع ما له في الدنيا من رزق مقسوم، فهذا قد شَكَرَنا بطاعته وجهاده، وسنجزي الشاكرين خيرًا.(2)

* * *

يَعْنِي:- لا يمكن أن تموت نفس إلا بإذن الله، وقد كتب الله ذلك فى كتاب مشتمل على الآجال. ومن يرد متاع الدنيا يؤته منها، ومن يرد جزاء الآخرة يؤته منها، وسيجزى الله الذين شكروا نعمته فأطاعوه فيما أمرهم به من جهاد وغيره.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كِتَابًا مُؤَجَّلًا} ... كَتَبَ تعالى آجالَ الناسِ مُؤَقَّتَةً بِمَواقيتِها فلا تَتَقدَّمُ ولا تَتَأخَّرُ.

{كِتاباً} ... مصدر مؤكد، لأن المعنى: كتب الموت كتابا.

{مُؤَجَّلًا} ... مؤقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر.

{وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا} ... تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد.

{ثَوَابَ الدُّنْيَا} ... الثواب: الجزاء على النية والعمل معاً، وثواب الدنيا الرزق وثواب الآخرة الجنة.

{نُؤْتِهِ مِنْهَا} ... من ثوابها، أي ثواب الآخرة.

{الشَّاكِرِينَ} ... الذين ثبتوا على إسلامهم فاعتبر ثباتهم شكراً لله، وما يجزيهم به هو الجنة ذات النعيم المقيم، وذلك بعد موتهم.

{وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} ... الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (68/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (68/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (93/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

قوله تعالى: {ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها}.

هذه الآية مقيدة بمشيئة الله تعالى وإرادته المذكورة في قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} {الإسراء: 18}.

كما في سورة -(هود) - آية (15-16). - كما قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (16)}.

هذه الآية مطلقة وقد قيدتها آية أخرى كما في قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} {الإسراء: 18}.

فقيد الأمر في هذه الآية تقييدين:

أحدهما: تقييد المعجل بمشيئته تعالى.

والثاني: تقييد المعجل له. بإرادته تعالى.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (الدارمي) - (رحمه الله) - في (سُننِهِ) - (بسنده): أخبرنا عصمة بن الفضل، ثنا حرمي بن عمارة، عن شعبة، عن عَمْرو بن سليمان، عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان، عن أبيه قال: خرج (زيد بن ثابت) من عند (مروان بن الحكم) بنصف النهار، قال: فقلت ما خرج هذه الساعة من عند مروان إلا وقد سأله عن شيء فأتيته فسألته، قال: نعم سألني عن حديث سمعته من رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((نضّر الله امرا سمع منا حديثا فحفظه، فأداه إلى من هو أحفظ منه، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. لا يعتقد قلب مسلم على ثلاث خصال إلا دخل الجنة)). قال: قلت: ما هي؟ قال: ((إخلاص العمل، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم. ومن كانت الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا نيته فرق الله عليه شمله، وجعل فَرَقَهُ بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له)).(2)

* * *

قال: الإمَامُ (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سُننِهِ) - (بسنده): حدثنا محمد بن بشار، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن عُمر بن سليمان قال: سمعت عبد الرحمن بن أبان بن

(1) ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (3/45)، الطبعة: الأولى.

(2) أخرجه الإمَامُ (الدارمي) في (السنن) برقم (1/75) - المقدمة)، / باب: (الاقتداء بالعلماء) برقم (ح 233)،

وأخرجه الإمَامُ (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) (برقم (2/454-455) - من طريق:- الإمَامُ (أبي داود الطيالسي) - عن (شعبة به). وقال محققه: (إسناده صحيح).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المبسور من التفسير بالمأثور) برقم (ص3/ 45)، الطبعة: الأولى،

(عثمان بن عفان) عن أبيه" قال: خرج زيد بن ثابت من عند مَروان، بنصف النهار. قلتُ: ما بعث إليه، هذه الساعة، إلا لشيء سأل عنه. فسألته، فقال: سألنا عن أشياء سمعناها من رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومَن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة)).(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبي، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، عن (قتادة)، عن (أنس بن مالك) في قوله: {من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها} قال: نزلت في اليهود والنصارى.(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة) قوله: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ}. أي: لا يظلمون. يقول: من كانت الدنيا همه وسدمه، وطلبته ونيته، جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة، وليس له حسنة يعطى بها جزاء. وأما المؤمن، فيجازى بحسناته في الدنيا، ويثاب عليها في الآخرة {وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ}، أي في الآخرة لا يظلمون.(3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا} لاَ يَسْتَقْدِم، وَلاَ يسْتَأْخر عَنهُ.

قَالَ: (مُحَمَّد): وَنصب {كتابا} على معنى: كتب ذَلِك كتابا.

{وَمن يرد ثَوَاب الدُّنْيَا نؤته منْهَا} مثل قَوْله: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا} يَعْنِي: الْجنَّة.

---

(1) اخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1375/2)، (ح 4105).
– (كتاب: الزهد)، / باب: (الهم بالدنيا).
وقال: الإِمَامْ (البوصيري): (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات).
وأخرجه الإِمَامْ (أبو داود الطيالسي) عن (شعبة) بنحوه.
وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) (بإسناد لا بأس) به.
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) بنحوه.
وأخرجه الإِمَامْ (أبو يعلى الموصلي)- من طريق-: (أبان بن عثمان عن زيد بن ثابت) وله شاهد عن حديث (أبي هريرة).
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (الجامع) و الإِمَامْ (ابن ماجة) في (مصباح الزجاجة 321/2).
وقال: الإِمَامْ (الألباني): (صحيح) في (صحيح ابن ماجة) برقم (393/2).
ذكره الإِمَامْ (ابن كثير). برقم (322/5).
وقال: (الحافظ العراقي) (إسناد جيد) (تخريج الأحياء) برقم (2387/6)،
وعزاه الإِمَامْ (الهيثمي) إلى الإِمَامْ (الطبراني) في (الأوسط) ثم قال: ورجاله وثقوا (مجمع الزوائد) برقم (247/10).

نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (ص3/ 375)، الطبعة: الأولى،

(2) اخرجه الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) من (سورة هود/15)، برقم (ح 156)،
وأخرجه الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم (265/15)، (ح 23-18) - من طريق-: (همام عن قتادة) به.
و(صحح إسناده) محقق: الإِمَامْ (ابن أبي حاتم).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (هود) الآية (15).

قَالَ: (مُحَمَّد): وَقَوْلُه: {وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا} قِيلَ: مَعْنَاهُ: مَن كَانَ إِنَّمَا يَقْصد بِعَمَله الدُّنْيَا. (1)

* * *

قَال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {145} {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ} قَالَ: (الْأَخْفَش): اللَّامُ فِي (لِنَفْسٍ) منقولة من تموت تقديره: وما كان نَفْسٌ لِتَمُوتَ،

{إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} بقضائه وَقَدَرِه، يَعْنِي:- بعلمه، يَعْنِي:- بِأمْره،

{كِتَابًا مُؤَجَّلًا} أَيْ: كَتَبَ لِكُلِّ نَفْسٍ أَجَلًا لَا يَقْدرُ أَحَدٌ عَلَى تَغْييره وتأخيره، ونصب كتابا عَلَى الْمَصْدَر، أَيْ: كَتَبَ كِتَابًا،

{وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا} يَعْنِي: مَنْ يُرِدْ بِطَاعَتِه الدُّنْيَا وَيَعْمَلْ لَهَا نُؤْتِهِ مِنْهَا مَا يَكُونُ جَزَاءً لِعَمَلِه، يُرِيدُ نُؤْتِهِ مِنْهَا مَا يشاء مما قَدَّرْنَاهُ لَهُ،

كَمَا قَالَ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} {الْإِسْرَاء: 18} نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ تَرَكُوا الْمَرْكَزَ يَوْمَ أُحُدٍ طَلَبًا لِلْغَنِيمَة،

{وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا} أَيْ أَرَادَ بِعَمَلِه الْآخِرَةَ، قِيلَ: أَرَادَ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَ أَمِيرهمْ (عَبْد اللَّه بْن جُبَيْر) حَتَّى قتلوا،

{وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} أَيْ: الْمُؤمنين المطيعين. (2)

* * *

قَال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- وَقَوْلُهُ: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا} أَيْ: لَا يَمُوتُ أَحَدٌ إِلَّا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَحَتَّى يَسْتَوْفِيَ الْمُدَةَ الَّتِي ضَرَبَهَا اللَّهُ لَهُ" وَلِهَذَا قَالَ: {كِتَابًا مُؤَجَّلا} كَقَوْلِه {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِه إِلا فِي كِتَابٍ} {فَاطِر: 11}.

وَكَقَوْلِه {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ} {الْأَنْعَام: 2}.

وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا تَشْجِيعٌ لِلْجُبَنَاءِ وَتَرْغِيبٌ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ، فَإِنَّ الْإِقْدَامَ وَالْإِحْجَامَ لَا يَنْقُص مِنَ الْعُمُرِ وَلَا يَزِيدُ فِيهِ.

كَمَا قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِم): حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ يَزِيدَ الْعَبْدِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَش، عَنْ حَبِيبِ بْنِ صُهبان، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ -وَهُوَ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ:- مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَعبُروا إِلَى هَؤُلَاءِ الْعَدُوِّ، هَذِهِ النُّطْفَةُ؟ -يَعْنِي دِجْلَةَ- {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا} ثُمَّ أَقْحَمَ فَرَسَهُ دِجْلَةَ فَلَمَّا أَقْحَمَ أَقْحَمَ النَّاسُ فَلَمَّا رَآهُمُ الْعَدُوُّ قَالُوا: دِيوان، فهربوا. (3)

وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا} أَيْ: مَنْ كَانَ عَمَلُهُ لِلدُّنْيَا فَقَدْ نَالَ مِنْهَا مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيب، وَمَنْ قَصَدَ بِعَمَلِه الدَّارَ الْآخِرَةَ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْهَا مَعَ مَا قَسَمَ لَهُ فِي الدُّنْيَا كَمَا قَالَ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِه وَمَنْ كَانَ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (145)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (145).

(3) انظر: تفسير (ابن أبي حاتم) رقم (584/2).

يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} {الشُّورَى:20}.

وَقَالَ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} {الْإِسْرَاء: 18، 19}.

وَهَكَذَا قَالَ هَاهُنَا: {وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} أَيْ: سَنُعْطِيهِمْ مِنْ فَضْلِنَا وَرَحْمَتِنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِحَسَبِ شُكْرِهِم وَعَمَلِهِمْ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}. ثم أخبر تعالى أن النفوس جميعها متعلقة بآجالها بإذن الله وقدره وقضائه، فمن حتَّم عليه بالقدر أن يموت، مات ولو بغير سبب، ومن أراد بقاءه، فلو أتى من الأسباب كل سبب، لم يضره ذلك قبل بلوغ أجله، وذلك أن الله قضاه وقدره وكتبه إلى أجل مسمى: {إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون}.

ثم أخبر تعالى أنه يعطي الناس من ثواب الدنيا والآخرة ما تعلقت به إراداتهم، فقال: {ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها}.

قال الله تعالى: {كلا نمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا}.

{وسنجزي الشاكرين} ولم يذكر جزاءهم ليدل ذلك على كثرته وعظمته، وليعلم أن الجزاء على قدر الشكر، قلة وكثرة وحسنا.

هذا تسلية للمؤمنين، وحث على الاقتداء بهم، والفعل كفعلهم، وأن هذا أمر قد كان متقدما، لم تزل سنة الله جارية بذلك.(2)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- **الأولى**: أن موت الإنسان متوقف حصوله على إذن الله خالقه ومالكه فلا يموت أحد بدون علم الله تعالى بذلك فلم يكن لملك الموت أن يقبض روح إنسان قبل إذن الله تعالى له بذلك، وشي آخر وهو أن موت كل إنسان قد ضبط تاريخ وفاته باللحظة فضلاً عن اليوم والساعة، وذلك في كتاب خاص، فليس من المكن أن يتقدم أجل إنسان أو يتأخر بحال من الأحوال، هذه حقيقة يجب أن تعلم، من قول الله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلا بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُؤَجَّلاً}.

والثانية: أن من دخل المعركة يقاتل باسم الله فإن كان يريد بقتاله ثواب الدنيا فالله عز وجل يؤتيه من الدنيا ما قدره له، وليس له من ثواب الآخرة شيء، وإن كان يريد ثواب الآخرة لا غير، فالله عز وجل يعطيه

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (145)، لِلْإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (145)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

في الدنيا ما كتب له ويعطيه ثواب الآخرة وهو الجنة وما فيها من نعيم مقيم وأن الله تعالى سيجزي الشاكرين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. هذه الحقيقة التي تضمنها قوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}. (1)

* * *

[١٤٦] ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وكم من نبي من أنبياء الله قاتل معه جماعات من أتباعه كثيرة، فما جَبُنُوا عن الجهاد لما أصابهم من قتل وجراح في سبيل الله، وما ضعفوا عن قتال العدو، وما خضعوا له، بل صبروا وثبتوا، والله يحب الصابرين على الشدائد والمكاره في سبيله. (2)

* * *

يَعْنِي:- كثير من الأنبياء السابقين قاتل معهم جموع كثيرة من أصحابهم، فما ضعفوا لِمَا نزل بهم من جروح أو قتل؛ لأن ذلك في سبيل ربهم، وما عَجَزوا، ولا خضعوا لعدوهم، إنما صبروا على ما أصابهم. والله يحب الصابرين. (3)

* * *

يَعْنِي:- وكم من الأنبياء قاتل مع كل منهم كثيرون من المؤمنين المخلصين لربهم، فما جبنت قلوبهم ولا فترت عزائمهم، ولا خضعوا لأعدائهم بسبب ما أصابهم في سبيل الله، لأنهم في طاعته، والله يثيب الصابرين على البلاء. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} ... أي: رَبَّانِيُّونَ عُلَمَاءُ صُلَحَاءُ وَأَتْقِيَاءُ عَابِدُونَ.

{رِبِّيُّونَ} ... ربانيون. جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ.

{فَمَا وَهَنُوا} ... عند قتل النبي - صلّى الله عليه وآله وسلم-.

{وَمَا ضَعُفُوا} ... عن الجهاد بعده.

{وَمَا اسْتَكَانُوا} ... مَا خَضَعُوا وَلاَ ذَلُّوا لِعَدُوِّهِمْ.

{وَمَا اسْتَكَانُوا} ... للعدو.

وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم- وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (آل عمران) الآية (145)، للإمام: (جابرين أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (68/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (68/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (94/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- {رِبِّيُّونَ} : الجَمِيعُ، وَالوَاحِدُ: رِبِّيٌّ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- فقال: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ} أي: وكم من نبي {قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} أي: جماعات كثيرون من أتباعهم، الذين قد ربتهم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة، فأصابهم قتل وجراح وغير ذلك. {فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا} أي: ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا، أي: ذلوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم، ولهذا قال: {والله يحب الصابرين}. (2)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} ما زال السياق في الحديث عن أحداث غزوة أحد فذكر تعالى هنا ما هو في تمام عتابه للمؤمنين في الآيات السابقة عن عدم صبرهم وانهزامهم وتخليهم عن نبيهم في وسط المعركة وحده حتى ناداهم: إليَّ عباد الله إليَّ عباد الله فثاب إليه رجال. فقال: تعالى مخبراً بما يكون عظة للمؤمنين وعبرة لهم: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ} أي: وكم من نبي من الأنبياء السابقين قاتل معه جموع كثيرة من العلماء والأتقياء والصالحين فما وهنوا، أي: ما ضعفوا، ولا ذلوا لعدوهم ولا خضعوا له كما هم بعضكم أن يفعل أيها المؤمنون، فصبروا على القتال مع أنبيائهم متحملين آلام القتل والجرح فأحبهم ربهم تعالى لذلك لأنه يحب الصابرين. (3)

* * *

قوله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ}.

قال: الإمَامْ (الطبري) – و الإمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: {قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} جموع. (4)(5)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن عاصم، عن زر عن (عبد الله): {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} قال: ألوف. (6)

ورجاله ثقات إلا عاصماً صدوق و(إسناده حسن).

---

(1) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (146). برقم (ج 6/ ص 34).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (146)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (آل عمران) الآية (146)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (146).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (146).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (146).

* * *

قوله تعالى: (فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا).

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): {فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا} يقول: ما عجزوا وما اتضعوا لقتل نبيهم {وما استكانوا} . يقول: ما ارتدوا عن بصيرتهم ولا عن دينهم، بل قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَالَ: أنا مَعْمَرٌ , عَنِ (الْحَسَنِ) , فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} [آل عمران: 146] قَالَ: (عُلَمَاءُ كَثِيرٌ).(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَالَ مَعْمَرٌ: وَقَالَ: (قَتَادَةُ): {مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} ‹ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ ›.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَالَ: (ابْنُ عُيَيْنَةَ): وَأَخْبَرَنِي الثَّوْرِيُّ , عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ , عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ , عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ) , قَالَ: {مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} ‹ هُمُ الْأُلُوفُ ›.(4)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زمنين المالكي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وكأين من نبي} أي: وكم من نبي {قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} أي: جموع كثيرة، وتقرأ: {قَاتَلَ مَعَهُ} .

{فَمَا وهنوا} أي: ضعفوا وعجزوا.

{وَمَا اسْتَكَانُوا} أي: وَمَا ارْتَدُّوا عَن بصيرتهم.

قَالَ: (مُحَمَّد): الرِّبَّة: الْجَمَاعَة، وَيُقَال للْجمع: رِبِّي" كَأَنَّهُ نسب إِلَى الربة" فَإِذا جمع قيل: ربيون، وَمعنى اسْتَكَانُوا: خشعوا وذلوا.(5)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- [146] قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} معناه: وَكَمْ، وَهِيَ كَافُ التَّشْبِيهِ ضُمَّتْ إِلَى أَيِّ الِاسْتِفْهَامِيَّةِ، وَلَمْ يَقَعِ التنوين صُورَةً فِي الْخَطِّ إِلَّا فِي هذا الحرف خاصة، (قَاتَلَ) قَرَأَ (ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ) وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ بِضَمِّ الْقَافِ،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ (قَاتَلَ) فَمَنْ قَرَأَ (قَاتَلَ) فَلِقَوْلِهِ: {فَمَا وَهَنُوا} وَيَسْتَحِيلُ وَصْفُهُمْ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَهِنُوا بَعْدَمَا قُتِلُوا، لِقَوْلِ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ): مَا سَمِعْنَا أَنَّ نَبِيًّا قُتِلَ فِي الْقِتَالِ، وَلِأَنَّ {قَاتَلَ} أَعَمُّ،

قَالَ: (أبو عبيدة): إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا حَمِدَ مَنْ قَاتَلَ كَانَ مَنْ قُتِلَ دَاخِلًا فِيهِ، وَإِذَا حَمِدَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (146).

(2) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (146)، للإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني).

(3) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (146)، للإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق).

(4) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (146)، للإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق).

(5) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (146)، للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

مَـنْ قَتَـلَ لَـمْ يَـدْخُلْ فيـه غَيْـرُهُمْ، فَكَـانَ {قَاتَلَ} أَعَمَّ،

وَمَـنْ قَـرأَ {قُتِـلَ} فَلَـهُ ثَلَاثَـةُ أَوْجُـه، أَحَـدُهَا: أَنْ يَكُـونَ الْقَتْـلُ رَاجعًـا إِلَـى النَّبِـيِّ وَحْـدَهُ، فَيَكُـونُ تَمَـامُ الْكَـلَامِ عِنْـدَ قَوْلِـه: {قُتِـلَ}، وَيَكُـونُ فِـي الْآيَـة إضْـمَارٌ مَعْنَـاهُ: وَمَعَـهُ رِبِّيُّـونَ كَـثِيرٌ، كَمَـا يُقَـالُ: قُتِـلَ فُـلَانٌ مَعَـهُ جَـيْشٌ كَـثِيرٌ، أَيْ: وَمَعَهُ،

وَالْوَجْـهُ الثَّـاني: أَنْ يَكُـونَ الْقَتْـلُ نَـالَ النَّبِـيَّ وَمَـنْ مَعَـهُ مِـنَ الـرِّبِّيِّينَ، وَيَكُـونُ الْمُـرَادُ: بَعْـضَ مَـنْ مَعَـهُ، تَقُـولُ الْعَـرَبُ قَتَلْنَـا بَنِـي فُـلَانٍ، وَإِنَّمَـا قَتَلُـوا بَعْضَـهُمْ، وَيَكُـونُ قولـه: {فَمَـا وَهَنُوا} رَاجِعًا إِلَى الْبَاقِينَ،

وَالْوَجْـهُ الثَّالِـثُ: أَنْ يَكُـونَ الْقَتْـلُ لِلـرِّبِّيِّينَ لَا غَيْرَ،

وَقَوْلُـهُ: (رِبِّيُّـونَ كَـثِيرٌ)، قَـالَ: (ابْـنُ عَبَّـاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(قَتَادَةُ): جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ،

وَقَالَ: (ابْنُ مَسْعُود): الرِّبِّيُّونَ الْأُلُوفُ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): الرِّبِّيَّةُ الْوَاحِدَةُ: أَلْفٌ،

وَقَالَ: (الْحَسَنُ): فُقَهَاءُ عُلَمَاءُ.

وقيـل: هُـمُ الْأَتْبَـاعُ، وَالرَّبَّـانِيُّونَ والربيـون الولاة والرعية،

وقيـل: مَنْسُـوبٌ إِلَـى الـرَّبِّ وَهُـمُ الَّـذِينَ يَعْبُـدُونَ الرَّبَّ، (فَمَا وَهَنُوا) أي: فما جبنوا،

{فَمَـا وَهَنُـوا لِمَـا أَصَـابَهُمْ فِـي سَـبِيلِ اللَّـه وَمَـا ضَـعُفُوا} عَـنِ الْجِهَـاد بِمَـا نَـالَهُمْ مِـنْ أَلَـم الْجِرَاحِ، وَقَتْلِ الْأَصْحَابِ.

{وَمَـا اسْـتَكَانُوا} قَـالَ: (مُقَاتِـلٌ): وَمَـا اسْتَسْلَمُوا وَمَا خَضَعُوا لِعَدُوِّهِمْ،

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): وَمَا ذَلُّوا،

وقال: (عَطَاءٌ): وَمَا تَضَرَّعُوا،

وَقَـالَ: (أَبُـو العاليـة): ومـا جبنـوا ولكـن صَـبَرُوا عَلَـى أَمْـرِ رَبِّهِـمْ وَطَاعَـةِ نَبِـيِّهِمْ وَجِهَـاد عَدُوِّهِمْ،

{وَاللَّـهُ يُحِـبُّ الصَّـابِرِينَ} {آل عمـران: 146}.(1)

* * *

قـال: الإمَـامُ (ابـن كـثير) – (رحمـه الله) - في (تَفْسِـيرُ الْقُـرآنِ الْعَظِـيمِ):- ثُـمَّ قَـالَ تَعَـالَى -مُسَـلِّيًا لِلْمُسْـلِمِينَ عَمَّـا كَـانَ وَقَـعَ فِـي نُفُوسِـهِمْ يَـوْمَ أُحُـد:- {وَكَـأَيِّنْ مِـنْ نَبِـيٍّ قَاتَـلَ مَعَـهُ رِبِّيُّـونَ كَـثِيرٌ} قِيـلَ: مَعْنَـاهُ: كَـمْ مِـنْ نَبِـيٍّ قُتِـلَ وَقُتِـلَ مَعَـهُ رِبِّيُّـونَ مِـنْ أَصْـحَابِه كَـثِيرٌ. وَهَـذَا الْقَـوْلُ هُـوَ اخْتِيَـارُ الإمـام (ابْـنِ جَرِيـرٍ)، فَإِنَّـهُ قَـالَ: وَأَمَّـا الَّـذِينَ قَـرَؤوا: {قُتِـلَ مَعَـهُ رِبِّيُّـونَ كَـثِيرٌ} فَـإِنَّهُمْ قَـالُوا: إِنَّمَـا عَنَـى بِالْقَتْـلِ النَّبِـيَّ وَبَعْـضَ مَـنْ مَعَـهُ مِـنَ الـرِّبِّيِّينَ دُونَ جَمِـيعِهِمْ، وَإِنَّمَـا نَفَـى الْـوَهَنَ وَالضَّعْفَ عَمَّنْ بَقِيَ مِنَ الرِّبِّيِّينَ مِمَّنْ لَمْ يُقْتَلْ.

قَـالَ: وَمَـنْ قَـرَأَ {قَاتَـلَ} فَإِنَّـهُ اخْتَـارَ ذَلِـكَ لِأَنَّـهُ قَـالَ: لَـوْ قُتِلُـوا لَـمْ يَكُـنْ لِقَوْلِـه: {فَمَـا وَهَنُـوا} وَجْـهٌ مَعْـرُوفٌ" لِـأَنَّهُمْ يَسْـتَحِيلُ أَنْ يُوصَـفُوا بِـأَنَّهُمْ لَـمْ يَهِنُـوا وَلَـمْ يَضْـعُفُوا بَعْـدَ مَـا قُتِلُوا.

ثُـمَّ اخْتَـارَ قِـرَاءَةَ مَـنْ قَـرَأَ {قُتِـلَ مَعَـهُ رِبِّيُّـونَ كَـثِيرٌ} " لِـأَنَّ اللَّـهَ تَعَـالَى عَاتَـبَ بِهَـذِه الْآيَـاتِ وَالَّتِـي قَبْلَهَـا مَـنِ انْهَـزَمَ يَـوْمَ أُحُـد، وَتَرَكُـوا الْقِتَـالَ أَوْ سَـمِعُوا الصَّـائِحَ يَصِـيحُ: "إِنَّ مُحَمَّـدًا قَـدْ قُتِـلَ". فَعَـذَلَهُمُ اللَّـهُ عَلَـى فِـرَارِهِمْ وَتَـرْكِهِمُ الْقِتَـالَ فَقَـالَ لَهُـمْ: {أَفَـإِنْ مَـاتَ أَوْ قُتِـلَ} أَيُّهَـا

---

(1) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) لِلإِمَـامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (146).

الْمُؤْمِنُونَ ارْتَدَدْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ وَانْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟.

يَعْنِي:- وَكَمْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ .

وَكَلَامُ (ابْنِ إِسْحَاقَ) فِي السِّيرَةِ يَقْتَضِي قَوْلًا آخَرَ، فَإِنَّهُ قَالَ: أَيْ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ أَصَابَهُ الْقَتْلُ، وَمَعَهُ رِبِّيُّونَ، أَيْ: جَمَاعَاتٌ فَمَا وَهَنُوا بَعْدَ نَبِيِّهِمْ، وَمَا ضَعُفُوا عَنْ عَدُوِّهِمْ، وَمَا اسْتَكَانُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي الْجِهَادِ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ دِينِهِمْ، وَذَلِكَ الصَّبْرُ، {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} .

فَجَعَلَ قَوْلَهُ: {مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} حَالًا وَقَدْ نَصَرَ هَذَا الْقَوْلَ السُّهَيْلِيُّ وَبَالَغَ فِيهِ، وَلَهُ اتِّجَاهٌ لِقَوْلِهِ: {فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ} الْآيَةَ، وَكَذَلِكَ حَكَاهُ الْأُمَوِيُّ فِي مَغَازِيهِ، عَنْ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ يَقُلْ غَيْرَهُ.

وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: {قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} قَالَ: (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ)، عَنْ (عَاصِمٍ)، عَنْ (زِرٍّ)، عن (ابن مَسْعُود) {رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} أَيْ: أُلُوفٌ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، و(مُجَاهِدٌ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، و(عِكْرِمَةُ)، وَ(الْحَسَنُ)، و(قَتَادَةُ)، و(السُّدِّيُّ)، و(الرَّبِيعُ)، وَ(عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ): {الرِّبِّيُّونَ} : الْجُمُوعُ الْكَثِيرَةُ.

* * *

وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّزَّاقِ)، عَنْ (مَعْمَرٍ) عَنِ (الْحَسَنِ): {رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} أَيْ: عُلَمَاءُ كَثِيرٌ، وَعَنْهُ أَيْضًا: عُلَمَاءُ صُبُرٌ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ.

وَحَكَى الْإِمَامُ (ابْنُ جَرِيرٍ)، عَنْ بَعْضِ نُحَاةِ الْبَصْرَةِ: أَنَّ الرِّبِّيِّينَ هُمُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الرَّبَّ، عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: وَرَدَّ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ قَالَ: لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ رَبِّيون، بِفَتْحِ الرَّاءِ.

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ): "الرِّبِّيُّونَ: الْأَتْبَاعُ، وَالرَّعِيَّةُ، وَالرَّبَّانِيُّونَ: الْوُلَاةُ.

{فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا} قَالَ: (قَتَادَةُ) وَ(الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ): {وَمَا ضَعُفُوا} بِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ.

{وَمَا اسْتَكَانُوا} يَقُولُ: فَمَا ارْتَدُّوا عَنْ نُصْرَتِهِمْ وَلَا عَنْ دِينِهِمْ، أَنْ قَاتَلُوا عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ نَبِيُّ اللَّهِ حَتَّى لَحِقُوا بِاللَّهِ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) {وَمَا اسْتَكَانُوا} تَخَشَّعُوا. وَقَالَ: (السُّدِّيُّ)، وَ(ابْنُ زَيْدٍ): وَمَا ذَلُّوا لِعَدُوِّهِمْ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(السُّدِّيُّ): أَيْ مَا أَصَابَهُمْ ذَلِكَ حِينَ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ. {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} (1).

* * *

قَالَ: الْإِمَامُ (مُحَمَّد الأَمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} الْآيَةَ، هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ قُتِلَ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ يَحْتَمِلُ نَائِبُ الْفَاعِلِ فِيهَا أَنْ يَكُونَ لَفْظَةَ رِبِّيُّونَ وَعَلَيْهِ فَلَيْسَ فِي قُتِلَ ضَمِيرٌ أَصْلًا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ نَائِبُ الْفَاعِلِ ضَمِيرًا عَائِدًا إِلَى النَّبِيِّ، وَعَلَيْهِ فَمَعَهُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ وَرِبِّيُّونَ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ سَوَّغَ الِابْتِدَاءَ بِهِ اعْتِمَادُهُ عَلَى الظَّرْفِ قَبْلَهُ وَوَصْفُهُ بِمَا بَعْدَهُ وَالْجُمْلَةُ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (146)، للإِمَام (ابن كثير).

حَالِيَّةً وَالرَّابِطُ الضَّمِيرُ، وَسَوَّغَ إِتْيَانَ الْحَالِ مِنَ النَّكِرَةِ الَّتِي هِيَ نَبِيٌّ وَصْفُهُ بِالْقَتْلِ ظُلْمًا، وَهَذَا هُوَ أَجْوَدُ الْأَعَارِيبِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَبِهَذَيْنِ الِاحْتِمَالَيْنِ فِي نَائِبِ الْفَاعِلِ الْمَذْكُورِ يَظْهَرُ أَنَّ فِي الْآيَةِ إِجْمَالًا. وَالْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ مُبَيِّنَةٌ أَنَّ النَّبِيَّ الْمُقَاتِلَ غَيْرُ مَغْلُوبٍ بَلْ هُوَ غَالِبٌ، كَمَا صَرَّحَ تَعَالَى بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} {58 \ 21}،

وَقَالَ قَبْلَ هَذَا: {أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ} {58 \ 20}، وَقَالَ بَعْدَهُ: {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}.

وَأَغْلَبُ مَعَانِي الْغَلَبَةِ فِي الْقُرْآنِ الْغَلَبَةُ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ.

كَقَوْلِهِ: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} {8 \ 65}،

وَقَوْلِهِ: {فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ}،

وَقَوْلِهِ: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ} {30 \ 40}،

وَقَوْلِهِ: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً} {2 \ 249}.

وَقَوْلِهِ: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ} {3 \ 12}، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْمَقْتُولَ لَيْسَ بِغَالِبٍ بَلْ هُوَ قِسْمٌ مُقَابِلٌ لِلْغَالِبِ بِقَوْلِهِ: {وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ} {4 \ 74}، فَاتَّضَحَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ الْقَتْلَ لَيْسَ وَاقِعًا عَلَى النَّبِيِّ الْمُقَاتِلِ " لِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ وَقَضَى لَهُ فِي أَزَلِهِ أَنَّهُ غَالِبٌ، وَصَرَّحَ بِأَنَّ الْمَقْتُولَ غَيْرُ غَالِبٍ.

وَقَدْ حَقَّقَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ غَلَبَةَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى قِسْمَيْنِ: غَلَبَةٌ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَغَلَبَةٌ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ لِخُصُوصِ الَّذِينَ أُمِرُوا مِنْهُمْ بِالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " لِأَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِالْقِتَالِ لَيْسَ بِغَالِبٍ وَلَا مَغْلُوبٍ " لِأَنَّهُ لَمْ يُغَالِبْ فِي شَيْءٍ وَتَصْرِيحُهُ تَعَالَى، بِأَنَّهُ كَتَبَ إِنَّ رُسُلَهُ غَالِبُونَ شَامِلٌ لِغَلَبَتِهِمْ مَنْ غَالَبَهُمْ بِالسَّيْفِ، كَمَا بَيَّنَّا أَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَعْنَى الْغَلَبَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَشَامِلٌ أَيْضًا لِغَلَبَتِهِمْ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ، فَهُوَ مُبَيِّنٌ أَنَّ نَصْرَ الرُّسُلِ الْمَذْكُورَ فِي قَوْلِهِ: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا} الْآيَةَ {40 \ 51}،

وَفِي قَوْلِهِ: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ} {37 \ 171 \ 172}،

أَنَّهُ نَصْرُ غَلَبَةٍ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ لِلَّذِينَ أُمِرُوا مِنْهُمْ بِالْجِهَادِ " لِأَنَّ الْغَلَبَةَ الَّتِي بَيَّنَ أَنَّهَا كَتَبَهَا لَهُمْ أَخَصُّ مِنْ مُطْلَقِ النَّصْرِ " لِأَنَّهَا نَصْرٌ خَاصٌّ، وَالْغَلَبَةُ لُغَةً الْقَهْرُ وَالنَّصْرُ لُغَةً إِعَانَةُ الْمَظْلُومِ، فَيَجِبُ بَيَانُ هَذَا الْأَعَمِّ بِذَلِكَ الْأَخَصِّ. (1)

* * *

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (147).

[١٤٧] ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما كان قول هؤلاء الصابرين لَّما نزل بهم هذا البلاء إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وتجاوُزَنا الحدود في أمرنا، وثبت أقدامنا عند ملاقاة عدونا، وانصرنا على القوم الكافرين بك. (1)

* * *

يَعْنِي:- وما كان قول هؤلاء الصابرين إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وما وقع منا من تجاوزٍ في أمر ديننا، وثبِّت أقدامنا حتى لا نفرَّ من قتال عدونا، وانصرنا على مَن جحد وحدانيتك ونبوة أنبيائك. (2)

* * *

يَعْنِي:- وما كان قولهم عند شدائد الحرب إلا أن قالوا: ربنا تجاوز عمَّا يكون منا من صغائر الذنوب وكبائرها، وثبتنا فى مواطن الحرب وانصرنا على أعداء دينك الكافرين بك وبرسالة رسلك. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَما كانَ قَوْلَهُمْ} ... هذا القول، وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين، هضما لها واستقصارا.

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا} ... تقدم الدعاء بالاستغفار منها على طلب تثبيت الأقدام فى مواطن الحرب، والنصرة على العدو، ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاة وطهارة وخضوع وأقرب إلى الاستجابة.

{وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا} ... الإسرافُ: هُوَ مجاوزةُ الحَدِّ في الأمورِ ذاتِ الحدودِ التي ينبغي أن يُوقَفَ عِنْدَهَا.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد)، عن (أبي عباس) في قول الله: {وإسرافنا في أمرنا} قال: خطايانا. (4)

ورجاله ثقات، و(إسناده صحيح).

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: {وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا}، فقرأ حتى بلغ.

{والله يحب المحسنين}، إي والله، لآتاهم الله الفتح والظهور والتمكين والنصر على عدوهم في الدنيا.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (68/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (68/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (93/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (147).

{وحسن ثواب الآخرة}، يقول: حسن الثواب في الآخرة، هي الجنة.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَمَا كَانَ قَوْلَهُم} حين لقوا عدوهم {إلا أن قالوا ربَّنا اغفر لنا ذُنوبَنَا وإسرافنا في أمرنا} يُرِيدُونَ: خطاياهم.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {147} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ} نُصِبَ عَلَى خَبَرِ كَانَ، وَالِاسْمُ فِي أَنْ قَالُوا، وَمَعْنَاهُ: وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ عِنْدَ قَتْلِ نَبِيِّهِمْ،

{إِلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا} أَيِ: الصَّغَائِرَ،

{وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا} أي: الكبائر،

{وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا} كي لا تزول،

{وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} فيقول: فَهَلَّا فَعَلْتُمْ وَقُلْتُمْ مِثْلَ ذَلِكَ يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم ذكر قولهم واستنصارهم لربهم، فقال: {وَمَا كَانَ قَوْلَهُم} أي: في تلك المواطن الصعبة {إلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وإسرافنا في أمرنا} والإسراف: هو مجاوزة الحد إلى ما حرم، علموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي منها من أسباب النصر، فسألوا ربهم مغفرتها.

ثم إنهم لم يتكلوا على ما بذلوا جهدهم به من الصبر، بل اعتمدوا على الله، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند ملاقاة الأعداء الكافرين، وأن ينصرهم عليهم، فجمعوا بين الصبر وترك ضده، والتوبة والاستغفار، والاستنصار بربهم، لا جرم أن الله نصرهم، (4)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- فأخبر تعالى فيها عن موقف أولئك الربيين وحالهم أثناء الجهاد في سبيله تعالى فقال: {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}. ولازم هذا كأنه تعالى يقول للمؤمنين لم لا تكونوا أنتم مثلهم وتقولوا قولتهم الحسنة الكريمة وهي الضراعة لله تعالى بدعائه واستغفاره لذنوبهم الصغيرة والكبيرة والتي كثيراً ما تكون سبباً للهزائم والانتكاسات كما حصل لكم أيها المؤمنون فلم يكن لأولئك الربانيين من قول سوى قولهم: {ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين}، فسألوا الله مغفرة ذنوبهم

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (147).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (147)، للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (147).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (147)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وتثبيتهم أقدامهم في أرض المعركة حتى لا يتزلزلوا فينهزموا، والنصرة على القوم الكافرين أعداء الله وأعدائهم فاستجاب لهم ربهم فأعطاهم ما سألوا وهو ثواب الدنيا بالنصر والتمكين وحسن ثواب الآخرة وهو رضوانه الذي أحله عليهم وهم في الجنة دار المتقين والأبرار، هذا ما دلت عليه الآية الأخيرة.(1)

* * *

[١٤٨] ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فآتاهم الله ثواب الدنيا بنصرهم والتمكين لهم، وآتاهم الثواب الحسن في الآخرة بالرضا عنهم، والنعيم المقيم في جنات النعيم، والله يحب المحسنين في عبادتهم ومعاملتهم.(2)

* * *

يَعْنِي:- فأعطى الله أولئك الصابرين جزاءهم في الدنيا بالنصر على أعدائهم، وبالتمكين لهم في الأرض، وبالجزاء الحسن العظيم في الآخرة، وهو جنات النعيم. والله يحب كلَّ مَن أحسن عبادته لربه ومعاملته لخلقه.(3)

* * *

يَعْنِي:- فأعطاهم الله النصر والتوفيق فى الدنيا، وضمن لهم الجزاء الحسن فى الآخرة، والله يثيب الذين يحسنون أعمالهم.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا}... أعطاهم الله تعالى ثواب الدنيا النصر والغنيمة.

{ثَوَابَ الدُّنْيَا}... مِنَ النَّصْرِ والظَّفَرِ وَالْغَنِيمَةِ.

{حُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ}... وهو الفوزُ بِرِضَا رَبِّهِمْ، والنعيمُ المقيمُ الَّذي قد سَلِمَ مِنْ جميعِ المُنْكَرَاتِ، وما ذاكَ إلا أنهم أَحْسَنُوا له الأعمالَ فَجزاهُمْ أَحْسَنَ الجزَاءِ.

{الْمُحْسِنِينَ}... الذين يحسنون نياتهم فيخلصون أعمالهم لله، ويحسنون أعمالهم فيأتون بها موافقة لما شرعت عليه في كيفياتها وأعدادها وأوقاتها.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {فآتاهم الله} أَعْطَاهُمْ {ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ} أما ثَوَابَ الدُّنْيَا: فالنصر على عدوهم، وأما ثَوَابَ الْآخِرَةِ: فالجنة.(5)

* * *

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (آل عمران) الآية (147)، للإمام: (جابرين أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (68/1). تصنيف (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (68/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (94/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (148) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- {148} {فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا} النُّصْرَةَ وَالْغَنِيمَةَ، {وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ} أي الْأَجْرَ وَالْجَنَّةَ، {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 148]. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تَفْسِير القُرآن العَظِيم):- {فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا} أَيِ: النَّصْرَ وَالظَّفَرَ وَالْعَاقِبَةَ {وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ} أَيْ: جَمَعَ لَهُمْ ذَلِكَ مَعَ هَذَا، {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: {فآتاهم الله ثواب الدنيا} من النصر والظفر والغنيمة، {وحُسن ثواب الآخرة} وهو الفوز برضا ربهم، والنعيم المقيم الذي قد سلم من جميع المنكدات، وما ذاك إلا أنهم أحسنوا له الأعمال، فجازاهم بأحسن الجزاء، فلهذا قال: {والله يحب المحسنين} في عبادة الخالق ومعاملة الخلق، ومن الإحسان أن يفعل عند جهاد الأعداء، كفعل هؤلاء الموصوفين. (3)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- الابتلاء سُنَّة إلهية يتميز بها المجاهدون الصادقون الصابرون من غيرهم.
- يجب ألا يرتبط الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه بأحد من البشر مهما علا قدره ومقامه.
- أعمار الناس وآجالهم ثابتة عند الله تعالى، لا يزيدها الحرص على الحياة، ولا ينقصها الإقدام والشجاعة.
- تختلف مقاصد الناس ونياتهم، فمنهم من يريد ثواب الله، ومنهم من يريد الدنيا، وكل سيُجازَى على نيَّته وعمله. (4)

* * *

[١٤٩] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إن تطيعوا الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين، فيما يأمرونكم به من الضلال، يُرْجِعُوكم بعد إيمانكم إلى ما كنتم عليه كفارًا، فترجعوا خاسرين في الدنيا والآخرة. (5)

* * *

يَعْني: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن تطيعوا الذين جحدوا ألوهيتي، ولم يؤمنوا برسلي من اليهود

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (148).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (148)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (148)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (68/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (69/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

والنصارى والمنافقين والمشركين فيما يأمرونكم به وينهونكم عنه، يضلوكم عن طريق الحق، وترتدُّوا عن دينكم، فتعودوا بالخسران المبين والهلاك المحقق. (1)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الكفار أعداءكم الذين أعلنوا الكفر أو أخفوه فيما يدعونكم إليه من قول أو فعل يقلبوكم إلى الكفر فتخسروا الدنيا والآخرة. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا} ... المراد من طاعة الكافرين قبول قولهم والأخذ بإرشاداتهم.

(أي إن تستنصحوهم وتقبلوا منهم).

{يَرُدُّوكُمْ} ... عن دينكم إلى الكفر.

{يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} ... يرجعوكم إلى الكفر بعد الإيمان.

{خَاسِرِينَ} ... فاقدين لكل خير في الدنيا، ولأنفسكم وأهليكم يوم القيامة.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

انظر: سورة - (آل عمران) - آية (28)، - كما قال تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (69/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (94/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (149) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (151) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153)

* * *

وأما الآية فبيانها في قوله تعالى: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} {سورة آل عمران: 160}.

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {149} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا} يَعْنِي: الْيَهُود" فِي تَفْسِير الْحسن {يردوكم على أعقابكم} أَي: إِلَى الشّرك {فتنقلبوا} إِلَى الْآخِرَة {خاسرين}. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} {آل عمران: 149}.

---

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (149) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه.

{إنْ تُطيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا}، يعني: الذين جحدوا نبوة نبيكم محمد - صلى الله عليه وسلم- من اليهود والنصارى - فيما يأمرونكم به وفيما ينهونكم عنه - فتقبلوا رأيهم في ذلك وتنتصحوهم فيما يزعمون أنهم لكم فيه ناصحون {يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ}، يقول: يحملوكم على الرِّدة بعد الإيمان، والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الإسلام.

{فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}، يقول: فترجعوا عن إيمانكم ودينكم الذي هداكم الله له.

{خَاسِرِينَ} يعني: هالكين، قد خسرتم أنفسكم، وضللتم عن دينكم، وذهبت دنياكم وآخرتكم.

ينهى بذلك أهل الإيمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر في آرائهم، وينتصحوهم في أديانهم. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى {149}: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا} يَعْنِي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى،

وَقَالَ: (عَلِيٌّ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ: لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ: ارْجِعُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ وَادْخُلُوا فِي دِينِهِمْ،

{يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} يرجعوكم إلى أول أمركم من الشرك بالله،

{فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} مَغْبُونِينَ. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تَفْسِيرُ القُرآنِ العَظِيم):- يُحَذِّرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ طَاعَةِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فَإِنَّ طَاعَتَهُمْ تُورِثُ الرَّدَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " وَلِهَذَا قَالَ: {إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} {آل عمران: 149}. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثم قال تعالى: {149} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}. وهذا نهي من الله للمؤمنين أن يطيعوا الكافرين من المنافقين والمشركين، فإنهم إن أطاعوهم لم يريدوا لهم إلا الشر، وهم قصدهم ردهم إلى الكفر الذي عاقبته الخيبة والخسران. (4)

* * *

[١٥٠] ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (149)، للإمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) في سورة (آل عمران) الآية (149).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (149)، للإمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (149)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

هؤلاء الكافرون لن ينصروكم إذا أطعتموهم، بل الله هو ناصركم على أعدائكم، فأطيعوه، وهو سبحانه خير الناصرين، فلا تحتاجون لأحد بعده.(1)

* * *

يَعْنِي:- إنهم لن ينصروكم، بل الله ناصركم، وهو خير ناصر، فلا يحتاج معه إلى نصرة أحد.(2)

* * *

يَعْنِي:- والله هو ناصركم، ولا تخشوهم لأن الله أعظم الناصرين.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ} ... بل أَطِيعُوا اللهَ رَبَّكُمْ وَوَلِيَّكُمْ وَمَوْلاكُمْ فإنه خيرُ مَنْ يُطَاعُ وَأَحَقُّ مَنْ يُطَاعُ وَاطْلُبُوا النَّصْرَ بِطَاعَتِه فَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ.

{بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ} ... أي: متوليكم ولا تحتاجون معه إلى ولاية أحد.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قَال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قوله تعالى: {بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ} [آل عمران:150]. قال: أبو جعفر: يعني بذلك تعالى ذكره: أن الله مسدِّدكم، أيها المؤمنون، فمنقذكم من طاعة الذين كفروا.

وإنما قيل: "بل الله مولاكم"، لأن في قوله: "إن تطيعوا الذين كفروا يردُّوكم على أعقابكم"، نهيًا لهم عن طاعتهم، فكأنه قال: {يا أيها الذين آمنوا لا تُطيعوا الذين كفروا فيردُّوكم على أعقابكم}، ثم ابتدأ الخبر فقال: "بل الله مولاكم"، فأطيعوه، دون الذين كفروا، فهو خيرُ من نَصَر. ولذلك رفع اسم "الله"، ولو كان منصوبًا على معنى: بل أطيعوا الله مولاكم، دون الذين كفروا = كان وجهًا صحيحًا.

* * *

ويعني بقوله: "بل الله مولاكم"، وليّكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا، "وهو خير الناصرين"، لا من فررتم إليه من اليهود وأهل الكفر بالله. فبالله الذي هو ناصركم ومولاكم فاعتصموا، وإياه فاستنصروا، دون غيره ممن يبغيكم الغوائل، ويرصدكم بالمكاره.(4)

* * *

قَال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {بل الله مولاكم} وَلِيكُم ينصركم ويعصمكم من أن ترجعوا كَافِرين.(5)

* * *

قَال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَلِ اللَّهُ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (69/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (69/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (94/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (150)، لِلإِمَامْ (الطبري).

(5) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (150) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

مَـوْلاكُمْ} وبِـه قَـالَ: (ابْـنُ إِسْـحَاقَ): {بَـلِ اللَّـهُ مَـوْلاكُمْ} إنْ كَـانَ مَـا تَقُولُـونَ بِأَلْسِـنَتِكُمْ صِـدْقاً في قُلُوبِكُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ}.

وبِـه قَـالَ: (مُحَمَّـدُ بْـنُ إِسْحَاقَ): {وهُـوَ خَيْـرُ النَّاصِـرِينَ} أَيْ فَاعْتَصِـمُوا بِـه، ولا تَسْتَنْصِـرُوا بِغَيْـرِهِ، ولا تَرْجِعُـوا عَلَـى أَعْقَـابِكُمْ مُرْتَـدِّينَ عَنْ دِينِه. (1)

* * *

قَـال: الإِمَـامُ (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) -(رحمـه الله) – في (تفسـيره):- ثُــمَّ قَــالَ: {بَــلِ اللَّــهُ مَــوْلاكُمْ} ناصـركم وحـافظكم علـى دينـكم الإسـلام، {وَهُــوَ خَيْــرُ النَّاصِــرِينَ} {آل عمـران: 150} (2)

* * *

قَـال: الإِمَـامُ (إبـن كـثير) – (رحمـه الله) – في (تفسيره):-

ثُـمَّ أَمَـرَهُمْ بِطَاعَتِـه وَمُوَالاتِـه، وَالِاسْـتِعَانَةِ بِـه، وَالتَّوَكُّـلِ عَلَيْـه، فَقَـالَ: {بَـلِ اللَّـهُ مَـوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ}. (3)

* * *

قَـال: الإِمَـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) – (رحمـه الله) – في (تَفسـيره):- ثُــم قــال تعــالى: {150} {بَــلِ اللَّــهُ مَــوْلاكُمْ وَهُــوَ خَيْــرُ النَّاصِـرِينَ}. ثُـم أخـبر أنـه مـولاهم وناصـرهم، ففيـه إخبـار لهـم بـذلك، وبشـارة بأنـه سـيتولى أمورهم بلطفه، ويعصمهم من أنواع الشرور.

وفي ضـمن ذلـك الحـث لهـم علـى ا تخـاذه وحـده وليا وناصرا من دون كل أحد. (4)

* * *

[١٥١] ﴿ سَــنُلْقِي فِــي قُلُــوبِ الَّــذِينَ كَفَــرُوا الرُّعْــبَ بِمَــا أَشْــرَكُوا بِاللَّــهِ مَــا لَــمْ يُنَــزِّلْ بِــهِ سُــلْطَانًا وَمَــأْوَاهُمُ النَّــارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

سـنلقي في قلـوب الـذين كفـروا بـالله الخـوف الشـديد، حتـى لا يسـتطيعوا الثبـات لقتـالكم بسـبب إشـراكهم بـالله آلهـةً عبـدوها بـأهوائهم، لم ينـزل علـيهم بهـا حجـة، ومُسْـتقرُّهم الـذي يرجعـون إليـه في الآخـرة هـو النـار، وبـئس مستقر الظالمين النار. (5)

* * *

يَعْنِـي:- سـنقذف في قلـوب الـذين كفـروا أشـدَّ الفـزع والخـوف بسـبب إشـراكهم بـالله آلهـة مزعومـة، لـيس لهـم دليـل أو برهـان علـى اسـتحقاقها للعبـادة مـع الله، فحـالتهم في الـدنيا: رعـب وهلـع مـن المـؤمنين، أمـا مكـانهم في الآخـرة الـذي يـأوون إليـه فهـو النـار" وذلـك بسـبب ظلمهـم وعـدوانهم، وسـاء هـذا المقـام مقامًا لهم. (6)

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإمـام (ابـن أبـي حـاتم) في سـورة (آل عمرآن) الآية (150).

(2) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإمَـامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (150).

(3) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (آل عمـرآن) الآيـة (150)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (آل عمرآن) الآية (150)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (69/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (69/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

* * *

يَعْنِـي:- ولا يضعفكم ما أصابكم يوم أحد، فسنقذف الخوف والفزع فى قلوب أعدائكم، لإشراكهم بالله آلهة لم ينزل الله بعبادتها حُجة، لأنها لا تنفع ولا تضر، ومستقرهم النار فى الآخرة وبئس هذا المكان للظالمين مقاماً. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ}... يشير إلى ما قذف الله به فى قلوب المشركين يوم أحد من خوف فرجعوا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة.

{الرُّعْبَ}... شِدَّةُ الخوفِ مع تَوَقُّعِ الهَزِيمَةِ والمَكْرُوه.

{بِما أَشْرَكُوا}... بسبب إشراكهم.

{ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً}... آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة، ولم يعن أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم، لأن الشرك لا يستقيم أن يقوم عليه حجة، وإنما المراد نفى الحجة ونزولها جميعا.

{مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا}... حجةً وبرهانًا، والسلطانُ: القوةُ والقدرة، وَسُمِّيَت الحجةُ سُلطَانًا لِقُوَّتِها عَلَى دَفْعِ البَاطِل.

{وَمَأْوَاهُمُ}... مقر إيوائهم ونزولهم.

{مَثْوَى}... المثوى مكان الثوى، وهو الإقامة والاستقرار.

{الظَّالِمِينَ}... المشركين الذين أطاعوا غير الله تعالى وعبدوا سواه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرعب} قَالَ الْحسن: يَعْنِي: مُشْركي الْعَرَب

{بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ ينزل بِهِ سُلْطَانا} أَي: حجَّة بِمَا هم عَلَيْهِ من الشّرك.

{ومأواهم النَّار} أَي: مصيرهم إِلَى النَّار.

{وَبِئْسَ مثوى الظَّالِمين} منزل الظَّالِمين الْمُشْركين. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: سيلقى الله، أيها المؤمنون {فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا} بربهم، وجحدوا نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم- ممن حاربكم بأحد = {الرُّعْبَ}، وهو الجزع والهلع ="بما أشركوا بالله"، يعني: بشركهم بالله وعبادتهم الأصنام، وطاعتهم الشيطان التي لم أجعل لهم بها حجة = وهي"السلطان" = التي أخبر عز وجل أنه لم ينزله بكفرهم وشركهم.

وهذا وعدٌ من الله جل ثناؤه أصحابَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالنصر على أعدائهم، والفلج عليهم، ما استقاموا على عهده، وتمسكوا بطاعته. ثم أخبرهم ما هو فاعلٌ بأعدائهم بعد مصيرهم إليه،

فقال جل ثناؤه: {وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ}، يعني: ومرجعهم الذي يرجعون إليه يوم القيامة،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/94)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (151) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

النـارُ = {النَّـارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ}، يقول: وبئس مقام الظالمين - الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لها عقابَ الله.(1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {151} {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} وَذَلِكَ أَنَّ (أَبَا سُفْيَانَ) وَالْمُشْرِكِينَ لَمَّا ارْتَحَلُوا يَوْمَ أُحُدٍ مُتَوَجِّهِينَ نَحْوَ مَكَّةَ انْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا بَلَغُوا بَعْضَ الطَّرِيقِ، نَدِمُوا وَقَالُوا: بِئْسَ مَا صَنَعْنَا قَتَلْنَاهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلاَ الشَّرِيدُ تَرَكْنَاهُمْ، ارْجِعُوا فَاسْتَأْصِلُوهُمْ. فَلَمَّا عَزَمُوا عَلَى ذَلِكَ قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، حَتَّى رَجَعُوا عما هموا به، فذلك قوله تعالى (سَنُلْقِي) أَيْ: سَنَقْذِفُ فِي قُلُوبِ الذين كفروا الرعب، الخوف، {بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا} حُجَّةً وَبُرْهَانًا، {وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ} مَقَامُ الْكَافِرِينَ.(2)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ بَشَّرَهُمْ بِأَنَّهُ سَيُلْقِي فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِمُ الْخَوْفَ مِنْهُمْ وَالذِّلَّةَ لَهُمْ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ، مَعَ مَا ادَّخَرَهُ لَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، فَقَالَ: {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ}.(3)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- حدثنا محمد بن سنان، قال: حدثنا هُشيم. ح. قال: وحدثني سعيد بن النضر، قال: أخبرنا هُشيم قال: أخبرنا سيار، قال: حدثنا يزيد -هو ابن صهيب الفقير- قال: أخبرنا عَنْ (جَابِر بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)).(4)

* * *

وقال: الإمامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسنَد) – (بسنده):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ سُلَيْمَانَ -يَعْنِي التَّيْمِيَّ-عَنْ سَيَّارٍ، عَنْ (أَبِي أُمَامَةَ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم- قَالَ: ((فَضَّلَنِي رَبِّي عَلَى الأَنْبِيَاءِ -أَوْ قَالَ: عَلَى الأُمَمِ-بِأَرْبَعٍ))، قَالَ: ((أُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ كُلُّهَا وَلأُمَّتِي مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْ رَجُلا مِنْ أُمَّتِي الصَّلاةُ فَعِنْدَهُ مَسْجِدُهُ و

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (151)، للإمامْ (الطبري).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (151).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (151)، للإمامْ (ابن كثير)..

(4) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (519/1)، (ح 335) – (كتاب: التيمم)،
أخرجه الإمام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (370/1)، (ح 521) – (كتاب: المساجد و مواضع الصلاة).

طَهُوره، ونُصرتُ بالرُّعب مَسيرة شَهر يَقْذفُه في قُلوبِ أَعْدَائي وأحل لِيَ الغنائم)).

ورواه الإمام (التِّرْمذيُّ) مِنْ حَديث (سُلَيْمان التَّيْمي)، عَنْ (سَيَّار القُرَشي الْأُمَوي) مَولاهُمْ الدِّمَشْقِي -سَكَنَ الْبَصْرة- عَنْ (أَبِي أُمامَة صُدَيّ بْنِ عَجْلان)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِهِ.

وَقَالَ: (حَسَنٌ صَحِيحٌ).(1)

* * *

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ مَنْصُور): أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْب، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارث: أَنَّ أَبَا يُونُس حَدَّثَهُ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى الله عليه وسلم- قَالَ: ((نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ عَلَى الْعَدُوِّ)).

ورواه الإمام (مُسْلِم) مِنْ حَديث (ابْنِ وَهْبٍ) (2).

* * *

وقال الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (المُسْنَد) - (بِسَنده):- حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّد، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ أَبِي بُرْدَة، عَنْ أَبِيهِ (أَبِي مُوسَى) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((أُعْطِيتُ خَمْسًا: بُعِثْتُ إِلَى الأحْمَرِ وَالأسْوَد، وَجعلَتْ لِيَ الأرْض طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وأُحلَّتْ لِيَ الْغَنَائم وَلَمْ تحل لِمَنْ كَانَ قَبْلِي، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ شَهْرًا، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَة، وَلَيْسَ مِنْ نَبِيّ إِلا وَقَدْ سَأَلَ شَفَاعَتَهُ، وإنِّي اخْتَبَأتُ شَفَاعَتِي، ثُمَّ جَعَلْتُها لِمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا)).

تفرد به الإمام (أحمد). (3)

* * *

وَرَوَى (العَوفِي)، عَن (ابْنِ عَبَّاس) فِي قَوْلِه: {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} قَالَ: قَذَفَ اللَّهُ فِي قَلْبِ أَبِي سُفْيَانَ الرُّعْبَ، فَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَدْ أَصَابَ مِنْكُمْ طَرَفًا، وَقَدْ رَجَعَ، وقَذَفَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ الرُّعْبَ)). (4)

رَوَاهُ الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِم). (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وفي ضمن ذلك الحث لهم على اتخاذه وحده وليا وناصرا من دون كل أحد، فمن ولايته ونصره لهم أنه وعدهم أنه سيلقي في قلوب أعدائهم من الكافرين الرعب، وهو الخوف العظيم الذي يمنعهم من كثير من مقاصدهم، وقد فعل تعالى. وذلك أن المشركين -بعدما انصرفوا من وقعة "أحد" - تشاوروا بينهم، وقالوا: كيف ننصرف، بعد أن قتلنا منهم من قتلنا،

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (248/5).
واخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1553).
وقال: الشَّيخ (شعيب الأرنؤوط): (صحيح لغيره)، وهذا (إسناد حسن)، وفيه سيار ذكره الإمام (ابن حبان) في الثقات.
و(صححه) الشَّيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في (تحقيقه لتفسير - ابن كثير) برقم (654/2)، مجهول الحال. والله أعلم.

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (523) -(كتاب: المساجد ومواضع الصلاة).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (151)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (416/4).
وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) رقم (258/8): "رجاله رجال الصحيح".
و(صححه) الشَّيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في (تحقيقه لتفسير - ابن كثير) برقم (154/2)، وقال: حديث (صحيح)، ورجاله رجال الصحيح.

(4) رَوَاهُ الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِم) في (التفسير) برقم (4316).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (151)، للإِمَامْ (ابن كثير).

وهزمناهم ولما نستأصلهم؟ فهموا بذلك، فألقى الله الرعب في قلوبهم، فانصرفوا خائبين، ولا شك أن هذا من أعظم النصر، لأنه قد تقدم أن نصر الله لعباده المؤمنين لا يخرج عن أحد أمرين: إما أن يقطع طرفا من الذين كفروا، أو يكبتهم فينقلبوا خائبين، وهذا من الثاني.

ثم ذكر السبب الموجب لإلقاء الرعب في قلوب الكافرين، فقال: {بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا} أي: ذلك بسبب ما اتخذوا من دونه من الأنداد والأصنام، التي اتخذوها على حسب أهوائهم وإرادتهم الفاسدة، من غير حجة ولا برهان، وانقطعوا من ولاية الواحد الرحمن، فمن ثم كان المشرك مرعوبا من المؤمنين، لا يعتمد على ركن وثيق، وليس له ملجأ عند كل شدة وضيق، هذا حاله في الدنيا، وأما في الآخرة فأشد وأعظم،

ولهذا قال: {وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ} أي: مستقرهم الذي يأوون إليه وليس لهم عنها خروج،

{وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ} بسبب ظلمهم وعدوانهم صارت النار مثواهم. (1)

* * *

[١٥٢] ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولقد أنجزكم الله ما وعدكم به من النصر على أعدائكم يوم أُحد، حين كنتم تقتلونهم قتلًا شديدًا بإذنه تعالى، حتى إذا جَبُنْتُم وضعفتم عن الثبات على ما أمركم به الرسول- واختلفتم بين البقاء في مواقعكم أو تركها وجمع الغنائم، وعصيتم الرسول- في أمره لكم بالبقاء في مواقعكم على كل حال، وقع ذلك منكم من بعد ما أراكم الله ما تحبونه من النصر على أعدائكم، منكم من يريد غنائم الدنيا، وهم الذين تركوا مواقعهم، ومنكم من يريد ثواب الآخرة، وهم الذين بقوا في مواقعهم مطيعين أمر الرسول- ، ثم حَوَّلكم الله عنهم، وسلَّطهم عليكم" ليختبركم، فيظهر المؤمن الصابر على البلاء ممَّن زلت قدمه، وضعفت نفسه، ولقد عفا الله عنكم ما ارتكبتموه من المخالفة لأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صاحب فضل عظيم على المؤمنين حيث هداهم للإيمان، وعفا عنهم سيئاتهم، وأثابهم على مصائبهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- ولقد حقق الله لكم ما وعدكم به من نصر، حين كنتم تقتلون الكفار في غزوة

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (151)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (69/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

‹ أُحد › بإذنه تعالى، حتى إذا جَبُنتم وضعفتم عن القتال واختلفتم: هل تبقون في مواقعكم أو تتركونها لجمع الغنائم مع مَن يجمعها؟ وعصيتم أمر رسولكم حين أمركم ألا تفارقوا أماكنكم بأي حال، حلَّت بكم الهزيمة من بعد ما أراكم ما تحبون من النصر، وتبيَّن أن منكم مَن يريد الغنائم، وأن منكم مَن يطلب الآخرة وثوابها، ثم صرف الله وجوهكم عن عدوكم" ليختبركم، وقد علم الله ندمكم وتوبتكم فعفا عنكم، والله ذو فضل عظيم على المؤمنين. (1)

* * *

وإن نصر الله محقق واقع، ولقد صدقكم الله الوعد بالنصر حين قتلتم كثيرين منهم أول الأمر بإرادته، حتى إذا ضعف رأيكم في القتال، واختلفتم في فهم أمر النبي إياكم بالمقام في مراكزكم، فرأى بعضكم ترك موقعه حيث ظهر النصر، ورأى البعض البقاء حتى النهاية، وعصى فريق منكم أمر الرسول- فمضى لطلب الغنيمة من بعد ما أراكم ما تحبون من النصر، وصرتم فريقين منكم من يريد متاع الدنيا، ومنكم من يريد ثواب الآخرة، لما كان ذلك، منعكم نصره ثم ردكم بالهزيمة عن أعدائكم، ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره. ولقد تجاوز عنكم لما ندمتم. والله ذو الفضل عليكم بالعفو وقبول التوبة. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ} ... أَنْجَزَكُمْ ما وَعَدَكُمْ عَلَى لسانِ رَسُوله - صلى الله عليه وسلم - بقوله للرُّماة: اثبُتُوا أَماكِنَكُمْ فَإِنَّا لا نزال غالِبينَ ما ثَبَتُّمْ مَكانَكُم.

{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ} ... وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى.

{إِذْ تَحُسُّونَهُمْ} ... إذ تَقْتُلُونَهُمْ. قتلا ذريعا.

{إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ} ... تَقْتُلُونَهُمْ" إذِ الحَسُّ: القتلُ، يقال: حَسَّهُ إذا قَتَلَهُ فَأَبْطَلَ حِسَّهُ.

{فَشِلْتُمْ} ... جَبُنْتُمْ، وَضَعُفْتُمْ عَنِ القِتَالِ.

{حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ} ... الفشل: الجبن وضعف الرأى. وحَتَّى إذا متعلق بمحذوف، تقديره: حتى إذا فشلتم منعكم نصره.

{حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ} ... ضَعُفْتُمْ وَجَبُنْتُمْ عَنِ الْقِتَالِ.

{وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ} ... اخْتَلَفْتُمْ في مَقامِكُمْ حيث أقامَكم رسولُ الله في أُحُد.

{وَتَنَازَعْتُمْ} ... أي:" اختلفتم. يقول بعضهم- أي بعض الرماة-:

قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا؟ ويقول بعض: لا نخالف أمر رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم.

وكان رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم- قد أقام الرماة عند جبل أحد، وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا، كانت الدولة للمسلمين أو عليهم.

{وَعَصَيْتُم} ... أَمْرَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما أَمَرَكُم مِنْ لزومِ مركزكُم.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (69/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (95/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا} ... وهم الذين برحوا مكانهم وتعقبوا المشركين يغنمون.

{وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} ... وهم الذين ثبتوا مكانهم لا يبرحونه.

{ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ} ... أي: ردكم عنهم بالانهزام.

{لِيَبْتَلِيَكُمْ} ... ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان.

وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ لما علم ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم.

{وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} ... يتفضل عليهم بالعفو.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمامُ (الطبري) - و الإمامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما) (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: {تَحُسُّونَهُمْ}: تقتلونهم.(1)(2)

* * *

قال: الإمامُ (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَالَ: أنا مَعْمَرٌ عَنْ (قَتَادَةَ)، في قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِذْ تَحُسُّونَهُمْ} [آل عمران: 152] يَقُولُ: ‹ إِذْ تَقْتُلُونَهُمْ ›(3)

* * *

وقال: الإمامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {إِذْ تَحُسُّونَهُمْ}: تَسْتَأْصِلُونَهُمْ قَتْلًا.(4)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ: عَنِ (الْبَرَاءِ) قَالَ: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وأجْلَسَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَيْشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وأمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ -يَعْنِي ابْنَ جُبَيْرٍ- وَقَالَ: ((لا تَبْرَحُوا إنْ رأيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلا تَبْرَحُوا، وإنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلا تُعِينُونَا)). فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ هربُوا، حَتَّى رَأَيْنَا النِّسَاءَ يَشْتَددْنَ فِي الْجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهن، وَقَدْ بَدَتْ خَلاخِلُهن، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ. فَقَالَ: عَبْدُ اللَّهِ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَلا تَبْرَحُوا. فأبَوْا، فَلَمَّا أبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا فَأَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: ((لا تُجِيبُوهُ)). فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ فَقَالَ: ((لا تُجِيبُوهُ)). فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَأَجَابُوا. فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ، قَدْ أَبْقَى اللَّهُ لَكَ مَا يُحزِنُكَ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اعْلُ هُبَلُ. فَقَالَ: النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَجِيبُوهُ". قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: "قُولُوا:

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (152).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (152).
(3) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (152)، لِلإمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني).
(4) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (152). برقم (ج 5/ ص93).

اللَّـهُ أعْلَـى وأجَـلُّ". فَقَـالَ: (أَبُـو سُـفْيَانَ): لَنَـا الْعُـزَّى وَلاَ عُـزَّى لَكُـمْ. فَقَالَ: النَّبِـيُّ- صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـه وَسَـلَّمَ: "أَجِيبُـوهُ". قَـالُوا: مَـا نَقُـولُ؟ قَالَ: "قُولُوا: اللهُ مَوْلاَنَا، وَلا مَوْلَى لَكُمْ".

قَـالَ: (أَبُـو سُـفْيَانَ): يَـوْمٌ بِيَوْمِ بَـدْرٍ، وَالْحَـرْبُ سِـجَال، وَتَجِـدُونَ مُثْلَـةً لَـمْ آمُـرْ بِهَـا وَلَـمْ تَسُؤْنِي. (1)

* * *

وقـال: الإمـام (البخـاري) - (رحمـه الله) - في (صـحيحه - (بسـنده):- حَـدَّثَنَا عُبَيـدُ اللَّـهِ بْـنُ سَـعِيد، حَـدَّثَنَا أَبُـو أُسَـامَةَ، عَـنْ هِشَـامِ بْـنِ عُـرْوَةَ، عَـنْ أَبِيـه، عَـنْ (عَائِشَـةَ)، رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا، قَالَـتْ: لَمَّـا كَـانَ يَـوْمَ أُحد هُـزِمَ الْمُشْـرِكُونَ، فَصَـرَخَ إِبْلِـيسُ: أَيْ عِبَـادُ اللَّـه، أُخْـرَاكُم. فَرَجعَـتْ أُوْلاَدُهُـمْ فَاجْتَلَـدَتْ هِـيَ وَأُخْـرَاهُمْ، فَبَصُـرَ حُذَيفَـة فَـإِذَا هُـوَ بِأَبِيـه الْيَمَـانِ، فَقَـالَ: أَيْ عِبَـادَ اللَّـه، أَبِـي أَبِـي. قَـالَ: قَالَـتْ: فَوَاللَّـه مَا احْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوه،

فَقَـالَ: (حُذَيْفَـةُ): يَغْفِـرُ اللَّـهُ لَكُـمْ. قَـالَ عُـرْوَةُ: فَوَاللَّـه مَـا زَالَـتْ فِـي حُذَيْفَـةَ بَقِيَّـةُ خَيْـرٍ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. (2)

* * *

قولـه تعـالى: {مـنكم مـن يريـد الـدنيا ومـنكم من يريد الآخرة}.

قـال: الإمـام (ابـن أبـي شـيبة) - (رحمـه الله):- حـدثنا أحمـد بـن المفضل، ثنـا أسـباط، عـن (السـدي)، عـن عبـد خـير، عـن (عبـد الله) - رضـي الله عنـه - قـال: مـا كنـت أرى أن أحـداً

مـن أصـحاب الـنبي - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـه وَسَـلَّمَ - يريـد الـدنيا، حتـى نـزل {مـنكم مـن يريـد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة}. (3)

* * *

قـال: الإمَـام (إبـن كـثير) - (رحمـه الله) - في (تفسيره):- وقَـال: (مُحَمَّـدُ بْـنُ إِسْـحَاقَ): حَـدَّثَنِي يَحْيَـى بْـنُ عَبَّـاد بْـنِ عَبْـدِ اللَّـهِ بْـنِ الزُّبَيْـرِ، عَـنْ أَبِيـه، عَـنْ جَـده أَنَّ (الزُّبَيْـرَ بْـنَ الْعَـوَّامِ) قَـالَ: وَاللَّـه لَقَـدْ رَأَيْتُنِـي أَنْظُـرُ إِلَـى خَـدَمِ هِنْـدَ وَصَـوَاحِبَاتِهَا مُشَـمِّرات هَـوَارِبَ مَـا دُونَ أَخْـذهن كَـثِيرٌ وَلاَ قَلِيـلٌ وَمَالَـت الرُّمَـاةُ إِلَـى الْعَسْـكَرِ حِـينَ كَشَـفْنَا الْقَـوْمَ عَنْـهُ، يُرِيـدُونَ النَّهْـبَ وَخَلَّـوا ظهورنَـا لِلْخَيْـلِ فَأَتَتْنَـا مِـنْ أَدْبَارِنَـا، وَصَـرَخَ صَـارِخٌ: أَلاَ إِنَّ مُحَمَّـدًا قَـدْ قُتِـلَ. فَانْكَفَأْنَـا وَانْكَفَـأَ عَلَيْنَـا الْقَـوْمُ بَعْـدَ أَنْ أَصَبْنَا أَصْـحَابَ اللِّـوَاءِ، حَتَّـى مَـا يَـدْنُو مِنْـهُ أَحَـدٌ مِنَ الْقَوْمِ.

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (405/7)، (ح 4043) – (كتاب: المغازي)، / باب: غزوة أحد). وبرقم (3986).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4065) – (كتاب: المغازي).

(3) انظر: (المطالب العالية) – (المسند) برقم (ق 1/132).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) في تفسيره (605/2)، (ح 1649).

وأخرجه الإِمَامْ (الطبري) برقم (130/4)،

وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (الأوسط) برقم (237/2)، (ح 1421)- من طرق -: عن (أحمد بن المفضل) به. وهذا الإسناد فيه أسباط بن نصر، وهو (صدوق كثير الخطأ يغرب)،

كما قاله: الإمام (ابن حجر) (التقريب) برقم (ص 98). ولكن لم ينفرد بروايته لهذا الأثر، بل روي من طريق آخر عن ابن مسعود،

فأخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (463/1) ضمن حديث طويل في قصة أحد، -من طريق-: (حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب، عن الشعبي، عن ابن مسعود، وعطاء) وإن كان قد اختلط، إلا أن رواية حماد عنه قبل الاختلاط، وباقي رجال الإسناد ثقات، فيكون الحديث بمجموع هذين الطريقين حسناً إن شاء الله.

وقد (حسن إسناده) (الحافظ العراقي) في تخريجه (للإحياء) برقم (219/4)،

وقال: الإِمَامْ (الهيثمي) -بعد أن عزاه للإِمَامْ (الطبراني) و الإِمَامْ (أحمد):

ورجال الإِمَامْ (الطبراني) ثقات (مجمع الزوائد)،)328-327/6).

و(صحح إسناده) الإِمَامْ (السيوطي) في (الدر المنثور) برقم (86/2).

وانظر: تخريج الحديث والكلام عليه في حاشية الإِمَامْ (ابن أبي حاتم).

وذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمرآن) الآية (152). برقم (ص470/1)، الطبعة: الأولى.

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ): فَلَمْ يَزَلْ لِوَاءُ الْمُشْرِكِينَ صَرِيعًا، حَتَّى أَخَذَتْهُ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الْحَارِثِيَّةُ، فَدَفَعَتْهُ لِقُرَيْشٍ فَلَاثُوا بِهِ، وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ قَالَ: قَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ) قَالَ: مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- يُرِيدُ الدُّنْيَا حَتَّى نَزَلَتْ فِينَا مَا نَزَلَ يَوْمَ أُحُدٍ {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ}.

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنِ (ابْنِ مَسْعُودٍ)، وَكَذَا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَأَبِي طَلْحَةَ، رَوَاهُنَّ ابْنُ مَرْدُوَيْهِ فِي تَفْسِيرِهِ.

وَقَوْلُهُ: {ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ} قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ، أَحَدُ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ قَالَ: انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ، عَمّ (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ)، إِلَى (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، قَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ: مَا يُخَلِّيكُمْ ؟ فَقَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. قَالَ: فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ. ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.[1]

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ حَسَّانَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ، حَدَّثَنَا حُمَيدٌ، عَنْ (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ): أَنَّ عَمَّهُ -يَعْنِي أَنَسَ بْنَ النَّضْرِ- غَابَ عَنْ بَدْرٍ فَقَالَ: غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللَّهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أُجِدُّ فَلَقِيَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَهُزِمَ النَّاسُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ- وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ: أَيْنَ يَا سَعْدُ؟ إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ. فَمَضَى فَقُتِلَ، فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ بِشَامَةٍ وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ.

هَذَا لَفْظُ الإِمَامِ (الْبُخَارِيِّ)، وَأَخْرَجَهُ الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) مِنْ حَدِيثِ (ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ)، بِنَحْوِهِ.[2]

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ عَنْ (عُثْمَانَ بْنِ مَوْهَبٍ) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ حَجَّ الْبَيْتَ، فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقُعُودُ؟ قَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ. قَالَ: مَنِ الشَّيْخُ؟ قَالُوا: (ابْنُ عُمَرَ). فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي. قَالَ: أَنْشُدُكَ بِحُرْمَةِ هَذَا الْبَيْتِ أَتَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَتَعْلَمُهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فتعلم أَنَّهُ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَبَّرَ، فَقَالَ: (ابْنُ عُمَرَ): تَعَالَ لِأُخْبِرَكَ وَلِأُبَيِّنَ لَكَ عَمَّا سَأَلْتَنِي عَنْهُ. أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (152)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4048) - (كتاب: المغازي).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1903) - (كتاب: الإمارة).

وَأَمَّا تَغَيُّبُه عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَ تَحْتَهُ بِنْتُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-((إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ)). وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ عثمانَ، فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ. فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِيَدِهِ الْيُمْنَى: ((هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ)). فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: ((هذه يَدُ عُثْمَانَ اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ)).

ثُمَّ رَوَاهُ الإمام (الْبُخَارِيُّ) مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ (أَبِي عوانة) - عَنْ (عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ). (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿وَلَقَدْ صدقكُم الله وعده﴾ لقول رَسُول الله: إنَّكُم ستلقونهم فتهزمونهم، فلا تتبعوا المدبرين. وَقَوله: ﴿حَتَّى إذا فشلتم﴾ أي: ضعفتم في أمر رَسُول الله ﴿وتنازعتم﴾ اختلفتم فصرتم فرقَتَيْنِ تقاتلونهم على وجهين.

﴿وعصيتم﴾ الرسول- ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تحبون﴾ من النَّصر على عَدوكُمْ ﴿منكُمْ من يُرِيد الدُّنْيَا﴾ يَعْنِي: الْغَنِيمَة ﴿ومنكُمْ من يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَد عفا عنكُم﴾ حِين لم يستأصلكم ﴿وَاللَّهُ ذُو فضل على الْمُؤمنِينَ﴾. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {152} قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ): لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ -إِلَى المدينة مِنْ أحد، قَدْ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ، قَالَ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِه: مِنْ أَيْنَ أَصَابَنَا هَذَا؟ وَقَدْ وَعَدَنَا اللَّهُ النَّصْرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ وذلك أن الظفر كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي الِابْتِدَاءِ،

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ وَذَلِكَ ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَعَلَ أُحُدًا خَلْفَ ظَهْرِهِ وَاسْتَقْبَلَ الْمَدِينَةَ وجعل عَيْنَيْنِ وَهُوَ جَبَلٌ عَنْ يَسَارِهِ وَأَقَامَ عَلَيْهِ الرُّمَاةَ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ (عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ)، وَقَالَ لَهُمْ: احْمُوا ظُهُورَنَا فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلَا تُشْرِكُونَا وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلَا تَنْصُرُونَا، وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ فَأَخَذُوا فِي الْقِتَالِ فَجَعَلَ الرُّمَاةُ يَرْشُقُونَ خَيْلَ الْمُشْرِكِينَ بِالنَّبْلِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَضْرِبُونَهُمْ بِالسُّيُوفِ، حَتَّى وَلَّوْا هَارِبِينَ))، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ) أَيْ تَقْتُلُونَهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا بِقَضَاءِ اللَّهِ،

قَالَ: (أَبُو عبيدة): (الحس):- الِاسْتِئْصَالُ بِالْقَتْلِ ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ أَيْ إِنْ جَبُنْتُمْ،

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (3698)- (كتاب: المناقب).- وبرقم (4066).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (152) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ فَلَمَّا فَشِلْتُمْ، {وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ} فالواو زائدة في (وَتَنَازَعْتُمْ) يعني: إِذَا فَشِلْتُمْ تَنَازَعْتُمْ،

يَعْنِي:- فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: حَتَّى إِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ فَشِلْتُمْ، وَمَعْنَى التَّنَازُعِ الِاخْتِلَافُ، وَكَانَ اخْتِلَافُهُمْ أَنَّ الرُّمَاةَ اخْتَلَفُوا حِينَ انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: انْهَزَمَ الْقَوْمُ فَمَا مُقَامُنَا؟ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْغَنِيمَةِ،

وَقَالَ: (بَعْضُهُمْ): لَا تُجَاوِزُوا أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَثَبَتَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ) فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ دُونَ الْعَشَرَةِ، فَلَمَّا رَأَى (خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ) وَ(عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ) ذَلِكَ حَمَلُوا عَلَى الرُّمَاةِ فَقَتَلُوا (عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ) وَأَصْحَابَهُ، وأقبلوا على المسلمين وجاءت الرِّيحُ فَصَارَتْ دَبُورًا بَعْدَ مَا كَانَتْ صبا، وانقضت صُفُوفُ الْمُسْلِمِينَ وَاخْتَلَطُوا فَجَعَلُوا يَقْتُلُونَ عَلَى غَيْرِ شِعَارٍ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مَا يَشْعُرُونَ مِنَ الدَّهَشِ، وَنَادَى إِبْلِيسُ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قتل، فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين،

قوله تعالى: {وَعَصَيْتُمْ} يَعْنِي: الرسول- -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَخَالَفْتُمْ أَمْرَهُ {مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ} الله {مَا تُحِبُّونَ} يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الظَّفَرِ وَالْغَنِيمَةِ،

{مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا} يَعْنِي: الَّذِينَ تَرَكُوا الْمَرْكَزَ وَأَقْبَلُوا عَلَى النَّهْبِ،

{وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} يَعْنِي: الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ) حَتَّى قُتِلُوا،

قَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ): مَا شَعَرْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُرِيدُ الدُّنْيَا حَتَّى كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ} أَيْ رَدَّكُمْ عَنْهُمْ بِالْهَزِيمَةِ،

{لِيَبْتَلِيَكُمْ} لِيَمْتَحِنَكُمْ،

وقيل: لِيُنْزِلَ الْبَلَاءَ عَلَيْكُمْ {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة منكم لأمر نبيكم، {وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 152]. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- أي: {ولقد صدقكم الله وعده} بالنصر، فنصركم عليهم، حتى ولوكم أكتافهم، وطفقتم فيهم قتلا حتى صرتم سببا لأنفسكم، وعونا لأعدائكم عليكم، فلما حصل منكم الفشل وهو الضعف والخور {وتنازعتم في الأمر} الذي فيه ترك أمر الله بالائتلاف وعدم الاختلاف، فاختلفتم، فمن قائل نقيم في مركزنا الذي جعلنا فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومن قائل: ما مقامنا فيه وقد انهزم العدو، ولم يبق محذور، فعصيتم الرسول-، وتركتم أمره من بعد ما أراكم الله ما تحبون وهو انخذال أعدائكم" لأن الواجب على من أنعم الله عليه بما أحب، أعظم من غيره.

فالواجب في هذه الحال خصوصًا، وفي غيرها عموما، امتثال أمر الله ورسوله.

{منكم من يريد الدنيا} وهم الذين أوجب لهم ذلك ما أوجب،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (152).

{ومنكم من يريد الآخرة} وهم الذين لزموا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبتوا حيث أمروا.

{ثم صرفكم عنهم} أي: بعدما وجدت هذه الأمور منكم، صرف الله وجوهكم عنهم، فصار الوجه لعدوكم، ابتلاء من الله لكم وامتحانا، ليتبين المؤمن من الكافر، والطائع من العاصي، وليكفر الله عنكم بهذه المصيبة ما صدر منكم،

فلهذا قال: {ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين} أي: ذو فضل عظيم عليهم، حيث منَّ عليهم بالإسلام، وهداهم لشرائعه، وعفا عنهم سيئاتهم، وأثابهم على مصيباتهم.

ومن فضله على المؤمنين أنه لا يقدّر عليهم خيرا ولا مصيبة، إلا كان خيرا لهم. إن أصابتهم سراء فشكروا جازاهم جزاء الشاكرين، وإن أصابتهم ضراء فصبروا، جازاهم جزاء الصابرين. (1)

* * *

[١٥٣] ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرسول- يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

اذكروا أيها المؤمنون- حين كنتم تُبْعِدون في الأرض هاربين يوم أحد، لما أصابكم الفشل بمخالفة أمر الرسول-، ولا ينظر أحد منكم لأحد، والرسول- يدعوكم من خلفكم بينكم وبين المشركين قائلًا: إليَّ عبادَ الله، إليَّ عبادَ الله، فجازاكم الله على هذا ألمًا وضيقًا بما فاتكم من النصر والغنيمة، يتبعه ألم وضيق، وبما شاع بينكم من قَتْل النبي، وقد أنزل بكم هذا لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من النصر والغنيمة، ولا ما أصابكم من قتل وجراح، بعدما علمتم أن النبي لم يُقْتَل، حيث هانت عليكم كل مصيبة وألم، والله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أحوال قلوبكم، ولا أعمال جوارحكم. (2)

* * *

اذكروا -يا أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- ما كان مِن أمركم حين أخذتم تصعدون الجبل هاربين من أعدائكم، ولا تلتفتون إلى أحد لِمَا اعتراكم من الدهشة والخوف والرعب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت في الميدان يناديكم من خلفكم قائلا إليَّ عبادَ الله، وأنتم لا تسمعون ولا تنظرون، فكان جزاؤكم أن أنزل الله بكم ألمًا وضيقًا وغمًّا" لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من نصر وغنيمة، ولا ما حلَّ بكم من خوف وهزيمة. والله خبير بجميع أعمالكم، لا يخفى عليه منها شيء. (3)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (152)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (69/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (69/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

اذكروا أيها المؤمنون - حالكم وقت أن كنتم تبعدون فى الأرض هاربين، ولا تلتفتون لأحد من شدة الهرب، والرسول - يناديكم من ورائكم لترجعوا، فجازاكم الله حزناً غامراً كالغمة، توالى على نفوسكم لكى لا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة وما أصابكم من الهزيمة، والله عليم بمقاصدكم وأعمالكم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِذْ تُصْعِدُونَ} ... تذهبون في الأرض فَارِّينَ من المعركة يقال: أَصْعَدَ إذا ذَهَبَ في صعيد الأرض.

{تُصْعِدُونَ} ... تَصْعَدُونَ فِي الجَبَلِ هَارِبِينَ.

{إِذْ تُصْعِدُونَ} ... نصب بقوله صَرَفَكُمْ أو بقوله لِيَبْتَلِيَكُمْ، أو بإضمار (اذكر).

والإصعاد: الذهاب فى الأرض والإبعاد فيها.

يقال: صعد فى الجبل، وأصعد فى الأرض.

{وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ} ... أي: لا يلتفت بعضكم إلى بعض هربا.

{وَلاَ تَلْوُونَ} ... لاَ تَلْتَفِتُونَ.

{وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ} ... لا تَلْوُون رؤوسكم عَلَى أَحَد تلتفتون إليه.

{فَأَثَابَكُمْ غُمًّا بِغَمٍّ} ... جَزَاكُمْ عَلَى مَعْصِيَتِكُمْ وَفِرَارِكُمْ غمًّا عَلَى غم، والغَمُّ: أَلَمُ النفس وَضِيقُ الصَّدْر.

{فَأَثَابَكُمْ} ... جَازَاكُمْ.

{غَمًّا} ... حين صرفكم عنهم وابتلاكم.

{بِغَمٍّ} ... أي: بسبب غم أذقتموه رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم - بعصيانكم له، أو غما مضاعفا، غما بعد غم، وغما متصلا بغم، من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم - والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر.

{لِكَيْلا تَحْزَنُوا} ... لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد، فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {تُصْعِدُونَ}: تَذْهَبُونَ، أَصْعَدَ، وَصَعِدَ فَوْقَ البَيْتِ.(2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {وَالرسول يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ}: هُوَ تَأْنِيثُ آخِرِكُمْ.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- يذكرهم تعالى حالهم في وقت انهزامهم عن القتال، ويعاتبهم على ذلك، فقال: {إِذ تصعدون} أي: تجدون في الهرب {ولا تلوون على أحد} أي: لا يلوي أحد منكم على أحد،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (95/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (153). برقم (ج 6/ ص 36).

(3) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (153). برقم (ج 5/ ص 99).

ولا ينظر إليه، بل ليس لكم هم إلا الفرار والنجاء عن القتال. والحال أنه ليس عليكم خطر كبير، إذ لستم آخر الناس مما يلي الأعداء، ويباشر الهيجاء، بل {الرسول- يدعوكم في أخراكم} أي: مما يلي القوم يقول: "إليَّ عباد الله" فلم تلتفتوا إليه، ولا عرجتم عليه، فالفرار نفسه موجب للوم، ودعوة الرسول- الموجبة لتقديمه على النفس، أعظم لَوْمًا بتخلفكم عنها،

{فأثابكم} أي: جازاكم على فعلكم.

{غما بغم} أي: غما يتبع غما، غم بفوات النصر وفوات الغنيمة، وغم بانهزامكم، وغم أنساكم كل غم، وهو سماعكم أن محمدا - صلى الله عليه وسلم- قد قتل. ولكن الله - بلطفه وحسن نظره لعباده- جعل اجتماع هذه الأمور لعباده المؤمنين خيرا لهم،

فقال: {لكيلا تحزنوا على ما فاتكم} من النصر والظفر،

{ولا ما أصابكم} من الهزيمة والقتل والجراح، إذا تحققتم أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- لم يقتل هانت عليكم تلك المصيبات، واغتبطتم بوجوده المسلي عن كل مصيبة ومحنة، فلله ما في ضمن البلايا والمحن من الأسرار والحكم، وكل هذا صادر عن علمه وكمال خبرته بأعمالكم، وظواهركم وبواطنكم، ولهذا قال: {والله خبير بما تعملون}.

ويحتمل أن معنى قوله: {لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم} يعني: أنه قدَّر ذلك الغم والمصيبة عليكم، لكي تتوطن نفوسكم، وتمرنوا على الصبر على المصيبات، ويخف عليكم تحمل المشقات. (1)

* * *

قوله تعالى: {إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول- يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم}.

قال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده): حدثنا عمرو بن خالد حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق قال: سمعت (البراء بن عازب) - رضي الله عنهما- قال: جعل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على الرجّالة يوم أُحد (عبد الله بن جبير)، وأقبلوا منهزمين، فذاك: إذ يدعوهم الرسول- في أُخراهم، ولم يبقَ مع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غيرُ اثني عشر رجلاً. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): قال: انحازوا إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فجعلوا يصعدون في الجبل، والرسول- يدعوهم في أخراهم. (3)

* * *

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (153)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (75/8)،(ح/4561) - (كتاب: تفسير القرآن) – (سورة آل عمران).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (153).

قال: الإمامْ (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- قَالَ: أنا معْمَرٌ، عَنْ (قَتَادَةَ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {غَمًّا بِغَمٍّ} {آل عمران: 153} قَالَ: ((الْغَمُّ الْأَوَّلُ الْجِرَاحُ وَالْقَتْلُ, وَالْغَمُّ الْآخَرُ حِينَ سَمِعُوا أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ قُتِلَ, فَأَنْسَاهُمُ الْغَمُّ الْآخَرُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْقَتْلِ, وَمَا كَانُوا يَرْجُونَ مِنَ الْغَنِيمَةِ)). وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: {لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ, وَلَا مَا أَصَابَكُمْ "} {آل عمران: 153}.(1)

* * *

قال: الإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) -عن (قتادة): (غما بغم) قال: الغم الأول: الجراح والقتل، والغم الآخر: حين سمعوا أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد قتل فأنساهم الغم الأخير ما أصابهم من الجراح والقتل وما كانوا يرجون من الغنيمة.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِذْ تصعدون} إِلَى الْجَبَل {وَلا تَلْوُونَ عَلَى أحد} يَعْنِي: النَّبِي.

{وَالرسول- يدعوكم فِي أخراكم} جعل يَقُول: إِلَيَّ عباد الله حَتَّى خص الْأَنْصَار" فَقَالَ: يَا أنصار الله {إليَّ، أنا} رَسُول الله، فَرجعت الْأَنْصَار والمؤمنون. {فَأَثَابكُم غما بغم}

قَالَ: (يحيى): كَانُوا تحدثوا يَوْمئِذٍ أَن نَبِي الله أُصِيب، وَكَانَ الْغم الآخر قتل أَصْحَابهم والجراحات الَّتِي فيهم" وَذكر لنا أَنه قُتل يَوْمئِذٍ سَبْعُونَ رجلا: سِتَّة وَستُّونَ من الْأَنْصَار، وَأَرْبَعَة من الْمُهَاجِرين.

قَالَ: (مُحَمَّد): قَوْله: {فَأَثَابكُمْ غَمًّا بغم} أَي: جازاكم غما مُتَّصِلا بغم.

وَقَوله: {إِذْ تصعدون} تقْرَأ: {تصعدون} و {تَصْعَدُونَ}، فَمن قَرَأَ بِضَم التَّاء فَالْمَعْنى: تبعدون فِي الْهَزِيمَة، يُقَال: أصعد فِي الأَرْض" إِذا أمعن فِي الذّهاب، وَصعد الْجَبَل والسطح.

{لكَيْ لَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ} من الْغَنِيمَة.

{وَلَا مَا أَصَابَكُم} فِي أَنفسكُم من الْقَتْل والجراحات.

قَالَ: (مُحَمَّد): قيل: أَي: ليَكُون غمكم" بأنكم خالفتم النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام فَقَط.(3)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {153} {إِذْ تُصْعِدُونَ} يَعْنِي: وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ إِذْ تصعدون هاربين وَالْإِصْعَادُ: السَّيْرُ فِي مُسْتَوَى الْأَرْضِ، وَالصُّعُودُ: الِارْتِفَاعُ عَلَى الْجِبَالِ وَالسُّطُوحِ، قَالَ: (أَبُو حَاتِمٍ): يُقَالُ أَصْعَدْتَ إِذَا مَضَيْتَ حِيَالَ وَجْهِكَ، وَصَعِدْتَ إِذَا ارْتَقَيْتَ فِي جَبَلٍ أَوْ غَيْرِهِ،
وَقَالَ: (الْمُبَرِّدُ): أَصْعَدَ إِذَا أبعد في الذهاب.

---

(1) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (153)، للإمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (153).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (153) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

{وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ} أَيْ: لاَ تَعْرُجُونَ وَلا تقيمُونَ على أحد، لا يَلْتَفِتُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ.

{وَالرسول- يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ} أَيْ: فِي آخركُمْ وَمِنْ ورائكُمْ إلي عباد الله أنا رَسُولُ اللَّه مَنْ يَكرُّ فَلَهُ الجنة،

{فَأَثَابَكُمْ} فَجَازَاكُمْ، جَعَلَ الْإِثَابَةَ بِمَعْنَى الْعِقَابِ، وَأَصْلُهَا فِي الْحَسَنَاتِ لِأَنَّهُ وَضَعَهَا مَوْضِعَ الثَّوَابِ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} جَعَلَ الْبِشَارَةَ فِي الْعَذَابِ، وَمَعْنَاهُ: جعل مكان الثواب الذين كنتم ترجون.

{غَمًّا بِغَمٍّ}. يَعْنِي:- الْبَاءُ بِمَعْنَى عَلَى، أَيْ: غَمًّا عَلَى غَمٍّ،

وقيل: غَمًّا مُتَّصِلًا بِغَمٍّ، فَالغَمُّ الْأَوَّلُ: مَا فَاتَهُمْ مِنَ الظَّفَرِ وَالْغَنِيمَةِ، وَالْغَمُّ الثَّانِي: ما نالوا مِنَ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ،

وقيل: الْغَمُّ الْأَوَّلُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ والجراح، والغم الثاني: أَنَّ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ قُتِلَ فَأَنْسَاهُمُ الْغَمَّ الْأَوَّلَ،

وقيل: الْغَمُّ الْأَوَّلُ: إِشْرَافُ (خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ) عَلَيْهِمْ بِخَيْلِ الْمُشْرِكِينَ،

وَالْغَمُّ الثَّانِي: حِينَ أَشْرَفَ عليهم (أَبُو سُفْيَانَ)، وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى وَقَفُوا بِبَابِ الشِّعْبِ، فَلَمَّا نَظَرَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيهِم همهم ذلك وَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَمِيلُونَ عَلَيْهِمْ فَيَقْتُلُونَهُمْ فَأَنْسَاهُمْ هَذَا مَا نَالَهُمْ،

فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا اللَّهُمَّ إِنْ تُقْتَلْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لاَ تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ))، ثُمَّ نَدَبَ أَصْحَابَهُ فَرَمَوْهُمْ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَنْزَلُوهُمْ.

يَعْنِي:- إِنَّهُمْ غَمُّوا الرسول- بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، فَجَازَاهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْغَمِّ غَمَّ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ،

قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِكَيْلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ} مِنَ الْفَتْحِ وَالْغَنِيمَةِ،

{وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ} أَيْ: وَلاَ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ، {وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} {آل عمران: 153}.[1]

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ} أَيْ: صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ {إِذْ تُصْعِدُونَ} أَيْ: فِي الْجَبَلِ هَارِبِينَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ.

وَقَرَأَ (الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ): {إِذْ تَصْعَدُونَ} أَيْ: فِي الْجَبَلِ {وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ} أَيْ: وَأَنْتُمْ لاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الدَّهَشِ وَالْخَوْفِ وَالرُّعْبِ.

{وَالرسول- يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ} أَيْ: وَهُوَ قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُوركم يَدْعُوكُمْ إِلَى تَرْكِ الْفِرَارِ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَإِلَى الرَّجْعَةِ وَالْعَوْدَةِ وَالْكَرَّةِ.

قَالَ: (السُّدِّيِّ): لَمَّا شَدّ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِأُحُدٍ فَهَزَمُوهُمْ، دَخَلَ بَعْضُهُمُ الْمَدِينَةَ، وَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ الْجَبَلِ إِلَى الصَّخْرَةِ فَقَامُوا عَلَيْهَا، وَجَعَلَ الرسول- - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدْعُو النَّاسَ: "إِلَيَّ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (153).

عبَادَ الله، إلَيَّ عبَادَ اللَّه". فَذَكَرَ اللَّهُ صُعُودَهُمْ عَلَى الْجَبَلِ، ثُمَّ ذَكَرَ دُعَاء النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- إِيَّاهُمْ فَقَالَ: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرسول يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ}.

وَكَذَا قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(الرَّبِيعُ)، وَ(ابْنُ زَيْدٍ). (1)

* * *

كما قال: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (الْمُسْنَد) - (بسنده):- حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا زُهَيرٌ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ أَنَّ (الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ) قَالَ: جَعَلَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عَلَى الرُّمَاة يَوْمَ أُحُدٍ -وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا- (عَبْدَ اللَّه بْنَ جُبَيْرٍ) قَالَ: وَوَضَعَهُمْ مَوْضعًا وَقَالَ: "إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخَطَّفُنَا الطَّيْرُ فَلا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرسلَ إِلَيْكُمْ وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَى الْعَدُوّ وأوطأناهُمْ فَلا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرسلَ إِلَيْكُمْ قَالَ: فَهَزَمُوهُمْ. قَالَ: فَأَنَا وَاللَّه رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتددن عَلَى الْجَبَلِ، وَقَدْ بَدَتْ أَسْوُقُهنّ وخَلاخلُهُن رَافعَاتٌ ثيَابهُن، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْد اللَّه: الْغَنيمة، أَيْ قَوْمُ الْغَنيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظرُونَ ؟ قَالَ: (عَبْدُ اللَّه بْنُ جُبَيْر): أَنَسيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-؟ فَقَالُوا: إنا والله لَنَأتيَن النَاسَ فَلَنُصيبَنَّ منَ الْغَنيمَة. فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرفَتْ وُجُوهُهُمْ فَأَقْبَلُوا مُنْهَزمينَ، فَذَلك الَّذي يَدْعُوهُمُ الرسول- في أُخْرَاهُمْ. فَلَمْ يَبْقَ مَعَ رَسُولِ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فَأَصَابُوا منَّا سَبْعِينَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وأصحابُه أَصَابُوا منَ الْمُشْرِكينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمائَةً: سَبْعِينَ أَسيرًا وَسَبْعِينَ قَتيلًا. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ أَفي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ أَفي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ -ثَلَاثًا -قَالَ: فَنَهَاهُمْ رسولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أَنْ يُجيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفي الْقَوْمِ ابْنُ أَبي قُحَافَةَ؟ أَفي الْقَوْمِ ابْنُ أَبي قُحَافَةَ؟ أَفي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّاب؟ أَفي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّاب؟ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابه فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلاء فَقَدْ قُتلُوا، قَدْ كُفيتُمُوه. فَمَا مَلَكَ عُمَر نفسَه أَنْ قَالَ: كَذبتَ وَاللَّه يَا عَدُوَّ اللَّه، إنَّ الَّذينَ عَدَدْتَ لأَحْيَاءٌ كُلُّهُم، وقد بَقيَ لَكَ مَا يسوؤك. فَقَالَ: يَوْمٌ بيَوْم بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سجَال، إنَّكُم سَتَجدُونَ في الْقَوْم مُثْلَةً لَم آمُرْ بهَا وَلَمْ تَسُؤْني ثُمَّ أَخَذَ يرتَجزُ، يَقُولُ: اعلُ هُبَلْ. اعلُ هُبَلْ. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ:-"أَلاَ تُجيبُوه ؟ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: "قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ". قَالَ: لَنَا العُزَّى ولَا عزَّى لَكُم. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ:-"أَلا تُجيبُوهُ؟ ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، وَمَا نَقُولُ؟ قَالَ: "قُولُوا: اللهُ مَوْلانَا وَلا مَوْلَى لَكُمْ" (2).

وَقَدْ رَوَاهُ الإمام (الْبُخَاريُّ) منْ حَديث زُهَير بْنِ مُعَاوِيَةَ مُخْتَصَرًا، وَرَوَاهُ منْ حَديث

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (153)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) (صَحيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (293/4) وبرقم (18616).

إسرائيل، عن أبي إسحاق بأبسط من هذا، كما تقدَّم. والله أعلم. (1)

* * *

وروى الإمام (البَيْهَقِيُّ) في (دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ):- من حديث عُمارة بن غزيَّة، عن (أبي الزُّبير)، عن (جابر) قال: انْهزم النَّاسُ عن رسول اللَّه - صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم - يوم أُحُد وبقي معه أحد عشر رجلًا من الأنصار، وطلحة بن عُبيد اللَّه وهو يصعد الجبل، فلقيهم المُشركون، فقال: "ألا أحدٌ لهؤلاء؟" فقال طلحة: أنا يا رسول اللَّه، فقال: "كما أنت يا طلحة". فقال: رجلٌ من الأنصار: فأنا يا رسول اللَّه، فقاتل عنه، وصعد رسول اللَّه - صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم -ومن بقي معه، ثم قُتل الأنصاريُّ فلحقوه فقال: "ألا رجلٌ لهؤلاء؟" فقال طلحة مثل قوله، فقال: رسول اللَّه- صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم- مثل قوله، فقال: رجلٌ من الأنصار: فأنا يا رسول اللَّه، فقاتل عنه وأصحابه يصعدن، ثم قُتل فلحقوه، فلم يزل يقول مثل قوله الأوَّل فيقول طلحة: فأنا يا رسول اللَّه، فيحبسه، فيستأذنه رجلٌ من الأنصار للقتال فيأذن له، فيقاتل مثل من كان قبله، حتَّى لم يبق معه إلا طلحة فغشوهما، فقال: رسول اللَّه - صلَّى اللَّه عليه وسلَّم- : "من لهؤلاء؟" فقال: (طلحة): أنا. فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأُصيبت أنامله، فقال: حس، فقال: رسول اللَّه: "لو قلت: باسم الله، وذكرت اسم اللَّه، لرفعتك الملائكة والنَّاس ينظرون إليك، حتَّى تلج بك في جوِّ السَّماء"، ثم صعد رسول اللَّه -صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم -إلى أصحابه وهم مُجتمعون. (2)

* * *

وقد روى الإمام (البُخَارِيُّ)، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن إسماعيل، عن قيس بن أبي حازم قال: رأيتُ يد طلحة شلاء وقى بها النَّبيَّ -صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم -يعني يوم أُحد . (3)

* * *

وفي الصَّحيحَيْن:

وقال: الإمامْ (البُخَاري و مُسلِم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما):- من حديث مُعْتمر بن سُليمان، عن أبيه، عن (أبي عُثمان النَّهْدي) قال: لم يبق مع رسول اللَّه -صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم- في بعض تلك الأيَّام، الَّتي قاتل فيهنَّ رسول اللَّه -صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم – غير (طلحة بن عُبيد اللَّه وسعد)، عن حديثهما. (4) وقال: (حمَّادُ بنُ سلَمة) عن (عليِّ بن زيد) و(ثابت) عن (أنس بن مالك)" أنَّ رسول اللَّه – صلَّى اللَّهُ عليه

---

(1) (صحيح): رواه مختصراً الإمامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3039) – (كتاب: الجهاد و السير).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (153)، للإمامْ (ابن كثير). .

(2) (صحيح): رواه الإمام (البيهقي) في (الدلائل النبوة) برقم (236/3).
و(صححه) الإمامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (2796).

(3) (صحيح): رواه مختصراً الإمامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4063) – (كتاب: المغازي).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (153)، للإمامْ (ابن كثير)..

(4) (متفق عليه): أخرجه الإمامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3723) – (كتاب: المناقب).
وأخرجه الإمامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2414) – (كتاب: الفضائل الصحابة).

وَسَلَّمَ- أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ورَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوه قَالَ: ((مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا ولَهُ الْجَنَّةُ -أَوْ: وَهُوَ رَفِيقِي فِي الجنةِ؟)) - فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ: ((مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا ولَهُ الْجَنَّةُ؟)) فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِصَاحِبَيْهِ: ((مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابنا)).

رَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ) عَنْ (هُدبةَ بْنِ خَالِدٍ)، عَنْ (حَمَّادِ بْنِ مسلمة) به نَحْوَهُ.(1)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):- وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ) حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنْ بَعْضِ آلِ سَعْدٍ، عَنْ (سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) "أَنَّهُ رَمَى يَوْمَ أُحُدٍ دون رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: (سَعْدٌ): فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُنَاوِلُنِي النَّبْلَ وَيَقُولُ: "ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وأُمِّي" حَتَّى إِنَّهُ لَيُنَاوِلُنِي السَّهْمَ لَيْسَ لَهُ نَصْلٌ، فَأَرْمِي بِهِ.(2)

* * *

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ:

وقال: الإمَامْ (البُخَاري و مُسلِم) - (رحمهما اللَّه) - في (صحيحهما) - (بسندهما):- مِنْ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ (سَعْدِ بْنِ أَبِي وقَّاصٍ) قَالَ: رَأَيْتُ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ يَمِينِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَنْ يَسَارِهِ رَجُلَيْنِ، عَلَيهما ثِيَابٌ بِيضٌ، يُقَاتِلَانِ عَنْهُ أَشَدَّ الْقِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا بَعْدَهُ، يَعْنِي: جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ - عَلَيهما السَّلَامُ -.(3)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):- وَذَكَرَ (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ) قَالَ: لَمَّا أَسْنَدَ رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- في الشِّعْبِ، أَدْرَكَهُ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ وَهُوَ يَقُولُ: لَا نجوتُ إِنْ نجوتَ فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَعْطِفُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَّا؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-"دَعُوهُ" فَلَمَّا دَنَا تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْحَرْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصِّمَّةِ، فَقَالَ: بَعْضُ الْقَوْمِ مَا ذَكَرَ لِي: فَلَمَّا أَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مِنْهُ انْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً، تَطَايَرْنَا عَنْهُ تَطَايُرَ الشّعْرِ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تدأدأ مِنْهَا عَنْ فَرَسِهِ مرارًا.(4)

* * *

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1789) – (كتاب: الجهاد والسير).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (153)، للإمَامْ (ابن كثير).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4055) – (كتاب: المغازي).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (153)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4054) – (كتاب: المغازي).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2306) – (كتاب: الفضائل).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (153)، للإمَامْ (ابن كثير).

(4) رواه الإمام (ابن هشام) في (السيرة) برقم (2/83).
و رواه الإمام (البيهقي) في (الدلائل) برقم (3/237).

وَثبَت في الصَّحيحَيْن:

وقال الإمَامُ (البُخَاري و مُسلم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما):- مِنْ روايَة الإمام (عَبْد الرزَّاق)، عَنْ معْمَر، عَنْ همَّام بْن مُنَبِّه، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَة) رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ= : ((اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْم فَعَلُوا برَسُول الله –وَهُوَ حينَئذ يُشيرُ إلَى رَبَاعيَته- اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى رَجُل يَقْتُلُهُ رَسُولُ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في سَبِيل الله)) (1).

* * *

وروَاهُ الإمام (البُخَاريُّ) أَيْضًا مِنْ حَديث ابْن جُريج، عَنْ عَمْرو بْن دينَار، عَنْ (عكْرمَة)، عَنْ (ابْن عبَّاس) قَالَ: اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّه عَلَى مَنْ قَتَلَهُ رَسُولُ اللَّه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، بيَده في سَبيل اللَّه، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّه عَلَى قَوْم دَمَّوا وَجْهَ رَسُول اللَّه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- (2).

* * *

وَقَالَ: الإمام (مُحَمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ بْن يَسَار)، (رَحمَهُ اللَّهُ): أُصيبَتْ رَبَاعيَةُ رَسُول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وَشُجَّ في وَجْنَته، وكُلمَت شَفَتُه وكَانَ الَّذي أَصَابَهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبي وَقَّاص.

فَحدَّثني صَالحُ بْنُ كَيْسان، عمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ سَعْد بْن أَبي وَقَّاص، قَالَ: مَا حَرَصْتُ عَلَى قَتْل أَحَد قَطّ مَا حَرَصْتُ عَلَى قَتْل عُتْبَة بْن أَبي وَقَّاص وَإنْ كَانَ مَا علمْتُهُ لَسَيِّئَ الخُلُق، مُبْغَضًا في قَوْمه، وَلَقَدْ كَفَاني فيه قَوْلُ رَسُول اللَّه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ:-((اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى مَنْ دَمَّى وَجْهَ رَسُول اللَّه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-)) (3).

* * *

وَقَالَ: الإمام (عَبْدُ الرَّزَّاق): أَنْبَأَنَا معْمَر، عَن الزُّهْري، عَن عُثْمَانَ الجزَري، عَنْ مقْسَم" أَنَّ رَسُولَ اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- دعَا عَلَى عُتْبَة بْن أَبي وَقَّاص يَوْمَ أُحُد حينَ كَسر رَبَاعيَته ودمى وجْهَهُ فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ لاَ تُحل عَلَيْه الْحَوْلَ حَتَّى يموت كَافرًا)). فَمَا حَالَ عَلَيْه الحولُ حَتَّى مَاتَ كَافرًا إلَى النَّار (4).

* * *

وَقَدْ ثَبَتَ في الصَّحيحَيْن:

وقال الإمَامُ (البُخَاري و مُسلم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما):- مِنْ طَرِيق – عَبْد العَزِيز بْن أَبي حَازم عَنْ أَبيه، عَنْ (سَهْل بْن سَعْد) أنه سُئلَ عَنْ جُرح رَسُول اللَّه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فَقَالَ: جُرح وَجْهُ رَسُول اللَّه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، وكسرت رَبَاعيتُه، وهُشِمَت البَيْضَة عَلَى رَأْسه، فَكَانَتْ فَاطمَةُ بنْتُ رَسُول اللَّه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-

---

نظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (153)، للإمَام (ابن كثير).

(1) رواه (ابن هيشام) في (السيرة) برقم (86/2)، و(سيرة ابن إسحاق) (ظاهرية ق 172).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (153)، للإمَام (ابن كثير).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَام (البُخَاري) في (صحيحه) رقم (4074)، (4076).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (153)، للإمَام (ابن كثير).

(4) انظر: تفسير الإمام (عبد الرزاق) رقم (136/1).
و(تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (153)، للإمَام (ابن كثير).

تغْسِـلُ الـدَّمَ، وكَـانَ علـي يسْـكُبُ عَلَيْهَـا بـالمِجَنّ فَلَمَّـا رَأَتْ فَاطمَـةُ - رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهَـا- أَنَّ الْمَـاءَ لاَ يزيـدُ الـدَّمَ إلاَ كَثْـرَةً، أَخَـذَتْ قطعـةَ حَصِـير فَأَحْرَقَتْـهُ، حَتَّـى إِذا صَـارَ رَمَـادًا أَلْصَقَتْهُ بـالجُرح، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ (1).

* * *

وَقَوْلُـهُ: {فَأَثَـابَكُمْ غَمًّـا بِغَـمٍّ} أَيْ: فَجَـازَاكُمْ غمـا عَلَـى غـم كَمَـا تَقُـولُ الْعَـرَبُ: نَزَلْـتُ بِبَنِـي فُلَانٍ، وَنَزَلْتُ عَلَى بَنِي فُلَانٍ.

قَـالَ: الإمـام (ابْـنُ جَرِيـرٍ): وَكَـذَا قَوْلُـهُ: {وَلأُصَـلِّبَنَّكُمْ فِـي جُـذُوعِ النَّخْلِ} {طه: 71} أَيْ: عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ.

قَـالَ: (ابْـنُ عَبَّـاسٍ): الْغَـمُّ الْـأَوَّلُ: بِسَـبَبِ الْهَزِيمَـةِ، وَحِـينَ قِيـلَ: قُتِـلَ مُحَمَّـدٌ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-، وَالثَّـانِي: حِـينَ عَلاَهُـمُ الْمُشْـرِكُونَ فَـوْقَ الْجَبَـلِ، وَقَـالَ النَّبِـيُّ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ:- ((اللَّهُـمَّ لَـيْسَ لَهُـمْ أَنْ يَعْلُونَا)).

وَعَـنْ (عَبْـدِ الـرَّحْمَنِ بْـنِ عَـوْفٍ): الْغَـمُّ الْـأَوَّلُ: بِسَـبَبِ الْهَزِيمَـةِ، وَالثَّـانِي: حِـينَ قِيـلَ: قُتِـلَ مُحَمَّـدٌ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-، كَـانَ ذَلِـكَ عِنْدَهُمْ أَعْظَمَ مِنَ الْهَزِيمَةِ.

رَوَاهُمَا (ابْنُ مَرْدُوَيْهِ)،

وَرُوِيَ عَنْ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) نَحْوُ ذَلِكَ.

وَذَكَـرَ (ابْـنُ أَبِـي حَـاتِمٍ) عَـنْ (قَتَـادَةَ) نَحْـوَ ذَلِـكَ أَيْضًا.

وَقَالَ: (السُّدِّي): الْغَمُّ،

الْأَوَّلُ: بِسَبَبِ مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَالْفَتْحِ،

وَالثَّانِي: بِإِشْرَافِ الْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ.

وَقَـالَ: (مُحَمَّـدُ بْـنُ إِسْـحَاقَ): {فَأَثَـابَكُمْ غَمًّـا بِغَـمٍّ} أَيْ: كَرْبـا بَعْـدَ كَـرْبٍ، قَتْـلِ مَـنْ قُتِـلَ مِـنْ إِخْـوَانِكُمْ، وعُلُـو عَـدُوِّكُمْ عَلَـيْكُمْ، وَمَـا وَقَـعَ فِـي أَنْفُسِـكُمْ مِـنْ قَـوْلِ مَـنْ قَـالَ: "قُتِـلَ نَبِـيُّكُمْ" فَكَانَ ذلِكَ مُتَتَابِعًا عَلَيْكُمْ غمًّا بِغَمٍّ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(قَتَادَةُ): الْغَمُّ،

الْأَوَّلُ: سَمَاعُهُمْ قَتْلَ مُحَمَّدٍ،

وَالثَّانِي: مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ.

وَعَنْ (قَتَادَةَ)، وَ(الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ) عكسُه.

وَعَـنِ (السُّـدِّيِّ): الْـأَوَّلُ: مَـا فَـاتَهُمْ مِـنَ الظَّفَـرِ وَالْغَنِيمَـةِ، وَالثَّـانِي: إِشْـرَافُ الْعَـدُوِّ عَلَـيْهِمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا عَنِ السُّدِّيِّ.

قَـالَ: الإمـام (ابْـنُ جَرِيـرٍ): وَأَوْلَـى هَـذِهِ الْـأَقْوَالِ بِالصَّـوَابِ قَـولُ مَـنْ قَـالَ: {فَأَثَـابَكُمْ غَمًّـا بِغَـمٍّ} فَأَثَـابَكُمْ بغمكُـم أَيُّهَـا الْمُؤْمِنُـونَ بِحرمَـانِ اللَّـهِ إِيَّـاكُمْ غنيمـةَ الْمُشْـرِكِينَ والظَّفـر بِهِـمْ والنصـر عَلَـيْهِمْ، وَمَـا أَصَـابَكُمْ مِـنَ الْقَتْـلِ وَالْجِـرَاحِ يَوْمَئِـذٍ -بَعْـدَ الَّـذِي أَرَاكُـمْ فِـي كُـلِّ ذَلِـكَ مَـا تُحِبُّـونَ -بِمَعْصِـيَتِكُمْ رَبَّكُـمْ، وَخِلَافِكُـمْ أَمْـرَ النَّبِـيِّ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-، غَـم ظَـنِّكُمْ أَنَّ نَبِـيَّكُمْ قَـدْ قُتِـلَ، وَمَيْـلِ الْعـدو علـيكم بعـد فُلولكم منهم.

وَقَوْلُـهُ: {لِكَـيْلا تَحْزَنُـوا عَلَـى مَـا فَـاتَكُمْ} أَيْ: عَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِعَدُوِّكُمْ.

(1) (متفـق عليـه): أخرجـه الإمَـامْ (البُخَـارِي) في (صـحيحه) بـرقم (2911)-(كتاب: الجهاد والسير).
وأخرجـه الإمَـامْ (مُسْلِمْ) في (صـحيحه) بـرقم (1790)-(كتـاب: الجهـاد والسير).
و(تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (آل عمـران) الآيـة (153)، للإمَـامْ (ابـن كثير).

{وَلا مَا أَصَابَكُمْ} مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ، قَالَهُ (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوفٍ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(السُّدِّيُّ) {وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}. (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- التحذير من طاعة الكفار والسير في أهوائهم، فعاقبة ذلك الخسران في الدنيا والآخرة.
- إلقاء الرعب في قلوب أعداء الله صورة من صور نصر الله لأوليائه المؤمنين.
- من أعظم أسباب الهزيمة في المعركة التعلق بالدنيا والطمع في مغانمها، ومخالفة أمر قائد الجيش.
- من دلائل فضل الصحابة أن الله يعقب بالمغفرة بعد ذكر خطئهم. (2)

* * *

[١٥٤] ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (153)، للإِمَامْ (ابن كثير)...

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (69/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (156) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (157)

هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ثم أنزل عليكم بعد الألم والضيق طمأنينة وثقة، جعلت طائفة منكم -وهم الواثقون بوعد الله- يغطيهم النعاس مما في قلوبهم من أمن وسكينة، وطائفة أخرى لم ينلهم أمن ولا نعاس، وهم المنافقون الذين لا هَمَّ لهم إلا سلامة أنفسهم، فهم في قلق وخوف، ويظنون بالله ظن السوء، من أن الله لا ينصر رسوله ولا يؤيد عباده، كظن أهل الجاهلية الذين لم يَقْدُروا الله حق قدره، يقول هؤلاء

المنافقون لجهلهم بالله: ليس لنا من رأيٍ في أمر الخروج إلى القتال، ولو كان لنا ما خرجنا، قل أيها النبي - مجيبًا هؤلاء: إن الأمر كله لله، فهو الذي يُقدِّر ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو من قدَّر خروجكم. وهؤلاء المنافقون يخفون في أنفسهم من الشك وظن السوء ما لا يظهرون لك، حيث يقولون: لو كان لنا في الخروج رأي ما قُتلنا في هذا المكان، قل: أيها النبي-ﷺ- ردًّا عليهم: لو كنتم في بيوتكم بعيدين عن مواطن القتل والموت" لخرج من كَتبَ الله عليه القتل منكم إلى حيث يكون قَتْلهم. وما كتب الله ذلك إلا ليختبر ما في صدوركم من نيات ومقاصد، ويميز ما فيها من إيمان ونفاق، والله عليم بالذي في صدور عباده لا يخفى عليه شيء منها.(1)

* * *

يَعْنِي:- ثم كان من رحمة الله بالمؤمنين المخلصين أن ألقى في قلوبهم من بعد ما نزل بها من هم وغم اطمئنانًا وثقة في وعد الله، وكان من أثره نعاس غَشِي طائفة منهم، وهم أهل الإخلاص واليقين، وطائفة أخرى أهمَّهم خلاص أنفسهم خاصة، وضَعُفَتْ عزيمتهم وشُغلوا بأنفسهم، وأساؤوا الظن بربهم وبدينه وبنبيه، وظنوا أن الله لا يُتمّ أمر رسوله، وأن الإسلام لن تقوم له قائمة، ولذلك تراهم نادمين على خروجهم، يقول بعضهم لبعض: هل كان لنا من اختيار في الخروج للقتال؟ قل لهم أيها الرسول-:- إن الأمر كلَّه لله، فهو الذي قدَّر خروجكم وما حدث لكم، وهم يُخْفون في أنفسهم ما لا يظهرونه لك من الحسرة على خروجهم للقتال، يقولون: لو كان لنا أدنى اختيار ما قُتلنا هاهنا. قل لهم: إن الآجال بيد الله، ولو كنتم في بيوتكم، وقدَّر الله أنكم تموتون، لخرج الذين كتب الله عليهم الموت إلى حيث يُقْتلون، وما جعل الله ذلك إلا ليختبر ما في صدوركم من الشك والنفاق، وليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال. والله عليم بما في صدور خلقه، لا يخفى عليه شيء من أمورهم.(2)

* * *

ثم أسبغ الله عليكم من بعد الغم نعمة أمن، وكان مظهرها نعاساً يغشى فريق الصادقين فى إيمانهم وتفويضهم لله، أما الطائفة الأخرى فقد كان همهم أنفسهم لا يعنون إلا بها، ولذلك ظنوا بالله الظنون الباطلة كظن الجاهلية، يقولون مستنكرين: هل كان لنا من أمر النصر الذى وعدنا به شئ؟ قل: أيها النبى ﷺ: - الأمر كله فى النصر والهزيمة لله، يصرف الأمر فى عباده إن ا تخذوا أسباب النصر، أو وقعوا فى أسباب الهزيمة. وهم إذ يقولون ذلك يخفون فى أنفسهم أمراً لا يبدونه. إذ يقولون فى أنفسهم: لو كان لنا اختيار لم نخرج فلم نغلب. قل لهم: لو كنتم فى منازلكم وفيكم من كتب عليهم القتل لخرجوا إلى مصارعهم فقتلوا. وقد

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (70/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (70/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

فعل الله ما فعل في أحد لمصالح جمة، ليختبر ما في سرائركم من الإخلاص وليطهر قلوبكم، والله يعلم ما في قلوبكم من الخفايا علماً بليغاً. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَمَنَةً} ... أَمْنًا، وَعَدَمَ خَوْفٍ.

{نُعَاسًا} ... النُّعَاسُ: اسْتِرخاءٌ يُصِيبُ الجسمَ قَبْلَ النومِ، قيل: هُوَ أَخَفُّ من النوم.

{نُعاساً} ... بدل من أَمَنَةً ويجوز أن يكون هو المفعول، وأَمَنَةً حال منه مقدمة عليه.

{طَائِفَةً مِنْكُمْ} ... هم أهل الصدق واليقين.

{وَطائفَةٌ} ... هم المنافقون.

{قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ} ... أي: لا يُفَكِّرُونَ إلا في نجاة أنفسهم غيرَ مُكْتَرِثِينَ بما أصابَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابَه.

{قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ} ... أي: ما بهم إلا هم أنفسهم، لا هم الدين، ولا هم الرسول - صلّى الله عليه وآله وسلم- والمسلمين.

{غَيْرَ الْحَقِّ} ... في حكم المصدر. والمعنى: يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظهر به.

{ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} ... بدل منه. وقد يكون المعنى: يظنون بالله ظن الجاهلية، وغير الحق، تأكيد لقوله يَظُنُّونَ.

{يَقُولُونَ} ... لرسول الله- صلّى الله عليه وآله وسلم- يسألونه.

{هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ} ... أي: هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والإظهار على العدو.

{قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} ... وهو النصر والغلبة.

{إن الأمر كله لله} ... لما غلبنا قط، ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة.

{يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ} ... أي: يقولون لك فيما يظهرون: {هل لنا من الأمر شيء سؤال المؤمنين المسترشدين، وهم فيما يبطنون على النفاق، يقولون في أنفسهم، أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم: إن الأمر كله لله.

{لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} ... أي: لو كان الأمر كما قال: محمد - صلّى الله عليه وآله وسلم:

{قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ} ... يعني: من علم الله أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع لم يكن بد من وجوده، فلو قعدتم في بيوتكم.

{لَبَرَزَ} ... من بينكم.

{الَّذِينَ} ... علم الله أنهم يقتلون.

{إلى مَضاجِعِهِمْ} ... أي: مصارعهم، ليكون ما علم الله أنه يكون.

{ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} ... هُوَ اعتقادُهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قُتِلَ أو أنه لا يُنْصَر.

{مَضَاجِعِهِمْ} ... مَصَارِعِهِمْ.

{وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ} ... أي: وليمتحن الله ما في صدور المؤمنين من الإخلاص.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (95/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ} ... ليختبرَ ما في صدوركم من الإخلاص.

{وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ} ... التمحيص: هُوَ التمييزُ وهو إظهارُ شيءٍ من شيءٍ، كإظهارِ الإيمان من النِّفَاق، وَالحُبِّ من الكُرْه.

{وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ} ... من وساوس الشيطان.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} ... أي: ما فيها من خير وشر. وذات الصدور، هي الصدور، لأن ذات الشيء نفسه.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} ... بالأشياءِ الموجودةِ فيها وهي الأسرارُ والضمائرُ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ} يقول تعالى: ممتنا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة وهو النعاس الذي غشيهم وهم مشتملون السلاح في حال همهم وغمهم والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمنة، كما قال في سورة (الأنفال) في قصة بدر {إذ يغشيكم النعاس أمنة منه} الآية. (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- حدثني إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن أبو يعقوب حدثنا حسين بن محمد حدثنا شيبان عن (قتادة) حدثنا (أنس) أن (أبا طلحة) قال: غشينا النعاسُ ونحن في مصافِّنا يوم أحد، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُننِه) - (بسنده): حدثنا عبد بن حميد، حدثنا روح بن عبادة، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن (أنس)، عن (أبي طلحة) قال: رفعتُ رأسي يوم أحد فجعلت أنظر، وما منهم يومئذ أحدٌ إلا يميد تحت حجفته من النعاس، فذلك قوله عز وجل: {ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً} .

حدثنا عبد بن حميد. حدثنا رَوح بن عبادة عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير مثله.

قال: (أبو عيسى): هذا حديث (حسن صحيح). (3)

* * *

---

(1) انظر: سورة (آل عمرآن) الآية (154) في (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير). .

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (76/8)، (ح 4562) - (كتاب: تفسير القرآن)- (سورة آل عمران) .

(3) اخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (229/5)، (ح 3007) - (كتاب: التفسير)./ باب: سورة آل عمران)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (297/2). و(صححه) ووافقه الإمام (الذهبي).
وأخرجه الإمام (الضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (62/3)، (ح 866) - من طريق-: الإمام (الترمذي) به،
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي) .
ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمرآن) الآية (154)، برقم (ص471/1).

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو نعيم ووكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن (عبد الله بن مسعود) قال: النعاس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان.(1)

ورجاله ثقات إلا (عاصماً) صدوق و(إسناده حسن).

* * *

قوله تعالى: {وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ}.

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (محمد بن إسحاق) - عن (ابن عباس): قال: معتّب الذي قال يوم أحد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: {وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله} . إلى آخره القصة.

(عبد الله بن مسعود) قال: النعاس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قال: والطائفة الأخرى المنافقون، ليس لهم هم إلا أنفسهم، أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق، يظنون بالله غير الحق ظنونا كاذبة، إنما هم شك وريبة في أمر الله: {يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): في قوله: (ظن الجاهلية) قال: ظن أهل الشرك.(4)

* * *

قوله تعالى: {لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا}.

قال: الإمام (الضياء المقدسي) - (رحمه الله) - في (المختارة): أخبرنا أبو هاشم الحسين بن محمد علي الحربادقاني -بأصبهان- أن محمد بن أحمد بن محمد البَاغبان أخبرهم -قراءة عليه- أنا أبو الحسين أحمد بن عبد الرحمن الذكواني، أنا أبو بكر أحمد بن مردويه الحافظ، نا دَعْلج بن أحمد، نا عبد الله بن الحسن الحراني، نا أبو جعفر النفيلي، نا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، حدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير قال: والله إني لأسمع قول مُعَتب بن قُشير أخي بني عمرو بن عوف، والنُّعاس يغشاني ما أسمعه إلا كالحُلم حين قال: {لو

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (154).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (154).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (541).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (154).

كـان لنـا مـن الأمـر شـيء في مـا قُتلنـا هـا هنا}. (1)

* * *

قـال: الإِمَـامْ (عبـد الـرزاق) - (رحمـه الله) - في (تفسيره) - (بسنده): قَـالَ: أنـا مَعْمَـرٌ , فـي قَوْلِـه تَعَـالَى: {أَمَنَـةً نُعَاسًـا} {آل عمـران: 154} قَـالَ: أَلْقَـى اللَّـهُ عَلَـيْهِمُ النُّعَـاسَ , وَكَـانَ ذَلِكَ أَمَنَـةً لَهُـمْ قَـالَ: وَذَكَـرَ أَنَّ أَبَـا طَلْحَـةَ قَـالَ: أُلْقِـيَ عَلَـيَّ النُّعَـاسُ يَوْمَئِـذٍ , فَكُنْـتُ أَنْعَـسُ حَتَّـى يَسْقُطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي. (2)

* * *

قـال: الإِمَـامْ (عبـد الـرزاق) - (رحمـه الله) - في (تفسيره) - (بسنده): أنـا مَعْمَـرٌ , عَـنْ (قَتَـادَةَ), فِـي قَوْلِـهِ تَعَـالَى: {ظَـنَّ الْجَاهِلِيَّـةِ} {آل عمران: 154} قَالَ: (ظَنَّ أَهْلِ الشِّرْكِ). (3)

* * *

قـال: الإِمَـامْ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسـيره):- {154} {ثُـمَّ أَنْـزَلَ عَلَـيْكُمْ} يَـا مَعْشَـرَ الْمُسْـلِمِينَ، {مِـنْ بَعْـدِ الْغَـمِّ أَمَنَـةً} يَعْنِـي: أَمْنًـا، وَالْـأَمْنُ وَالْأَمَنَـةُ بِمَعْنًـى وَاحِدٍ،

يَعْنِـي:- الْـأَمْنُ يَكُـونُ مَـعَ زَوَالِ سَـبَبِ الْخَـوْفِ، وَالْأَمَنَـةُ مَـعَ بَقَـاءِ سَـبَبِ الْخَـوْفِ، وَكَـانَ سَـبَبُ الخـوف هنـا قائمـا، {نُعَاسًـا} بَـدَلٌ مِـنَ الْأَمَنَـةِ.

{يَغْشَـى طَائِفَـةً مِـنْكُمْ} قَـرَأَ حَمْـزَةُ وَالْكِسَـائِيُّ (تَغْشَـى) بِالتَّـاءِ رَدًّا إِلَـى الْأَمَنَـةِ، وَقَـرَأَ الْآخَرُونَ بالياء ردا إلى النُّعَاسِ،

قَـالَ: (ابْـنُ عَبَّـاسٍ) - رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا:- أَمَّـنَهُمْ يَوْمَئِـذٍ بِنُعَـاسٍ يغشـاهم، هانمـا يَـنْعَسُ مَـنْ يَـأْمَنُ، وَالْخَـائِفُ لَا ينـام (يَغْشَـى طَائِفَـةً مِنْكُمْ) يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ،

{وَطَائِفَـةٌ قَـدْ أَهَمَّـتْهُمْ أَنْفُسُـهُمْ} يعنـي المنـافقين: قيـل: أراد تَمْيِيـزَ الْمُنَـافِقِينَ مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ، فَـأَوْقَعَ النُّعَـاسَ عَلَـى الْمُـؤْمِنِينَ حَتَّـى أَمِنُـوا، وَلَـمْ يُوقِـعْ عَلَـى الْمُنَـافِقِينَ، فَبَقُـوا فِـي الْخَـوْفِ قَـدْ أَهَمَّـتْهُمْ أَنْفُسُـهُمْ، أَيْ: حَمَلَـتْهُمْ عَلَـى الْهَمِّ يُقَالُ: أَمْرٌ مُهِمٌّ.

{يَظُنُّـونَ بِاللَّـهِ غَيْـرَ الْحَـقِّ} أَيْ: لَا يَنْصُـرُ مُحَمَّـدًا، يَعْنِـي:- ظَنُّـوا أَنَّ مُحَمَّـدًا -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ قُتِلَ،

{ظَـنَّ الْجَاهِلِيَّـةِ} أَيْ: كَظَـنِّ أَهْـلِ الْجَاهِلِيَّـةِ وَالشِّـرْكِ، {يَقُولُـونَ هَـلْ لَنَـا} مَـا لَنَـا، لَفْظُـهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ: جحد،

{مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ} يَعْنِي: النَّصْرَ،

{قُـلْ إِنَّ الْـأَمْرَ كُلَّـهُ لِلَّـهِ} قَـرَأَ أَهْـلُ الْبَصْـرَةِ بِرَفْـعِ الـلَّامِ عَلَـى الِابْتِـدَاءِ وَخَبَـرُهُ فِـي (لِلَّـهِ) وَقَـرَأَ الْـآخَرُونَ بِالنَّصْـبِ عَلَـى الْبَـدَلِ، يَعْنِـي:- عَلَـى النَّعْتِ،

{يُخْفُـونَ فِـي أَنْفُسِـهِمْ مَـا لَا يُبْـدُونَ لَـكَ يَقُولُـونَ لَـوْ كَـانَ لَنَـا مِـنَ الْـأَمْرِ شَـيْءٌ مَـا قُتِلْنَـا هَاهُنَـا} وَذَلِـكَ أَنَّ الْمُنَـافِقِينَ، قَـالَ: بَعْضُـهُمْ لِـبَعْضٍ: لَـوْ كَـانَ لَنَـا عُقُـولٌ لَـمْ نَخْـرُجْ مَـعَ مُحَمَّـدٍ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ مَكَّةَ وَلَمْ يُقْتَلْ رُؤَسَاؤُنَا،

يَعْنِي:- لَوْ كُنَّا عَلَى الحق ما قتلنا ههنا،

---

(1) اخرجـه الإِمَـامْ (الضـياء المقدسـي) في (المختـارة) بـرقم (60/3)، (ح 864).

وأخرجـه الإمـام (ابـن أبـي حـاتم) - عـن طريـق-: (ابـن إسـحاق) بـه، وبينـت أن (إسناده حسن)، (التفسير) برقم (620/2)، (ح 1697).

(2) انظـر: (تفسـير عبـد الـرزاق) في سـورة (آل عمـرآن) - الآيـة (154)، لِلإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني)

(3) انظـر: (تفسـير عبـد الـرزاق) في سـورة (آل عمـرآن) - الآيـة (154)، لِلإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق).

قَالَ: (الضَّحَّاكُ) عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ، يَعْنِي: التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: {لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا}، {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ} قُضِيَ،

{عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} مصارعهم،

{وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ} وليمْتحنَ اللهُ،

{مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ} يُخْرِجَ وَيُظْهِرَ،

{مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} بِمَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ خَيْرٍ وشر.(1)

* * *

قَالَ الإِمَامُ (ابْنُ كَثِيرٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- يَقُولُ تَعَالَى مُمْتَنًا عَلَى عِبَادِهِ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّكِينَةِ وَالأَمَنَةِ، وَهُوَ النُّعَاسُ الَّذِي غَشِيَهُمْ وَهُمْ مُسْتَلْئِمُو السِّلَاحِ فِي حَالِ هَمِّهِمْ وَغَمِّهِمْ، وَالنُّعَاسُ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ دَلِيلٌ عَلَى الْأَمَانِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الْأَنْفَالِ)، فِي قِصَّةِ بَدْرٍ: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} {الْأَنْفَال:11}.

وَقَالَ: الْإِمَامُ (مُحَمَّدُ عبد الرحمن ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، حدثنا أبو نعيم وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ) قَالَ: النُّعَاسُ فِي الْقِتَالِ مِنَ اللَّهِ، وَفِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ.

قَالَ: الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ): قَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ (قَتَادَةَ)، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ، حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا، يَسْقُطُ وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ.(2)

هَكَذَا رَوَاهُ فِي الْمَغَازِي مُعَلَّقًا. وَرَوَاهُ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ مُسْنَدًا عَنْ شَيْبَانَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: غَشِينَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِنَا يَوْمَ أُحُدٍ. قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ.

وَقَدْ رَوَاهُ الإِمَامُ (التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ)، مِنْ حَدِيثِ (حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ) قَالَ: رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أُحُدٍ، وَجَعَلْتُ أَنْظُرُ وَمَا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَا يميد تحت جحفته مِنَ النُّعَاسِ. لَفْظُ الإمام (التِّرْمِذِيِّ)، وَقَالَ: (حَسَنٌ صَحِيحٌ).

وَرَوَاهُ الإِمَامُ (النَّسَائِيُّ) أَيْضًا، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى، عَنْ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي قُتَيْبَةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عَدِيٍّ، كِلَاهُمَا عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ (أَنَسٍ) قَالَ: قَالَ: (أَبُو طَلْحَةَ): كُنْتُ فِيمَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ النُّعَاسُ -الْحَدِيثَ(3)

" فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ} يَعْنِي: أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالثَّبَاتِ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4562) – (كتاب: المغازي).

(2) اخرجه الإِمَامُ (الضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (60/3)، (ح 864).

وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) - عن طريق-: (ابن إسحاق(به، وبينت أن (إسناده حسن)، (التفسير) برقم (620/2)، (ح 1697).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4562، 4068)

واخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3007، 3008).

واخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11080).

وَالتَّوَكُّلِ الصَّادِقِ، وَهُمُ الْجَازِمُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُ رَسُولَهُ وَيُنْجِزُ لَهُ مَأْمُولَهُ،

وَلِهَذَا قَالَ: {وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ} يَعْنِي: لاَ يَغْشَاهُمُ النُّعَاسُ مِنَ الْقَلَقِ وَالْجَزَعِ وَالْخَوْفِ {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ}.

كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرسول- وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا} {الْفَتْحِ:12} وَهَكَذَا هَؤُلَاءِ، اعْتَقَدُوا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا ظَهَرُوا تِلْكَ السَّاعَةَ أَنَّهَا الْفَيْصَلَةُ وَأَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ بَادَ وأهلُه، هَذَا شَأْنُ أَهْلِ الرَّيْبِ وَالشَّكِّ إِذَا حَصَلَ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ الْفَظِيعَةِ، تَحْصُلُ لَهُمْ هَذِهِ الظُّنُونُ الشَّنِيعَةُ.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ {يَقُولُونَ} فِي تِلْكَ الْحَالِ: {هَلْ لَنَا مِنَ الأمْرِ مِنْ شَيْءٍ} قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّ الأمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ} ثُمَّ فَسر مَا أَخْفَوْهُ فِي أَنْفُسِهِمْ بِقَوْلِهِ: {يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا} أَيْ: يُسِرُّونَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} أَيْ: هَذَا قَدَرٌ مُقَدَّرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحُكْمٌ حَتْمٌ لاَ يُحَادُ عَنْهُ، وَلاَ مَنَاصَ مِنْهُ.

وَقَوْلُهُ: {وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ} أَيْ: يَخْتَبِرَكُمْ بِمَا جَرَى عَلَيْكُمْ، وَلِيَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَيُظْهِرَ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ لِلنَّاسِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ،

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أَيْ: بِمَا يَخْتَلِجُ فِي الصُّدُورِ مِنَ السَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) -رحمه الله- في (تفسيره):- {ثم أنزل عليكم من بعد الغم} الذي أصابكم {أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم}. ولا شك أن هذا رحمة بهم، وإحسان وتثبيت لقلوبهم، وزيادة طمأنينة؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف، فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس.

وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم هم إلا إقامة دين الله، ورضا الله ورسوله، ومصلحة إخوانهم المسلمين.

وأما الطائفة الأخرى الذين {قد أهمتهم أنفسهم} فليس لهم هم في غيرها، لنفاقهم أو ضعف إيمانهم، فلهذا لم يصبهم من النعاس ما أصاب غيرهم، {يقولون هل لنا من الأمر من شيء} وهذا استفهام إنكاري، أي: ما لنا من الأمر -أي: النصر والظهور- شيء، فأساءوا الظن بربهم وبدينه ونبيه، وظنوا أن الله لا يتم أمر رسوله، وأن هذه الهزيمة هي الفيصلة والقاضية على دين الله، قال الله في جوابهم: {قل إن الأمر كله لله} الأمر يشمل الأمر القدري، والأمر

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (154)، لِلْإِمَامْ (ابن كثير).

الشرعي، فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره، وعاقبة النصر والظفر لأوليائه وأهل طاعته، وإن جرى عليهم ما جرى.

{يخفون} يعني المنافقين {في أنفسهم ما لا يبدون لك} ثم بين الأمر الذي يخفونه، فقال: {يقولون لو كان لنا من الأمر شيء} أي: لو كان لنا في هذه الواقعة رأي ومشورة {ما قتلنا هاهنا} وهذا إنكار منهم وتكذيب بقدر الله، وتسفيه منهم لرأي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ورأي أصحابه، وتزكية منهم لأنفسهم، فرد الله عليهم بقوله: {قل لو كنتم في بيوتكم} التي هي أبعد شيء عن مظان القتل {لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم} فالأسباب -وإن عظمت- إنما تنفع إذا لم يعارضها القدر والقضاء، فإذا عارضها القدر لم تنفع شيئا، بل لا بد أن يمضي الله ما كتب في اللوح المحفوظ من الموت والحياة، {وليبتلي الله ما في صدوركم} أي: يختبر ما فيها من نفاق وإيمان وضعف إيمان، {وليمحص ما في قلوبكم} من وساوس الشيطان، وما تأثر عنها من الصفات غير الحميدة.

{والله عليم بذات الصدور} أي: بما فيها وما أكنته، فاقتضى علمه وحكمته أن قدر من الأسباب، ما به تظهر مخبآت الصدور وسرائر الأمور. (1)

* * *

[١٥٥] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

إن الذين انهزموا منكم - يا أصحاب محمد ﷺ - يوم التقى جَمْعُ المشركين في أُحدٍ بجمع المسلمين، إنما حملهم الشيطان على الزلل بسبب بعض ما اكتسبوه من المعاصي، ولقد عفا الله عنهم فلم يؤاخذهم بها فضلًا منه ورحمة، إن الله غفور لمن تاب، حليم لا يعاجل بالعقوبة. (2)

* * *

إن الذين فرُّوا منكم -يا أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- عن القتال يوم التقى المؤمنون والمشركون في غزوة ‹أحد›، إنما أوقعهم الشيطان في هذا الذنب ببعض ما عملوا من الذنوب، ولقد تجاوز الله عنهم فلم يعاقبهم. إن الله غفور للمذنبين التائبين، حليم لا يعاجل من عصاه بالعقوبة. (3)

* * *

إن الذين انصرفوا منكم عن الثبات فى أماكنهم - يا معشر المسلمين - يوم التقى جمعكم وجمع الكفار للقتال بأحد، إنما جرَّهم الشيطان إلى الزلل والخطأ بسبب ما

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (154)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (70/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (70/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

ارتكبوا من مخالفة الرسول-، ولقد تجاوز الله عنهم لأنه كثير المغفرة واسع الحلم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ} ... عَنْ الْقِتَال.

{يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} ... جَمْع الْمُسْلِمِينَ وَجَمْع الْكُفَّار بِأُحُد وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ .

{إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ} ... أَوْقَعَهُمْ فِي الزَّلَلِ وهو الخطيئةُ والتي كانت الفِرارَ من الجِهاد.

{إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ} ... أَزَلَّهُمْ.

{الشَّيْطَانُ} ... بِوَسْوَسَتِهِ.

{اسْتَزَلَّهُمُ} ... طلب منهم الزلل ودعاهم إليه.

{بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} ... مِنَ الذُّنُوب وَهُوَ مُخَالَفَة أَمْر النَّبِيّ.

{بِبَعْضِ} ... ما كَسَبُوا من ذنوبهم.

يعني أن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا.

وقيل: استزلال الشيطان إياهم هو التولي، وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم، لأن الذنب يجر إلى الذنب، كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة.

وقيل: بعض ما كسبوا، هو تركهم المركز الذي أمرهم رسول الله -صلَّى الله عليه وآله وسلم- بالثبات فيه فجرهم ذلك إلى الهزيمة.

{وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} لِلْمُؤْمِنِينَ.

{وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ} ... لتوبتهم واعتذارهم.

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} ... للذنوب.

{حلِيمٌ} ... لا يعجل على العصاة. أي: لا يعاجل بالعقوبة.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

قَالَ الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده): حدثنا عبدان أخبرنا أبو حمزة عن (عثمان بن موهب) قال: جاء رجلٌ حَجَّ البيتَ فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قُريش. قال: من الشيخ؟ قالوا: (ابن عمر). فأتاه فقال: إني سائلك عن شيء أتحدِّثني؟ قال أنشدك بحرمة هذا البيت، أتعلم أنَّ عثمان بن عفان فرّ يوم أحد؟ قال: نعم، قال: فتعلمه تغيَّب عن بدرٍ فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: فتعلم أنه تخلّف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: فكبَّر. قال: (ابن عمر): تعال لأخبرك ولأبيّن لك عمّا سألتني عنه: أما فراره يومَ أحد فأشهد أن الله عفا عنه. وأما تغيُّبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكانت مريضةً، فقال: له النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((إن لك أجرَ رجلٍ ممن شهدَ بدراً وسهمه)). وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحَدٌ أعزّ ببطن مكة من (عثمان

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

بن عفان) لبعثه مكانه فبعث عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهبَ عثمان إلى مكة، فقال: النبي - صلى الله عليه وسلم - بيده اليُمنى: ((هذه يدُ عثمان"، فضرب بها على يده فقال: "هذه لعثمان". اذهب بهذا الآن معك)).(1)

* * *

قال: الإمامْ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} أَيْ: بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا، وَإِنَّ مِنْ جَزَاءِ السيئة السَّيِّئَةَ بَعْدَهَا .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ} أَيْ: عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْفِرَارِ {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} أَيْ: يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويحلُم عَنْ خَلْقِهِ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْهُمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ فِي شَأْنِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَوَلِّيهِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَا عَنْهُمْ، عِنْدَ قَوْلِهِ: {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} وَمُنَاسِبٌ ذِكْرُهُ هَاهُنَا.(2)

* * *

وقال: الإمَامْ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (المُسنَد) - (بسنده):- حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ (شَقِيقِ بن سلمة) قَالَ: لَقِيَ (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ) - رضي الله عنه – (الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ) ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: مَا لِي أَرَاكَ قَدْ جَفَوْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ - رضي الله عنه -؟، فَقَالَ: لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَبْلِغْهُ أَنِّي لَمْ أَفِرَّ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَلَمْ أَتَخَلَّفْ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَلَمْ أَتْرُكْ سُنَّةَ (عُمَرَ) - رضي الله عنه - قَالَ: فَانْطَلَقَ فَخَبَّرَ ذَلِكَ عُثْمَانَ - رضي الله عنه - فَقَالَ: أَمَّا قَوْلُهُ إِنَّهُ لَمْ يَفِرَّ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَكَيْفَ يُعَيِّرُنِي بِذَنْبٍ وَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُ ، فَقَالَ: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمْ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ، وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ} ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنِّي تَخَلَّفْتُ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَإِنِّي كُنْتُ أُمَرِّضُ رُقَيَّةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - حِينَ مَاتَتْ ، ((وَقَدْ ضَرَبَ لِي رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بِسَهْمِي)) ، وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بِسَهْمِهِ فَقَدْ شَهِدَ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنِّي لَمْ أَتْرُكْ سُنَّةَ عُمَرَ ، فَإِنِّي لاَ أُطِيقُهَا ، وَلاَ هُوَ ، فَأْتِهِ فَحَدِّثْهُ بِذَلِكَ.(3)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: إنّ الذين ولَّوا عن المشركين، من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يوم أحد وانهزموا عنهم.

وقوله: {تولَّوا} ، "تفعَّلوا"، من قولهم: "ولَّى فلان ظهره".

وقوله: {يوم التقى الجمعان} ، يعني: يوم التقى جمعُ المشركين والمسلمين بأحد {إنما

---

(1) صَحِيح: أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (421/7)– (كتاب: المغازي)، / باب: (الآية) نفسها - (ح/4066).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (155)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (490).
واخرجه الإمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (ج1ص89ح135)، وقال: الشيخ (شعيب الارناؤوط): (إسناده حسن).

{استزلهم الشيطان}، أي: إنما دعاهم إلى الزّلة الشيطانُ.

وقوله: {استزل} "استفعل" من "الزلة". و"الزلة"، هي الخطيئة. {ببعض ما كسبوا}، يعني ببعض ما عملوا من الذنوب. {ولقد عفا الله عنهم}، يقول: ولقد تجاوز الله عن عقوبة ذنوبهم فصفح لهم عنه {إن الله غفور}، يعني به: مغطّ على ذنوب من آمن به واتبع رسوله، بعفوه عن عقوبته إياهم عليها {حليم}، يعني: أنه ذو أناة لا يعجل على من عصاه وخالف أمره بالنقمة. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {155} {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا} انهزموا، {مِنْكُمْ} يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، {يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} جَمْعُ الْمُسْلِمِينَ وَجَمْعُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانَ قَدِ انْهَزَمَ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: وَهُمْ (أَبُو بَكْرٍ) وَ(عُمَرُ) وَ(عَلِيٌّ) وَ(طَلْحَةُ) وَ(عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ) وَ(سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ) -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ}: طَلَبَ زَلَّتَهُمْ، كَمَا يُقَالُ: اسْتَعْجَلْتُ فُلَانًا إِذَا طَلَبْتُ عَجَلَتَهُ،

يَعْنِي:- حملهم الزَّلَة وَهِيَ الْخَطِيئَةُ،

يَعْنِي:- أَزَلَّ وَاسْتَزَلَّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ،

{بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} أَيْ: بِشُؤْمِ ذُنُوبِهِمْ،

قَالَ: (بَعْضُهُمْ): بِتَرْكِهِمُ الْمَرْكَزَ،

وَقَالَ: (الْحَسَنُ): مَا كَسَبُوا هُوَ قَبُولُهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ مَا وَسْوَسَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْهَزِيمَةِ، {وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التقى الْجَمْعَانِ} تَفْسِير (قَتَادَة) قَالَ: كَانَ أنَاس من أَصْحَاب النَّبِي تولّوا عَن الْقِتَال، وَعَن نَبِي الله -عَلَيْه السَّلَام- يَوْم أحد وَكَانَ ذَلِك من أَمر الشَّيْطَان وتخويفه" فَأنْزل الله: {وَلَقَد عفا الله عَنْهُم ....} الْآيَة. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {155} {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}. ثم قال تعالى: يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم "أحد" وما الذي أوجب لهم الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم. فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوا من المعاصي، لأنها مركبه ومدخله، فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (155)، للإمام (الطبري).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (155).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (155) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

قال تعالى: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان} ثم أخبر أنه عفا عنهم بعدما فعلوا ما يوجب المؤاخذة، وإلا فلو واخذهم لاستأصلهم.

{إن الله غفور} ... للمذنبين الخطائين بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار، والمصائب المكفرة، {حليم} ... لا يعاجل من عصاه، بل يستأني به، ويدعوه إلى الإنابة إليه، والإقبال عليه.

ثم إن تاب وأناب قبل منه، وصيره كأنه لم يجر منه ذنب، ولم يصدر منه عيب، فلله الحمد على إحسانه. (1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ} أي: عن القتال، يوم التقى الجمعان، أي: جمع المؤمنين وجمع الكافرين بأحد. {إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُالشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} ، {وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ} فلم يؤاخذهم {إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}. (2)

* * *

[١٥٦] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تكونوا مثل الكفار من المنافقين، ويقولون لأقاربهم إذا سافروا يطلبون رزقًا، أو كانوا غُزَاة فماتوا أو قتلوا: لو كانوا عندنا ولم يخرجوا، ولم يغزوا لم يموتوا ولم يقتلوا، جعل الله هذا الاعتقاد في قلوبهم ليزدادوا ندامة وحزنًا في قلوبهم، والله وحده هو الذي يحيي ويميت بمشيئته، لا يمنع قَدَرَه قعود ولا يُعَجلُه خروج، والله بما تعملون بصير، لا تخفى عليه أعمالكم، وسيجازيكم عليها. (3)

* * *

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تشابهوا الكافرين الذين لا يؤمنون بربهم، فهم يقولون لإخوانهم من أهل الكفر إذا خرجوا يبحثون في أرض الله عن معاشهم أو كانوا مع الغزاة المقاتلين فماتوا أو قُتلوا: لو لم يخرج هؤلاء ولم يقاتلوا وأقاموا معنا ما ماتوا وما قُتلوا. وهذا القول يزيدهم ألَمًا وحزنًا وحسرة تستقر في قلوبهم، أما المؤمنون فإنهم يعلمون أن ذلك بقدر الله فيهدي الله قلوبهم، ويخفف عنهم المصيبة، والله يحيي مَن قدَّر له الحياة -وإن كان مسافرًا أو غازيًا- ويميت مَن انتهى أجله

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (155)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (آل عمران) الآية (155)، للإمام: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (70/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

-وإن كان مقيمًا- والله بكل ما تعملونه بصير، فيجازيكم به.(1)

* * *

يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا في شأن إخوانهم - إذا أبعدوا في الأرض لطلب العيش فماتوا أو كانوا غزاة فقتلوا:- لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا، فقد جعل الله ذلك القول والظن حسرة في قلوبهم، والله هو الذي يحيي ويميت، وبيده مقادير كل شئ، وهو مطلع على ما تعملون من خير أو شر، ومجازيكم عليه.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{آمَنُوا} ... صدقوا الله ورسوله فيما أخبرا به من وعد ووعيد.

{وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ} ... يعني في النفاق، أو في النسب في السرايا التي بعث النبي صلّى الله عليه وآله وسلم إلى بئر معونة.

{لِإِخْوَانِهِمْ} ... هذه أخوة العقيدة لا أخوة النسب، وهي هنا أخوة النفاق.

{ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ} ... ضربوا في الأرض بأقدامهم مسافرين 1 للتجارة غالباً.

(أي: إذا سافروا بعد للتجارة أو غيرها).

{أَوْ كَانُوا غُزًّى} ... غزى، جمع غاز.

{غُزًّى} ... غُزَاة مَجَاهِدِين.

(أي: جمع غاز وهو من يخرج لقتال ونحوه من شؤون الحرب).

{لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ} ... أي: ليجعل ظنهم أنهم لو لم يخرجوا ما قتلوا. وحسرة، أي ندامة في قلوبهم.

{حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ} ... الحسرة: أَلَمٌ يأخذ بِخِنَاقِ النَّفْسِ بسبب فوتِ مرغوبٍ أو فَقْدِ محبوب.

{وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ} ... أي: الأمر بيده، قد يحيى المسافر والغازي، ويميت المقيم، والقاعد، كما يشاء.

{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ... فلا تكونوا مثلهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه):- قَالَ: (أَبُو عَبْدِ اللهِ): {غُزًّى} : وَاحِدُهَا غَازٍ.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (السدي): {وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض} أما إذا ضربوا في الأرض فهي التجارة.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (70/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: صحيح الإمام (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمرآن) الآية (156). برقم (ج 4/ ص 16).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (156).

قولـه: {في قلـوبهم}، قـال: يخـزيهم قـولهم لا ينفعهم شيئاً.(1)

* * *

قـال: الإمـام (ابـن أبـي زَمَـنين المـالكي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره) = (تفسـير القـرآن العزيـز):- {يـا أيهـا الـذين آمنـوا لا تكونـوا كالـذين كفـروا وقـالوا لإخـوانهم إذا ضـربوا فـي الأرض} يَعْني: التِّجارَة.

{أوْ كانُوا غُزًّى} يَعْني: في الغَزْو.

قـالَ: (مُحَمَّـد): {غـزى} جمـع (غـاز) مثـل: قـاس وقسـى، وعـاف وعفـى قـالَ الحسـن: هـم الْمُنَـافِقُونَ {وقـالُوا لإخـوانهم} يَعْنـي: إخْـوانهم فيمـا يظهـر الْمُنَـافِقُونَ مـن الْإِيمَـان. {لَـوْ كَـانُوا عنْـدَنَا مـا مـاتوا وَمـا قتلـوا} قـالوا هـذا" لِأَنَّـهُ لاَ نِيَّـةَ لَهُـم فـي الْجِهَـاد. قـالَ الله: {لِيَجْعَـل اللَّـهُ ذلـكَ حسْـرَةً فـي قُلُـوبهم} وَذلـكَ أنهـم كـانوا يجاهـدون قومـا علـى ديـنهم، فـذَلك عَلَـيْهِم عذَاب وحسرة.(2)

* * *

قـال: الإمـام (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) -(رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {156} {يـا أيهـا الَّـذين آمنـوا لا تكونـوا كالَّـذين كفـروا} يعْنـي: الْمُنَافِقِينَ عَبْدَ اللَّه بْنَ أبي وأصحابه،

{وقَـالُوا لِـإِخْوَانِهِمْ} فـي النِّفَـاقِ وَالْكُفْـر، يَعْني:- في النَّسَب،

{إذا ضَـرَبُوا فـي الْـأَرْضِ} أيْ: سَـافَرُوا فيهَـا لِتِجَارَةٍ أوْ غيرِها،

{أوْ كَانُوا غُزًّى} أَيْ: غُزَاةً جَمْعُ غَازٍ فَقُتِلُوا،

{لَـوْ كَـانُوا عِنْـدَنَا مَـا مَـاتُوا وَمَـا قُتِلُـوا لِيَجْعَـلَ اللَّهُ ذَلِكَ} يعني: قولهم وظنهم،

{حَسْـرَةً فـي قُلُـوبِهِمْ وَاللَّـهُ يُحْيِـي وَيُمِيـتُ وَاللَّـهُ بِمَـا تَعْمَلُـونَ بَصِـيرٌ} قَـرَأَ (ابْـنُ كَـثِيرٍ)، وَ(حَمْـزَةُ)، وَ(الْكِسَـائِيُّ) (يَعْمَلُـونَ) بِالْيَـاءِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ.(3)

* * *

قـال: الإمَـامُ (إبـن كـثير) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- يَنْهَـى تَعَـالَى عِبَـادَهُ الْمُـؤْمِنِينَ عَـنْ مُشَـابَهَةِ الْكُفَّـارِ فـي اعْتِقَـادِهِمُ الفَاسِـد، الـدَّالِّ عَلَيْـه قَـوْلُهُمْ عَـنْ إِخْـوَانِهِمُ الَّـذِينَ مَـاتُوا فـي الْأَسْـفَارِ وَفـي الْحُـرُوبِ: لَـوْ كَـانُوا تَرَكُـوا ذَلِـكَ لَمَـا أَصَـابَهُمْ مَـا أَصَـابَهُمْ. فَقَـالَ: {يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لا تَكُونُـوا كَالَّـذِينَ كَفَـرُوا وَقَـالُوا لإخْوَانِهِمْ} أَيْ: عَنْ إِخْوَانِهِمْ.

{إِذَا ضَـرَبُوا فـي الأرْضِ} أَيْ: سَـافَرُوا لِلتِّجَـارَة وَنَحْوِهَا {أَوْ كَانُوا غُزًّى} أَيْ: في الْغَزْوِ.

{لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا} أَيْ: في الْبَلَدِ.

{مَـا مَـاتُوا وَمَـا قُتِلُـوا} أَيْ: مَـا مَـاتُوا فـي السَّـفَرِ وَلاَ قُتِلُوا في الْغَزْوِ.

وَقَوْلُـهُ: {لِيَجْعَـلَ اللَّـهُ ذَلِـكَ حَسْـرَةً فـي قُلُـوبِهِمْ} أَيْ: خَلَـقَ هَـذَا الاعْتِقَـادَ فـي نُفُوسِـهِمْ لِيَـزْدَادُوا حَسْـرَةً عَلَـى مَـوْتِهِمْ وَقَتْلِـهِم ثُـمَّ قَـالَ تَعَـالَى رَدًّا عَلَـيْهِمْ: {وَاللَّـهُ يُحْيِـي وَيُمِيـتُ} أَيْ: بِيَـدِهِ الْخَلْـقُ وَإِلَيْـهِ يَرْجِـعُ الْـأَمْرُ، وَلاَ يَحْيَـا أَحَـدٌ وَلاَ يَمُـوتُ إِلاَ بِمَشِـيئَتِهِ وَقَـدَرِهِ، وَلاَ يُـزَادُ فـي عُمُـرِ أَحَـدٍ وَلاَ يُـنْقَصُ مِنْـهُ إِلاَ بِقَضَـائِهِ وَقَـدَرِهِ

(1) انظـر: (جـامع البيـان في تـأويـل القـرآن) للإمَـامْ (الطـبري) في سـورة (آل عمران) الآية (156).

(2) انظـر: (تفسـير القـرآن العزيـز) في سـورة (آل عمـران) الآيـة (156) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(3) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) لِلإمَـامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (156).

{وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} أَيْ: وَعِلْمُهُ وَبَصَرُهُ نَافِذٌ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ، لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ. (1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا}... ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ إِذَا مَاتَ بَعْضُ إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ: لَوْ أَطَاعُونَا فَلَمْ يَخْرُجُوا إِلَى الْغَزْوِ مَا قُتِلُوا، وَلَمْ يُبَيِّنْ هُنَا هَلْ يَقُولُونَ لَهُمْ ذَلِكَ قَبْلَ السَّفَرِ إِلَى الْغَزْوِ لِيُثَبِّطُوهُمْ أَوْ لاَ؟ وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} [آل عمران: 168]، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَ فِي آيَاتٍ أُخَرَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لَهُمْ ذَلِكَ قَبْلَ الْغَزْوِ لِيُثَبِّطُوهُمْ كَقَوْلِهِ: {وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ} الْآيَةَ [التوبة: 81]، وَقَوْلِهِ: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا} [الأحزاب: 18]، وَقَوْلِهِ: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ} [النساء: 72]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يشابهوا الكافرين، الذين لا يؤمنون بربهم، ولا بقضائه وقدره، من المنافقين وغيرهم.

ينهاهم عن مشابهتهم في كل شيء، وفي هذا الأمر الخاص وهو أنهم يقولون لإخوانهم في الدين أو في النسب: {إذا ضربوا في الأرض} أي: سافروا للتجارة {أو كانوا غزى} أي: غزاة، ثم جرى عليهم قتل أو موت، يعارضون القدر ويقولون: {لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا} وهذا كذب منهم، فقد قال تعالى: {قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم} ولكن هذا التكذيب لم يفدهم، إلا أن الله يجعل هذا القول، وهذه العقيدة حسرة في قلوبهم، فتزداد مصيبتهم، وأما المؤمنون بالله فإنهم يعلمون أن ذلك بقدر الله، فيؤمنون ويسلمون، فيهدي الله قلوبهم ويثبتها، ويخفف بذلك عنهم المصيبة.

قال الله ردا عليهم: {والله يحيي ويميت} أي: هو المنفرد بذلك، فلا يغني حذر عن قدر.

{والله بما تعملون بصير} فيجازيكم بأعمالكم وتكذيبكم. (3)

* * *

[١٥٧] ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (156)، للإمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (156).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (156)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

ولئن قتلتم في سبيل الله أو متُّم أيها المؤمنون- ليَغْفرنَّ الله لكم مغفرة عظيمة، ويرحمكم رحمة منه، هي خير من هذه الدنيا وما يجمع أهلها فيها من نعيمها الزائل.(1)

* * *

يَعْنِي:- ولئن قُتِلتم أيها المؤمنون- وأنتم تجاهدون في سبيل الله أو متم في أثناء القتال، ليغفرن الله لكم ذنوبكم، وليرحمنكم رحمة من عنده، فتفوزون بجنات النعيم، وذلك خير من الدنيا وما يجمعه أهلها.(2)

* * *

ولئن قتلتم فى الجهاد أو متم فى أثنائه، لمغفرة من الله لذنوبكم ورحمة منه لكم، خير مما تجمعونه من متاع الدنيا لو بقيتم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ الله} ... يَا معشر الْمُنَافِقين.

{ولئن قتلتم} ... أي: والله لئن قتلتم.

{في سبيل الله} ... في الجهاد أيُّها المؤمنون.

{أَوْ مُتُّم} ... (فِي بُيُوتكُمْ وكنتم مُخلصين).

أي: في سبيل الله ليغفرنَّ لكم،

{لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ الله} ... لذنوبكم.

{لَمَغْفِرَةٌ} ... جواب القسم، وهو ساد مسد جواب الشرط.

{وَرَحْمَةٌ} ... من الْعَذَاب.

{خَيْرٌ} ... لكم.

{مِّمَّا يَجْمَعُونَ} ... فِي الدُّنْيَا من الْأَمْوَال.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

وانظر: آية (169-171) من السورة نفسها، - كما قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)}.

* * *

وانظر: سورة (البقرة) آية (154). - كما قال تعالى: {وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَ تَشْعُرُونَ}.

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

يخاطب جل ثناؤه عباده المؤمنين، يقول لهم: لا تكونوا، أيها المؤمنون، في شك من أن الأمور كلها بيد الله، وأن إليه الإحياء والإماتة، كما شك المنافقون في ذلك، ولكن جاهدوا في سبيل الله وقاتلوا أعداء الله، على يقين منكم بأنه لا يقتل في حرب ولا يموت في سفر إلا من بلغ أجله وحانت وفاته. ثم وعدهم على جهادهم في سبيله المغفرة والرحمةَ، وأخبرهم أن موتًا في سبيل الله وقتلا في الله، خير لهم مما يجمعون في الدنيا من حُطامها ورغيد عيشها الذي من

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (70/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (70/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

أجله يتثاقلون عن الجهاد في سبيل الله، ويتأخرون عن لقاء العدو، (1)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّم لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} تَضَمَّنَ هَذَا أَنَّ الْقَتْلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمَوْتَ أَيْضًا، وَسِيلَةٌ إِلَى نَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ وعفوه ورضْوانه، وَذَلِكَ خَيْرٌ مِنَ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَجَمْعِ حُطَامِهَا الْفَانِي. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم أخبر تعالى أن القتل في سبيله أو الموت فيه، ليس فيه نقص ولا محذور، وإنما هو مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون، لأنه سبب مفض وموصل إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير مما يجمع أهل الدنيا من دنياهم. (3)

* * *

قال: الإمَام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّم لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}، ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْمَقْتُولَ فِي الْجِهَادِ وَالْمَيِّتَ كِلَاهُمَا يَنَالُ مَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ، وَرَحْمَةً خَيْرًا لَهُ مِمَّا يَجْمَعُهُ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَأَوْضَحَ وَجْهَ ذَلِكَ فِي آيَةٍ أُخْرَى بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْهُ حَيَاةً قَصِيرَةً فَانِيَةً مُنَغَّصَةً بِالْمَصَائِبِ، وَالْآلَامِ بِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ لَذِيذَةٍ لَا تَنْقَطِعُ وَلَا يَتَأَذَّى صَاحِبُهَا بِشَيْءٍ وَاشْتَرَى مِنْهُ مَالًا قَلِيلًا فَانِيًا بِمُلْكٍ لَا يَنْفَدُ وَلَا يَنْقَضِي أَبَدًا، وَهِيَ قَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} {التوبة: 111}،

وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا} {الإنسان: 20}،

وَبَيَّنَ فِي آيَةٍ أُخْرَى أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ، وَرَحْمَتَهُ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُهُ أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْ حُطَامِهَا وَزَادَ فِيهَا الْأَمْرَ بِالْفَرَحِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ دُونَ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} {يونس: 58}، وَتَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ يُؤْذِنُ بِالْحَصْرِ أَعْنِي قَوْلَهُ: فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا، أَيْ: دُونَ غَيْرِهِ فَلَا يَفْرَحُوا بِحُطَامِ الدُّنْيَا الَّذِي يَجْمَعُونَهُ.

وَقَالَ تَعَالَى: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} {الزخرف:32}. (4)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (157)، للإمَامْ (الطبري)،
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (157)، للإمَامْ (ابن كثير).
(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (157)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (157).

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- الجهل بالله تعالى وصفاته يُورث سوء الاعتقاد وفساد الأعمال.
- آجال العباد مضروبة محدودة، لا يُعجِّلها الإقدام والشجاعة، ولايؤخرها الجبن والحرص.
- من سُنَّة الله تعالى الجارية ابتلاء عباده" ليميز الخبيث من الطيب.
- من أعظم المنازل وأكرمها عند الله تعالى منازل الشهداء في سبيله. (1)

* * *

[١٥٨] ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولئن مُتُّم على أي حال كان موتكم، أو قُتِلتم" فإلى الله وحده ترجعون جميعًا" ليجازيكم على أعمالكم. (2)

* * *

ولئن انقضت آجالكم في هذه الحياة الدنيا، فمتم على فُرُشكم، أو قتلتم في ساحة القتال، لإلى الله وحده تحشرون، فيجازيكم بأعمالكم. (3)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (71/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (71/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (71/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (158) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (161) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (162) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (163) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164) أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165)

ولئن متم أو قتلتم فى الجهاد فلن تضيع أعمالكم، بل ستحشرون إلى الله فيثيبكم على جهادكم وإخلاصكم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَئِنْ مُّتُّم} ... في حضر أَو سفر.

{وَلَئِنْ} ... لَام قَسَم.

{مُتُّمْ} ... بِالوَجْهَين.

{أَوْ قُتِلْتُمْ} ... فِي غَزَاة. أَي: فِي الْجِهَاد وَغَيره {لَالَى اللَّه} ... لَا إِلَى غَيْره.

{لإِلَى الله تُحْشَرُونَ} ... بعد الْمَوْت.

{لَالَى اللَّه تُحْشَرُونَ} ... وعظ، أي لا تفروا من القتال ومما أمركم به، بل فروا من

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

عقابه وأليم عذابه، فإن مردكم إليه لا يملك لكم أحد ضرا ولا نفعا غيره.
{تُحْشَرُونَ}... فِي الْآخِرَة فَيُجَازِيكُم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ} (158) قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ولئن متم أو قتلتم، أيها المؤمنون، فإن إلى الله مرجعكم ومحشركم، فيجازيكم بأعمالكم، فآثروا ما يقرّبكم من الله ويوجب لكم رضاه، ويقربكم من الجنة، من الجهاد في سبيل الله والعمل بطاعته، على الركون إلى الدنيا وما تجمعون فيها من حُطامها الذي هو غير باقٍ لكم، بل هو زائلٌ عنكم، وعلى ترك طاعة الله والجهاد، فإن ذلك يبعدكم عن ربكم، ويوجب لكم سخطه، ويقرِّبكم من النار. (1)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ أَخْبَرَ بِأَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فَمَصِيرُهُ وَمَرْجِعُهُ إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَيَجْزِيهِ بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ فَقَالَ: {وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ} (2)

* * *

قال: الإمامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ} {آل عمران: 158} فِي الْعَاقِبَة. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ}. وأن الخلق أيضا إذا ماتوا أو قتلوا بأي حالة كانت، فإنما مرجعهم إلى الله، ومآلهم إليه، فيجازي كلا بعمله، فأين الفرار إلا إلى الله، وما للخلق عاصم إلا الاعتصام بحبل الله؟ " (4)

* * *

[١٥٩] ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فبسبب رحمة من الله عظيمة كان خُلُقك أيها النبي -ﷺ- سهلًا مع أصحابك، ولو كنت شديدًا في قولك وفعلك، قاسي القلب لتفرقوا عنك، فتجاوز عنهم تقصيرهم في حقك، واطلب لهم المغفرة، واطلب رأيهم فيما يحتاج إلى مشورة، فإذا عقدت عزمك على أمر بعد المشاورة فامض فيه، وتوكل على

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (158)، للإِمَامْ (الطبري).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (158)، للإِمَامْ (ابن كثير).
(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (158).
(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (158)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الله، إن الله يحب المتوكلين عليه فيوفقهم ويؤيدهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- فبرحمة من الله لك ولأصحابك أيها النبي-ﷺ- منَّ الله عليك فكنت رفيقًا بهم، ولو كنت سيِّئ الخُلق قاسي القلب، لانْصَرفَ أصحابك من حولك، فلا تؤاخذهم بما كان منهم في غزوة ‹ أُحد ›، واسأل الله أيها النبي-ﷺ- أن يغفر لهم، وشاورهم في الأمور التي تحتاج إلى مشورة، فإذا عزمت على أمر من الأمور -بعد الاستشارة- فأَمْضه معتمداً على الله وحده، إن الله يحب المتوكلين عليه.(2)

* * *

كان رحمة من الله بك وبهم أن لِنْتَ لهم ولم تغلظ فى القول بسبب خطئهم، ولو كنت جافى المعاملة قاسى القلب، لتفرقوا من حولك، فتجاوز عن خطئهم، واطلب المغفرة لهم، واستشرهم فى الأمر متعرفاً آراءهم مما لم ينزل عليك فيه وحى، فإذا عقدت عزمك على أمر بعد المشاورة فامض فيه متوكلاً على الله، لأن الله يحب من يفوض أموره إليه.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ}... يَا مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

{فَبِمَا}... ما، مزيدة للتوكيد، والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله.

{لِنتَ لَهُمْ}... كُنْتَ رَفِيقًا بهم تُعَامِلُهمْ بالرفق واللطف.

{لَهُمْ}... أَيْ: سَهَّلْتَ أَخْلَاقَك إذْ خَالَفُوك.

{وَلَوْ كُنتَ فظا}... سَيِّئَ الخُلُقِ. (أي: جافيا).

(أي: خَشِنًا في مُعَامَلَتِكَ، شَرِسًا في أخلاقك وحاشاه - صلى الله عليه وسلم).

{غَلِيظَ الْقَلْبِ}.... قاسية: هُوَ قَاسِي القلب سَيِّءُ الخُلُقِ، قَلِيلُ الاحْتِمَالِ. (أي: جَافِيًا فَأَغْلَظْت لَهُمْ).

{لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}... لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم.

(أَيْ: تَفَرَّقُوا وَذَهَبُوا تَارِكِيك وَشَأْنَك).

{لَانْفَضُّوا}... تَفَرَّقُوا.

{مِنْ حَوْلِك فَاعْفُ}... تَجَاوَزْ.

{عَنْهُمْ}... مَا أَتَوْهُ.

{فَاعْفُ عَنْهُمْ}... فيما يختص بك.

{وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ}... فيما يختص بحق الله إتماما للشفقة عليهم.

{وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ}... ذُنُوبهمْ حَتَّى أَغْفِر لَهُمْ.

{وَشَاوِرْهُمْ}.... اسْتَخْرِجْ آرَاءَهُمْ.

{وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}... يعني: فى أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم.

{فِي الْأَمْرِ}... أَيْ": شَأْنك مِنْ الْحَرْب وَغَيْره تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ وَلِيُسْتَنّ بِك وَكَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِير الْمُشَاوَرَة لَهُمْ فَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى إمْضَاء مَا تُرِيد بَعْد الْمُشَاوَرَة.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (71/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (71/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فَـإِذَا عَزَمْـتَ} ... فـإذا قطعـت الـرأى علـى شيء بعد الشورى.

{فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} ... ثِقْ بِهِ لاَ بِالْمُشَاوَرَة.

(أي: فـى إمضـاء أمـرك علـى الأرشـد والأصـلح، فـإن مـا هـو أصـلح لـك لا يعلمـه إلا الله، لا أنـت ولا من تشاور).

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبّ الْمُتَوَكِّلِينَ} ... عَلَيْه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قـال: الإِمَـامُ (البخـاري) – (رحمـه الله) – في (صـحيحه):- بـاب الْمُشَـاوَرَةِ قَبْـلَ العَـزْمِ وَالتَّبَـيُّنِ، لِقَوْلِـهِ: {فَـإِذَا عَزَمْـتَ فَتَوَكَّـلْ عَلَـى اللهِ} فَـإِذَا عَـزَمَ الرسـول – صـلى الله عليـه وسـلم – لَـمْ يَكُنْ لِبَشَرٍ التَّقَدُّمُ عَلَى اللهِ وَرَسُوله. (1)

* * *

قـال: الإمـام (ابـن ماجـة) – (رحمـه الله) – في (سُـننه) – (بسـنده):- حـدثنا أبـو بكـر بـن أبـي شـيبة، ثنـا يحيـى بـن أبـي بُكـر، عـن شـيبان، عـن عبـد الملـك بـن عمـير، عـن (أبـي سـلمة)، عـن (أبـي هريـرة)، قـال: قـال رسـول الله: "المستشـار مؤتمن". (2)

* * *

(1) انظـر: صـحيح الإِمَـامُ (البُخَـاري) في تفسـير سـورة (آل عمـران) الآيـة (159). برقم (ج/9 ص/112).

(2) اخرجـه الإِمَـامُ (ابـن ماجـة) في (السـنن) بـرقم (ح 3745) – (كتـاب: الأدب)، / باب: (المستشار مؤتمن).

وأخرجـه الإِمَـامُ (أبـو داود) و(الترمـذي) و(النسـائي) – مـن طريـق:- (عبـد الملـك بن عمير) به،

و(حسنه) الإِمَامُ (الترمذي) (انظر: (تفسير ابن كثير) برقم (129/2).

وقال: الإِمَامُ (الألباني): (صحيح) في (صحيح ابن ماجة) برقم (308/2).

ذكـره و نقلـه الشـيخ: (أ. الـدكتور: (حكمـت بـن بشـير بـن ياسـين) في (موسـوعة الصـحيح المسـبور مـن التفسـير بالمـأثور) مـن سـورة (آل عمـران) الآيـة (159)، برقم (ص/1/474).

قـال: الإِمَـامُ (الطـبري) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- (بسـنده الحسـن) – عـن (قتـادة): قولـه: (فـإذا عزمـت فتوكـل علـى الله) أمـر الله نبيـه – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ – إذا عـزم علـى أمـر أن يمضـي فيـه، ويسـتقيم علـى أمـر الله ويتوكـل على الله. (3)

* * *

قـال: الإمـام (ابـن أبـي زَمَـنِين المـالكي) – (رحمـه الله) – في (تفسيره):- {فَبِمَـا رَحْمَـةٍ مِـنَ اللَّـهِ لِنْـتَ لَهُـم} أي: فبرحمـة مـن الله ورضـوان و (مَـا) صـلَة زَائِـدَة {وَلَـوْ كُنْـتَ فَظًّـا غَلِـيظَ الْقَلْـب لانْفَضُّـوا مِـنْ حَوْلِـكَ فَـاعْفُ عَـنْهُم} أمـره أن يعْفُـو عَـنْهُم مَـا لم يلْـزمهُم مـن حكـم أَو حـد. {وَاسْـتَغْفِرْ لَهُـمْ وَشَـاوِرْهُمْ فِـي الْـأَمر} أمـره الله أَن يشَـاور أَصْـحَابه فِـي الْـأُمُور" لِأَنَّـهُ أطيـب لأنفـس الْقَـوْم، وَأَن الْقَـوْمَ إِذا شَـاور بَعضهـم بَعْضًـا، وَأَرَادُوا بِـذَلِك وَجـه الله – عـزم الله لَهُـم على أرشده. (4)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) –(رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {159} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {فَبِمَـا رَحْمَـةٍ مِـنَ اللَّـهِ} أَيْ: فَبِرَحْمَـةٍ مِـنَ اللَّـهِ، وَ (مَـا) صِـلَةٌ، كَقَوْلِـهِ (فَبِمَـا نَقْضِـهِمْ) {لِنْـتَ لَهُـمْ} أَيْ: سَـهُلَتْ لَهُـمْ أَخْلَاقُـكَ، وَكَثْـرَةُ احتمالـك، ولم تسـرع إلـيهم بالغضـب فِيمَـا كَـانَ مِـنْهُمْ يَـوْمَ أُحُـد، {وَلَـوْ كُنْـتَ فَظًّـا} يَعْنِـي: جَافِيًـا سَـيِّئَ الْخُلُـقِ قَلِيـلَ الاحتمـال، {غَلِـيظَ الْقَلْـبِ} فَظًّـا فِـي الْقَـوْلِ غَلِـيظَ الْقَلْـبِ فِـي الْفِعْلِ،

(3) انظـر: (جـامع البيـان في تأويـل القـرآن) لِلإِمَـامُ (الطـبري) في سـورة (آل عمران) الآية 159 :-

(4) انظـر: (تفسـير القـرآن العزيـز) في سـورة (آل عمـران) الآيـة (159) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي)،

{لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} أي: نفروا وَتَفَرَّقُوا عَنْكَ يُقَالُ: فَضَضْتُهُمُ فَانْفَضُّوا، أَيْ: فَرَّقْتُهُمْ فَتَفَرَّقُوا {فَاعْفُ عَنْهُمْ} تَجَاوَزْ عَنْهُمْ مَا أَتَوْا يَوْمَ أحد عاله {وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} حَتَّى أُشَفِّعَكَ فِيهِمْ،

{وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} أَيِ: اسْتَخْرِجْ آرَاءَهُمْ وَاعْلَمْ مَا عِنْدَهُمْ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: شُرْتُ الدابة، وشروتها، إِذَا اسْتَخْرَجْتُ جَرْيَهَا، وَشُرْتُ الْعَسَلَ وَأَشَرْتُهُ إِذَا أَخَذْتُهُ مِنْ مَوْضِعِهِ، وَاسْتَخْرَجْتُهُ،

وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَعْنَى الَّذِي لأجله أمر الله نبيه وا سه بِالْمُشَاوَرَةِ مَعَ كَمَالِ عَقْلِهِ وَجَزَالَةِ رَأْيِهِ وَنُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ عَلَى الْخَلْقِ فِيمَا أَحَبُّوا أو كرهوا،

فَقَالَ: (بَعْضُهُمْ): هُوَ خَاصٌّ فِي المعنى، أي: وشاورهم فيما لبس عِنْدَكَ فِيهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عهد،

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ)، وَ(قَتَادَةُ): أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِمُشَاوَرَتِهِمْ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْطَفُ لَهُمْ عَلَيْهِ وَأَذْهَبُ لِأَضْغَانِهِمْ، فَإِنَّ سَادَاتِ الْعَرَبِ كَانُوا إِذَا لَمْ يُشَاوَرُوا فِي الْأَمْرِ شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ،

وَقَالَ: (الْحَسَنُ): قَدْ عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ مَا بِهِ إِلَى مُشَاوَرَتِهِمْ حَاجَةٌ وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَنَّ بِهِ مَنْ بعده، {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} لا عَلَى مُشَاوَرَتِهِمْ، أَيْ: قُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَثِقْ بِهِ وَاسْتَعِنْهُ، {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159]. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إِبْنُ كَثِير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطِبًا رَسُولَهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مُمْتَنًّا عَلَيْهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا أَلَانَ بِهِ قَلْبَهُ عَلَى أُمَّتِهِ، الْمُتَّبِعِينَ لِأَمْرِهِ، التَّارِكِينَ لِزَجْرِهِ، وَأَطَابَ لَهُمْ لَفْظَهُ: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ} أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ جَعَلَكَ لَهُمْ لَيِّنًا لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ بِكَ وَبِهِمْ.

قَالَ (قَتَادَةُ): {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ} يَقُولُ: فَبِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ. وَ"مَا" صِلَةٌ، والعرب تَصِلُهَا بِالْمَعْرِفَةِ كَقَوْلِهِ: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ} [النِّسَاء:155، الْمَائِدَة:13].

وَبِالنَّكِرَةِ كَقَوْلِهِ: {عَمَّا قَلِيلٍ} [الْمُؤْمِنُونَ:40] وَهَكَذَا هَاهُنَا قَالَ: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ} أَيْ: بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ .

وَقَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ): هَذَا خُلُقُ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التَّوْبَة:128].

* * *

وقال: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) – (رحمه الله) – في (المسند) – (بسنده):- حَدَّثَنَا حَيْوَة، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنِي أَبُو رَاشِدٍ الْحُبْرَانِيُّ قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ وَقَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- فقال: "يَا أَبَا أُمَامَةَ، إِنَّ

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن)

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَلِينُ لِي قَلْبُهُ". انْفَرَدَ بِهِ الإمام (أَحْمَدُ). (1)

* * *

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} الْفَظُّ: الْغَلِيظُ، وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا غَلِيظُ الْكَلَامِ" لقَوْلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ: {غَلِيظَ الْقَلْبِ} أَيْ: لَوْ كُنْتَ سَيِّئَ الْكَلَامِ قَاسِيَ الْقَلْبِ عَلَيْهِمْ لانْفَضُّوا عَنْكَ وَتَرَكُوكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ جَمَعَهُمْ عَلَيْكَ، وَأَلَانَ جَانِبَكَ لَهُمْ تَأْلِيفًا لِقُلُوبِهِمْ،

كَمَا قَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو): إِنَّهُ رَأَى صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ: أَنَّهُ لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ. (2)

* * *

وقد قال: الإِمَامُ (ابن ماجة) – (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ عَنْ شَيْبَانَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ (أَبِي سَلَمَةَ)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ)).

وَرَوَاهُ الإمام (أَبُو دَاوُدَ)، وَ(التِّرْمِذِيُّ)، وَ(حَسَّنَهُ) وَالإمام (النَّسَائِيُّ)، مِنْ حَدِيثِ (عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ بِأَبْسَطَ) مِنْهُ. (3)

* * *

ثمّ قال: الإِمَامُ (ابن ماجة) – (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ (أَبِي مَسْعُودٍ) قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ)). تَفَرَّدَ بِهِ. (4)

وَقَوْلُهُ: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} أَيْ: إِذَا شَاوَرْتَهُمْ فِي الْأَمْرِ وعَزَمْتَ عَلَيْهِ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فِيهِ {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}. (5)

* * *

انظر: سورة - (التوبة) - آية (128) وتفسيرها. - كما قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

* * *

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (267/5).
و(صححه) الإِمَامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (1095).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4838) – (كتاب: تفسير القرآن).

(3) (صَحِيح): اخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (3745).
واخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (5128).
واخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2822، 2369، 2370).

(4) اخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (3746)
وقال: الإمام (البوصيري) في (الزوائد) برقم (181/3): "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات".
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (159)، لِلإِمَامُ (ابن كثير).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (159)، لِلإِمَامُ (ابن كثير).

قال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده): حدثنا محمد بن عُبيد الله أبو ثابت، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن عُبيد بن السبّاق، عن (زيد بن ثابت) قال: بعث إليّ (أبو بكر) لمقتل أهل اليمامة وعنده (عمر)، فقال: أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بقراء القرآن في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؟ فقال: عمر: هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمر قال زيد: قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فتتبع القرآن فاجمعه. قال زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما كلفني من جمع القرآن. قلتُ: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؟ قال أبو بكر: هو والله خير. فلم يزل يحثّ مراجعتي حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، ورأيت في ذلك الذي رأيا. فتتبَعت القرآن أجمعه من العُسُب والرقاع واللخاف وصدور الرجال فوجدت آخر سورة التوبة (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخرها مع خزيمة -أو أبي خزيمة- فألحقتها في سورتها. وكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله عز وجل، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر. قال: محمد بن عبيد الله: اللخاف يعني الخزَف.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده): حدثنا عبد السلام بن مطهر قال: حدثنا عمر بن علي، عن معن بن محمد الغفاري، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن (أبي هريرة) عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: ((إن الدين يُسر، ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُّلجة)).(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده): وحدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن القرشي، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن (أبي هريرة)، قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً، فجعلت الدواب والفراش يقعن

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (195/13)، (ح 7191) – (كتاب: الأحكام)، / باب: (يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (116/1)، (ح 39) – (كتاب: الإيمان)، / باب: (الدين يسر ...).

فيه، فأنا آخذ بحُجَزِكم وأنتم تقحَّمون فيه)).(1)(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {159} {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} .

أي: برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك. {ولو كنت فظا} أي: سيئ الخلق {غليظ القلب} أي: قاسيه، {لانفضوا من حولك} لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ. فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول- المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟!، أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به -صلى الله عليه وسلم-، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالا لأمر الله، وجذبا لعباد الله لدين الله.

ثم أمره الله تعالى بأن يعفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في حقه -صلى الله عليه وسلم-، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين العفو والإحسان.

{وشاورهم في الأمر} أي: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره: منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله. ومنها: أن فيها تسميحا لخواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس -إذا جمع أهل الرأي: والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث- اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبذلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير تامة. ومنها: أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول. ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأي: المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله -صلى الله عليه وسلم- وهو أكمل الناس عقلا وأغزرهم علما، وأفضلهم رأيا:- {وشاورهم في الأمر} فكيف بغيره؟!، ثم قال تعالى:

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (4/1789)، (ح 2284) – (كتاب: الفضائل)، / باب: (شفقته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على أمته).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم(ح 6483) – (كتاب: الرقاق)، / باب: (الانتهاء عن المعاصي).

{فإذا عزمت} أي: على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه، إن كان يحتاج إلى استشارة {فتوكل على الله} أي: اعتمد على حول الله وقوته، متبرئا من حولك وقوتك، {إن الله يحب المتوكلين} عليه، اللاجئين إليه. (1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- يخبر تعالى عما وهب رسوله من الكمال الخلقي الذي هو قوام الأمر فيقول: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ} أي: فبرحمة من عندنا رحمناهم بها لنت لهم، {وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً} أي: قاسياً جافاً جافياً قاسي القلب غليظة {لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} أي: تفرقوا عنك، وحرموا بذلك سعادة الدارين. وبناء على هذا فاعف4 عن مسيئهم، واستغفر لمذنبهم، وشاور ذي الرأي منهم، وإذا بدا لك رأي راجح المصلحة فاعزم على تنفيذه متوكلاً على ربك فإنه يحب المتوكلين، والتوكل: الإقدام على فعل ما أمر الله تعالى به أو أذن فيه بعد إحضار الأسباب الضرورية له. وعدم التفكير فيما يترتب عليه بل يفوض أمر النتائج إليه تعالى. (2)

* * *

[١٦٠] ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن يؤيدكم الله بإعانته ونصره فلا أحد يغلبكم، ولو اجتمع عليكم أهل الأرض، وإذا ترك نصركم ووَكَلكم إلى أنفسكم فلا أحد يستطيع أن ينصركم من بعده، فالنصر بيده وحده، وعلى الله فليعتمد المؤمنون لا على أحد سواه. (3)

* * *

يَعْنِي:- إن يمددكم الله بنصره ومعونته فلا أحد يستطيع أن يغلبكم، وإن يخذلكم فمن هذا الذي يستطيع أن ينصركم من بعد خذلانه لكم؟ وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون. (4)

* * *

يَعْنِي:- إن يؤيدكم الله بنصره - كما حصل يوم بدر - فلن يغلبكم أحد، وإن قدر لكم الخذلان لعدم اتخاذكم أسباب النصر - كما حصل يوم أُحد - فلا ناصر لكم سواه، وعلى الله - وحده - يجب أن يعتمد المؤمنون ويفوضوا أمرهم إليه. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ} ... كما نصركم يوم بدر.

{فَلا غالِبَ لَكُمْ} ... فلا أحد يغلبكم.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (159)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (آل عمران) الآية (159)، للإمام: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (71/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (71/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ} ... كما خذلكم يوم أحد.

(أي: كما فَعَلَ يومَ أُحد حيث وَكَلَكُمْ إلى أَنْفُسِكُمْ لمخالفتكم أَمْرَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم -).

{فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ} ... فهذا تنبيه على أن الأمر كله لله، وعلى وجوب التوكل عليه.

{مِنْ بَعْدِهِ} ... أي: من بعد خذلانه.

{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} ... أي: وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل، والتفويض إليه، لعلمهم أنه لا ناصر سواه ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160)}. قال: الإمام (أبو جعفر): يعني تعالى ذكره بذلك: "إن ينصركم الله"، أيها المؤمنون بالله ورسوله، على من ناوأكم وعاداكم من أعدائه والكافرين به، "فلا غالب لكم" من الناس، يقول: فلن يغلبكم مع نصره إياكم أحد، ولو اجتمع عليكم مَن بين أقطارها من خلقه، فلا تهابوا أعداء الله لقلة عددكم وكثرة عددهم، ما كنتم على أمره واستقمتم على طاعته وطاعة رسوله، فإن الغلبة لكم والظفر، دونهم، "وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده"، يعني: إن يخذلكم ربكم بخلافكم أمره وترككم طاعته وطاعة رسوله، فيكلكم إلى أنفسكم، "فمن ذا الذي ينصركم من بعده"، يقول: فأيسوا من نصرة الناس، فإنكم لا تجدون ناصراً من بعد خذلان الله إياكم إن خذلكم، يقول: فلا تتركوا أمري وطاعتي وطاعة رسولي فتهلكوا بخذلاني إياكم، "وعلى الله فليتوكل المؤمنون"، يعني: ولكن على ربكم، أيها المؤمنون، فتوكلوا دون سائر خلقه، وبه فارضوا من جميع من دونه، ولقضائه فاستسلموا، وجاهدوا فيه أعداءه، يكفكم بعونه، ويمددكم بنصره.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {160} {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ} يعينكم اللَّهُ وَيَمْنَعْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، {فَلَا غَالِبَ لَكُمْ} مِثْلَ يَوْمِ بَدْرٍ، {وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ} يَتْرُكْكُمْ فَلَمْ يَنْصُرْكُمْ كَمَا كَانَ بِأُحُدٍ، وَالْخِذْلَانُ: الْقُعُودُ عَنِ النُّصْرَةِ، وَالْإِسْلَامُ لِلْهَلَكَةِ. {فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ} أَيْ: مِنْ بَعْدِ خِذْلَانِهِ، {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} قيل: التوكل ألا تَعْصِيَ اللَّهَ مِنْ أَجْلِ رِزْقِكَ، يَعْنِي:- ألا تَطْلُبَ لِنَفْسِكَ نَاصِرًا غَيْرَ اللَّهِ وَلَا لِرِزْقِكَ خَازِنًا غَيْرَهُ وَلَا لعملك شاهدا غيره.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} وَهَذَا كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: {وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (160)، لِلإمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (160).

اللَّـهِ الْعَزِيـزِ الْحَكِـيمِ} {آل عِمْـرَانَ:126} ثـمَّ أَمَـرَهُمْ بِالتَّوَكُّـلِ عَلَيْـهِ فَقَـالَ: {وَعَلَـى اللَّـهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. (1)

* * *

قـال: الإمـام (ابـن أبـي زَمَـنِين المـالكي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره) = (تفسـير القـرآن العزيـز): {إِنْ يَنْصُـرْكُمُ اللَّـهُ فَـلا غَالِـبَ لكـم} الْآيَـة، وَقـد أعلـم الله ورَسُـوله وَالْمُـؤمنِينَ أَنهـم منصـورون، وَكَـذَلِكَ إِن خـذلهم لـن ينصـرهم مـن بعـده نَاصِر. (2)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {إِنْ يَنْصُـرْكُمُ اللَّـهُ فَـلا غَالِـبَ لَكُـمْ وَإِنْ يَخْـذُلْكُمْ فَمَـنْ ذَا الَّـذِي يَنْصُـرُكُمْ مِـنْ بَعْـدِهِ وَعَلَـى اللَّـهِ فَلْيَتَوَكَّـلِ الْمُؤْمِنُـونَ} . أي: إن يمـددكم الله بنصـره ومعونتـه {فـلا غالـب لكـم} فلـو اجتمـع علـيكم مـن في أقطارهـا ومـا عنـدهم مـن العـدد والعُـدد، لأن الله لا مغالـب لـه، وقـد قهـر العبـاد وأخـذ بنواصـيهم، فـلا تتحـرك دابـة إلا بإذنه، ولا تسكن إلا بإذنه.

{وإن يخـذلكم} ويكلكـم إلى أنفسـكم {فمـن ذا الـذي ينصـركم مـن بعـده} فـلا بـد أن تنخـذلوا ولو أعانكم جميع الخلق.

وفي ضـمن ذلـك الأمـر بالاستنصـار بـالله والاعتمـاد عليـه، والـبراءة مـن الحـول والقـوة، ولهـذا قـال: {وعلـى الله فليتوكـل المؤمنـون} بتقـديم المعمـول يـؤذن بالحصـر، أي: علـى الله توكلـوا لا علـى غـيره، لأنـه قـد علـم أنـه هـو الناصـر وحـده، فالاعتمـاد عليـه توحيـد محصـل للمقصـود، والاعتمـاد علـى غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار.

وفي هـذه الآيـة الأمـر بالتوكـل علـى الله وحـده، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله. (3)

* * *

قـال: الإمَـامُ (ابـن أبـي حـاتم) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- قَوْلُـهُ تَعَـالَى: إِنْ يَنْصُـرْكُمُ اللَّـهُ فَـلا غَالِبَ لَكُمْ}

4425 - وَبِـهِ قَـالَ: (مُحَمَّـدُ بْـنُ إِسْـحَاقَ): إِنْ يَنْصُـرْكُمُ اللَّـهُ فَـلا غَـالِبَ لَكُـمْ أَيْ {إِنْ يَنصـرك اللَّـهُ فَـلا غَالِـبَ} لَـكَ مِـنَ النَّـاسِ، لَـنْ يَضُـرَّكَ خُذْلانُ مَنْ خَذَلَكَ.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَإِنْ يَخْـذُلْكُمْ فَمَـنْ ذَا الَّـذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ} .

4426 - وَبِـهِ قَـالَ: (ابْـنُ إِسْـحَاقَ): أَيْ لِـئَلا تَتْرُكَ أَمْرِي لِلنَّاسِ، وَأَرْفُضَ النَّاسَ لأَمْرِي.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَعَلَـى اللَّـهِ فَلْيَتَوَكَّـلِ الْمُؤْمِنُونَ} .

4427 - وَبِـهِ قَـالَ: (ابْـنُ إِسْـحَاقَ): {وَعَلَـى اللَّـهِ} أَيْ لاَ عَلَـى النَّـاسِ {فَلْيَتَوَكَّـلِ الْمُؤْمِنُونَ} . (4)

* * *

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (آل عمـرآن) الآيـة (160)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظـر: (تفسـير القـرآن العزيـز) في سـورة (آل عمـرآن) الآيـة (160) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(3) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (آل عمرآن) الآية (160)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإمـام (ابـن أبـي حـاتم) في سـورة (آل عمرآن) الآية (160). .

[١٦١] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ما كان لنبي من الأنبياء أن يخون بأخذ شيء من الغنيمة غير ما اختصه به الله، ومن يَخُنْ منكم بأخذ شيء من الغنيمة، يُعاقَب بأن يُفضح يوم القيامة، فيأتي حاملًا ما أخذه أمام الخلق، ثم تُعطى كل نفس جزاء ما اكتسبته تامًّا غير منقوص، وهم لا يُظلمون بزيادة سيئاتهم، ولا بنقص حسناتهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- وما كان لنبيّ أن يَخُونَ أصحابه بأن يأخذ شيئًا من الغنيمة غير ما اختصه الله به، ومن يفعل ذلك منكم يأت بما أخذه حاملا له يوم القيامة؛ ليُفضَح به في الموقف المشهود، ثم تُعطى كل نفس جزاءَ ما كسبت وافيًا غير منقوص دون ظلم. (2)

* * *

يَعْنِي:- ما صح لنبى أن يخون فى المغنم كما أشاع المنافقون الكذابون، لأن الخيانة تنافى النبوة، فلا تظنوا به ذلك، ومن يخن يأت يوم القيامة بإثم ما خان فيه، ثم تُعطى كل نفس جزاء ما عملت وافياً، وهم لا يظلمون بنقصان الثواب أو زيادة العقاب. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ} ... أي: وما صح له ذلك، يعني أن النبوة تنافى الغلول، وهو الأخذ فى خفية.

{يَغُلَّ} ... يَاخُذَ مِنَ الغَنِيمَةِ قَبْلَ قِسْمَتِهَا.

(أي: يأخذ من الغنيمة خُفْيَةً؛ إذ الغل والغلول بمعنى السرقة من الغنائم قبل قِسْمَتِهَا، والمعنى: وما كان لنبي أن يخون؛ لأن النبوةَ والخيانةَ لا يَجْتَمِعَان).

{يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} ... أي: يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله.

{تُوَفَّى} ... تجزى ما كسبته في الدنيا وافياً تاماً يوم القيامة.

{وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} ... أي: يعدل بينهم فى الجزاء، كل جزاؤه على قدر كسبه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره) – (بسنده) : (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قوله: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ}، قال: أن يخون. (4)

* * *

قال الإمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره) – (بسنده): قَالَ: أنا مَعْمَرٌ , عَنْ (قَتَادَةَ) , فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (71/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (71/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (97/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامِ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (161). برقم (353/7).

أَنْ يَغُلَّ} [آل عمران: 161] قَالَ: أَيْ: يَغُلَّهُ أَصْحَابُهُ، {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: 161]. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) – في (تفسيره) – (بسنده): معْمَرٌ، وَقَالَ (قَتَادَةُ): كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا غَنِمَ مَغْنَمًا بَعَثَ مُنَادِيًا فَنَادَى: ((أَلَا لَا يَغُلَّنَّ رَجُلٌ مِخْيَطًا فَمَا دُونَهُ، أَلَا لَا يَغُلَّنَّ رَجُلٌ بَعِيرًا فَيَأْتِي بِهِ عَلَى ظَهْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ رُغَاءٌ، أَلَا لَا يَغُلَّنَّ رَجُلٌ فَرَسًا، فَيَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ظَهْرِهِ لَهُ حَمْحَمَةٌ)). (2)

* * *

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...}.

قَالَ: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده): حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن سالم بن أبي الجعد عن (عبد الله بن عمرو) قال: كان على ثَقَل النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رجل يقال له كركرة، فمات، فقال: رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- "هو في النار"، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها، قال: (أبو عبد الله)، قال: (ابن سلام): كركرة يعني بفتح الكاف، وهو مضبوط كذا. (3)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ)، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَخُونَ.

وَقَالَ: لإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا المسيَّب بْنُ وَاضِحٍ، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن سُفْيَانَ عَنْ خُصيف، عَنْ (عِكْرِمَةَ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: فَقَدُوا قَطِيفَةً يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالُوا: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَخَذَهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ} أَيْ: يَخُونَ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} وَهَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ. (4)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ} قَالَ (قَتَادَةُ): يَعْنِي: أَن يغله أَصْحَابه من الْمُؤمنِينَ {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}. يَحْيَى: عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – عَلَيْهِ السَّلَامُ:- ((وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَا يَغُلُّ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْمَالِ بَعِيرًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَامِلَهُ عَلَى عُنُقِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَلَا بَقَرَةً إِلَّا جَاءَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَامِلَهَا عَلَى عُنُقِهِ وَلَهَا خُوَارٌ، وَلَا شَاةً إِلَّا جَاءَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَامِلَهَا عَلَى عُنُقِه وَهِي تَيْعَرُ)).

---

(1) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (161)، للإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني)

(2) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (161).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (216/6)، (ح 3074) – (كتاب: الجهاد)، / باب: (القليل من الغلول).

ثَقَل: يقال لكل خطير نفيس (النهاية) لابن الأثير) برقم (216/1).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (161)، للإِمَامْ (ابن كثير).

قَالَ: (مُحَمَّد): معنى (تَيْعر): تصيح.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {161} {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}.

الغلول هو: الكتمان من الغنيمة، والخيانة في كل مال يتولاه الإنسان وهو محرم إجماعا، بل هو من الكبائر، كما تدل عليه هذه الآية الكريمة وغيرها من النصوص، فأخبر الله تعالى أنه ما ينبغي ولا يليق بنبي أن يغل، لأن الغلول -كما علمت- من أعظم الذنوب وأشر العيوب. وقد صان الله تعالى أنبياءه عن كل ما يدنسهم ويقدح فيهم، وجعلهم أفضل العالمين أخلاقا، وأطهرهم نفوسا، وأزكاهم وأطيبهم، ونزههم عن كل عيب، وجعلهم محل رسالته، ومعدن حكمته {الله أعلم حيث يجعل رسالته}.

فبمجرد علم العبد بالواحد منهم، يجزم بسلامتهم من كل أمر يقدح فيهم، ولا يحتاج إلى دليل على ما قيل فيهم من أعدائهم، لأن معرفته بنبوتهم، مستلزم لدفع ذلك، ولذلك أتى بصيغة يمتنع معها وجود الفعل منهم، فقال: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ} أي: يمتنع ذلك ويستحيل على من اختارهم الله لنبوته.

ثم ذكر الوعيد على من غل، فقال: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي: يأت به حامله على ظهره، حيوانا كان أو متاعا، أو غير ذلك، ليعذب به يوم القيامة، {ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ} الغال وغيره، كل يوفى أجره ووزره على مقدار كسبه، {وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} أي: لا يزاد في سيئاتهم، ولا يهضمون شيئا من حسناتهم، وتأمل حسن هذا الاحتراز في هذه الآية الكريمة.

لما ذكر عقوبة الغال، وأنه يأتي يوم القيامة بما غله، ولما أراد أن يذكر توفيته وجزاءه، وكان الاقتصار على الغال يوهم -بالمفهوم- أن غيره من أنواع العاملين قد لا يوفون -أتى بلفظ عام جامع له ولغيره.(2)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن (الزهري) قال: أخبرني عروة عن (أبي حميد الساعدي) أنه أخبره أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - استعمل عاملاً فجاءه العامل حين فرغ من عمله فقال: يا رسول الله، هذا لكم، وهذا أهدي لي. فقال له: ((أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فنظرتَ أيهدى لك أم لا؟ ثم قام رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عشية بعد الصلاة فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال، ((أما بعدُ فما بال العامل نستعمله، فيأتينا فيقول: هذا من عملكم وهذا أهدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فنظر هل يُهدَى له أم لا؟ فوالذي نفسُ محمد بيده، لا يغل أحدكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمرآن) الآية (161) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (161)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

على عنقه: إن كان بعيراً جاء به له رغاء، وإن كانت بقرة جاء بها لها خوار، وإن كانت شاة جاء بها تيعر. فقد بلغتُ)).

قال: (أبو حميد): ثم رفع رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يده حتى إنا لننظر إلى عفرة إبطيه.

قال: (أبو حميد): وقد سمع ذلك معي (زيد بن ثابت) من النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فسلوه.(1)

* * *

وقال: الإمامْ (البُخَاري و مُسلِم) - (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما):- وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: " قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - ذَاتَ يَوْمٍ, فَذَكَرَ الْغُلُولَ(2) فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ ثُمَّ قَالَ: لاَ أَلْفِيَنَّ(3) أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ(4) يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا(5) قَدْ أَبْلَغْتُكَ, لاَ أَلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ(6) فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا, قَدْ أَبْلَغْتُكَ لاَ أَلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ(7) يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي, فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ, لاَ أَلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ, فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ, لاَ أَلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ(8) فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ, لاَ أَلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ(9) فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي, فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ"(10)

* * *

وفي حديث آخر:

قال: الإمامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن أبي حيان قال: حدثني أبو زرعة قال: حدثني (أبو هريرة) - رضي الله عنه - قال: قام فينا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6636), ح (532/11) - (كتاب: الأيمان والنذور)، / باب: (كيف يمين النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -).

(2) أصل الْغُلُول: الْخِيَانَة مُطْلَقًا، ثُمَّ غَلَبَ اخْتِصَاصه فِي الِاسْتِعْمَال بِالأَخْذ من الغنيمة قبل قسمتها. شرح النووي على مسلم - (ج 6 / ص 303).

(3) أَيْ: لَا أَجِدَنَّ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنْ نَهْيِ الْمَرْءِ نَفْسه, فَلَيْسَ الْمُرَاد ظَاهِره, وَإِنَّمَا الْمُرَاد نَهْيُ مَنْ يُخَاطِبهُ عَنْ ذَلِكَ, وَهُوَ أَبْلَغ. فتح الباري (9/ 318).

(4) الرُّغَاء: صوتُ الإبل.

(5) مَعْنَاهُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا مِنْ الْمَغْفِرَة وَالشَّفَاعَة إِلَّا بِإِذْنِ الله تَعَالَى، وَيَكُون ذَلِكَ أَوَّلًا غَضَبًا عَلَيْهِ لِمُخَالَفَتِهِ، ثُمَّ يَشْفَع - صلى الله عليه وسلم - فِي جَمِيع الْمُوَحِّدِينَ بَعْد ذَلِكَ. شرح النووي على مسلم - (ج 6 / ص 303).

(6) الحَمْحَمَة: صوت الفرس دون الصَّهِيل.

(7) الثُّغاء: صياح الغنم.

(8) أَيْ: رِقَاع تَتَقَعْقَع وَتَضْطَرِب إِذَا حَرَّكَتْهَا الرِّيَاح، وَالْمُرَاد بِهَا الثِّيَاب, وَالْحَمْل الْمَذْكُور عُقُوبَة لَهُ بِذَلِكَ لِيُفْتَضَح عَلَى رُءُوس الْأَشْهَاد، وَهَذَا الْحَدِيث يُفَسِّر قَوْله - عز وجل - {يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَة} , أَيْ: يَأْتِ بِهِ حَامِلًا لَهُ عَلَى رَقَبَته. فتح (9/ 318).

(9) (الصَّامِت): الذَّهَب وَالْفِضَّة، وَقِيلَ: مَا لَا رُوح فِيهِ مِنْ أَصْنَاف الْمَال. (فتح الباري) برقم (ج 9 / ص 318).

(10) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (م) (1831). وأخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2908).

- فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، قال: ((لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. وعلى رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. وعلى رقبته صامت فيقول: نجا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. أو على رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك. وقال أيوب عن أبي حيان فرس له حمحمة)).(1)

* * *

وفي حديث آخر:

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن ثور بن زيد الديلي عن أبي الغيث مولى ابن مطيع عن (أبي هريرة)، قال: خرجنا مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع فأهدى رجل من بني الضُّبيب، يقال له فارعة بن زيد لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غلاماً يقال له مدعم، فوجَّه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى وادي القرى حتى إذا كان بوادي القرى بينما مدعم يحط رحلاً لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا سهم عائر فقتله، فقال الناس هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :- "كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً، فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: شراك من نار أو شراكان من نار.(2)(3)

* * *

وفي حديث آخر:

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع بن الجراح، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن (عديّ بن عميرة الكندي)، قال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطاً فما فوقه، كان غلولاً يأتي به يوم القيامة. قال: فقام إليه رجل أسود، من الأنصار. كأني أنظر إليه. فقال: يا رسول الله! اقبل عني عملك. قال ومالك؟. قال: سمعتك تقول كذا وكذا. قال: وأنا أقوله الآن: من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره. فما أُوتي منه أخذ، وما نهى عنه انتهى)).(4)

* * *

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6/214-215)، (ح/3073) - (كتاب: الجهاد والسير)، / باب: (الغلول وقول الله عز وجل)- (الآية)..

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (600/11)، (ح 6707) - (كتاب: الأيمان والنذور)، / باب: (هل يدخل في الأيمان والنذور الأرض والغنم والزروع، الأمتعة) .

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (108/1)، (ح 183) - (كتاب: الإيمان)، / باب: (غلظ تحريم الغلول) .

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1465/3)، (ح 1833) - (كتاب: الإمارة)، / باب: (تحريم هدايا العمال) .

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني زهير بن حرب، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عكرمة بن عمار، قال: حدثني سماك الحنفي، أبو زميل، قال: حدثني (عبد الله بن عباس)، قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لَمَّا كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مرّوا على رجل فقالوا: فلان شهيد،

فقال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:- ((كلا، إني رأيته في النار، في بردة غلّها، أو عباءة)).

ثم قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:- ((يا ابن الخطاب! اذهب فناد في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون)). قال فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون)).(1)

* * *

قال: الإمام (الدارمي) - (رحمه الله) - في (سُننِه) - (بسنده): حدثنا محمد بن عيينه ثنا أبو إسحاق الفزاري عن عبد الرحمن ابن عياش عن سليمان بن موسى عن أبي سلام عن (أبي أمامة الباهلي) عن (عبادة بن الصامت) أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يقول:

((أدوا الخياط والمخيط وإياكم والغلول، فإنه عار على أهله يوم القيامة)).(2)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا قتيبة. حدثنا عبد الواحد بن زياد. عن خصيف حدثنا مقسم قال: قال: (ابن عباس): نزلت هذه الآية (ما كان لنبي أن يغل) في قطيفة حمراء افتقدت يوم بدر. فقال بعض الناس: لعل رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أخذها، فأنزل الله (ما كان لنبي أن يغل) إلى آخر الآية.

قال: (أبو عيسى): هذا حديث حسن غريب، وقد روى عبد السلام بن حرب عن خصيف نحو هذا، وروى بعضهم هذا حديث عن خصيف عن مقسم، ولم يذكر فيه عن (ابن عباس).(3)

---

(1) (صَحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1/107-108)، (ح 114) - (كتاب: الإيمان)، / باب: (غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه).

(2) أخرجه الإمام (الدارمي) في (السنن) برقم (2/229-230) - (كتاب: السير)، / باب: (ما جاء أنه قال: (أدوا الخياط والمخيط).
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (5/313) - من طريق -: (أبي إسحاق الفزاري) بإسناده نحوه،
وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) في (الموارد) برقم (193).
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (3/49) وسكت هو والإمام (الذهبي).
قال: الإمام (الألباني): (إسناد حسن) رجاله كلهم ثقات. في (السلسلة أحاديث الصحيحة) برقم (2/717).
وذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمرآن) الآية (161)، برقم (ص 1/ 477).

(3) اخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (5/230)، (ح/3009) - (كتاب: التفسير)./ باب: (سورة آل عمران).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي).
وأخرجه الإمام (ابن مردويه) (كما في تفسير ابن كثير) برقم (2/130)،
وأخرجه الإمام (الواحدي) في (أسباب النزول) برقم (ص 108) كلاهما من طريق -: (أبي عمرو بن العلاء - عن مجاهد - عن ابن عباس) نحوه، وفيه متابعة لخصيف ومقسم.
وذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمرآن) الآية (161)، برقم (ص 1/ 477).

* * *

وقال: الإمَامُ (أبي يعلى) في (مُسنده)،- والإمام (البزار) في (مُسنده) - (رحمهما الله) - (بِسَندِهما):- عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - قَالَ: (فُقِدَتْ قَطِيفَةٌ [1] حَمْرَاءُ يَوْمَ بَدْرٍ مِمَّا أُصِيبُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ, فَقَالَ أُنَاسٌ: لَعَلَّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أَخَذَهَا, فَأَنْزَلَ اللهُ: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ} [2] [3] (قَالَ: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَتَّهِمَهُ أَصْحَابُهُ) [4].

* * *

[١٦٢] ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لا يستوي عند الله من اتبع ما ينال به رضوان الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن كفر بالله وعَمِلَ السيئات، فرجع بغضب شديد من الله، ومستقره جهنم وساءت مرجعًا ومستقرًا. [5]

* * *

يَعْنِي:- لا يستوي من كان قصده رضوان الله ومن هو مُكِبٌّ على المعاصي، مسخط لربه، فاستحق بذلك سكن جهنم، وبئس المصير. [6]

* * *

يَعْنِي:- ليس من سعى فى طلب رضا الله بالعمل والطاعة مثل الذى باء بغضب عظيم من الله بسبب المعصية. ومصير العاصي جهنم وبئس ذلك المصير. [7]

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللَّهِ} ... أي: بترك الغلول، والصبر على الجهاد.

{رِضْوَانَ الله} ... المرادُ مَا يُوجِبُ رضوانَه من الإيمانِ والصدق والجهاد.

{كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ} ... أي: بكفر أو غلول، أو تول عن النبي- صلّى الله عليه وآله وسلم - فى الحرب.

{باءَ} ... رَجَعَ.

{بِسَخْطٍ مِّنَ الله} ... غَضَبُهُ الشديدُ عَلَى الفاسقينَ عن أَمْرِهِ المُؤْذِينَ رسولَه - صلى الله عليه وسلم .

{وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ} ... أي مثواه النار، إن لم يتب أو يعفو الله عنه.

{وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} ... أي: المرجع.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

---

(1) القطيفة: كساء أو فراش له أهداب.
(2) الغلول: الخيانة والسرقة.
(3) أخرجه الإمَامْ (أبي يعلى) في (المسند) برقم أ (2438).
واخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3009).
واخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (3971).
(4) اخرجه الإمام (البزار) في (المسند) برقم (2197) - كشف الأستار،
واخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3009).
واخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (3971).
انظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) رقم (2788) للإمَامْ (الألباني).
(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (71/1). تصنيف (جماعة من علماء التفسير).
(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (71/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(7) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (97/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ}.

4447 - وَبِهِ عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ يَعْنِي: أَرْضَى اللَّهَ فَلَمْ يَغْلُلْ مِنَ الْغَنِيمَةِ

- وَرُوِيَ عَنِ (الضَّحَّاكِ) قَالَ: مَنْ لَمْ يَغُلَّ.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- قَالَ: أنا (ابْنُ عُيَيْنَةَ)، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ (الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ} {آل عمران: 162} قَالَ: مَنْ لَمْ يَغُلَّ،

{كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ} {آل عمران: 162} ال: ‹كَمَنْ غَلَّ›.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ) يُرِيدُ بِتَرْكِ الْغُلُولِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْجِهَادِ. (كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ) يُرِيدُ بِكُفْرٍ أَوْ غُلُولٍ أَوْ تَوَلٍّ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْحَرْبِ. (وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ) أَيْ مَثْوَاهُ النَّارُ، أي إن لم يتب أو يعفو الله عنه.

(وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) أي المرجع.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {162} {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ} فترك الْغُلُولَ، {كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ} فغلَّ، {وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} {آل عمران: 162}.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} أَيْ: لَا يَسْتَوِي مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ فِيمَا شَرَعَهُ، فَاسْتَحَقَّ رِضْوَانَ اللَّهِ وَجَزِيلَ ثَوَابِهِ وأُجِيرَ مِنْ وَبِيلِ عِقَابِهِ، وَمَنِ اسْتَحَقَّ غَضَبَ اللَّهِ وَأُلْزِمَ بِهِ، فَلَا مَحِيدَ لَهُ عَنْهُ، وَمَأْوَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

وَهَذِهِ لَهَا نَظَائِرُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} {الرَّعْد:19}.

وَكَقَوْلِهِ {أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} {القصص:61}.(5)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسخط من الله} أَي: اسْتَوْجَبَ سخط الله"

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (162)..

(2) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) الآية (162)، للإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني).

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (162)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (162).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (162)، للإِمَامْ (ابن كثير).

يَقُول: أهما سَوَاء؟! على وجه الاسْتِفْهَام أَي: أَنَّهُمَا ليسا بِسَوَاء {وَمَأْوَاهُ} مصيره. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {أَفَمَنِ اتبع رِضْوَانَ الله} فِي أخذ الْخمس وَترك الْغلُول {كَمَن بَآءَ بِسَخْطٍ مِّنَ الله} كمن اسْتوْجبَ عَلَيْهِم سخط الله بالغلول {وَمَأْوَاهُ} مصير الغال {جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمصير} صَارُوا إِلَيْه. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {162} {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}. يخبر تعالى أنه لا يستوي من كان قصده رضوان ربه، والعمل على ما يرضيه، كمن ليس كذلك، ممن هو مكب على المعاصي، مسخط لربه، هذان لا يستويان في حكم الله، وحكمة الله، وفي فطر عباد الله.

{أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} {السجدة: 18}. (3)

* * *

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ} الْآيَةَ، ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ لَيْسَ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنْهُ " لِأَنَّ هَمْزَةَ الْإِنْكَارِ بِمَعْنَى النَّفْيِ وَلَمْ يَذْكُرْ هُنَا صِفَةَ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَشَارَ إِلَى بَعْضِهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَهُوَ قَوْلُهُ: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} {3 \ 173 \ 174}.

وَأَشَارَ إِلَى بَعْضِ صِفَاتِ مَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: {تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} {المائدة: 80}،

وَبِقَوْلِهِ هُنَا: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ} الْآيَةَ {آل: عمران: 161}. (4)

* * *

[١٦٣] ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هم متفاوتون في منازلهم في الدنيا والآخرة عند الله، والله بصير بما يعملون، لا يخفى عليه شيء، وسيجازي كلًّا بعمله. (5)

* * *

يَعْنِي:- أصحاب الجنة المتبعون لما يرضي الله متفاوتون في الدرجات، وأصحاب النار

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (162) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (162). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – جمعه: الإمام (مجد الدين الفيروزآبادي)، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان.

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (162)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (162).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (71/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

المتبعـــون لمـــا يســـخط الله متفـــاوتون في الـــدركات، لا يســـتوون. والله بصـــير بأعمـــالهم لا يخفى عليه منها شيء.(1)

* * *

يَعْنِـــي:- لـــيس الفريقـــان ســـواء، بـــل هـــم متفـــاوتون عنـــد الله تفـــاوت الـــدرجات والله عـــالم بـــأحوالهم ودرجـــاتهم، فيجـــازيهم علـــى قدرها.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{هُـــمْ دَرَجَـــاتٌ} ... أي: ذو درجـــات، والمعنـــى: تفاوت منازل المثابين ومنازل المعاقبين.

{وَاللَّـــهُ بَصِـــيرٌ بِمَـــا يَعْمَلُـــونَ} ... أي: بأعمـــالهم ودرجاتها، فمجازيهم على حسبها.

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {هم درجات عند الله} .

قـــال: الإمَـــامُ (آدم بـــن أبـــي إيـــاس) – (رحمـــه الله) – في (تفســـيره):- (بســـنده الصـــحيح) – عـــن (مجاهـــد): في قولـــه: {درجـــات عنـــد الله} قـــال: هـــي كقولـــه {لهـــم درجـــات عنـــد ربهم} {الأنفال:4} .(3)

* * *

قـــال: الإمَـــامُ (الطـــبري) – (رحمـــه الله) – في (تفســـيره):-

قولـــه تعـــالى: {هُـــمْ دَرَجَـــاتٌ عِنْـــدَ اللَّـــهِ وَاللَّـــهُ بَصِـــيرٌ بِمَـــا يَعْمَلُـــونَ (163)} , قـــال: الإمـــام (أبـــو جعفـــر): يعـــني تعـــالى ذكـــره بـــذلك: أنّ مـــن اتبـــع رضـــوان الله ومـــن بـــاء بســـخَط مـــن الله، مختلفـــو المنـــازل عنـــد الله. فلمـــن اتبـــع رضـــوان الله، الكرامـــةُ والثـــواب الجزيـــل، ولمـــن بـــاء بسخط من الله، المهانةُ والعقاب الأليم.(4)

* * *

قـــال: الإمـــام (القـــرطبي) – (رحمـــه الله) – في (تفســـيره):- ثـــم قـــال تعـــالى: (هُـــمْ دَرَجـــاتٌ عِنْـــدَ اللَّـــهِ) أيْ لَـــيْسَ مَـــنِ اتَّبَـــعَ رِضْـــوَانَ اللَّـــهِ كَمَـــنْ بَـــاءَ بِسَخَطٍ مِنْهُ.

قيـــل: " هُـــمْ دَرَجَـــاتٌ" متفاوتـــة، أي هـــم مختلفـــوا المنـــازل عنـــد الله، فلمـــن ابتغـــى رِضْـــوَانَهُ الْكَرَامَـــةُ وَالثَّـــوَابُ الْعَظِـــيمُ، وَلِمَـــنْ بَـــاءَ بِسَـــخَطٍ مِنْـــهُ الْمَهَانَـــةُ وَالْعَـــذَابُ الْـــأَلِيمُ. وَمَعْنَـــى" هُـــمْ دَرَجَـــاتٌ" - أَيْ ذَوُو دَرَجَـــاتٍ. أَوْ عَلَـــى دَرَجَـــاتٍ، أَوْ فِـــي دَرَجَـــاتٍ، أَوْ لَهُـــمْ دَرَجَـــاتٌ. وَأَهْـــلُ النَّارِ أَيْضًا ذَوُو دَرَجَاتٍ،

كَمَـــا قَـــالَ: (وَجَدْتُـــهُ فِـــي غَمَـــرَاتٍ مِـــنَ النَّـــارِ فَأَخْرَجْتُـــهُ إِلَـــى ضَحْضَـــاحٍ). فَـــالْمُؤْمِنُ وَالْكَـــافِرُ لَا يَسْـــتَوِيَانِ فِـــي الدَّرَجَـــةِ، ثُـــمَّ الْمُؤْمِنُـــونَ يَخْتَلِفُـــونَ أَيْضًـــا، فَبَعْضُـــهُمْ أَرْفَـــعُ دَرَجَـــةً مِـــنْ بَعْـــضٍ، وَكَـــذَلِكَ الْكُفَّـــارُ. وَالدَّرَجَـــةُ الرُّتْبَـــةُ، وَمِنْـــهُ الـــدَّرَجُ، لِأَنَّـــهُ يُطْـــوَى رُتْبَـــةً بَعْـــدَ رُتْبَـــةٍ. وَالْأَشْـــهَرُ فِي مَنَازِلِ جَهَنَّمَ دَرَكَاتٌ،

كَمَـــا قَـــالَ: {إِنَّ الْمُنَـــافِقِينَ فِـــي الـــدَّرْكِ الْأَسْـــفَلِ مِـــنَ النَّـــارِ} {النســـاء: 145} فَلِمَـــنْ لَـــمْ يَغُـــلَّ دَرَجَاتٌ فِي الْجَنَّةِ، وَلِمَنْ غَلَّ دَرَكَاتٌ فِي النَّارِ.

---

(1) انظـــر: (التفســـير الميســـر) بـــرقم (71/1)، المؤلـــف: (نخبـــة مـــن أســـاتذة التفسير).

(2) انظـــر: (المنتخـــب في تفســـير القـــرآن الكـــريم) بـــرقم (97/1)، المؤلـــف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) كمـــا ذكـــره و نقلـــه الشـــيخ: (أ. الـــدكتور: (حكمـــت بـــن بشـــير بـــن ياســـين) في (موســـوعة الصـــحيح المســـبور مـــن التفســـير بالمـــأثور) في ســـورة (آل عمـــران) الآيـــة (163). برقم (ص 1/ 478)،

(4) انظـــر: (جـــامع البيـــان في تـــأويل القـــرآن) في ســـورة (آل عمـــران) الآيـــة (163)، لِلإِمَامِ (الطبري)،

قَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ): جَهَنَّمُ أَدْرَاكٌ، أَيْ مَنَازِلُ، يُقَالُ لِكُلِّ مَنْزِلٍ مِنْهَا: دَرَكٌ وَدَرْكٌ. وَالدَّرْكُ إِلَى أَسْفَلَ، وَالدَّرَجُ إلى أعلى.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- {163} {هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ} يعني: ذو درجات عند اللَّه، قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:-يَعْنِي مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ وَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ مُخْتَلِفُو الْمَنَازِلِ عِنْدَ اللَّهِ، فَلِمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ الثَّوَابُ الْعَظِيمُ، وَلِمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ. {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} {آل عمران: 163}.(2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ: {هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ} قَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ) وَ(مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ): يَعْنِي: أَهْلُ الْخَيْرِ وَأَهْلُ الشَّرِّ دَرَجَاتٌ، وَقَالَ: (أَبُو عبيدةَ وَالْكِسَائِيُّ): مَنَازِلُ، يَعْنِي: مُتَفَاوِتُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَدَرَكَاتِهِمْ فِي النَّارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا} الْآيَةَ {الْأَنْعَام:132} "وَلِهَذَا قَالَ: {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} أَيْ: وَسَيُوفِيهِمْ إِيَّاهَا، لَا يَظْلِمُهُمْ خَيْرًا وَلَا يَزِيدُهُمْ شَرًّا، بَلْ يُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِه.(3)

* * *

قَال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {هُم دَرَجَات عِنْد الله} يَعْنِي: أهل النَّار بَعضهم أَشد عذَابا من بعض، وَأهل الْجنَّة بَعضهم أرفع دَرَجَات من بعض.

قَالَ (مُحَمَّد): {هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ الله} الْمَعْنى: هم (ذَوُو) دَرَجَات..(4)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قَال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) -: {هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ الله} يَقُول لَهُم دَرَجَات عِنْد الله فِي الْجنَّة لمن ترك الْغلُول ودركات لمن غل {وَالله بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} من الْغلُول وَغَيره.(5)

* * *

قَال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {163} {هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}.

ولهذا قال هنا: {هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ} أي: كل هؤلاء متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم بحسب تفاوتهم في أعمالهم.

فالمتبعون لرضوان الله يسعون في نيل الدرجات العاليات، والمنازل والغرفات، فيعطيهم الله من فضله وجوده على قدر أعمالهم، والمتبعون لمساخط الله يسعون في

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (آل عمران) - الآية (163)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (163).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (163)، للإمامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (163) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (163). ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما - .

النــزول في الــدركات إلى أسـفل سـافلين، كـل علـى حسـب عملـه، والله تعـالى بصـير بأعمـالهم، لا يخفـى عليـه منهـا شـيء، بـل قـد علمهـا، وأثبتهـا في اللـوح المحفـوظ، ووكـل ملائكتـه الأمنـاء الكـرام، أن يكتبوهـا ويحفظوها، ويضبطونها. (1)

* * *

[١٦٤] ﴿ لَقَـدْ مَـنَّ اللَّـهُ عَلَـى الْمُـؤْمِنِينَ إِذْ بَعَـثَ فِـيهِمْ رَسُـولًا مِـنْ أَنْفُسِـهِمْ يَتْلُـو عَلَـيْهِمْ آيَاتِـهِ وَيُـزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَإِنْ كَـانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لقـد أنعـم الله علـى المؤمنين وأحسـن إلـيهم حـين بعـث فـيهم رسـولًا مـن جنسـهم، يقـرأ علـيهم القـرآن، ويطهِّـرهم مـن الشـرك والأخـلاق الرذيلـة، ويعلمهـم القـرآن والسُّـنَّة، وقـد كـانوا مـن قبـل بعثـة هـذا الرسـول- في ضـلال واضـح عن الهدى والرشاد. (2)

* * *

يَعْنِـي:- لقـد أنعـم الله علـى المـؤمنين مـن العـرب" إذ بعـث فـيهم رسـولا مـن أنفسـهم، يتلـو علـيهم آيـات القـرآن، ويطهـرهم مـن الشـرك والأخـلاق الفاسـدة، ويعلمهـم القـرآن والسـنة، وإن كـانوا مـن قبـل هـذا الرسـول- لفـي غـي وجهل ظاهر. (3)

* * *

يَعْنِـي:- لقـد تفضـل الله علـى المـؤمنين الأولـين الـذين صـحبوا النبـى، بـأن بعـث فـيهم رسـولا مـن أنفسـهم يتلـو علـيهم آيـات الكتـاب، ويطهـرهم مـن سـوء العقيـدة، ويعلمهـم علـم القـرآن والسنة. وقـد كـانوا مـن قبـل بَعثـه فـى جهالـة وحيرة وضياع. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَقَـدْ مَـنَّ اللَّـهُ عَلَـى الْمُـؤْمِنِينَ} ... علـى مـن آمـن مـع رسـول الله- صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلم- مـن قومه.

{مِـنْ أَنْفُسِـهِمْ} ... مـن جنسـهم عربيـا مثلـهم، وفى هذا شرف لهم.

{يَتْلُـوا عَلَـيْهِمْ آيَاتِـهِ} ... بعـد مـا كـانوا أهـل جاهلية.

{وَيُـزَكِّيهِمْ} ... ويطهـرهم مـن دنـس القلـوب بالكفر.

{وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ} ... القـرآن والسنة.

{وَإِنْ كَـانُوا مِـنْ قَبْـلُ} ... مـن قبـل بعثـة الرسـول- - صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلم-. و (إن) هنا، هى المخففة من الثقيلة.

{لَفِـي ضَـلَالٍ} ... الـلام هـى الفارقـة بـين (إن) المخففـة وبـين (إن) النافيـة. والتقـدير: وإن

---

(1) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (آل عمرآن) الآية (163)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (71/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (71/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(4) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (97/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

الشأن والحديث، {كانوا من قبل}... في ضلال.

{مُبِينٍ}... ظاهر لا شبهة فيه.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة - (البقرة) - آية (129). -

كما قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }.

* * *

قال: الإمَام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (164)}

قال: الإمام (أبو جعفر): يعني بذلك: لقد تطوّل الله على المؤمنين {إذ بعث فيهم رسولا}، حين أرسل فيهم رسولا {من أنفسهم}، نبيًّا من أهل لسانهم، ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهوا عنه ما يقول {يتلو عليهم آياته}، يقول: يقرأ عليهم آي كتابه وتنزيله {ويزكيهم}، يعني: يطهّرهم من ذنوبهم باتباعهم إياه وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم {ويعلمهم الكتاب والحكمة"، يعني: ويعلمهم كتاب الله الذي أنزله عليه، ويبين لهم تأويله ومعانيه {والحكمة}، ويعني بالحكمة، السُّنةَ التي سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبيانَه لهم {وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين}، يعني: وإن كانوا من قبل أن يمنّ الله عليهم بإرساله رسوله الذي هذه صفته {لفي ضلال مبين}، يقول: في جهالة جهلاء، وفي حيرة عن الهدى عمياء، لا يعرفون حقًّا، ولا يبطلون باطلا.

وقد بينا أصل {الضلالة} فيما مضى، وأنه الأخذ على غير هدى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. و{المبين}، الذي يبَين لمن تأمله بعقله وتدبره بفهمه، أنه على غير استقامة ولا هدى.(1)

* * *

قال: الإمَام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}.

4462 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو زُنَيْجٌ، ثنا سَلَمَةُ قَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ)، قَوْلَهُ: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} قَالَ: أَيْ: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الإِيمَانِ.

* * *

4463 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، أَنْبَأَ الْعَبَّاسِ، ثنا يَزِيدُ، ثنا سَعِيدٌ، عَنْ (قَتَادَةَ) قَوْلَهُ: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} قَالَ: مَنٌّ اللَّهِ عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ دَعْوَةٍ وَلا رَغْبَةٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، جَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لَهُمْ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ}.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (164)، للإمَامْ (الطبري).

4464 - حَـدَّثَنَا أَبِي، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَنْبَأَ هشام بن يوسف، عن عبد الله ابن سُلَيْمَانَ النَّوفَلِيِّ، عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، عَنْ (عُرْوَةَ)، عَنْ (عَائِشَةَ): فِي هَذِهِ الآيَةِ: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ} قَالَتْ: هَذِهِ الْعَرَبُ خَاصَّةً.

* * *

4474 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، ثنا سَلَمَةُ قَالَ: قَالَ (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ) قَوْلَهُ: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} أَيْ: فِي عَمْيَاءَ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ لا تَعْرِفُونَ حَسَنَةً، وَلا تَسْتَغْفِرُونَ مِنْ سَيِّئَةٍ.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {164} {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ} قِيلَ: أَرَادَ بِهِ الْعَرَبَ لِأَنَّهُ لَيْسَ حَيٌّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ إِلا وله فيهم من نسب إلا بني تغلب، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ} {الجمعة: 2}.

وَقَالَ (الْآخَرُونَ): أَرَادَ بِهِ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (مِنْ أَنْفُسِهِمْ) أَيْ: بِالْإِيمَانِ وَالشَّفَقَةِ لَا بالنسب، دليله قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} {التوبة: 128}. {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا} وقد كانوا، {مِنْ قَبْلُ} أَيْ: مِنْ قَبْلِ بَعْثِهِ {لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} {آل عمران: 164}.(2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إِبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ} أَيْ: مِنْ جِنْسِهِمْ لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ مُخَاطَبَتِهِ وَسُؤَالِهِ وَمُجَالَسَتِهِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} {الرُّوم:21} أَيْ: مِنْ جِنْسِكُمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} {الْكَهْف:110}.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأسْوَاقِ} {الْفُرْقَان:20}.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} {يُوسُف:109}.

وَقَالَ تَعَالَى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ} {الْأَنْعَام:130} فَهَذَا أَبْلَغُ فِي الِامْتِنَانِ أَنْ يَكُونَ الرُّسُلُ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ، بِحَيْثُ يُمْكِنُهُمْ مُخَاطَبَتُهُ وَمُرَاجَعَتُهُ فِي فَهْمِ الْكَلَامِ عَنْهُ،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (164). .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلْإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (164).

ولهذا قال: {يَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتِه} يَعْنِي: القُرآنَ {وَيُزَكِّيهِمْ} أَيْ: يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوف وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ لتزكُو نُفُوسُهُمْ وَتَطْهُرَ مِنَ الدَّنَس والخَبَث الَّذي كَانُوا مُتَلَبِّسِينَ بِه في حَالِ شِرْكِهِمْ وَجَاهِلِيَّتِهِمْ {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} يَعْنِي: الْقُرآنَ وَالسُّنَّةَ {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ} أَيْ: مِنْ قَبْلِ هَذَا الرسول- {لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} أَيْ: لَفِي غَيٍ وَجَهْلٍ ظَاهِرٍ جَلِيٍّ بَيِّنٍ لكُل أَحَد.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِه وَيُزَكِّيهِمْ} يَعْنِي: يصلحهم. {وَيُعلمهُم الْكتاب} الْقُرآن {وَالْحِكْمَة} السّنة {وَإِن كَانُوا مِنْ قَبْلُ} أن يَأْتيهم النَّبِي- عَلَيْه السَّلَام - {لفي ضلال مُبين} بَين.(2)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- ثُمَّ ذكر منته عَلَيْهِم فَقَالَ {لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى الْمُؤمنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ} إِلَيْهِم {رَسُولاً} آدمياً مَعْرُوف النّسَب {مِّنْ أَنْفُسهم} قرشياً عَرَبيا مثلهم {يَتْلُو} يقْرَأ {عَلَيْهِم آيَاته} الْقُرآن بِالْأَمر وَالنَّهْي {ويزكيهم} يطهرهم بِالتَّوْحِيد من الشّرك وَيَأْخُذ الزَّكَاة من الذُّنُوب {وَيُعَلِّمُهُم الْكتاب} الْقُرآن {وَالْحكمَة} الْحَلَال وَالْحَرَام {وَإِن كَانُوا من قبل} وَقد كَانُوا من قبل مَجِيء مُحَمَّد وَالْقُرآن {لَفِي ضَلَالٍ مُبين} لفي كفر بَيِّن.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- هذه المنة التي امتن الله بها على عباده، أكبر النعم، بل أصلها، وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول- الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة، وعصمهم به من الهلكة، فقال: {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم} يعرفون نسبه، وحاله، ولسانه، من قومهم وقبيلتهم، ناصحا لهم، مشفقا عليهم، يتلو عليهم آيات الله، يعلمهم ألفاظها ومعانيها.

{ويزكيهم} من الشرك، والمعاصي، والرذائل، وسائر مساوئ الأخلاق. و{يعلمهم الكتاب} إما جنس الكتاب الذي هو القرآن، فيكون قوله: {يتلو عليهم آياته} المراد به الآيات الكونية، أو المراد بالكتاب -هنا- الكتابة، فيكون قد امتن عليهم، بتعليم الكتاب والكتابة، التي بها تدرك العلوم وتحفظ، {والحكمة} هي: السنة، التي هي شقيقة القرآن، أو وضع الأشياء مواضعها، ومعرفة أسرار الشريعة.

فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تنفذ الأحكام، وما به تدرك فوائدها وثمراتها، ففاقوا بهذه الأمور العظيمة جميع

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (164)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (164) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (164). ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -.

المخلوقين، وكانوا من العلماء الربانيين، {وإن كانوا من قبل} بعثة هذا الرسول- {لفي ضلال مبين} لا يعرفون الطريق الموصل إلى ربهم، ولا ما يزكي النفوس ويطهرها، بل ما زين لهم جهلهم فعلوه، ولو ناقض ذلك عقول العالمين. (1)

* * *

[١٦٥] ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أعندما أصابتكم أيها المؤمنون- مصيبة حين هُزمتم في أُحد، وقُتل منكم من قُتل، قد أصبتم من عدوكم ضِعْفيها من القتلى والأسرى يوم بدر، قلتم: من أين أصابنا هذا ونحن مؤمنون، ونبي الله فينا؟! قل: أيها النبي- ﷺ :-ما أصابكم من ذلك جاءكم بسببكم حين تنازعتم، وعصيتم الرسول-، إن الله على كل شيء قدير" فينصر من يشاء، ويخذل من يشاء. (2)

* * *

يَعْنِي:- أو لما أصابتكم أيها المؤمنون- مصيبة، وهي ما أُصيب منكم يوم ‹أُحد› قد أصبتم مثليها من المشركين في يوم ‹بدْر›، قلتم متعجبين: كيف يكون هذا ونحن مسلمون ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- فينا وهؤلاء مشركون؟ قل: لهم أيها النبي- ﷺ :-هذا الذي أصابكم هو من عند أنفسكم بسبب مخالفتكم أمْرَ رسولكم وإقبالكم على جمع الغنائم. إن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقّب لحكمه. (3)

* * *

يَعْنِي:- أجزعتم وتخاذلتم وقلتم مستغربين حين أصابتكم مصيبة يوم أُحد قد أصبتم ضعفيها يوم بدر: من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟. قل: - يا محمد ﷺ :- الذى أصابكم من عند أنفسكم بسبب مخالفتكم الرسول- والله قادر على كل شئ، وقد جازاكم بما عملتم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} ... يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم. و (لما) نصب بقوله قُلْتُمْ. وأَصابَتْكُمْ محل الجر، بإضافة (لما) إليها. والتقدير: أقلتم حين أصابتكم.

{مُّصِيبَةٌ} ... مُفْرَدُ المصائبِ: ما يُصِيبُ الإنسانَ من سوءٍ، وأسوؤها مصيبةُ الموتِ. قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين.

{أَنَّى هذا} ... نصب لأنه مقول، أي: من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل ونحن نقاتل فى

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (164)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (71/1)، تصنيف (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (71/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (97/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

سبيل الله، ونحن مسلمون، وفينا النبي -صلّى الله عليه وآله وسلم- والوحى، وهم مشركون.

{قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} ... يعني مخالفة الرماة.

{إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ... فهو قادر على النصر وعلى منعه، وعلى أن يصيب بكم تارة، ويصيب منكم أخرى.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قَالَ: الإِمَامُ (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده): قَالَ: أنا مَعْمَرٌ ، عَنْ (قَتَادَةَ) , قَالَ: ‹ أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ أُحُدٍ مُصِيبَةً , فَكَانُوا قَدْ أَصَابُوا مِثْلَيْهَا يَوْمَ بَدْرٍ مِمَّنْ قَتَلُوا وَأَسَرُوا › فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا} {آل عمران: 165}.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165)}

قال: الإمام (أبو جعفر): يعني تعالى ذكره بذلك: أوَ حين أصابتكم، أيها المؤمنون،، "مصيبة"، وهي القتلى الذين قتلوا منهم يوم أحد، والجرحى الذين جرحوا منهم بأحد، وكان المشركون قتلوا منهم يومئذ سبعين نفرًا، "قد أصبتم مثليها"، يقول: قد أصبتم، أنتم أيها المؤمنون، من المشركين مثلي هذه المصيبة التي أصابوا هم منكم، وهي المصيبة التي أصابها المسلمون من المشركين ببدر، وذلك أنهم قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين، "قلتم أنى هذا"، يعني: قلتم لما أصابتكم مصيبتكم بأحد ="أنى هذا"، من أيِّ وجه هذا؟ ومن أين أصابنا هذا الذي أصابنا، ونحن مسلمون وهم مشركون، وفينا نبي الله -صلى الله عليه وسلم- يأتيه الوحي من السماء، وعدوُّنا أهل كفر بالله وشرك؟، "قل" يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك، "هو من عند أنفسكم"، يقول: قل لهم: أصابكم هذا الذي أصابكم من عند أنفسكم، بخلافكم أمري وترككم طاعتي، لا من عند غيركم، ولا من قبل أحد سواكم، "إن الله على كل شيء قدير"، يقول: إن الله على جميع ما أراد بخلقه من عفو وعقوبة، وتفضل وانتقام، "قدير"، يعني: ذو قدرة.(2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {أولما أصابتكم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا} .

4475 - أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْعَوْفِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، حَدَّثَنِي أَبِي، ثنا عَمِّي الْحُسَيْنُ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَوْلُهُ: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} يَقُولُ: إِنَّكُمْ أَصَبْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَ مَا أَصَابُوا مِنْكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ-

---

(1) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (165)، للإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (165)، للإِمَامْ (الطبري).

وَرُوِيَ عَنْ (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ)، وَ(عِكْرِمَةَ)، وَالسُّدِّيِّ)، وَ(قَتَادَةَ)، وَ(الضَّحَّاكِ)، وَ(الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ) نَحْوُ ذَلِكَ.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- {165} {أَوَلَمَّا} أي: حين {أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} بأحد، {قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا} ببدر، وذلك أنَّ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعِينَ وَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ بِبَدْرٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سبعين، {قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا} مِنْ أَيْنَ لَنَا هَذَا الْقَتْلُ وَالْهَزِيمَةُ وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِينَا؟، {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}. رَوَى (عُبَيْدَةُ السَّلْمَانِيُّ) عَنْ (عَلِيٍّ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: ((جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَرِهَ مَا صَنَعَ قَوْمُكَ فِي أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ مِنَ الْأَسَارَى، وَقَدْ أَمَرَكَ أَنْ تُخَيِّرَهُمْ بَيْنَ أَنْ يُقَدَّمُوا فَتُضْرَبَ أَعْنَاقُهُمْ، وَبَيْنَ أَنْ يَأْخُذُوا الْفِدَاءَ عَلَى أَنْ يُقْتَلَ مِنْهُمْ عِدَّتُهُمْ، فَذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلنَّاسِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَشَائِرُنَا وَإِخْوَانُنَا، لَا بَلْ تأخذ منهم فداءهم، فنقوى به على قتال عَدُوِّنَا وَيُسْتَشْهَدُ مِنَّا عِدَّتُهُمْ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ عَدَدُ أَسَارَى أَهْلِ بَدْرٍ))، فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} أَيْ بِأَخْذِكُمُ الْفِدَاءَ وَاخْتِيَارِكُمُ الْقَتْلَ، {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 165].(2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- يَقُولُ تَعَالَى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} وَهِيَ مَا أُصِيبَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ مِنْ قَتْلِ السَّبْعِينَ مِنْهُمْ {قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا} يَعْنِي: يَوْمَ بَدْرٍ، فَإِنَّهُمْ قَتَلُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَبْعِينَ قَتِيلًا وَأَسَرُوا سَبْعِينَ أَسِيرًا {قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا} أَيْ: مِنْ أَيْنَ جَرَى عَلَيْنَا هَذَا؟ {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}

قَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): ذَكَرَهُ أَبِي، أَنْبَأَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا قُرَادٌ أَبُو نُوحٍ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ أَبُو زُمَيْلٍ، حَدَّثَنِي (ابْنُ عَبَّاسٍ)، حَدَّثَنِي (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، عُوقِبُوا بِمَا صَنَعُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَفَرَّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْهُ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} بِأَخْذِكُمُ الْفِدَاءَ.

وَهَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَزْوَانَ، وَهُوَ قُرَادٌ أَبُو نُوحٍ، بِإِسْنَادِهِ وَلَكِنْ بِأَطْوَلَ مِنْهُ، وَكَذَا قَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ).

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (165).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (165).

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، والسدي): ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أَيْ: بِسَبَبِ عِصْيَانِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ أَمَرَكُمْ أَنْ لَا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ فَعَصَيْتُمْ، يَعْنِي بِذَلِكَ الرُّمَاةَ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أَيْ: وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ﴾ أَيْ: يَوْم أحد. ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ يَوْم بدر ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ أَي: من أَيْن أوتينا وَنحن مؤمنون وَالْقَوْم مشركون؟! ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفسكُم﴾ بمعصيتكم رَسُول الله حِين أَمركُم أَلا تتبعوا المدبرين. (2)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قَالَ: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- ثُمَّ ذكر مصيبتهم يَوْم أحد فَقَالَ ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ يَقُول حِين أَصَابَتْكُم مُصِيبَة يَوْم أحد ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ﴾ أهل مَكَّة يَوْم بدر ﴿مِّثْلَيْهَا﴾ مثل مَا أَصَابَكُم يَوْم أحد ﴿قُلْتُمْ أنى هَذَا﴾ من أَيْن أَصَابَنَا هَذَا وَنحن لَهُ مُسلمُونَ ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ بذنب أنفسكم بترككم المركز ﴿إِنَّ الله على كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الْعقُوبَة وَغَيرهَا ﴿قَدِيرٌ﴾. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {165} ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. هذا تسلية من الله تعالى لعباده المؤمنين، حين أصابهم ما أصابهم يوم "أحد" وقتل منهم نحو سبعين، فقال الله: إنكم ﴿قد أصبتم﴾ من المشركين ﴿مثليها﴾ يوم بدر فقتلتم سبعين من كبارهم وأسرتم سبعين، فليهن الأمر ولتخف المصيبة عليكم، مع أنكم لا تستوون أنتم وهم، فإن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار.

﴿قلتم أنى هذا﴾ أي: من أين أصابنا ما أصابنا وهزمنا؟ ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ حين تنازعتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المردية.

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فإياكم وسوء الظن بالله، فإنه قادر على نصركم، ولكن له أتم الحكمة في ابتلائكم ومصيبتكم.

﴿ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾. (4)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (165)، للإمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (165) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (165). ينسب: ل(عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (165)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

قال: الإمَامُ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} ذكر في الآية الكريمة أن ما أصاب المسلمين يوم أحد إنما جاءهم من قبل أنفسهم، ولم يبين تفصيل ذلك هنا ولكنه فصله في موضع آخر وهو قوله: {ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم). وهذا هو الظاهر في معنى الآية، لأن خير ما يبين به القرآن: القرآن. (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عمرو بن خالد حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق قال سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: جعل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على الرماة يوم أحد (عبد الله بن جبير) فأصابوا منا سبعين، وكان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً. قال: (أبو سفيان): يوم بيوم بدر، والحرب سجال. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (الضياء المقدسي) - (رحمه الله) - في (المختارة) - (بسنده): أخبرنا أبو المجد، زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي -بأصبهان- أن سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي أخبرهم -قراءة عليه- أنا أحمد بن محمد بن أحمد بن النُّعمان، أنا محمد بن إبراهيم بن علي، ثنا أبو يعلى، أحمد بن علي، ثنا زهير، ثنا أبو نوح، ثنا عكرمة بن عمار العجلي، ثنا سماك أبو زُميل قال: حدثني (ابن عباس)، قال: حدثني (عمر ابن الخطاب)، نحو حديث عمر بن يونس في قصة بدر. وزاد أبو نوح في حديثه قال: فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقُتل منهم سبعون، وفرّ أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فكُسرت رباعيته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهُشّمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، وأنزل الله عز وجل: (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير) بأخذكم الفداء.

هذه الزيادة لم يخرجها الإمام (مسلم)، وقد روى من طرق عمر بن ويونس عن عكرمة حديثاً طويلاً في قصة بدر. وأبو نوح اسمه: عبد الرحمن بن غزوان، أخرج له الإمام (البخاري). (3)

* * *

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (165).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (357/7)، (ح/3986) - (كتاب: المغازي).

(3) اخرجه الإمَامُ (الضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (280/1-281)، (ح 170).
و(صحح) محقق: (المختارة)، و (سنده حسن)، ولبعضه شواهد في الصحيح.

وقال: الإِمَامُ (مُسْلِم) - في (صحيحه) - والإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسْنَده):- (رحمهما الله) - (بسندهما):- عَنْ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب) - رضي الله عنه - قَالَ: (أَسَرْنَا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِب: الْعَبَّاس, وعَقِيلًا, وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِث) [1] "فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - رضي الله عنهما - فَقَالَ: مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى (؟ [2] , فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ, هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَة, أَرَى أَنْ تَأخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً) [3] (فَيَكُونُ مَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ, وَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَام, فَيَكُونُونَ لَنَا عَضُدًا) [4] (فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم:- "مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ ", فَقَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ, مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ, وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ, فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ, فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ, وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ - نَسِيبًا لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ) [5] (حَتَّى يَعْلَمَ اللهُ أَنَّهُ لَيْسَتْ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ, فَإِنَّ هَؤُلَاءِ صَنَادِيدُهُمْ وَأَئِمَّتُهُمْ وَقَادَتُهُمْ " فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ, وَلَمْ يَهْوَ مَا قَالَ عُمَرُ, فَأَخَذَ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ ") [6] (قَالَ: (عُمَرُ): فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ جِئْتُ, " فَإِذَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ ", فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ, أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟, فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ, وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً, تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا, فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم:- " أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ, لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -). [7]

(وَأَنْزَلَ اللهُ - عز وجل:- {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ, تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ, لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [8] أَيْ: مِنَ الْفِدَاءِ, ثُمَّ أَحَلَّ لَهُمُ اللهُ الْغَنَائِمَ, فَقَالَ: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} [9] فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ, عُوقِبُوا بِمَا صَنَعُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ, وَفَرَّ أَصْحَابُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - " وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ, وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ ", وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (948).
(2) مشورة النبي لأصحابه في الأسرى ذكرها مسلم كما يبدو برواية معلقة, لكن الألباني صححها في فقه السيرة) برقم (ص236).
(3) أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (58) - (1763).
(4) : أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (948). وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (58) - (1763).
(5) أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (58)- (1763).
(6) : أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (948). وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (58) - (1763).
(7) أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (58) - (1763).
(8) {الأنفال: 67، 68}.
(9) {الأنفال: 69}.

أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} أي: بِأَخْذِكُمْ الْفِدَاءَ (1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (الترمذي) في (سُننه)، - والإمام (ابن حبان) في (صحيحه) – (رحمهما الله) - (بسندهما):-

وَعَنْ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: (" إِنَّ جِبْرَائِيلَ هَبَطَ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ لَهُ: خَيِّرْ أَصْحَابَكَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ (2) إِنْ شَاءُوا الْقَتْلَ، وَإِنْ شَاءُوا الْفِدَاءَ (3) عَلَى أَنْ يُقْتَلَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ الْمُقْبِلَ مِنْهُمْ (4) عِدَّتُهُمْ (5) "، قَالُوا: الْفِدَاءُ، وَيُقْتَلُ مِنَّا عِدَّتُهُمْ) (6)(7).

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (221).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (58) - (1763).

وانظر: (فقه السيرة) برقم (ص236)، و (الإرواء الغليل) حديث: (1218).

وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (آل عمران) الآية (165)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(2) اخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (1567)،

وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4795).

(3) الْمَعْنَى أَنَّكُمْ مُيَّرُونَ بَيْنَ أَنْ تَقْتُلُوا الْأَسَارَى، وَلَا يَلْحَقُكُمْ ضَرَرٌ مِنْ الْعَدُوِّ وَبَيْنَ أَنْ تَأْخُذُوا مِنْهُمْ الْفِدَاءَ. تحفة الأحوذي - (ج 4 / ص 232)

(4) أَيْ: مِنْ الصَّحَابَةِ. تحفة الأحوذي) - (ج 4 / ص 232).

(5) يَعْنِي بِعَدَدِ مَنْ يُطْلَقُونَ مِنْهُمْ، وَقَدْ قُتِلَ مِنْ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ سَبْعُونَ، وَأُسِرَ سَبْعُونَ. (تحفة الأحوذي)- (ج 4 / ص 232).

(6) إِنَّمَا اخْتَارُوا ذَلِكَ رَغْبَةً مِنْهُمْ فِي إِسْلَامِ أَسَارَى بَدْرٍ، وَفِي نَيْلِهِمْ دَرَجَةَ الشَّهَادَةِ فِي السَّنَةِ الْقَابِلَةِ، وَشَفَقَةً مِنْهُمْ عَلَى الْأَسَارَى بِمَكَانِ قَرَابَتِهِمْ مِنْهُمْ.

وقَالَ التُّورِبَشْتِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ مُشْكِلٌ جِدًّا، لِمُخَالَفَتِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ وَلِمَا صَحَّ مِنْ الْأَحَادِيثِ فِي أَمْرِ أَسَارَى بَدْرٍ أَنَّ أَخْذَ الْفِدَاءِ كَانَ رَأْيًا رَأَوْهُ، فَعُوتِبُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ هُنَاكَ تَخْيِيرٌ بِوَحْيٍ سَمَاوِيٍّ، لَمْ تَتَوَجَّهْ الْمُعَاتَبَةُ عَلَيْهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى} إِلَى قَوْلِهِ {لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} وَأَظْهَرَ لَهُمْ شَأْنَ الْعَاقِبَةِ بِقَتْلِ سَبْعِينَ مِنْهُمْ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ عِنْدَ نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا} وَمِمَّنْ نُقِلَ عَنْهُ هَذَا التَّأْوِيلُ مِنْ الصَّحَابَةِ عَلِيٌّ - رضي الله عنه - فَلَعَلَّ عَلِيًّا ذَكَرَ هُبُوطَ جِبْرِيلَ فِي شَأْنِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ وَبَيَانِهَا، فَاشْتَبَهَ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى بَعْضِ الرُّوَاةِ.

وَمِمَّا جَرَّأَنَا عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ هُوَ أَنَّ الْحَدِيثَ تَفَرَّدَ بِهِ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ سُفْيَانَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ، فَلَمْ يَرْوِهِ غَيْرُهُ، وَالسَّمْعُ قَدْ يُخْطِئُ، وَالنِّسْيَانُ كَثِيرًا يَطْرَأُ عَلَى الْإِنْسَانِ، ثُمَّ إِنَّ الْحَدِيثَ رُوِيَ عَنْهُ مُتَّصِلًا، وَرُوِيَ عَنْ غَيْرِهِ مُرْسَلًا، فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَمْنَعُ الْقَوْلَ لِظَاهِرِهِ.

وقَالَ: (الطِّيبِيُّ): أَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ: لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْحَدِيثِ وَالْآيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ التَّخْيِيرَ فِي الْحَدِيثِ وَارِدٌ عَلَى سَبِيلِ الِاخْتِيَارِ وَالِامْتِحَانِ، وَللهِ أَنْ يَمْتَحِنَ عِبَادَهُ بِمَا شَاءَ، امْتَحَنَ اللهُ تَعَالَى أَزْوَاجَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ} الْآيَتَيْنِ، وَامْتَحَنَ النَّاسَ بِتَعْلِيمِ السِّحْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ} وَامْتَحَنَ النَّاسَ بِالْمَلَكَيْنِ، وَجَعَلَ الْمِحْنَةَ فِي الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ بِأَنْ يَقْبَلَ الْعَامِلُ تَعَلُّمَ السِّحْرِ فَيَكْفُرَ، وَيُؤْمِنَ بِتَرْكِ تَعَلُّمِهِ، وَلَعَلَّ اللهَ تَعَالَى امْتَحَنَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَأَصْحَابَهُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: الْقَتْلِ وَالْفِدَاءِ، وَأَنْزَلَ جِبْرِيلُ - عليه السلام - بِذَلِكَ، هَلْ هُمْ يَخْتَارُونَ مَا فِيهِ رِضَا اللهِ تَعَالَى مِنْ قَتْلِ أَعْدَائِهِ، أَمْ يُؤْثِرُونَ الْعَاجِلَةَ مِنْ قَبُولِ الْفِدَاءِ، فَلَمَّا اخْتَارُوا الثَّانِيَ، عُوقِبُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ}.

وقَالَ: الْقَارِي بَعْدَ ذِكْرِ هَذَا الْكَلَامِ مَا لَفْظُهُ: قُلْتُ بِعَوْنِ اللهِ: إِنَّ هَذَا الْجَوَابَ غَيْرُ مَقْبُولٍ، لِأَنَّهُ مَعْلُولٌ وَمَدْخُولٌ، فَإِنَّهُ إِذَا صَحَّ التَّخْيِيرُ، لَمْ يَجُزْ الْعِتَابُ وَالتَّعْيِيرُ، فَضْلًا عَنْ التَّعْذِيبِ وَالتَّعْزِيرِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ عَنْ تَخْيِيرِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ فِيهِ أَنَّهُنَّ لَوْ اخْتَرْنَ الدُّنْيَا لَعُذِّبْنَ فِي الْعُقْبَى، وَلَا فِي الْأُولَى.

وَغَايَتُهُ أَنَّهُنَّ يُحْرَمْنَ مِنْ مُصَاحَبَةِ الْمُصْطَفَى، لِفَسَادِ اخْتِيَارِهِنَّ الْأَدْنَى بِالْأَعْلَى، وَأَمَّا قَضِيَّةُ الْمَلَكَيْنِ، وَقَضِيَّةُ تَعْلِيمِ السِّحْرِ، فَنَعَمْ، امْتِحَانٌ مِنْ اللهِ وَابْتِلَاءٌ، لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ تَخْيِيرٌ لِأَحَدٍ،

وَلِهَذَا قَالَ: الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} أَنَّهُ أَمْرُ تَهْدِيدٍ لَا تَخْيِيرٍ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: " أَمْ يُؤْثِرُونَ الْأَعْرَاضَ الْعَاجِلَةَ مِنْ قَبُولِ الْفِدْيَةِ، فَلَمَّا اخْتَارُوهُ عُوقِبُوا بِقَوْلِهِ {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ} الْآيَةَ "، فَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ مِنْ الْجُرْأَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالْجِنَايَةِ الْجَسِيمَةِ، فَإِنَّهُمْ مَا اخْتَارُوا الْفِدْيَةَ لَا لِلتَّقْوِيَةِ عَلَى الْكُفَّارِ، وَلِلشَّفَقَةِ عَلَى الرَّحِمِ، وَلِرَجَاءِ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ، أَوْ فِي أَصْلَابِهِمْ مَنْ يُؤْمِنُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا وَقَعَ مِنْهُمْ اجْتِهَادًا وَافَقَ رَأْيَهُ - صلى الله عليه وسلم - غَايَتُهُ أَنَّ اجْتِهَادَ عُمَرَ وَقَعَ أَصْوَبَ عِنْدَهُ تَعَالَى، فَيَكُونُ مِنْ مُوَافَقَاتِ عُمَرَ - رضي الله عنه -. انْتَهَى. (تحفة الأحوذي)- (ج 4 / ص 232).

وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (آل عمران) الآية (165)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(7) أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4795)،

واخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1567).

انظر: (صحيح موارد الظمآن) رقم (1411)، و(المشكاة) رقم (3973) / التحقيق الثاني).

وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (آل عمران) الآية (165)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (168) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• النصر الحقيقي من الله تعالى، فهو القوي الذي لا يُحارَب، والعزيز الذي لا يُغالَب.

• لا تستوي في الدنيا حال من اتبع هدى الله وعمل به وحال من أعرض وكذب به، كما لا تستوي منازلهم في الآخرة.

• ما ينزل بالعبد من البلاء والمحن هو بسبب ذنوبه، وقد يكون ابتلاءً ورفع درجات، والله يعفو ويتجاوز عن كثير منها. (1)

* * *

[١٦٦] ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما حدث لكم من القَتْل والجِراح والهزيمة يوم أحد حين التقى جمعكم وجَمْعُ المشركين، فهو بإذن الله وقدره" لحكمة بالغة حتى يظهر المؤمنون الصادقون. (2)

* * *

وما وقع بكم من جراح أو قتل في غزوة ‹ أحد › يوم التقى جَمْعُ المؤمنين وجمع المشركين فكان النصر للمؤمنين أولا ثم للمشركين ثانيًا، فذلك كله بقضاء الله وقدره، وليظهر ما علمه الله في الأزل" ليميز المؤمنين الصادقين منكم. (3)

* * *

إن الذى أصابكم أيها المؤمنون - يوم التقى جمعكم وجمع المشركين بأُحد واقع بقضاء الله، وليظهر للناس ما علمه من إيمان المؤمن حقاً. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين} أي: في غزوة أحد.

---

(1) انظر: ‹المختصر في تفسير القرآن الكريم› برقم ‹1/71›. تصنيف: ‹جماعة من علماء التفسير›.

(2) انظر: ‹المختصر في تفسير القرآن الكريم› برقم ‹1/72›. تصنيف: ‹جماعة من علماء التفسير›.

(3) انظر: ‹التفسير الميسر› برقم ‹1/72›، المؤلف: ‹نخبة من أساتذة التفسير›.

(4) انظر: ‹المنتخب في تفسير القرآن الكريم› برقم ‹1/97›، المؤلف: ‹لجنة من علماء الأزهر›

{وَمَـا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ}... يوم أحد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين.

{فَبِإِذْنِ اللَّهِ}... فهو كائن بإذن الله وتخليته. استعار الإذن لتخلية الكفار، وأنه لم يمنعهم منهم ليبتليهم، لأن الآذن مخل بين المأذون ومراده.

{وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ}... أي: وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون، وليظهر إيمان هؤلاء، ونفاق هؤلاء.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

وانظر: سورة – (آل عمران) – آية (172-174) – كما قال تعالى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرسول- مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174)}.

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

قوله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا}

قال: الإمام (أبو جعفر): يعني تعالى ذكره بذلك: والذي أصابكم "يوم التقى الجمعان"، وهو يوم أحد، حين التقى جمع المسلمين والمشركين. ويعني بـ "الذي أصابهم"، ما نال من القتل مَنْ قُتل منهم، ومن الجراح من جرح منهم = "فبإذن الله،" يقول: فهو بإذن الله كان = يعني: بقضائه وقدَره فيكم.

* * *

وأجاب "ما" بالفاء، لأن "ما" حرف جزاء، وقد بينت نظير ذلك فيما مضى قبل.

* * *

{وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا}، بمعنى: وليعلم الله المؤمنين، وليعلم الذين نافقوا، أصابكم ما أصابكم يوم التقى الجمعان بأحد، ليميِّز أهلُ الإيمان بالله ورسوله المؤمنين منكم من المنافقين فيعرفونهم، لا يخفى عليهم أمر الفريقين.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {166} {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} بِأُحُدٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجَرْحِ وَالْهَزِيمَةِ، {فَبِإِذْنِ اللَّهِ} أي: بقضاء الله وقدره، {وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ} أي: وليميز، وَقِيلَ لِيَرَى.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ} أَيْ: فِرَارُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَدُوِّكُمْ وَقَتْلُهُمْ لِجَمَاعَةٍ مِنْكُمْ وَجِرَاحَتُهُمْ لِآخَرِينَ، كَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (166-167)، لِلإمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (166).

وَقَوْلُهُ {وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ} أَيِ: الَّذِينَ صَبَرُوا وثبتوا ولم يتزلزلوا.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} يَعْنِي: جمع الْمُؤمنِينَ، وَجمع الْمُشْركين يَوْم أحد {فبإذن الله} أَي: الله أذن فِي ذَلِك {وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا} وَهَذَا علم الفعال.(2)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَمَا أَصَابَكُمْ} الَّذِي أَصَابَكُم من الْقَتْل والجراحة {يَوْمَ التقى الْجَمْعَانِ} جمع (مُحَمَّد) وَجمع (أبي سُفْيَان) {فَبِإِذْنِ الله} فبإرادته وقضائه {وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ} لكَي يرى الْمُؤمنِينَ فِي الْجِهَاد.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ} . ثم أخبر أن ما أصابهم يوم التقى الجمعان، جمع المسلمين وجمع المشركين في "أحد" من القتل والهزيمة، أنه بإذنه وقضائه وقدره، لا مرد له ولا بد من وقوعه. والأمر القدري -إذا نفذ، لم يبق إلا التسليم له، وأنه قدره لحكم عظيمة وفوائد جسيمة، وأنه ليتبين بذلك المؤمن من المنافق،(4)

* * *

[١٦٧] ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وليظهر المنافقون الذين لَّما قيل لهم: قاتلوا في سبيل الله، أو ادفعوا بتكثيركم سواد المسلمين" قالوا: لو نعلم أنه يكون قتال لاتبعناكم لكنه لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال، هم في حالهم وقتئذٍ أقرب إلى ما يدل على كفرهم مما يدل على إيمانهم، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، والله أعلم بما يُبْطِنونه في صدورهم، وسيعاقبهم عليه.(5)

* * *

يَعْنِي:- وليعلم المنافقين الذين كشف الله ما في قلوبهم حين قال المؤمنون لهم: تعالوا قاتلوا معنا في سبيل الله، أو كونوا عونًا لنا بتكثيركم سوادنا، فقالوا: لو نعلم أنكم

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (166)، للإمامْ (ابن كثير)..

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (166) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي)،

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (166). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (166)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (72/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

تقاتلون أحداً لكنا معكم عليهم، هم للكفر في هذا اليوم أقرب منهم للإيمان" لأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم. والله أعلم بما يُخفون في صدورهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- وليظهر نفاق الذين نافقوا، وهم الذين قيل لهم حين انصرفوا يوم أحد عن القتال: تعالوا قاتلوا لأجل طاعة الله، أو قاتلوا دفاعاً عن أنفسكم، قالوا: لو نعلم أنكم ستلقون قتالاً لذهبنا معكم، وهم حين قالوا هذا القول أقرب للكفر منهم للإيمان، يقولون بأفواههم: ليس هناك حرب، مع أنهم يعتقدون في قلوبهم أنها واقعة. والله أعلم بما يضمرون من النفاق. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَقِيلَ لَهُمْ} ... من جملة الصلة، عطف على نافَقُوا، كأنه قيل: فماذا قالوا لهم؟ فقيل: قالوا لو نعلم. ويجوز أن تقصر الصلة على نافَقُوا ويكون وَقِيلَ لَهُمْ مبتدأ.

{أَوِ ادْفَعُوا} ... العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا، لأن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه.

{قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا} ... أي: لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا.

{لَاتَّبَعْنَاكُمْ} ... يعنون أن ما أنتم فيه لخطأ رأيكم ليس بشيء، ولا يقال لمثله قتال، إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة، فلقد كان من رأى عبد الله الإقامة بالمدينة، وما كان يستصوب الخروج.

{هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ} ... لِلْإِيمَانِ يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان. وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم، فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين، وقالوا ما قالوا، تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر.

{يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ} ... لا يتجاوز إيمانهم أفواههم، ولا تعى قلوبهم منه شيئا.

{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} ... من النفاق. (3)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ...}.

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) عن (قتادة)، و(بسنده الحسن) - عن (السدي): هم عبد الله بن أُبي وأصحابه.

* * *

قوله تعالى: {يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون}.

انظر: سورة - (البقرة) - آية (8). - كما قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ}.

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قال: الإمام (أبو جعفر): يعني تعالى ذكره بذلك (عبدَ الله بن أُبيّ ابن سلول) المنافق

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (72/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (98/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (آل عمران) الآية (167)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

وأصحابَه، الذين رجعوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن أصحابه، حين سار نبي الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المشركين بأحد لقتالهم، فقال لهم المسلمون: تعالوا قاتلوا المشركين معنا، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا! فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم إليهم، ولكنا معكم عليهم، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتالٌ! فأبدوْا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه، وأبدوا بألسنتهم بقولهم: "لو نعلم قتالا لاتبعناكم"، غير ما كانوا يكتمونه ويخفونه من عداوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأهل الإيمان به،

وأما قوله: "والله أعلم بما يكتمون"، فإنه يعني به: والله أعلم من هؤلاء المنافقين الذين يقولون للمؤمنين: "لو نعلم قتالا لاتبعناكم"، بما يضمرون في أنفسهم للمؤمنين ويكتمونه فيسترونه من العداوة والشنآن، وأنهم لو علموا قتالا ما تبعوهم ولا دافعوا عنهم، وهو تعالى ذكره محيط بما هم مخفوه من ذلك، مطلع عليه، ومحصيه عليهم، حتى يهتك أستارهم في عاجل الدنيا فيفضحهم به، ويُصليهم به الدرك الأسفل من النار في الآخرة.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {167} {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أَيْ: لِأَجْلِ دِينِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، {أَوِ ادْفَعُوا} عَنْ أَهْلِكُمْ وَحَرِيمِكُمْ،

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): أي: كثروا سواد المسلمين واربطوا إِنْ لَمْ تُقَاتِلُوا يَكُونُ ذَلِكَ دَفْعًا وَقَمْعًا لِلْعَدُوِّ،

{قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ} وَهُوَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ) وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ انْصَرَفُوا عَنْ أُحُدٍ وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ} أَيْ: إِلَى الْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ {مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ} أَيْ: إِلَى الْإِيمَانِ، {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ} يَعْنِي: كَلِمَةَ الْإِيمَانِ {مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} {آل عمران: 167}.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ} يَعْنِي بِذَلِكَ أَصْحَابَ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ) الَّذِينَ رَجَعُوا مَعَهُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَاتَّبَعَهُمْ مَنِ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى الْإِيَابِ وَالْقِتَالِ وَالْمُسَاعَدَةِ"،

وَلِهَذَا قَالَ: {أَوِ ادْفَعُوا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالْحَسَنُ، والسُّدِّي): يَعْنِي كَثِّرُوا سَوَادَ الْمُسْلِمِينَ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ): ادْفَعُوا بِالدُّعَاءِ.

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (167)، لِلإِمَامْ (الطبري)، :- الطبعة: الأولى.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (165).

وَقَالَ غَيْرُهُ: رَابِطُوا. فتعلّلوا قَائلينَ: {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ}. قَالَ: (مُجَاهِدٌ): يَعْنُونَ لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَلْقَوْنَ حَرْبًا لجِئْنَاكُمْ، وَلَكِنْ لاَ تَلْقَوْنَ قِتَالًا.

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِم بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حِبَّانَ، وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَالْحُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَائِنَا، كُلهم قَدْ حَدَّثَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْنِي حِينَ خَرَجَ إِلَى أُحُدٍ-فِي أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشَّوط -بَيْنَ أُحُدٍ وَالْمَدِينَةِ-انْحَازَ عَنْهُ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ) بِثُلُثِ النَّاسِ، وقَالَ: أَطَاعَهُمْ فَخَرَجَ وَعَصَانِي، وَوَاللَّهِ مَا نَدْرِي عَلَامَ نقتل أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَرَجَعَ بِمَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ النَّاسِ مِنْ قَوْمِهِ أَهْلِ النِّفَاقِ وَأَهْلِ الرَّيْبِ، وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَخُو بَنِي سَلِمَةَ، يَقُولُ: يَا قَوْمِ، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ أَنْ تَخْذُلُوا نَبِيَّكُمْ وَقَوْمَكُمْ عِنْدَمَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّكُمْ، قَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ مَا أَسْلَمْنَاكُمْ وَلَكِنَّا لاَ نَرَى أَنْ يَكُونَ قِتَالٌ. فَلَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ وأَبَوْا إِلاَ الانْصِرَافَ عَنْهُمْ، قَالَ: أَبْعَدَكُمُ اللَّهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ، فَسيُغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ. وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (1)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ} اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى أَنَّ الشَّخْص قَدْ تَتَقَلَّبُ بِهِ الْأَحْوَالُ، فَيَكُونُ فِي حَالٍ أَقْرَبَ إِلَى الْكُفْرِ، وَفِي حَالٍ أَقْرَبَ إِلَى الْإِيمَانِ" لِقَوْلِهِ: {هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ}

ثُمَّ قَالَ: {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ الْقَوْلَ وَلاَ يَعْتَقِدُونَ صِحَّتَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ هَذَا: {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ} فَإِنَّهُمْ يَتَحَقَّقُونَ أَنَّ جُنْدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ جَاءُوا مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ، يَتَحَرَّقُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِسَبَبِ مَا أُصِيبَ مِنْ سَرَاتِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُمْ أَضْعَافُ الْمُسْلِمِينَ، أَنَّهُ كَائِنٌ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ لاَ مَحَالَةَ" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ}. (2)

* * *

قَالَ: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} يَعْنِي: جمع الْمُؤمنِينَ، وَجمع الْمُشْركين يَوْم أحد {فبإذن الله} أَي: الله أذن فِي ذَلِك {وليعلم الْمُؤمنِينَ وليعلم الَّذين نافقوا} وَهَذَا علم الفعال.

{وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادفعوا} أَي: كثروا السوَاد.

{قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أقرب مِنْهُم للْإِيمَان} وَإِذا قَالَ الله: {أقرب} قَالَ الْحسن: فَهُوَ الْيَقِين" أَي: إِنَّهُم كَافِرُونَ. فَقَالَ لَهُم (جَابر بن عبد الله): أنْشدكُمْ الله فِي نَبِيكُم ودينكم وذراريكم. قَالُوا: وَالله لَا يكون الْيَوْم قتال، وَلَو نعلم قتالا لاتبعناكم. قَالَ الله: {هُمْ لِلْكُفْرِ

---

(1) انظر: (سيرة ابن إسحاق (ظاهرية ق 166-168)، و رواه الإمام الطبري في (تفسيره) برقم (7/378)- من طريق- (ابن إسحاق به).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلْإِمَامْ (ابن كثير). برقم (2/160)

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (167)، لِلْإِمَامْ (ابن كثير).

يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ لكَي يرى الْمُنَافِقين (عبد الله بن أبي) وَأَصْحَابه فِي رجوعهم إِلَى الْمَدِينَة ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ قَالَ: لَهُم (عبد الله بن جُبَير) ﴿تَعَالَوْاْ﴾ إِلَى أحد ﴿قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله أَوِ ادفعوا﴾ الْعَدو عَن حريمكم وذريتكم أَو كَثرُوا الْمُؤمنِينَ ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ﴾ ثمَّ ﴿قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ﴾ إِلَى أحد ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾ وَالْمُؤمنِينَ وَيُقَال رجوعهم إِلَى الْكفْر وَالْكفَّار يؤمئذ أقرب من رجوعهم إِلَى الْإِيمَان وَالْمُؤمنِينَ ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾ بألسنتهم ﴿مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ صدق ذَلِك ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من الْكفْر والنفاق هم.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم أخبر أن ما أصابهم يوم التقى الجمعان، جمع المسلمين وجمع المشركين في "أحد" من القتل والهزيمة، أنه بإذنه وقضائه وقدره، لا مرد له ولا بد من وقوعه. والأمر القدري -إذا نفذ، لم يبق إلا التسليم له، وأنه قدره لحكم عظيمة وفوائد جسيمة، وأنه ليتبين بذلك المؤمن من المنافق، الذين لما أمروا بالقتال، ﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله﴾ أي: ذبا عن دين الله، وحماية له وطلبا لمرضاة الله، ﴿أو ادفعوا﴾ عن محارمكم وبلدكم، إن لم يكن لكم نية صالحة، فأبوا ذلك واعتذروا بأن ﴿قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ أي: لو نعلم أنكم يصير بينكم وبينهم قتال لاتبعناكم، وهم كذبة في هذا. قد علموا وتيقنوا وعلم كل أحد أن هؤلاء المشركين، قد ملئوا من الحنق والغيظ على المؤمنين بما أصابوا منهم، وأنهم قد بذلوا أموالهم، وجمعوا ما يقدرون عليه من الرجال والعدد، وأقبلوا في جيش عظيم قاصدين المؤمنين في بلدهم، متحرقين على قتالهم، فمن كانت هذه حالهم، كيف يتصور أنهم لا يصير بينهم وبين المؤمنين قتال؟ خصوصا وقد خرج المسلمون من المدينة وبرزوا لهم، هذا من المستحيل، ولكن المنافقين ظنوا أن هذا العذر، يروج على المؤمنين، قال تعالى: ﴿هم للكفر يومئذ﴾ أي: في تلك الحال التي تركوا فيها الخروج مع المؤمنين ﴿أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ وهذه خاصة المنافقين، يظهرون بكلامهم وفعالهم ما يبطنون ضده في قلوبهم وسرائرهم.

ومنه قولهم: ﴿لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ فإنهم قد علموا وقوع القتال.

ويستدل بهذه الآية على قاعدة "ارتكاب أخف المفسدتين لدفع أعلاهما، وفعل أدنى المصلحتين، للعجز عن أعلاهما" لأن المنافقين أمروا أن يقاتلوا للدين، فإن لم يفعلوا فللمدافعة عن العيال والأوطان ﴿والله أعلم

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (167) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (167). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

بمـا يكتمـون} فيبديـه لعبـاده المـؤمنين، ويعاقبهم عليه. (1)

* * *

[١٦٨] ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والمُيسر والمُنتخب لهذه الآية:

هـم الـذين تخلَّفـوا عـن القتـال، وقـالوا لقرابـاتهم الـذين أصـيبوا يـوم أحـد: لـو أنهـم أطاعونـا ولم يخرجـوا للقتـال لَمَّـا قتلـوا، قـل أيهـا الـنبي- ﷺ - ردًّا علـيهم: فـادفعوا عـن أنفسـكم المـوت إذا نـزل بكـم إن كنـتم صـادقين فيمـا ادعيتمـوه مـن أنهـم لـو أطـاعوكم مـا قتلـوا، وأن سـبب نجـاتكم مـن المـوت هـو القعـود عن الجهاد في سبيل الله. (2)

* * *

يَعْنِـي:- هـؤلاء المنـافقون هـم الـذين قعـدوا وقـالوا لإخـوانهم الـذين أصـيبوا مـع المسـلمين في حـربهم المشـركين يـوم ‹أُحـد› : لـو أطاعَنـا هـؤلاء مـا قتلـوا. قـل لهـم أيهـا الرسـول- ﷺ :- فـادفعوا عـن أنفسـكم المـوت إن كنـتم صـادقين في دعـواكم أنهـم لـو أطـاعوكم مـا قتلـوا، وأنكـم قـد نجـوتم منـه بقعـودكم عـن القتال. (3)

* * *

يَعْنِـي:- وإنهـم هـم الـذين تخلفـوا عـن القتـال وقعـدوا عنـه، وقـالوا فـى شـأن إخـوانهم الـذين خرجـوا وقتلـوا: لـو أطاعونـا وقعـدوا كمـا قعـدنا لنجـوا مـن القتـل كمـا نجونـا. قـل: فـادفعوا عـن أنفسـكم المـوت إن كنـتم صـادقين فى أن الحذر كان يمنعكم من القدر. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الَّـذِينَ قَـالُوا} ... نصـب علـى الـذم، أو علـى الـرد علـى الـذين نـافقوا، ويصـح أن يكـون رفعـا علـى: هـم الـذين قـالوا، أو علـى الإبـدال مـن (واو) يَكْتُمُـونَ. ويصـح أن يكـون بـدلا مـن الضمير فى بِأَفْواهِهِمْ أو قلوبهم.

{لِـإِخْوانِهِمْ} ... مـن المنـافقين يـوم أحـد، أو إخوانهم فى النسب، أو سكنى الدار.

{وَقَعَـدُوا} ... أي: قـالوا وقـد قعـدوا عـن القتال.

{لَـوْ أَطاعُونـا} ... مـا قُتِلُـوا لـو أطاعونـا فيمـا أمرنـاهم بـه مـن القعـود ووافقونـا فيـه لمـا قتلـوا كما لم نقتل.

{قُـلْ فَـادْرَؤُا عَـنْ أَنْفُسِـكُمُ الْمَـوْتَ إِنْ كُنْـتُمْ صـادِقِينَ} ... أي: قـل إن كنـتم صـادقين فـى أنكـم وجـدتم إلى دفـع القتـل سـبيلا وهـو القعـود عـن القتـال فجـدوا إلى دفـع المـوت سـبيلا. يعنـى أن ذلـك الـدفع غـير مغـن عـنكم لأنكـم إن دفعـتم القتـل الـذي هـو أحـد أسـباب المـوت، لم تقـدروا علـى دفـع سـائر أسـبابه المبثوثـة، ولا بـد لكـم من أن يتعلق بكم بعضها.

---

(1) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (آل عمران) الآية (167)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (72/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (72/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(4) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (98/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فَـادْرَؤُا عَـنْ أَنْفُسِـكُمُ الْمَـوْتَ} ... استهزاء بهم، أي إن كنتم دفاعين لأسباب الموت فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين}.

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): (إن كنتم صادقين) بما يقولونه إنه كما يقولون. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {168} {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ} فِي النَّسَبِ لَا فِي الدِّينِ وهم شهداء أحد {وَقَعَدُوا} يَعْنِي: قَعَدَ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ عَنِ الْجِهَادِ {لَوْ أَطَاعُونَا} وَانْصَرَفُوا عَنْ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَعَدُوا فِي بُيُوتِهِمْ {مَا قُتِلُوا قُلْ} لهم يا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، {فَادْرَءُوا} فَادْفَعُوا، {عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} أن الحذر يُغْنِي عَنِ الْقَدَرِ. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {الَّذِينَ قَالُوا لإخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} أَيْ: لَوْ سَمِعُوا مِنْ مَشُورَتِنَا عَلَيْهِمْ فِي الْقُعُودِ وَعَدَمِ الْخُرُوجِ مَا قُتِلُوا مَعَ مَنْ قُتِلَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} أَيْ: إِنْ كَانَ الْقُعُودُ يَسْلَمُ بِهِ الشَّخْصُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْمَوْتِ، فَيَنْبَغِي، أَنَّكُمْ لَا تَمُوتُونَ، وَالْمَوْتُ لَا بُدَّ آتٍ إِلَيْكُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ، فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، عَنْ (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ): نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيِّ ابْنِ سلول). (3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {الَّذين قَالُوا لإخوانهم} يَعْنِي: من قُتل من الْمُؤمنِينَ يَوْم أُحد هم فِيمَا أظهره الْمُنَافِقُونَ من الْإِيمَان إخْوَانهمْ {وقعدوا} عَن الْقِتَال {لَو أطاعونا مَا قتلوا} أَي: مَا خرجوا مَعَ مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. قَالَ الله لنَبيه: {قُل فَادْرَءُوا عَن أَنفسكُم الْمَوْت إِن كُنْتُم صَادِقين} أَي: لَا تَسْتَطِيعُونَ أَن تدرءوه، يَعْنِي: تدفعوه. (4)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {الَّذين قَالُوا لإخوانهم} الْمُنَافِقين بِالْمَدِينَةِ {وَقَعَدُوا} عَن الْجِهَاد {لَو أطاعونا} يعنون مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابه بالقعود فِي الْمَدِينَة {مَا قتلوا} فِي غزاتهم

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (168).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (168).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (168)، للإمام (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (168) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

{قُـلْ} يَـا مُحَمَّـد لِلْمُنَـافقين {فَـادرؤوا} ادفعـوا {عَـنْ أَنْفُسِـكُمُ الْمَـوْتَ إِن كُنْـتُمْ صَـادِقِينَ} فِـي مقَاتَلتكُمْ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثـم قـال تعـالى: {الـذين قـالوا لإخـوانهم وقعـدوا لـو أطاعونـا مـا قتلـوا} أي: جمعـوا بـين التخلـف عـن الجهـاد، وبـين الاعـتراض والتكـذيب بقضـاء الله وقـدره، قـال الله ردًا علـيهم: {قـل فـادرءوا} أي: ادفعـوا {عـن أنفسـكم المـوت إن كنـتم صـادقين} إنهـم لـو أطـاعوكم مـا قتلـوا، لا تقدرون على ذلك ولا تستطيعونه.

وفي هـذه الآيـات دليـل علـى أن العبـد قـد يكـون فيـه خصـلة كفـر وخصـلة إيمـان، وقـد يكـون إلى أحدهما أقرب منه إلى الأخرى.(2)

* * *

[١٦٩] ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تظـنن أيهـا النـبي-ﷺ- أن الـذين قُتلـوا في الجهـاد في سـبيل الله أمـوات، بـل هـم أحيـاء حيـاة خاصـة عنـد ربهـم في دار كرامتـه، يرزقـون مـن أنـواع النعـيم الـذي لا يعلمـه إلا الله.(3)

* * *

يَعْنِـي:- ولا تظـنَّنَّ أيهـا النـبي-ﷺ- أن الـذين قتلـوا في سـبيل الله أمـوات لا يُحِسُّـون شـيئًا، بـل هـم أحيـاء حيـاة برزخيـة في جـوار ربهـم الـذي جاهـدوا مـن أجلـه، ومـاتوا في سـبيله، يجـري علـيهم رزقهـم في الجنـة، ويُنعَّمون.(4)

* * *

يَعْنِـي:- ولا تظـنن الـذين قُتلـوا فـى سـبيل الله أمواتـاً بـل هـم أحيـاء حيـاةً اسـتأثر الله بعلمهـا، يرزقـون عنـد ربهـم رزقـاً حسـناً يعلمـه هو.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلا تَحْسَبَنَّ} ... ولا تظنن.

أي: الخطـاب لرسـول الله- صـلّى الله عليـه وآله وسلم-، أو هو عام.

وقـرىء (ولا يحسـبن) باليـاء، ويكـون الَّـذِينَ قُتِلُـوا فـاعلا، أي: ولا يحسـبن الـذين قتلـوا أنفسهم أمواتا.

{قُتِلُوا} ... استشهدوا.

{أَحْيَـاءٌ} ... يحسـون ويتنعمـون في نعـيم الجنة بالطعام والشراب.

{أَحْيَاءٌ} ... أي: هم أحياء.

---

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (آل عمـران) الآيـة (168). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(2) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (آل عمران) الآية (168)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (72/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (72/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(5) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (98/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

{عِنْدَ رَبِّهِمْ} ... مقربون عنده ذوو زلفى.

{يُرْزَقُونَ} ... مثل ما يرزق سائر الأحياء، وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

وانظر: تفسير سورة - (البقرة) - آية (154) .- كما قال تعالى: {وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَ تَشْعُرُونَ} .

* * *

قال: الإمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره) – (بسنده):- أنا (مَعْمَرٌ) , عَنْ (قَتَادَةَ) , فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ} [آل عمران: 169] قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي صُوَرِ طَيْرٍ بِيضٍ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ ,

قَالَ: مَعْمَرٌ: وَغَيْرُهُ: ((فِي صُوَرِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ , وَتَأْوِي إِلَى الْقَنَادِيلِ تَحْتَ الْعَرْشِ)).(1)

* * *

قال: الإمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره) – (بسنده): قَالَ: أنا الثَّوْرِيُّ , عَنِ الْأَعْمَشِ , عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُرَّةَ عَنْ مَسْرُوقٍ , قَالَ: سَأَلْنَا (عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ) عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: 169] قَالَ: ‹ أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ كَطَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ , تَسْرَحُ فِي أَيِّ الْجَنَّةِ شَاءَتْ ›.

قَالَ: ‹ وَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلَاعَةً ›.

فَقَالَ: ‹ هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا فَأَزِيدَكُمُوهُ؟ ›.

قَالُوا: ‹ رَبَّنَا أَلَسْنَا نَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ فِي أَيِّهَا شِئْنَا؟ ثُمَّ اطَّلَعَ إِلَيْهِمُ الثَّانِيَةَ ›

فَقَالَ: ‹ هَلْ تَشْتَهُونَ مِنْ شَيْءٍ فَأَزِيدَكُمُوهُ؟ ›.

فَقَالُوا: ‹ رَبَّنَا أَلَسْنَا نَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ فِي أَيِّهَا شِئْنَا؟ ثُمَّ اطَّلَعَ إِلَيْهِمُ الثَّالِثَةَ ›.

فَقَالَ: ‹ هَلْ تَشْتَهُونَ مِنْ شَيْءٍ فَأَزِيدَكُمُوهُ؟ ›.

فَقَالُوا: ‹ رَبَّنَا تُعِيدُ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا , فَنُقَاتِلُ فِي سَبِيلِكَ , فَنُقْتَلُ مَرَّةً أُخْرَى ›.

قَالَ: ‹ فَسَكَتَ عَنْهُمْ ›.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره) – (بسنده): قَالَ: أنا مَعْمَرٌ , عَنِ (الزُّهْرِيِّ) , عَنِ (ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ) , قَالَ: قَالَتْ أُمُّ مُبَشِّرٍ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ شَاكٍ: اقْرَأْ عَلَى ابْنِي السَّلَامَ , تَعْنِي مُبَشِّرًا , فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكِ يَا أُمَّ مُبَشِّرٍ , أَوَ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ ‹ إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ طَيْرٌ تَعَلَّقَ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ , حَتَّى يُرْجِعَهَا اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) , قَالَتْ: ‹ ضَعُفْتُ , فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ›(3)

* * *

(1) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (169)، للإِمَامُ: (أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني).

(2) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (169)، للإِمَامُ: (أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني).

(3) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (169)، للإِمَامُ: (أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني).

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}

قال: الإمام (أبو جعفر): يعني تعالى ذكره: "ولا تحسبن"، ولا تظنن.

كما:- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن (ابن إسحاق): "ولا تحسبن"، ولا تظنن.

* * *

وقوله: "الذين قتلوا في سبيل الله"، يعني: الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "أمواتًا"، يقول: ولا تحسبنهم، يا محمد، أمواتًا، لا يحسُّون شيئًا، ولا يلتذُّون ولا يتنعمون، فإنهم أحياء عندي، متنعمون في رزقي، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي، وحبَوْتهم به من جزيل ثوابي وعطائي، (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {169} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا} قِيلَ: نَزَلَتْ فِي شُهَدَاءِ بَدْرٍ وَكَانُوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ثَمَانِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ وَسِتَّةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ،

وَقَالَ: الْآخَرُونَ: نَزَلَتْ فِي شُهَدَاءِ أُحُدٍ وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا،

وَقَالَ: قَوْمٌ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لمحي شهداء بئر معونة،

يَعْنِي:- إِنَّ أَوْلِيَاءَ الشُّهَدَاءِ كَانُوا أَصَابَتْهُمْ نِعْمَةٌ تَحَسَّرُوا عَلَى الشُّهَدَاءِ، وَقَالُوا: نَحْنُ فِي النِّعْمَةِ وَآبَاؤُنَا وَأَبْنَاؤُنَا وَإِخْوَانُنَا فِي الْقُبُورِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَنْفِيسًا عَنْهُمْ وَإِخْبَارًا عَنْ حَالِ قَتْلَاهُمْ: (وَلَا تَحْسَبَنَّ) وَلَا تَظُنَّنَّ (الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قَرَأَ (ابْنُ عَامِرٍ): (قُتِّلُوا) بِالتَّشْدِيدِ، وَالْآخَرُونَ: بِالتَّخْفِيفِ (أَمْوَاتًا) كَأَمْوَاتِ مَنْ لَمْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ {بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} قِيلَ: أَحْيَاءٌ فِي الدِّينِ، يَعْنِي:- فِي الذِّكْرِ،

يَعْنِي:- لِأَنَّهُمْ يُرْزَقُونَ وَيَأْكُلُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ كَالْأَحْيَاءِ، يَعْنِي:- لِأَنَّ أَرْوَاحَهُمْ تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ كُلَّ لَيْلَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

يَعْنِي:- لِأَنَّ الشَّهِيدَ لَا يَبْلَى فِي الْقَبْرِ، وَلَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ، {يُرْزَقُونَ} مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ وَتُحَفِهَا. (2)

* * *

قَالَ: الْإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ وَإِنْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ فَإِنَّ أرواحهم حَيَّةٌ مَرْزُوقَةٌ فِي دَارِ الْقَرَارِ.

قَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، حَدَّثَنِي (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ) فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى أَهْلِ بِئْرِ مَعُونَةَ قَالَ: لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ. وَعَلَى ذَلِكَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (169)، لِلْإِمَامِ (الطبري).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلْإِمَامِ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (169).

الْمَاءِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيلِ الْجَعْفَرِيُّ، فَخَرَجَ أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أَتَوْا غَارًا مُشْرِفًا عَلَى الْمَاءِ فَقَعَدُوا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يُبَلِّغ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَهْلَ هَذَا الْمَاءِ؟ فَقَالَ -أراه ابْنَ ملْحَانَ الْأَنْصَارِيَّ:-أَنَا أُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى حِيًّا مِنْهُمْ فَاخْتَبَأَ أَمَامَ الْبُيُوتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ بِئْرِ مَعُونَةَ، إِنِّي رسولُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ كَسْرِ الْبَيْتِ بِرُمْحٍ فَضَرَبَ بِهِ فِي جَنْبِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ. فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وربِّ الْكَعْبَةِ. فَاتَّبَعُوا أَثَرَهُ حَتَّى أَتَوْا أَصْحَابَهُ فِي الْغَارِ فَقَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ.

وَقَالَ: (إِسْحَاقُ): حَدَّثَنِي (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ): أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ فِيهِمْ قُرْآنًا: بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا ورضينا عَنْهُ ثُمَّ نُسِخَتْ فَرُفِعَتْ بَعْدَ مَا قَرَأْنَاهُ زَمَنًا وَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (1).

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده): حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة. كلاهما عن أبي معاوية. ح وحدثنا إسحاق بن إبراهيم. أخبرنا جرير وعيسى بن يونس، جميعا عن الأعمش. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الأَعمَشُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ (مَسْرُوقٍ)، قَالَ: سَأَلْنَا (عَبْدَ اللَّهِ) عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} فَقَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ((أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ)). حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ فَقَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا)). (2) وَقَدْ رُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ (أَنَسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ).

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

وقال: الإمام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (المُسْنَد)، - والإمام (مسلم) في (صحيحه) - (رحمهما الله) - (بسندهما):- حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا

---

(1) انظر: تفسير الإمام (الطبري) برقم (392/7، 393)،
ورواه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (2801)- من طريق - (همام عن إسحاق بن أبي طلحة به).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (169)، للإمام (ابن كثير). .

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1502/3-1503)، (ح 1887) - (كتاب: الإمارة)، / باب: (بيان أن أرواح الشهداء في الجنة).

حَمَّاد، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ (أَنَسٍ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: ((مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ، لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا إِلا الشَّهِيدُ فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ)).(1)

انْفَرَدَ بِهِ الإمام (مُسْلِمٌ)(2) مِنْ طَرِيقِ- (حَمَّادٍ).

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسْنَد) – (بِسَنَدِهِ):- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدِينِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ (جَابِرٍ) قَالَ: قَالَ لِي رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :-((أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَقَالَ لَهُ: تَمَنَّ عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ: أُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا، فَأُقْتَلُ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ: إِنِّي قَضَيْتُ الْحُكْمَ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ)).(3)

انْفَرَدُو بِهِ الإمام (أَحْمَدُ) مِنْ هَذَا الْوَجْهِ(4) وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وغيرهما أَنَّ أَبَا جَابِرٍ -وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرام الْأَنْصَارِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا.(5)

* * *

وفي لفظ حديثٌ آخَرُ:

وقَالَ: الإِمَامُ (الترمذي) و (إبن ماجة) - في (سُنَنِهِما)، - والإِمَامُ (ابن أبي عاصم) - في (السنة) - (رحمهم الله) - (بِسَنَدِهِم):- عَنْ (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) - رضي الله عنهما - قَالَ: ("لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ لِي: يَا جَابِرُ , مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ " , فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله , اسْتُشْهِدَ أَبِي , قُتِلَ يَوْمَ أُحُد , وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا , قَالَ: " أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟ " , فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله , قَالَ: " مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ , وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا) (لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سِتْرٌ)(6)(7) (فَقَالَ: يَا عَبْدِي , تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ ,(8) قَالَ: يَا رَبِّ , تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً , فَقَالَ: الرَّبُّ - عز وجل :- إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي)

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (126/3) .

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1498/3)، (ح 1877) – (كتاب : الإمارة)، / باب: (فضل الشهادة في سبيل الله) . لكن - من طريق (حميد و قتادة عن أنس) به.
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (169)، لِلإِمَامْ (ابن كثير). .

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (361/3).
و(عبد بن حمبد) برقم (ص317)، والحميدي (253/2)،
وأخرجه الإِمَامْ (أبي يعلى) في (المسند) برقم (6/4)
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (7022).
و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (3290).

(4) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (361/3) .

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (169)، لِلإِمَامْ (ابن كثير). .

(6) أَيْ: كَلَّمَهُ مُوَاجِهَةً , لَيْسَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَلَا رَسُولٌ. تحفة الأحوذي (ج7ص330)

(7) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3010) ,
واخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (190)

(8) أخرجه الإِمَامْ (ابن أبي عاصم) في (السنة) برقم (603) , انظر: (ظلال الجنة).

(الْحُكْمُ)[1] (أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لاَ يُرْجَعُونَ , فَقَالَ: يَا رَبِّ , فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي , فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا , بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}))[2][3]

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- وقَالَ: أَبُو الْوَلِيدِ، عَنْ شُعْبَةَ عَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: سَمِعْتُ (جَابِرًا) قَالَ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي جعلتُ أَبْكِي وأكشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، فَجَعَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- ينْهَوني وَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لَمْ يَنْهَه، وَقَالَ: النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-((لا تَبْكِه -أَوْ: مَا تَبْكِيه -مَا زَالَتِ الْمَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِها حَتَّى رُفِعَ))[4].

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسْنَد) – (بسنده):- حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعِيد، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-((لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ، وَمَأْكَلِهِم، وَحُسْنَ مُنْقَلَبِهِم قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللَّهُ لَنَا، لِئَلا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلا يَنْكُلُوا عَنِ الْحَرْبِ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ. فَأَنزلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلاءِ الْآيَاتِ: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} وَمَا بَعْدَهَا)).[5]

هَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ)، وَكَذَا رَوَاهُ الإمامِ (ابْنُ جَرِيرٍ)[6] عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ عَنْ (مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ) بِهِ.[7]

---

(1) اخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3010).
واخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (190).

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (14924).
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده حسن).

(3) اخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (190 , 2800).
واخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3010).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (7022) ,
وانظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة: (3290)، و(صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: 1361). لِلإِمَامْ (الألباني).

(4) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4080)، و(1244) – (كتاب: الجنائز).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2471) - (كتاب فضائل الصحابة).
واخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (سننه) برقم (13/4).
وَقَدْ أَسْنَدَهُ هُوَ وَ الإمام (مُسْلِمٌ) وَ(النَّسَائِيُّ)- مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ- عَنْ (شُعْبَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ) قَالَ: لَمَّا قتلَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ، جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ وَأَبْكِي.

(5) (حسن): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (266-265/3).

(6) انظر: (تفسير الإمام (الطبري) برقم (385/7).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (169)، لِلإِمَامْ (ابن كثير)..

(7) اخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (15/3)، (ح 2520) – (كتاب: الجهاد)، /باب: (في فضل الشهادة)،
وفي (إسناده (ابن إسحاق) ولم يصرح بالسماع ولكنه لا يضر لأنه صرح في رواية الإمام ا أحمد) في (المسند) برقم (266/1).
وأخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (2389) بإسناد الإمام (أبي داود) به، و(صححه) الشيخ (أحمد شاكر).
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (298-297/2) – (كتاب: التفسير).(تفسير سورة آل عمران) - من طريق-: (مسدد بن قطن عن عثمان بن أبي شيبة) به،

حَدِيثٌ آخَرُ:

قــال: الإمَــامُ (أحْمَــدُ بْــنُ حَنْبَــل) - (رحمــه الله) - في (المُســنَد) – (بســنده):- حَــدَّثَنَا يَعْقُــوبُ، حَــدَّثَنَا أَبِــي، عَــنِ ابْــنِ إِسْــحَاقَ، حَــدَّثَنَا الْحَــارِثُ بْــنُ فُضَيْلٍ الْأَنْصَارِيُّ، عَــنْ مَحْمُــودِ بْــنِ لَبِيــدٍ، عَــنْ (ابْــنِ عَبَّــاسٍ)، رَضِــيَ اللَّــهُ عَنْهُمَــا، قَــالَ: قَــالَ رَسُــولُ اللَّــهِ -صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ:- ((الشُّــهَدَاءُ عَلَــى بَــارِقِ نَهَــرٍ بِبَــابِ الْجَنَّــةِ، فِــي قُبَّــةٍ خَضْــرَاءَ، يَخْــرُجُ عَلَــيْهِمْ رِزْقُهُــمْ مِــنَ الْجَنَّــةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا)).

تَفَــرَّدَ بِــهِ الإمــام (أَحْمَــدُ)، وَقَــدْ رَوَاهُ الإمــام (ابْــنُ جَرِيــرٍ) عَــنْ أَبِــي كُرَيْــبٍ حَــدَّثَنَا عَبْــدُ الــرَّحِيمِ بْــنُ سُــلَيْمَانَ، وَعَبــدَةُ عَــنْ مُحَمَّــدِ بْــنِ إِسْحَاقَ، بِهِ. وَهُوَ (إِسْنَادٌ جَيِّدٌ) (1).

وَكَــانَ الشُّــهَدَاءُ أَقْسَــامٌ: مِــنْهُمْ مَــنْ تَسْــرَحُ أَرْوَاحُهُــمْ فِــي الْجَنَّــةِ، وَمِــنْهُمْ مَــنْ يَكُــونُ عَلَــى هَــذَا النَّهَــرِ بِبَــابِ الْجَنَّــةِ، وَقَــدْ يُحْتَمَــلُ أَنْ يَكُــونَ مُنْتَهَــى سَــيْرِهِمْ إِلَــى هَــذَا النَّهَــرِ فَيَجْتَمِعُــونَ هُنَالِــكَ، وَيُغْــدَى عَلَــيْهِمْ بِــرِزْقِهِمْ هُنَــاكَ وَيُــرَاحُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (2)

وَقَــدْ رُوِّيْنَــا فِــي (مُسْــنَدِ) الْإِمَــامِ (أَحْمَــدَ) حَــدِيثًا فِيــهِ الْبِشَــارَةُ لِكُــلِّ مُــؤْمِنٍ بِــأَنَّ رُوحَــهُ تَكُــونُ فِــي الْجَنَّــةِ تَسْــرَحُ أَيْضًــا فِيهَــا، وَتَــأْكُلُ مِــنْ ثِمَارِهَــا، وَتَــرَى مَــا فِيهَــا مِــنَ النَّضْــرَةِ وَالسُّــرُورِ، وَتُشَــاهِدُ مَــا أَعَــدَّهُ اللَّــهُ لَهَــا مِــنَ الْكَرَامَــةِ، وَهُــوَ بِإِسْــنَادٍ صَــحِيحٍ عَزِيــزٍ عَظِــيمٍ، اجْتَمَــعَ فِيــهِ ثَلَاثَــةٌ مِــنَ الْأَئِمَّــةِ الْأَرْبَعَــةِ أَصْــحَابِ الْمَــذَاهِبِ الْمُتَّبَعَــةِ؛ فَإِنَّ الْإِمَامَ (أَحْمَدَ)، (رَحِمَهُ اللَّهُ)، رَوَاهُ عَــنِ الْإِمَــامِ (مُحَمَّــدِ بْــنِ إِدْرِيــسَ الشَّــافِعِيِّ)، (رَحِمَــهُ اللَّــهُ)، عَــنْ (مَالِــكِ بْــنِ أَنَــسٍ الْأَصْــبَحِيِّ)، رَحِمَــهُ اللَّــهُ، عَــنِ (الزُّهْــرِيِّ) عَــنْ (عَبْــدِ الــرَّحْمَنِ بْــنِ كَعْــبِ بْــنِ مَالِــكٍ)، عَــنْ أَبِيــهِ، رَضِــيَ اللَّــهُ عَنْــهُ، قَــالَ: قَــالَ رَسُــولُ اللَّــهِ -صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ:- ((نَسَــمَةُ الْمُــؤْمِنِ طَــائِرٌ يَعْلَــقُ فِــي شَــجَرِ الْجَنَّــةِ، حَتَّــى يُرْجِعَــهُ اللهُ إِلَــى جَسَــدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ)) (3).

قَوْلُهُ: "يَعْلَقُ" أَيْ: يَأْكُلُ.

وَفِــي هَــذَا الْحَــدِيثِ: "إِنَّ روحَ الْمــؤْمِنِ تَكُــونُ عَلَى شَكْلِ طَائِرٍ فِي الْجَنَّةِ".

وَأَمَّــا أَرْوَاحُ الشُّــهَدَاءِ، فَكَمَــا تَقَــدَّمَ فِــي حَوَاصِــلِ طَيْــرٍ خُضْــرٍ، فَهِــيَ كَالْكَوَاكِــبِ بِالنِّسْــبَةِ إِلَــى أَرْوَاحِ عُمُــومِ الْمُــؤْمِنِينَ فَإِنَّهَــا تَطِــيرُ بِأَنْفُسِــهَا، فَنَسْــأَلُ اللَّــهَ الْكَــرِيمَ الْمَنَّــانَ أَنْ يُثَبِّتَنَــا عَلَــى الْإِيمَانِ. (4)

وقــال: (صــحيح علــى شــرط الإمــام مسـلم) ولم يخرجـاه، ووافقــه الإمــام (الذهبي)، و(حسنه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن أبي داود).

ذكــره و نقلــه الشــيخ: (أ. الــدكتور: (حكمــت بــن بشــير بــن ياســين) في (موسوعة الصــحيح المســبور مــن التفســير بالمــأثور) بــرقم (1/ 481)، مــن ســورة (آل عمــران) الآية (169)، الطبعة: الأولى.

(1) (حســن): أخرجــه الإمَــامُ (أحمــد بــن حنبــل) في (المســند) بــرقم (1/266)،

وأخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (7/387).

وأخرجه الإمَامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4658).

وأخرجــه الإمَــامُ (الحــاكم) في (المســتدرك) بــرقم (2/84). و(صــححه) و وافقــه الإمام (الذهبي).

و(حسنه) الإمَامُ (الألباني) في (صحيح الجامع) برقم (3742).

(2) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) في ســورة (آل عمــران) الآيــة (169)، للإمَامُ (ابن كثير).

(3) (صــحيح): أخرجــه الإمَــامُ (أحمــد بــن حنبــل) في (المســند) بــرقم (3/455).

وأخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن) برقم (2073) – (كتاب: الجنائز).

وأخرجــه الإمــام (ابــن ماجــة) في (ســننه) بــرقم (1449)- (كتــاب مــا جــاء في الجنائز).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) برقم (2373).

(4) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) في ســورة (آل عمــران) الآيــة (169)، للإمَامُ (ابن كثير).

* * *

قال: الإِمَامْ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169)}: نهى الله تبارك وتعالى في هذه الآية عن ظن الموت بالشهداء وصرح بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وأنهم فرحون بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ولم يبين هنا هل حياتهم البرزخ يدرك أهل الدنيا حقيقتها أو لا؟ ولكنه بين من سورة البقرة أنهم لا يدركونها بقوله (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) لأن نفي الشعور يدل على نفس الإدراك من باب أولى كما هو ظاهر) .(1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال: حدثني مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أن (بن مالك) - رضي الله عنه - قال: ((دعا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على الذين قَتَلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين غداة، على رِعل وذكوان وعُصيّة عصَت الله ورسوله)).

قال (أنس): أُنزل في الذين قُتلوا ببئر معونة قرآن قرأناه ثم نُسخ بعد: بلغوا قومنا أن قد لقينا ربّنا فرضي عنّا ورضينا عنه .(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {169} {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} هذه الآيات الكريمة فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله} أي: في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله {أمواتا} أي: لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع بزهرتها، الذي يحذر من فواته، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة.

{بل} قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون.

فهم {أحياء عند ربهم} في دار كرامته.

ولفظ: {عند ربهم} يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم،

{يرزقون} من أنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه، إلا من أنعم به عليهم.(3)

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (169-171).

(2) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6/37-38)، (ح 2814) – (كتاب: الجهاد والسير)، / باب: فضل قول الله تعالى: (الآية)).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (169)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

[١٧٠] ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قد غمرتهم السعادة، وشملتهم الفرحة، بما مَنَّ الله عليهم من فضله، ويأملون وينتظرون أن يلحق بهم إخوانهم الذين بقوا في الدنيا، أنهم إن قتلوا في الجهاد فسينالون من الفضل مثلهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا. (1)

* * *

يَعْنِي:- لقد عمَّتهم السعادة حين مَنَّ الله عليهم، فأعطاهم من عظيم جوده وواسع كرمه من النعيم والرضا ما تَقَرُّ به أعينهم، وهم يفرحون بإخوانهم المجاهدين الذين فارقوهم وهم أحياء" ليفوزوا كما فازوا، لعلمهم أنهم سينالون من الخير الذي نالوه، إذا استشهدوا في سبيل الله مخلصين له، وأن لا خوف عليهم فيما يستقبلون من أمور الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا. (2)

* * *

يَعْنِي:- يتألق السرور بالبشر من وجوههم بما أعطاهم الله بسبب فضله من المزايا، ويفرحون بإخوانهم الذين تركوهم في الدنيا أحياء مقيمين على منهج الإيمان والجهاد، وبأنه لا خوف عليهم من مكروه، ولا هم يحزنون لفوات محبوب. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} ... وهو التوفيق في الشهادة، وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها.

{فَرِحِينَ} ... مسرورين.

{يَسْتَبْشِرُونَ} ... يفرحون. (أي: بإخوانهم المجاهدين).

{وَيَسْتَبْشِرُونَ} ... يَفْرَحُونَ، وَالاسْتِبْشَارُ: هُوَ الفرحُ والسرورُ الَّذي يَحْصُلُ للإنسانِ عَلَى مَنْهَجِ الإيمان والجهاد في سبيل الله.

{بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ} ... أي: لم يقتلوا فيلحقوا بهم. يَعْنِي:- لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم.

مِنْ خَلْفِهِمْ يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم.

{أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} ... في الآخرة.

(أي: لما وجدوا من الأمن التام عند ربهم).

{أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} ... بدل من الذين.

والمعنى: ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (72/1)، تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (72/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (98/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

آمنين يوم القيامة، بشرهم الله بذلك فهم يستبشرون به.

{وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} ... عَلَى ما فَاتَهُمْ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا.

(أي: على ما خلفوا وراءهم في الدنيا لما نالهم من كرامة في الجنة).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ومع هذا {فرحين بما آتاهم الله من فضله} أي: مغتبطين بذلك، قد قرت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، وعدم المنغص، فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله: فتم لهم النعيم والسرور، وجعلوا {يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم} أي: يبشر بعضهم بعضا، بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، {ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون} أي: يستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور. {يستبشرون بنعمة من الله وفضل} أي: يهنيء بعضهم بعضا، بأعظم مهنأ به، وهو: نعمة ربهم، وفضله، وإحسانه، {وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين} بل ينميه ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم.

وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضا، وتبشير بعضهم بعضا.(1)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (170)}.

قال: الإمام (أبو جعفر): يعني بذلك تعالى ذكره: ويفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله، لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله إلى مثل الذي صاروا هم إليه، فهم لذلك مستبشرون بهم، فرحون أنهم إذا صاروا كذلك ="لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"، يعني بذلك: لا خوف عليهم، لأنهم قد أمنوا عقاب الله، وأيقنوا برضاه عنهم، فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا، ولا هم يحزنون على ما خلَّفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها، للخفض الذي صاروا إليه والدعة والزُّلْفة..

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (170)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

ونصب "أن لا" بمعنى: يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {فَرِحِينَ} معجبين {بِمَآ آتَاهُمُ اللهُ} بما أعطاهم الله {مِن فَضْلِهِ} من كرامته {وَيَسْتَبْشِرُونَ} بعضهم ببعض {بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ} من إخوانهم الَّذين في الدُّنْيَا أن يلحقوا بهم لأن الله بشرهم بذلك {أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} إذا خاف غيرهم {وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} إذا حزن غيرهم.(2)

* * *

قال:الإمَامُ (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {فَرِحِينَ}.. حال من الضمير في يرزقون، وبما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه: مُتَعَلِّقٌ بِه.

وَقَرَأَ (ابن السميقع): {فَارِحِينَ} وَهُمَا لُغَتَان، كَالْفَرِه وَالْفَارِه، وَالْحَذِرِ وَالْحَاذِرِ.

وَالْمُرَادُ: {بِما آتاهُمُ اللَّهُ} مَا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْكَرَامَةِ بِالشَّهَادَةِ، وَمَا صَارُوا فِيهِ مِنَ الْحَيَاةِ، وَمَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

{وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ} مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا إِذْ ذَاكَ. فَالْمُرَادُ بِاللُّحُوقِ هُنَا: أَنَّهُمْ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ فِي الْقَتْلِ وَالشَّهَادَةِ، بَلْ سَيَلْحَقُونَ بِهِمْ مِن بعد،

وقيل: المراد: {يَلْحَقُوا بِهِمْ} فِي الْفَضْلِ وَإِنْ كَانُوا أَهْلَ فَضْلٍ فِي الْجُمْلَةِ،

وَالْوَاوُ: فِي {وَيَسْتَبْشِرُونَ}، عَاطِفَةٌ عَلَى يُرْزَقُونَ أَيْ: يُرْزَقُونَ وَيَسْتَبْشِرُونَ.

وقيل: الْمُرَادُ بِإِخْوَانِهِمْ هُنَا: جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ الشُّهَدَاءِ وَغَيْرِهِمْ، لِأَنَّهُمْ عَايَنُوا ثَوَابَ اللَّهِ وَحَصَلَ لَهُمُ الْيَقِينُ بِحَقِّيَّةِ دِينِ الْإِسْلَامِ اسْتَبْشَرُوا بِذَلِكَ لِجَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ هُمْ أَحْيَاءٌ لَمْ يَمُوتُوا، وَهَذَا أَقْوَى، لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَوْسَعُ، وَفَائِدَتَهُ أَكْثَرُ، وَاللَّفْظُ يَحْتَمِلُهُ، بَلْ هُوَ الظَّاهِرُ، وَبِهِ قَالَ: (الزَّجَّاجُ)، وَ(ابْنُ فُورَك).

وَقَوْلُهُ: {أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} بَدَلٌ مِنَ: الَّذِينَ، أَيْ يَسْتَبْشِرُونَ بِهَذِهِ الْحَالَةِ الْحَاصِلَةِ لِإِخْوَانِهِمْ مِنْ أَنَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا حُزْنٌ، وَأَنْ: هِيَ الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاسْمُهَا: ضَمِيرُ الشَّأْنِ الْمَحْذُوفُ،

وَكَرَّرَ قَوْلَهُ: {يَسْتَبْشِرُونَ} لِتَأْكِيدِ الْأَوَّلِ وَلِبَيَانِ أَنَّ الِاسْتِبْشَارَ لَيْسَ لِمُجَرَّدِ عَدَمِ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ، بَلْ بِهِ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ.

وَالنِّعْمَةُ: مَا يُنْعِمُ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ.

وَالْفَضْلُ: مَا يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَيْهِمْ،

وقيل: النِّعْمَةُ: الثَّوَابُ. وَالْفَضْلُ: الزَّائِدُ.

وقيل: النِّعْمَةُ: الْجَنَّةُ، وَالْفَضْلُ دَاخِلٌ فِي النِّعْمَةِ، ذُكِرَ بَعْدَهَا لِتَأْكِيدِهَا،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمرآن) الآية (170)، لِلإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

وقيل: إنَّ الاستبشار الأول: مُتَعَلِّقٌ بحال إخوانهم، والاستبشار الثاني: بحال أنفسهم. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) –(رحمه الله) – في (تفسيره):– {170} {فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} رزقه وثوابه، {وَيَسْتَبْشِرُونَ} ويفرحون، {بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ} من إخوانهم الذين تركوهم أحياءً في الدُّنْيَا على مناهج الْإِيمَان وَالْجِهَاد لعلمهم أَنَّهُمْ إذا استشهدوا ولحقوا بهم ونالوا من الْكَرَامَة ما نالوا، فهم لذلك مُسْتَبْشِرُونَ، {أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} {آل عمران: 170}. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– وَقَوْلُهُ: {فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} أَيْ: الشُّهَدَاءُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحْيَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَهُمْ فَرِحُونَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْغِبْطَةِ، وَمُسْتَبْشِرُونَ بِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ بَعْدَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يَقْدَمُونَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يَخَافُونَ مِمَّا أَمَامَهُمْ وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكُوهُ وَرَاءَهُمْ.

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ): {وَيَسْتَبْشِرُونَ} أَيْ: وَيُسَرُّونَ بِلُحُوقِ مَنْ خَلْفَهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ عَلَى مَا مَضَوْا عَلَيْهِ مِنْ جِهَادِهِمْ" لِيُشْرِكُوهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاهُمْ. (3)

وَقَالَ (السُّدِّيُّ): يُؤْتَى الشَّهِيدُ بِكِتَابٍ فِيهِ: ((يَقْدَمُ عَلَيْكَ فُلَانٌ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَيَقْدَمُ عَلَيْكَ فُلَانٌ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَيُسَرُّ بِذَلِكَ كَمَا يُسَرُّ أَهْلُ الدُّنْيَا بِقُدُومِ غُيَّابِهِمْ)).

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): لَمّا دَخَلُوا الْجَنَّةَ ورأوْا مَا فِيهَا مِنَ الْكَرَامَةِ لِلشُّهَدَاءِ قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ فِي الدُّنْيَا يَعْلَمُونَ مَا عرفْنَاهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَإِذَا شهدوا للقتال باشروها بأنفسهم، حتى ويُستشهدوا فَيُصِيبُوا مَا أَصَبْنَا مِنَ الْخَيْرِ، فأخبر رسول اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَمْرِهِمْ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ -أَيْ رَبُّهُمْ- أَنِّي قَدْ أَنْزَلْتُ عَلَى نَبِيِّكُمْ وَأَخْبَرْتُهُ بِأَمْرِكُمْ، وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ، فاستبشروا بِذَلِكَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ} الْآيَةَ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ (أَنَسٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ بِئْرِ مَعُونَةَ السَّبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ، الَّذِينَ قُتِلُوا فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، وقَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –عَلَى الَّذِينَ قَتَلُوهُمْ، يَدْعُو عَلَيْهِمْ ويَلْعَنهم، قَالَ: (أَنَسٌ): وَنَزَلَ فِيهِمْ قُرْآنٌ قَرَأْنَاهُ حَتَّى رُفع: ((أنْ بَلّغُوا عَنّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنّا وأرْضَانا)). (1) (4).

---

(1) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (آل عمران) الآية (170). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (170).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (170).

(4) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2801، 4095)–(كتاب: المغازي).

وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (677) - (كتاب: المساجد).

* * *

قال: الإمَام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- 4498 - حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ} قَالَ: لَمَّا دَخَلُوا الْجَنَّةَ وَرَأَوْا مَا فِيهَا مِنَ الْكَرَامَةِ لِلشُّهَدَاءِ، قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ فِي الدُّنْيَا يَعْلَمُونَ مَا عَرَفْنَاهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَإِذَا شَهِدُوا الْقِتَالَ بَاشَرُوهَا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى يُسْتَشْهَدُوا فَيُصِيبُونَ مَا أَصَبْنَا مِنَ الْخَيْرِ- فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بِأَمْرِهِمْ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنِّي قَدْ أُنْزِلَتْ عَلَى نَبِيِّكُمْ- وَأَخْبَرْتُهُ بِأَمْرِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَاسْتَبْشِرُوا بِذَلِكَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لم يلحقوا بهم من خَلْفِهِمْ} الآيَةَ.

4499 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ الأَوْدِيُّ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ، ثنا أَسْبَاطٌ، عَنِ (السُّدِّيِّ) قَوْلُهُ: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ} فَإِنَّ الشَّهِيدَ يُؤْتَى بِكِتَابٍ فِيهِ مَنْ يَقْدَمُ عَلَيْهِ مِنْ إِخْوَانِهِ وَأَهْلِهِ، يقال: تقدم عليك فلان، يوم كذا وكذا، تقدم عَلَيْكَ فُلانٌ، يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَيَسْتَبْشِرُ حِينَ تقدم عَلَيْهِ كَمَا يَسْتَبْشِرُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِقُدُومِهِ فِي الدُّنْيَا.

4500 - حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ} يَعْنِي: إِخْوَانَهُمْ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا أَنَّهُمْ سَيَحْرِصُونَ عَلَى الْجِهَادِ وَيَلْحَقُونَ بِهِمْ.

4501 - وَبِهِ عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) يَعْنِي: فِي الآخِرَةِ. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله)- في (تفسيره) = (تفسيره):- {فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} أَي: من الشَّهَادَة والرزق {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ} الْآيَة، يَقُول بَعضهم لبَعض: تركنَا إِخْوَاننَا: فلَانا وَفُلَانًا وَفُلَانًا يُقَاتلُون الْعَدو" فَيُقْتَلُون إن شَاءَ الله" فيصيبون من الرزق والكرامة والأمن.

يَحْيَى: عَنْ خَالِد، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَن، عَن أَبِي صَالح، عَن (ابْنِ عَبَّاس) قَالَ: ((لَمَّا قَدِمَتْ أَرْوَاحُ أَهْلِ أُحُدٍ عَلَى اللَّهِ، جُعِلَتْ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ يُجَاوِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا بِصَوْتٍ لَمْ تَسْمَعِ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِ" يَقُولُونَ: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ خَلَّفْنَا مِنْ بَعْدِنَا عَلِمُوا مِثْلَ الَّذِي عَلِمْنَا فَسَارَعُوا إِلَى مِثْلِ مَا سَارَعْنَا فِيهِ" فَإِنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (170)، لِلْإِمَامُ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (170). المحقق: (أسعد محمد الطيب).

فَرضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا، فَوَعَدَهُمُ اللَّهُ لَيُخْبِرَنَّ نَبِيَّهُ بِذَلِكَ حَتَّى يُخْبِرَهُمْ" فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا} إِلَى قَوْلِه: {أجر الْمُؤمنِين}.[1]

* * *

قال: جماعة من علماء (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء) في (كتاب تفسير):

السؤال الثاني من الفتوى رقم (7929):

س2: قول الله تعالى: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ}[2] ما تفسير هذه الآية الكريمة؟.

ج2: قال: الإمام (ابن كثير) – (رحمه الله) في (تفسيره) لهذه الآية: (وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم، نسأل الله الجنة)،

وقال: (محمد بن إسحاق):- {وَيَسْتَبْشِرُونَ}[3] أي: ويسرون بلحوق من لحقهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم" ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم، قال السدي: يؤتى الشهيد بكتاب فيه: يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيسر بذلك كما يسر أهل الدنيا بغائبهم إذا قدم.

قال: (سعيد بن جبير): لما دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء قالوا: يا ليت إخواننا الذين في الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة، فإذا شهدوا القتال باشروها بأنفسهم حتى يستشهدوا فيصيبوا ما أصبنا من الخير، فأخبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بأمرهم وما هم فيه من الكرامة، وأخبرهم -أي: ربهم:-أني قد أنزلت على نبيكم وأخبرته بأمركم وما أنتم فيه فاستبشروا بذلك، فذلك قوله: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ}[4] الآية.

وقد ثبت في الصحيحين عن (أنس) في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة، وقنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم -يدعو على الذين قتلوهم ويلعنهم،

قال: (أنس):- ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع: (أن بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا)[5].

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (170) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي)،
(2) سورة {آل عمران الآية 170}.
(3) سورة {آل عمران: 170}.
(4) سورة {آل عمران: 170}.
(5) انظر: (تفسير ابن كثير) رقم (1/ 429)، ط دار الفكر، والحديث رواه (أحمد) رقم (3/ 127، 210، 270، 289).
و الإمام (البخاري) في (فتح الباري) برقم (3858).
وأخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (677).

الرئيس / ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

نائب رئيس اللجنة / ... عبد الرزاق عفيفي.

عضو / ... عبد الله بن غديان.

عضو / ... عبد الله بن قعود. (1)

* * *

[١٧١] ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ :

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويفرحون مع هذا بثواب كبير ينتظرهم من الله، وزيادة على الثواب عظيمة، وأنه تعالى لا يُبْطل أجر المؤمنين به، بل يوفيهم أجورهم كاملة، ويزيدهم عليها. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإنهم في فرحة غامرة بما أُعطوا من نعم الله وجزيل عطائه، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين به، بل ينمِّيه ويزيده من فضله. (3)

* * *

يَعْنِي:- تتألق وجوه الشهداء بما منّ الله به عليهم من نعمة الشهادة ونعيم الجنة وعظيم الكرامة، وبأنه لا يضيع أجر المؤمنين. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَسْتَبْشِرُونَ} ... كرر ليعلق به ما هو بيان لقوله {أَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} ... من ذكر النعمة والفضل وأن ذلك أجر لهم يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع.

{وَفَضْلٍ} ... وزيادة.

{وَأَنَّ اللَّهَ} ... قرىء بالفتح عطفا على النعمة والفضل، وبالكسر، على الابتداء، وعلى أن الجملة اعتراض.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قال: الإمام (أبو جعفر): يقول جل ثناؤه: {يستبشرون}، يفرحون، {بنعمة من الله}، يعني بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه {وفضل} يقول: وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب على ما سلف منهم من طاعة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وجهاد أعدائه {وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين}.

قال: الإمام (أبو جعفر): فوعد تعالى ذكره، مُحسنَ من ذكرنا أمره من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، الذين استجابوا لله والرسول- من بعد ما أصابهم القرح، إذا

---

(1) انظر: (فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى) - المجلد الرابع (التفسير) = تفسير سورة (آل عمران) آية (170). برقم (ص208/4-209).
المؤلف: (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)
جمع وترتيب: (أحمد بن عبد الرزاق الدويش).
عدد الأجزاء: (26 جزءا). (المكتبة الشاملة).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (72/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (72/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (98/1)، المؤلف: لجنة من علماء الأزهر).

اتقى الله فخافه، فأدى فرائضه وأطاعه في أمره ونهيه فيما يستقبل من عمره "أجرًا عظيمًا"، وذلك الثواب الجزيل، والجزاء العظيم على ما قدم من صالح أعماله في الدنيا.(1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-{يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)}. أَيْ بِجَنَّةٍ مِنَ اللَّهِ. وَيُقَالُ: بِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ. (وَفَضْلٍ) هَذَا لِزِيَادَةِ الْبَيَانِ. وَالْفَضْلُ دَاخِلٌ فِي النِّعْمَةِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى اتِّسَاعِهَا، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ كَنِعَمِ الدُّنْيَا.

يَعْنِي:- جَاءَ الْفَضْلُ بَعْدَ النِّعْمَةِ عَلَى وَجْهِ التَّأْكِيدِ، روى الإمام (الترمذي) عن المقدام بن معديكرب، قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-(لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ- كَذَا فِي الإمام (الترمذي) و(ابن ماجة)" ست"، وَهِيَ فِي الْعَدَدِ سَبْعٌ- يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ) قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ (حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ).

وَهَذَا تَفْسِيرٌ لِلنِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ. وَالْآثَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ.

وَرُوِيَ عَنْ (مُجَاهِدٍ) أَنَّهُ قَالَ: ((السُّيُوفُ مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ)). وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قَالَ: (أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى الشُّهَدَاءَ بِخَمْسِ كَرَامَاتٍ لَمْ يُكْرِمْ بِهَا أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا أَنَا،

أَحَدُهَا: أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ قَبَضَ أَرْوَاحَهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ وَهُوَ الَّذِي سَيَقْبِضُ رُوحِي وَأَمَّا الشُّهَدَاءُ فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ بِقُدْرَتِهِ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَا يُسَلِّطُ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ مَلَكَ الْمَوْتِ،

وَالثَّانِي: أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ غُسِّلُوا بَعْدَ الْمَوْتِ وَأَنَا أُغَسَّلُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالشُّهَدَاءُ لَا يُغَسَّلُونَ وَلَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَى مَاءِ الدُّنْيَا،

وَالثَّالِثُ: أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ كُفِّنُوا وَأَنَا أُكَفَّنُ وَالشُّهَدَاءُ لَا يُكَفَّنُونَ بَلْ يُدْفَنُونَ فِي ثِيَابِهِمْ،

وَالرَّابِعُ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمَّا مَاتُوا سُمُّوا أَمْوَاتًا وَإِذَا مُتُّ يُقَالُ قَدْ مَاتَ وَالشُّهَدَاءُ لَا يُسَمَّوْنَ مَوْتَى،

وَالْخَامِسُ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ تُعْطَى لَهُمُ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشَفَاعَتِي أَيْضًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَمَّا الشُّهَدَاءُ فَإِنَّهُمْ يَشْفَعُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِيمَنْ يَشْفَعُونَ (قَوْلُهُ تَعَالَى:) وَأَنَّ اللَّهَ قَرَأَهُ الْكِسَائِيُّ بِكَسْرِ الْأَلِفِ، وَالْبَاقُونَ بِالنَّصْبِ، فَمَنْ قَرَأَ بِالنَّصْبِ فَمَعْنَاهُ (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ) وَيَسْتَبْشِرُونَ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَنْ قَرَأَ بِالْكَسْرِ فَعَلَى الِابْتِدَاءِ. وَدَلِيلُهُ قِرَاءَةُ (ابْنِ مَسْعُودٍ). (وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ).(2)

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (171)، لِلإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (آل عمران) - الآية (171)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ: {يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}
قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ): اسْتَبْشَرُوا وَسُرُّوا لِمَا عَايَنُوا مِنْ وَفَاءِ الْمَوْعُودِ وَجَزِيلِ الثَّوَابِ.
وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ): هَذِهِ الْآيَةُ جَمَعَتِ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّهُمْ، سَوَاءً الشُّهَدَاءَ وَغَيْرَهُمْ، وَقَلَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ فَضْلًا ذَكَرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَثَوَابًا أَعْطَاهُمْ إِلَّا ذَكَرَ مَا أَعْطَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ} بِثَوَاب من الله {وَفَضْلٍ} وكرامة {وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ} لَا يبطل {أَجْرَ الْمُؤمنِينَ} فِي الْجِهَاد بِمَا يصيبهم فِي الْجِهَاد. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ} أي: يهنيء بعضهم بعضا، بأعظم مهنأ به، وهو: نعمة ربهم، وفضله، وإحسانه، {وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} بل ينميه ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم.
وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضا، وتبشير بعضهم بعضا. (3)

* * *

[١٧٢] ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرسول- مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الذين استجابوا لأمر الله ورسوله عندما دُعوا إلى الخروج للقتال في سبيل الله، وملاقاة المشركين في غزوة "حمراء الأسد" التي أعقبت أُحُدًا بعدما أصابتهم الجروح يوم أُحُد، فلم تمنعهم جروحهم من تلبية نداء الله ورسوله. للذين أحسنوا منهم في أعمالهم، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، أجر عظيم من الله، وهو الجنة. (4)

* * *

يَعْني:- الذين لبُّوا نداء الله ورسوله وخرجوا في أعقاب المشركين إلى ‹حمراء الأسد› بعد هزيمتهم في غزوة ‹أُحد› مع ما كان بهم من آلام وجراح، وبذلوا غاية جهدهم، والتزموا بهدي نبيهم، للمحسنين منهم والمتقين ثواب عظيم. (5)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (171)، للإمَامْ (ابن كثير).
(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (171). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .
(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (171)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (72/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (72/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يَعْنِي:- الذين لبّوا دعوة الرسول- إلى استئناف الجهاد من بعد ما أصابهم فى غزوة أحد من الجرح العميق، وبذلك أحسنوا، واتقوا عصيان أمر الله ورسوله، فاستحقوا الأجر العظيم فى دار الجزاء والنعيم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{اسْتَجَابُوا} ... اجابوا الدعوة وقبلوا الأمر.

{الَّذِينَ اسْتَجابُوا} ... مبتدأ، خبره {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا}، أو صفة لقوله الْمُؤْمِنِينَ فى الآية السابقة، أو منصوب على المدح.

وكان أبو سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد وبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع، فبلغ ذلك رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم- فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة، فندب أصحابه للخروج فى طلب أبى سفيان وقال: لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، فخرج رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم - مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد، وهى من المدينة على ثمانية أميال، وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر، وألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا.

{الْقَرْحُ} ... ألم الجراحات.

{أَحْسَنُوا} ... أعمالهم وأقوالهم أتوا بها وفق الشرع وأحسنوا إلى غيرهم.

{مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ} ... الْقَرْحُ: هُوَ أَلَمُ الْجِرَاحَاتِ.

{الْقَرْحُ} ... الجِراحُ، وَالأَلَمُ.

{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُم} ... للنبيين.

{وَاتَّقَوا} ... ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه فيما أمرهم به أو نهاهم عنه.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {اسْتَجَابُوا} : أَجَابُوا، يَسْتَجِيبُ: يُجِيبُ. {الْقَرْحُ} : الجِرَاحُ. (2)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي و مُسلِم) - (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (عَائِشَةُ) - رضي الله عنها - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لله وَالرسول- مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ} (3) يَا ابْنَ أُخْتِي , كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ، الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنهما - ((لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا , فَقَالَ: مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟)) , فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا (4) , قَالَتْ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ. (5)(1)

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (98/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (172). برقم (ج6 / ص 39).

(3) {آل عمران: 172}.

(4) أَيْ: تَكَفَّلَ بِالْمَطْلُوبِ.

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (432/7)، (ح 4077) – (كتاب: الغازي)، / باب: (الذين استجابوا..)).

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله تعالى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرسول- مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ} (172)

قال: الإمام (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: "وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين"، المستجيبين لله والرسول- من بعد ما أصابهم الجرح والكلوم. .

* * *

وإنما عنى الله تعالى ذكره بذلك: الذين اتبعوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم -إلى حَمْراء الأسد في طلب العدو -أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش- مُنصَرفهم عن أحد. وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد، خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أثره حتى بلغ حمراء الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة، ليرى الناسُ أنّ به وأصحابه قوةً على عدوهم.

* * *

قال: الإمام (أبو جعفر): فوعد تعالى ذكره، مُحسنَ من ذكرنا أمره من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، الذين استجابوا لله والرسول- من بعد ما أصابهم القرح، إذا اتقى الله فخافه، فأدى فرائضه وأطاعه في أمره ونهيه فيما يستقبل من عمره {أجرًا عظيما}، وذلك الثواب الجزيل، والجزاء العظيم على ما قدم من صالح أعماله في الدنيا.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {172} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرسول-} أَيْ أَجَابُوا، وَمَحَلُّ (الَّذِينَ) خَفْضٌ عَلَى صِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ تَقْدِيرُهُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ المستجيبين الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرسول-، {مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ} أي: نالهم الجرح في أحد، وَتَمَّ الْكَلَامُ هَاهُنَا ثُمَّ ابْتَدَأَ فقال: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ} بِطَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَإِجَابَتِهِ إِلَى الغزو، {وَاتَّقَوْا} معصيته {أَجْرٌ عَظِيمٌ} {آل عمران: 172}.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرسول- مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ} هَذَا كَانَ يَوْمَ "حَمْرَاءِ الْأَسَدِ"، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَرُّوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَلَمَّا اسْتَمَرُّوا فِي سَيْرِهِمْ تَنَدَّمُوا لِمَ لَا تَمَّمُوا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَجَعَلُوهَا الْفَيْصَلَةَ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الذَّهَابِ وَرَاءَهُمْ لِيُرْعِبَهم وَيُرِيَهُمْ أَنَّ بِهِمْ قُوَّةً

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (3849)، وأخرجه الإِمَامُ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (51) - (2418)، - عَنْ (عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ).

وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (124).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (172)، للإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (172).

وَجَلَدًا، وَلَمْ يَأذنْ لِأَحَدٍ سِوَى مَنْ حَضَرَ الْوَقْعَةَ يَوْمَ أُحُدٍ، سِوَى (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -لِمَا سَنَذْكُرُهُ-فَانْتَدَبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْإِثْخَانِ طَاعَةً لِلَّهِ عَزَّ وجل ولرسوله -صلى الله عليه وسلم-. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرسول- مِنْ بعد مَا أَصَابَهُمُ الْقرح} يَعْنِي: الْجراح" وَذَلِكَ يَوْم أُحُد" حَيْثُ قَالَ رَسُول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((رَحِمَ اللَّهُ قوما ينتدبون حَتَّى يعلم الْمُشْرِكُونَ أَنا لم نستأصل، وَأَن فِينَا بَقِيَّة فَانْتَدَبَ قوم مِمَّن أَصَابَتْهُم الْجراح)). (2)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- ثمَّ ذكر موافاتهم مَعَ النَّبِي - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- إِلَى بدر الصُّغْرَى فَقَالَ {الَّذين اسْتَجَابُوا لِلَّهِ} أجابوا لله بِالطَّاعَة {وَالرَّسُول-} بالموافاة إِلَى بدر الصُّغْرَى {مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقرح} الْجرْح يَوْم أحد {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا} وافوا (مِنْهُم) مَعَ النَّبِي- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- إِلَى بدر الصُّغْرَى {وَاتَّقَوا} مَعْصِيّة الله وَمُخَالفَة الرسول- {أَجْرٌ عَظِيمٌ} ثَوَاب وافر فِي الْجنَّة وَنزل فيهم أَيْضا. (3)

* * *

[١٧٣] ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الذين قال: لهم بعض المشركين: إن قريشًا بقيادة أبي سفيان قد جمعوا لكم جموعًا كثيرة لقتالكم والقضاء عليكم فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فزادهم هذا الكلام والتخويف تصديقًا بالله وثقة بوعده، فخرجوا إلى لقائهم وهم يقولون: يكفينا الله تعالى، وهو نِعْمَ من نفوِّض إليه أمرنا. (4)

* * *

يَعْنِي:- وهم الذين قال لهم بعض المشركين: إن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا أمرهم على الرجوع إليكم لاستئصالكم، فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، فزادهم ذلك التخويف يقينًا وتصديقًا بوعد الله لهم، ولم يَثْنِهم ذلك عن عزمهم، فساروا إلى حيث شاء الله، وقالوا: حسبنا الله أي: كافينا، ونِعْمَ الوكيل المفوَّض إليه تدبير عباده. (5)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (172)، للإِمامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمرآن) الآية (172) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (172). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (72/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (72/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

* * *

يَعْنِـي:- الـذين خوفهم الناس بأن قالوا لهم: إن أعداءكم قد جمعوا لكم جيشاً كثيفاً فخافوهم، فما ضعفوا وما وهنوا، بل ازدادوا إيماناً بالله وثقة بنصره، وكان ردّهم: الله كافينا، وهو المتولى أمورنا، وهو نِعْمَ من يفوّض إليه الأمر كله.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{قَالَ لَهُمُ النَّاسُ} ... المثبطون.

{إِنَّ النَّاسَ} ... هم أبو سفيان وأصحابه.

{جَمَعُوا لَكُمْ} ... جمعوا الجيوش لقتالكم.

{فَزَادَهُمْ إِيمَاناً} ... أي: فزادهم هذا القول إيمانا وعزما على الجهاد.

{حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} ... يكفينا اللهُ مَا أَرَادُونَا به من الأذى.

{حَسْبُنَا اللَّهُ} ... كافينا. أي: يكفينا الله ما أرادونا به من الأذى.

{وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} ... ونعم الموكول إليه هو.

{وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} ... نعم الوكيل الله نوكل إليه أمورنا ونفوضها إليه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده): حدثنا أحمد بن يونس -أراه قال- حدثنا أبو بكر عن أبي حَصين عن أبي الضحى عن (ابن عباس): {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (2) (كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ) قالها إبراهيم -عليه السلام- حين ألقي في النار، وقالها محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حين قالوا: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}.(3)

* * *

و أخرج الإمام (الترمذي) - في (سُننه) - والإمام (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده):- (رحمهما الله) - (بسندهما):- وَعَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم:- (" كَيْفَ أَنْعَمُ (4) وَصَاحِبُ الْقَرْنِ (5) قَدْ الْتَقَمَ الْقَرْنَ (6) وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى (7)(8) (السَّمْعَ) (9) (مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ ") (10) (فَسَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَشَقَّ عَلَيْهِمْ) (11)(12) (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ - صلى الله عليه وسلم:- "

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/98)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4288).

واخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (10439).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (77/8)، ح (4563) – (كتاب: التفسير).(سورة آل عمران)،/، باب: (الذين قال لهم الناس).

واخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (10439).

(4) أَيْ: كَيْفَ أَفْرَحُ وَأَتَنَعَّمُ، وَفِي النِّهَايَةِ: وَالنَّعْمَةِ بِالْفَتْحِ: الْمَسَرَّةُ، وَالْفَرَحُ، وَالتَّرَفُّهُ.

(5) القرن: كالبوق الذي ينفخ فيه.

(6) أَيْ: وَضَعَ طَرَفَ الْقَرْنِ فِي فَمِهِ.

(7) أصغى: أحسن الاستماع.

(8) أخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3243).

(9) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (19364).

وقال: الشيخ (شعيب الارناؤوط): (صحيح).

(10) أخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (ت) (2431).

(11) شق عليه: صعب عليه أمره.

(12) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (19364).

قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ, عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا "). (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره) – (بسنده): قَالَ: أنا ابْنُ عُيَيْنَةَ, عَنْ عَمْرٍو, وَعَنْ (عِكْرِمَةَ), قَالَ: كَانَتْ بَدْرٌ مَتْجَرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ, فَخَرَجَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُرِيدُونَهُ, فَلَقِيَهُمْ نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ, فَقَالُوا لَهُمْ: (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ), فَأَمَّا الْجَبَانُ فَرَجَعَ, وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَأَخَذَ أُهْبَةَ الْقِتَالِ, وَأُهْبَةَ التِّجَارَةِ> وَقَالُوا: {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} قَالَ: وَأَتَوْهُمْ, فَلَمْ يَلْقَوْا أَحَدًا, فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمُ {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} [آل عمران: 173]. (2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره) – (بسنده): نا ابْنُ عُيَيْنَةَ, وَأَخْبَرَنِي زَكَرِيَّا, عَنِ الشَّعْبِيِّ, عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو), قَالَ: " هِيَ كَلِمَةُ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي الْبُنْيَانِ, يَعْنِي النَّارَ: {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} " (3)

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)}

و{الذين} في موضع خفض مردود على"المؤمنين"، وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول- .

* * *

و{الناس} الأوّل، هم قوم -فيما ذكر لنا- كان أبو سفيان سألهم أن يثبِّطوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم وأصحابه- الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أحد إلى حمراء الأسد.

و{الناس} الثاني، هم أبو سفيان وأصحابه من قريش، الذين كانوا معه بأحد.

* * *

ويعني بقوله: {قد جمعوا لكم}، قد جمعوا الرجال للقائكم والكرّة إليكم لحربكم {فاخشوهم}، يقول: فاحذروهم، واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم {فزادهم إيمانًا}، يقول: فزادهم ذلك من تخويف من خوَّفهم أمرَ أبي سفيان وأصحابه من المشركين، يقينًا إلى يقينهم، وتصديقًا لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم، ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بالسير فيه، ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه، وقالوا ثقة بالله وتوكلا عليه، إذ خوَّفهم من خوَّفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين {حسبنا الله ونعم الوكيل}، يعني بقوله: {حسبنا

---

(1) اخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2431), انظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) برقم (1079).

و (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (آل عمران الآية (173))، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(2) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (173)، للإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني)

(3) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (173)، للإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني)

الله}، كفانا الله، يعني: يكفينا الله {ونعم الوكيل}، يقول: ونعم المولى لمن وليه وكفله.

* * *

وإنما وصف تعالى نفسه بذلك، لأن {الوكيل}، في كلام العرب، هو المسنَد إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره. فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات، قد كانوا فوَّضوا أمرهم إلى الله، ووثقوا به، وأسندوا ذلك إليه، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة فقال: ونعم الوكيل الله تعالى لهم.(1)

* * *

قال: الإمامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {173} {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ} يَعْنِي أَبَا سُفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ،

{فَاخْشَوْهُمْ} فَخَافُوهُمْ وَاحْذَرُوهُمْ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لكم بهم، {فَزَادَهُمْ إِيمَانًا} تصديقا ويقينا وقوله: {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ} أَيْ: كَافِينَا اللَّهُ،

{وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} أي: الموكل إِلَيْهِ الْأُمُورُ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ.(2)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} أَيِ: الَّذِينَ تَوَعَّدَهُمُ النَّاسُ بِالْجُمُوعِ وَخَوَّفُوهُمْ بِكَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ، فَمَا اكْتَرَثُوا لِذَلِكَ، بَلْ تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَاسْتَعَانُوا بِهِ {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}(3)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {الَّذين قَالَ لَهُمُ النَّاس} نعيم بن مَسْعُود الْأَشْجَعِيّ {إِنَّ النَّاس} أَبَا سُفْيَان وَأَصْحَابه {قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ} باللطيمة واللطيمة سوق فِي قرب مَكَّة {فَاخْشَوْهُمْ} بِالْخرُوجِ إِلَيْهِم.

{فَزَادَهُمْ إِيمَاناً} جرَاءَة بِالْخرُوجِ إِلَيْهِم.

{وَقَالُواْ حَسْبُنَا الله} ثقتنا بِاللَّه.

{وَنِعْمَ الْوَكِيل} الْكَفِيل بالنصرة.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تيسير الكريم الرَّحمن): {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}. لما رجع النبي – صلى الله عليه وسلم- من "أحد" إلى المدينة، وسمع أن أبا سفيان ومن معه من المشركين قد هموا بالرجوع إلى المدينة، ندب أصحابه إلى الخروج، فخرجوا -على ما بهم من الجراح- استجابة لله ولرسوله، وطاعة لله ولرسوله، فوصلوا إلى "حمراء الأسد" وجاءهم من جاءهم وقال لهم: {إن الناس قد جمعوا

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (173)، للإمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (173).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (173)، للإمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (173). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

لكم} وهموا باستئصالكم، تخويفا لهم وترهيبا، فلم يزدهم ذلك إلا إيمانا بالله واتكالا عليه.

{وقالوا حسبنا الله} أي: كافينا كل ما أهمنا {ونعم الوكيل} المفوض إليه تدبير عباده، والقائم بمصالحهم.(1)

* * *

قال: الإمامُ (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ الْمُرَادُ بِالنَّاسِ هُنَا: (نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ) كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ، وَجَازَ إِطْلَاقُ لَفظ النَّاس عَلَيْه: لكَوْنه منْ جنْسهم.

يَعْنِي:- الْمُرَادُ {بِالنَّاسِ}: رَكْبُ عَبْدِ الْقَيْسِ الَّذِينَ مَرُّوا بِأَبِي سُفْيَانَ. يَعْنِي:- هُمُ الْمُنَافِقُونَ.

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ} (أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ)،

وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: {فَزَادَهُمْ}... رَاجِعٌ إِلَى الْقَوْلِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ، بِقَالَ، أَوْ إِلَى الْمَقُولِ، وَهُوَ {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} أَوْ إِلَى الْقَائِلِ وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ لَمْ يَفْشَلُوا لَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ وَلَا الْتَفَتُوا إِلَيْهِ، بَلْ أَخْلَصُوا لِلَّهِ، وَازْدَادُوا طُمَأْنِينَةً وَيَقِينًا.

وَفِيه دَلِيلٌ: عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

قَوْلُهُ: {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} حَسْبُ: مَصْدَرُ حَسَبَهُ، أَيْ: كَفَاهُ، وَهُوَ بمعنى الفاعل، أي: محسب: بمعنى كافي.(2)

* * *

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175) وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (177) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (178) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (180)

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- من سنن الله تعالى أن يبتلي عباده" ليتميز المؤمن الحق من المنافق، وليُعلم الصادق من الكاذب.
- عظم منزلة الجهاد والشهادة في سبيل الله وثواب أهله عند الله تعالى حيث ينزلهم الله تعالى بأعلى المنازل.
- فضل الصحابة وبيان علو منزلتهم في الدنيا والآخرة" لما بذلوه من أنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى.(1)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (173)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (آل عمران) الآية (173). للإمام (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

* * *

[١٧٤] ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فرجعوا بعد خروجهم إلى "حمراء الأسد" بثواب عظيم من الله، وزيادة في درجاتهم، وسلامة من عدوهم فلم يصبهم قَتْلٌ ولا جِراح، واتبعوا ما يرضي الله عنهم من التزام طاعته والكف عن معصيته، والله صاحب فضل عظيم على عباده المؤمنين. (2)

* * *

يَعْنِي:- فرجعوا من ‹ حمراء الأسد › إلى ‹ المدينة › بنعمة من الله بالثواب الجزيل وبفضل منه بالمنزلة العالية، وقد ازدادوا إيمانًا ويقينًا، وأذلوا أعداء الله، وفازوا بالسلامة من القتل والقتال، واتبعوا رضوان الله بطاعتهم له ولرسوله. والله ذو إحسان وعطاء كثير واسع عليهم وعلى غيرهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- ثم خرجوا للجهاد ولقاء الجيش الكثيف، ولكن المشركين جبنوا عن اللقاء، فعاد المؤمنون فائزين بنعمة السلامة مع الرغبة فى الجهاد، وفوزهم بثوابه وفضل اللَّه عليهم فى إلقاء الرعب فى قلوب عدوهم فلم ينلهم أذى. وابتغوا رضوان اللَّه فصاروا أهلاً لفضله، واللَّه صاحب الفضل العظيم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَانْقَلَبُوا} ... رَجَعُوا. أي: (فرجعوا من بدر).

(أي: رجعوا من حمراء الأسد إلى المدينة).

{بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ} ... وهى السلامة وحذر العدو منهم.

{لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ} ... لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدوهم.

{وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ} ... بجرأتهم وخروجهم.

{وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} ... قد تفضل عليهم فيما فعلوا.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {فَانقلبوا} أي: رجعوا {بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ}. وجاء الخبر المشركين أن الرسول- وأصحابه قد خرجوا إليكم، وندم من تخلف منهم، فألقى الله الرعب في قلوبهم، واستمروا راجعين إلى مكة، ورجع المؤمنون بنعمة من الله وفضل، حيث مَنَّ عليهم بالتوفيق للخروج بهذه الحالة والاتكال على ربهم، ثم إنه قد كتب لهم أجر غزاة تامة، فبسبب إحسانهم بطاعة ربهم،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (72/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (73/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (73/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (99/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وتقواهم عن معصيته، لهم أجر عظيم، وهذا فضل الله عليهم.[1]

* * *

قوله تعالى: {فانقلبوا بنعمة من الله وفضل}.

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي): قوله: {فانقلبوا بنعمة من الله} أما النعمة فهي العافية.[2]

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) عن -(مجاهد): {فانقلبوا بنعمة من الله وفضل} قال: والفضل ما أصابوا من التجارة والأجر.[3]

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله: {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174)} يعني جل ثناؤه بقوله: {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ}، فانصرف الذين استجابوا لله والرسول- من بعد ما أصابهم القرح، من وجههم الذي توجَّهوا فيه -وهو سيرهم في أثر عدوهم- إلى حمراء الأسد {بنعمة من الله}، يعني: بعافية من ربهم، لم يلقوا بها عدواً. {وفضل}، يعني: أصابوا فيها من الأرباح بتجارتهم التي تجَروا بها، الأجر الذي اكتسبوه: {لم يمسسهم سوء} يعني: لم ينلهم بها مكروه من عدوّهم ولا أذى {واتبعوا رضوان الله}، يعني بذلك: أنهم أرضوا الله بفعلهم ذلك، واتباعهم رسوله إلى ما دعاهم إليه من اتباع أثر العدوّ، وطاعتهم {والله ذو فضل عظيم}، يعني: والله ذو إحسان وطَوْل عليهم -بصرف عدوهم الذي كانوا قد همُّوا بالكرة إليهم، وغير ذلك من أياديه عندهم وعلى غيرهم- بنعمه {عظيم} عند من أنعم به عليه من خلقه.[4]

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):-

{174} {فَانْقَلَبُوا} فانصرفوا، {بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ} بِعَافِيَةٍ لَمْ يَلْقَوْا عَدُوًّا {وَفَضْلٍ} تجارة وربح، {لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ} لم يُصبْهُمْ أَذًى وَلَا مَكْرُوهٌ، {وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ} في طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُوله، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: هَلْ يَكُونُ هذا غزو فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الْغَزْوِ وَرَضِيَ عَنْهُمْ، {وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} {آل عمران: 174}.[5]

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَالَ تَعَالَى: {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ} أَيْ: لَمَّا تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ كَفَاهُمْ مَا أَهَمَّهُمْ وَرد عَنْهُمْ بَأْسَ مَنْ أَرَادَ كَيْدَهُمْ، فَرَجَعُوا إِلَى بَلَدِهِمْ {بِنِعْمَةٍ مِنَ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (174)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (174).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (174).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (174)، للإِمَامْ (الطبري).

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (174).

اللَّـه وَفَضْل لَـمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ} ممَّا أَضْمَرَ لَهُمْ عَـدُوُّهُمْ {وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّـهِ وَاللَّـهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}

قَـالَ: الإمام (الْبَيْهَقِيُّ): أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد اللَّـه الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر بْنُ دَاوُدَ الزَّاهِدُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نُعَيم، حَدَّثَنَا بِشْر بْنُ الْحَكَم، حَدَّثَنَا مُبَشِّر بْنُ عَبْد اللَّـه بْن رَزِين، حَدَّثَنَا سُفْيَانَ بْنِ حُسَيْن، عَنْ يَعْلَى بْن مُسْلِم، عَنْ (عِكْرِمَة)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاس) فِي قَوْلِ اللَّـه تَعَالَى {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّـه وَفَضْلٍ} قَالَ: النِّعْمَةُ أَنَّهُمْ سلموا، وَالْفَضْلُ أَنَّ عِيرًا مَرَّتْ، وَكَانَ فِي أَيَّام الْمَوْسِم، فَاشْتَرَاهَا رسولُ اللَّـه - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَرَبِحَ فِيهَا مَالًا فَقَسَّمَهُ بَيْنَ أَصْحَابه.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي نَجِيح)، عَنْ (مُجَاهِد) فِي قَوْلِهِ: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} قَالَ: هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، قَالَ: لمُحَمَّد - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ:-مَوْعِدُكُمْ بَدْرٌ، حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحَابَنَا. فَقَالَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- "عَسَى". فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّـه -صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لموعده حَتَّى نَزَلَ بَدْرًا، فَوَافَقُوا السُّوقَ فِيهَا وَابْتَاعُوا فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّـه عَزَّ وَجَلَّ: {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّـه وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّـهِ وَاللَّـهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} قَالَ: وَهِيَ غَزْوَةُ بَدْرٍ الصُّغْرَى.رواهُ الإمام (ابْنُ جرير).(1)

* * *

قَالَ: الإمام (القُرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّـهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّـهِ وَاللَّـهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174)}

قَالَ: عُلَمَاؤُنَا: لَمَّا فَوَّضُوا أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ، وَاعْتَمَدُوا بِقُلُوبِهِمْ عَلَيْهِ، أَعْطَاهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ أَرْبَعَةَ مَعَانٍ: النِّعْمَةُ، وَالْفَضْلُ، وَصَرْفُ السُّوءِ، وَاتِّبَاعُ الرِّضَا. فرضاهم عنه، ورضي عنهم.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {فانقلبوا بِنِعْمَة من الله} يَعْنِي: الْأجر {وَفضل} يَعْنِي: مَا تسوقوا بِهِ {لَم يمسسهم سوء} قتل وَلاَ هزيمَة.(3)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {فانقلبوا} رجعُوا {بِنِعْمَةٍ مِّنَ الله} بِثَوَاب من الله {وَفَضْلٍ} ربح مِمَّا تسوقوا بِهِ من السُّوق وَيُقَال غنيمَة {لَّمْ يَمْسَسْهُمْ} لم يصبهم فِي الذّهاب والمجيء {سوء} قتال وهزيمة {وَاتبعُوا رِضْوَان الله} فِي الموافاة مَعَ النَّبِي - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم -إِلَى بدر الصُّغْرَى {وَالله ذُو فَضْلٍ} ذُو مَنّ {عَظِيمٍ} بِدفع الْعَدو عَنْهُم.(4)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (174)، لِلْإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (آل عمرآن) - الآية (174)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمرآن) الآية (174) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (174). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قال: الإِمَامُ (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- في قَوْلِهِ: {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ} قَالَ: النِّعْمَةُ: أَنَّهُمْ سَلِمُوا، وَالْفَضْلُ: أَنَّ عِيرًا مَرَّتْ، وَكَانَ فِي أَيَّامِ الْمَوْسِمِ، فَاشْتَرَاهَا رَسُولُ الله - صلّى الله عليه وَسَلَّمَ-، فَرَبِحَ مَالًا، فَقَسَمَهُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ.

وَأَخْرَجَ - (ابْنُ جرير)، وَ(ابْنُ الْمُنْذِرِ)، وَ(ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) عَنْ (مُجَاهِدٍ) فِي الْآيَةِ قَالَ: الْفَضْلُ: مَا أَصَابُوا مِنَ التِّجَارَةِ وَالْأَجْرِ.

وَأَخْرَجَ - (ابْنُ جرير عَنِ السُّدِّيِّ) قَالَ: أَمَّا النِّعْمَةُ: فَهِيَ الْعَافِيَةُ، وَأَمَّا الْفَضْلُ: فَالتِّجَارَةُ، وَالسُّوءُ: الْقَتْلُ.

وَأَخْرَجَ - (ابْنُ جرير)، وَ(ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - مِنْ طَرِيقِ الْعَوْفِيِّ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ} قَالَ: لَمْ يُؤْذِهِمْ أَحَدٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ قَالَ: أَطَاعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

وَأَخْرَجَ - (ابْنُ جرير) - مِنْ طَرِيقِ (الْعَوْفِيِّ) عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: إِنَّمَا ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ قَالَ: يَقُولُ: الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ بِأَوْلِيَائِهِ.

وَأَخْرَجَ - (عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ)، وَ(ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - عَنْ (أَبِي مَالِكٍ) قَالَ: يُعَظِّمُ أَوْلِيَاءَهُ فِي أَعْيُنِكُمْ.

وَأَخْرَجَ - (ابْنُ الْمُنْذِرِ) عَنْ (عِكْرِمَةَ) مِثْلَ قَوْلِ (ابْنِ عَبَّاسٍ). وَأَخْرَجَ - (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) عَنِ (الْحَسَنِ): إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ تَخْوِيفَ الشَّيْطَانِ، وَلَا يَخَافُ الشَّيْطَانَ إِلَّا وَلِيُّ الشيطان.(1)

* * *

[١٧٥] ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إنما المُخوِّف لكم الشيطان، يرهبكم بأنصاره وأعوانه، فلا تجبنوا عنهم، فإنهم لا حول لهم ولا قوة، وخافوا بالتزام طاعته، إن كنتم مؤمنين به حقًّا.(2)

* * *

يَعْنِي:- إنَّما المثبِّط لكم في ذلك هو الشيطان جاءكم يخوِّفكم أنصاره، فلا تخافوا المشركين؛ لأنّهم ضعاف لا ناصر لهم، وخافوني بالإقبال على طاعتي إن كنتم مصدِّقين بي، ومتبعين رسولي.(3)

* * *

يَعْنِي:- يبين اللَّه سبحانه للمؤمنين أن أولئك الذين يخوفونكم بأعدائكم لتجْبنوا عن لقائهم ليسوا إلا أعواناً للشيطان الذى يخوف أتباعه فيجعلهم جبناء ولستم منهم. فلا تحفلوا بتخويفهم وخافوا اللَّه - وحده -

(1) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (آل عمران) الآية (174). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (73/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (73/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

إن كنتم صادقى الإيمان، قائمين بما يفرضه عليكم هذا الإيمان.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} ... أَهْلَ طَاعَتِه والاستجابةِ إليه فيما يَدْعُوهُمْ إليه مِنَ الشَّرِّ والفَسَاد.

{الشَّيْطَانُ} ... خبر ذلِكُمُ. والمعنى: إنما ذلكم المثبط هو الشيطان.

{أولياء الشيطان} ... أهل طاعته والاستجابة إليه فيما يدعوهم إليه من الشر والفساد.

{يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} ... جملة مستأنفة بيان لشيطنته، أو الشَّيطانُ صفة لاسم الإشارة، ويُخَوِّفُ الخبر، {وَيُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} ... أي: يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه. يَعْنِي:- يعنى القاعدين عن الخروج مع رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم-.

{فَلَا تَخَافُوهُمْ} ... أي: فلا تخافوا الناس الذين جمعوا لكم فتقعدوا عن القتال و تجبنوا.

{وَخَافُونِ} ... فجاهدوا مع رسولى وسارعوا إلى ما يأمركم به.

{إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} ... أي: إن الإيمان يقتضى أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه}.

قال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) يخوف والله المؤمن بالكافر، ويرهب المؤمن بالكافر.(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ، ثنا أَسْبَاطٌ، عَنِ (السُّدِّيِّ): ثُمَّ ذَكَرَ الْمُشْرِكِينَ وَعِظَمَهُمْ فِي أَعْيُنِ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} قَالَ: يعظم أولياءه في صدوركم فتخافونهم.(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {175} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ} يَعْنِي: ذَلِكَ الَّذِي قَالَ لَكُمْ: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} مِنْ فِعْلِ الشَّيْطَانِ أَلْقَى فِي أفواههم لترهبوهم وتجبنوا عنهم، {يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} أَيْ يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ،

وَكَذَلِكَ هُوَ فِي قِرَاءَةِ (أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ) يَعْنِي: يُخَوِّفُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكَافِرِينَ،

قَالَ: (السُّدِّيُّ): يُعَظِّمُ أَوْلِيَاءَهُ فِي صُدُورِهِمْ لِيَخَافُوهُمْ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ {عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ} (يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ)،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (99/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (175).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (175). المحقق: (أسعد محمد الطيب)،

{فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ} في ترك أمري.

{إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} مصدقين بوعدي لأني متكفل لكم بالنصر والظفر.(1)

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)}. قال: (ابْنُ عَبَّاسٍ) وَغَيْرُهُ: الْمَعْنَى يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ، أَيْ بِأَوْلِيَائِهِ، أَوْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، فَحَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ وَوَصَلَ الْفِعْلَ إِلَى الِاسْمِ فَنَصَبَ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا} {الكهف: 2} أَيْ لِيُنْذِرَكُمْ بِبَأْسٍ شَدِيدٍ، أَيْ يُخَوِّفُ الْمُؤْمِنَ بِالْكَافِرِ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(السُّدِّيُّ): الْمَعْنَى يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ الْمُنَافِقِينَ، لِيَقْعُدُوا عَنْ قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ. فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ لَا يَخَافُونَهُ إِذَا خَوَّفَهُمْ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ هَذَا الَّذِي يُخَوِّفُكُمْ بِجَمْعِ الْكُفَّارِ شَيْطَانٌ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، إِمَّا (نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ) أَوْ غَيْرُهُ، عَلَى الْخِلَافِ فِي ذَلِكَ كَمَا تَقَدَّمَ. (فَلَا تَخَافُوهُمْ) أَيْ لَا تَخَافُوا الْكَافِرِينَ الْمَذْكُورِينَ فِي قَوْلِهِ: "إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ". أَوْ يَرْجِعُ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ إِنْ قُلْتَ: إِنَّ الْمَعْنَى يُخَوِّفُ بِأَوْلِيَائِهِ أَيْ يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَخَافُونِ) أَيْ خَافُونِي فِي تَرْكِ أَمْرِي إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ بِوَعْدِي. وَالْخَوْفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الذُّعْرُ. وَخَاوَفَنِي فُلَانٌ فَخِفْتُهُ، أَيْ كُنْتُ أَشَدَّ خَوْفًا مِنْهُ. وَالْخَوْفَاءُ الْمَفَازَةُ لَا مَاءَ بِهَا. وَيُقَالُ: نَاقَةٌ خَوْفَاءُ وَهِيَ الْجَرْبَاءُ. وَالْخَافَةُ كَالْخَرِيطَةِ مِنَ الْأَدَمِ يُشْتَارُ فِيهَا الْعَسَلُ.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} أَيْ: يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ، وَيُوهِمُكُمْ أَنَّهُمْ ذَوُو بَأْسٍ وَذَوُو شِدَّةٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} أَيْ: فَإِذَا سَوَّلَ لكم وأوهمكم فتوكلوا علي والجؤوا إلَيَّ، فَأَنَا كَافِيكُمْ وَنَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} إِلَى قَوْلِهِ: {قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} {الزُّمَر:36-38}.

وَقَالَ تَعَالَى: {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} {النِّسَاء:76}.

وَقَالَ تَعَالَى: {أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ} {الْمُجَادَلَة:19}.

وَقَالَ تَعَالَى: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} {الْمُجَادَلَة:21}.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} {الْحَجِّ:40}.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (175).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (آل عمرآن) – الآية (175)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

وَقَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} {مُحَمَّد:7}.

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ. يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} {غافر:51، 52}.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} أي: يخوفكم من أوليائه الْمُشْركين {فَلَا تَخَافُوهُمْ}(2)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {إِنَّمَا ذَلِكُم الشَّيْطَان} الَّذِي خوفكم الشَّيْطَان يَعْنِي نعيم بن مَسْعُود سَمَّاهُ الله شَيْطَانا لِأَنَّهُ كَانَ تَابعا للشَّيْطَان ولوسوسته {يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} يَقُول يخوفكم بأوليائه الْكفَّار {فَلَا تَخَافُوهُمْ} بِالْخرُوجِ {وَخَافُونِ} بِالْجُلُوس {إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} إِذْ كُنْتُم مصدقين بأحيائه.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم قال تعالى: {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه} أي: إن ترهيب من رهب من المشركين، وقال: إنهم جمعوا لكم، داع من دعاة الشيطان، يخوف أولياءه الذين عدم إيمانهم، أو ضعف. {فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين} أي: فلا تخافوا المشركين أولياء الشيطان، فإن نواصيهم بيد الله، لا يتصرفون إلا بقدره، بل خافوا الله الذي ينصر أولياءه الخائفين منه المستجيبين لدعوته.

وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله.(4)

* * *

قال: الإمام (ابن تيمية) - (الشيخ الإسلام) - (رحمه الله) في (مجموع فتاوى) = (التفسير): في قوله تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} {آل عمران: 175}: هذا هو الصواب الذى عليه جمهور المفسرين" كـ (ابن عباس)، و(سعيد بن جُبَيْر)، و(عِكْرمة)، و(النَّخعى).

وأهل اللغة: (كالفَرَّاء)، و(ابن قتيبة)، و(الزجاج)، و(ابن الأنبارى).

وعبارة (الفراء):- يخوفكم بأوليائه، كما قال: {لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ} {الكهف: 2}، ببأس شديد، وقوله: {لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} {غافر: 15}، وعبارة (الزجاج):- يخوفكم من أوليائه.

قال: (ابن الأنبارى):- والذى نختاره فى الآية: يخوفكم أولياءه. تقول العرب:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (175)، للإمامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (175) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (175). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (175)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

أعطيت الأموال، أي: أعطيت القوم الأموال فيحذفون المفعول الأول ويقتصرون على ذكر الثاني" وهذا لأن الشيطان يخوف الناس أولياءه تخويا مطلقا، ليس له في تخويف ناس بناس ضرورة، فحذف الأول ليس مقصوداً، وهذا يسمى حذف اختصار، كما يقال: فلان يعطى الأموال والدراهم .

وقد قال بعض المفسرين : يخوف أولياءه المنافقين، ونقل هذا عن (الحسن)، و(السُّدِّى)، وهذا له وجه سنذكره، لكن الأول أظهر" لأن الآية إنما نزلت بسبب تخويفهم من الكفار،

كما قال قبلها : {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً} الآيات {آل عمران : 173}،

ثم قال: {فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} فهى إنما نزلت فيمن خوف المؤمنين من الناس، وقد قال: {يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ} ،

ثم قال: {فَلاَ تَخَافُوهُمْ} ، والضمير عائد إلى أولياء الشيطان الذين قال فيهم : {اخْشَوْهُمْ} قبلها .

وأما ذلك القول، فالذى قاله فسرها من جهة المعنى، وهو أن الشيطان إنما يخوف أولياءه بالمؤمنين" لأن سلطانه على أوليائه بخوف يدخل عليهم المخاوف دائما، فالمخاوف منصبة إليهم محيطة بقولهم، وإن كانوا ذوي هيئات وعَدَد وعُدد فلا تخافوهم .

وأما المؤمنون فهم متوكلون على الله، لا يخوفهم الكفار، أو أنهم أرادوا المفعول الأول، أى يخوف المنافقين أولياءه، وإلا فهو يخوف الكفار، كما يخوف المنافقين، ولو أنه أريد أنه يخوف أولياءه، أى يجعلهم خائفين لم يكن للضمير ما يعود عليه، وهو قوله : {فَلاَ تَخَافُوهُمْ} وأيضا، فهذا فيه نظر" فإن الشيطان يَعِد أولياءه ويُمَنِّيهم،

كما قال تعالى : {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ} {الأنفال : 48}،

وقال تعالى : {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا} {النساء : 120}.

ولكن الكفار يلقى الله فى قلوبهم الرعب من المؤمنين والشيطان لا يختار ذلك،

قال تعالى : {لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ} {الحشر: 13}،

وقال تعالى : {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ} {الأنفال : 12}.

وقال: {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ} {آل عمران : 151}،

وفى حديث قرطبة أن جبريل قال: (إنى ذاهب إليهم فمزلزل بهم الحصْن) . فتخويف الكفار والمنافقين وإرعابهم هو من الله نصرة للمؤمنين .

ولكن الذين قالوا ذلك من السلف أرادوا : أن الشيطان يخوف الذين أظهروا الإسلام، فهم يوالون العدو، فصاروا بذلك منافقين، وإنما يخاف من الكفار المنافقون بتخويف الشيطان لهم،

كما قال تعالى: {وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ} [التوبة: 56]،

وقال تعالى: {فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} الآيات، إلى قوله: {يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ} [الأحزاب: 19، 20]، فكلا القولين صحيح من حيث المعنى، لكن لفظ أوليائه هم الذين يجعلهم الشيطان مخوفين لا خائفين، كما دل عليه سياق الآية ولفظها، والله أعلم.

وإذا جعلهم الشيطان مخوفين، فإنما يخافهم من خوفه الشيطان منهم فجعله خائفاً.

فالآية دلت على أن الشيطان يجعل أولياءه مخوفين، ويجعل ناساً خائفين منهم، ودلت الآية على أن المؤمن لا يجوز له أن يخاف أولياء الشيطان، ولا يخاف الناس،

كما قال تعالى: {فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} [المائدة: 44]، بل يجب عليه أن يخاف الله، فخوف اللّه أمر به وخوف الشيطان وأوليائه نهى عنه.

وقال تعالى: {لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} [البقرة: 150]، فنهى عن خشية الظالم وأمر بخشيته، والذين يبلغون رسالات اللّه ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله.

وقال: {فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [النحل: 51].

وبعض الناس يقول: يارب، إني أخافك وأخاف من لا يخافك، وهذا كلام ساقط لا يجوز، بل على العبد أن يخاف اللّه وحده، ولا يخاف أحداً، لا من يخاف الله ولا من لا يخاف الله" فإن من لا يخاف اللّه أخس وأذل أن يخاف" فإنه ظالم وهو من أولياء الشيطان، فالخوف منه قد نهى الله عنه، والله أعلم. (1)

* * *

[١٧٦] ﴿ وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا يُوقِعْك في الحزن أيها الرسول - ﷺ - الذين يسارعون في الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق، فإنهم لن ينالوا الله بأي ضرر، وإنما يضرون أنفسهم ببعدهم عن الإيمان بالله وطاعته، يريد الله بخذلانهم وعدم توفيقهم ألا يكون لهم نصيب في نعيم الآخرة، ولهم فيها عذاب عظيم في النار. (2)

* * *

يَعْني:- لا يُدْخِل الحزنَ إلى قلبك أيها الرسول - ﷺ - هؤلاء الكفارُ بمسارعتهم

(1) انظر: (مجموع فتاوى) للإمام (ابن تيمية) في (التفسير) = مجلد (14 / - من سورة (آل عمران) الآية (175).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (73/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

في الجحود والضلال، إنهم بذلك لن يضروا الله، إنما يضرون أنفسهم بحرمانها حلاوة الإيمان وعظيم الثواب، يريد الله ألا يجعل لهم ثوابًا في الآخرة؛ لأنهم انصرفوا عن دعوة الحق، ولهم عذاب شديد. (1)

* * *

يَعْنِي:- لا تحزن أيها النبي - ﷺ -إذا رأيت الذين يزدادون كفراً ويسرعون بالانتقال من سيئ إلى أسوأ، فهم لن ينالوا اللّه بأى ضرر، لأنه القاهر فوق عباده، بل يريد اللّه ألا يجعل لهم نصيباً من ثواب الآخرة، ولهم فوق حرمانهم هذا الثواب الكريم عذاب عظيم. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَا يَحْزُنْكَ} ... الحُزْنُ: غَمٌّ يُصِيبُ الإنسانَ لرؤيةِ أو سماعِ ما يَسُوؤُهُ وَيَكْرَهُهُ.

(أي لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك).

{الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} ... يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه أشد الرغبة.

{إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً} ... أي: إنهم لا يضرون بمسارعتهم فى الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم.

{يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ} ... أي: نصيبا من الثواب يبين كيف يعود وبال مسارعتهم فى الكفر عليهم.

{وَلَهُمْ} ... بدل الثواب.

{عَذَابٌ عَظِيمٌ} ... وهذا أبلغ ما ضروا به أنفسهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- كان النبي - صلى الله عليه وسلم- حريصا على الخلق، مجتهدا في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، قال الله تعالى: {وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} من شدة رغبتهم فيه، وحرصهم عليه {إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا} فالله ناصر دينه، ومؤيد رسوله، ومنفذ أمره من دونهم، فلا تبالهم ولا تحفل بهم، إنما يضرون ويسعون في ضرر أنفسهم، بفوات الإيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الأخرى، من هوانهم على الله وسقوطهم من عينه، وإرادته أن لا يجعل لهم نصيبا في الآخرة من ثوابه. خذلهم فلم يوفقهم لما وفق له أولياءه ومن أراد به خيرا، عدلا منه وحكمة، لعلمه بأنهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد، لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: (وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (73/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (99/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (176)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) يعني: أنهم المنافقون. (1)

* * *

قال: الإمامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا}.

قال: الإمام (أبو جعفر): يقول جل ثناؤه: ولا يحزنك، يا محمد كفر الذين يسارعون في الكفر مرتدّين على أعقابهم من أهل النفاق، فإنهم لن يضروا الله بمسارعتهم في الكفر شيئًا، وكما أنّ مسارعتهم لو سارعوا إلى الإيمان لم تكن بنافعته، كذلك مسارعتهم إلى الكفر غير ضارّته.

* * *

{القول في تأويل قوله: {يُرِيدُ اللَّهُ أَلا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {(176)

قال: الإمام (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: يريد الله أن لا يجعل لهؤلاء الذين يسارعون في الكفر، نصيبًا في ثواب الآخرة، فلذلك خذلهم فسارعوا فيه. ثم أخبر أنهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة، لهم عذاب عظيم في الآخرة، وذلك عذابُ النار. (2)

* * *

قال: الإمامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- 4542 - حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ حَمْزَةَ، ثنا شَبَابَةُ، ثنا وَرْقَاءُ، عَنِ (ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ) قوله: {وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} قَالَ: هم الكافرون.

4545 - حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، ثنا شَبَابَةُ، ثنا وَرْقَاءُ، عَنِ (ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ) قَوْلَهُ: {إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً} قَالَ: هُمُ: الْمُنَافِقُونَ.

4546 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، ثنا سَلَمَةُ قَالَ: قَالَ (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ): {يُرِيدُ اللَّهُ أَلا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ} أَيْ: تَحْبَطُ أَعْمَالُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

4547 - حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ، ثنا بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ (الضَّحَّاكِ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) {عَذَابٌ} يَقُولُ: نَكَالٌ. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {176} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَا يَحْزُنْكَ} قَرَأَ نَافِعٌ (يُحْزِنُكَ) بِضَمِّ الْيَاءِ وكسر الزاي، وكذلك في جَمِيعِ الْقُرْآنِ إِلَّا قَوْلَهُ: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ} {الأنبياء: 103} ضِدَّهُ أَبُو جَعْفَرٍ،

---

(1) ذكره ونقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمران) الآية (176). برقم (ص/1/483).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (176)، لِلإمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (176). المحقق: (أسعد محمد الطيب).

وهُمَا لُغَتَان: حَزِنَ يَحْزُنُ وَأَحْزَنَ يُحْزِنُ، إلا أنَّ اللُّغَةَ الْغَالِبَةَ حَزِنَ يَحْزُنُ، {الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} قَالَ: (الضَّحَّاكُ): هُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ، وقال غيره: الْمُنَافِقُونَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ بِمُظَاهَرَةِ الْكُفَّارِ. {إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا} بِمُسَارَعَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ، {يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ} نَصِيبًا فِي ثَوَابِ الْآخِرَةِ، فَلِذَلِكَ خَذَلَهُمْ حَتَّى سَارَعُوا فِي الْكُفْرِ، {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} {آل عمران 176}.(1)

* * *

قَال: الإِمَامُ (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- {وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى النَّاسِ كَانَ يُحْزِنُهُ مُبَادَرَةُ الْكُفَّارِ إِلَى الْمُخَالَفَةِ وَالْعِنَادِ وَالشِّقَاقِ، فَقَالَ تَعَالَى: وَلاَ يُحْزِنُكَ ذَلِكَ {إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ} أَيْ: حِكْمَتُهُ فِيهِمْ أَنَّهُ يُرِيدُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ أَلاَ يَجْعَلَ لَهُمْ نَصِيبًا فِي الْآخِرَةِ {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} (أي: اخْتَارُوا الْكُفْرَ) على الْإِيمَان، وهم الْمُنَافِقُونَ" فِي تَفْسِيرِ الْحسن. {يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَ يَجْعَلَ لَهُمْ حظا} نَصِيبا من الجنَّة.(3)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- ثُمَّ ذكر مسارعة الْمُنَافِقين فِي الْوِلاَيَة مَعَ الْيَهُود فَقَالَ {وَلا يَحْزُنكَ} يَا مُحَمَّد وَلاَ يغمك {الَّذين يُسَارِعُونَ} يبادرون {فِي الْكفْر} أَي مسارعة الْمُنَافِقين فِي الْوِلاَيَة مَعَ الْيَهُود {إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ الله} لن ينقصوا الله بمسارعتهم فِي الْوِلاَيَة مَعَ الْيَهُود {شَيْئاً يُرِيدُ الله} أَرَادَ الله {أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ} للْيَهُود الْمُنَافِقين {حَظّاً} نَصِيبا {فِي الْآخِرَة} فِي الْجنَّة {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} شَدِيد أَشد مَا يكون.(4)

* * *

[١٧٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذين استبدلوا الكفر بالإيمان لن يضروا الله أي شيء، إنما يضرون أنفسهم، ولهم عذاب أليم في الآخرة.(5)

* * *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (176).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (176)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (176) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (176). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (73/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِي:- إن الذين استبدلوا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئًا، بل ضرر فعْلِهم يعود على أنفسهم، ولهم في الآخرة عذاب موجع.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن هؤلاء الذين استبدلوا الكفر بالإيمان، فابتغوا الكفر وتركوا الإيمان، لن يضرُوا اللَّه شيئا، ولهم فى الآخرة عذاب مؤلم شديد الإيلام.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ}... كرر ذكرهم للتأكيد والتسجيل بما أضاف إليهم، وإما أن يكون عاما.

{اشْتَرَوا}... اسْتَبْدَلُوا.

{شَيْئاً}... نصب على المصدر، أي شيئا من الضرر وبعض الضرر.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم أخبر أن الذين اختاروا الكفر على الإيمان، ورغبوا فيه رغبة من بذل ما يحب من المال، في شراء ما يحب من السلع {لن يضروا الله شيئا} بل ضرر فعلهم يعود على أنفسهم، ولهذا قال: {ولهم عذاب أليم} وكيف يضرون الله شيئا، وهم قد زهدوا أشد الزهد في الإيمان، ورغبوا كل الرغبة بالكفر بالرحمن؟! فالله غني عنهم، وقد قيض لدينه من عباده الأبرار الأزكياء سواهم، وأعد له -ممن ارتضاه لنصرته- أهل البصائر والعقول، وذوي الألباب من الرجال الفحول، قال الله تعالى: {قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا} الآيات.(3)

* * *

قال: الشيخ (أسعد محمود حومد) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (أيسر التَّفَاسِير):- قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (177)}:

وَالذِينَ اسْتَبْدَلُوا (اشْتَرَوا) الكُفْرَ بِالإِيمَانِ، رَغْبَةً مِنْهُمْ فِي الكُفْرِ، وَإِعْرَاضاً مِنْهُمْ عَنِ الإِيمَانِ، لَنْ يُلْحِقُوا ضَرَراً بِاللهِ، وَإِنَّمَا يَضُرُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ.(4)

* * *

قال: الإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن - (مجاهد)

قوله: {إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً} قال: هم المنافقون.(5)

* * *

قال: الإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن - (قتادة):

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (73/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (99/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (177)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (أيسر التفاسير) في سورة (آل عمران) الآية (177)، للشيخ: (أسعد حومد).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (177).

قولــه: {اشــتروا} اســتحبوا الضــلالة علــى الهدى. (1)

* * *

قــال: الإِمَــامُ (ابــن أبــي حــاتم) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- (بســنده الجيــد) - عــن (أبــي العاليــة): (ولهــم عــذاب ألــيم) قــال: الألــيم الموجع في القرآن كله. (2)

* * *

قــال: الإِمَــامُ (الطــبري) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):-

القــول في تأويــل قولــه: {إِنَّ الَّــذِينَ اشْــتَرَوُا الْكُفْــرَ بِالإِيمَــانِ لَــنْ يَضُــرُّوا اللَّــهَ شَــيْئًا وَلَهُــمْ عَــذَابٌ أَلِــيمٌ (177)} قــال: الإمــام (أبــو جعفــر): يعــني بــذلك جــل ثنــاؤه المنــافقين الــذين تقــدَّم إلى نبيــه - صــلى الله عليــه وســلم- فــيهم: أن لا يحزنــه مســارعتهم إلى الكفــر، فقــال: لنبيــه - صــلى الله عليــه وســلم: إن هــؤلاء الــذين ابتــاعوا الكفــر بإيمــانهم فارتــدوا عــن إيمــانهم بعــد دخــولهم فيه، ورضــوا بــالكفر بــالله وبرســوله، عوضًــا مــن الإيمــان، لــن يضــروا الله بكفــرهم وارتــدادهم عــن إيمــانهم شــيئًا، بــل إنمــا يضــرون بــذلك أنفســهم، بإيجــابهم بــذلك لهــا مــن عقــاب الله ما لا قِبل لها به. (3)

* * *

قــال: الإِمَــامُ (إبــن كــثير) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- ثــمَّ قَــالَ تَعَــالَى مُخْبِــرًا عَــنْ ذَلِــك إِخْبَــارًا مُقَــرِّرًا: {إِنَّ الَّــذِينَ اشْــتَرَوُا الْكُفْــرَ بِالإِيمَــانِ} أَيِ: اسْــتَبْدَلُوا هَــذَا بِهَــذَا {لَــنْ يَضُــرُّوا اللَّــهَ شَــيْئًا} أَيْ: وَلَكِــنْ يَضُــرُّونَ أَنْفُسَــهُمْ {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. (4)

* * *

قــال: الإِمَــامُ (ابــن أبــي حــاتم) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- حَــدَّثَنَا حَجَّــاجُ بْــنُ حَمْــزَةَ، ثنــا شَــبَابَةُ، ثنــا وَرْقَــاءُ، عَــنِ (ابْــنِ أَبِــي نَجِــيحٍ)، عَــنْ (مُجَاهِــدٍ) قَوْلُــهُ: {إِنَّ الَّــذِينَ اشْــتَرَوُا الْكُفْــرَ بِالإِيمَــانِ لَــنْ يَضُــرُّوا اللَّــهَ شَــيْئاً} قَــالَ: هُمُ الْمُنَافِقُونَ. (5)

* * *

قــال: الإِمَــامُ (البغــوي) - (مُحيــي السُّــنَّة) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {إِنَّ الَّــذِينَ اشْــتَرَوُا} اسْــتَبْدَلُوا {الْكُفْــرَ بِالْإِيمَــانِ لَــنْ يَضُــرُّوا اللَّــهَ شَــيْئًا} بمســارعتهم في الكفــر وَإِنَّمَــا يَضُــرُّونَ أَنْفُسَــهُمْ، {وَلَهُــمْ عَــذَابٌ أَلِيمٌ} {آل عمران: 177}. (6)

* * *

قــال: الإمــام (القــرطبي) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {إِنَّ الَّــذِينَ اشْــتَرَوُا الْكُفْــرَ بِالْإِيمَــانِ} تَقَــدَّمَ فِــي الْبَقَــرَةِ. (7) (لَــنْ يَضُــرُّوا اللَّــهَ شَــيْئاً) كُــرِّرَ لِلتَّأْكِيــدِ. يَعْنِــي:- أَيْ مِــنْ سُــوءِ تَــدْبِيرِه اسْــتِبْدَالُ الْإِيمَــانِ بِــالْكُفْرِ وَبَيْعُــهُ بِــهِ، فَــلَا يَخَــافُ جَانِبَــهُ وَلَا تَــدْبِيرَه.

---

(1) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) للإمــام (ابــن أبــي حــاتم) في ســورة (آل عمران) الآية (177).

(2) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) للإمــام (ابــن أبــي حــاتم) في ســورة (آل عمران) الآية (177).

(3) انظــر: (جــامع البيــان في تأويــل القــرآن) في ســورة (آل عمــران) الآيــة (177)، لِلإِمَامْ (الطبري).

(4) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) في ســورة (آل عمــران) الآيــة (177)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(5) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) للإمــام (ابــن أبــي حــاتم) في ســورة (آل عمران) الآية (177). المحقق: (أسعد محمد الطيب).

(6) انظــر: (مختصــر تفســير البغــوي = المســمى بمعــالم التنزيــل) لِلإِمَــامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (771).

(7) راجع (ج/1 ص 210).

وَانْتَصَبَ {شَيْئاً} فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِوُقُوعِهِ مَوْقِعَ الْمَصْدَرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: {لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ} ضَرَرًا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا. وَيَجُوزُ انْتِصَابُهُ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْبَاءِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ بِشَيْءٍ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس):

{إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ} اخْتَارُوا الْكفْر على الْإِيمَان هم الْمُنَافِقُونَ {لَن يَضُرُّوا الله} لن ينقصوا الله باختيارهم الْكفْر {شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} وجيع يخلص وَجَعه إِلَى قُلُوبهم. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ: {إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ} أَيِ: اسْتَبْدَلُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَحْقِيقُ هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ {لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً} مَعْنَاهُ: كَالْأَوَّلِ، وَهُوَ لِلتَّأْكِيدِ لِمَا تَقَدَّمَهُ يَعْنِي:- إِنَّ الْأَوَّلَ: خَاصٌّ بِالْمُنَافِقِينَ، وَالثَّانِي يَعُمُّ جَمِيعَ الْكُفَّارِ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى. (3)

* * *

[١٧٨] ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا يظنن الذين كفروا بربهم، وعاندوا شرعه، أن إمهالهم وإطالة عمرهم على ما هم عليه من كفرٍ خيرٌ لأنفسهم، ليس الأمر كما ظنوا، وإنما نمهلهم ليزدادوا إثمًا بكثرة المعاصي على إثمهم، ولهم عذاب مُذِلّ. (4)

* * *

يَعْنِي:- ولا يظننَّ الجاحدون أننا إذا أطَلْنا أعمارهم، ومتعناهم بمُتع الدنيا، ولم نؤاخذهم بكفرهم وذنوبهم، أنهم قد نالوا بذلك خيرًا لأنفسهم، إنما نؤخر عذابهم وآجالهم" ليزدادوا ظلمًا وطغيانًا، ولهم عذاب يهينهم ويذلُّهم. (5)

* * *

يَعْنِي:- لا يحسبن هؤلاء الكافرون أن إمهالنا لهم - حين نُمدُّ فى أعمارهم، ونهيئ لهم أسباب النعيم فى حياتهم الدنيا - خير لهم، فإن إطالة العمر وسعة الرزق يفضيان بهم إلى الاستمرار فى اكتساب الإثم واستحقاق ما أعد اللَّه لهم من عذاب مهين. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (آل عمران) - الآية (177)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (177). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (آل عمران) الآية (177). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (73/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (73/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (99/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَلا يَحْسَبَنَّ} ... قرىء: ولا تحسبن.

{الَّذِينَ كَفَرُوا} ... مع من قرأ بالياء رفع، ومع من قرأ بالتاء نصب.

{أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ} ... الْإِمْلَاءُ: الْإِمْهَالُ والإرخاءُ بعد البطش بهم وَتَرْكُ الضربِ عَلَى أيديهم بِكُفْرِهِمْ.

{نُمْلِي} ... نُمْهِلُهُمْ بِطُولِ البَقَاءِ.

{لِيَزْدَادُوا إِثْمًا} ... الإثمُ: كلُّ ضارٍ قبيحٍ، وَأَصْلُهُ الكفرُ والشِّرْكُ.

{أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ} ... بدل، أي ولا تحسبن أن ما نملى للكافرين خير لهم. و (أن) مع ما فى حيزه ينوب عن المفعولين. وما مصدرية، أي: ولا تحسبن أن إملاءنا خير. والإملاء لهم: تخليتهم وشأنهم.

أ{نَّمَا نُمْلِي لَهُمْ} ... ما، هنا، كافة. وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها، كأنه قيل: ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيرا لهم، فقيل: إنما نملى لهم ليزدادوا إثما. فازدياد الإثم علة للإملاء وليس غرضا.

وقرىء بكسر (إنما) الأولى، وفتح (أنما) الثانية، على معنى، ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاء لازدياد الإثم كما يفعلون، وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا فى الإيمان، ويكون أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ اعتراض بين الفعل ومعموله، والمعنى: أن املاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة.

ويكون معنى قوله وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ على هذه القراءة: ولا تحسبوا أن إملاءنا لزيادة الإثم والتعذيب، والواو للحال، كأنه قيل: ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان عن الأعمش، عن خيثمة عن الأسود قال، قال: (عبد الله): ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها وقرأ: {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا} . وقرأ: (نزلاً من عند الله وما عند الله خير للأبرار) . (1)(2)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (178)}

قال: الإمام (أبو جعفر): يعني بذلك تعالى ذكره: ولا يظنن الذين كفروا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله، أن إملاءنا لهم خيرٌ لأنفسهم.

وتأويل قوله: {إنما نُملي لهم ليزدادوا إثمًا}، إنما نؤخر آجالهم فنطيلها ليزدادوا إثمًا، يقول: يكتسبوا المعاصي فتزداد آثامهم وتكثر= {ولهم عذاب مهين}، يقول: ولهؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله في الآخرة عقوبة لهم مهينة مذلة. (3)

* * *

(1) (ورجاله ثقات وإسناده صحيح) وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (298/2).- من طريق: (الأعمش) به.

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (178).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمرآن) الآية (178)، للإِمَامْ (الطبري).

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ} {الْمُؤْمِنُونَ:55، 56}،

وَكَقَوْلِهِ {فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ} {الْقَلَمِ: 44}،

وَكَقَوْلِهِ: {فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} {التَّوْبَة: 55}. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {178} {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} قَرَأَ حَمْزَةُ هَذَا وَالَّذِي بَعْدَهُ بِالتَّاءِ فِيهِمَا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ، فَمَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ (فَالَّذِينَ) فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ عَلَى الْفَاعِلِ وَتَقْدِيرُهُ: لا يَحْسَبَنَّ الْكُفَّارُ إِمْلاءَنَا لَهُمْ خَيْرًا، وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ يَعْنِي: وَلاَ تَحْسَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَإِنَّمَا نُصِبَ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الَّذِينَ، {أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ} وَالْإِمْلاءُ الْإِمْهَالُ وَالتَّأْخِيرُ، يُقَالُ: عِشْتُ طَوِيلا وَتَمَلَّيْتُ حِينًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (واهجرني مليا) أَيْ: حِينًا طَوِيلًا، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: {إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ} نُمْهِلُهُمْ {لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} {آل عمران: 178}. (2)

* * *

قَالَ: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره)= (تفسيره):- {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نملي لَهُم خير لأَنْفُسِهِمْ} الْآيَة، قَالَ: (مُحَمَّد): معنى {نُمْلِي لَهُم} نطيل لَهُم ونمهلهم، وَنصب (أَنَّمَا) بِوُقُوع (يحسبن) عَلَيْهَا. (3)

* * *

قَالَ: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {178} {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}. أي: ولا يظن الذين كفروا بربهم ونابذوا دينه، وحاربوا رسوله أن تركنا إياهم في هذه الدنيا، وعدم استئصالنا لهم، وإملاءنا لهم خير لأنفسهم، ومحبة منا لهم.

كلا ليس الأمر كما زعموا، وإنما ذلك لشر يريده الله بهم، وزيادة عذاب وعقوبة إلى عذابهم، ولهذا قال: {إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} فالله تعالى يملي للظالم، حتى يزداد طغيانه، ويترادف كفرانه، حتى إذا أخذه أخذه أخذ عزيز

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (178)، للإمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (178).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (178) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

مقتدر، فليحذر الظالمون من الإمهال، ولا يظنوا أن يفوتوا الكبير المتعال.(1)

* * *

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره): قوله تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (178)} ذكر في هذه الآية الكريمة أنه يملي للكافرين ويمهلهم لزيادة الإثم عليهم وشدة العذاب وبين في موضع آخر: أنه لا يمهلهم متنعمين هذا الإمهال إلا بعد أن يبتليهم بالبأساء والضراء، فإذا لم يتضرعوا أفاض عليهم النعم وأمهلهم حتى يأخذهم بغتة،

كقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (95)}.

وقوله: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)} {سورة الأنعام}.

وبين في موضع آخر أن ذلك الاستدراج من كيده المتين وهو قوله: {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (45)} {سورة القلم}.

وبين في موضع آخر: أن الكفار يغترون بذلك الاستدراج فيظنون أنه من المسارعة لهم في الخيرات، وأنهم يوم القيامة يؤتون خيرا من ذلك الذي أوتوه في الدنيا،

كقوله تعالى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (56)} {المؤمنون: 55 \ 56}.

وقوله: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا} {مريم: 77}.

وقوله: {وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} {كهف: 36}.

وقوله: {وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى} {فصلت: 50}،

وقوله: {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا} الآية {34 \ 35}. كما تقدم، والبأساء: الفقر والفاقة، والضراء: المرض على قول الجمهور، وهما مصدران مؤنثان لفظا بألف التأنيث الممدودة.(2)

* * *

[١٧٩] ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (178)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (178).

اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ما كان من حكمة الله أن يدعكم أيها المؤمنون- على ما أنتم عليه من اختلاط بالمنافقين وعدم تمايز بينكم، وعدم تبين المؤمنين حقًا، حتى يميزكم بأنواع التكاليف والابتلاءات، ليظهر المؤمن الطيب من المنافق الخبيث. وما كان من حكمة الله أن يطلعكم على الغيب فتميزوا بين المؤمن والمنافق، ولكن الله يختار من رسله من يشاء، فيطلعه على بعض الغيب" كما أطلع نبيه محمدًا - صلى الله عليه وسلم - على حال المنافقين، فحققوا إيمانكم بالله ورسوله، وأن تؤمنوا حقًا وتتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فلكم ثواب عظيم عند الله. (1)

* * *

يَعْنِي:- ما كان الله ليدعكم أيها المصدقون بالله ورسوله العاملون بشرعه على ما أنتم عليه من التباس المؤمن منكم بالمنافق حتى يَمِيزَ الخبيث من الطيب، فيُعرف المنافق من المؤمن الصادق. وما كان من حكمة الله أن يطلعكم أيها المؤمنون- على الغيب الذي يعلمه من عباده، فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق، ولكنه يميزهم بالمحن والابتلاء، غير أن الله تعالى يصطفي من رسله مَن يشاء" ليطلعه على بعض علم الغيب بوحي منه، فآمنوا بالله ورسوله، وإن تؤمنوا إيمانًا صادقًا وتتقوا ربكم بطاعته، فلكم أجر عظيم عند الله. (2)

* * *

يَعْنِي:- ما كان اللَّه ليترككم - يا معشر المؤمنين - على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق، حتى يميز بينكم بالمحنة والتكليف لتروا المنافق الخبيث والمؤمن الطيب، ولم تجر سنة اللَّه بإطلاع أحد من خلقه على شئ من غيبه، ولكن اللَّه يصطفى من يشاء بإطلاعه على ما يشاء من غيبه، وإن تؤمنوا وتتقوا ربكم بالتزام طاعته يدخلكم الجنة جزاء، ونعم الجزاء إذ هى جزاء عظيم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لِيَذَرَ} ... لِيَتْرُكَ . (اللام لتأكيد النفي).

{عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ} ... من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين.

والخطاب للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق.

{حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} ... حتى يعزل المنافق عن المخلص.

{حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} ... يَمِيزَ بَيْنَ مَنْ خَبُثَتْ نَفْسُهُ بالشرك والمعاصي وَمَنْ طَهُرَتْ نفسُه بالإيمان والعمل الصالح.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (73/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (73/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (99/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{يَجْتَبِي} ... يَصطَفِي.

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} ... أي: وما كان الله ليؤتى أحدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند إخبار الرسول - بنفاق رجل وإخلاص آخر أنه يطلع على ما فى القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها.

{وَلَكِنَّ اللَّهَ} ... يرسل الرسول - فيوحى إليه ويخبره بأن الغيب كذا، وأن فلانا فى قلبه النفاق، وفلانا فى قلبه الإخلاص فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات.

{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} ... بأن تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب، وتنزلوهم منازلهم بأن تعلوهم عبادا مجتبين، لا يعلمون إلا ما علمهم الله، ولا يخبرون إلا بما أخبرهم الله به من الغيوب.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب}.

قال: الإمَامُ (الطبري) - و الإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: يقول للكفار ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه من الكفر حتى يميز الخبيث من الطيب، فيميز أهل السعادة من أهل الشقاوة. (1)(2)

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (179).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (179).

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قول الله: {ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب} قال: ميز بينهم يوم أحد المنافق من المؤمن. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) يعني الكفار. يقول: لم يكن الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من ضلالة (حتى يميز الخبيث من الطيب} يميز بينهم في الجهاد والهجرة. (4)

* * *

قوله تعالى: {ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء}.

قال: الإمَامُ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: {ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء} قال: يخلصهم لنفسه. (5)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- يعني بقوله: {ما كان الله ليذر المؤمنين}، ما كان الله ليدع المؤمنين {على ما أنتم عليه} من التباس المؤمن منكم بالمنافق، فلا

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (179).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (179).

(5) كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمران) الآية (179). برقم (ص/1 485)، الطبعة: الأولى،

يعرف هذا من هذا {حتى يميز الخبيث من الطيب}، يعني بذلك: {حتى يميز الخبيث} وهو المنافق المستسرُّ للكفر {من الطيب}، وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان، بالمحن والاختبار، كما ميَّز بينهم يوم أحد عند لقاء العدوّ عند خروجهم إليهم.

* * *

قال: الإمام (أبو جعفر): وأولى الأقوال في ذلك بتأويله: {وما كان الله ليطلعكم} على ضمائر قلوب عباده، فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق والكافر، ولكنه يميز بينهم بالمحن والابتلاء= كما ميز بينهم بالبأساء يوم أحد= وجهاد عدوه، وما أشبه ذلك من صنوف المحن، حتى تعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم. غير أنه تعالى ذكره يجتبي من رسله من يشاء فيصطفيه، فيطلعه على بعض ما في ضمائر بعضهم، بوحيه ذلك إليه ورسالته،

وإنما قلنا هذا التأويل أولى بتأويل الآية، لأنّ ابتداءها خبرٌ من الله تعالى ذكره أنه غير تارك عباده - يعني بغير محن- حتى يفرق بالابتلاء بين مؤمنهم وكافرهم وأهل نفاقهم.

ثم عقب ذلك بقوله: {وما كان الله ليطلعكم على الغيب}، فكان فيما افتتح به من صفة إظهار الله نفاق المنافق وكفر الكافر، دلالةٌ واضحةٌ على أن الذي ولي ذلك هو الخبر عن أنه لم يكن ليطلعهم على ما يخفى عنهم من باطن سرائرهم، إلا بالذي ذكر أنه مميِّزٌ به نعتَهم إلا من استثناه من رسله الذي خصه بعلمه. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} أَيْ: لَا بُدَّ أَنْ يَعْقِدَ سَبَبًا مِنَ الْمِحْنَةِ، يَظْهَرُ فِيهِ وَلِيُّهُ، وَيَفْتَضِحُ فِيهِ عَدُوُّهُ. يُعرف بِهِ الْمُؤْمِنُ الصَّابِرُ، وَالْمُنَافِقُ الْفَاجِرُ. يَعْنِي بِذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ الَّذِي امْتَحَنَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَظَهَرَ بِهِ إِيمَانُهُمْ وَصَبْرُهُمْ وَجَلَدُهُمْ وَثَبَاتُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهَتَكَ بِهِ سِتْرَ الْمُنَافِقِينَ، فَظَهَرَ مُخَالَفَتُهُمْ وَنُكُولُهُمْ عَنِ الْجِهَادِ وَخِيَانَتُهُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلِهَذَا قَالَ: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}. قَالَ: (مُجَاهِدٌ): مَيَّزَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ. وَقَالَ: (قَتَادَةُ): مَيَّزَ بَيْنَهُمْ بِالْجِهَادِ وَالْهِجْرَةِ. وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): قَالُوا: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فَلْيُخْبِرْنَا عَمَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ مِنَّا وَمَنْ يَكْفُرُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى ﴿يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} أَيْ: حَتَّى يُخْرِجَ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ. رَوَى ذَلِكَ كُلَّهُ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):

ثُمَّ قَالَ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} أَيْ: أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ غَيْبَ اللَّهِ فِي

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمرآن) الآية (179)، للإمَامْ (الطبري).

خَلْقه حتَّى يُميزلكُم الْمُؤمن من الْمُنَافِق، لولا مَا يَعْقِدُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْكَاشِفَةِ عَنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ} كَقَوْلِهِ {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} {الْجِنِّ:26، 27}.

ثُمَّ قَالَ: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} أَيْ: أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاتَّبِعُوهُ فِيمَا شَرَعَ لَكُمْ {وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ}. (1)

* * *

قَال: الإِمَامُ (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده): 489 - نا الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ (ابْنِ مَسْعُودٍ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ} {آل عمران: 180} قَالَ: (طَوْقٌ مِنَ النَّارِ). (2)

* * *

قَال: الإِمَامُ (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده): 490 - قَالَ: أَخْبَرَنِي الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ (ابْنِ مَسْعُودٍ)، قَالَ: (يَجِيءُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُعْبَانًا، فَيَنْقُرُ رَأْسَهُ) وَيَقُولُ: (أَنَا مَالُكَ الَّذِي بَخِلْتَ بِهِ، فَيَنْطَوِي عَلَى عُنُقِهِ).

* * *

قَال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- 4557 - حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: يَقُولُ الْكُفَّارُ: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ}.

4558 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، أَنْبَأَ الْعَبَّاسُ، ثنا يَزِيدُ، ثنا سَعِيدٌ، عَنْ {قَتَادَةَ}: قَوْلُهُ: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ} يَعْنِي: الْكُفَّارَ، يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلالَةِ.

4559 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ الأَوْدِيُّ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، ثنا أَسْبَاطٌ، عَنْ {السُّدِّيِّ} قَالَ: قَالُوا: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقاً، فَلْيُخْبِرْنَا بِمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ مِنَّا وَمَنْ يَكْفُرُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ على ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ}.

4560 - حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَوْلُهُ: عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ: مِنَ الْكُفْرِ. (3)

* * *

قَال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {179} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} اخْتَلَفُوا فِي حُكْمِ الْآيَةِ وَنَظْمِهَا، فَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَ(الضَّحَّاكُ) وَأَكْثَرُ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (179)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (179)، للإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (179). المحقق: (أسعد محمد الطيب).

الْمُفَسِّرِينَ: الْخِطَابُ لِلْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، يَعْنِي: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ} يَا مَعْشَرَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ.

{حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} وَقَالَ قَوْمٌ: الْخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ، مَعْنَاهُ: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْتِبَاسِ الْمُؤمنِ بِالْمُنَافِقِ، فَرَجَعَ مِنَ الْخَبَرِ إِلَى الْخِطَابِ، (حَتَّى يَمِيزَ الخبيث من الطيب)،

وقرأ (حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ) بِضَمِّ الْيَاءِ وتشديدها وَكَذَلِكَ الَّتِي فِي الْأَنْفَالِ، وَقَرَأَ الباقون بالتخفيف، يُقَالُ: مَازَ الشَّيْءَ يَمِيزُهُ مَيْزًا وَمَيَّزَهُ تَمْيِيزًا إِذَا فَرَّقَهُ فَامْتَازَ، ها نما هُوَ بِنَفْسِه،

قَالَ: (أَبُو مُعَاذ) إِذَا فَرَّقْتَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، قُلْتَ: مِزْتُ مَيْزًا فَإِذَا كَانَتْ أَشْيَاءَ قُلْتَ: مَيَّزْتُهَا تَمْيِيزًا، وَكَذَلِكَ إِذَا جَعَلْتَ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ شَيْئَيْنِ قُلْتَ: فرقت بالتخفيف، ومنه فرقت الشَّعْرِ، فَإِنْ جَعَلْتَهُ أَشْيَاءَ، قُلْتَ: فَرَّقْتُهُ تَفْرِيقًا، وَمَعْنَى الْآيَةِ: حَتَّى يُمَيِّزَ الْمُنَافِقَ مِنَ الْمُخْلِصِ، فَمَيَّزَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَ أحد حيث أظهروا النفاق فتخلفوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): حَتَّى يَمِيزَ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ بِالْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ،

قَالَ: (الضَّحَّاكُ): (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ يَا مَعْشَرَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَنْ فِي أَصْلَابِكُمْ وَأَرْحَامِ نِسَائِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي:- (حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ) وَهُوَ الْمُذْنِبُ (مِنَ الطَّيِّبِ) وهو المؤمن، يعني: حتى تحط الْأَوْزَارَ عَنِ الْمُؤْمِنِ بِمَا يُصِيبُهُ مِنْ نَكْبَةٍ وَمِحْنَةٍ وَمُصِيبَةٍ،

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ أَحَدٌ غير الله،

{وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ} فَيُطْلِعُهُ عَلَى بَعْضِ عِلْمِ الْغَيْبِ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا - إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} [الجن: 26 – 27].

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): مَعْنَاهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ اجْتَبَاهُ، {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: 179]. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يُمَيِّزَ} أَي: يعزل {الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} ميز الْمُؤمنِينَ من الْمُنَافِقين يَوْم أحد" فِي تَفْسِير (قَتَادَة).

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا شَأْن مُحَمَّد"-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِن كَانَ صَادِقا لَا يخبرنا بِمن يُؤمن بِهِ قبل أَن يُؤمن؟ فَقَالَ الله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ الله يجتبي} أَي:

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلْإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (179).

يستخلص {مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ} فيطلعه على مَا يَشَاء (من الْغَيْب).(1)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- ثُمَّ ذكر مقَالَة الْمُشْركين لمُحَمد أَنْت تَقول لنا مِنْكُم كَافِر ومنكم مُؤمن فَبين لنا يَا مُحَمَّد من يُؤمن منا وَمن لَا يُؤمن فَقَالَ: {مَّا كَانَ الله لِيَذَرَ الْمُؤمنِينَ} والكافرين {على مَا أَنْتُم عَلَيْهِ} من الدّين حَتَّى يصير الْمُؤمن كَافِرًا وَالْكَافِر مُؤمنا إِن كَانَ فِي قَضَائِهِ كَذَلِك {حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيث مِنَ الطّيب} الشَّقي من السعيد وَالْكَافِر من الْمُؤمن وَالْمُنَافِق من المخلص {وَمَا كَانَ الله لِيُطْلِعَكُمْ} يَا أهل مَكَّة {عَلَى الْغَيْب} على ذَلِك حَتَّى تعلمُوا من يُؤمن وَمن لَا يُؤمن {وَلَكِنَّ الله يَجْتَبِي} يصطفي {من رسله من يَشَاء} يَعْنِي مُحَمَّد فيطلعه على بعض ذَلِك بِالْوَحْي {فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} وبجملة الرُّسُل والكتب {وَإِن تُؤْمِنُواْ} بِاللَّه وبجملة الْكتب وَالرسل {وَتَتَّقُواْ} الْكفْر والشرك {فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} ثَوَاب وافر فِي الْجنَّة.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {179} {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ ....}. أي: ما كان في حكمة الله أن يترك المؤمنين على ما أنتم عليه من الاختلاط وعدم التميز حتى يميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب.

ولم يكن في حكمته أيضا أن يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده، فاقتضت حكمته الباهرة أن يبتلي عباده، ويفتنهم بما به يتميز الخبيث من الطيب، من أنواع الابتلاء والامتحان، فأرسل الله رسله، وأمر بطاعتهم، والانقياد لهم، والإيمان بهم، ووعدهم على الإيمان والتقوى الأجر العظيم.

فانقسم الناس بحسب اتباعهم للرسل قسمين: مطيعين وعاصين، ومؤمنين ومنافقين، ومسلمين وكافرين، ليرتب على ذلك الثواب والعقاب، وليظهر عدله وفضله، وحكمته لخلقه.(3)

* * *

[١٨٠] ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا يظنن الذين يبخلون بما آتاهم الله من النعم تفضُّلًا منه، فيمنعون حق الله فيها، لا يظنُّوا أن ذلك خير لهم، بل هو شر لهم" لأن ما بخلوا به سيكون طَوْقًا يُطَوَّقون به يوم

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (179) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (179). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (179)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

القيامة في أعناقهم يعذبون به، ولله وحده يؤول ما في السماوات والأرض، وهو الحي بعد فناء خلقه كلهم، والله عليم بدقائق ما تعملون، وسيجازيكم عليه. (1)

* * *

يَعْنِي:- ولا يظنن الذين يبخلون بما أنعم الله به عليهم تفضلا منه أن هذا البخل خير لهم، بل هو شرٌّ لهم" لأن هذا المال الذي جمعوه سيكون طوقًا من نار يوضع في أعناقهم يوم القيامة. والله سبحانه وتعالى هو مالك الملك، وهو الباقي بعد فناء جميع خلقه، وهو خبير بأعمالكم جميعها، وسيجازي كلا على قدر استحقاقه. (2)

* * *

يَعْنِي:- لا يظن الذين يبخلون بما أنعم الله عليهم من المال تفضلاً منه، ولا يبذلونه في الواجبات وسبل الخير أنَّ البخل خير لهم، بل إنه شر سيئ العاقبة عليهم، سيجزون عليه شر الجزاء يوم القيامة، وسيكون العذاب ملازماً لهم ملازمة الطوق للعنق. وإن كل ما في الوجود يؤول لله - سبحانه وتعالى - وهو المالك له، وهو - سبحانه - يعلم كل ما تعملون، وسيجازيكم عليه. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ} ... المفعول الأول محذوف، والتقدير: ولا يحسبن الذين بخلوا بخلهم. ومن قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا، أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون.

{هُوَ خَيْراً لَهُمْ} ... هو، فاصلة، وخيرا، هو المفعول الثاني.

{سَيُطَوَّقُونَ} ... تفسير لقوله شَرٌّ لَهُمْ، أي: سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق.

{سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ} ... يُجْعَلُ طَوْقًا في عُنُقِ أَحَدِهِمْ.

{وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ... أي: وله ما فيها مما يتوارثه أهله من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله.

{مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} ... ولا يتحول ميراثها إلا إليه وحده عزَّ وَجَلَّ.

{بِمَا تَعْمَلُونَ} ... على الالتفات وهي أبلغ في الوعيد. وقرىء (يعلمون) بالياء على الظاهر.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- ثُمَّ ذكر بخلهم يَعْنِي الْيَهُود وَالْمُنَافِقين بِمَا أَعْطَاهُم الله فَقَالَ {وَلَا يَحْسَبَنَّ} لَا يظنن {الَّذين يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ الله} أَعْطَاهُم الله {مِن فَضْلِه} من المَال {هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ} سيجْعَل {مَا بَخِلُواْ بِهِ} من المَال يَعْنِي الذَّهَب وَالْفِضَّة طوقا من النَّار فِي عنقهم {يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض} خَزَائِن السَّموَات الْمَطَر وَالْأَرْض

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (73/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (73/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (100/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

النَّبَـات وَيُقَـال يَمُـوت أهـل السَّـمَوَات وَالْـأَرْض وَيبقـى الْملـك لله الْوَاحِـد القهـار {وَاللهُ بِمَـا تَعْمَلُونَ} من الْبُخْل والسخاء {خَبِيرٌ}. (1)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {180} {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّـذِينَ يَبْخَلُـونَ بِمَـا آتَـاهُمُ اللَّـهُ مِـنْ فَضْله هُـوَ خَيْـرًا لَهُـمْ بَـلْ هُـوَ شَـرٌّ لَهُـمْ سَـيُطَوَّقُونَ مَـا بَخِلُـوا بِـهِ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَلِلَّـهِ مِـيرَاثُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّـهُ بِمَـا تَعْمَلُـونَ خَـبِيرٌ}. أي: ولا يظـن الـذين يبخلـون، أي: يمنعـون مـا عنـدهم ممـا آتـاهم الله مـن فضـله، مـن المـال والجـاه والعلـم، وغـير ذلـك ممـا منحهم الله، وأحسـن إلـيهم بـه، وأمـرهم ببـذل مـا لا يضـرهم منـه لعبـاده، فبخلـوا بـذلك، وأمسـكوه، وضـنوا بـه علـى عبـاد الله، وظنـوا أنـه خـير لهـم، بـل هـو شـر لهـم، في ديـنهم ودنيـاهم، وعاجلـهم وآجلـهم {سـيطوقون مـا بخلـوا بـه يـوم القيامـة} أي: يجعـل مـا بخلـوا بـه طوقـا في أعنـاقهم، يعـذبون بـه كمـا ورد في الحـديث الصـحيح، "إن البخيـل يمثـل لـه مالـه يـوم القيامـة شـجاعا أقـرع، لـه زبيبتـان، يأخـذ بلهزمتيـه يقـول: أنـا مالـك، أنـا كنـزك" وتـلا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم مصـداق ذلك، هذه الآية.

فهـؤلاء حسـبوا أن بخلـهم نـافعهم، ومجـد علـيهم، فانقلـب علـيهم الأمـر، وصـار مـن أعظـم مضارهم، وسبب عقابهم.

{ولله مـيراث السـماوات والأرض} أي: هـو تعـالى مالـك الملـك، وتـرد جميـع الأمـلاك إلى مالكهـا، وينقلـب العبـاد مـن الـدنيا مـا معهـم درهم ولا دينار، ولا غير ذلك من المال.

قـال تعـالى: {إنـا نحـن نـرث الأرض ومـن عليهـا وإلينـا يرجعـون} وتأمـل كيـف ذكـر السـبب الابتـدائي والسـبب الغـائي، الموجـب كـل واحـد منهمـا أن لا يبخـل العبـد بمـا أعطـاه الله.

أخـبر أولا: أن الـذي عنـده وفي يـده فضـل مـن الله ونعمـة، لـيس ملكـا للعبـد، بـل لـولا فضـل الله عليـه وإحسـانه، لم يصـل إليـه منـه شـيء، فمنعـه لـذلك منـع لفضـل الله وإحسـانه" ولأن إحسـانه موجـب للإحسـان إلى عبيـده، كمـا قـال تعالى: {وأحسن كما أحسن الله إليك}.

فمـن تحقـق أن مـا بيـده، فضـل مـن الله، لم يمنـع الفضـل الـذي لا يضـره، بـل ينفعـه في قلبـه ومالـه، وزيـادة إيمانـه، وحفظـه مـن الآفات.

ثـم ذكـر ثانيـا: أن هـذا الـذي بيـد العبـاد كلهـا ترجـع إلى الله، ويرثهـا تعـالى، وهـو خـير الـوارثين، فـلا معنـى للبخـل بشـيء هـو زائـل عنك منتقل إلى غيرك.

ثـم ذكـر ثالثـا: السـبب الجزائـي، فقـال: {والله بمـا تعملـون خـبير} فـإذا كـان خـبيرا بأعمـالكم جميعهـا -ويسـتلزم ذلـك الجـزاء الحسـن علـى الخـيرات، والعقوبـات علـى الشـر- لم يتخلـف مـن في قلبـه مثقـال ذرة مـن إيمـان

---

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (آل عمـران) الآيـة (180). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

عن الإنفاق الذي يجزى به الثواب، ولا يرضى بالإمساك الذي به العقاب. (1)

* * *

قال: الإمامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {سَيُطَوَّقُونَ} : كَقَوْلِكَ: طَوَّقْتُهُ بِطَوْقٍ. (2)

* * *

قوله تعالى: {والله بما تعملون خبير} .

قال: الإمامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): قوله: (خبير) قال: خبير بخلقه. (3)

* * *

قال: الإمامُ (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده): نا الثَّوْرِيُّ , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ (ابْنِ مَسْعُودٍ) , فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ} {آل عمران: 180} قَالَ: < طَوْقٌ مِنَ النَّارِ >

* * *

قال: الإمامُ (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده): قَالَ: أَخْبَرَنِي الثَّوْرِيُّ , عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ , عَنْ أَبِي وَائِلٍ , عَنْ (ابْنِ مَسْعُودٍ) , قَالَ: < يَجِيءُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُعْبَانًا , فَيَنْقُرُ رَأْسَهُ > وَيَقُولُ: < أَنَا مَالُكَ الَّذِي بَخِلْتَ بِهِ , فَيَنْطَوِي عَلَى عُنُقِهِ > (4)

* * *

قال: الإمامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} قال: الإمام (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه: {سَيُطَوَّقُونَ} ، سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاة، طوقًا في أعناقهم كهيئة الأطواق المعروفة.

* * *

القول في تأويل قوله: {وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (180) قال: الإمام (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: أنه الحي الذي لا يموت، والباقي بعد فناء جميع خلقه. (5)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {180} {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْله هُوَ خَيْرًا لَهُمْ} أَيْ: وَلاَ يَحْسَبَنَّ الْبَاخِلُونَ الْبُخْلَ خيرا لهم، {بَلْ هُوَ} يَعْنِي: الْبُخْلَ، {شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ} أَيْ: سَوفَ يُطَوَّقُونَ، {مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يَعْنِي: يَجْعَلُ مَا مَنَعَهُ مِنَ الزَّكَاة حَيَّةً تُطَوَّقُ فِي عُنُقِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَنْهَشُهُ مِنْ فَوْقِه إلى قدمه، هذا قَوْلُ (ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ)،

وقال: (إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ): مَعْنَى الْآيَةِ يَجْعَلُ يَوْمَ الْقِيَامَة فِي أَعْنَاقِهِمْ طَوْقًا مِنَ النَّارِ،

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): يُكَلَّفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَأْتُوا بِمَا بَخِلُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (180)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: صحيح الإمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (180). برقم (ج 6/ ص 39).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (180).

(4) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (180)، للإمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (180)، للإمَامْ (الطبري).

وروى (عطيَّةُ عن ابْنِ عبَّاس): أَنَّ هذه الْآيَةَ نَزَلَتْ في أَحْبَارِ الْيَهُودِ الَّذينَ كَتَمُوا صِفَةَ مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم- وَنُبُوَّتَهُ،

وَأَرادَ بِالْبُخْلِ كِتْمَانَ الْعِلْمِ كَمَا قَالَ: في سُورَةِ (النِّسَاءِ) {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} {النِّسَاءِ: 37} وَمَعْنَى قَوْلِهِ (سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أَيْ: يَحْمِلُونَ وِزْرَهُ وَإِثْمَهُ،

كقوله تعالى: {يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ} {الْأَنْعَامِ: 31}.

{وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} يَعْنِي: أَنَّهُ الْبَاقِي الدَّائِمُ بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ وَزَوَالِ أَمْلَاكِهِمْ فَيَمُوتُونَ وَيَرِثُهُمْ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا} {مريم: 40}

{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} {آل عمران: 180} قرأ أهل البصرة ومكة بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ} أَيْ: لا يَحْسَبَنَّ الْبَخِيلُ أَنَّ جَمْعَهُ الْمَالَ يَنْفَعُهُ، بَلْ هُوَ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ -وَرُبَّمَا كَانَ- فِي دُنْيَاهُ.

ثُمَّ أَخْبَرَ بِمَآلِ أَمْرِ مَالِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.

وَقَوْلُهُ: {وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} أَيْ: فَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ، فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا مَرْجِعُهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَقَدِّمُوا لَكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ مَا يَنْفَعُكُمْ يَوْمَ مَعَادِكُمْ {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} أَيْ: بِنِيَّاتِكُم وَضَمَائِرِكُمْ. (2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) – في (صحيحه) - (بسنده): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُنِيرٍ، سَمِعَ أَبَا النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ -هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ- عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ -يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ- يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ)) ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

تَفَرَّدَ بِهِ الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ) دُونَ الإِمَامِ (مُسْلِمٍ) مِنْ هَذَا الْوَجْهِ،

وَقَدْ رَوَاهُ الإمام (ابْنُ حِبَّانَ) فِي (صَحِيحِهِ) - مِنْ طَرِيقِ – (اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ)، بِهِ. (3)

* * *

حديثٌ آخرَ:

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (180).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (180)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1403)، (4565) – (كتاب: التفسير القرآن).

قال: الإمامُ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسند) - (بسنده):- حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ (ابْنِ عمر)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((إنَّ الَّذِي لا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ يُمَثَّلُ الله لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبتَان، ثُمَّ يُلْزِمهُ يطوّقه، يَقُول: أنَا كَنْزك، أنَا كَنزك)).(1)

وَهكَذَا رواهُ الإمام (النَّسَائيُّ): عَنِ الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ هَاشِمِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ (عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ)، به.(2)

ثُمَّ قَالَ: الإمام (النَّسَائيُّ): ورواية عَبْدِ الْعَزِيز، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ (ابْنِ عُمَرَ)، أثبتُ مِنْ روايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَن، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ). قُلْتُ: وَلاَ مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ يَكُونُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ مِنَ الْوَجْهَيْنِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ سَاقَهُ (الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ بْنُ مَرْدُويَه) مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ). وَمِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ، عَنْ زِيَادٍ الْخَطْمِيِّ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، به.(3)

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قال: الإمامُ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسند) - (بسنده):- حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ جَامِعٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-" قَالَ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ لا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إلاَ جعل لَهُ شُجَاعٌ أَقْرَعُ يَتْبَعُهُ، يَفِرّ مِنْهُ وَهُوَ يَتْبَعُهُ فَيقُولُ: أنَا كَنْزُ)). ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ مصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّه: {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.

وَهكَذَا رواهُ الإمام (التِّرمِذِيُّ)، وَ(النَّسَائيُّ)، وَ(ابْنُ ماجَه)، مِنْ حَدِيث (سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ)، عَنْ جَامِعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، زَادَ التِّرمِذِيُّ: وَعَبْدِ الْمَلِك بْنِ أَعْيَنَ، كلاهُمَا عَنْ أَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود)، به.

ثُمَّ قَالَ: الإمام (التِّرْمِذِيُّ): (حَسَنٌ صَحِيحٌ).

وَقَدْ رواهُ الإمام (الْحَاكِم) فِي (مُسْتَدْرَكه)، مِنْ حَدِيث أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، كلاهُمَا عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِي، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ (ابْنِ مَسْعُود)، به.(4)

وَرواهُ الإمام (ابْنُ جرير) مِنْ غَيْرِ وجه، عن (ابن مسعود)، موقوفا.(5)

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (98/2).
وأخرجه الإمَام (النسائي) في (السنن) برقم (2481) - (كتاب: الزكاة).-
وفي (السنن الكبرى) برقم (2272).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) رقم (1690).
(2) اخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن) برقم (38/5).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (180)، للإمَامُ (ابن كثير).

(4) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (377/1).
وأخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3012).
وأخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن) برقم (11/5).
وأخرجه الإمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1784).
وأخرجه الإمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (298/2).
(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (180)، للإمَامُ (ابن كثير).

قال: الإمامُ (أبو يعلى) - (رحمه الله) - في (المُسند) - (بسنده):- حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ (قَتَادَةَ)، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ (ثَوْبَانَ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- " قَالَ: ((مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ كَنْزًا مُثِّلَ لَهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ زَبِيبَتَانِ، يَتْبَعُهُ ويَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ وَيْلَكَ. فيَقُولُ: أَنَا كَنزكَ الَّذِي خَلَّفْتَ بَعْدَكَ فَلا يَزَالُ يَتْبَعُهُ حَتَّى يُلْقِمَهُ يَدَه فيُقْضِمها، ثُمَّ يَتْبَعه سَائِر جَسَ)). (إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ) وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ (1).

وَقَدْ رَوَاهُ الإمامُ (الطَّبَرَانِيُّ) عَنْ (جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ البَجَلِي) (2).

* * *

وَرَوَاهُ الإمامُ (ابْنُ جَرِيرٍ) وَ(ابْنُ مَرْدُويه): مِنْ حَدِيثِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((لا يَأْتِي الرَّجُلُ مَوْلاهُ فيَسْأَلُه مِنْ فَضْلِ مَالِهِ عِنْدَهُ، فَيَمْنَعُهُ إِيَّاهُ، إِلاَ دُعِي لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجاعٌ يَتَلَمَّظُ فَضْلَهُ الَّذِي مَنَعَ)). (3)

لَفْظُ الإمامِ (ابْنِ جَرِيرٍ). (4)

* * *

قَالَ: الإمامُ (القُرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (180)}.

فِيهِ أَرْبَعُ مَسَائِلَ:

الْأُولَى:- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ) "الَّذِينَ" فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، وَالْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ مَحْذُوفٌ. قَالَ: (الْخَلِيلُ)، وَ(سِيبَوَيْه)، وَ(الْفَرَّاءُ): الْمَعْنَى الْبُخْلُ خَيْرًا لَهُمْ، أَيْ لَا يَحْسَبَنَّ الْبَاخِلُونَ الْبُخْلَ خَيْرًا لَهُمْ. وَإِنَّمَا حُذِفَ لِدَلَالَةِ يَبْخَلُونَ عَلَى الْبُخْلِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: مَنْ صدق كان خيرا له. أي كان الصِّدْقُ خَيْرًا لَهُ. وَمِنْ هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ ... وَخَالَفَ وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافِ.

---

(1) (إسناده الصحيح): عزاه إلى الإمام (أبي يعلى) في (المطالب العالية). والإمام (الحافظ ابن حجر) برقم (254/1).
ورواه الإمام (ابن خزيمة) في (صحيحه) برقم (2255).
والإمام (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (803) (موارد)،
و الإمام (البزار) في (مسنده) برقم (418/1) (كشف الأستار).
والإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (91/2).
و الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (338/1) وقال: (صحيح الإسناد) ووافقه الإمام (الذهبي)، كلهم - مِنْ طَرِيقِ - (سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قتادة به). وقال: الإمام (البزار): (إسناده حسن).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (180)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) اخرجه الإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير) (322/2) ولفظه: "ما من ذي رحم يأتي رحمه فيسأله فضلا أعطاه الله إياه فيبخل عليه إلا أخرج له يوم القيامة من جهنم حية يقال لها: شجاع يتلمظ فيطوف به". وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (154/8).
ورواه الإمام (الطبراني) في (الأوسط والكبير) و(إسناده جيد).

(3) (حسن): وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (2566).
وأخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (53/5).
والحديث (حسنه) الإِمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (3438).
و(حسنه) الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في (تحقيقه لتفسير - ابن كثبر) برقم (204/2).

(4) انظر: (تفسير الطبري) برقم (435/7).
وأخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (3/5)
وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (358/1).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (180)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

فَالْمَعْنَى: جَرَى: إِلَى السَّفه، فَالسَّفِيهُ دَلَّ عَلَى السَّفَه. وَأَمَّا قِرَاءَةُ حَمْزَةَ بِالتَّاءِ فَبَعِيدَةٌ جداً،

قَالَهُ (النَّحَّاسُ). وَجوازُهَا أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ: {لاَ تَحْسَبَنَّ بُخْلَ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ هُوَ خيرا لهم}.

قَالَ: (الزجاج): وهي مثل" وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ". وَ{هُوَ} فِي قَوْلِهِ: {هُوَ خَيْراً لَهُمْ} فَاصِلَةٌ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ. وَهِيَ الْعِمَادُ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ.

قَالَ: (النَّحَّاسُ): وَيَجُوزُ فِي الْعَرَبِيَّةِ {هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ} ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ.

الثَّانِيَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ} ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ، أَيِ الْبُخْلُ شَرٌّ لَهُمْ. وَالسِّينُ فِي {سَيُطَوَّقُونَ} سِينُ الْوَعِيدِ، أَيْ سَوْفَ يُطَوَّقُونَ، قَالَهُ: (الْمُبَرِّدُ). وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الْبُخْلِ بِالْمَالِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ. وَهَذِه كَقَوْلِهِ: {وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} {التوبة: 34} الْآيَةَ. ذَهَبَ إِلَى هَذَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَأَوِّلِينَ، مِنْهُمْ (ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو وَائِلٍ وَأَبُو مَالِكٍ وَالسُّدِّيُّ وَالشَّعْبِيُّ) قَالُوا: وَمَعْنَى {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ} هُوَ الَّذِي وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوِّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ- ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الْآيَةَ- {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ} الْآيَةَ.

أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ (النَّسَائِيُّ). وَخَرَّجَهُ الْإِمامُ (ابْنُ مَاجَهْ) عَنْ (ابْنِ مَسْعُودٍ) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (مَا مِنْ أَحَدٍ لا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إلاَ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعٌ أَقْرَعُ حَتَّى يُطَوَّقَ بِهِ فِي عُنُقِهِ) ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} الْآيَةَ. وَجَاءَ عَنْهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: (مَا مِنْ ذِي رَحِمٍ يَأْتِي ذَا رَحِمِهُ فَيَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِ مَا عِنْدَهُ فَيَبْخَلُ بِهِ عَلَيْهِ إلاَ أُخْرِجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعٌ مِنَ النَّارِ يَتَلَمَّظُ حَتَّى يُطَوِّقَهُ).

وَقَالَ (ابْنُ عَبَّاسٍ) أَيْضًا: إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ وَبُخْلِهِمْ بِبَيَانِ مَا عَلِمُوهُ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقَالَ: ذَلِكَ (مُجَاهِدٌ وَجَمَاعَةٌ) مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ. وَمَعْنَى {سَيُطَوَّقُونَ} عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ سَيَحْمِلُونَ عِقَابَ مَا بَخِلُوا بِهِ، فَهُوَ مِنَ الطَّاقَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ} {البقرة: 184} وَلَيْسَ مِنَ التَّطْوِيقِ.

وَقَالَ: (إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ): مَعْنَى {سَيُطَوَّقُونَ} سَيُجْعَلُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ طَوْقٌ مِنَ النَّارِ.

وَهَذَا يَجْرِي مَعَ التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ:- أَيْ: قَوْلُ (السُّدِّيِّ). يَعْنِي:- يُلْزَمُونَ أَعْمَالَهُمْ كَمَا يَلْزَمُ الطَّوْقُ الْعُنُقَ، يُقَالُ: طُوِّقَ فُلاَنٌ عَمَلَهُ طَوْقَ الْحَمَامَةِ، أَيْ أُلْزِمَ عَمَلَهُ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ} {الاسراء: 13}. ومن هذا المعنى قول (عبد الله ابن جحش لأبي سُفْيَانَ): أَبْلِغْ (أَبَا سُفْيَانَ) عَنْ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ

نَدَامَهْ دَارَ ابْنِ عَمِّكَ بِعْتَهَا ... تقتضي بِهَا عَنْكَ الْغَرَامَهْ

وَحَلِيفُكُمْ بِاللَّهِ رَبِّ ... النَّاسِ مُجْتَهِدُ الْقَسَامَهْ

اذْهَبْ بِهَا اذْهَبْ بِهَا ... طُوِّقْتَهَا طَوْقَ الْحَمَامَهْ

وَهَذَا يَجْرِي مَعَ التَّأْوِيلِ الثَّانِي:- والبخل والبخل في اللغة أن يمنع الانسال الحق الواجب عليه؟؟. فأما من منع مالا يَجِبُ عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِبَخِيلٍ، لِأَنَّهُ لا يُذَمُّ بِذَلك. وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ: يَبْخُلُونَ وَقَدْ بَخُلُوا. وَسَائِرُ الْعَرَبِ يَقُولُونَ: بَخِلُوا يَبْخَلُونَ، حَكَاهُ (النَّحَّاسُ). وَبَخِلَ يَبْخَلُ بُخْلًا وَبَخَلًا، عَنْ (ابْنِ فَارِسٍ).

الثَّالِثَةُ- فِي ثَمَرَةِ الْبُخْلِ وَفَائِدَتِهِ. وَهُوَ مَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لِلْأَنْصَارِ: (مَنْ سَيِّدُكُمْ؟) قَالُوا الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى بُخْلٍ فِيهِ. فَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-(وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ) قَالُوا: وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (إِنَّ قَوْمًا نَزَلُوا بِسَاحِلِ الْبَحْرِ فَكَرِهُوا لِبُخْلِهِمْ نُزُولَ الْأَضْيَافِ بِهِمْ فَقَالُوا: لِيَبْعُدِ الرِّجَالُ مِنَّا عَنِ النِّسَاءِ حَتَّى يَعْتَذِرَ الرِّجَالُ إِلَى الْأَضْيَافِ ببعد النساء، وتعتذر النساء ببعد الرجال، ففعلوا وطال ذلك بهم فَاشْتَغَلَ الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ). ذَكَرَهُ (الْمَاوَرْدِيُّ) فِي كِتَابِ" أَدَبِ الدُّنْيَا والدين". والله أعلم.

الرَّابِعَةُ- وَاخْتُلِفَ فِي الْبُخْلِ وَالشُّحِّ، هَلْ هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ أَوْ بِمَعْنَيَيْنِ. فَقِيلَ: الْبُخْلُ الِامْتِنَاعُ مِنْ إِخْرَاجِ مَا حَصَلَ عِنْدَكَ. وَالشُّحُّ: الْحِرْصُ عَلَى تَحْصِيلِ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ. يَعْنِي:- إنَّ الشُّحَّ هُوَ الْبُخْلُ مَعَ حرصٍ.

وَهُوَ الصَّحِيحُ لِمَا رَوَاهُ الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) عَنْ (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دماءَهمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحارِمَهُمْ).

وَهَذَا يَرُدُّ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْبُخْلَ مَنْعُ الْوَاجِبِ، وَالشُّحَّ مَنْعُ الْمُسْتَحَبِّ. إِذْ لَوْ كَانَ الشُّحُّ مَنْعَ الْمُسْتَحَبِّ لَمَا دَخَلَ تَحْتَ هَذَا الْوَعِيدِ الْعَظِيمِ، وَالذَّمِّ الشَّدِيدِ الَّذِي فِيهِ هَلَاكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَاهُ الإِمَامُ (النَّسَائِيُّ) عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (لا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرَيْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَبَدًا وَلاَ يَجْتَمِعُ شُحٌّ وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَبَدًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أَخْبَرَ تَعَالَى بِبَقَائِهِ وَدَوَامِ مُلْكِهِ. وَأَنَّهُ فِي الْأَبَدِ كَهُوَ فِي الْأَزَلِ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ، فَيَرِثُ الْأَرْضَ بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ وَزَوَالِ أَمْلَاكِهِمْ، فَتَبْقَى الْأَمْلَاكُ وَالْأَمْوَالُ لا مُدَّعَى فِيهَا. فَجَرَى هَذَا مَجْرَى الْوِرَاثَةِ فِي عَادَةِ الْخَلْقِ، وَلَيْسَ هَذَا بِمِيرَاثٍ فِي الْحَقِيقَةِ، لِأَنَّ الْوَارِثَ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الَّذِي يَرِثُ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ مَلَكَهُ مِنْ قَبْلُ، والله سبحانه وتعالى مالك السموات والأرض وما بينهما، وكانت السموات وَمَا فِيهَا، وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهَا لَهُ، وَإِنَّ الْأَمْوَالَ كَانَتْ عَارِيَةً عِنْدَ أَرْبَابِهَا، فَإِذَا مَاتُوا رُدَّتِ الْعَارِيَةُ إِلَى صَاحِبِهَا الَّذِي كَانَتْ

لـه فـي الْأَصْـل. وَنَظـيرُ هَـذه الْآيَـة قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿إِنَّـا نَحْـنُ نَـرِثُ الْـأَرْضَ وَمَـنْ عَلَيْهَـا﴾ {مـريم: 40} الْآيَـةَ. وَالْمَعْنَـى فـي الْـآيَتَيْنِ أَنَّ اللَّـهَ تَعَـالَى أَمَـرَ عِبَـادَهُ بِـأَنْ يُنْفِقُـوا وَلَا يَبْخَلُـوا قَبْـلَ أَنْ يَمُوتُـوا وَيَتْرُكُـوا ذَلِـكَ مِيرَاثًـا لِلَّـهِ تَعَـالَى، ولا يـنفعهم إلا مـا أنفقوا. (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• ينبغـي للمـؤمن ألا يلتفـت إلى تخويـف الشـيطان لـه بأعوانـه وأنصـاره مـن الكـافرين، فإن الأمر كله لله تعالى.

• لا ينبغـي للعبـد أن يغـتر بإمهـال الله لـه، بـل عليـه المبـادرة إلى التوبـة، مـا دام في زمـن المُهلـة قبل فواتها.

• البخيـل الـذي يمنـع فضـل الله عليـه إنمـا يضـر نفسـه بحرمانهـا المتـاجرة مـع الله الكـريم الوهـاب، وتعريضـها للعقوبـة يـوم القيامـة. (2)

* * *

[١٨١] ﴿ لَقَـدْ سَـمِعَ اللَّـهُ قَـوْلَ الَّـذِينَ قَـالُوا إِنَّ اللَّـهَ فَقِيـرٌ وَنَحْـنُ أَغْنِيَـاءُ سَـنَكْتُبُ مَـا قَـالُوا وَقَـتْلَهُمُ الْأَنْبِيَـاءَ بِغَيْـرِ حَـقٍّ وَنَقُـولُ ذُوقُـوا عَـذَابَ الْحَرِيقِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (182) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (183) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (184) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185) لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)

لقـد سمـع الله قـول اليهـود حـين قـالوا: "إن الله فقـير حيـث طلـب منـا القـرض، ونحـن أغنيـاء بمـا عنـدنا مـن أمـوال" سـنكتب مـا قـالوا مـن الإفـك والفريـة علـى ربهـم وقتلـهم أنبيـاءهم بغـير حـق، ونقـول لهـم: ذوقـوا العذاب المحرق في النار. (3)

* * *

يَعْنِـي:- لقـد سمـع الله قـول اليهـود الـذين قـالوا: إن الله فقـير إلينـا يطلـب منـا أن نقرضـه أمـوالا ونحـن أغنيـاء. سـنكتب هـذا القـول الـذي قـالوه، وسـنكتب أنهـم راضـون بمـا كـان مـن قَتْـل آبـائهم لأنبيـاء الله ظلمًـا وعـدوانًا، وسـوف نؤاخـذهم بـذلك في الآخـرة.

---

(1) انظـر: تفسـير (القـرطبي) = (الجـامع لأحكـام القـرآن) في سـورة (آل عمرآن) - الآية (180)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (73/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (74/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ونقول لهم وهم في النار يعذبون: ذوقوا عذاب النار المحرقة.(1)

* * *

يَعْنِي:- ومع أن الله له ملك السموات والأرض وميراثهما، فقد قال بعض اليهود متهكمين: إن الله فقير يطلب منا أن نقرضه بالإنفاق، ونحن أغنياء ننفق أو لا ننفق، لقد سمع الله قولهم هذا وسجَّل عليهم ذلك القول كما سجل عليهم قتلهم الأنبياء ظلماً وإثماً وعدواناً، وسيقول لهم يوم القيامة: ذوقوا عذاب النار المحرقة.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات

قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً).

{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ} ... أي: لم يخف عليه وأنه أعد له كفاءه من العقاب.

{سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا} ... أي: سنحفظه ونثبته فى علمنا كما يثبت المكتوب.

{وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ} ... كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء، وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانا بأنهما فى العظم أخوان.

{وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} ... أي: وننتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق.

{عَذَابَ الْحَرِيقِ} ... هو عذاب النار المحرقة تحرق أجسادهم.

{عَذَابَ الْحَرِيقِ} ... العَذَابَ المُحْرِقَ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- {سَنَكْتُبُ}: سَنَحْفَظُ.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – و الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – من طريق (ابن إسحاق) – عن (ابن عباس) قال: دخل (أبو بكر الصديق) – رضي الله عنه – بيت المدراس، فوجد من يهود ناسا كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، كان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له أشيع. فقال: أبو بكر – رضي الله عنه – لفنحاص: ويحك يا فنحاص: اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل قال فنحاص: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين. فذهب فنحاص إلى رسول الله –

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (74/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (100/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: صحيح الإِمَام (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمران) الآية (181). برقم (ج6/ ص34).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأبي بكر: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيماً، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، فضربت وجهه. فجحد ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك فأنزل الله تبارك تعالى فيما قال فنحاص، رداً عليه وتصديقاً لأبي بكر: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} {آل عمران: 181}، وفي قول (أبي بكر) وما بلغه في ذلك من الغضب: {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)}. سورة {آل عمران: 186}. (1)(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181)}، قال: الإمام (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: "ونقول" للقائلين بأن الله فقيرٌ ونحن أغنياء، القاتلين أنبياء الله بغير حقّ يوم القيامة="ذوقوا عذاب الحريق"، يعني بذلك: عذاب نار محرقة ملتهبة.

و"النار" اسم جامع للملتهبة منها وغير الملتهبة، وإنما "الحريق" صفة لها يراد أنها محرقة، كما قيل: "عذابٌ أليم" يعني: مؤلم، و"وجيع" يعني: موجع. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (182)}

قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} {الْبَقَرَة:245} قَالَتِ الْيَهُودُ: يَا مُحَمَّدُ، افْتَقَرَ رَبُّكَ. يَسْأَلُ عِبَادَهُ الْقَرْضَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} الْآيَةَ.

رَوَاهُ الإمام (ابْنُ مَرْدَوَيْهِ)، وَ(ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

وَقَوْلُهُ: {سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا} تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ" وَلِهَذَا قَرَنَهُ بِقَوْلِهِ: {وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} أَيْ: هَذَا قَوْلُهُمْ فِي اللَّهِ، وَهَذِهِ مُعَامَلَتُهُمْ لِرُسُلِ اللَّهِ، وَسَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ شَرَّ الْجَزَاءِ"

وَلِهَذَا قَالَ: {وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ. ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (181).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (181).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمران) الآية (181)، للإمَامْ (الطبري).

لِلْعَبِيدِ} أَيْ: يُقَالُ لهم ذلك تقريعًا وتحقيرًا وتصغيرًا.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) – في (تفسيره) – (بسنده): قَالَ: أنا مَعْمَرٌ، عَنْ (قَتَادَةَ)، قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} {البقرة: 245} قَالَتِ الْيَهُودُ: ((إِنَّمَا يَسْتَقْرِضُ الْفَقِيرُ مِنَ الْغَنِيِّ)) فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} {آل عمران: 181}(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {181} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} قَالَ: (الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ): لَمَّا نَزَلَتْ: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} {البقرة: 245}.

قَالَتِ الْيَهُودُ: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ يستقرض منا وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ،

{سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا} مِنَ الْإِفْكِ وَالْفِرْيَةِ عَلَى اللَّهِ فَنُجَازِيهِمْ بِهِ. {وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ} {الأنبياء: 94}.

{وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} قَرَأَ حَمْزَةُ (سَيُكْتَبُ) بِضَمِّ الْيَاءِ، (وَقَتْلُهُمْ) بِرَفْعِ اللَّامِ (وَيَقُولُ) بِالْيَاءِ، وَ(ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) أَيِ: النَّارِ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْمُحْرِقِ، كَمَا يُقَالُ: (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)، أَيْ: مُؤْلِمٌ.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {181 – 182} {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ} يخبر تعالى، عن قول هؤلاء المتمردين، الذين قالوا أقبح المقالة وأشنعها، وأسمجها، فأخبر أنه قد سمع ما قالوه وأنه سيكتبه ويحفظه، مع أفعالهم الشنيعة، وهو: قتلهم الأنبياء الناصحين، وأنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة، وأنه يقال لهم -بدل قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء- {ذوقوا عذاب الحريق} المحرق النافذ من البدن إلى الأفئدة، وأن عذابهم ليس ظلما من الله لهم، فإنه {ليس بظلام للعبيد} فإنه منزه عن ذلك، وإنما ذلك بما قدمت أيديهم من المخازي والقبائح، التي أوجبت استحقاقهم العذاب، وحرمانهم الثواب.

وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود، تكلموا بذلك، وذكروا منهم "فنحاص بن عازوراء" من رؤساء علماء اليهود في المدينة، وأنه لما سمع قول الله تعالى: {من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا} {وأقرضوا الله قرضا حسنا} قال: -

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (181-182)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (آل عمران) - الآية (181)، للإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (181).

على وجه التكبر والتجرهم- هذه المقالة قبحه الله، فذكرها الله عنهم، وأخبر أنه ليس ببدع من شنائعهم، بل قد سبق لهم من الشنائع ما هو نظير ذلك، وهو: {قتلهم الأنبياء بغير حق} هذا القيد يراد به، أنهم تجرأوا على قتلهم مع علمهم بشناعته، لا جهلا وضلالا بل تمردا وعنادا. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- ثمَّ ذكر مقَالَة الْيَهُود فنحاص بن عازوراء وَأَصْحَابه حِين قَالُوا: يَا مُحَمَّد-صلى الله عليه وسلم- إن الله فَقير يطْلب منا الْقَرْض فَقَالَ: {لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا} يَعْنِي فنحاص بن عازوراء وَأَصْحَابه {إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ} مُحْتَاج يطْلب منا الْقَرْض {وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ} وَلَا نحتاج إِلَى قرضه {سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ} سنحفظ عَلَيْهِم مَا قَالُوا فِي الْآخِرَة {وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ} ونحفظ عَلَيْهِم قَتلهمْ الْأَنْبِيَاء {بِغَيْرِ حَقٍّ} بِلَا جرم {وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ} الشَّدِيد. (2)

* * *

قال: الشيخ (أسعد محمود حومد) – (رحمه الله) - في (تفسيره) – (أيسر التفاسير):- (181) – لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً} قَالَتْ اليَهُودُ: يَا مُحَمَّدُ أَفْتَقَرَ رَبُّكَ فَيَسْأَلُ عِبَادَهُ القَرْضَ؟ وروي أنَّ أبَا بَكْرٍ لَقِيَ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ فَدَعَاهُ إلى الإِسْلاَمِ، فَقَالَ لَهُ اليَهُودِيُّ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا بِنَا إلَى اللهِ مِنْ حَاجَةٍ مِنْ فَقْرٍ، وَإِنَّهُ إِلَينَا لَفَقِيرٌ، مَا نَتَضَرَّعُ إليهِ كَمَا يَتَضَرَّعُ إلينَا، وَإنا عَنْهُ أَغْنِيَاءُ، وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيّاً مَا اسْتَقْرَضَ مِنَّا كَمَا يَزْعُمُ صَاحِبُكُمْ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ.

وَيَتَوَعَّدُ اللهُ تَعَالَى اليَهُودَ بِأنَّهُ سَمِعَ مَا قَالُوا، وَسَيَكْتُبُهُ وَيُسَجِّلُهُ عَلَيهِمْ، وَسَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيهِ، كَمَا سَيُحَاسِبُهُم عَلَى رِضَاهُمْ بِمَا قَامَ بِهِ أَسْلاَفُهُمْ مِنْ قَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَسَيَجْزِيهِمُ اللهُ عَلَيهِ شَرَّ الجَزَاءِ. وَيَقُولُ لَهُمْ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ: ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ.

عَذَابَ الحَرِيقِ – العَذَابَ المُحْرِقَ. (3)

* * *

[١٨٢] ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ذلك العذاب بسبب ما قدمت أيديكم أيها اليهود- من المعاصي والمخازي، وبأن الله ليس يظلم أحداً من عبيده. (4)

* * *

يَعْنِي:- ذلك العذاب الشديد بسبب ما قدَّمتموه في حياتكم الدنيا من المعاصي

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (181-182)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (181). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(3) انظر: (أيسر التفاسير) في سورة (آل عمران) الآية (181)، للشيخ: (أسعد محمود حومد).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (74/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

القوليـة والفعليـة والاعتقاديـة، وأن الله لـيس بظلام للعبيد. (1)

* * *

يَعْنِـي:- وذلـك العـذاب بمـا قـدمت أيـديهم من الآثـام، وعقـاب الله لا يكـون إلا عـدلا، فهـو لا يظلم العباد أبداً. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{ذلكَ} ... إشارة إلى ما تقدم من عقابهم.

{بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ} ... وذكر الأيدى لأن أكثر الأعمال تزاول بهن، فجعل كل عمل كالواقع بالأيدى على سبيل التغليب.

{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ} ... أي: ذلك العذاب بسبب ما قدمته أيديكم من الجرائم.

{وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} ... أي: إنه عادل عليهم، ومن العدل أن يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن.

{العَبِيدُ} ... العِبَادُ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية :

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (182)}

وأما قوله: "ذلك بما قدمت أيديكم"، أي: قولنا لهم يوم القيامة، "ذوقوا عذاب الحريق"، بما أسلفت أيديكم واكتسبتها أيام حياتكم في الدنيا، وبأن الله عَدْلٌ لا يجورُ فيعاقب عبدًا له بغير استحقاق منه العقوبةَ، ولكنه يجازي كل نفس بما كسبت، ويوفّي كل عامل جزاء ما عمل، فجازى الذين قال لهم ذلك يوم القيامة = من اليهود الذين وصف صفتهم، فأخبر عنهم أنهم قالوا: "إنّ الله فقير ونحن أغنياء"، وقتلوا الأنبياء بغير حق = بما جازاهم به من عذاب الحريق، بما اكتسبوا من الآثام، واجترحوا من السيئات، وكذبوا على الله بعد الإعذار إليهم بالإنذار. فلم يكن تعالى ذكره بما عاقبهم به من إذاقتهم عذاب الحريق ظالمًا، ولا واضعًا عقوبته في غير أهلها. وكذلك هو جل ثناؤه، غيرُ ظلام أحدًا من خلقه، ولكنه العادل بينهم، والمتفضل على جميعهم بما أحبّ من فَوَاضله ونعمه. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْديكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بظلام للعبيد}.

4594 - حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُكَيْرٍ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ذَلِكَ يَعْنِي: الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}.

4595 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْوَاسِطِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ، ثنا عَمْرُو بْنُ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (74/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (100/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (آل عمرآن) الآية (182)، للإمَامُ (الطبري).

قَوْلُـه: {وأن اللَّـهَ لَـيْسَ بِظَـلام لِلْعَبِيـد} قَـالَ: مَـا أَنَـا بِمُعَـذِّبٍ مَـنْ لَـمْ يَجْـرِمْ عِنْـدِي أَنْ أُعَذِّبَهُ.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} {آل عمران: 182} فَيُعَذِّبُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ.(2)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله)::- {ذَلِك} الْعَذَاب {بِمَا قدَّمَتْ} عملت {أَيْديكُم} فِي الْيَهُودِيَّة {وَأَنَّ الله لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ} أَن يأخذكم بِلَا جرم.(3)

* * *

قال: الشيخ (أسعد محمود حومد) – (رحمه الله) – في (تفسيره) – (أيسر التَّفاسير):- قوله تعالى: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (182)} وَهَذا العَذَابُ المُحْرِقُ الذِي تَذُوقُونَهُ، إِنَّمَا وَقَعَ بِكُمْ بِسَبَبِ مَا قَدَّمَتْهُ أيْدِيكُمْ مِنْ عَمَلٍ سَيِّئٍ، وَكُفْرٍ وَظُلْمٍ، وَقَتْلٍ للأنْبِيَاءِ، وَقَوْلٍ: إنَّ اللهَ فَقِيرٌ. وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ بِكُمْ هَذَا العِقَابَ بِالحَقِّ، وَالعَدْلِ، وَهُوَ لاَ يَظْلِمُ أَحَداً مِنْ خَلْقِه.(4)

* * *

[١٨٣] ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وهم الذين قالوا كذبًا وافتراء: إن الله أوصانا في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بما يصدق قوله، وذلك بأن يتقرب إلى الله بصدقة تحرقها نار تنزل من السماء، فكذبوا على الله في نسبة الوصية إليه، وفي حصر دلائل صدق الرسل فيما ذكروا، ولهذا أمر الله نبيه محمدًا - صلى الله عليه وسلم - أن يقول لهم: قد جاءكم رسل من قبلي بالبراهين الواضحة على صدقهم، وبالذي ذكرتم من القُربان الذي تحرقه نار من السماء، فلِمَ كذبتموهم وقتلتموهم إن كنتم صادقين فيما تقولون؟!.(5)

* * *

يَعْنِي:- هؤلاء اليهود حين دُعُوا إلى الإسلام قالوا: إن الله أوصانا في التوراة ألا نصدِّق مَن جاءنا يقول: إنه رسول من الله، حتى يأتينا بصدقة يتقرب بها إلى الله، فتنزل نار من السماء فتحرقها. قل لهم أيها

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (182). المحقق: (أسعد محمد الطيب).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (182).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (182). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – . .

(4) انظر: (أيسر التفاسير) للشيخ: (أسعد محمود حومد). في سورة (آل عمران)) الآية (182).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (74/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

الرسول- ﷺ :-أنتم كاذبون في قولكم" لأنه قد جاء آباءكم رسلٌ من قبلي بالمعجزات والدلائل على صدقهم، وبالذي قلتم من الإتيان بالقربان الذي تأكله النار، فَلِمَ قَتَلَ آباؤكم هؤلاء الأنبياء إن كنتم صادقين في دعواكم؟.(1)

* * *

يَعْنِي:- إنهم هم الذين قالوا: إن الله أمرنا فى التوراة ألا نؤمن مذعنين لرسول إلا إذا دلَّ على صدقه بأن يأتينا بشئ يقربه لوجه الله وتنزل نار من السماء فتأكله، فقل لهم أيها النبى ﷺ :-إن رسلا من الله قد جاءوا من قبل بالأدلة الواضحة، وجاءوا بما اقترحتم، ومع ذلك كذبتموهم وقتلتموهم. فلم فعلتم ذلك إن كنتم صادقين فى وعدكم بالإيمان عندما يتحقق ما تريدون؟.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{عَهِدَ إِلَيْنَا} ... أمرنا ووصانا في كتابنا "التوراة".

{عَهِدَ إِلَيْنَا} ... أمرنا فى التوراة وأوصانا بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة، وهو أن يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله، وكانت تلك معجزة أنبياء بنى إسرائيل، وهذه وسائر الآيات سواء.

{أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ} ... أي: لا نتابعه، على ما جاء به ولا نصدقه في نبوته.

{بِقُرْبَانٍ} ... بِصَدَقَةٍ يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللهِ.

(أي: مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إلى اللهِ مِنْ حَيَوانٍ وَغَيْرِه).

{بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ} ... القربان: ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى من حيوانٍ وغيرِه، يُوضَعُ في مكانٍ فَتَنْزِلُ عَلَيْهِ نارٌ بيضاءُ من السماء فَتَحْرِقُهُ.

{بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ} ... القربان: ما يتقرب به إلى الله تعالى من حيوان وغيره يوضع في مكان فتنزل عليه نار بيضاء من السماء فتحرقه.

{قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ} ...أي: إن أنبياءهم جاءوهم بالبينات الكثيرة التي أوجبت عليهم التصديق وجاءوهم أيضا بهذه الآية التي اقترحوها.

{بِالْبَيِّنَاتِ} ... الآيات والمُعْجِزَات الوَاضِحَة.

{وَبِالَّذِي قُلْتُمْ} ... أي: من القربان.

{فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ} ... الاستفهام للتوبيخ، ومن قتلوا من الأنبياء: زكريا ويحي علىهما السلام.

{فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ... أي: فلم قتلوهم إن كانوا صادقين، أي أن الإيمان يلزمهم بإتيانها.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {183}قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا} الْآيَةَ،

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (74/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (100/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

نَزَلَتْ فِي (كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَمَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ وَوَهْبِ بْنِ يَهُوذَا وَزَيْدِ بْنِ التَّابُوتِ وَفِنْحَاصَ بْنِ عَازُورَاءَ وَحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ) أَتَوُا النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَهِدَ إِلَيْنَا فِي التَّوْرَاةِ {أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ} يزعم أنه مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، {حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ} فإن جئتنا به صدقناك؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (الَّذِينَ قَالُوا) أَيْ: سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا، وَمَحَلُّ (الَّذِينَ) خَفْضٌ رَدًّا عَلَى الَّذِينَ الْأَوَّلِ، (إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا) أَيْ: أَمَرَنَا وَأَوْصَانَا فِي كُتُبِهِ أَنْ لَا نُؤْمِنَ بِرَسُولٍ، أَيْ: لَا نُصَدِّقَ رَسُولًا يَزْعُمُ أَنَّهُ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النار أضار فَيَكُونُ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِهِ، وَالْقُرْبَانُ، كُلُّ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ نَسِيكَةٍ وصدقة ملأ وعمل صالح، وهو فُعْلَانٌ مِنَ الْقُرْبَةِ، وَكَانَتِ الْقَرَابِينُ وَالْغَنَائِمُ لَا تَحِلُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانُوا إِذَا قَرَّبُوا قُرْبَانًا أَوْ غَنِمُوا غَنِيمَةً جَاءَتْ نَارٌ بَيْضَاءُ مِنَ السَّمَاءِ لَا دُخَانَ لَهَا، وَلَهَا دَوِيٌّ وَحَفِيفٌ، فَتَأْكُلُهُ وَتُحْرِقُ ذَلِكَ الْقُرْبَانَ وَتِلْكَ الْغَنِيمَةَ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَامَةَ الْقَبُولِ، وَإِذَا لَمْ يُقْبَلْ بَقِيَتْ عَلَى حَالِهَا،

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ جَاءَكُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَلَا تُصَدِّقُوهُ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ الْمَسِيحُ وَمُحَمَّدٌ، فَإِذَا أَتَيَاكُمْ فَآمِنُوا بِهِمَا، فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ بِغَيْرِ قُرْبَانٍ،

قَالَ: اللَّهُ تَعَالَى إقامة للحجة عليهم، {قُلْ} يا محمد {قَدْ جَاءَكُمْ} يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، {رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ} من القربان {فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ} ؟ يَعْنِي: زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَسَائِرَ مَنْ قَتَلُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَسْلَافَهُمْ فَخَاطَبَهُمْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِفِعْلِ أَسْلَافِهِمْ {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} معناه تكذيبهم إياك مَعَ علمهم بِصِدْقِكَ، كَقَتْلِ آبَائِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ، مَعَ الْإِتْيَانِ بِالْقُرْبَانِ وَالْمُعْجِزَاتِ،(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ}

من القربان الَّذِي تَأْكُله النَّار" فَلم تؤمنوا بهم وَقَتَلْتُمُوهُمْ {فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إِنَّ اللَّهَ عهد إِلَيْكُم ذَلِك" يَعْنِي بِهِ أوائلهم وَكَانَت الْغَنِيمَة قبل هَذِه الْأمة لَا تحل لَهُم كَانُوا يجمعونها فتنزل عَلَيْهَا نَار من السَّمَاء" فتأكلها.

قَالَ: (مُجَاهِد): وَكَانَ الرجل إِذا تصدق بِصَدَقَة فتقبلت مِنْهُ أنزلت عَلَيْهَا نَار، فَأَكَلتهَا.(2)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {الَّذِينَ قَالُوا} هم

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (183).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمرآن) الآية (183) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

الَّـذين قَـالُوا يَعْنِـي الْيَهُـود {إِنَّ الله عَهِـدَ إِلَيْنَـا} أمرنَـا فِـي الْكتـاب {أَلاَّ نُـؤْمِنَ لِرَسُولٍ} أَن لاَ نصدق أحدا بالرسالة {حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ} يعنون حَتَّى يأتينا بِنَار تَأْكُل القربان كَمَا كَانَت فِي زمن الْأَنْبِيَاء {قُلْ} يَا مُحَمَّد {قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ} بِالْأَمر وَالنَّهْي والعلامات {وَبِالَّذِي قُلْتُمْ} من القربان زَكَرِيَّا وَيحيى وَعِيسَى {فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ} يحيى وزكريا وَقد كَانَ القربان فِي زمانهم {إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} فِي مَقَالَتكُمْ فَقَالُوا مَا قتل آبَاؤُنَا الْأَنْبِيَاء زوراً. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {183 - 184} {الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

يخبر تعالى عن حال هؤلاء المفترين القائلين: {إن الله عهد إلينا} أي: تقدم إلينا وأوصى، {ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار} فجمعوا بين الكذب على الله، وحصر آية الرسل بما قالوه، من هذا الإفك المبين، وأنهم إن لم يؤمنوا برسول لم يأتهم بقربان تأكله النار، فهم -في ذلك- مطيعون لربهم، ملتزمون عهده، وقد علم أن كل رسول يرسله الله، يؤيده من الآيات والبراهين، ما على مثله آمن البشر، ولم يقصرها على ما قالوه، ومع هذا فقد قالوا إفكا لم يلتزموه، وباطلا لم يعملوا به، ولهذا أمر الله رسوله أن يقول لهم: {قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات} الدالات على صدقهم {وبالذي قلتم} بأن أتاكم بقربان تأكله النار {فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين} أي: في دعواهم الإيمان برسول يأتي بقربان تأكله النار، فقد تبين بهذا كذبهم، وعنادهم وتناقضهم. (2)

* * *

قال: الشيخ (أسعد محمود حومد) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (أيسر التفاسير):- (183) - لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- اليَهُودَ إلى الإِسْلاَمِ، رَدَّ عَلَيهِ بَعْضُ رُؤَسَائِهِمْ (مِثْلُ كَعبِ بْنِ الأشْرَفِ، وَمَالِكِ بْنِ الصَّيفِ، وَفَنْحَاسِ بْنِ عَازُوراءَ) قَائِلِينَ: إنَّ اللهَ عَهِدَ إلَيهِمْ فِي كُتُبِهِمْ أنْ لاَ يُؤْمِنُوا لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَ بِمُعْجِزَةٍ، مِنْهَا أنْ يَكُونَ إذا قَرَّبَ قُرْبَاناً إلى اللهِ، (أيْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ) فَتُقُبِّلَ مِنْهُ، تَنْزِلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَحْرُقُ القُرْبَانَ. وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِمْ مُكَذِّباً مَقَالَتَهُمْ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ الكَرِيمِ، قُلْ لَهُمْ: لَقَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ قَبْلِي بِالحُجَجِ وَالبَرَاهِينِ، وَبِنَارٍ تَأْكُلُ القَرَابِينَ المُتَقَبَّلَةَ (وَهُوَ الذِي قَالُوهُ وَطَلَبُوهُ) فَلِمَاذَا قَتَلْتُمُوهُمْ، وَكَذَّبْتُمُوهُمْ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟ (3)

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (183). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (183)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (أيسر التفاسير) للشيخ: (أسعد محمود حومد). في سورة (آل عمران) الآية (183).

* * *

[١٨٤] ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فإن كذبوك أيها النبي - ﷺ - فلا تحزن، فهي عادة الكافرين، فقد كُذب رسل كثر من قبلك، جاؤوا بالأدلة الواضحة، وبالكتب المشتملة على المواعظ والرقائق، والكتاب الهادي بما فيه من الأحكام والشرائع. (1)

* * *

يَعْنِي:- فإن كذَّبك أيها الرسول - ﷺ - هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكفر، فقد كذَّب المبطلون كثيرًا من المرسلين من قبلك، جاءوا أقوامهم بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات، والكتب السماوية التي هي نور يكشف الظلمات، والكتابِ البيِّن الواضح. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإن كذبوك أيها النبى ﷺ - فلا تحزن، فقد سبق قبلك كثيرون كذبهم أقوامهم تعنتاً وعناداً، مع أنهم جاءوا بالأدلة الساطعة والكتب السماوية الدالة على صدق رسالتهم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{جَآءُوا} ... أي: بالبينات، والكتاب.

{بِالْبَيِّنَاتِ} ... أي: بالدلالات.

(أي: الآيات والمعجزات).

{وَالزُّبُرِ} ... الكُتُبِ الكَاشِفَةِ لِلظُّلُمَاتِ. أي: كُتُبِ المَوَاعِظِ وَالزَّوَاجِرِ.

(أي: الكتب، الواحد: زبور).

(أي: جمع زبور وهو الكتاب" كصحف إبراهيم).

{وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} ... الواضح المبين" كالتوراة والزبور والإنجيل.

قيل: {وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} ... أي: الواضح، يعني التوراة والإنجيل. وجمع بين الزبر والكتاب، وهما بمعنى واحد، لاختلاف لفظهما.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: (فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك)

قال: الإمامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنْ كَذَّبُوكَ}.

4605 - حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ حَمْزَةَ، ثنا شَبَابَةُ، ثنا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ (مُجَاهِدٍ) فِي قَوْلِهِ: {فَإِنْ كَذَّبُوكَ} قَالَ: الْيَهُودُ. (4)

* * *

قال: الإمامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-- 4606 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، أَنْبَأَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ النَّرْسِيُّ، ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ (قَتَادَةَ) قَوْلُهُ:

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (74/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (74/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (100/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (184).

(فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ): قَالَ: يُعَزِّي نَبِيَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {جاؤ بِالْبَيِّنَاتِ} .

4607 - حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ بَحْرٍ الْعَسْكَرِيُّ، ثنا حُسَيْنٌ الأَسْوَدُ، ثنا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ، ثنا أَسْبَاطُ بْنُ نَصْرٍ، عَنِ (السُّدِّيِّ)، عَنْ أَصْحَابِهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {بِالْبَيِّنَاتِ} قَالَ: الْحَلالُ وَالْحَرَامُ. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} .

4608 - وَبِهِ عَنِ (السُّدِّيِّ)، عَنْ أَصْحَابِهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَالزُّبُرِ} : كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ. (3)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {الزُّبُرُ} : الكُتُبُ، وَاحِدُهَا (زَبُورٌ)، زَبَرْتُ: كَتَبْتُ. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعلى: {فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ} [آل عمران: 184]، قَرَأَ (ابْنُ عَامِرٍ): (وَبِالزُّبُرِ) أَيْ: بِالْكُتُبِ الْمَزْبُورَةِ، يَعْنِي: الْمَكْتُوبَةَ، وَاحِدُهَا مِثْلَ: رَسُولٍ وَرُسُلٍ، {وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} الْوَاضِحِ الْمُضِيءِ. (5)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ} يَعْنِي: الحجج والكتب {وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} يَعْنِي: الحَلاَلَ وَالْحرام.

قَالَ: (الْحسن): أمر الله نبيه بالصبر وعزاه، وأعلمه أن الرُّسُل قد لقيت في جنب الله أذى. (6)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- فَقَالَ الله: {فَإِن كَذَّبُوكَ} يَا مُحَمَّد بِمَا قلت لَهُم فَلَا تحزن بذلك {فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ من قبلك} كذبهم قَومهمْ {جَاؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ} بِالْأَمر وَالنَّهْي وعلامات النُّبُوَّة {والزبر} وبخبر كتب الْأَوَّلين {وَالْكتاب الْمُنِير} الْمُبين للحَلَال وَالْحرَام. (7)

* * *

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (184).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (184).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (184).

(4) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (آل عمرآن) الآية (184). برقم (ج 4/ ص 159).

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (184).

(6) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمرآن) الآية (184) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

(7) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (184). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قــال: الإمــام (عبــد الــرحمن بــن ناصــر الســعدي) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {184} {فَــإِنْ كَــذَّبُوكَ فَقَــدْ كُــذِّبَ رُسُــلٌ مِــنْ قَبْلِــكَ جَــاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}.

ثــم ســلَّى رســوله - صــلى الله عليــه وســلم -، فقــال: {فــإن كــذبوك فقــد كــذب رسـل مـن قبلـك} أي: هــذه عــادة الظــالمين، ودأبهــم الكفــر بــالله، وتكــذيب رســل الله ولــيس تكــذيبهم لرســل الله، عــن قصــور مــا أتــوا بــه، أو عــدم تــبين حجــة، بــل قــد {جــاءوا بالبينــات} أي: الحجــج العقليــة، والــبراهين النقليــة، {والزبــر} أي: الكتــب المزبــورة المنزلــة مــن الســماء، الــتي لا يمكــن أن يــأتي بهــا غــير الرسل.

{والكتــاب المــنير} للأحكــام الشــرعية، وبيــان مــا اشــتملت عليــه مــن المحاســن العقليــة، ومــنير أيضــا للأخبــار الصــادقة، فــإذا كــان هــذا عــادتهم في عــدم الإيمــان بالرســل، الــذين هــذا وصــفهم، فــلا يحزنــك أمــرهم، ولا يهمنــك شأنهم.(1)

* * *

قــال: الشــيخ (أســعد محمــود حومــد) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- (184) - وَيُعَــزِّي اللهُ رَسُــولَهُ قَــائلاً: إنْ كَــذَّبَكَ هَــؤُلاءِ فَــلاَ يَهمَنَّــكَ ذَلــكَ مِــنْهُمْ، فَلَــكَ أسْــوَةٌ بِمَــنْ جَــاءَ قَبْلَــكَ مِــنَ الرُسُــلِ، الــذِينَ جَــاؤُوا المُكَــذبِينَ مِــنْ أَقْــوَامِهِمْ بِالبَيِّنَــاتِ وَالحجَــجِ وَالبَــرَاهِينِ القَاطِعَــةِ، وَالكُتُــبِ المُنَزَلَــةِ مِــنَ السَّــمَاءِ (الزُّبُــرِ) وَالكِتَــابِ الوَاضِــحِ الجَلِــيِّ (الكِتَــابِ المُــنِيرِ)، وَأَتَــوا بِــالقُرآنِ الــذِي تَأْكُلُــهُ النَّــارُ. فَقُوبِلُــوا مِــنْهُمْ بِالتَّكْــذِيبِ وَالمُعَانَــدَةِ، وَقَتَلُــوا بَعْضَــهُمْ كَزَكَرِيّــا وَيَحْيَــى، وَهَــذَا دَلِيــلٌ عَلَــى أَنَّهُــمْ قَــومٌ غِــلاظُ الأكْبَــادِ، قُسَــاةُ القُلُــوبِ، لاَ يُقِيمُونَ الحقَّ، وَلا يُذْعِنُونَ لَهُ.(2)

* * *

[١٨٥] ﴿ كُــلُّ نَفْــسٍ ذَائِقَــةُ الْمَــوْتِ وَإِنَّمَــا تُوَفَّــوْنَ أُجُــورَكُمْ يَــوْمَ الْقِيَامَــةِ فَمَــنْ زُحْــزِحَ عَــنِ النَّــارِ وَأُدْخِــلَ الْجَنَّــةَ فَقَــدْ فَــازَ وَمَــا الْحَيَــاةُ الــدُّنْيَا إِلا مَتَــاعُ الْغُرُورِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

كــل نفــس مهمــا تكــن لا بــد أن تــذوق المــوت، فــلا يغــتر مخلــوق بهــذه الــدنيا، وفي يــوم القيامــة تعطــون أجــور أعمــالكم كاملــة غــير منقوصــة، فمــن أبعــده الله عــن النــار وأدخلــه الجنــة" فقــد نــال مــا يرجــو مــن الخــير، ونجــا ممــا يخــاف مــن الشــر، ومــا الحيــاة الــدنيا إلا متــاع زائــل، ولا يتعلق بها إلا المخدوع.(3)

* * *

يَعْنِــي:- كــل نفــس لا بــدَّ أن تــذوق المــوت، وبهــذا يرجــع جميــع الخلــق إلى ربهــم" ليحاســبهم. وإنمــا توفَّــون أجــوركم علــى أعمــالكم وافيــة غــير منقوصــة يــوم القيامــة، فمــن أكرمــه ربــه ونجَّــاه مــن النــار وأدخلــه الجنــة فقــد نــال غايــة

(1) انظــر: (تيســير الكــريم الــرَّحمن في تفســير كــلام المنــان) في ســورة (آل عمران) الآية (184)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظــر: (أيســر التفاســير) للشــيخ: (أســعد محمــود حومــد). في ســورة (آل عمران) الآية (184).

(3) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (74/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ما يطلب. وما الحياة الدنيا إلا متعة زائلة، فلا تغترُّوا بها.(1)

* * *

يَعْنِي:- كل نفس تذوق الموت لا محالة، وإذا أصابتكم آلام فى الدنيا فإنما توفون ثوابكم كاملاً يوم القيامة، ومن قارب النار وزحزح عنها فقد نال الفوز، وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل يغرُّ ولا يبقى.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} ... أي: ذائقة موت جسدها، أما هي فإنها لا تموت.

{وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} ... أي: ولا توفون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم، وإنما توفونها يوم قيامكم من قبوركم.

{تُوَفَّوْنَ} ... تعطون جزاء أعمالكم خيراً أو شراً وافية لا نقص فيها.

{تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ} ... تَسْتوفُونَهَا غَيْرَ مَنْقُوصَة.

{فَمَنْ زُحْزِحَ} ... أي: أبعد ونجي.

{زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ} ... نُحِّيَ عَنْهَا.

{زُحْزِحَ} ... أُبعِدَ. أُخرِجَ.

{فَقَدْ فَازَ} ... أي: فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به، ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله، والعذاب السرمد، ونيل رضوان الله والنعيم المخلد.

{فَازَ} ... نجا من مرهوبه وهو النار، وظفر بمرغوبه وهو الجنة.

{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} .... شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه، ثم يتبين له فساده ورداءته.

{الْمَتَاعُ} ... مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ مِمَّا يُبَاعُ وَيُشْرَى.

{مَتَاعُ الْغُرُورِ} ... المتاع: كل ما يستمتع به، والغرور: الخداع، فشبهت الدنيا بمتاع خادع غار صاحبه، لا يلبث أن يضمحل ويذهب.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (ابن كثير): (رحمه الله) – في (تفسيره):-

قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}. يخبر تعالى إخبارا عاما يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت كقوله تعالى: {كل من عليها فان* ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}.

* * *

وأخرجه الإمام (البُخَارِي) – في (صحيحه)، - والإمام (الترمذي) في (سُننه)-(رحمهما الله) - (بسندهما):- عَنْ (أَنَس بْن مَالِك) – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم:- (" لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ (3)) (4) وفي

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (74/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (101/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) الْقَابُ: مَا بَيْنَ مَقْبَض الْقَوْس وَسِيَته.
وَقِيلَ: مَا بَيْنَ الْوَتَر وَالْقَوْس. تحفة الأحوذي - (ج 4 / ص 327).
والمراد: تعظيم شأن الجنة , وأن اليسير منها – وإن قل قدره – خير من مجموع الدنيا بحذافيرها. فيض القدير (ج5/ ص360).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإمَام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2643)،
واخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (1651).

رواية: (مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنْ الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) [1] اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَ مَتَاعُ الْغُرُورِ} ") [2]

* * *

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده): حدثنا عبد بن حميد. حدثنا يزيد بن هارون وسعيد بن عامر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن (أبي هريرة) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ((إن موضع سوط في الجنة لخير من الدنيا وما فيها، اقرءوا إن شئتم: (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)). [3]

* * *

وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) - في (صحيحه)،- و(النسائي) في (سننه)، - والإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بِسندهم):- وعَنْ (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ) [4] قَالَ: (انْتَهَيْتُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:) (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ [5] وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ [6] وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ [7] إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم:- الصَّلَاةَ جَامِعَةً [8]، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: " إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا [9] تَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6199).
وأخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (1651).
(2) أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3013).
(3) أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (5/232-233)، (ح/3013) – (كتاب: التفسير)./ باب: (سورة آل عمران)
قال: الإمام (أبو عيسى): هذا حديث (حسن صحيح).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2/299) – (كتاب: التفسير).(سورة آل عمران).
وقال: صحيح على شرط الإمام (مسلم) ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي).
وعزاه الإمام (لهيثمي) إلى الإمام (الطبراني) في (الأوسط)، وقال: ورجاله رجال الصحيح. (مجمع الزوائد) برقم (10/415)، وعنده: خير مما بين السماء والأرض.
وأخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) - عن (سهل بن سعد) بلفظه ولكن بدون ذكر الآية (الصحيح – (كتاب بدء الخلق)، / باب: (ما جاء في صفة الجنة) برقم (ح 3250).

(4) هو: عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة العائذي الكوفي، الطبقة: (3)، من الوسطى من التابعين، روى له: (مسلم - أبو داود - النسائي - ابن ماجه)، رتبته عند ابن حجر: ثقة.
(5) أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (4191).
(6) الخباء: الخيمة.
(7) هُوَ مِنْ الْمُنَاضَلَة، وَهِيَ الرمي بِالنُّشَّاب. شرح النووي (ج 6 / ص 318)
(8) يُقَالُ: جَشَرْنَا الدَّوَابَّ، إذا أَخْرَجْنَاهَا إِلَى الْمَرْعَى. شرح النووي (ج6/ ص318).
(9) أَيْ: يَصِير بَعْضهَا خَفِيفًا لِعِظَمِ مَا بَعْده. شرح النووي (ج 6 / ص 318)

أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ [1] وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ [2] وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ [3] فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ [4], فَإِنْ جَاءَ آخَرُ [5] يُنَازِعُهُ يُنَازِعُهُ [6] فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ [7] "، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: أَنْشُدُكَ اللهَ, أَأَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -؟ , فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ وَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ, وَوَعَاهُ قَلْبِي , فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ , يَأمُرُنَا أَنْ نَأكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ , وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا [8] وَاللهُ يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ , إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ , وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ , إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [9] ([10]) قَالَ: فَجَمَعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو يَدَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى جَبْهَتِهِ , ثُمَّ نَكَسَ هُنَيَّةً [11] [12] ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ فَقَالَ: أَطِعْهُ [13] فِي طَاعَةِ اللهِ , وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ([14]) [15].

* * *

قال: الإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-- قَوْلُهُ تَعَالَى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت وإنما توفون أجوركم يوم الْقِيَامَةِ}.

4609 - حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ الأوسي، ثنا عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْهَاشِمِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ (عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ) قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَجَاءَتِ التَّعْزِيَةُ، فَجَاءَهُمْ آتٍ يَسْمَعُونَ حِسَّهُ، وَلا يَرَوْنَ شَخْصَهُ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّ فِي اللَّهِ عَزَاءً مِنْ كُلِّ هَالِكٍ، وَدَرْكًا مِنْ كُلِّ مَا فَاتَ فَبِاللَّهِ فَثِقُوا، وَإِيَّاهُ فَارْجُوا، فَإِنَّ الْمُصَابَ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابَ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. قَالَ:

---

(1) هَذِهِ قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ يَنْبَغِي الِاعْتِنَاءُ بِهَا، وَهِيَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَلْزَمُهُ أَلَّا يَفْعَلَ مَعَ النَّاسِ إِلَّا مَا يُحِبُّ أَنْ يَفْعَلُوهُ مَعَهُ. شرح النووي على مسلم - (ج 6 / ص 318).

(2) الصَّفْقَةُ: الْمَرَّةُ مِنَ التَّصْفِيقِ بِالْيَدِ , لِأَنَّ الْمُتَبَايِعَيْنِ يَضَعُ أَحَدُهُمَا يَدَهُ فِي يَدِ الْآخَرِ عِنْدَ يَمِينِهِ وَبَيْعَتِهِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُتَبَايِعَانِ. عون المعبود - (ج 9 / ص 289).

(3) (ثَمَرَةَ قَلْبِهِ): كِنَايَةٌ عَنِ الْإِخْلَاصِ فِي الْعَهْدِ وَالْتِزَامِهِ. عون (ج 9 / ص 289).

(4) أَيْ: الْإِمَام.

(5) أَيْ: جَاءَ إِمَام آخَر.

(6) أَيْ: يُنَازِع الْإِمَام الْأَوَّل أَوْ الْمُبَايِع.

(7) أَيْ: ادْفَعُوا الثَّانِي، فَإِنَّهُ خَارِجٌ عَلَى الْإِمَام، فَإِنْ لَمْ يَنْدَفِع إِلَّا بِحَرْبٍ وَقِتَالٍ , فَقَاتِلُوهُ، فَإِنْ دَعَتْ الْمُقَاتَلَةُ إِلَى قَتْلِهِ , جَازَ قَتْلُهُ , وَلَا ضَمَانَ فِيهِ , لِأَنَّهُ ظَالِمٌ مُتَعَدٍّ فِي قِتَاله. شرح النووي على الإمَامْ (مُسْلِم) - (ج 6 / ص 318).

(8) الْمَقْصُود بِهَذَا الْكَلَام: أَنَّ هَذَا الْقَائِل لَمَّا سَمِعَ كَلَام عَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاص، وَذَكَرَ الْحَدِيث فِي تَحْرِيم مُنَازَعَة الْخَلِيفَة الْأَوَّل، وَأَنَّ الثَّانِي يُقْتَل، فَاعْتَقَدَ هَذَا الْقَائِل هَذَا الْوَصْف فِي مُعَاوِيَة , لِمُنَازَعَتِهِ عَلِيًّا - رضي الله عنه - وَكَانَتْ قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَة عَلِيّ , فَرَأَى هَذَا أَنَّ نَفَقَةَ مُعَاوِيَةَ عَلَى أَجْنَادِهِ وَأَتْبَاعِهِ فِي حَرْبِ عَلِيّ , وَمُنَازَعَتِهِ وَمُقَاتَلَتِهِ إِيَّاهُ , مِنْ أَكْلِ الْمَال بِالْبَاطِلِ، وَمِنْ قَتْلِ النَّفْس، لِأَنَّهُ قِتَالٌ بِغَيْرِ حَقّ، فَلَا يَسْتَحِقّ أَحَدٌ مَالًا فِي مُقَاتَلَته. شرح النووي على الإمَامْ (مُسْلِم) (ج 6 / ص 318).

(9) {النساء: 29}.

(10) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1844).

(11) أَيْ: خَفَضَ رَأسَهُ وَطَأطَأَ إِلَى الْأَرْض عَلَى هَيْئَة الْمَهْمُوم. عون (ج9ص 289).

(12) أَيْ: قَلِيلًا.

(13) أَيْ: مُعَاوِيَة.

(14) هَذَا فِيهِ دَلِيل لِوُجُوبِ طَاعَة الْمُتَوَلِّينَ لِلْإِمَامَةِ بِالْقَهْرِ , مِنْ غَيْر إِجْمَاع وَلَا عَهْد. شرح النووي على الإمَامْ (مُسْلِم) - (ج 6 / ص 318).

(15) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (6503).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1844).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (آل عمران) الآية (185)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ): أَخْبَرَنِي (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) قَالَ: تَدْرُونَ مَنْ هَذَا؟ هَذَا الْخِضْرُ.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (ابنُ أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-- قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}.

4610 - حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (ابنُ أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ}

4613 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، ثنا عَمْرٌو يَعْنِي: ابْنَ حُمْرَانَ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ (قَتَادَةَ): {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ}: هِيَ مَتَاعٌ مَتْرُوكٌ أَوْشَكَتْ وَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ أَنْ تَضْمَحِلَّ عَنْ أَهْلِهَا فَخُذُوا مِنْ هَذَا الْمَتَاعِ طَاعَةَ اللَّهِ - إِنِ اسْتَطَعْتُمْ - وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (ابنُ أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-- 4614 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي مُوسَى، ثنا هَارُونُ بْنُ حَاتِمٍ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَمَّادٍ، عَنْ أَسْبَاطٍ، عَنِ (السُّدِّيِّ)، عَنْ (أَبِي مَالِكٍ) قَوْلَهُ: {الْغُرُورِ} يَعْنِي: زِينَةَ الدُّنْيَا.(4)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {185} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {كُلُّ نَفْسٍ} منفوسة {ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ} تُوفَّوْنَ جَزَاءَ أَعْمَالِكُمْ، {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فشر، {فَمَنْ زُحْزِحَ} نحي وأزيل، {عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ} يَعْنِي مَنْفَعَةً وَمُتْعَةً كَالْفَأْسِ وَالْقِدْرِ والقصعة، ثم يزول ولا يبقى،

وَقَالَ: (الْحَسَنُ): كَخُضْرَةِ النَّبَاتِ وَلَعِبِ الْبَنَاتِ لَا حَاصِلَ لَهُ،

قَالَ: (قَتَادَةُ): هِيَ مَتَاعٌ مَتْرُوكَةٌ يُوشِكُ أَنْ تَضْمَحِلَّ بِأَهْلِهَا، فَخُذُوا مِنْ هَذَا الْمَتَاعِ بِطَاعَةِ اللَّهِ مَا استطعتم، والغرور الباطل.(5)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (185).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (185). المحقق: (أسعد محمد الطيب).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (185). المحقق: (أسعد محمد الطيب).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (185). المحقق: (أسعد محمد الطيب).

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (185).

{الْغُرُور} عَزَّى الله رَسُوله وَالْمُؤمنِينَ عَن الدُّنْيَا، وَأخْبرهمْ أَن ذَلِك يصير بَاطِلا. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- ثمَّ ذكر مَوْتهمْ وَمَا بعد الْمَوْت فَقَالَ: {كُلُّ نَفْسٍ} منفوسة، {ذَآئِقَةُ الْمَوْت} تذوق الْمَوْت {وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ} توفون، {أُجُورَكُمْ} ثَوَاب أَعمالكُم، {يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ} عزل ونحي وأبعد، {عَنِ النَّار} بِالتَّوْحِيدِ وَالْعَمَل الصَّالح، {وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} بِالْجنَّةِ وَمَا فِيهَا وَنَجا من النَّار وَمَا فِيهَا، {وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} لَيْسَ مَا فِي الدُّنْيَا من النَّعيم، {إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور} إِلاَّ كمتاع الْبَيْت فِي بَقَائِه مثل الخزف والزجاجة وَغير ذَلِك. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {185} {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الْغُرُورِ}.

هذه الآية الكريمة فيها التزهيد في الدنيا بفنائها وعدم بقائها، وأنها متاع الغرور، تفتن بزخرفها، وتخدع بغرورها، وتغر بمحاسنها، ثم هي منتقلة، ومنتقل عنها إلى دار القرار، التي توفى فيها النفوس ما عملت في هذه الدار، من خير وشر.

{فمن زحزح} أي: أخرج، {عن النار وأدخل الجنة فقد فاز} أي: حصل له الفوز العظيم من العذاب الأليم، والوصول إلى جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومفهوم الآية، أن من لم يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فإنه لم يفز، بل قد شقي الشقاء الأبدي، وابتلي بالعذاب السرمدي.

وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه، يفهم هذا من قوله: {وإنما توفون أجوركم يوم القيامة} أي: توفية الأعمال التامة، إنما يكون يوم القيامة، وأما ما دون ذلك فيكون في البرزخ، بل قد يكون قبل ذلك في الدنيا كقوله تعالى: {ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر}. (3)

* * *

قال: الشيخ (أسعد محمود حومد) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {185} {كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلا مَتاعُ الْغُرُورِ}. يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ سَتَذُوقُ طَعْمَ المَوْتِ، وَتُحِسُّ بِمُفَارَقَةِ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ. وَاسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الآيَةِ عَلَى أنَّ الأَرْوَاحَ لاَ تَمُوتُ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (185) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي)،

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (185). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (185)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

بِمَوتِ البَدَنِ، لأنَّ الذَّوْقَ شُعُورٌ لا يُحِسُّ بِهِ إلاَّ الحَيُّ، وَهُوَ تَعَالَى وُحْدَهُ الحَيُّ الذِي لا يَمُوتُ. وَيَوْمَ القِيامَةِ يُحْشَرُ النَّاسُ إلى اللهِ، وَتُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ أجُورَهَا عمَّا اكْتَسَبَتْهُ مِنْ أعْمَالٍ، فَمَنْ جُنِّبَ النَّارَ، وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ، فَقَدْ فَازَ كُلَّ الفَوْزِ.
وَالحَيَاةُ الدُّنْيَا لَيْسَتْ إلاَّ مَتَاعاً تَافِهاً زَائِلاً، صَاحِبُهُ مَغْرُورٌ مَخْدُوعٌ، وَهُوَ مَتَاعٌ مَتْرُوكٌ يُوشِكُ أنْ يَضْمَحِلَّ عَنْ أهْلِهِ. (1)

* * *

[١٨٦] ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لتختبرنّ أيها المؤمنون- في أموالكم، بأداء الحقوق الواجبة فيها، وبما ينزل بها من مصائب، ولتختبرُنّ في أنفسكم بالقيام بتكاليف الشريعة، وما ينزل بكم من أنواع البلاء، ولتسمعُنّ من الذين أعطوا الكتب من قبلكم ومن الذين أشركوا شيئًا كثيرًا مما يؤذيكم من الطعن فيكم وفي دينكم، وإن تصبروا على ما يصيبكم من أنواع المصائب والابتلاءات، وتتقوا الله بفعل ما أمر وترك ما نهى، فإن ذلك من الأمور التي تحتاج إلى عزم، ويتنافس فيها المتنافسون. (2)

* * *

يَعْنِي:- لَتُخْتَبَرُنَّ أيها المؤمنون- في أموالكم بإخراج النفقات الواجبة والمستحبَّة، وبالجوائح التي تصيبها، وفي أنفسكم بما يجب عليكم من الطاعات، وما يحلُّ بكم من جراح أو قتل وفَقْد للأحباب، وذلك حتى يتميَّز المؤمن الصادق من غيره. ولَتَسمعُنَّ من اليهود والنصارى والمشركين ما يؤذي أسماعكم من ألفاظ الشرك والطعن في دينكم. وإن تصبروا أيها المؤمنون- على ذلك كله، وتتقوا الله بلزوم طاعته واجتناب معصيته، فإن ذلك من الأمور التي يُعزم عليها، وينافس فيها. (3)

* * *

يَعْنِي:- تأكدوا أيها المؤمنون - أنكم ستختبرون فى أموالكم بالنقص أو الإنفاق، وفى أنفسكم بالجهاد وبالأمراض والآلام. وأنكم ستسمعون من اليهود والنصارى والمشركين كثيراً مما يؤذيكم من السب والطعن، فعليكم أن تقابلوا ذلك بالصبر وتقوى الله، لأن ذلك من الأمور الصالحة التى يجب العزم على تنفيذها. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير) للشيخ: (أسعد محمود حومد). في سورة (آل عمران) الآية (185).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (74/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (74/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (101/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} ... البلاء في الأنفس: القتل والأسر والجراح، وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب.

وفي الأموال: الإنفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات.

{وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا} .... ما كانوا يسمعونه من أهل الكتاب وممن أشركوا من المطاعن في الدين، وصد عن الإيمان، وتخطئة لمن آمن.

{فَإِنْ ذلِكَ} ... فإن الصبر والتقوى.

{مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} ... من معزومات الأمور، أي مما يجب العزم عليه من الأمور، أو مما عزم الله أن يكون.

أي. إن ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم أن تصبروا وتتقوا.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {186} {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}.

يخبر تعالى ويخاطب المؤمنين أنهم سيبتلون في أموالهم من النفقات الواجبة والمستحبة، ومن التعريض لإتلافها في سبيل الله، وفي أنفسهم من التكليف بأعباء التكاليف الثقيلة على كثير من الناس، كالجهاد في سبيل الله، والتعرض فيه للتعب والقتل والأسر والجراح، وكالأمراض التي تصيبه في نفسه، أو فيمن يحب.

{ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، ومن الذين أشركوا أذى كثيرا} من الطعن فيكم، وفي دينكم وكتابكم ورسولكم.

وفي إخباره لعباده المؤمنين بذلك، عدة فوائد:

منها: أن حكمته تعالى تقتضي ذلك، ليتميز المؤمن الصادق من غيره.

ومنها: أنه تعالى يقدر عليهم هذه الأمور، لما يريده بهم من الخير ليعلي درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، وليزداد بذلك إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فإنه إذا أخبرهم بذلك ووقع كما أخبر {قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما}.

ومنها: أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع" لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهون عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته، ويلجأون إلى الصبر والتقوى، ولهذا قال: {وإن تصبروا وتتقوا} أي: إن تصبروا على ما نالكم في أموالكم وأنفسكم، من الابتلاء والامتحان وعلى أذية الظالمين، وتتقوا الله في ذلك الصبر بأن تنووا به وجه الله والتقرب إليه، ولم تتعدوا في صبركم الحد الشرعي من الصبر في موضع لا يحل لكم فيه الاحتمال، بل وظيفتكم فيه الانتقام من أعداء الله.

{فإن ذلك من عزم الأمور} أي: من الأمور التي يعزم عليها، وينافس فيها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم والهمم العالية كما قال

تعـالى: {ومـا يلقاهـا إلا الـذين صـبروا، ومـا يلقاها إلا ذو حظ عظيم}. (1)

* * *

قـال: الإمَـام (محمـد الأمـين الشـنقيطي) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- قولـه تعـالى: {لَتُبْلَـوُنَّ فِـي أَمْـوَالِكُمْ وَأَنْفُسِـكُمْ وَلَتَسْـمَعُنَّ مِـنَ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ مِـنْ قَـبْلِكُمْ وَمِـنَ الَّـذِينَ أَشْـرَكُوا أَذًى كَـثِيرًا وَإِنْ تَصْـبِرُوا وَتَتَّقُـوا فَـإِنَّ ذَلِـكَ مِـنْ عَـزْمِ الْـأُمُورِ} ذكـر في هـذه الآيـة الكريمـة أن المـؤمنين سـيبتلون في أمـوالهم وأنفسـهم، وسيسـمعون الأذى الكـثير مـن أهـل الكتـاب والمشـركين، وأنهـم إن صـبروا علـى ذلـك الـبلاء والأذى واتقـوا الله، فـإن صـبرهم وتقـاهم مـن عـزم الأمـور، أي: مـن الأمـور الـتي ينبغـي العـزم والتصـميم عيهـا لوجوبهـا. وقـد بـين في موضـع آخـر أن مـن جملـة هـذا الـبلاء: الخـوف والجـوع وأن الـبلاء في الأنفـس والأمـوال هـو الـنقص فيهـا، وأوضـح فيـه نتيجـة الصـبر المشـار إليهـا هنا بقوله: {فإن ذلك من عزم الأمور}.

وذلـك الموضـع هـو قولـه تعـالى: {ولنبلـونكم بشـيء مـن الخـوف والجـوع ونقـص مـن الأمـوال والأنفـس والثمـرات وبشـر الصـابرين. الـذين إذا أصـابتهم مصـيبة قـالوا إنـا لله وإنـا إليـه راجعـون. * أولئـك علـيهم صـلوات مـن ربهـم ورحمة وأولئك هم المهتدون}. (2)

* * *

قـال: الإمَـامُ (البغـوي) – (مُحيـي السُـنَّة) –(رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {186} {لَتُبْلَـوُنَّ فِـي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ}

(لَتُبْلَـوُنَّ) لتختـبرن، الـلامُ لِلتَّأْكِيـدِ، وَفِيـهِ مَعْنَـى الْقَسَـمِ، وَالنُّـونُ لِتَأْكِيـدِ الْقَسَـمِ (فِـي أَمْـوَالِكُمْ) بِـالْجَوَائِحِ وَالْعَاهَـاتِ وَالْخُسْـرَانِ (وَأَنْفُسِـكُمْ) بِالْـأَمْرَاضِ، يَعْنِـي:- بِمَصَـائِبِ الْأَقَارِبِ وَالْعَشَائِرِ،

قَـالَ: (عَطَـاءٌ): هُـمُ الْمُهَـاجِرُونَ أَخَـذَ الْمُشْرِكُونَ أَمْوَالَهُمْ وَرِبَاعَهُمْ وَعَذَّبُوهُمْ،

وَقَـالَ: (الْحَسَـنُ): هـو مـا فـرض علـيهم مـن أَمْـوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ مِـنَ الْحُقُـوقِ، كَالصَّـلَاةِ وَالصِّـيَامِ وَالْحَـجِّ وَالْجِهَـادِ وَالزَّكَـاةِ، {وَلَتَسْـمَعُنَّ مِـنَ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ مِـنْ قَـبْلِكُمْ} يَعْنِـي: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى،

{وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا} يَعْنِي: مُشْرِكِي الْعَرَبِ،

{أَذًى كَـثِيرًا وَإِنْ تَصْـبِرُوا} علـى أذاهـم.

{وَتَتَّقُوا} اللَّهَ،

{فَـإِنَّ ذَلِـكَ مِـنْ عَـزْمِ الْـأُمُورِ} مِـنْ حَـقِّ الْـأُمُورِ وَخَيْرِهَا،

وَقَالَ: (عطاء): من حقيقة الإيمان. (3)

* * *

قـال: الإمـام (البخـاري ومسـلم) – (رحمهمـا الله) – في (صـحيحهما) – (بسـندهما):- عَـنْ أُسَـامَةَ بْـنِ زَيْـدٍ – رضـي الله عنهمـا – قَـالَ: (" رَكِـبَ رَسُـولُ اللَّه – صـلى الله عليـه وسـلم – حِمَـارًا عَلَيْـهِ إِكَـافٌ (4) تَحْتَـهُ قَطِيفَـةٌ (5) فَدَكِيَّـةٌ (6)

(1) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (آل عمرآن) الآية (186)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظـر: (أضـواء البيـان في إيضـاح القـرآن بـالقرآن) للشـيخ (محمـد الأمـين الشنقيطي). من سورة (آل عمرآن) الآية (186).

(3) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإمَـامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (186).

(4) الإكاف: البرذعة.

(5) القطيفة: كساء أو فراش له أهداب.

(6) فَدَكِيَّـة: أي مـن صـنع فَـدَك، وهـي بلـدة مشـهورة، علـى مـرحلتين أو ثلاثـة مـن المدينة

وَأَرْدَفَنِي (1) وَرَاءَهُ وَهُوَ يَعُودُ (2) سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ - رضي الله عنه - فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ " - وَذَلِكَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ - حَتَّى مَرَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ , وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ , وَالْيَهُودِ، وَفِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ - رضي الله عنه - فَلَمَّا غَشِيَتِ (3) الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ (4) الدَّابَّةِ، خَمَّرَ (5) عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ ثُمَّ قَالَ: لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا (6) "فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ"، فَقَالَ: (عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ): أَيُّهَا الْمَرْءُ، لَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا، فَلَا تُؤْذِنَا فِي مَجَالِسِنَا وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ فَقَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: بَلْ اغْشَنَا (7) فِي مَجَالِسِنَا مَجَالِسَنَا , فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ، حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَتَوَاثَبُوا، " فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يُخَفِّضُهُمْ، ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ , فَقَالَ: أَيْ سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟ - يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ - قَالَ كَذَا وَكَذَا " , قَالَ: اعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ وَاصْفَحْ، فَوَاللهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللهُ الَّذِي أَعْطَاكَ، وَلَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ (8) عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ (9) بِالْعِصَابَةِ (10) فَلَمَّا رَدَّ اللهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ، شَرِقَ بِذَلِكَ (11) فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، " فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -) (12) (وَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْأَذَى، قَالَ اللهُ - عز وجل -: {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا , وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} .

وَقَالَ اللهُ: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (13) فَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَتَأَوَّلُ الْعَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ، حَتَّى أَذِنَ اللهُ فِيهِمْ (14) فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بَدْرًا

---

(1) أردفه: حمله خلفه.
(2) العيادة: زيارة المريض.
(3) أيْ: أصابت.
(4) العَجَاجة: الغبار.
(5) خَمَّرَ الشَّيْءَ: غطَّاه وستره.
(6) لا تثيروا علينا الغبار
(7) أيْ: جئ إلينا واحضُرنا , وزُرنا وخَالطنا.
(8) الْبَحْرَة: الْبَلْدَة , وَالْمُنْخَفِض مِنْ الْأَرْض , وَالرَّوْضَة الْعَظِيمَة , وَمُسْتَنْقَع الْمَاء وَاسْم مَدِينَة النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وَقَرْيَة بِالْبَحْرَيْنِ , وَكُلُّ قَرْيَة لَهَا نَهْر جَارٍ وَمَاء نَاقِع , كَذَا فِي الْقَامُوس. عون المعبود - (ج 10 / ص 41).
(9) عَصَّبَه: تَوَّجَه وجعله مَلكا.
(10) العِصابة: العمامة، والمراد أن يُرَئِّسُوهُ عليهم ويُسَوِّدُوه.
(11) أيْ: كرهه وضايقه وغَصَّ به.
(12) أخرجه الإِمَامُ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5899).
وأخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (116) - (1798).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21815).
(13) [البقرة : 109].
(14) أَيْ: أَذِنَ اللهُ فِي قِتَالهمْ، أَيْ: فَتَرَكَ الْعَفْو عَنْهُمْ، وَلَيْسَ الْمُرَاد أَنَّهُ تَرَكَهُ أَصْلًا، بَلْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَرْك الْقِتَال أَوَّلًا , وَوُقُوعه آخِرًا، وَإِلَّا فَعَفْوه - صلى الله عليه وسلم - عَنْ كَثِير مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُود بِالْمَنِّ وَالْفِدَاء , وَصَفْحه عَنْ الْمُنَافِقِينَ مَشْهُور فِي الْأَحَادِيث وَالسِّيَر. فتح الباري - (ج 12 / ص 433).

فَقَتَلَ اللهُ بِهِ صَنَادِيدَ[1] كُفَّارِ قُرَيْشٍ، قَالَ: ابْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ[2] فَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عَلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا).[3][4]

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-- حدثنا أبو زرعة، ثنا عبد الرحمن بن صالح ومحمد بن عبد الله بن نمير قالا: ثنا يوسف يعنيان ابن بكير، ثنا ابن إسحاق، فحدثني محمد ابن أبي محمد. عن (عكرمة) أنه حدثه، عن (ابن عباس) قال: نزل في أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب: (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً)[5][6]

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• من سوء فعال اليهود وقبيح أخلاقهم اعتداؤهم على أنبياء الله بالتكذيب والقتل.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (187) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (188) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194)

• كل فوز في الدنيا فهو ناقص، وإنما الفوز التام في الآخرة، بالنجاة من النار ودخول الجنة.

• من أنواع الابتلاء الأذى الذي ينال المؤمنين في دينهم وأنفسهم من قِبَل أهل الكتاب والمشركين، والواجب حينئذ الصبر وتقوى الله تعالى.[7]

* * *

[١٨٧] ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ

---

(1) الصناديد: سادة الناس، وزعماؤهم، وعظماؤهم، وأشرافهم.

(2) أَيْ: ظَهَرَ وَجْهُه. فتح الباري - (ج 12 / ص 433).

(3) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4290).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (8/78-79)، (ح 4566) – (كتاب: تفسير القرآن) – (سورة آل عمران)، قوله تعالى: (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب). توجه: أقبل (القاموس مادة: وج هـ).

(5) و(حسنه) الإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) في (فتح الباري) برقم (8/231).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (186).

(7) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/74). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكر, أيها النبي - ﷺ - حين أخذ الله العهد المؤكد على علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى" لتوضِّحُنَّ للناس كتاب الله، ولا تكتمون ما فيه من الهدى، ولا ما دل عليه من نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، فما كان منهم إلا أن طرحوا العهد، ولم يلتفتوا إليه، فكتموا الحق وأظهروا الباطل، واستبدلوا بعهد الله ثمنًا زهيدًا، كالجاه والمال الذي قد ينالونه، فبئس هذا الثمن الذي يستبدلونه بعهد الله. (1)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها الرسول- ﷺ - إذ أخذ الله العهد الموثق على الذين آتاهم الله الكتاب من اليهود والنصارى، فلليهود التوراة وللنصارى الإنجيل" ليعملوا بهما، ويبينوا للناس ما فهما، ولا يكتموا ذلك ولا يخفوه، فتركوا العهد ولم يلتزموا به، وأخذوا ثمنا بخسًا مقابل كتمانهم الحق وتحريفهم الكتاب، فبئس الشراء يشترون، في تضييعهم الميثاق، وتبديلهم الكتاب. (2)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها النبى - ﷺ - إذ أخذ الله العهد المؤكد على أهل الكتاب أن يوضحوا معانيه، وألا يخفوا شيئاً من آياته عن الناس، فألقوه وراء ظهورهم نابذين له، واستبدلوا به متاع الدنيا طالبين له، ومتاع الدنيا مهما يكن كالثمن البخس الحقير فى مقابل الهداية والإرشاد فقبحاً لما فعلوا. (3) فعلوا. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ} ... واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب.

{ميثاق} ... العهدُ المؤكَّد بِالْيَمِين.

{وَلَا تَكْتُمُونَهُ} ... إخفاءُ الشيء حتى لا يُرى ولا يُعلَم.

{لَتُبَيِّنُنَّهُ} ... الضمير للكتاب. أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل إذا عزم وقيل له: آلله لتفعلن.

{فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} ... فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم، يعنى لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه.

والنبذ وراء الظهر مثل فى الطرح وترك الاعتداد.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

وانظر: في تفسير سورة -(البقرة) - آية (159-160).

- كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/75). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/75)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/101)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)}.

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - و الإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - من طريق (ابن إسحاق) - عن (ابن عباس) قال: قوله تعالى: {وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه} إلى قوله: {عذاب أليم} يعني: فنحاص وأشيع وأشباههما من الأحبار. (1)(2)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا زهير بن حرب وهارون بن عبد الله (واللفظ لزهير) قالا: حدثنا حجّاج بن محمد عن ابن جريج. أخبرني (ابن أبي مليكة)" أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره، أن مروان قال: اذهب. يا رافع! (لبوّابه) إلى (ابن عباس) فقل: لئن كان كل امرئ منّا فرح بما أتَى، وأحبّ أن يُحمد بما لم يفعل، معذّباً لنُعذّبن أجمعون، قال: (ابن عباس): ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب. ثم تلا (ابن عباس): (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) هذه الآية. وتلا ابن عباس: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أَتَوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا). وقال (ابن عباس): سألهم النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن شيء، فكتموه إيّاه. وأخبروه بغيره. فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه. واستحمدوا بذلك إليه. وفرحوا بما أَتَوا، من كتمانهم إياه، ما سألهم عنه. (3) (4)

* * *

قال: الإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): {وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم} الآية، هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم، فإن كتمان العلم هلكة، ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به، فيخرج من دين الله فيكون من المتكلفين، كان يقال: ((مثل علم لا يقال به، كمثل كنز لا ينفق منه! ومثل حكمة لا تخرج، كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب (وكان يقال) طوبى لعالم ناطق، وطوبى لمستمع واع)). هذا رجل علم علماً فعلمه وبذله ودعا إليه، ورجل سمع خيراً فحفظه ووعاه وانتفع به.

* * *

قال: الإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا إدريس أبو أسامة، والسياق لابن إدريس، عن يحيى بن أيوب الهجلي، عن (الشعبي) في قوله: (فنبذوه وراء ظهورهم) قال: قد كانوا يقرأونه ولكنهم نبذوا العمل به.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (187).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (187).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (4/2143)، (ح 2778) - (كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (ح 4568) - (كتاب: تفسير القرآن)،/، باب: (ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا).

ورجاله ثقات إلا (يحيى) لا بأس به (فالإسناد حسن).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): {فبئس ما يشترون} قال: تبديل اليهود التوراة.(1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- عن (أبي هريرة): والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئاً أبداً {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ (159) إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)}.(2)(3)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {187} {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ} قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ وَأَبُو بَكْرٍ بِالْيَاءِ فِيهِمَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ)، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ فِيهِمَا عَلَى إِضْمَارِ الْقَوْلِ، {فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} أَيْ: طَرَحُوهُ وَضَيَّعُوهُ وَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِهِ، {وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} يَعْنِي الْمَآكِلَ وَالرُّشَا {فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} قَالَ: (قَتَادَةُ): هَذَا مِيثَاقٌ أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ فَمَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيُعَلِّمْهُ، وَإِيَّاكُمْ وَكِتْمَانَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ هَلَكَةٌ، وَقَالَ: (أَبُو هُرَيْرَةَ) -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَوْلَا مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ.(4)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لتبيننه للنَّاس} الْآيَةَ، هَذَا ميثاق أَخذه الله على الْعلمَاء من أهل الْكتاب" أَن يبينوا للنَّاس مَا فِي كتابهمْ، وَفِيه رَسُول الله وَالْإِسْلَام.

{فنبذوه وَرَاء ظُهُورهمْ} وَكَتَبُوا كتبا بِأَيْدِيهِم" فحرفوا كتاب الله.

{وَاشْتَروْا بِهِ ثمنًا قَلِيلا} يَعْنِي: مَا كَانُوا يصيبون عَلَيْهِ من عرض الدُّنْيَا.

{فَبِئْسَ مَا يشْتَرونَ} اشْتَروا النَّار بِالْجنَّةِ.(5)

* * *

وقال: الإمام (البُخَاري و مُسلِم) - (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما):- عَنْ (عَلْقَمَةَ بْنِ

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (187).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (ح 2350) - (كتاب : الحرث والمزارعة- في الغوص).

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ح 2492) - (كتاب : فضائل الصحابة)،/ باب: (من فضائل أبي هريرة -رضي الله عنه).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (187).

(5) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (آل عمران) الآية (187) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

وَقَّاصٍ) قَالَ: (قَالَ مَرْوَانُ لِبَوَّابِهِ[1]: اذْهَبْ يَا رَافِعُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - فَقُلْ لَهُ: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ فَرِحَ بِمَا أُوتِيَ، وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّبًا، لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ)[2] (فَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): مَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ الْآيَةِ؟، إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ)[3] (" دَعَا رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يَهُودَ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ "، فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ، وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ)[4] (فَخَرَجُوا وَقَدْ أَرَوْهُ أَنَّهُمْ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ، فَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ)[5] (بِمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيمَا سَأَلَهُمْ، وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ)[6] (إِيَّاهُ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ)[7] (ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ})[8].

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- ثُمَّ ذكر ميثاقه على أهل الْكتاب فِي الْكتاب بِبَيَان صفة نبيه ونعته فَقَالَ {وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ الَّذين أُوتُوا الْكتاب} أعْطوا الْكتاب يَعْنِي التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل {لَتُبَيِّنُنَّهُ} صفة مُحَمَّد ونعته {لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ} لَا تكتمون صفة مُحَمَّد ونعته فِي الْكتاب {فَنَبَذُوهُ} فطرحوا كتاب الله وَعَهده {وَرَاء} خلف {ظُهُورهمْ} وَلم يعلمُوا بِهِ {وَاشْتَرَوا بِهِ} بكتمان صفة مُحَمَّد ونعته فِي الْكتاب {ثَمَناً قَلِيلاً} عرضا يَسِيرا من المأكلة {فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} يختارون لأنْفُسِهِمْ الْيَهُودِيَّة وكتمان صفة مُحَمَّد ونعته.[9]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {187} {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}. الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه

---

(1) وَظِيفَةُ الْبَوَّابِ أَوْ الْحَاجِبِ: أَنْ يُطَالِعَ الْحَاكِمَ بِحَالِ مَنْ حَضَرَ، وَلَا سِيَّمَا مِنْ الْأَعْيَانِ، لِاحْتِمَالِ أَنْ يَجِيءَ مُخَاصِمًا، وَالْحَاكِمُ يَظُنُّ أَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا، فَيُعْطِيهِ حَقَّهُ مِنْ الْإِكْرَامِ الَّذِي لَا يَجُوزُ لِمَنْ يَجِيءُ مُخَاصِمًا. نيل الأوطار (ج13/ص323).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (4292).
وأخرجه الإمام (مُسلم) في (صحيحه) برقم (8) - (2778).

(3) أخرجه الإمام (مُسلم) في (صحيحه) برقم (8) - (2778).
(4) أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (4292).
(5) أخرجه الإمام (مُسلم) في (صحيحه) برقم (8) - (2778).
(6) أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (4292).
(7) أخرجه الإمام (مُسلم) في (صحيحه) برقم (8) - (2778).

(8) أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (4292).
وأخرجه الإمام (مُسلم) في (صحيحه) برقم (8) - (2778).
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3014).
وأخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (2712).
(9) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (آل عمران) الآية (187). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{الله}الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصا إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل.

فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق، وخوفا من إثم الكتمان.

وأما الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصارى ومن شابههم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبأوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرؤا على محارم الله، وتهاونوا بحقوق الله، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمنا قليلا وهو ما يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات، والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواتهم على الحق، {فبئس ما يشترون} لأنه أخس العوض، والذي رغبوا عنه -وهو بيان الحق، الذي فيه السعادة الأبدية، والمصالح الدينية والدنيوية- أعظم المطالب وأجلها، فلم يختاروا الدنيء الخسيس ويتركوا العالي النفيس، إلا لسوء حظهم وهوانهم، وكونهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لم يبين هنا ما اللاعنون ولكنه أشار إلى ذلك في قوله: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} {البقرة: 161}. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) -عن (مجاهد): (وَيَلْعَنُهُمُ اللَاعِنُونَ) قال: اللاعنون: البهائم. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) -عن (قتادة): (وَيَلْعَنُهُمُ اللَاعِنُونَ): من ملائكة الله ومن المؤمنين. (4)

المؤمنين. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتاده): في قوله تعالى: (إِلَا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا) يقول: أصلحوا فيما بينهم وبين الله، وبينوا الذي جاءهم من الله فلم يكتموه ولم يجحدوا به، أولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم. (5)

* * *

[١٨٨] ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (187)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (البقرة) الآية (159).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (159).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (159).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (160).

بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لا تظنن يا أيها النبي - ﷺ - أن الذين يفرحون بما فعلوا من القبائح، ويحبون أن يمدحهم الناس بما لم يفعلوه من الخير، لا تظننهم بمَنْجاة من العذاب وسلامة، بل محلهم جهنم، ولهم فيها عذاب موجع. (1)

* * *

ولا تظنن الذين يفرحون بما أَتَوا من أفعال قبيحة كاليهود والمنافقين وغيرهم، ويحبون أن يثني عليهم الناس بما لم يفعلوا، فلا تظنهم ناجين من عذاب الله في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب موجع. وفي الآية وعيد شديد لكل آت لفعل السوء معجب به، ولكل مفتخر بما لم يعمل، ليُثنيَ عليه الناس ويحمدوه. (2)

* * *

لا تظنن الذين يفرحون دائماً بما يأتون من أفعال قبيحة ويحبون الثناء بما لم يفعلوه، لا تظنن هؤلاء بمنجاة من العذاب، لأن من شأنهم أن يغلقوا على أنفسهم باب الإيمان والحق كاليهود، ولهم عذاب مؤلم يوم القيامة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لا تَحْسَبَنَّ} ... خطاب لرسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم -.

{الَّذِينَ يَفْرَحُونَ} ... المفعول الأول.

{بِمَا أَتَوْا بما فعلوا} ... وقرىء (آتوا) أي أعطوا.

{فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ} ... تأكيد.

{بِمَفَازَةٍ} ... مفعول ثان، أي بمنجاة.

{بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ} ... بِمَنْجَاةٍ من العذاب في الدنيا. ولهم في الآخرة عذابٌ أليمٌ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- ثم قال تعالى: {لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا} أي: من القبائح والباطل القولي والفعلي.

{وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} أي: بالخير الذي لم يفعلوه، والحق الذي لم يقولوه، فجمعوا بين فعل الشر وقوله، والفرح بذلك ومحبة أن يحمدوا على فعل الخير الذي ما فعلوه.

{فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب} أي: بمحل نجوة منه وسلامة، بل قد استحقوه، وسيصيرون إليه، ولهذا قال: {ولهم عذاب أليم}.

ويدخل في هذه الآية الكريمة أهل الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم، ولم ينقادوا للرسول، وزعموا أنهم هم المحقون في حالهم ومقالهم، وكذلك كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية، وفرح بها، ودعا إليها، وزعم أنه محق وغيره مبطل، كما هو الواقع من أهل البدع.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (75/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (75/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (101/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

ودلت الآية بمفهومها على أن من أحب أن يحمد ويثنى عليه بما فعله من الخير واتباع الحق، إذا لم يكن قصده بذلك الرياء والسمعة، أنه غير مذموم، بل هذا من الأمور المطلوبة، التي أخبر الله أنه يجزي بها المحسنين له الأعمال والأقوال، وأنه جازى بها خواص خلقه، وسألوها منه، كما قال: إبراهيم - عليه السلام:- {واجعل لي لسان صدق في الآخرين} وقال: {سلام على نوح في العالمين، إنا كذلك نجزي المحسنين} وقد قال عباد الرحمن: {واجعلنا للمتقين إماما} وهي من نعم الباري على عبده، ومننه التي تحتاج إلى الشكر.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) عن (مجاهد) في قول الله تعالى: {لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا} قال: يهود، فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياهم عليه، ولا تملك يهود ذلك.(2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا (سعيد بن أبي مريم) حدثنا (محمد بن جعفر) قال: حدثني (زيد ابن أسلم) عن (عطاء بن يسار) عن (أبي سعيد الخدري) - رضي الله عنه :- قَالَ: أَنَّ رِجَالًا مِنْ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كَانُوا إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ , وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - " فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - " , اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا , وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا , فَنَزَلَتْ: {لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} . الآية.(3)(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – و الإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – من طريق (ابن إسحاق) –عن (ابن عباس) قال: قوله {ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا} أن يقول الناس لهم علماء وليسوا بأهل علم لم يحملوهم على خير ولا هدى ويحبون أن يقول الناس قد فعلوا.(5)(6)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (187)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (188).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (81/8)، (ح 4567) – (كتاب: تفسير القرآن) – (سورة آل عمران)،/ باب: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا)).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2142/4) – (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم) .

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (188).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (188).

تَكْتُمُونَهُ} {آل عمران: 187} قرأَ ابْنُ كَثِير وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ وَأَبُو بَكْرٍ بِالْيَاءِ فِيهِمَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ)،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالتَّاءِ فِيهِمَا عَلَى إِضْمَارِ الْقَولِ، {فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} أَيْ طَرَحُوهُ وَضَيَّعُوهُ وَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِهِ، {وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} يَعْنِي الْمَآكِلَ وَالرُّشَا {فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}. قَالَ: (قَتَادَةُ): هَذَا مِيثَاقٌ أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ فَمَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيُعَلِّمْهُ، وَإِيَّاكُمْ وَكِتْمَانَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ هَلَكَةٌ،

وَقَالَ: (أَبُو هُرَيْرَةَ) - (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ): لَوْلَا مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ.

{لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا} قَرَأَ (عَاصِمٌ)، وَ(حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ): {لَا تَحْسَبَنَّ} بِالتَّاءِ، أَيْ: لَا تَحْسَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ الْفَارِحِينَ،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بالياء لا تحسبن الفارحون فِي فَرَحِهِمْ مُنْجِيًا لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ،

وَقَرَأَ (ابْنُ كَثِيرٍ)، وَ(أَبُو عَمْرٍو): {فَلَا يحسبنهم} بالياء وضم الياء خَبَرًا عَنِ الْفَارِحِينَ، أَيْ فَلَا يَحْسَبُنَّ أَنْفُسَهُمْ،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ وَفَتْحِ الْبَاءِ، أَيْ: فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ يَا مُحَمَّدُ،

وَأَعَادَ قَوْلَهُ (فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ) تأكيدا قَالَ: (عِكْرِمَةُ): نَزَلَتْ فِي فِنْحَاصَ وأسيبع وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَحْبَارِ يَفْرَحُونَ بِإِضْلَالِهِمُ النَّاسَ بِنِسْبَةِ النَّاسِ إِيَّاهُمْ إِلَى الْعِلْمِ وَلَيْسُوا بِأَهْلِ الْعِلْمِ،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): هُمُ الْيَهُودُ فَرِحُوا بِإِعْجَابِ النَّاسِ بِتَبْدِيلِهِمُ الْكِتَابَ وَحَمْدِهِمْ إِيَّاهُمْ عَلَيْهِ،

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): هُمُ الْيَهُودُ فَرِحُوا بِمَا أَعْطَى اللَّهُ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَهُمْ بُرَآءُ مِنْ ذَلِكَ،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ): أَتَتْ يَهُودُ خَيْبَرَ نَبِيَّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا: نَحْنُ نَعْرِفُكَ ونصدقك هانا على رأيك ونحن لك ردْءٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ: مَا صَنَعْتُمْ؟ قَالُوا: عَرَفْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ: أَحْسَنْتُمْ هَكَذَا فَافْعَلُوا، فَحَمِدُوهُمْ وَدَعَوْا لَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ،

وَقَالَ: (يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا) قَالَ: (الْفَرَّاءُ) بِمَا فَعَلُوا،

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا} {مريم: 27} أَيْ: فَعَلْتِ،

{وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ} بمناجاة {مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} {آل عمران: 188}.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إِبْنُ كَثِيرٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ} الْآيَةَ، يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُرَائِينَ الْمُتَكَثِّرِينَ بِمَا لَمْ يُعْطَوا،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (188).

كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنِ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلاَّ قِلَّةً)). (1)

وَفِي الصَّحِيحِ: ((الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ)). (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسْنَد) - (بِسَنَدِهِ):- حَدَّثَنَا حَجَّاج، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيكة أَنَّ حُمَيدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوفٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ: اذْهَبْ يَا رَافِعُ -لِبَوَّابِهِ- إِلَى (ابْنِ عَبَّاسٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْ لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا أَتَى وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ -مُعَذَّبًا، لنُعَذبن أجْمَعُونَ؟ فَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): وَمَا لَكُمْ وَهَذِهِ؟ إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ تَلاَ (ابْنُ عَبَّاسٍ): {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} وَتَلاَ (ابْنُ عَبَّاسٍ): {لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} الْآيَةَ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ شَيْءٍ، فَكَتَمُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَخَرَجُوا قَدْ أَرَوْهُ أَنْ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ، وَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ، وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ.

وَهَكَذَا رَوَاهُ الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ) فِي (التَّفْسِيرِ)، وَالإِمَامُ (مُسْلِمٌ)، وَ(التِّرْمِذِيُّ)، وَ(النَّسَائِيُّ) فِي تَفْسِيرِهِمَا، وَالإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، وَ(ابْنُ جَرِيرٍ)، وَ(ابْنُ مَرْدُوَيه)، وَالإِمَامُ (الْحَاكِمُ) فِي (مُسْتَدْرَكِه)، كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جُرَيجٍ، بِنَحْوِهِ (3)

وَرَوَاهُ الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ) أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ علقمة بن وقاص: أن مَرْوان قَالَ لبوَّابِهِ: اذهبْ يَا رَافِعُ إِلَى (ابْنِ عَبَّاسٍ)، فَذَكَرَهُ (4).

* * *

وقَالَ: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بِسَنَدِهِ):- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم - كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وفرحوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6105، 6652).

وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمُ) في (صحيحه) برقم (110) من حديث (ثابت بن الضحاك) رضي الله عنه.

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2129) من حديث (عائشة) رضي الله عنها.

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (188)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1/298).

أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4568).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2778).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه) برقم (3014).

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11086).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4568).

وانظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمران) الآية (188)، للإِمَامْ (ابن كثير).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْغَزْوِ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا، وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، فَنَزَلَتْ: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} الْآيَةَ.

وَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَام (مُسْلِمٌ) مِنْ حَدِيث (ابْنِ أَبِي مَرْيَمَ)، بِنَحْوِه [1]

وَقَدْ رَوَاهُ (ابْنُ مَرْدُوَيْهِ) فِي (تَفْسِيرِه) مِنْ حَدِيث اللَّيْث بْنِ سَعْد، عَنْ هِشَام بْنِ سَعْد، عَنْ زَيْد بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: كَانَ أَبُو سَعِيد وَرَافِعُ بْنُ خَدِيج وَزَيْدُ بْنُ ثَابِت عِنْدَ مَرْوَان فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيد، رَأَيْت قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} وَنَحْنُ نَفْرَحُ بِمَا أَتَيْنَا وَنُحِب أَنْ نُحْمَد بِمَا لَمْ نَفْعَلْ؟ فَقَالَ: (أَبُو سَعِيد): إِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ ذَاكَ، إِنَّمَا ذَاكَ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَتَخَلَّفُونَ إِذَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْثًا، فَإِنْ كَانَ فِيهِ نَكْبَة فَرِحُوا بِتَخَلُّفِهِمْ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ نَصْر مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ حَلَفُوا لَهُمْ لِيُرْضُوهُمْ وَيَحْمَدُوهُمْ عَلَى سُرُورِهِمْ بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ.

فَقَالَ مَرْوَانُ: أَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو سَعِيد: وَهَذَا يَعْلَمُ هَذَا، فَقَالَ مَرْوَانُ: أَكَذَلِكَ يَا زَيْدُ؟ قَالَ: نَعَمْ، صَدَقَ أَبُو سَعِيد. ثُمَّ قَالَ: أَبُو سَعِيد: وَهَذَا يَعْلَمُ ذَاكَ -يَعْنِي رَافِع بْنَ خَدِيج- وَلَكِنَّهُ يَخْشَى إِنْ أَخْبَرَكَ أَنْ تَنْزِعَ قَلَائِصَهُ فِي الصَّدَقَة. فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ زَيْدٌ لِأَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ: أَلَا تَحْمَدُنِي عَلَى شَهَادَة لَكَ؟ فَقَالَ: أَبُو سَعِيد: شَهِدتَ الْحَقَّ. فَقَالَ زَيْدٌ: أَوَ لَا تَحْمَدُنِي عَلَى مَا شَهِدتُ الْحَقَّ؟،

ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ حَدِيث الْإِمَام (مَالِك)، عَنْ زَيْد بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ رَافِع بْنِ خَدِيج: أَنَّهُ كَانَ هُوَ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عِنْدَ مَرْوَان بْنِ الْحَكَم، وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَة،

فَقَالَ مَرْوَانُ: يَا رَافِعُ، فِي أَيِّ شَيْءٍ نَزَلَتْ هَذِهِ؟ فَذَكَرَهُ [2] كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ أَبِي سَعِيد، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَكَانَ مَرْوَان يَبْعَثُ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْأَلُ ابْنَ عَبَّاس كَمَا تَقَدَّمَ، فَقَالَ لَهُ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَلَا مُنَافَاة بَيْنَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاس وَمَا قَالَهُ هَؤُلَاءِ" لِأَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ مَا ذُكِرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ رَوَى (ابْنُ مَرْدُوَيْهِ) أَيْضًا مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْنِ أَبِي عَتِيق وَمُوسَى بْنِ عُقْبَة، عَنِ الزُّهْرِي، عَنْ مُحَمَّد بْنِ ثَابِت الْأَنْصَارِيِّ" أَنَّ (ثَابِتَ بْنَ قَيْس الْأَنْصَارِيَّ) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ هَلَكْتُ. قَالَ: "لِمَ؟ " قَالَ: نَهَى اللَّهُ الْمَرْءَ أَنْ يُحِب أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ، وَأَجِدُنِي أُحِبُّ الحمدَ. وَنَهَى اللَّهُ عَنِ الْخُيَلَاء، وَأَجِدُنِي أُحِبُّ الْجَمَالَ، وَنَهَى اللَّهُ أَنْ نَرْفَعَ أَصْوَاتَنَا فَوْقَ صَوْتِكَ، وَأَنَا امْرُؤٌ جَهْوَرِيُّ الصَّوْت. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-"أَلَا تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا، وَتُقْتَلَ شَهِيدًا، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ " قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَعَاشَ حَمِيدًا، وقُتِل شَهِيدًا يَوْمَ مُسَيْلَمَة الْكَذَّاب [3].

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4567). وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2777).

(2) ورواه (عبد بن حميد) في (تفسيره) كما في (الدر) برقم (404/2)، وذكره الإمام (الحافظ ابن حجر) في (الفتح الباري) برقم (234/8).

(3) ورواه الإمام (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (42) - من طريق- (الزهري عن محمد بن ثابت) به.

وَقَوْلُهُ: {فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ} يُقْرَأُ بِالتَّاءِ عَلَى مُخَاطَبَةِ الْمُفْرَدِ، وَبِالْيَاءِ عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْهُمْ، أَيْ: لاَ تَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ نَاجُونَ مِنَ الْعَذَابِ، بَلْ لاَ بُدَّ لَهُمْ مِنْهُ" وَلِهَذَا قَالَ: {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. (1)

* * *

[١٨٩] ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولله وحده دون غيره ملك السماوات والأرض وما فهما خَلْقًا وتدبيراً، والله على كل شيء قدير. (2)

* * *

يَعْنِي:- ولله وحده ملك السموات والأرض وما فهما، والله على كل شيء قدير. (3)

* * *

يَعْنِي:- الله - وحده - هو المالك لأمر السموات والأرض، وهو القادر على كل شئ، فيؤاخذ المذنبين بذنوبهم ويثيب المحسنين على إحسانهم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}... فهو يملك أمرهم، وهو على كل شيء قدير، فهو يقدر على عقابهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة - (البقرة) - آية (117). - كما قال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.

* * *

قال الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {آل عمران: 189}. (5)

* * *

قال الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {189} {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. أي: هو المالك للسماوات والأرض وما فهما، من سائر أصناف الخلق، المتصرف فيهم بكمال القدرة، وبديع الصنعة، فلا يمتنع عليه منهم أحد، ولا يعجزه أحد. (6)

وروراه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (234/1) - من طريق - (إسماعيل بن محمد عن أبيه محمد بن ثابت) به.

وروراه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (2270) "موارد"،

والإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير) رقم (67/2) كلاهما -من طريق - (إسماعيل بن ثابت) أن ثابت فذكره.

وروراه الإمام (عبد الرزاق) في (مصنفه) برقم (20425) - من طريق- (الزهري) أن (ثابت بن قيس) فذكره مرسلا.

وروراه الإمام (مالك) - ومن طريق – (ابن عبد البر) في (الاستيعاب) (75/2) – من طريق- (الزهري) - عن (إسماعيل بن محمد بن ثابت عن ثابت) به. والأصح: الزهري عن محمد بن ثابت عن ثابت به، وهي رواية (ابن مردويه) و الإمام (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (42) وقد صرح (محمد بن ثابت) بالتحديث عند الإمام (الطبراني) فقال: (حدثني ثابت بن قيس) فذكره، والحديث حسن إن شاء الله.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (آل عمرآن) الآية (188)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (75/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (75/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (101/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (189).

(6) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (189)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

[١٩٠] ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن في إيجاد السماوات والأرض من عَدمَ على غير مثال سابق، وفي تعاقب الليل والنَّهار، وتفاوتهما طولًا وقصرًا" لدلائلَ واضحة لأصحاب العقول السليمة، تدلهم على خالق الكون المستحق للعبادة وحده. (1)

* * *

يَعْنِي:- إن في خلق السموات والأرض على غير مثال سابق، وفي تعاقُب الليل والنهار، واختلافهما طولا وقصرًا لدلائل وبراهين عظيمة على وحدانية الله لأصحاب العقول السليمة. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن فى خلق الله للسموات والأرض مع ما فهما من إبداع وإحكام، واختلاف الليل والنهار نوراً وظلمة وطولاً وقصراً لدلائل بينات لأصحاب العقول المدركة على وحدانية الله وقدرته. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إن في خلق السماوات والأرض} وما فهما مِنْ الْعَجَائِب.

{وَاخْتِلَاف اللَّيْل وَالنَّهَار} ... بِالْمَجِيء وَالذَّهَاب وَالزِّيَادَة وَالنُّقْصَان.

{لآيات} ... دَلَالَات عَلَى قُدْرَته تَعَالَى.

{لآيات} ... لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته.

{لِأُولِي الْأَلْبَاب} ... لِذَوِي الْعُقُول.

{لِأُولِي الْأَلْبَابِ} ... للذين يفتحون بصائرهم للنظر، وللاستدلال والاعتبار.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} {آل عمران: 190} ذوي الْعُقُول، (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- يخبر تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأولِي الألْبَابِ} {آل عمران: 190} وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيهما، والتبصر بآياتهما، وتدبر خلقهما، وأبهم قوله: {آيات} ولم يقل: "على المطلب الفلاني" إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (75/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (75/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (102/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (190).

الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره.

وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول" لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن حبان) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا يحيى بن زكريا، عن إبراهيم بن سويد النخعي، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن (عطاء) قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على (عائشة)، قالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا، فقال: أقول يا أمه كما قال الأول: زر غباً تزدد حباً. وقال: فقالت: دعونا من رطانتكم هذه. قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (190)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قال: فسكتت ثم قالت. لما كان ليلة من الليالي قال: "يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي". قالت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما سرّك. قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي. قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: "يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: " أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت عليَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ويتفكر فيها {إن في خلق السموات والأرض} الآية كلها. (2)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد بن حميد، حدثنا أبو

(2) أخرجه الإمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (329/2)، (ح 620) - طبعة (الأرناؤوط)،

وأخرجه (أبو الشيخ) في (كتاب) (أخلاق النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ص160) من طريق-: (عثمان بن أبي شيبة) به. وهذا (الإسناد رجاله ثقات أئمة)، وعبد الملك بن أبي سليمان، وإن تكلم فيه البعض، فإن ثناء الأئمة عليه ووصفه بالحفظ والإتقان مستفيض مشهور،

(انظر: (تهذيب الكمال) برقم (18/322-328). فيكون الحديث من هذا الطريق حسناً إن شاء الله. ومع ذلك فللحديث طريق آخر:

أخرجه الإمَامْ (ابن مردويه)، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا -كما في تفسير الإمَامْ (ابن كثير). برقم (440/1) - من طرق-: عن (أبي جناب الكلبي، عن عطاء) به نحوه.

وأخرجه الإمَامْ (الأصبهاني) في (الترغيب والترهيب) برقم (286/1)، (ح 639) - من طريق-: الإمَامْ (ابن مردويه)- و الإمَامْ (أبو جناب) وإن كان مدلساً، إلا أن أبا الشيخ أخرجه من طريقه مصرحاً فيه بالسماع (أخلاق النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (ص160) فنزول الخشية من تدليسه، وبذلك يكون هذا الطريق متابعة قوية لطريق ابن حبان المتقدم، ويتأكد بذلك حسن الحديث كما قدمنا. وقد (قوى إسناده) الشيخ (شعيب الأرناؤوط) في حاشية (الإحسان)،

و(حكم بحسنه) الشيخ (محمد رزق) في (موسوعة فضائل القرآن) - (219/1)، (ح 90).

وذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمران) الآية (190)، برقم (492/1)، الطبعة: الأولى،

نعيم، حدثنا إسماعيل بن مسلم، حدثنا أبو المتوكل" أن (ابن عباس) حدثه، أنه بات عند النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذات ليلة. فقام نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من آخر الليل. فخرج فنظر في السماء. ثم تلا هذه الآية في آل عمران (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار) حتى بلغ (فقنا عذاب النار) ثم رجع إلى البيت فتسوّك وتوضأ. ثم قام فصلى. ثم اضطجع. ثم قام فخرج نظر إلى السماء فتلا هذه الآية. ثم رجع فتسوك فتوضأ. ثم قام فصلى. (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معن بن عيسى عن مالك عن مخرمة بن سليمان عن كريب مولى عبد الله بن عباس أن (عبد الله ابن عباس) أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهي خالته - قال: فاضطجعتُ في عرض الوسادة: واضطجع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأهله في طولها، فنام رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فجعل يمسح النومَ من وجهه بيديه، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شنّ معلقة فتوضأ منها فأحسن وُضوءه ثم قام يصلي. فصنعتُ مثل ما صنَع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن, فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح. (2)

* * *

وأخرج الإمَامْ (البُخَاري و مُسلِم) - في (صحيحهما):- و الإمام (النسائي و أبو داود) في (سننهما)، - والإمَام (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بِسندهم):- عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - قَالَ: (بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ) (3) (زَوْجِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - " وَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا ") (4) (فَقُلْتُ: لَأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلَاةِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -) (5) (وَقُلْتُ لِخَالَتِي: إِذَا قَامَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَيْقِظِينِي) (6) ("فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - الْعِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَصَلَّى أَرْبَعَ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (221/1)، ح 256)-(كتاب: الطهارة)، / باب: (السواك).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (84/8-85)، ح (4571)-(كتاب: تفسير القرآن)-(سورة آل عمران)، / باب: (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (185)-(763).

وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (117).

(4) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (117).

(5) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4294).

وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (3372).

(6) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (185)-(763).

رَكَعَاتٍ)[1] (ثُمَّ تَحَدَّثَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً , ثُمَّ رَقَدَ)[2] (فَطُرِحَتْ لِرَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وِسَادَةٌ فَنَامَ فِي طُولِهَا " , وَنَامَ أَهْلُهُ)[3] .

وفي رواية: (فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ , " وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا)[4] (فَقَامَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ اللَّيْلِ فَأَتَى حَاجَتَهُ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ , ثُمَّ نَامَ)[5] .

وفي رواية: (قَامَ لِحَاجَتِهِ , فَأَتَى الْقِرْبَةَ فَحَلَّ شِنَاقَهَا , ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ , ثُمَّ أَتَى فِرَاشَهُ فَنَامَ)[6] (حَتَّى حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ , أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ , أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ،

وفي رواية: (فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ)[7] اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَجَلَسَ)[8] (فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدَيْهِ)[9] (ثُمَّ قَامَ , ثُمَّ قَالَ: نَامَ الْغُلَيِّمُ ؟ أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا)[10] (فَخَرَجَ)[11] فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ)[12].

وفي رواية: (قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ)[13] (ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ)[14] (فَقَالَ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

---

(1) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (117).
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1357).

(2) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4293).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (190) - (763).

(3) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (3372).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4294).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).

(4) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (181).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (182) - (763).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (1620).

(5) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (181) - (763).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (5957).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (2559).

(6) أخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (1121).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (188) - (763).

(7) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4293).

(8) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (182) - (763).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4294).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (1620).
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1364).

(9) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4295).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (182) - (763).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (1620).
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1367).

(10) (نَامَ الْغُلَيِّم) هُوَ مِنْ تَصْغِير الشَّفَقَة، وَالْمُرَاد بِهِ اِبْن عَبَّاس. (فتح الباري) - (ح117).

(11) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (117).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (3170).

(12) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (48) - (256).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4293).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (3276).

(13) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (5957).

(14) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (181).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (1620).
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1367).

لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}) [1] حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ) [2].

وفي رواية [3]: " فَخَرَجَ فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ , ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي آلِ عِمْرَانَ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .. حَتَّى بَلَغَ: سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ , فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ , ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى "

وفي رواية [4]: " فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ , أَتَى طَهُورَهُ , فَأَخَذَ سِوَاكَهُ فَاسْتَاكَ , ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَاتِ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} حَتَّى قَارَبَ أَنْ يَخْتِمَ السُّورَةَ , أَوْ خَتَمَهَا "

وفي رواية [5]: " فَاسْتَيْقَظَ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ وَهُوَ يَقُولُ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} فَقَرَأَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ "

* * *

وقال: الإِمَامُ (البُخَارِي) – (رحمه الله) – في (صحيحه) - (بسنده):- وَعَنْ (عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ) – رضي الله عنه – قَالَ: (كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ, فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم –) [6] (عَنْ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَهُوَ قَاعِدٌ , فَقَالَ: " صَلِّ قَائِمًا) [7] (فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا , فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ ") [8]

* * *

[١٩١] ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وهم الذين يذكرون الله على كل أحوالهم، في حال قيامهم، وحال جلوسهم، وفي حال اضطجاعهم، ويُعْملون فكرهم في خلق السماوات والأرض" قائلين: يا ربنا، ما خلقت هذا الخلق العظيم عبثًا، تنزَّهت عن العبث، فجنِّبنا عذاب النار بتوفيقنا للصالحات وحفظنا من السيئات. [9]

* * *

الذين يذكرون الله في جميع أحوالهم: قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وهم يتدبرون في خلق السموات والأرض، قائلين: يا ربنا ما أوجدت

---

(1) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4293).
(2) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (191) - (763).
وأخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (1353).
(3) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (48) - (256).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (2488).
(4) أخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (58).
(5) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (191) - (763).
وأخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (1705).
وأخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (1353).
(6) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1066).
(7) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1065).
(8) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1066).
وأخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (952).
وأخرجه الإمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1223).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (19832).
(9) نظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (75/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

هذا الخلق عبثًا، فأنت منزَّه عن ذلك، فاصْرِف عنا عذاب النار.(1)

* * *

وشأن أولى الألباب أنهم يستحضرون فى نفوسهم عظمة الله وجلاله فى كل مكان، قائمين وقاعدين وعلى جنوبهم، ويتدبرون فى خلق السموات والأرض وما فهما من عجائب قائلين: ربنا ما خلقت هذا إلا لحكمة قدَّرتها وأنت منزه عن النقص، بل خلقته دليلاً على قدرتك، وعنواناً لبالغ حكمتك، فاحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا إلى طاعتك.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ} ... ذكرا دائبا على أي حال كانوا، من قيام وقعود واضطجاع، لا يخلون بالذكر فى أغلب أحوالهم.

{وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} .... وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها وما دبر فيها بما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه.

{مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا} ... على إرادة القول، أي يقولون ذلك، وهو فى محل الحال، بمعنى: يتفكرون قائلين. والمعنى: ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة، بل خلقته لداعى حكمة عظيمة، وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين. وأدلة على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك.

{فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} ... جزاء من عصى ولم يطع، ولذلك وصل بما قبله.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {191} {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ}. قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب)، وَ(ابْنُ عَبَّاس) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وَ(النَّخَعِيُّ) وَ(قَتَادَةُ): هَذَا فِي الصَّلَاةِ يُصَلِّي قَائِمًا فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَاعِدًا فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ، وَقَالَ سَائِرُ الْمُفَسِّرِينَ أَرَادَ بِهِ الْمُدَاوَمَةَ عَلَى الذِّكْرِ فِي عُمُومِ الأحوال لأن الإنسان قلما يَخْلُو مِنْ إِحْدَى هَذِهِ الْحَالَاتِ الثَّلَاثِ، نَظِيرُهُ فِي (سُورَةِ النِّسَاءِ) {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ} {النِّسَاءِ: 103}،

{وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} وَمَا أَبْدَعَ فِيهِمَا لِيَدُلَّهُمْ ذَلِكَ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَيَعْرِفُوا أَنَّ لَهَا صَانِعًا قَادِرًا مُدَبِّرًا حَكِيمًا،

قَالَ: (ابْنُ عَوْنٍ): الْفِكْرَةُ تُذْهِبُ الْغَفْلَةَ وَتُحْدِثُ لِلْقَلْبِ الْخَشْيَةَ كَمَا يحدث الماء للزرع النماء، وَمَا جُلِيَتِ الْقُلُوبُ بِمِثْلِ الْأَحْزَانِ، وَلَا اسْتَنَارَتْ بِمِثْلِ الْفِكْرَةِ،

{رَبَّنَا} أَيْ: وَيَقُولُونَ رَبَّنَا.

{مَا خَلَقْتَ هَذَا} رَدَّهُ إِلَى الْخَلْقِ فَلِذَلِكَ لَمْ يقل هذه،

{بَاطِلًا} أَيْ: عَبَثًا وَهَزْلًا بَلْ خَلَقْتَهُ لأمر عظيم، وانتصب (باطلا) بِنَزْعِ الْخَافِضِ، أَيْ:

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/75)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/102)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

بِالْبَاطِلِ، {سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تَفسيره):- ثم وصف أولي الألباب بأنهم {يذكرون الله} في جميع أحوالهم: {قياما وقعودا وعلى جنوبهم} وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب، وأنهم {يتفكرون في خلق السماوات والأرض} أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثا، فيقولون: {ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك} عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق.

{فقنا عذاب النار} بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار.

ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم، (2)

* * *

قال: الإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة):

قوله: {يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ} وهذه حالات كلها يا ابن آدم، اذكر الله وأنت قائم فإن لم تستطع فاذكره وأنتَ قاعد، فإن لم تستطع فاذكره وأنت على جانبك يسر من الله و تخفيف. (3)

* * *

[١٩٢] ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فإنك -يا ربنا- من تدخل النار من خلقك فقد أهنته وفضحته، وليس للظالمين يوم القيامة من أعوان يمنعون عنهم عذاب الله وعقابه. (4)

* * *

يا ربنا نجِّنا من النار، فإنك -يا ألله- مَن تُدخِلْه النار بذنوبه فقد فضحته وأهنته، وما للمذنبين الظالمين لأنفسهم من أحد يدفع عنهم عقاب الله يوم القيامة. (5)

* * *

يا خالقنا والقائم على أمورنا، والحافظ لنا إن من يستحق النار وتدخله فيها فقد

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (191).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (191)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (191).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (75/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (75/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

أخزيته، وليس للظالم الذى استحق النار من نصير يمنعه منها.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} ... أي: فقد أبلغت فى إخزائه.

{أَخْزَيْتَهُ} ... أَذْلَلْتَهُ وَأَشْقَيْتَهُ.

{وما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ} ... ينصرونهم من عذاب الله.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمَام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {192} {رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} أَيْ: أَهَنْتَهُ، يَعْنِي:- أَهْلَكْتَهُ، يَعْنِي:- فضحته، لقوله تعالى: {وَلاَ تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي} {هُود: 78}

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ} {التَّحْرِيم: 8} وَمِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ،

وَقَدْ قَالَ: {رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}، فكيف الجمع؟ قِيلَ: قَالَ: (أَنَسٌ وَقَتَادَةُ) مَعْنَاهُ: إنك من تخلده في النَّار فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ،

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ) هَذِهِ خَاصَّةٌ لِمَنْ لاَ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَقَدْ رَوَى (أَنَسٌ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ قَوْمًا النَّارَ ثُمَّ يُخْرِجُونَ

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (102/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

مِنْهَا)). {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} {آل عمران: 192}(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملائكته، وأوليائه، ووقوع الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها، ولهذا قال: {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} ينقذونهم من عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم.(3)

* * *

{رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}(4)

وقال: الإمَام (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):-، وعَنْ يَزِيدَ الْفَقِيرِ(5) قَالَ: كُنْتُ كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي(6) رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ(7) فَخَرَجْنَا(7) فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (192).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية ()، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) {آل عمران/192}

(5) هو يزيد بن صهيب، أبو عثمان الكوفي، المعروف بالفقير، الطبقة: 4 طبقة تلي الوسطى من التابعين، روى له: (خ م د س جة)، رتبته عند ابن حجر: ثقة، رتبته عند الذهبي: ثقة.

(6) (شَغَفَنِي): لَصِقَ بِشَغَافِ قَلْبِي وَهُوَ غِلَافُهُ. شرح الإمام (النووي) على الإمام (مسلم) (ج 1 / ص 336)

(7) رَأْيِ الْخَوَارِجِ: أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَبَائِرِ يَخْلُدُونَ فِي النَّارِ، وَمَنْ دَخَلَهَا لَا يَخْرُجُ مِنْهَا. شرح الإمام (النووي) على الإمام (مسلم) – (ج 1 / ص 336).

نَحُجَّ ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ[1] قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله - رضي الله عنهما - جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ عَنْ رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم -، قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ, فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ الله، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ , وَاللهُ يَقُولُ: {إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}[2] وَ {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا}[3] فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟، فَقَالَ جَابِرٌ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ، قَالَ يَزِيدُ: فَزَعَمَ جَابِرٌ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ[4] فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ الْقَرَاطِيسُ[5] قَالَ يَزِيدُ: فَرَجَعْنَا فَقُلْنَا: وَيْحَكُمْ، أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم -؟[6]، فَرَجَعْنَا، فَلاَ وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ.[7][8]

* * *

قوله تعالى: {رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}.

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-- حدثنا محمد بن عمار بن الحارث، ثنا مؤمل، ثنا حماد بن سلمة عن (قتادة)، عن (أنس) في قوله: {رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} قال: من تدخل في النار فقد أخزيته.[9]

ورجاله ثقات سوى مؤمل صدوق (فالإسناد حسن).

* * *

[١٩٣] ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ

(1) أَيْ: خَرَجْنَا مِنْ بِلَادِنَا وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ لِنَحُجَّ , ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ مُظْهِرِينَ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ , وَنَدْعُو إِلَيْهِ وَنَحُثُّ عَلَيْهِ. شرح الإمام (النووي) على (مسلم) - (ج 1 / ص 336).

(2) [آل عمران: 192].

(3) (السَّمَاسِم) جَمْعُ سِمْسِم، وَهُوَ هَذَا السِّمْسِمُ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ الشَّيْرَج، وَعِيدَانُهُ تَرَاهَا إِذَا قُلِعَتْ وَتُرِكَتْ فِي الشَّمْسِ لِيُؤْخَذَ حَبُّهَا دِقَاقًا سُودًا كَأَنَّهَا مُحْتَرِقَةٌ، فَشَبَّهَ بِهَا هَؤُلَاءِ. شرح الإمام (النووي) على الإمام (مسلم) - (ج 1 / ص 336).

(4) الْقَرَاطِيس: جَمْعُ قِرْطَاس وَهُوَ: الصَّحِيفَةُ الَّتِي يُكْتَبُ فِيهَا، وَشَبَّهَهُمْ بِالْقَرَاطِيسِ لِشِدَّةِ بَيَاضِهِمْ بَعْدَ اغْتِسَالِهِمْ وَزَوَالِ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّوَادِ. شرح الإمام (النووي) على الإمام (مسلم) - (ج 1 / ص 336).

(5) الْقَرَاطِيس: جَمْعُ قِرْطَاس وَهُوَ: الصَّحِيفَةُ الَّتِي يُكْتَبُ فِيهَا، وَشَبَّهَهُمْ بِالْقَرَاطِيسِ لِشِدَّةِ بَيَاضِهِمْ بَعْدَ اغْتِسَالِهِمْ وَزَوَالِ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّوَادِ. شرح الإمام (النووي) على الإمام (مسلم) - (ج 1 / ص 336).

(6) يَعْنِي بِالشَّيْخِ: (جَابِر بْن عَبْد الله) - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَهُوَ اسْتِفْهَام إِنْكَار وَجَحْد , أَيْ: لَا يُظَنُّ بِهِ الْكَذِب. شرح الإمام (النووي) على الإمام (مسلم) - (ج 1 / ص 336).

(7) أَيْ: رَجَعْنَا مِنْ حَجّنَا وَلَمْ نَتَعَرَّضْ لِرَأْيِ الْخَوَارِج، بَلْ كَفَفْنَا عَنْهُ وَتُبْنَا مِنْهُ, إِلَّا رَجُلًا مِنَّا , فَإِنَّهُ لَمْ يُوَافِقنَا فِي الِانْكِفَاف عَنْهُ. شرح الإمام (النووي) على الإمام (مسلم) (ج 1 / ص 336)

(8) أخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (191).

(9) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (192).

فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ربنا إننا سمعنا داعيًا للإيمان - وهو نبيك محمد - صلى الله عليه وسلم - يدعو قائلًا: آمنوا بالله ربكم إلهًا واحدًا، فآمنا بما يدعو إليه، واتبعنا شريعته، فاستر ذنوبنا فلا تفضحنا، وتجاوز عن سيئاتنا فلا تؤاخذنا بها، وتوفنا مع الصالحين بتوفيقنا لفعل الخيرات وترك السيئات. (1)

* * *

يَعْنِي:- يا ربنا إننا سمعنا مناديا -هو نبيك محمد -صلى الله عليه وسلم- ينادي الناس للتصديق بك، والإقرار بوحدانيتك، والعمل بشرعك، فأجبنا دعوته وصدّقنا رسالته، فاغفر لنا ذنوبنا، واستر عيوبنا، وألحقنا بالصالحين. (2)

* * *

يا خالقنا والقائم على أمورنا، والحافظ لنا إننا سمعنا رسولك يدعو إلى الإيمان بك فأطعناه وآمنا به، ربنا اغفر لنا كبائر ذنوبنا وامح عنا صغائر سيئاتنا، واجعلنا بعد وفاتنا مع عبادك الأخيار. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَنْ آمِنُوا} ... أي آمنوا، أو بأن آمنوا.

{ذُنُوبَنَا} ... كبائرنا.

{سَيِّئَاتِنَا} ... صغائرنا.

{مَعَ الْأَبْرَارِ} ... مخصوصين بصحبتهم، معدودين في جملتهم.

{وَكَفِّرْ} ... استُرْ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ) سمعوا دعوة من الله فأجابوها فأحسنوا الإجابة فيها، وصبروا عليها. ينبئكم الله عن مؤمن الإنس كيف قال، وعن مؤمن الجن كيف قال: فأما مؤمن الجن فقال: (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) وأما مؤمن الإنس، فقال: ({رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ...}). الآية. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {193} {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا} يَعْنِي: مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَهُ: (ابْنُ مَسْعُودٍ) وَ(ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَكْثَرُ النَّاسِ، وَقَالَ: (الْقُرَظِيُّ): يَعْنِي الْقُرْآنَ، فليس كل واحد يَلْقَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (75/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (75/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (103/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلْإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (193).

{يُنَادِي لِلْإِيمَانِ} إِلَى الْإِيمَانِ، {أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} أَيْ: فِي جُمْلَةِ الْأَبْرَارِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ} وهو محمد - صلى الله عليه وسلم-، أي: يدعو الناس إليه، ويرغبهم فيه، في أصوله وفروعه.

{فآمنا} أي: أجبناه مبادرة، وسارعنا إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات، والذي من عليهم بالإيمان، سيمن عليهم بالأمان التام.

{وتوفنا مع الأبرار} يتضمن هذا الدعاء التوفيق لفعل الخير، وترك الشر، الذي به يكون العبد من الأبرار، والاستمرار عليه، والثبات إلى الممات. (2)

* * *

[١٩٤] ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ربنا وأعطنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك، من الهداية والنصر في الدنيا، ولا تفضحنا يوم القيامة بدخول النار، إنك - يا ربنا - كريم لا تُخْلف وعدك. (3)

* * *

يَعْنِي:- يا ربنا أعطنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من نصر وتمكين وتوفيق وهداية، ولا تفضحنا بذنوبنا يوم القيامة، فإنك كريم لا تخلف وعداً وَعَدْتَ به عبادك. (4)

* * *

يَعْنِي:- يا خالقنا، والقائم على أمورنا، والحافظ لنا، أعطنا الذى وعدتنا على ألسنة رسلك من نصر وتأييد فى الدنيا، ولا تدخلنا النار فتخزنا - يوم القيامة - فشأنك ألا تخلف الميعاد. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا} ... أي: التوفيق فيما يحفظ علينا أسباب إنجاز الميعاد. والموعود، هو الثواب أو النصرة على الأعداء.

{ربنا آتنا} ... أَعْطِنَا .

{مَا وَعَدْتَنَا} ... به.

{عَلَى} ... أَلْسِنَة.

{رُسُلك} ... مِنْ الرَّحْمَة وَالْفَضْل وَسُؤَالهمْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ وَعْده تَعَالَى لَا يُخْلِف سُؤَال أَنْ يَجْعَلهُمْ مِنْ مُسْتَحِقِّيهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَيَقَّنُوا

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (193).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (193)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (75/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (75/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (103/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

اسْتِحْقَاقهمْ لَهُ وَتَكْرِير رَبَّنَا مُبَالَغَة فِي التَّضَرُّع.

{وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} الْوَعْد بالبعث والجزاء

{وَلَا تُخْزِنَا} ... أي: لا تبعدنا.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {194} {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ} أَيْ:عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ،

{وَلَا تُخْزِنَا} وَلَا تُعَذِّبْنَا وَلَا تُهْلِكْنَا وَلَا تَفْضَحْنَا وَلَا تُهِنَّا،

{يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} فَإِنْ قِيلَ: مَا وَجْهُ قَوْلِهِمْ: {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ}، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ؟ قِيلَ: لَفْظُهُ دُعَاءٌ وَمَعْنَاهُ خَبَرٌ، أَيْ: لِتُؤْتِيَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ، تَقْدِيرُهُ: {فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا} {آل عمران: 193}.

{وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، لِتُؤْتِيَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ،

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ رَبَّنَا واجعلنا مِمَّنْ يَسْتَحِقُّونَ ثَوَابَكَ وَتُؤْتِيهِمْ مَا وَعَدْتَهُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَيَقَّنُوا اسْتِحْقَاقَهُمْ لِتِلْكَ الْكَرَامَةِ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ مُسْتَحِقِّينَ لَهَا،

وَقِيلَ: إِنَّمَا سَأَلُوهُ تَعْجِيلَ مَا وَعَدَهُمْ مِنَ النَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَقَالُوا: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ لَا تُخْلِفُ وعدك مِنَ النصر، وَلَكِنْ لَا صَبْرَ لَنَا عَلَى حِلْمِكَ فَعَجِّلْ خِزْيَهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ولما ذكروا توفيق الله إياهم للإيمان، وتوسلهم به إلى تمام النعمة، سألوه الثواب على ذلك، وأن ينجز لهم ما وعدهم به على ألسنة رسله من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز برضوان الله وجنته في الآخرة، فإنه تعالى لا يخلف الميعاد، فأجاب الله دعاءهم، وقبل تضرعهم. (2)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- مِن صفات علماء السوء من أهل الكتاب: كَتْم العلم، واتباع الهوى، والفرح بمدح الناس مع سوء سرائرهم وأفعالهم.
- التفكر في خلق الله تعالى في السماوات والأرض وتعاقب الأزمان يورث اليقين بعظمة الله وكمال الخضوع له -عَزَّ وَجَلَّ-.
- دعاء الله وخضوع القلب له تعالى من أكمل مظاهر العبودية. (3)

* * *

[١٩٥] ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (194).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (194)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (75/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فأجاب ربهم دعاءهم: بأني لا أضيع ثواب أعمالكم قلَّت أو كثرت، سواء كان العامل ذكرًا أو أنثى، فحكم بعضكم من بعض في الملة واحد، لا يُزاد لذكرٍ، ولا يُنقص لأنثى، فالذين هاجروا في سبيل الله، وأخرجهم الكفار من ديارهم، وأصابهم الأذى بسبب طاعتهم لربهم، وقاتلوا في سبيل الله وقُتلوا لتكون كلمة الله هي العليا -لأغفرن لهم سيئاتهم يوم القيامة، ولأتجاوزن عنها، ولأدخلنهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، ثوابًا من عند الله، والله عنده الجزاء الحسن الذي لا مثل له. (1)

* * *

يَعْنِي:- فأجاب الله دعاءهم بأنه لا يضيع جهد مَن عمل منهم عملا صالحًا ذكرًا كان أو أنثى، وهم في أُخُوَّة الدين وقَبول الأعمال والجزاء عليها سواء، فالذين هاجروا رغبة في رضا الله تعالى، وأُخرجوا من ديارهم، وأوذوا في طاعة ربهم وعبادتهم إيّاه، وقاتلوا وقُتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمته، ليسترنَّ الله عليهم ما ارتكبوه من المعاصي، كما سترها عليهم في الدنيا، فلا يحاسبهم

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (195) لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (198) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (199) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)

عليها، وليدخلنَّهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار جزاء من عند الله، والله عنده حسن الثواب. (2)

* * *

يَعْنِي:- فأجاب ربهم دعاءهم، مبيناً لهم أنه لا يضيع على عامل منهم ثواب عمله، سواء كان ذكراً أم أنثى، فالأنثى من الذكر، والذكر من الأنثى. فالذين هاجروا يريدون وجه الله وأخرجوا من ديارهم ونالهم الأذى في سبيل الله وقاتلوا وتعرضوا للقتل، وقتل منهم من قتل، كتب الله على نفسه أنه سيمحو عنهم سيئاتهم، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار جزاءً كريماً عالياً من عند الله، والله - وحده - عنده الثواب الحسن الجميل. (3)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (76/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (76/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (103/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ} ... دُعَاءَهُمْ.

{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ} ... أي : أجابهم.

{أَنِّي} ... أَيْ: بِأَنِّي.

{أَنِّي لا أُضِيعُ} ... بالفتح على حذف الباء، أي بأني، وقرىء بالكسر على ارادة القول.

{لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ} ... كَائِن.

{مِنْ بَعْضٍ} ... أَيْ: الذُّكُور مِنْ الْإِنَاث وَبِالْعَكْسِ وَالْجُمْلَة مُؤَكِّدَة لِمَا قَبْلهَا أَيْ هُمْ سَوَاء فِي الْمُجَازَاة بِالْأَعْمَالِ وَتَرْك تَضْيِيعهَا نَزَلَتْ لَمَّا قَالَتْ أُمّ سَلَمَة يَا رَسُول اللَّه إِنِّي لَا أَسْمَع ذِكْر النِّسَاء فِي الْهِجْرَة بِشَيْءٍ.

{مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى} ... بيان لعامل.

{بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} ... أي: يجمع ذكوركم وإناثكم أصل واحد، فكل واحد منكم من الآخر، أي من أصله.

وقيل: المراد وصلة الإسلام.

{فَالَّذِينَ هَاجَرُوا} ... تفصيل لعمل العامل. أي فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة.

{فَالَّذِينَ هَاجَرُوا} ... مِنْ مَكَّة إِلَى الْمَدِينَة.

{وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي} ... ديني.

{وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} ... أي: واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشئوا بما سامهم المشركون من الخسف.

{وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي} ... سبيلى، أي سبيل الدين، من أجله وبسببه.

{وَقَاتَلُوا} ... الْكُفَّار.

{وَقُتِلُوا} ... بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيد وَفِي قِرَاءَة بِتَقْدِيمِه.

{وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا} ... أي: غزوا المشركين واستشهدوا.

{لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} ... أَسْتُرهَا بِالْمَغْفِرَةِ.

{وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا} مَصْدَر مِنْ مَعْنَى لَأُكَفِّرَنَّ مُؤَكِّد لَهُ.

{ثَوَابًا} ... في موضع المصدر المؤكد، بمعنى إثابة.

{مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} ... فِيهِ الْتِفَات عَنْ التَّكَلُّم.

{وَاللَّهُ عِنْدَهُ} ... فهو المختص به وبقدرته وفضله، لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه.

{وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} ... الْجَزَاء. أي: مما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلبِ بَشَرٍ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- {195}، قَوْلُهُ تَعَالَى:

{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي} أي: بأني:

{لا أُضِيعُ} لا أُحبطُ،

{عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ} أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.

{مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى} قَالَ: (مُجَاهِدٌ):

((قَالَتْ: أُمُّ سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْمَعُ اللَّهَ يَذْكُرُ الرِّجَالَ فِي الْهِجْرَةِ وَلَا يَذْكُرُ النِّسَاءَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ))،

{بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} يَعْنِي:- كُلُّكُمْ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): رِجَالُكُمْ شَكْلُ نِسَائِكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ شَكْلُ رِجَالِكُمْ فِي الطَّاعَةِ،

كَمَا قَالَ: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} {التَّوْبَة: 71}.

{فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي} أَيْ: فِي طَاعَتِي وَدِينِي، وَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ مكة،

{وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا} قَرَأَ (ابْنُ عَامِرٍ وَابْنُ كَثِيرٍ) (قتلوا) بِالتَّشْدِيدِ،

وَقَالَ: (الْحَسَنُ): يَعْنِي أَنَّهُمْ قُطِّعُوا فِي الْمَعْرَكَةِ، وَالْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ،

وَقَرَأَ أَكْثَرُ الْقُرَّاءِ: (وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا) يُرِيدُ أَنَّهُمْ قَاتَلُوا الْعَدُوَّ ثُمَّ أَنَّهُمْ قُتِلُوا،

وَقَرَأَ (حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ) (قتلوا وَقَاتَلُوا) وَلَهُ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: مَعْنَاهُ وَقَاتَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ (وَقُتِلُوا) أَيْ: قُتِلَ بَعْضُهُمْ، تَقُولُ الْعَرَبُ قَتَلْنَا بَنِي فُلَانٍ وَإِنَّمَا قَتَلُوا بَعْضَهُمْ، وَالْوَجْهُ الْآخَرُ (وَقُتِلُوا) وَقَدْ قَاتَلُوا،

{لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} نُصِبَ عَلَى الْقَطْعِ قَالَهُ (الْكِسَائِيُّ)، وَقَالَ: (الْمُبَرِّدُ): مَصْدَرٌ، أَيْ: لَأُثِيبَنَّهُمْ ثَوَابًا، {وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} {آلِ عِمْرَانَ: 195} (1)

* * *

قَال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{195} {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ}. أي: أجاب الله دعاءهم، دعاء العبادة، ودعاء الطلب، وقال: إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى، فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملا موفرا،

{بعضكم من بعض} أي: كلكم على حد سواء في الثواب والعقاب،

{فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا} فجمعوا بين الإيمان والهجرة، ومفارقة المحبوبات من الأوطان والأموال، طلبا لمرضاة ربهم، وجاهدوا في سبيل الله.

{لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} الذي يعطي عبده الثواب الجزيل على العمل القليل.

{وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فمن أراد ذلك، فليطلبه من الله بطاعته والتقرب إليه، بما يقدر عليه العبد. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- أنبأنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت رجلاً من ولد (أم سلمة) زوج النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: قالت أم سلمة: يا رسول الله، لا أسمع الله

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (195).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (195)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

ذكر النساء في الهجرة بشيء؟ فأنزل الله تعالى: {فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى} .(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثنا عبد الرحمن بن وهب قال، حدثنا عمي عبد الله بن وهب، قال، حدثني عمرو بن الحارث: أن أبا عشانة المعافري حدثه: أنه سمع (عبد الله ابن عمرو بن العاص) يقول: لقد سمعت رسول الله يقول: إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان، لم تقض حتى يموت وهي في صدره، وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول: "أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا، وأوذوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي؟ ادخلوا الجنة"، فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب، وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون: "ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار، ونقدس لك، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا". فيقول الرب جل ثناؤه: "هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي".

فتدخل الملائكة عليهم من كل باب: {سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار} {سورة الرعد: 24}.(2)

* * *

[١٩٦] ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

لا يخدعنك أيها النبي -ﷺ- تنقُّل الكافرين في البلاد، وتَمَكُّنهم منها، وسعة تجاراتهم وأرزاقهم فتشعر بالهَمِّ والغم من حالهم.(3)

* * *

لا تغتر أيها الرسول- ﷺ- بما عليه أهل الكفر بالله من بسطة في العيش، وسَعَة في الرزق، وانتقالهم من مكان إلى مكان للتجارات وطلب الأرباح والأموال، فعمَّا قليل يزول هذا كلُّه عنهم، ويصبحون مرتهنين بأعمالهم السيئة.(4)

* * *

---

(1) أخرجه الإمام (عبد الرزاق) في (التفسير) برقم (144/1)، (ح 498).
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (جامعه) برقم (237/5)، (ح 3023)- (كتاب: التفسير)./ باب: (ومن سورة النساء)،
وأخرجه الإمام (الشافعي) من (سنن)- حرملة -كما في (المعرفة) للبيهقي (120/3)،(ح 17644)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (300/2)- تسمية (ولد أم سلمة) بـ (سلمة بن أبي سلمة) . وهذا الحديث إسناده صحيح،
ووافقه الإمام (الذهبي). ورجاله أئمة ثقات. وقد وقع تصريح (ابن عيينة) بالإخبار في روايه (الشافعي)، فزالت الخشية من احتمال تدليسه، هذا مع احتمال الأئمة لتدليسه" حيث كان لا يدلس إلا عن ثقة. (انظر: (طبقات المدلسين) برقم (ص 23) .

(2) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (6570)
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (72-71/2) كلاهما- من طريق-: (عبد الله بن وهب) به. و(صححه) الإمام (الحاكم) ووافقه الإمام (الذهبي).
وذكره الإمام (الهيثمي) في (مجمع الزوائد) برقم (259/10) ونسبه للإمام (الطبراني) أيضا،
وقال: ورجال الإمام (الطبراني) (رجال الصحيح) غير (أبي عشانه) وهو (ثقة).
وذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (495/1)، من سورة (آل عمرآن) الآية (195)،

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (76/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (76/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

لا تتأثر أيها النبي - ﷺ - بما ترى فيه الذين كفروا من تقلب فى النعيم والتصرف فى التجارة والمكاسب. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

وَنَزَلَ لَمَّا قَالَ الْمُسْلِمُونَ أَعْدَاء اللَّه فِيمَا نَرَى مِنْ الْخَيْر وَنَحْنُ فِي الْجَهْد.

{لا يَغُرَّنك تَقَلُّب الَّذِينَ كَفَرُوا} ... تصرُّفهم.

{لَا يَغُرَّنَّكَ} .. لا يَكُنْ منكَ اغترارٌ، والمخاطَبُ الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمرادُ أصحابُه وأتْباعُهُ.

{لا يَغُرَّنَّكَ} ... الخطاب لرسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم-، أو عام. أي لا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم فى الأرض وتصرفهم فى البلاد يتكسبون ويتجرون.

{تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ} ... تَصَرُّفُهُم فيها بالتجارةِ والزراعةِ والأموالِ والمآكلِ والمَشَارِبِ.

{تَقَلُّبُ} ... سَعَةُ عَيْشٍ، وَكَثْرَةُ تَنَقُّلٍ وَتَصَرُّف.

{فِي الْبِلَادِ} ... بالتجارة والكسب.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) والله ما غروا نبي الله، ولا وكل إليهم شيئا من أمر الله حتى قبضه الله على ذلك. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):

قوله: {لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد} يقول: ضربهم في البلاد. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- {196}، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ} نَزَلَتْ فِي الْمُشْرِكِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي رَخَاءٍ وَلِينٍ مِنَ الْعَيْشِ يَتَّجِرُونَ وَيَتَنَعَّمُونَ،

فَقَالَ: بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا نَرَى مِنَ الْخَيْرِ، وَنَحْنُ فِي الْجَهْدِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

{لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ} وَضَرْبُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتَصَرُّفُهُمْ فِي الْبِلَادِ لِلتِّجَارَاتِ وَأَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ، فَالْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْمُرَادُ منه غيره. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {196} {لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ}. وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (103/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (196).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (196).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (196).

واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، (1)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير): (رحمه الله) – في (تفسيره):-

قوله تعالى: {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (198)}

يَقُولُ تَعَالَى: لَا تَنْظُرُوا إِلَى مَا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مُتْرفون فيه، مِنَ النِّعْمَةِ والغبْطة وَالسُّرُورِ، فعمّا قَلِيلٍ يَزُولُ هَذَا كُلُّهُ عَنْهُمْ، وَيُصْبِحُونَ مُرتهنين بِأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ، فَإِنَّمَا نَمُدُّ لَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ اسْتِدْرَاجًا، وَجَمِيعُ مَا هُمْ فِيهِ {مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ} {غافر:4}،

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ. مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} {يُونُس:69، 70}،

وَقَالَ تَعَالَى: {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} {لُقْمَان:24}،

وَقَالَ تَعَالَى: {فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا} {الطَّارِق:17}، أَيْ: قَلِيلًا،

وَقَالَ تَعَالَى: {أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} {الْقَصَص:61}. (2)

* * *

[١٩٧] ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فهذه الدنيا متاع قليل لا دوام له، ثم بعد ذلك يكون مصيرهم الذي يرجعون إليه يوم القيامة: جهنم، وبئس الفِراشُ لهم النار. (3)

* * *

متاع قليل زائل، ثم يكون مصيرهم يوم القيامة إلى النار، وبئس الفراش. (4)

* * *

فإن ذلك متاع زائل، وكل زائل قليل، ثم يكون المأوى الذى ينتهون إليه جهنم، وبئس منزلا جهنم. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مَتَاعٌ قَلِيلٌ} ... يَتَمَتَّعُونَ بِهِ أَعْوَامًا وَيَنْتَهِي.

{مَتَاعٌ قَلِيلٌ} ... يَتَمَتَّعُونَ بِهِ يَسِيرًا فِي الدُّنْيَا وَيَفْنَى

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (196)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: سورة (آل عمران) الآية (196) في (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (76/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (76/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (103/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{مَتَاعٌ قَلِيلٌ} ... خبر مبتدأ محذوف، أي ذلك متاع قليل، وهو التقلب في البلاد. أراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة، أو أنه قليل في نفسه لانقضائه، وكل زائل قليل.

{جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} ... أَمَاكِنُهُمْ بعد التمتع القليل إلى جهنم يَأْوُونَ إليها فيخلدون فيها أبدًا.

{وَبِئْسَ الْمِهَادُ} ... أي وساء ما مهدوا لأنفسهم.

{الْمِهَادُ} ... الفِرَاشُ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {197} {مَتَاعٌ قَلِيلٌ}

أي: هو متاع قليل، بلغة فَانِيَةٌ وَمُتْعَةٌ زَائِلَةٌ، {ثُمَّ مَأْوَاهُمْ} مصيرهم، {جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} الفِرَاشُ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {197} {مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}. فإن هذا كله {متاع قليل} ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلا ويعذبون عليه طويلا هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه.(2)

* * *

[١٩٨] ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لكنِ الذين اتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه لهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، ماكثين فيها أبدًا، جزاءً مُعَدًا لهم من عند الله تعالى، وما أعده الله للصالحين من عباده خير وأفضل مما يتقلب فيه الكفار من ملذات الدنيا.(3)

* * *

لكن الذين خافوا ربهم، وامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، قد أعدَّ الله لهم جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، هي منزلهم الدائم لا يخرجون منه. وما عد الله أعظم وأفضل لأهل الطاعة مما يتقلب فيه الذين كفروا من نعيم الدنيا.(4)

* * *

ذلك جزاء الكافرين، أما الذين آمنوا وخافوا ربهم فلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار مخلدين فيها، نازلين فى كرم الله سبحانه وما عند الله خير للأبرار مما يتقلب فيه الكافرون من متاع زائل.(5)

* * *

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمرآن) الآية (197).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (197)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (76/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (76/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (104/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

شرح و بيان الكلمات:

{لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ} ... أَيْ: مُقَدَّرِينَ بِالْخُلُود.

{نُزُلًا مِّنْ عِندِ الله} ... النُّزُلُ: ما يُعَدُّ للضيف منْ قرًى: طعام وشراب وفراش.

{فيهَا نُزُلًا} ... وَهُوَ مَا يُعَدُّ لِلضَّيْفِ وَنَصْبه عَلَى الْحَال مِنْ جَنَّات وَالْعَامِل فِيهَا مَعْنَى الظَّرْف.

{نُزُلًا} ... ضِيَافَةً، وَمَنْزِلًا.

{نُزُلًا} ... النزل: ما يقام للنازل، وانتصابه إما على الحال من جَنَّاتٌ، ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد، كأنه قيل: رزقا، أو عطاء.

{مِنْ عِنْدِ اللَّه} ... من الكثير الدائم.

{مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ} ... مِنَ الثَّوَاب.

{خَيْر لِلْأَبْرَار} ... مِنْ مَتَاع الدُّنْيَا

{خَيْرٌ لِلْأَبْرَار} ... مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل.

{لِلأَبْـرَار} ... جَمْعُ بَارّ وهو المطيعُ لله ورسوله الصادقُ في طاعته.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {198} {لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا} جَزَاءً وَثَوَابًا، {مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} نُصِبَ عَلَى التَّفْسِيرِ، يَعْنِي:- جَعَلَ ذَلِكَ نُزُلًا، {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ} من متاع الدنيا. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {198} {لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ}.

وأما المتقون لربهم، المؤمنون به - فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها {لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها}.

فلو قدر أنهم في دار الدنيا، قد حصل لهم كل بؤس وشدة، وعناء ومشقة، لكان هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور والحبور، والبهجة نزرا يسيرا، ومنحة في صورة محنة،

ولهذا قال تعالى: {وما عند الله خير للأبرار} وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجرا عظيما، وعطاء جسيما، وفوزا دائما. (2)

* * *

قوله تعالى: {وما عند الله خير للأبرار}.

قال: الإِمَامْ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لم يبين هنا ما عنده

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (198).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (198)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

للأبرار ولكنه بين في موضع آخر: أنه النعيم، وهو قوله {إن الأبرار لفي نعيم} وبين في موضع آخر: أن من جملة ذلك النعيم: الشرب من كأس ممزوجة بالكافور وهو قوله: {إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا}. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أحمد بن سنان، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن خيثمة، عن الأسود قال: قال: (عبد الله): ما من نفس برة ولا فاجرة إلا الموت خير لها، لئن كان برا لقد قال الله: {وما عند الله خير الأبرار}. (2)(3)

* * *

[١٩٩] ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ليس أهل الكتاب سواء، فإن منهم طائفة يؤمنون بالله وبما أنزل إليكم من الحق والهدى، ويؤمنون بما أنزل إليهم في كتبهم، لا يفرقون بين رسل الله، خاضعين متذللين لله، رغبة فيما عنده، لا يستبدلون بآيات الله ثمنًا قليلًا من متاع الدنيا، أولئك الموصوفون بهذه الصفات لهم ثوابهم العظيم عند ربهم، إن الله سريع الحساب على الأعمال سريع الجزاء عليها. (4)

* * *

وإن بعضًا من أهل الكتاب لَيصدِّق بالله ربًّا واحدًا وإلهًا معبودًا، وبما أُنزل إليكم من هذا القرآن، وبما أُنزل إليهم من التوراة والإنجيل متذللين لله، خاضعين له، لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلا من حطام الدنيا، ولا يكتمون ما أنزل الله، ولا يحرفونه كغيرهم من أهل الكتاب. أولئك لهم ثواب عظيم عنده يوم يلقونه، فيوفيهم إياه غير منقوص. إنَّ الله سريع الحساب، لا يعجزه إحصاء أعمالهم، ومحاسبتهم عليها. (5)

* * *

إن بعض أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على محمد وبما أنزل على الرسل من قبله، تراهم خاضعين لله ضارعين إليه، لا يستبدلون بالبينات الظاهرة عرضاً من أعراض الدنيا مهما عظم فهو قليل، هؤلاء لهم الجزاء الأوفى فى دار الرضوان عند ربهم والله سريع الحساب لا يعجزه إحصاء

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (198).

(2) و(رجاله ثقات)، وأخرجه الإمام (الحاكم)- من طريق-: (الأعمش) به، و(صححه) ووافقه الإمام (الذهبي) في (المستدرك) برقم (298/2).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (198).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (76/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (76/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

أعمالهم ومحاسبتهم عليها، وهو قادر على ذلك وجزاؤه نازل بهم لا محالة. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ}.... كعَبْد اللَّه بْن سَلَام وَأَصْحَابه وَالنَّجَاشِيّ.

{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}.... من اليهود والنصارى.

{وما أُنْزِلَ إِلَيْكُم}... أَيْ: الْقُرْآن.

{وما أُنْزِلَ إِلَيهِمْ}... من الكتابين. أَيْ: التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل.

{خاشِعِينَ لِلَّهِ}... حَال من ضَمِير يُؤْمِن مُرَاعَى فِيهِ مَعْنَى مَنْ أَيْ. مُتَوَاضِعِينَ.

{خاشِعِينَ لِلَّهِ}... مُطيعين، مُخْبتين له عز وجل.

{لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا}... لا يَجْحَدُونَ أحكامَ اللهِ وما أَمَرَ ببيانه للناس مقابل مَنَافِعَ تَحْصُلُ لهم.

أي: كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم.

{لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ}.... الَّتِي عِنْدهمْ فِي التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل مِنْ بَعْث النَّبِيّ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

{ثَمَنًا قَلِيلًا}... مِنْ الدُّنْيَا بِأَنْ يَكْتُمُوهَا خَوْفًا عَلَى الرِّيَاسَة كَفِعْلِ غَيْرهمْ مِنْ الْيَهُود.

{أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ}... ما يختص بهم من الأجر، وهو ما وعدوه.

{أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرهم}... ثَوَاب أَعْمَالهمْ.

{عِنْدَ رَبِّهِمْ}... يُؤْتَوْنَهُ مَرَّتَيْنِ كَمَا فِي الْقَصَص .

{إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}... يُحَاسِب الْخَلْق فِي قَدْر نِصْف نَهَار مِنْ أَيَّام الدنيا

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (النسائي) في (السنن الكبرى)، والإمام (الطبري) – في (تفسيره) (رحمهما الله):- وَعَنْ (أَنَس) – رضي الله عنه – قَالَ: (لَمَّا جَاءَ نَعْيُ النَّجَاشِيِّ , قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم:- " صَلُّوا عَلَيْهِ "، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ) (2) نُصَلِّي عَلَى رَجُلٍ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ؟) (3) فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ , خَاشِعِينَ للهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا , أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ, إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (4) " (5) " (5) .

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {199} ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} هو الْآيَةَ، قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس)، وَ(جَابِرٌ)، وَ(أَنَس)، وَ(قَتَادَةُ): نَزَلَتْ فِي النَّجَاشِيِّ ملك الحبشة.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (104/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) اخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11088).

(3) الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم (4/ 146)

(4) {آل عمران/199}.

(5) اخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11088).

واخرجه الإِمَامُ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (4645).

انظر: (سلسلة الصَّحِيحَة) برقم (3044).

وَقَالَ: (عَطَاءٌ): نَزَلَتْ فِي أَهْلِ نجران أَرْبَعِينَ رَجُلًا اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ مِنَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَثَمانِيَةَ مِنَ الرُّومِ، كَانُوا عَلَى دِينِ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فَآمَنُوا بِالنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ): نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): نَزَلَتْ فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ كُلِّهِمْ،

{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ} يَعْنِي: الْقُرْآنَ،

{وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ} يَعْنِي: التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ،

{خَاشِعِينَ لِلَّهِ} خَاضِعِينَ مُتَوَاضِعِينَ لِلَّه،

{لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} يَعْنِي: لَا يُحَرِّفُونَ كُتُبَهُمْ وَلَا يَكْتُمُونَ صِفَةَ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَجْلِ الرِّيَاسَةِ وَالْمَأْكَلَةِ، كَفِعْلِ غَيْرِهِمْ مِنْ رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ،

{أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} {آل عمران: 199}. (1)

* * *

قَالَ: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (199)}.

يخبرُ تَعَالَى عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حَقَّ الْإِيمَانِ، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مَعَ مَا هُمْ يُؤْمِنُونَ بِهِ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَأَنَّهُمْ خَاشِعُونَ لِلَّهِ، أَيْ: مُطِيعُونَ لَهُ خَاضِعُونَ مُتَذَلِّلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ،

{لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} أَيْ: لَا يَكْتُمُونَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْبِشَارَاتِ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَذِكْرَ صِفَتَهُ وَنَعْتَهُ وَمَبْعَثُهُ وَصِفَةَ أُمَّتِهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ خِيرَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ وَصَفْوَتُهُمْ، سَوَاءٌ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: فِي (سُورَةِ الْقَصَصِ): {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ. أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} الْآيَةَ {الْقَصَص: 52-54}،

وَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} الْآيَةَ {الْبَقَرَة: 121}،

وَقَالَ: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} {الْأَعْرَاف: 159}،

وَقَالَ تَعَالَى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} {آل عِمْرَان: 113}،

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا. وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا. وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} {الْإِسْرَاء: 107-109}،

وَهَذِهِ الصِّفَاتُ تُوجَدُ فِي الْيَهُودِ، وَلَكِنْ قَلِيلًا كَمَا وُجِدَ فِي (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ) وَأَمْثَالِهِ

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (199).

ممَّن آمَنَ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ وَلَمْ يَبْلُغُوا عَشْرَةَ أنفس، وَأَمَّا النَّصَارَى فَكَثِيرٌ مِنْهُمْ مُهْتَدُونَ وَيَنْقَادُونَ لِلْحَقِّ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرسول- تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (85)} الْآيَةَ {الْمَائِدَة:82-85}،

وَهَكَذَا قَالَ هَاهُنَا: {أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} الآية. (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو الربيع، حدثنا ابن عيينة، عن ابن جريج، عن (عطاء عن جابر) - رضي الله عنه - قال: النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حين مات النجاشي: ((مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة)). (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {199} {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} . أي: وإن من أهل الكتاب طائفة موفقة للخير، يؤمنون بالله، ويؤمنون بما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، وهذا الإيمان النافع لا كمن يؤمن ببعض الرسل والكتب، ويكفر ببعض.

ولهذا -لما كان إيمانهم عاما حقيقيا- صار نافعا، فأحدث لهم خشية الله، وخضوعهم لجلاله الموجب للانقياد لأوامره ونواهيه، والوقوف عند حدوده.

وهؤلاء أهل الكتاب والعلم على الحقيقة، كما قال تعالى: {إنما يخشى الله من عباده العلماء} ومن تمام خشيتهم لله، أنهم {لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلا} فلا يقدمون الدنيا على الدين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون ما أنزل الله ويشترون به ثمنا قليلا وأما هؤلاء فعرفوا الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسران، الرضا بالدون عن الدين، والوقوف مع بعض حظوظ النفس السفلية، وترك الحق الذي هو: أكبر حظ وفوز في الدنيا والآخرة، فآثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، وحذروا عن الباطل، فأثابهم الله على ذلك بأن وعدهم الأجر الجزيل، والثواب الجميل، وأخبرهم بقربه، وأنه سريع الحساب، فلا يستبطئون ما

(1) انظر: سورة (آل عمران) الآية (199) في (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير). .

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (230/7)، (ح 3877) – (كتاب: مناقب الأنصار)، / باب: (موت النجاشي).

وعدهم الله، لأن ما هو آت محقق حصوله، فهو قريب.(1)

* * *

قال: الإمام (الضياء المقدسي) - (رحمه الله) - في (المختارة): أخبرنا أبو عبد الله محمد بن مكي بن أبي الرجاء -بأصبهان- أن مسعود بن الحسن الثّقفي أخبرهم، أنا أحمد بن عبد الرحمن الذكواني، أنا أبو بكر أحمد بن موسى الحافظ، نا محمد بن عبد الله بن إبراهيم. وأخبرنا أبو طاهر معاوية بن علي بن معاوية الصّوفي -إجازة- أنا الحسن بن أحمد الحداد، أنا أبو نعيم، أنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، قالا: نا إبراهيم بن أحمد بن عمر، نا أبي، ثنا مؤمل بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البُناني، عن (أنس بن مالك)، قال: لّما مات النجاشي، قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((استغفروا لأخيكم)).

فقال بعضُ الناس: تأمرنا أن نستغفر له وقد مات بأرض الحبشة؟ فنزلت: {إن من أهل الكتاب لَمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم}.(2)

* * *

قال: الإمامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مجاهد):

قوله: {وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله} من اليهود والنصارى وهم مسلمة أهل الكتاب.(3)

* * *

[٢٠٠] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، اصبروا على تكاليف الشريعة، وعلى ما يعرض لكم من مصائب الدنيا، وغالبوا الكفار في الصبر فلا يكونوا أشد صبرًا منكم، وأقيموا على الجهاد في سبيل الله، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، لعلكم تنالون مطلوبكم بالسلامة من النار ودخول الجنة.(4)

* * *

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه اصبروا على طاعة ربكم، وعلى ما ينزل بكم من ضر وبلاء، وصابروا أعداءكم حتى لا يكونوا أشد صبرًا منكم، وأقيموا على جهاد عدوي وعدوكم، وخافوا الله في جميع

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمرآن) الآية (199)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) اللفظ للإمام (الطبراني) والآخر بمعناه قال: الإِمَامْ (الطبراني): لم يروه عن حماد إلا مؤمل. (وقد رواه (حميد عن أنس). (المختارة) برقم (41-40/5)، (ح 1648، 1649) ولفظه: ((قوموا صلوا على أخيكم النجاشي)).

وأخرجه الإمام (أبو ضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (61/6)، (ح 2037).

وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (الأوسط) برقم (323/3)، (ح 2688).

قال: الإِمَامْ (الهيثمي): رواه الإِمَامْ (البزار والطبراني) ورجال الإِمَامْ (الطبراني) ثقات. (مجمع الزوائد) برقم (38/3)

و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمرآن) الآية (199)، برقم (ص498/1)،

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمرآن) الآية (199).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (76/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

أحوالكم" رجاء أن تفوزوا برضاه في الدنيا والآخرة.(1)

* * *

يا أيها المؤمنون تمسكوا بالصبر، وغالبوا أعداءكم به، ولازموا الثغور لحمايتها، وخافوا ربكم، ففى كل ذلك رجاء فلاحكم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا} ... عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْمَصَائِبِ وَعَنْ الْمَعَاصِي.

{اصْبِرُوا وَصَابِرُوا} ... الصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى طَاعَةِ الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، وَالْمُصَابَرَةُ: الثباتُ والصمودُ أَمَامَ العَدُوِّ.

{اصْبِرُوا} ... على الدين وتكاليفه.

{وَصَابِرُوا} ... أعداء الله فى الجهاد، أي: الْكُفَّار فَلَا يَكُونُوا أَشَدّ صَبْرًا مِنْكُم

(أي: غَالِبُوا الأَعْدَاءَ بِالصَّبْرِ حَتَّى تَكُونُوا أَكْثَرَ صَبْرًا مِنْهُمْ).

{وَصَابِرُوا} ... (أي: غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا).

{وَرَابِطُوا} ... أَقِيمُوا عَلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ.

(أي:المرابطةُ: لزومُ الثغور مَنْعًا للعَدُوِّ من التسربِ إلى ديار المسلمين).

{وَرَابِطُوا} ... أي: أقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو).

{وَاتَّقُوا اللَّهَ} ... فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ.

{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ... تَفُوزُونَ بِالْجَنَّةِ وتنجون من النار.

{تُفْلِحُونَ} ... تفوزون بالظَّفَرِ المرغوب، والسلامةِ من المرهوب، في الدنيا والآخرة.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) -(رحمه الله) – في (تفسيره):- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا} [آل عمران: 200].

قَالَ: (الْحَسَنُ): اصْبِرُوا عَلَى دِينِكُمْ ولا ندعوه لشدّة وَلَا رَخاء،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): اصبروا على طاعة أدته،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ)، وَ(مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ): عَلَى أَمرِ اللَّه،

وَقَالَ: (مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ): عَلَى أَدَاءِ فَرَائِضِ اللَّه تَعَالَى،

وَقَالَ: (زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ): عَلَى الْجِهَادِ،

قَالَ: (أبو عبيدة): أي دافعوا وَاثْبُتُوا، وَالرَّبْطُ الشَّدُّ، وَأَصْلُ الرِّبَاطِ أن يربط خُيُولَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ خُيُولَهُمْ، ثُمَّ قِيلَ: ذلك لكل مُقيمٍ في ثغرٍ يَدْفَعُ عمَّنْ وراءَه، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مركب،

قَالَ: رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم -:

((رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّه خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عليها، ولروحة يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّه خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا))،

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (76/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (104/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وقال: (أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ): لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غَزْوٌ يُرَابَطُ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ انْتِظَارُ الصلاة بعد الصلاة،

ودليل هذا التأويل قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)).

{وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} . قَالَ: بَعْضُ أَرْبَابِ اللِّسَانِ: اصْبِرُوا عَلَى النَّعْمَاءِ وَصَابِرُوا عَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرَابِطُوا فِي دَارِ الْأَعْدَاءِ وَاتَّقُوا إِلَهَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فِي دَارِ الْبَقَاءِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا} {آل عمران: 200}. ثم حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح - وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك.

والمصابرة أي الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال.

والمرابطة: وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم، لعلهم يفلحون: يفوزون بالمحبوب الديني والدنيوي والأخروي، وينجون من المكروه كذلك.

فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحدا الفلاح إلا بالإخلال بها أو ببعضها. (2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن منير سمع أبا النضر، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبي حازم عن (سهل بن سعد الساعدي) - رضي الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يرُوحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها)). (3)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي، حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا ليث (يعني: ابن سعد) عن أيوب بن موسى، عن مكحول، عن شرحبيل بن السمط، عن سلمان. قال: سمعت

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (آل عمران) الآية (200).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (آل عمران) الآية (200)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (100/6)، (ح 2892) – (كتاب: الجهاد والسير)، / باب: (فضل رباط يوم سبيل الله..).

رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه: إن مات، جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأُجرى عليه رزقه، وأمن الفتّان)).(1)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر. جميعاً عن إسماعيل بن جعفر. قال ابن أيوب. حدثنا إسماعيل. أخبرني العلاء عن أبيه، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم:- ((أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟)) , قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: ((إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ(2) عَلَى الْمَكَارِهِ(3) وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ , وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ(4) فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ)) .(5) (6)

* * *

قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سُننِه) - (بسنده):- حدثنا سعيد بن منصور، ثنا عبد الله بن وهب، حدثني أبو هانيء، عن عمرو بن مالك، عن (فضالة بن عبيد)، أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((كل الميت يختم على عمله، إلا المرابط، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتان القبر)) .(7)

* * *

قال: الإمام (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني، ثنا أحمد بن نجدة القرشي، ثنا سعيد بن منصور، ثنا ابن المبارك، أنبا مصعب بن ثابت، حدثني داود بن صالح قال: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية (اصبروا وصابروا ورابطوا) قال: قلت، لا.

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1520/3)، (ح 1913) – (كتاب: الإمارة)، / باب: (فضل الرباط في سبيل الله عز وجل).

(2) إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ: إِتْمَامُهُ وَإِكْمَالُهُ , بِاسْتِيعَابِ الْمَحَلِّ بِالْغَسْلِ , وَتَكْرَارِ الْغَسْلِ ثَلَاثًا. تحفة الأحوذي (ج1ص 61)

(3) الْمَكَارِه: تَكُونُ بِشِدَّةِ الْبَرْدِ , وَأَلَمِ الْجِسْمِ , وَنَحْوِ ذَلِكَ. النووي (ج1ص 406)

(4) الرِّباط: الإقامة على جِهَاد العَدوّ بالحرب، وارْتباط الخيل وإعْدَادها. وَقَوْله: (فَذَلِكُمْ الرِّبَاط) أَيْ أَنَّهُ أَفْضَل الرِّبَاط , كَمَا قِيلَ: الْجِهَاد جِهَاد النَّفْس. (الإمام النووي - ج 1 / ص 406).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (219/1)، (ح 251) – (كتاب: الطهارة)، / باب: (فضل إسباغ الوضوء على المكاره).

(6) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (41) - (251).
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (51).
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (143).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (428).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8008).

(7) اخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (9/3)، (ح 2500) – (كتاب: الجهاد)، / باب: (في فضل الرباط).
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (79/2) – (كتاب: الجهاد).
- من طريق -: (أحمد بن نجدة القرشي، عن سعيد بن منصور به).
قال: الإمام (الحاكم): صحيح على شرط الإمام (مسلم) ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وأخرجه الإمام (الترمذي) (السنن 165/4 ح 1621). (فضائل الجهاد)، / باب: (ما جاء في فضل من مات مرابطاً).
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (20/6)،
وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (484/10)، (ح 4624)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (144/2) - من طرق -: عن (حيوة بن شريح عن أبي هانئ) به.
وقال: الإمام (الترمذي) في (سننه): (حسن صحيح)،
وقال: الإمام (الحاكم): صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (ح 1322).
وذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمران) الآية (200)، برقم (ص1/ 499-500).

قال: يا ابن أخي إني سمعت (أبا هريرة) يقول: لم يكن في زمان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلاة بعد الصلاة.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: {يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا} أي: اصبروا على طاعة الله، وصابروا أهل الضلالة ورابطوا في سبيل الله {واتقوا الله لعلكم تفلحون}.(2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وزادنا عمرو قال: أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن أبي صالح، عن (أبي هريرة)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة: إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع)).(3)

* * *

قال: الإمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (المُسنَد) - (بسنده):- , وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم:- ((مُنْتَظِرُ الصَلَاةِ مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ، كَفَارِسٍ اشْتَدَّ بِهِ فَرَسُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَى كَشْحِهِ(4) تُصَلِّي عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ اللهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ أَوْ يَقُومُ، وَهُوَ فِي الرِّبَاطِ الْأَكْبَرِ)).(5)

* * *

قال: الإمَامْ (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سُننَه) - (بسنده):- , وَعَنْ (عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم:- ((مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللهِ , كَانَتْ كَأَلْفِ لَيْلَةٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا)).(6)

* * *

(1) اخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (301/2) – (كتاب: التفسير).(تفسير سورة آل عمران)، و(صححه) ووافقه الإمام (الذهبي).
وذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) من سورة (آل عمرآن) الآية (200)، برقم (ص1/ 500)،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمرآن) الآية (200).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (81/6)، و (الفتح الباري) برقم (ح 2887) – (كتاب: الجهاد والسير)،/ باب: (الحراسة في الغزو في سبيل الله).
وهكذا وقعت هذه الرواية عند الإمام (البخاري) من شيخه - (عمرو)، وهو (ابن مرزوق).
وقال: الإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني): وقد صرح بسماعه منه في مواضع أخرى. (الفتح الباري) برقم (82/6)،
وإنما عطف الإمام (البخاري) على رواية سابقة فيها ذكر ما يتعلق بالحراسة والجهاد.

(4) الكاشح: العَدُوُّ الذي يُضْمِر عَداوَته , والكَشْح: الخَصْر , والذي يَطْوِي عنك كَشْحَه: لا يَألَفُك.

(5) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8610).
انظر: (صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب) برقم (450) ,
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده حسن).

(6) اخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2766).
انظر: حديث رقم: 5915/ 1) في (صحيح الجامع) , وهذا حديث مستدرك من الطبعة الأولى ,
وانظر: (صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب) برقم (1224).

وقـال: الإمَـامُ (الترمـذي) - (رحمـه الله) - في (سُـننه) - (بسـنده):- وَعَـنْ (عُثْمَـانَ بْـنِ عَفَّـانَ) - رضـي الله عنـه - قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ - صـلى الله عليـه وسـلم:- ((رِبَـاطُ يَـوْمٍ فِـي سَـبِيلِ اللَّهِ، خَيْـرٌ مِـنْ أَلْـفِ يَـوْمٍ فِيمَـا سِـوَاهُ مِـنَ الْمَنَازِلِ)). (1)

* * *

وقـال: الإمَـامُ (الترمـذي) - (رحمـه الله) - في (سُـننه) - (بسـنده):- ، وَعَـنْ (سَـهْلِ بْـنِ سَـعْدٍ السَّـاعِدِيِّ) - رضـي الله عنـه - قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ - صـلى الله عليـه وسـلم:- ((رِبَـاطُ يَـوْمٍ فِـي سَـبِيلِ اللَّهِ، خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)). (2)

* * *

قـال: الإمـام (ابـن حبـان) - (رحمـه الله) - في (صـحيحه) -(بسنده):- ، وَعَـنْ (مُجَاهِـدٍ) قَـالَ: كَـانَ (أَبُـو هُرَيْـرَةَ) - رضـي الله عنـه - فِـي الرِّبَـاطِ (3) فَفَزِعُـوا إِلَـى السَّـاحِلِ، ثُـمَّ قِيـلَ: لَا بَـأْسَ، فَانْصَـرَفَ النَّـاسُ، وَ(أَبُـو هُرَيْـرَةَ) وَاقِـفٌ فَمَـرَّ بِـهِ إِنْسَـانٌ فَقَـالَ: مَـا يُوقِفُـكَ يَـا (أَبَـا هُرَيْـرَةَ)؟، فَقَـالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَّهِ - صـلى الله عليـه وسـلم - يَقُـولُ: ((مَوْقِـفُ سَـاعَةٍ فِـي سَـبِيلِ اللَّهِ، خَيْـرٌ مِـنْ قِيَـامِ لَيْلَـةِ الْقَـدْرِ عِنْـدَ الْحَجَـرِ الْأَسْوَدِ)). (4)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- الأذى الـذي ينـال المـؤمن في سـبيل الله فيضـطره إلى الهجـرة والخـروج والجهـاد مـن أعظـم أسـباب تكفـير الـذنوب ومضـاعفة الأجور.
- ليسـت العـبرة بمـا قـد يُـنَعَّم بـه الكـافر في الـدنيا مـن المـال والمتـاع وإن عَظُـم؛ لأن الـدنيا زائلـة، وإنمـا العـبرة بحقيقـة مصـيره في الآخرة في دار الخلود.
- مـن أهـل الكتـاب مـن يشـهدون بـالحق الـذي في كتـبهم، فيؤمنـون بمـا أنـزل إلـيهم وبمـا أنـزل على المؤمنين، فهؤلاء لهم أجرهم مرتين.
- الصـبر علـى الحـق، ومغالبـة المكـذبين بـه، والجهـاد في سـبيله، هـو سـبيل الفـلاح في الآخرة. (5)

---

(1) اخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (1667).
وأخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3169).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (442).
وأخرجه الإمَامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4609).
انظر: (سلسلة الصحيحة) حديث (2857)، و(صَحيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب) بـرقـم (1224)، وقـد كـان الإمـام (الألبـاني) ضعَّفَ الحديث في (ضعيف الجامع) (3084)، ثم تراجع عن تضعيفه.
وانظـر: (الْجَـامِعُ الصَّـحِيحُ لِلسُّـنَنِ وَالْمَسَـانِيدِ) في (تفسـير القـرآن)- سـورة (آل عمران) الآية (200)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(2) اخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (1664).
وأخرجه الإمَامُ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (2735).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (22923).
وانظـر: (الْجَـامِعُ الصَّـحِيحُ لِلسُّـنَنِ وَالْمَسَـانِيدِ) في (تفسـير القـرآن)- سـورة (آل عمران) الآية (200)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(3) الرِّبَاط: الإقامة على جِهَاد العَدوّ بالحرب، وارْتباط الخيل وإعْدَادها.

(4) أخرجه الإمَامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4603).
واخرجه الإمَامُ (البيهقي) في (شعب الإيمان) برقم (4286).
وانظر: (صَحِيح الْجَامِع) برقم (6636) للإمَامُ (الألباني).
وانظر: (سلسلة الصَّحِيحَة) برقم (1068) للإمَامُ (الألباني).
وانظر: (صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب) برقم (1223) للإمَامُ (الألباني).
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط) (إسناده صحيح).
وانظـر: (الْجَـامِعُ الصَّـحِيحُ لِلسُّـنَنِ وَالْمَسَـانِيدِ) في (تفسـير القـرآن)- سـورة (آل عمران) الآية (200)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(5) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (76/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

والله سبحانه و تعالى أعلم بالصواب

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةُ ﴿ آل عمرآن ﴾

تم بفضل الله وإعانته وتيسيره.

وَلِلَّهِ الْحَمْدُ والثَّناء والفضْل وَالْمِنَّةُ والمَجد دائماً أبداً وإستمْراراً

كما ينبغي لجلاله، وعظمته، وكماله وسعة إحسانه.

((الحمْدُ للّه الذِي بِنِعْمَتِه تتمُ الصالحاتُ))

والحمدلله رب العالمين، أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً،

حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. مِلءَ السَّموَات، وَمِلءَ الأرض،

وَمِلءَ مَا بَينَهُمَا. وَمِلءَ ما فهيما.

سُبحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمدِكَ أَشهَدُ أن لا إله إلاَّ أنتَ أَستَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِليك.

وَصلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

۞ ۞ ۞